This is a digital copy of a book that was preserved for generations on library shelves before it was carefully scanned by Google as part of a project to make the world's books discoverable online.

It has survived long enough for the copyright to expire and the book to enter the public domain. A public domain book is one that was never subject to copyright or whose legal copyright term has expired. Whether a book is in the public domain may vary country to country. Public domain books are our gateways to the past, representing a wealth of history, culture and knowledge that's often difficult to discover.

Marks, notations and other marginalia present in the original volume will appear in this file - a reminder of this book's long journey from the publisher to a library and finally to you.

Usage guidelines

Google is proud to partner with libraries to digitize public domain materials and make them widely accessible. Public domain books belong to the public and we are merely their custodians. Nevertheless, this work is expensive, so in order to keep providing this resource, we have taken steps to prevent abuse by commercial parties, including placing technical restrictions on automated querying.

We also ask that you:

+ *Make non-commercial use of the files* We designed Google Book Search for use by individuals, and we request that you use these files for personal, non-commercial purposes.

+ *Refrain from automated querying* Do not send automated queries of any sort to Google's system: If you are conducting research on machine translation, optical character recognition or other areas where access to a large amount of text is helpful, please contact us. We encourage the use of public domain materials for these purposes and may be able to help.

+ *Maintain attribution* The Google "watermark" you see on each file is essential for informing people about this project and helping them find additional materials through Google Book Search. Please do not remove it.

+ *Keep it legal* Whatever your use, remember that you are responsible for ensuring that what you are doing is legal. Do not assume that just because we believe a book is in the public domain for users in the United States, that the work is also in the public domain for users in other countries. Whether a book is still in copyright varies from country to country, and we can't offer guidance on whether any specific use of any specific book is allowed. Please do not assume that a book's appearance in Google Book Search means it can be used in any manner anywhere in the world. Copyright infringement liability can be quite severe.

About Google Book Search

Google's mission is to organize the world's information and to make it universally accessible and useful. Google Book Search helps readers discover the world's books while helping authors and publishers reach new audiences. You can search through the full text of this book on the web at `http://books.google.com/`

ORIENTAL INSTITUTE
LIBRARY

OXFORD UNIVERSITY

S.P.J
7711
MAC
Vol. 1

3039786294

Digitized by Google

ARABIANNIGHTS

Digitized by Google

THE

ALIF LAILA

OR

BOOK OF THE THOUSAND NIGHTS

AND

ONE NIGHT,

Commonly known as 'The Arabian Nights' Entertainments;'

NOW, FOR THE FIRST TIME, PUBLISHED COMPLETE IN

THE ORIGINAL ARABIC,

FROM AN EGYPTIAN MANUSCRIPT

BROUGHT TO INDIA BY THE LATE MAJOR TURNER MACAN, EDITOR OF THE SHAH-NAMEH.

EDITED BY

W. H. MACNAGHTEN, Esq.

Bengal Civil Service.

IN FOUR VOLUMES.

VOL. I.

CALCUTTA:

W. THACKER AND CO. ST. ANDREW'S LIBRARY.

LONDON:

WM. H. ALLEN AND CO. 7, LEADENHALL ST.

Booksellers to the East-India Company.

1839.

Digitized by Google

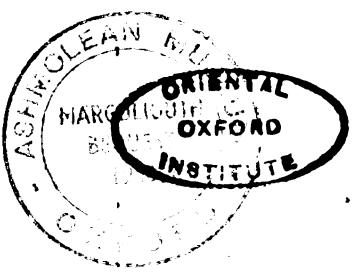

CALCUTTA:

PRINTED AT THE BAPTIST MISSION PRESS.

1839.

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

المعروف في كل مواطن * مسطر وليم حي مكناطن * بهادر ادام الله ظلال رأفته على مفارق الانام * وزاد حشمته ما دامت الليالي والايام * ولازال اعلام العلوم بتهذيبه عاليه * وما برح اسعار الفنون بترتيبه غاليه * فى اليوم المتمم للعشر الرابع من النصف الثاني من السدس الرابع * من العشر الرابع من النصف الثاني من الخمس الثالث من العشر الثالث من الالف الثاني من السنين الهجرية اي في اثنا عشر من شهر شعبان سنة اربع وخمسين بعد الالف والمائتين موافقا لمبدء الثلث الثاني من الربع الرابع * من العشر الثامن من الخمس الرابع من النصف الاول من العشر التاسع من الالف الثاني بعد الالف الاول من السنين العيسوية اي الاول من شهر نومبر سنة الف وثمان مائة وثمانية وثلثين * ثم اعلموا ارباب الفضل والعرفان * انه قد بولغ في تصحيحه غاية الجهد والامكان * ومع هذا لاندّعي ان كله صحيح * ولم يبق فيه غلط وشيء قبيح * فانه لاغروان زلّ انظار الطابعين * او وقع سهو من المقابلين * فالمأمول منكم ان تنظروا عليه بناظر الانصاف * ولا تمعنوا بعين الاعتساف *

و اذا عثر تم على العثرات * او اطّلعتم على الزلّات *
فاسعوا في اصلاح ما فات عنّي * ولا تلوّثوا السنتكم
بفرط ما صدر منّي * بل المرجوّ من اخلاقكم
ان تسبلوا ذيل الستر و الاحسان *
و لا تطعنوا على المعتنين
كما هو داب ابناء
هذا الزمان *

ASHMOLEAN OXFORD MUSEUM
Digitized by Google

صدري و السيف في يده فخفت ان يقتلني اذا منعته كما قتل خادمي فقضى اربه مني غصبا و ان لم تخلص حقي منه ايها الملك قتلت نفسي بيدي وليس لي حاجة بالحيوة في الدنيا بعد هذا الفعل القبيح واخبرته حياة النفوس وهي مفجوعة با لبكاء ايضا بمثل ما اخبرته به ضرّتها بدور وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

وبقيّة حكاية الامجد والاسعد في الربع الثاني

وهذا آخر الربع الاول من كتاب الف ليلة و ليلة قد استتبّ بعون الملك القدير طبعه بتصحيح الفقير الحقير * احمد بن محمد الشهير باحمد كبير * باعانة الفاضل البليغ الذي خطّ الطروس ووشّح برودها بالاقلام * وكتب الانشاء فاخّى من كلامه بين الجواهر والنظام * فلو رآه ابن بسّام عبس وقطّب * وجلس بين يديه و تأدّب * ولو عاينه البديع لفّ ما نشر من انشائه * ورمى قلم المكاتبة بدائه * العالم النبيه اللوذعي * المولوي صاحبعلي خان * حماه الله العلي المنان * بحكم التحرير الشهم النبيل * الامير الحسيب الجليل * الذي كان يصحّح ويحكم بتصحيحي * ويصلح ويجبر ما يفرط مني في تنقيحي * قدوة رؤساء الانام * عمدة امراء الاعلام * الفائق في العلوم العربية على الامثال والاقران * البارع في الفنون الادبيه على الاقيال والاعيان * العارف بصنوف الالسنة و اللّغات * الواقف على فنون البراعات * جامع الكمالات الانسيّة * حاوي الفضائل القدسيّة * صاحب التحرير و البيان * والتقرير و التبيان * البالغ في اشاعة العلوم باقصى الغايات * الراغب في ترويج الفنون بمنتهى النهايات * ملجأ الافاضل و العالمين * ماوى الخلائق و العالمين * الرافع لاصحاب العلم مراتب الكمال * الناصب لارباب الفضل مناصب الاجلال *

Digitized by Google

واخبره بانه قتل العجوز التي جاءت له بالرسالة ثم قال له والله يا اخي لولا حيائي منك لكنت دخلت في هذه الساعة اليها وقطعت رأسها من بين كتفيها فقال له اخوه الملك الامجد والله يا اخي انه قد جرى لي بالامس لما جلست على كرسيّ المملكة مثل ماجرى لك في هذا اليوم فان امّك ارسلت اليّ رسالة بمثل مضمون هذا الكلام ثم اخبره بجميع ماجرى له مع امه الملكة حياة النفوس وقال له والله ياأخي لولا حيائي منك لدخلت اليها وفعلتُ بها مثل ما فعلتُ بالخادم ثم انهما باتا يتحدّثان بقية تلك الليلة ويلعنان النساء الخائنات ثم تواصيا بكتمان هذا الامر لئلا يسمع به ابوهما الملك قمر الزمان فيقتل المرأتين ولم يزالا في غم تلك الليلة الى الصباح فلما اصبح الصباح اقبل الملك بجيشه من الصيد وجلس ساعة على كرسيّ المملكة ثم طلع الى قصره وصرف الامراء الى حال سبيلهم وقام ودخل القصر فوجد زوجتيه راقدتين على الفراش وهما في غاية الضعف وقد عملتا اولادهما مكيدة واتفقتا على تضييع ارواحهما لانهما قد فضحتا انفسهما معهما وقد خشيتا ان يصيرتا تحت زلّتهما فلما رآهما الملك على تلك الحالة قال لهما مالكما فقامتا اليه وقبّلتا يديه وعكستا عليه المسألة وقالتا له اعلم ايها الملك ان ولديك اللذين قد تربّيا في نعمتك قد خانّاك في زوجتيك واركباك العار فلما سمع قمر الزمان من نسائه هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلاما واغتاظ غيظا شديدا حتى طار عقله من شدة الغيظ وقال لنسائه اوضحا لي هذه القيضة فقالت له الملكة بدور اعلم ياملك الزمان ان ولدك الاسعد بن حياة النفوس له مدة من الايام وهو يراسلني ويكاتبني ويراودني على الزنا وانا انهاه عن ذلك ولم ينته فلما سافرتَ انت هجم عليّ وهو سكران والسيف في يده مسلول فضربت به خادمي فقتله وركب على

Digitized by Google

ثم كتبت ايضا هذه الابيات

إِلَيْكَ أَسْعَدُ أَشْكُو مِنْ لَهِيبِ جَوَى ... فَارْحَمْ مُتَيَّمَةً بِالشَّوْقِ تَلْتَهِبُ
إِلَى مَتَى وَأَيَادِي الْوَجْدِ تَلْعَبُ بِي ... وَالْعِشْقُ وَالْفِكْرُ وَالتَّسْهِيدُ وَالنَّصَبُ
طَوْرًا بِبَحْرٍ وَطَوْرًا أَشْتَكِي لَهَبًا ... فِي مُهْجَتِي إِنَّ ذَا يَا مُنْيَتِي عَجَبُ
يَا لَائِمِي خَلِّ لَوْمِي وَالْتَمِسْ هَرَبًا ... مِنَ الْهَوَى قَدْ دُمُوعُ الْعَيْنِ تَنْسَكِبُ
كَمْ صِحْتُ وَجْدًا مِنَ الْهِجْرَانِ وَاحَرَبًا ... فَلَمْ يُفِدْنِي بِذَاكَ الْوَيْلُ وَالْحَرَبُ
أَعْرَضْتَنِي بِصُدُودٍ لَسْتُ أَحْمِلُهُ ... أَنْتَ الطَّبِيبُ فَاسْعِفْنِي بِمَا يَجِبُ
يَا عَاذِلِي كُفَّ عَنْ عَذْلِي مُحَاذَرَةً ... كَيْلَا يُصِيبَكَ مِنْ دَاءِ الْهَوَى عَطَبُ

ثم ان الملكة بدور ضمّخت ورقة الرسالة بالمسك الاذفر ولفّتها في جدائل شعرها وهي من الحرير العراقي وشراريبها من قضبان الزمرد الاخضر مرصّعة بالدر والجوهر ثم سلّمتها الى العجوز وامرتها ان تعطيها للملك الاسعد ابن زوجها الملك قمر الزمان فراحت العجوز من اجل خاطرها ودخلت على الملك الاسعد من وقتها وساعتها وكان في خلوة عند دخولها فناولته الورقة بما فيها وقد وقفت ساعة زمانية تنتظر ردّ الجواب فعند ذلك قرأ الملك الاسعد الورقة وفهم ما فيها ثم بعد ذلك لفّ الورقة في الجدائل ووضعها في جيبه وغضب غضبا شديدا ما عليه من مزيد ولعن النساء الخائنات ثم انه نهض وسحب السيف من غمده وضرب رقبة العجوز فعزل رأسها عن جثتها وبعد ذلك قام وتمشى حتى دخل على امّه حياة النفوس فوجدها راقدة في الفرش ضعيفة بسبب ما جرى لها من الملك الامجد فشتمها الملك الاسعد ولعنها ثم خرج من عندها فاجتمع باخيه الملك الامجد وحكى له جميع ما جرى له مع امّه الملكة بدور

Digitized by Google

ابيه الملك قمر الزمان ليحكم بين الناس وقد اصبحت امّه حياة النفوس ضعيفة بسبب ما سمعته عن الملك الامجد من قتله للخادم ثم ان الملك الاسعد لما جلس للحكم في ذلك اليوم حكم وعدل وولّى وعزل وامر ونهى واعطى ووهب ولم يزل جالسا في مجلس الحكم الى قرب العصر ثم ان الملكة بدور امّ الملك الامجد ارسلت الى عجوز من العجائز الماكرات واظهرتها على مافي قلبها واخذت ورقة لتكتب فيها مراسلة للملك الاسعد بن زوجها وتشكو اليه كثرة محبتها له ووجدها به فكتبت له هذه السجعات ممن تلفت وجدا وشوقا * الى احسن الناس خَلقا وخُلقا * المحجب بحبها له * التائه بدلاله * المعرض عن طالب وصاله * الزاهد في القرب ممن خضع وذلّ * الى من جفا وملّ * من العاشق المكمد * الى الملك الاسعد * صاحب الحسن الفائق * والجمال الرائق * والوجه الاقمر * والجبين الازهر * والضياء الابهر * هذا كتابي الى من حُبّه اذاب جسمي * وفرّق جلدي وعظمي * اعلم انني قد عيل صبري * وتحيّرت في امري * واقلقني الشوق والسهاد * وجفاني الصبر والرقاد * ولازمني الحزن والسُهاد * وبرح بي الوجد والغرام * وحلول الضنى والسقام * فالروح تفديك * وان كان قتل الصب يرضيك * والله يبقيك * ومن كل سوء يقيك * ثم بعد تلك السجعات كتبت هذه الابيات

حَكَمَ الزَّمَانُ بِاَنَّنِي لَكَ عَاشِقٌ ... يَا مَنْ مَحَاسِنُهُ كَبَدْرٍ يَشْرِقُ
حُزْتَ الْمَلَاحَةَ وَالْفَصَاحَةَ كُلَّهَا ... وَعَلَيْكَ مِنْ دُونِ الْبَرِيَّةِ رَوْنَقُ
وَلَقَدْ رَضِيتُ بِاَنْ تَكُونَ مُعَذِّبِي ... فَعَسَى عَلَيَّ بِنَظْرَةٍ تَتَصَدَّقُ
مَنْ مَاتَ فِيكَ صَبَابَةً فَلَهُ الْهَنَا ... لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُحِبُّ وَيَعْشَقُ

Digitized by Google

فلما كانت الليلة التاسعة عشر بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد انها اعطت ورقة المراسلة للخادم وامرته ان يوصلها الى الملك الامجد فسار ذلك الخادم وهو لا يعلم ما خفي له في الغيب وعلّام الغيوب يدبّر الامور كيف يشاء فلما دخل الخادم على الملك الامجد قبّل الارض بين يديه وناوله المنديل وبلّغه الرسالة فتناول الملك الامجد المنديل من الخادم وفتحه فرأى الورقة ففتحها وقرأها فلما فهم معناها علم ان امرأة ابيه في عينها الخيانة وقد خانت اباه الملك قمر الزمان في نفسها فغضب غضبا شديدا وذمّ النساء على فعلهن وقال لعن الله النساء الخائنات الناقصات عقلا ودينا ثم انه جرّد سيفه وقال للخادم ويلك يا عبد السوء أتحمل المراسلة المشتملة على الخيانة من زوجة سيدك والله انه لا خير فيك يا اسود اللون والصحيفة يا قبيح المنظر والطبيعة السخيفة ثم ضربه بالسيف في عنقه فعزل رأسه عن جثّته وطوى المنديل على ما فيه ووضعه في جيبه ثم دخل على امّه واعلمها بما جرى وسبّها وشتمها وقال كلكنّ الخس من بعضكنّ والله العظيم لولا انّي اخاف اساءة الادب في حق والدي قمر الزمان واخي الملك الاسعد لادخلن عليها واضربن عنقها كما ضربت عنق خادمها ثم انه خرج من عند امّه الملكة بدور وهو في غاية الغيظ فلما بلغ الملكة حياة النفوس زوجة ابيه ما فعل بخادمها سبّته ودعت عليه واضمرت له المكر فبات الملك الامجد في تلك الليلة ضعيفا من الغيظ والقهر والفكر ولم يلذّ له اكل ولا شرب ولا منام فلما اصبح الصباح خرج اخوه الملك الاسعد وجلس في مجلس

Digitized by Google

فجلس للحكم فى اليوم الاول الامجد بن الملكة بدور فامر ونهى وولّى وعزل واعطى ومنع فكتبت له الملكة حياة النفوس امّ الاسعد مكتوبا تستعطفه فيه وتوضح له انها متعلقة ومتعشقة فيه وتكشف له الغطـــاء وتعلمه انها تريد وصاله فاخذت ورقة وكتبت فيهـــا هذه السجعـــــــــــــــــــــــــــــــــات

من المسكينة العاشقه * الحزينة المفارقه * التي ضاع بحبك شبابها وطال فيـك عذابها * ولو وصفت لك طول الاسف * وما اقاسيه من اللهف * وما بقلبي من الشغف * وما انا فيه من البكاء والانين * وتقطّع القلب الحزين * وتوالى الغموم * وتتابع الهموم * وما اجده من الفراق * والكآبـــة والاحتراق * لطال شرحـه فى الكتاب * وعجزت عن حصره الحساب * وقد ضاقت عليّ الارض والسماء * ولالي في غيرك امل ولارجاء * فقد اشرفت على الموت * وكابدت الهوال الفوت * وزاد بي الاحتراق * والم الهجر والفراق * ولو وصفت ماعندي من الاشواق * ما وسعتهـــا الاوراق * ومن كثرة البلوى والنحول ها انا انشد واقـــــــــــــــــــــــــــــــول

لَوْ كُنْتُ اَشْرَحُ مَا الْقَاهُ مِنْ حُرَقِ ... وَمِنْ سَقَامٍ وَمِنْ وَجْدٍ وَمِنْ قَلَقِ
لَمْ يَبْقَ فِي الْاَرْضِ قِرْطَاسٌ وَلَا قَلَمٌ ... وَلَا مِدَادٌ وَلَا شَـيْءٌ مِنَ الْوَرَقِ

ثم ان الملكة حياة النفوس لفّت تلك الورقة في رقعة من غالي الحرير مضمّخة بالمسك والعبير ووضعت معها جدائل شعرها التي تستغرق الاموال بسعرها ثم لفّتها بمنديل واعطتها لخادم وامرته ان يوصلها الى الملك الامجد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــباح

Digitized by Google

في العزّ والدلال والادب والكمال وتعلّما الخط والعلم والسياسة والفروسية حتى صارا في غاية الكمال ونهاية الحسن والجمال وافتتن بهما النساء والرجال وصار لهما من العمر نحو سبعة عشر عاما وهما متلازمان فيأكلان سواء ويشربان سواء ولا يفترقان عن بعضهما ساعة من الساعات ولا وقتا من الاوقات وجميع الناس تحسدهما على ذلك ولما بلغا مبلغ الرجال واتّصفا بالكمال صار ابوهما اذا سافر يجلسهما على التعاقب في مجلس الحكم فيحكم كل واحد منهما يوما بين الناس واتفق بالقدر المبرم والقضاء المحتم ان محبة الاسعد الذي هو ابن حياة النفوس وقعت في قلب الملكة بدور زوجة ابيه وان محبة الامجد الذي هو ابن الملكة بدور وقعت في قلب حياة النفوس زوجة ابيه فصارت كل واحدة من المرأتين تلاعب ابن ضرّتها وتقبّله وتضمه الى صدرها واذا رأت ذلك امّه تظنّ انه من الشفقة ومحبة الامّهات لاولادها وتمكّن العشق من قلوب المرأتين وافتتنتا بالولدين فصارت كل واحدة منهما اذا دخل عليها ابن ضرّتها تضمه الى صدرها وتودّ انه لا يفارقها ولما طال عليهما المطال ولم تجدا سبيلا الى الوصال امتنعتا من الشراب والطعام وهجرتا لذيذ المنام ثم ان الملك توجّه الى الصيد والقنص وامر ولديه ان يجلسا في موضعه للحكم كل واحد منهما يوما على عادتهما وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــاح

فلما كانت الليلة الثامنة عشر بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الملك توجّه الى الصيد والقنص وامر ولديه ان يجلسا في موضعه للحكم كل واحد يوما على عادتهما

Digitized by Google

من انها تحبّ ذلك وتكون جارية لحياة النفوس فلما سمع الملك ارمانوس هذا الكلام من قمر الزمان فرح فرحا شديدا ثم خرج وجلس على كرسّي مملكته واحضر جميع الوزراء والامراء والحجّاب وارباب الدولة واخبرهم بقصة قمر الزمان وزوجته الملكة بدور من الاول الى الآخر وانه يريد ان يزوّج ابنته حياة النفوس لقمر الزمان ويجعله سلطانا عليهم عوضا عن زوجته الملكة بدور فقالوا جميعا حيث كان قمر الزمان هو زوج الملكة بدور التي كانت سلطانا علينا قبله ونحن نظن انها صهر ملكنا ارمانوس فكلّنا نرضاه سلطانا علينا و نكون له خدما ولانخرج عن طاعته ففرح الملك ارمانوس بذلك فرحا شديدا ثم احضر القضاة والشهود ورؤساء الدولة وعقد عقد قمر الزمان على ابنته الملكة حياة النفوس ثم انه اقام الافراح واولم الولائم الفاخرة وخلع الخلع السنية على جميع الامراء ورؤساء العساكر وتصدّق على الفقراء والمساكين واطلق جميع المحابيس و استبشر العالم بسلطنة الملك قمر الزمان وصاروا يدعون له بدوام العز والاقبال والسعادة والاجلال ثم ان قمر الزمان لما صار سلطانا عليهم ازال المكوس واطلق من بقي في الحبوس وسار فيهم سيرة حميدة واقام مع زوجته على هناء وسرور ووفاء وحبور يبيت عند كل واحدة منهما ليلة ولم يزل على ذلك مدة من الزمان وقد انجلت عنه الهموم والاحزان ونسي اباه الملك شهرمان و ماكان له عنده من عزّ وسلطان حتى رزقه الله تعالى من زوجتيه بولدين ذكرين مثل القمرين النيرّين اكبرهما من الملكة بدور وكان اسمه الملك الامجد واصغرهما من الملكة حياة النفوس واسمه الملك الاسعد وكان الاسعد اجمل من اخيه الامجد ثم انهما تربيّا

Digitized by Google

قَسَمًا بِآيَاتِ الضُّحَى مِنْ وَجْهِهِ لَمْ آنَسَ فِيهِ سُورَةَ الْإِخْلَاصِ

ثم ان الملكة بدور اخبرت قمر الزمان بجميع ما جرى لها من الاول الى الآخر وكذلك هو اخبرها بجميع ماجرى له وبعد ذلك انتقل معها الى العتاب وقال لها ما حملكِ على ما فعلتهِ بي في هذه الليلة فقالت لا تؤاخذني فان قصدي بذلك المزاح ومزيد البسط والانشراح فلما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح ارسلت الملكة بدور الى الملك ارمانوس والد الملكة حياة النفوس واخبرته بحقيقة امرها وانها زوجة قمر الزمان واخبرته بقصتهما وبسبب افتراقهما من بعضهما واعلمته ان ابنته حياة النفوس بكر على حالها فلما سمع الملك ارمانوس صاحب جزائر الآبنوس قصة الملكة بدور بنت الملك الغيور تعجّب منها غاية العجب وامر ان يكتبوها بماء الذهب ثم التفت الى قمر الزمان وقال له يا ابن الملك هل لك ان تصاهرني وتتزوج بنتي حياة النفوس فقال له حتى اشاور الملكة بدور فان لها عليّ فضلا غير محصور فلما شاورها قالت له نعم هذا الرأي فتزوّجها واكون انا لها جارية لان لها عليّ معروفا واحسانا وخيرا وامتنانا وخصوصا نحن في محلّها وقد غمرنا احسان ابيها فلما رأى قمر الزمان ان الملكة بدور مائلة الى ذلك ولم يكن عندها غيرة من حياة النفوس اتّفق معها على هذا الامر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة عشر بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان اتفق مع زوجته الملكة بدور على هذا الامر واخبر الملك ارمانوس بما قالته الملكة بدور

Digitized by Google

لعلّه ينتصب الى القيام من السجود فبكى وقال انا لا احسن شيأ من ذلك فقالت بحياتي ان تفعل ما امرتك به مما هنالك فمدّ يده وفرأده في زفير فوجد فخذها الين من الزبد وانعم من الحرير فاستلذّ بلمسهما وجال بيده في الجهات حتى وصلت الى قبّة كثيرة البركات والحركات فقال في نفسه لعلّ هذا الملك خنثى وليس بذكر ولا انثى ثم قال ايها الملك اني لم اجد لك آلة مثل آلات الرجال فما حملك على هذه الفعال فضحكت الملكة بدور حتى استلقت على قفاها وقالت له يا حبيبي ما اسرع ما نسيت ليا ليا بتنا ها وعرّفته بنفسها فعرف انها زوجته الملكة بدور بنت الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور فاحتضنها واحتضنته وقبّلها وقبّلته ثم اضطجعا على فراش الوصال وتناشدا قول من قال

لَمَّا دَعَتْهُ الَى وِصَالِي عِطْفَةٌ ... مِنْ مَعْطَفٍ بِتَعَطُّفٍ مُتَوَاصِ
وَسَقَتْ قَسَاوَةَ قَلْبِهِ مِنْ لِيْنِهَا ... فَاجَابَ بَعْدَ تَمَنُّعٍ وَتَعَاصِ
خَفِيَ الْعَوَاذِلَ اَنْ تَرَاهُ اِذَا بَدَا ... فَاَتَى بِعُدَّةِ آمِنِ الْاِرْهَاصِ
شَكَتِ الْخُصُورُ رَوَادِفًا قَدْ حَمَّلَتْ ... اَقْدَامَهُ فِي الْمَشْيِ حِمْلَ قِلَاصِ
مُتَقَلْقِلُ الصِّمْصَامِ مِنْ اَلْحَاظِهِ ... وَمِنَ الدُّجَى مُتَدَرِّعًا بِدِلَاصِ
وَشَذَاهُ بَشَّرَنِي بِسَعْدِ قُدُومِهِ ... فَفَرَرْتُ مِثْلَ الطَّيْرِ مِنْ اَقْفَاصِ
وَفَرَشْتُ خَدِّي فِي الطَّرِيقِ لِنَعْلِهِ ... فَشَفَى بِاَثْمِدِ تُرْبِهَا اَرْمَاصِي
وَعَقَدْتُ اَلْوِيَةَ الْوِصَالِ مُعَانِقًا ... وَفَكَكْتُ عُقْدَةَ حَظِّيَ الْمُتَعَاصِي
وَاَتَمْتُ اَفْرَاحًا اَجَابَ نِدَائَهَا ... هَرَبٌ صَفَا عَنْ شَائِبِ الْاَنْغَاصِ
وَالْبَدْرُ نَقَّطَ بِالنُّجُومِ الثَّغْرَ مِنْ ... حَبَبٍ عَلَى وَجْهِ الطِّلَا رَقَّاصِ
وَعَكَفْتُ فِي مِحْرَابِ لَذَّتِهَا عَلَى ... مَا مِنْ تَعَاطِيهِ يَتُوبُ الْعَاصِي

Digitized by Google

* اَحْسَنْتِ يَا اَوْسَعُ مِنْ * * فُتُوْحِ مَوْلَانَا الْمَلِكْ *

وقول الآخر

يَسْتَغْفِرُ النَّاسُ بِاَيْدِيْهِمْ وَهُنَّ يَسْتَغْفِرْنَ بِالْاَرْجُلِ
يَا لَهُ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ يَرْفَعُهُ اللّٰهُ اِلَى اَسْفَلِ

فلما سمع قمر الزمان منها هذه الاشعار وتحقق انه ليس له مما ارادته فرار قال يا ملك الزمان ان كان ولابدّ فعاهدني على انك لاتفعل بي هذا الامر غير مرة واحدة وان كان ذلك لا يجدي في اصلاح الطبيعة الفاسدة وبعد ذلك لا تسألني فيه على الابد لعلّ الله يصلح مني ما فسد فقالت عاهدتك على ذلك راجيا ان الله علينا يتوب ويمحو بفضله عنّا عظيم الذنوب فان نطاق افلاك المغفرة لا يضيق عن ان يحيط بنا ويكفّر عنا ما عظم من سيّآتنا ويخرجنا الى نور الهدى من ظلام الضلال وقد اجادوا حسن من قال

تَوَهَّمَ فِيْنَا النَّاسُ شَيْأً وَصَمَّمَتْ عَلَيْهِ نُفُوْسٌ مِنْهُمْ وَقُلُوْبُ
تَعَالَيْ نُحَقِّقْ ظَنَّهُمْ لِنُرِيْحَهُمْ مِنَ الْاِثْمِ فِيْنَا مَرَّةً وَنَتُوْبُ

ثم اعطته المواثيق والعهود وحلفت له بواجب الوجود انه لا يقع بينهما وبينه هذا الفعل الاّ مرّة في الزمان وان الجاها غرامه الى الموت والخسران فقام معها على هذا الشرط الى محل خلوتها لتطفئ نيران لوعتها وهو يقول لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ذلك تقدير العزيز العليم ثم حلّ سراويله وهو في غاية الخجل وعيونه تسيل من شدة الوجل فتبسّمت واطلعته معها على السرير وقالت له لا ترع بعد هذه الليلة من نكير ومالت عليه بالتقبيل والعناق والتفاف ساق على ساق ثم قالت له مدّ يدك بين فخذيّ الى المعهود

ASHMOLEAN OXFORD Digitized by Google

وقول الآخر

يَا فَرِيْدَ الْجَمَالِ حُبُّكَ دِيْنِيْ ... وَاخْتِيَارِيْ عَلَى جَمِيْعِ الْمَذَاهِبْ
قَدْ تَرَكْتُ النِّسَا لِاَجْلِكَ حَتَّى ... زَعَمَ النَّاسُ اَنَّنِى الْيَوْمَ رَاهِبْ

وقول الآخر

لَا تَقِسْ اَمْرَدًا بِاُنْثَى وَلَا تُصْغِ ... لِوَاشٍ يَقُوْلُ ذٰلِكَ فِسْقُ
بَيْنَ اُنْثَى يُقَبِّلُ الْوَجْهُ رِجْلًا ... وَغَزَالٍ يُقَبِّلُ الْاَرْضَ فَرْقُ

وقول الآخر

قَدْ يَتُكَ اِنَّمَا اخْتَرْ نَاكَ عَمْدًا ... لِاَنَّكَ لَا تَحِيْضُ وَلَا تَبِيْضُ
وَلَوْ مِلْنَا اِلَى وَصْلِ الْغَوَانِيْ ... لَضَاقَ بِنَسْلِنَا الْبَلَدُ الْعَرِيْضُ

وقول الآخر

تَقُوْلُ لِيْ وَهْيَ غَضْبَى مِنْ تَدَلُّلِهَا ... وَقَدْ دَعَتْنِيْ اِلَى شَيْءٍ فَمَا كَانَا
اِنْ لَمْ تَنِكْنِيَ نَيْكَ الْمَرْءِ زَوْجَتَهُ ... فَلَا تَلُمْنِيْ اِذَا اَصْبَحْتَ تَرْنَانَا
كَاَنَّ اَيْرَكَ مِنْ شَمْعٍ رَخَاوَتُهُ ... فَكُلَّمَا عَرَّكْتُهُ رَاحَتِيْ لَانَا

وقول الآخر

قَالَتْ وَقَدْ اَعْرَضْتُ عَنْ غِشْيَانِهَا ... يَا اَحْمَقًا فِيْ جَهْلِهِ يَتَنَاهَا
لَمْ تَرْضَ مِنْ قُبُلِيْ لِوَجْهِكَ قِبْلَةً ... لَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا

وقول الآخر

* جَادَتْ بِكِسٍّ نَاعِمٍ * * فَقُلْتُ اِنِّيْ لَمْ اَنِكْ *
* فَانْصَرَفَتْ قَائِلَةً * * يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ اُفِكْ *
* اَلنَّيْكُ مِنْ قُدَّامُ فِيْ * * هٰذَا الزَّمَانِ قَدْ تُرِكْ *
* وَدَوَّرَتْ لِيْ فَقْحَةً * * مِثْلَ اللُّجَيْنِ الْمُنْسَبِكْ *
* اَحْسَنْتِ يَا سَيِّدَتِيْ * * اَحْسَنْتِ لَا فُجِعْتُ بِكْ *

Digitized by Google

فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام وفهم الشعر والنظام قال ايها الملك انه لا عادة لي بهذه الفعال ولا طاقة لي على حمل هذه الاثقال التي يعجز عن حملها اكبر منّي فكيف بي على صغر سنّي فلما سمعت كلامه الملكة بدور تبسّمت وقالت ان هذا لَشيءٌ عجاب كيف يظهر الخطأ من خلال الصواب اذا كنت صغيرا فكيف تخشى من الحرام وارتكاب الآثام وانت لم تبلغ حد التكليف ولا مؤاخذة في ذنب الصغير ولا تعنيف فقد الزمت نفسك الحجة بالجدال وحقّت عليك كلمة الوصال فلا تظهر بعد ذلك امتناعا ولا نفورا وكان امر الله قدَرا مقدورا فانا احق منك بخشية الوقوع في الضلال وقد اجاد من قال

اَيْرِي كَبِيرٌ وَالصَّغِيرُ يَقُولُ لِي ... اِطْعَنْ بِهِ الْاَحْشَا وَكُنْ صِنْدِيْدَا
فَاَجَبْتُهُ ذَا لَا يَجُوزُ فَقَالَ لِي ... عِنْدِي يَجُوزُ فَنِكْتُهُ تَقْلِيدَا

فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام تبدّل الضياء في وجهه بالظلام وقال ايها الملك انه يوجد عندك من النساء والجواري الحسان ما لا يوجد له نظير في هذا الزمان فهلّا استغنيت بذلك عنّي فمِل الى ماشئت منهن ودعني فقالت ان كلامك صحيح ولكن لا يشتفي بهن من عشقك الم ولا تبريح واذا فسدت الامزجة والطبيعة فهي لغير النصح سميعة مطيعة فاترك الجدال واسمع قول من قال

اَمَا تَرَى السُّوقَ قَدْ صُفَّتْ نَوَاكِهُهُ ... لِلتِّينِ قَوْمٌ وَلِلْجُمَّيْزِ اَقْوَامُ

وقول الآخر

وَصَامِتَةِ الْخَلْخَالِ رَنَّ وُشَاحُهَا ... فَهَذَا قَدِ اسْتَغْنَى وَذَا يَشْتَكِي الْفَقْرَا
تُرِيدُ سُلُوِّي عَنْكِ جَهْلًا بِحُسْنِهَا ... وَمَا كُنْتُ اَرْضَى بَعْدَ اِيمَانِيَ الْكُفْرَا
وَحَقِّ عِذَارَيْ زِدْتِ دَرْيِي بِعَقَارِصِهَا ... لَمَا خَدَعَتْنِي عَنْكِ غَانِيَةٌ عَذْرَا

Digitized by Google

قمر الزمان يتعجّب من تعظيم الملكة بدور له و يقول في نفسه والله ان هذه المحبة لا بدّ لها من سبب وربما يكون هذا الملك انما يكرمني هذا الاكرام الزائد لاجل غرض فاسد فلا بد ان استأذنه و اسافر من بلاده ثم انه توجّه الى الملكة بدور وقال لها ايها الملك انك اكرمتني اكراما زائدا ومن تمام الاكرام ان تأذن لي في السفر وتأخذ منّي جميع ما انعمت به عليّ فتبسمت الملكة بدور وقالت له ما حملك على طلب الاسفار واقتحام الاخطار وانت في غاية الاكرام وتزايد الانعام فقال لها قمر الزمان ايها الملك ان هذا الاكرام اذا لم يكن له سبب فانه من اعجب العجب خصوصا وقد اوليتني من المراتب ما حقّه ان يكون للاختيار مع انني من الاطفال الصغار فقالت له الملكة بدور سبب ذلك اني احبّك لفرط جمالك الفائق وبديع حسنك الرائق وان مكّنتني مما اريده منك ازدك اكراما و عطاء وانعاما واجعلك وزيرا على صغر سنّك كما جعلني الناس سلطانا عليهم وانا في هذا السنّ ولا عجب اليوم في رأسة الاطفال ولله درمن قال

كَأَنَّ زَمَانَنَا مِنْ قَوْمِ لُوطٍ ... لَهُ شَغَفٌ بِتَقْدِيمِ الصِّغَارِ

فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام خجل واحمرّت خدوده حتى صارت كالضرام وقال لا حاجة لي بهذا الاكرام المؤدّي الى ارتكاب الحرام بل اعيش فقيرا من المال غنيّا بالمروة والكمال فقالت له الملكة بدور انا لا اغترّ بورعك الناشي عن التيه والدلال ولله درمن قال

ذَاكَرْتُهُ عَهْدَ الْوِصَالِ فَقَالَ لِي ... كَمْ ذَا تُطِيلُ مِنَ الْكَلَامِ الْمُؤْلِمِ
فَأَرَيْتُهُ الدِّينَارَ انْشَدَ قَائِلًا ... أَيْنَ الْمَفَرُّ مِنَ الْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ

Digitized by Google

كَيَوْمِ الْقِيَمَةِ فِيْ طُوْلِهِ عَلَىٰ مَنْ يُرَاقِبُ فِيْهِ الصَّبَاحَا

ثم انّ الرئيس دقّ الباب على قمرالزمان ففتح الباب وخرج اليه فحمله البحرية ونزلوا به الى المركب وحلّوا القلوع وساروا ولم يزالوا سائرين ايا ما وليالي وقمرالزمان لايعلم ما سبب ذلك فسألهم عن السبب فقالوا له انت عريم الملك صاحب جزائر الآبنوس صهر الملك ارمانوس وقد سرقت ما له يا منحوس فقال والله عمري ما دخلت هذه البلاد ولا اعرفها فساروا به حتى اشرفوا على جزائر الآبنوس وطلعوا به على الست بدور فلما رأته عرفته وقالت دعوه عند الخدام ليدخلوا به الحمّام وافرجت عن التجّار وخلعت على الرئيس خلعة تساوي عشرة آلاف دينار ودخلت تلك الليلة فى القصر واعلمت حيوة النفوس بذلك وقالت لها اكتمي الخبر حتى ابلغ مرادي واعمل عملا يؤرخ ويقرأ بعدنا على الملوك والرعايا وحين امرت ان يدخلوا بقمرالزمان الحمّام فدخلوا به الحمام والبسوه لبس الملوك ولما طلع قمرالزمان من الحمام صار كانه غصن بان اوكوكب يخجل بطلعته القمران وردّت روحه اليه ثم توجه اليها ودخل القصر فلما نظرته صبرت قلبها حتى يتمّ مرادها وانعمت عليه بمما ليك وخدم وجمال وبغال واعطته خزانة مال ولم تزل ترقّي قمرالزمان من درجة الى درجة حتى جعلته خازندار وسلّمت اليه الاموال واقبلت عليه وقرّبته منها واعلمت الامراء بمنزلته فاحبّوه جميعهم وصارت الملكة بدور كل يوم تزيد له فى المرتبات وقمرالزمان لا يعرف ما سبب تعظيمها له ومن كثرة الاموال صار يهب ويتكرّم ويخدم الملك ارمانوس حتى احبّه وكذلك احبّته الامراء والخواص والعوام وصاروا يحلفون بحيوته كل ذلك

Digitized by Google

فوجدتهـــا كلها ذهبا والزيتون كله لم يملأ مطرا واحدا وفتّشت في الذهب فوجدت الفصّ فيه فاخذته وتأملته واذا هو الفصّ الذي كان مربوطا على دكة لباسها واخذه تمر الزمان فلما تحققته صاحت من فرحتها وخرّت مغشيا عليها وادرك شهرزاد الصبـــاح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة السادسة عشر بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملكة بدور لما رأت الفصّ صاحت من فرحتها وخرّت مغشيا عليها فلما افاقت قالت في نفسها ان هذا الفصّ كان سبب فراقي من محبوبي تمر الزمان ولكن هذا بشير الخير ثم اعلمت الست حيوة النفوس بان وجوده بشارة الاجتماع فلما اصبح الصباح جلست على كرسي المملكة واحضرت رئيس المركب فلما حضر قبّل الارض بين يديها فقالت اين تركت صاحب هذا الزيتون قال ياملك الزمان تركناه في بلاد المجوس وهو خولي بستان فقالت له ان لم تأت به فـــلا تعلم ما يجري عليك وعلى مركبك من الضـــرر ثم امرت بالختم على مخازن التجّار وقالت لهم ان صاحب هذا الزيتون غريمي ولي عليه دين وان لم تاتوا به لاقتلنّكم جميعا وانهب تجارتكم فاقبلوا على الرئيس ووعدوه باجرة مركبه ويرجع ثاني مرة وقالوا له خلّصنا من هذا الظالم الغاشم فنزل الرئيس في المركب وحلّ قلوعها وكتب الله له السلامة حتى دخل الجزيرة في الليل وطلع الى البستان وكان تمر الزمان قد طال عليه الليل وتذكر محبوبـــته وجلس يبكي على ماجرى له وافتكر محبوبته وانشد يقـــــــــــــــــول

وَلَيْـــلٍ كَوَاكِبُـــهُ لَا تَسِيْـــرُ ... وَلَاهُوَ مِمَّـــنْ يُطِيْقُ بَرَاحَا

Digitized by Google

وينشد الا شعار هذا ماكان من امر قمر الزمان واما ما كان من امر المركب فانّها طاب لهـا الريح ووصلت الى جزيرة الآبنوس وكان بالامر المقدّر ان الملكة بدور كانت جالسة فى الشبـاك المطلّ على البحر فنظرت الى المركب وقد ارست فى الساحل فخفق فؤادها وركبت هي والامراء والحجّاب والنّواب وجاءت الى السـاحل ووقفت على المركب وقد دار الشيل والنقل في البضائع الى المخازن فاحضرت الرئيس وسألته عما معه فقال ايهـا الملك معي في هذه المركب من العقاقير والاكحال والسفوفات والادهان والمراهم والاموال والبضائع النفيسة والاقمشة الفاخرة والانطاع اليمانية ما يعجز عن حمله الجمال والبغال ومن اصناف العطر والبهار ومن العود القاقلي والتمر الهندي والزيتون العصافيري ما يندر وجوده في هذه البلاد فلما سمعت الملكة بدور بذكر الزيتون العصافيري اشتهى قلبهـا ذلك وقالت لصاحب المركب كم معك من الزيتون قال معي خمسون مطرا ملآنة ولكن صاحبها ما حضر معنا والملك يأخذ ما اشتهـاه منهـا فقالت اطلعوها فى البرّ لانظر اليهـا فصاح الرئيس على البحرية فطلعوا بالخمسين مطرا ففتحت واحدا ونظرت الزيتون وقالت انا آخذ هذه الخمسين مطرا واعطيكم حقها مهما كان فقال الرئيس هذا ماله في بـلادنا قيمة والذي عبّاها تأخّر عنا وهو رجل فقير فقالت وما مقدار ثمنها هنـا فقال الف درهم قالت انا آخذها بالف درهم وامرت بنقلهـا الى القصر فلما جاء الليل امرت باحضار مطر واحد فكشفته وما فى البيت غيرها وحياة النفوس ثم حطّت بين يديهـا طبقا وقلبت المطر فيه فنزل فى الطبق كوم ذهب احمر فقالت للسيدة حياة النفوس ما هذا الّا ذهبـا ثم انها احضرت الجميع واختبرتهـا

Digitized by Google

ضعيفا واستمرّ على ضعفه يومين وفي ثالث يوم اشتدّ به الضعف حتى يئسوا من حيوته فحزن عليه قمر الزمان حزنا كثيرا فبينما هو كذلك واذا بالرئيس والبحرية معه قد اقبلوا وسألوا عن الخولي فاخبرهم انه ضعيف فقالوا اين الشاب الذي يريد السفر معنا الى جزيرة الابنوس فقال لهم قمر الزمان هو المملوك الذي بين ايديكم ثم امرهم بتحويل الاسطار الى المركب فنقلوها الى المركب وقالوا لقمر الزمان اسرع فان الريح قد طاب فقال لهم سمعا وطاعة ثم نقل زوادته الى المركب ورجع الى الخولي يودّعه فوجده في النزع فجلس عند رأسه وغمّضه ففارقت روحه جسده فجهّزه ووارا ه في التراب الى رحمة الله تعالى ثم توجّه وجاء الى المركب فوجدها ارخت القلوع وسارت ولم تزل تشقّ البحر حتى غابت عن عينه فصار قمر الزمان مدهوشا حيرانا لايردّ جوابا ولا يبدي خطابا ثم رجع الى البستان فجلس مهموما مغموما يحثو التراب على رأسه ويلطم على وجهه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة عشر بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيدان قمر الزمان لما سافرت المركب رجع الى ذلك البستان وجلس مهموما مغموما واستاجره من صاحبه واقام تحت يده رجلا يعاونه على سقي الشجر وتوجه الى الطابق ونزل الى القاعة وعبى الذهب الباقي في خمسين مطرا ورمى فوقه الزيتون وسأل عن المركب فقالوا له انها لاتسافر الا في كل سنة مرة واحدة فزاد به الوسواس وتحسّر على ماجرى له لاسيما فقد الغص الذي هو للست بدور فصار يبكي بالليل والنهار

Digitized by Google

وجمع شملك بمن تحبّ فقال قمر الزمان لا بد من القسمة بيني وبينك ثم اخذ الخولي ودخل به الى ذلك المكان واراه الذهب وكان في عشرين خابية فاخذ عشرة والخولي عشرة فقال له الخولي يا ولدي عبّ لك امطارا من الزيتون العصافيري الذي في هذا البستان فانه معدوم في غير بلادنا وتجلبه التجار الى جميع البلدان واخلطه مع الذهب ولبّسهم واجعل الذهب في الامطار والزيت فوق الذهب ثم سدّها وخذها معك في المركب فقام قمر الزمان من وقته وساعته وعبّى خمسين مطرا ووضع الذهب فيها وسدّ عليه ولبّس عليهم بعد ان جعل الزيتون فوق الذهب وحطّ الفص معه في مطر وجلس هو والخولي يتحدّثان وايقن بجمع شمله وقربه من اهله وقال في نفسه اذا وصلت الى جزيرة الابنوس اسافر منها الى بلاد ابي واسأل عن محبوبتي بدور فياترى هل رجعت الى بلادها او سافرت الى بلاد ابي اوحدث لها حادث في الطريق ثم انشد يقول

أَقَامُوا الْوَجْدَ فِي قَلْبِي وَسَارُوا ... وَقَدْ شَطَّتْ بِمَنْ أَهْوَى الدِّيَارُ
نَأَتْ عَنِّي الرُّبُوعُ وَسَاكِنِيهَا ... وَقَدْ بَعُدَ الْمَزَارُ فَلَا مَزَارُ
وَبَانَ تَجَلُّدِي مِنْ حَيْثُ بَانُوا ... وَفَارَقَنِي هُجُوعٌ وَاصْطِبَارُ
وَمُذْ سَارُوا سَرَى عَنِّي سُرُورِي ... وَقَدْ عُدِمَ الْقَرَارُ فَلَا قَرَارُ
وَأَجْرَوْا بِالْفِرَاقِ دُمُوعَ عَيْنِي ... فَقَدْ مَعَهَا بِبَيْنِهِمُ غِزَارُ
إِذَا مَا اشْتَقْتُ يَوْمًا أَنْ أَرَاهُمْ ... وَزَادَ بِهِمْ حَنِينِي وَانْتِظَارُ
أُمَثِّلُ شَخْصَهُمْ فِي وَسْطِ قَلْبِي ... غَرَامٌ وَاشْتِيَاقٌ وَادِّكَارُ

ثم جلس قمر الزمان ينتظر انقضاء الايام وحكى للخولي حكاية الطيور وما وقع بينهما فتعجّب الخولي من ذلك ثم نام الى الصباح فاصبح الخولي

Digitized by Google

التراب عن موضعها فوجد طابقا ففتحه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة عشر بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان لما فتح ذلك الطابق وجد بابا وسُلّما فنزل فيه فوجد قاعة قديمة من عهد عاد وثمود وهذه القاعة منقورة من الحجر ولها دوائر سماويات ووجدها مملوءة من الذهب الاحمر الوهاج فقال في نفسه لقد ذهب التعب وجاء الفرج والسرور ثم ان قمر الزمان طلع من المكان الى ظاهر البستان وردّ الطابق كما كان ورجع الى البستان وحوّل الماء على الاشجار الى آخر النهار فجاء الخولي وقال له يا ولدي ابشر برجوعك الى الاوطان فان التجار تجهّزوا للسفر والمركب بعد ثلاثة ايام مسافرة الى مدينة الآبنوس وهي اول مدينة من مدائن المسلمين فاذا وصلت اليها تسافر في البرّ ستة اشهر حتى تصل الى جزائر خالدان التي فيها الملك شهرمان ففرح بذلك وانشد يقول

لَا تَهْجُرُوا مَنْ لَا تَعَوَّدَ هَجْرَكُمْ ... وَتُعَذِّبُوا بِصُدُودِكُمْ مَنْ لَا جَنَا
غَيْرِي إِذَا طَالَ الْبِعَادُ سَلَاكُمُ ... وَتَغَيَّرَتْ أَحْوَالُهُ إِلَّا أَنَا

ثم ان قمر الزمان قبّل يد الخولي وقال له يا والدي كما انك بشرتني فانا الآخر ابشّرك ببشارة عظيمة ثم انه اخبره بخبر القاعة التي رآها ففرح الخولي وقال له يا ولدي اني في هذا البستان من ثمانين عاما ما وقعت على شيء وانت لك عندي دون السنة وقد رأيت هذا الامر فهو رزقك وسبب زوال عكسك ومعين لك على وصولك الى اهلك

فبينما هو كذلك و اذا بطائرين كبيرين قد انقضّا عليه و وقف احدهما عند رأسه و الآخر عند ذنبه و ارخيا اجنحتهما و منا قيرهما عليه و مدّا اعناقهما اليه وبكيا فبكى قمر الزمان على فراق زوجته و تذكّر والده حين رأى الطائرين يبكيان على صاحبهما و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة عشر بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيدان قمر الزمان بكى على فراق زوجته و والده حين رأى الطائرين يبكيان على صاحبهما ثم ان قمر الزمان نظر الى الطائرين فرآهما قد حفرا حفرة و دفنا الطائر المقتول فيها و طارا الى الجوّ و غابا ساعة ثم عادا و معهما الطائر القاتل فنزلا به على قبر المقتول وبركا على القاتل حتى قتلاه و شقّاجوفه و اخرجا امعاءه واراقا دمه على قبر الطائر المقتول ثم نثرا لحمه و مزّقا جلده و اخرجا ما في جوفه وفرقاه الى اماكن متفرّقة هذا كلّه جرى و قمر الزمان ينظر و يتعجّب فلاحت منه التفاتة الى الموضع الذي قتلا فيه الطائر فوجد شيأ يلمع فدنى منه فوجده حوصلة الطائر فاخذها و فتحها فوجد فيها الفص الذي كان سبب فراقه من زوجته فلما رآه وعرفه وقع على الارض مغشيا عليه من فرحته فلما افاق قال الحمد لله هذه علامة الخير و بشارة الاجتماع بمحبوبتي ثم تأمّله و مرّبه على عينه و ربطه على ذراعه و استبشر بالخير و قام يتمشّى ينتظر الخولي الى الليل فلم يأت فبات قمر الزمان في موضعه الى الصباح ثم قام الى شغله و شدّ وسطه بحبل من الليف واخذ الفاس والقفّة وشقّ فى البستان فاتى الى شجرة خروب وضرب الفاس في جذرها فطنّت الضربة فكشف

Digitized by Google

المنام و صاله وتنشد وتقول

اَللّٰهُ اَعْلَمُ اِنِّي بَعْدَ فُرْقَتِكُمْ بَكَيْتُ حَتَّى اِسْتَلَفْتُ الدَّمْعَ بِالدَّيْنِ
وَقَالَ لِيْ عَاذِلِي اِصْبِرْ تَنَالُهُمْ فَقُلْتُ يَا عَاذِلِي اَلصَّبْرُ مِنْ اَيْنِ

هذا ما كان من امر الملكة بدور واما ما كان من امر قمر الزمان فانه اقام عند الخولي في البستان مدة من الزمان وهو يبكي بالليل والنهار و ينشد الاشعار و يتحسّر على اوقات الهنا و ليالي المنا و الخولي يقول له في آخر السنة تسير المركب الى بلاد المسلمين ولم يزل قمر الزمان على تلك الحالة الى ان رأى الناس مجتمعين على بعضهم فتعجب من ذلك فدخل عليه الخولي و قال له يا ولدي بطّل الشغل في هذا اليوم ولا تحوّل الماء الى الاشجار لان هذا اليوم عيد والناس فيه يزور بعضهم بعضا فاسترح واجعل بالك الى الغيط فاني اريد ان ابصر لك مركبا فما بقي الا القليل و ارسلك الى بلاد المسلمين ثم ان الخولي خرج من البستان وبقي قمر الزمان وحده وتفكر في حاله فانكسر خاطره وجرت دموعه ثم ان قمر الزمان بكى بكاء شديدا حتى غشي عليه فلما افاق قام يتمشى في البستان و هو متفكّر فيما فعل فيه الزمان و طول البعد و الهجران غائب العقل و لهان نعثر فوقع على وجهه فجاءت جبهته على جذر شجرة فبطحته وجرى منه الدم و اختلط بدموعه فمسح دمه و نشف دموعه و شدّ جبهته بخرقة وقام يتمشى في ذلك البستان و هو في فكره ذاهل العقل فنظر بعينه الى شجرة فوقها طائران يتخاصمان فقام احدهما الى الآخر و نقره في رقبته فخلصها من جثته و اخذ رأسه و طار به ووقع المقتول في الارض قدام قمر الزمان

Digitized by Google

وَلَقَدْ مَضَى عنّاً وَسَارَ مُوَدِّعَا لَمَّا حَبَاهُ رَبُّهُ بِجِنَـــانِهِ

فلما فرغ الملك شهرمان من انشاده رجع بجيوشه الى مدينته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــبـــاح

فلما كانت الليلة الثانية عشر بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الملك شهرمان لما فرغ من انشاده رجع بجيوشه الى مدينته وايقن بهلاك ولده وعلم انه عدى عليه وافترسه اما وحش واما قاطع طريق ثم نادى في جزائر خالدان ان يلبسوا السواد من الاحزان على ولده قمر الزمان وعمل له بيتا وسماه بيت الاحزان وصار كل يوم خميس واثنين يحكم في مملكته بين عسكره ورعيته وبقية الجمعة يدخل الى بيت الحزن وينعى على ولده ويرثيه بالاشعار فمن ذلك قـــولـــه

فَيَوْمُ الْأَمَانِي يَوْمَ قُرْبِكُمْ مِنِّي وَيَوْمُ الْمُنَا يَا يَوْمَ إِعْرَاضِكُمْ عَنِّي
إِذَا بِتُّ مَرْعُوبًا أُهَدِّدُ بِالرَّدَى فَوَصْلُكُمُ عِنْدِي أَلَذُّ مِنَ الْأَمْنِ

ومن ذلك قوله

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِظَاعِنَيْنِ رَحِيلُهُمْ أَنْكَى وَأَفْسَدُ فِي الْقُلُوبِ وَعَاثَا
فَلْيَقْضِ عِدَّتَـــهُ السُّرُورُ فَإِنَّنِـــي مَلَّقْتُ بَعْدَ هُمُ النَّعِيمَ ثَـــلَاثَا

هذا ما كان من امر الملك شهرمان واما ما كان من امر الملكة بدور بنت الملك الغيور فانها صارت ملكة في بلاد الآبنوس وصار الناس يشيرون اليها بالبنـــان ويقولون هذا صهر الملك ارمانوس وكل ليلة تنام مع الست حيوة النفوس وتشتكي وحشة زوجها قمر الزمان وهي تبكي وتصف لحيوة النفوس حسنه وجماله وتتمنى ولوفى

Digitized by Google

فلما فرغ من شعره مسح دموعه و نادى في عسكره بالرحيل والحث على السفر الطويل فركب الجيش جميعه وخرج السلطان وهو محترق القلب على ولده قمر الزمان وقلبه بالحزن ملآن وجدّوا في سيرهم وفرّق الملك جيشه يمينا وشمالا واما ماً وخلفاً ست فرق و قال لهم الاجتماع غدا عند مفرق الطريق فعند ذلك تفرقت الجيوش والعساكر وسافروا و لم يزالو مسافرين بقية النهار الى ان جن الليل فساروا جميع الليل الى نصف النهار حتى وصلوا الى مفرق اربع طرق فلم يعرفوا اي طريق سلكها ثم رأوا اثر اقمشة مقطعة و رأوا اللحم مقطعا ونظروا اثر الدم باقيا و شاهدوا كل قطعة من الثياب واللحم في ناحية فلما رأى الملك شهرمان ذلك صرخ صرخة عظيمة من صميم قلبه وقال واولداه ولطم على وجهه ونتف لحيته ومزّق اثوابه وايقن بموت ولده وزاد في البكاء والنحيب وبكت لبكائه العساكر وكلهم ايقنوا بهلاك قمر الزمان و حثّوا على رؤسهم التراب و دخل عليهم الليل وهم في بكاء ونحيب حتى اشرفوا على الهلاك و احترق قلب الملك بلهيب الزفرات وانشد هذه الابيات

لَاتَعْذُلُوا الْمَحْزُونَ فِي اَحْزَانِهِ ... فَلَقَدْ كَفَاهُ الْوَجْدُ مِنْ اَشْجَانِهِ
يَبْكِي لِفَرْطِ تَاَسُّفٍ وَتَوَجُّعٍ ... وَغَرَامُهُ يُنْبِيكَ عَنْ نِيرَانِهِ
يَا سَعْدُ مَنْ لِمُتَيَّمٍ حَلِفِ الضَّنَى ... اَنْ لَايَزُولَ الدَّمْعُ مِنْ اَجْفَانِهِ
يُبْدِي الْغَرَامَ لِفَقْدِ بَدْرٍ زَاهِرٍ ... بِضَيَائِهِ يَزْهُو عَلَى اَقْرَانِهِ
وَلَقَدْ سَقَاهُ الْمَوْتُ كَاسًا مُتْرَعًا ... يَوْمَ الرَّحِيلِ فَشَطَّ عَنْ اَوْطَانِهِ
تَرَكَ الدِّيَارَ وَسَارَعَنًا لِلْبَلَا ... لَمْ يَحْظُ بِالتَّوْدِيعِ مِنْ اِخْوَانِهِ
وَلَقَدْ رَمَانِي بِالْبِعَادِ وَبِالْجَفَا ... وَالصَّدِّ وَالتَّبْرِيحِ مِنْ هِجْرَانِهِ

Digitized by Google

اَلسِّرُّ عِنْدِي فِي بَيْتٍ لَهُ غَلَقُ قَدْ ضَاعَ مِفْتَاحُهُ وَالْبَيْتُ مَكْتُومُ
مَا يَكْتُمُ السِّرَّ اِلَّا كُلُّ ذِي ثِقَةٍ وَالسِّرُّ عِنْدَ خِيَارِ النَّاسِ مَكْتُومُ

فلما فرغت من شعرها قلت لها يا اختي ان صدور الاحرار قبور الاسرار وانا لا افشي لك سرا ثم لعبتا وتعانقتا وتباوستا ونامتا الي قريب الاذان ثم قامت حياة النفوس واخذت فرخ حمام وذبحته على قميصها و تلطّخت بدمه وقلعت سروالها و صرخت فدخل لها اهلها و زغرتت الجواري و دخلت عليها امها وسألتها عن حالها ودارت حواليها و اقامت عندها الى المساء و اما الملكة بدور فانها لما اصبحت قامت وذهبت الى الحمام واغتسلت و صلت الصبح ثم توجهت الى دار الحكومة وجلست على كرسي المملكة وحكمت بين الناس فلما سمع الملك ارمانوس الزغاريت سأل عن الخبر فاخبروه بافتضاض بنته ففرح بذلك واتسع صدره وانشرح واولم وليمة عظيمة ولم يزالوا على تلك الحالة مدة من الزمان هذا ماكان من امرهما واما ماكان من امر الملك شهرمان فانه بعد خروج ولده للصيد والقنص هو ومرزوان كما تقدم صبر حتى اقبل الليل عليه بعد خروجهما فلم يجئ ولده فلم ينم تلك الليلة وطال عليه الليل وقلق غاية القلق و زاد وجده و ماصدق ان الفجر يطلع فلما اصبح انتظر ولده الى نصف النهار فلم يجئ فحسّ قلبه بالفراق والتهب على ولده بالاشفاق وقال واولداه ثم بكى حتى بلّ ثيابه بالدموع وانشد من قلب مصدوع

مَازِلْتُ مُعْتَرِضًا عَلَى اَهْلِ الْهَوَى حَتَّى بُلِيتُ بِحُلْوَةٍ وَبِمُرَّةٍ
وَشَرِبْتُ كَاسَ صُدُودِهِ مُتَجَرِّعًا وَذَلَلْتُ فِيهِ لِعَبْدِهِ وَلِحُرَّةٍ
نَذَرَ الزَّمَانُ بِاَنْ يُفَرِّقَ شَمْلَنَا وَالْآنَ قَدْ اَوْفَى الزَّمَانُ بِنَذْرِهِ

Digitized by Google

مثلك فهل كل من كان مليحا يعجب بنفسه هكذا ولكن انا ما قلت هذا الكلام لاجل ان ترغب فيّ وانما قلته خيفة عليك من الملك ارمانوس فانه اضمر ان لم تدخل عليّ في هذه الليلة وتزيل بكارتي فانه يصبح ينزعك من المملكة ويسفرك من بلاده وربما يزداد به الغيظ فيقتلك وانا يا سيدي رحمتك ونصحتك والرأي رأيك فلما سمعت الملكة بدور منها ذلك الكلام اطرقت براسها الى الارض وحارت في امرها ثم قالت في نفسها ان خالفته هلكت وان اطعته افتضحت ولكن انا في هذه الساعة ملكة على جزائر الابنوس كلها وهي تحت حكمي وما اجتمع انا وقمر الزمان الا في هذا الموضع لانه ليس له طريق الى بلاده الا من جزائر الابنوس واني حرت في امري وفوضت امري الى الله فهو نعم المدبّر وما انا ذكر حتى اقوم افتح هذه المنت البكر ثم ان الملكة بدور قالت لحياة النفوس يا حبيبتي ان تركك وامتناعي عنك كله بالرغم عني وحكمت لها على ما جرى لها من الابتداء الى الانتهاء وارت لها نفسها وقالت لها سألتك بالله الا ماسترت عليّ واخفيت امري حتى يجمعني الله بمحبوبي قمر الزمان وبعد ذلك يكون ما يكون وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية عشر بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان السيدة بدور لما اعلمت حياة النفوس بقصتها وامرتها بالكتمان فسمعت حياة النفوس كلامها وتعجبت من قصتها غاية العجب ورقت لها ودعت لها بجمع شملها على محبوبها قمر الزمان وقالت لها يا اختي لا تخافي ولا تفزعي واصبري الى ان يقضي الله امرا كان مفعولا ثم ان حياة النفوس انشدت تقول

Digitized by Google

الرأي وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــاح

فلما كانت الليلة العاشرة بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك ارمانوس لما اتفق مع ابنته على هذا الكلام واضمر على هذا الرأي واقبل الليل قامت الملكة بدور من دست المملكة الى القصر ودخلت المكان الذي هو معدّ لها فرأت الشمع موقودا و السيدة حياة النفوس جالسة فتذكرت زوجها وما جرى لهما من الفرقة بينهما في تلك المدة اليسيرة فبكت وتنهّدت ووالت الزفرات و انشدت تقول هذه الا بيـــــــات

قَسَمًا لَقَدْ مَلَأَتْ اَحَادِيثِي الْفَضَا ... كَالشَّمْسِ مُشْرِقَةً عَلَى ذَاتِ الْغَضَا
نَطَقَتْ اِشَارَتُهُ فَاَشْكَلَ فَهْمُهَا ... فَلِذَاكَ شَوْقِي فِي الْمَزِيدِ وَمَا انْقَضَى
اَبْغَضْتُ حُسْنَ الصَّبْرِ مُذْ اَحْبَبْتُهُ ... اَرَأَيْتَ صَبًّا فِي الصَّبَابَةِ مُبْغِضَا
وَمُمَرِّضِ اللَّحَظَاتِ صَالَ بِفَتْكِهَا ... وَاللَّحْظُ اَقْتَلُ مَا يَكُونُ مُمَرِّضَا
اَلْقَى ذَوَائِبَهُ وَحَطَّ لِثَامَهُ ... فَرَأَيْتُ مِنْهُ الْحُسْنَ اَسْوَدَ اَبْيَضَا
سُقْمِي وَبُرْئِي فِي يَدَيْهِ وَاِنَّمَا ... يَشْفِي سَقَامَ الْحُبِّ مَنْ قَدْ اَمْرَضَا
هَامَ الْوُشَاحُ بِرِقَّةٍ فِي خَصْرِهِ ... وَالرِّدْفُ مِنْ حَسَدٍ اَبَى اَنْ يَنْهَضَا
وَكَاَنَّ طُرَّتَهُ وَضَوْءَ جَبِينِهِ ... لَيْلٌ دُجًى فَاعْتَاقَهُ صُبْحٌ اَضَا

فلما فرغت من انشادها ارادت ان تقوم الى الصلوة و اذا بحياة النفوس مسكتها من ذيلها وتعلقت و قالت لها ياسيدي اما تستحي من والدي و ما فعل معك من الجميل و انت تتركني الى هذا الوقت فلما سمعت منها ذلك جلست على حيلها في مكانها وقالت ياحبيبتي ما الذي تقولينه قالت الذي اقوله اني ما رأيت احدا معجبا بنفسه

Digitized by Google

قَدْ صَارَ سِرِّي بِالدُّمُوعِ عَلَانِيَهْ ... وَنُحُولُ جِسْمِي فِي الْغَرَامِ عَلَانِيَهْ
أُخْفِي الْهَوَى وَيُذِيعُهُ يَوْمَ النَّوَى ... حَالِي عَلَى الْوَاشِينَ لَيْسَتْ خَافِيَهْ
يَا رَاحِلِينَ عَنِ الْحِمَى خَلَّفْتُمُ ... جِسْمِي بِكُمْ مُضْنًى وَنَفْسِي بَالِيَهْ
وَسَكَنْتُمُ غَوْرَ الْحَشَى فَنَوَاظِرِي ... تَجْرِي مِدَامِعُهَا وَعَيْنِي دَامِيَهْ
وَأَنَا فِدَاءُ الْغَانِيَاتِ بِمُهْجَتِي ... أَبَدًا وَأَشْوَاقِي إِلَيْهِمْ بَادِيَهْ
لِي مُقْلَةٌ إِنْسَانُهَا فِي حُبِّهِمْ ... رَفَضَ الْكَرَى وَدُمُوعُهَا مُتَوَالِيَهْ
ظَنَّ الْعِدَى مِنِّي عَلَيْهِ تَجَلُّدًا ... هَيْهَاتَ مَا أُذُنِي إِلَيْهِمْ وَاعِيَهْ
خَابَتْ ظُنُونُهُمُ عَلَيَّ وَإِنَّمَا ... قَمَرُ الزَّمَانِ بِهِ أَنَالُ أَمَانِيَهْ
جَمَعَ الْفَضَائِلَ مَا حَوَاهَا قَبْلَهُ ... أَحَدٌ سِوَاهُ مِنَ الْمُلُوكِ الْخَالِيَهْ
أَنْسَى الْأَنَامَ بِجُودِهِ وَبِعَفْوِهِ ... كَرَمَ ابْنِ زَائِدَةٍ وَحِلْمَ مُعَاوِيَهْ
لَوْلَا الْإِطَالَةُ وَالْقَرِيضُ مُقَصَّرٌ ... عَنْ وَصْفِ حُسْنِكَ لَمْ أَدَعْ مِنْ قَافِيَهْ

ثم ان الملكة بدور نهضت قائمة على اقدامها و مسحت دموعها و توضأت وصلت ولم تزل تصلّي الى ان غلب النوم على الست حياة النفوس فنامت فجاءت الست بدور ورقدت بجانبها الى الصباح ثم قامت وصلت الصبح وجلست على كرسي المملكة وامرت ونهت وحكمت وعدلت هذا ماكان من امرها واما ماكان من امر الملك ارمانوس فانه دخل على ابنته و سألها عن حالها فاخبرته بجميع ماجرى لها و انشدت له الشعر الذى قالته الملكة بدور ثم قالت يا ابي مارأيت احدا اكثر عقلا وحياء من زوجي غير انه يبكي ويتنهّد فقال لها ابوها يا بنتي اصبري عليه فمابقي غير هذه الليلة الثالثة فان لم يدخل بك ويزيل بكارتك يكن لنا معه رأي وتدبير واخلعه من الملك وانفيه عن بلادنا فاتفق مع ابنته على هذا الكلام واضمر على هذا

Digitized by Google

يَا غَائِبِينَ وَقَلْبِي زَائِدُ الْقَلَقِ ... لَمْ يَبْقَ مِنْ بَيْنِكُمْ فِي الْجِسْمِ مِنْ رَمَقِ
وَكَانَ لِي مُقْلَةٌ تَشْكُو السُّهَادَ وَقَدْ ... أَذَابَهَا الدَّمْعُ يَا لَيْتَ السُّهَادَ بَقِي
لَمَّا رَحَلْتُمْ أَقَامَ الصَّبُّ بَعْدَكُمُ ... لَكِنْ سَلُوا عَنْهُ مَاذَا فِي الْبِعَادِ لَقِي
لَوْلَا جُفُونِي وَقَدْ فَاضَتْ مَدَامِعُهَا ... تَوَقَّدَتْ عَرَصَاتُ الْأَرْضِ مِنْ حُرَقِي
أَشْكُو إِلَى اللهِ أَحْبَابًا عَدِمْتُهُمُ ... لَمْ يَرْحَمُوا صَبْوَتِي فِيهِمْ وَلَا قَلَقِي
لَا ذَنْبَ لِي عِنْدَهُمْ إِلَّا الْغَرَامُ بِهِمْ ... وَالنَّاسُ بَيْنَ سَعِيدٍ فِي الْهَوَى وَشَقِي

ثم ان الست بدور لما فرغت من انشادها جلست الى جانب السيدة حياة النفوس وقبّلتها في فمها ونهضت من وقتها وساعتها توضّأت ولم تزل تصلّي حتى نامت الست حياة النفوس فدخلت الست بدور معها فى الفراش وادارت ظهرها لها الى الصباح فلما طلع النهار دخل الملك وزوجته الى ابنتهما وسألاها عن حالها فاخبرتهما بما رأت وما سمعته من الشعر هذا ما كان من امر حياة النفوس وابويها واما ما كان من امر الملكة بدور فانها خرجت وجلست على كرسي المملكة وطلعت اليها الامراء وجميع الرؤساء وارباب الدولة وهنّوها بالملك وقبّلوا الارض بين يديها ودعوا لها فتبسمت واقبلت عليهم وخلعت عليهم وزادت في اكرام الامراء وارباب الدولة واقطاعهم والجيوش فاحبّوها ودعوا لها جميع الخلق بدوام الملك وهم يعتقدون انها ذكر فامرت ونهت وحكمت واطلقت من فى الحبوس وابطلت المكوس ولم تزل قاعدة في مجلس الحكومة الى ان دخل الليل فدخلت الى المكان الذي اعدّ لها فوجدت الست حياة النفوس جالسة فجلست بجانبها وطقطقت على ظهرها ولاطفتها وقبّلتها بين عينيها وانشدت تقول هذه الابيات شعـــــــــر

Digitized by Google

يا ولدي اعلم اني صرت شيخا كبيرا هرما وعمري مارزقت ولدا غير بنت وهي تشبهك في الحسن والجمال وانا الآن عجزت عن تدبير المملكة فهي لك يا ولدي فان كانت ارضي هذه تعجبك وتقيم بها وتسكن بلادي فانا ازوّجك بها واعطيك مملكتي واستريح انا فاطرقت الست بدور برأسها وعرق جبينها من الحياء وقالت في نفسها كيف يكون العمل وانا امرأة وان لم ارض وسرت من عنده لم أأمن فربما يرسل خلفي جيشا يقتلني وان اطعته ربما افتضح وايضا فقدت محبوبي قمر الزمان ولم اعرف له خبرا ومالي خلاص الآن اسكت وارضى واقيم عنده حتى يقضي الله امرا كان مفعولا ثم ان الست بدور رفعت رأسها واذعنت للملك ارمانوس بالسمع والطاعة ففرح الملك بذلك وامر المنادي ان ينادي في جزائر الأبنوس بالفرح والزينة وجمع الحجّاب والنوّاب والامراء والوزراء وارباب دولته وقضاة مدينته وعزل نفسه من الملك وسلطن الست بدور والبسها بدلة الملك ودخلت الامراء جميعا على الست بدور وهم لا يشكّون في انها شاب ذكر وصار كل من نظر اليها منهم جميعا يبلّ سراويله لفرط حسنها وجمالها فلما تسلطنت الملك بدور ودقت لها البشائر بالسّرور وجلست على كرسيها شرع الملك ارمانوس في تجهيز ابنته حيوة النفوس وبعد ايام قلائل ادخلوا الست بدور على حيوة النفوس فكانتا كانهما قمران في وقت طلعا او شمسان قد اجتمعا فردّوا عليهما الابواب وارخوا الستائر بعد ان اوقدوا لهما الشموع وفرشوالهما الفرش فعند ذلك جلست السيدة بدور مع السيدة حيوة النفوس فتذكرت محبوبها قمر الزمان واشتدت بها الاحزان فبكت على فراقه وغيابه وانشدت تقول

Digitized by Google

بشدّ الاحمال فشدّت وامرت بالرحيل فسافروا واخفت امرها فلم يشك احد انها قمر الزمان لانها كانت تشبهه في قوامه ووجهه ومازالت مسافرة هي واتباعها ايام وليالي حتى اشرفت على مدينة مطلة على البحر المالح فنزلت بظاهرها وضربت خيامها في ذلك المكان لاجل الاستراحة ثم سألت عن هذه المدينة فقيل لها هذه مدينة الآبنوس وملكها الملك ارمانوس وله بنت اسمها حيوة النفوس وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الست بدور لما نزلت على ظاهر مدينة الآنبوس لاجل الاستراحة ارسل الملك ارمانوس رسولا من عنده يكشف له خبر هذا الملك النازل على ظاهر مدينته فلما وصل اليهم الرسول سألهم فاخبروه انه ابن ملك تايه عن الطريق وهو قاصد جزائر خالدان للملك شهرمان فعاد الرسول الى الملك ارمانوس واخبره بالخبر فلما سمع الملك ارمانوس هذا الكلام نزل في خواص دولته الى مقابلته فلما قدم على الخيّام ترجلت الست بدور وترجّل الملك ارمانوس وسلما على بعضهما واخذها ودخل بها الى مدينته وطلع بها الى قصره وامر بمد السماطات وموائد الاطعمة والمآكل وامر بنقل جيش الست بدور الى دار الضيافة فمكثوا هناك ثلثة ايام وبعد ذلك اقبل الملك على الست بدور وكانت دخلت في ذلك اليوم الحمام واسفرت عن وجه كانه البدر عند التمام فافتتن بها العالم وتهتكت بها الناس عند رؤيتها فعند ذلك اقبل الملك ارمانوس عليها وهي لابسة حلة من الحرير مطرزة بالذهب المرصع بالجواهر وقال لها

Digitized by Google

لَنَا عِنْدَكُمْ وَعْدٌ فَهَلَّا وَفَيْتُمُ ... وَقُلْتُمْ لَنَا قَوْلًا فَهَلَّا فَعَلْتُمُ
سَهَرْنَا عَلَى حُكْمِ الْغَرَامِ وَنِمْتُمُ ... وَلَيْسَ سَوَاءٌ سَاهِرُونَ وَنُوَّمُ
وَكُنَّا عَهِدْنَا أَنَّنَا نَكْتُمُ الْهَوَى ... فَأَغْرَاكُمُ الْوَاشِي وَقَالَ وَقُلْتُمُ
فَيَا أَيُّهَا الْأَحْبَابُ فِي السُّخْطِ وَالرِّضَى ... عَلَى كُلِّ حَالٍ أَنْتُمُ الْقَصْدُ أَنْتُمُ
وَلِي عِنْدَ بَعْضِ النَّاسِ قَلْبٌ مُعَذَّبٌ ... فَيَا لَيْتَهُ يَرْثِي لِحَالِي وَيَرْحَمُ
وَمَا كُلُّ عَيْنٍ مِثْلُ عَيْنِي قَرِيحَةٌ ... وَلَا كُلُّ قَلْبٍ مِثْلُ قَلْبِي مُتَيَّمُ
ظَلَمْتُمْ وَقُلْتُمْ إِنَّمَا الْحُبُّ ظَالِمٌ ... صَدَقْتُمْ كَذَا كَانَ الْحَدِيثُ صَدَقْتُمُ
سَلُوا مُغْرَمًا لَا يَنْقُضُ الدَّهْرُ عَهْدَهُ ... وَلَوْ كَانَ فِي أَحْشَائِهِ النَّارُ تُضْرَمُ
إِذَا كَانَ خَصْمِي فِي الصَّبَابَةِ حَاكِمِي ... لِمَنْ أَشْتَكِي حَالِي لِمَنْ أَتَظَلَّمُ
وَلَوْلَا افْتِقَارِي فِي الْهَوَى وَصَبَابَتِي ... لَمَا كَانَ لِي فِي الْعِشْقِ قَلْبٌ مُتَيَّمُ

هذا ما كان وما جرى لقمر الزمان ابن الملك شهرمان و اما ما كان من امر زوجته الست بدور بنت الملك الغيور فانها لما انتبهت من نومها طلبت زوجها قمر الزمان فلم تجده ورأت سروالها محلولا فانتقدت العقدة التي عليها الفص فوجدتها محلولة و الفص معدوما فقالت في نفسها يا لله العجب اين زوجي كأنه اخذ الفص وراح وهو لا يعلم السر الذي هو فيه فيا ترى اين ذهب ولكن لابد له من امر عجيب اقتضى رواحه والا ما كان يقدر ان يفارقني ساعة فلعن الله الفص ولعن ساعته ثم ان الست بدور تفكرت و قالت في نفسها ان خرجت الى الحاشية واعلمتهم بفقد زوجي يطمعوا فيّ ولكن لابدّ من الحيلة فقامت ولبست ثيابا من ثياب زوجها قمر الزمان و لبست عمامة كعمامته ولبست الخف وضربت لها لثاما وحطت في صحفتها جارية و خرجت من خيمتها و نادت على الغلمان فقد موالها الجواد فركبت وامرت

Digitized by Google

حتى خرج من باب البحر فلم يقابله احد من اهلها وكانت مدينة على شاطئ البحر ثم انه بعد ان خرج من باب البحر مشى ولم يزل ماشيا حتى وصل الى بساتين المدينة واشجارها فدخل بين الاشجار ومشى فاتى الى بستان فوقف على بابه فخرج اليه الخولي فسلّم عليه فرد عليه السلام فرحّب به الخولي وقال له الحمد لله الذي اتيت سالما من اهل هذه المدينة فادخُل الى هذا البستان سريعا قبل ان يراك احد من اهلها فعند ذلك دخل قمر الزمان الى ذلك البستان وهو ذاهل العقل وقال للخولي ما حكاية اهل هذه المدينة وما خبرهم فقال له اعلم ان اهل هذه المدينة كلهم مجوس فبالله عليك اخبرني كيف اتيت الى هذا المكان وما سبب مجيئك الى بلادنا فاخبر قمر الزمان الخولي بجميع ما جرى له من اوله الى آخره فتعجب الخولي غاية العجب وقال له اعلم يا ولدي ان بلاد الاسلام بعيدة من هنا وبيننا اربعة اشهر في البحر واما في البر فسنة كاملة وان عندنا مركبا تقلع وتسافر كل سنة ببضائع الى اول بلاد الاسلام وتسير من هنا الى بحر جزائر الابنوس ومنها الى جزائر خالدان التي ملكها الملك شهرمان فعند ذلك تفكر قمر الزمان في نفسه ساعة وعلم انه لا اوفق له من قعوده في البستان عند الخولي ويعمل عنده مرابعا فقال للخولي هل تقبلني عندك لاجل المرابع في هذا البستان فقال له سمعا وطاعة فعلّمه الخولي تحويل الماء على بيوت الاشجار فصار قمر الزمان يحوّل الماء ويقطع الحشيش بالفاس والبسه الخولي بشتا قصيرا ازرق الى ركبتيه وصار عنده يسقي الاشجار ويبكي بدموع غزار ولا يقر له قرار بالليل ولا بالنهار من اجل غربته وفي محبوبته ينشد الاشعار فمن جملة ذلك هذه الابيات

Digitized by Google

المدينة وغاب عن قمر الزمان ولم يعرف خبره ولا يعلم اين ذهب فتعجب قمر الزمان وقال الحمد لله الذي سلمني حتى وصلت الى هذه المدينة ثم جلس على نهر وغسل يديه ورجليه ووجهه واستراح ساعة فتذكر ما كان فيه من الراحة والهنا واجتماع الشمل ونظر الى ما هو فيه من التعب والهم والغربة والجوع والفرقة ففاضت دموعه وانشد يقول

أَخْفَيْتُ مَا الْقَاهُ مِنْكَ وَقَدْ ظَهَرْ ... وَالنَّوْمُ مِنْ عَيْنِي تَبَدَّلَ بِالسَّهَرْ
نَادَيْتُ لَمَّا أَوْهَنَتْ قَلْبِي الْفِكَرْ ... يَا دَهْرُ لَا تُبْقِي عَلَيَّ وَلَا تَذَرْ
هَا مُهْجَتِي بَيْنَ الْمَشَقَّةِ وَالْخَطَرْ
لَوْ كَانَ سُلْطَانُ الْمَحَبَّةِ مُنْصِفِي ... مَا كَانَ نَوْمِي مِنْ عُيُونِي قَدْ نُفِي
يَا سَادَتِي رِفْقًا لِصَبٍّ مُدْنَفٍ ... وَتَعَطَّفُوا لِعَزِيزِ قَوْمٍ ذَلَّ فِي
شَرْعِ الْهَوَى وَغِنِيِّ قَوْمٍ افْتَقَرْ
لَجَّ الْعَوَاذِلُ فِيكَ مَا طَاعَتْهُمْ ... وَسَدَدْتُ كُلَّ مَسَامِعِي وَصَمَمْتُهُمْ
قَالُوا عَشِقْتَ مُهَفْهَفًا فَاجَبْتُهُمْ ... اخْتَرْتُهُ مِنْ بَيْنِهِمْ وَتَرَكْتُهُمْ
كُفُّوا إِذَا وَقَعَ الْقَضَا عَمِيَ الْبَصَرْ

ثم ان قمر الزمان لما فرغ من شعره واستراح قام يمشي قليلا قليلا حتى دخل المدينة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان لما فرغ من شعره واستراح دخل باب المدينة وهو لا يعلم اين يتوجه فشق المدينة من اولها الى آخرها وكان قد دخل من باب البر ولم يزل يمشي

Digitized by Google

فلما كانت الليلة السابعة بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد انه لما اخذ الفص ليبصرة فى النور صار يتأمل فيه وهو في يده واذا بطائر انقض على قمرالزمان و خطف الفص من يده وطاربه وحط به على الارض فخاف قمرالزمان على الفص وجرى خلف الطائر فصار الطائر يجري على قدر جري قمرالزمان فلم يزل قمرالزمان يتبعه من محل الى محل ومن تل الى تل الى ان دخل الليل واظلم الجو فنام الطائر على شجرة عالية فوقف قمرالزمان تحتها وصار متحيرا وقد ساخت روحه من الجوع والتعب وحسّ انه هالك وارادان يرجع فما عرف الموضع الذي جاء منه وهجم عليه الظلام فقال لاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم ثم نام تحت الشجرة التي فوقها الطائر الى الصباح و انتبه قمرالزمان من نومه فرأى الطائر قد انتبه و طار من فوق الشجرة فمشى قمرالزمان خلفه وصار ذلك الطائر يطير قليلا بقدر مشي قمرالزمان فتبسم قمرالزمان وقال يالله العجب ان هذا الطائر كان بالامس يطير بقدر جريتي و في هذا اليوم علم اني اصبحت تعبانا لا اقدر اجري فصار يطير على قدر مشيتي والله ان هذا عجيب ولكن لابد ان اتبع هذا الطائر فاما ان يكون هذا الطائر يقودني لحيوتي او لمماتي فانا اتبعه اينما يتوجه لانه على كل حال لايقيم الا فى البلاد العمار ثم ان قمرالزمان جعل يمشي تحت الطائر والطائر يبيت في كل ليلة على شجرة ولم يزل تابعه مدة عشرة ايام وقمرالزمان يتقوّت من نبات الارض ويشرب من انهارها و بعد عشرة ايام اشرف على مدينة عامرة فمرق الطائر مثل لمح البصر ودخل تلك

Digitized by Google

يَاطَالِبًا لِلْفِرَاقِ مَهْلًا فَمُتْعَةُ الْعَاشِقِ الْعَنَاقُ
مَهْلًا فَطَبْعُ الزَّمَانِ غَدْرٌ وَآخِرُ الْعَشْرَةِ الْفِرَاقُ

ثم خرج من عند ابنته واتى الى زوجها قمرالزمان فصار يودّعه ويقبّله ثم فارقهما ورجع الى مملكته بعسكره بعدان امرهما بالرحيل فسار قمرالزمان وزوجته الست بدور ومن معهم من الاتباع اول يوم والثاني والثالث والرابع ولم يزالوا مسافرين مدة شهر كامل فنزلوا في مرج واسع الفلا كثير الكلاء وضربوا خيامهم فيه واكلوا وشربوا واستراحوا ونامت الست بدور فدخل عليها قمرالزمان فوجدها نائمة وفوق بدنها قميص مشمشي من الحرير يبين منه كل شيٍ وفوق رأسها كوفية من الذهب مرصعة بالدر والجواهر وقد رفع الهواء قميصها فطلع فوق سرتها وبانت نهودها وظهر لها بطن ابيض من الثلج وكل عكنة من عكن طياته تَسَعُ اوقية من دهن البان فزاد محبة وهياما وانشد يقول

لَوْ قِيلَ لِي وَزَفِيرُ الْحَرِّ يَتَّقِدُ وَالنَّارُ فِي الْقَلْبِ وَالْاَحْشَاءِ تَضْطَرِمُ
اَهُمْ تُرِيدُ وَتَهْوَى اَنْ تُشَاهِدَهُمْ اَوْ شَرْبَةً مِنْ زُلَالِ الْمَاءِ قُلْتُ هُمُ

فحطّ قمرالزمان يده في دكة لباسها فجذبها وحلّها لما اشتهاها خاطره فرأى فيها فصًّا احمر مثل العندم مربوطا على دكتها فحلّه ونظر فيه فرأى عليه اسماء منقوشة سطرين بكتابة لاتقرأ فتعجّب قمرالزمان وقال في نفسه لولا ان هذا الفص امر عظيم عندها ماربطته هذه الربطة على دكة لباسها وما خبأته في اعز مكان عندها حتى لا تفارقه فيا ترى ماذا تصنع بهذا وما السرّ الذي هو فيه ثم اخذه وخرج من الخيمة ليبصره في النور وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

لَقَدْ رَاعَنِي بَدْرُالدُّجَى بِصُدُودِهِ وَوَكَّلَ اَجْفَانِي بِرَعْيِ كَوَاكِبِهْ
فَيَاكَبِدِي مَهْلًا عَسَاهُ يَعُودُ لِي وَيَا مُهْجَتِي صَبْرًا عَلَى مَاكَوَاكَ بِهِ

ثم ان قمرالزمان لما رأى والده فى المنـــام و هو يعاتبـــه اصبح مغموما حزينا فسألته الست بدور فاخبرها بما رآه وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــبـــــــــاح

فلما كانت الليلة السادسة بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيدان قمرالزمان لما اخبر الست بدور بما رآه فى النوم دخلت هي واياه على والدها و اعلمـــاه بذلك و استأذناه فى السفر فاذن له بالسفر فقالت له الست بدور يا والدي انا لا اصبر على فراقه فقال لها والدها سافري معه واذن لها بالاقامة معه سنة كاملة و بعدها تأتي لتزور والدها في كل عام مرة فقبّلت يد ابيها وكذلك قمرالزمان ثم شرع الملك الغيور في تجهيز ابنته و زوجها وهيّأ لهما المؤنة و ادوات السفر واخرج لهمـــا الخيول المسوّمة والهجن العشاري واخرج لابنته محفّة و حمل لهما البغال والهجن واستخدم لهما العبيد و الرجال واخرج لهما كلما يحتاجان اليه فى السفر وفي يوم المسير ودّع الملك الغيور قمرالزمان وخلع عليه عشر خلع سنّية من الذهب مرصّعة بالجواهر و قدّم له عشرة خيول وعشر نياق وخزنة مال واوصاه على بنته الست بدور وخرج معهما الى اقصى الجزائر ثم ودّع قمرالزمان ودخل على ابنته الست بدور وهي في المحفـة وضمها وقبلها وصار يبكي و يقـــــول

Digitized by Google

وَاُحِبُّ الْاَرَاكَ مِنْ اَجْلِ اَنِّي اِنْ ذَكَرْتُ الْاَرَاكَ قُلْتُ اَرَاكَا

فعند ذلك فرح ابوها بسلامتها حتى كاد ان يطير وقبّلها بين عينيها لانه كان يحبّها محبّة عظيمة واقبل الملك الغيور على قمر الزمان وسأله عن حاله وقال له من اىّ البلاد انت فاخبره قمر الزمان بنسبه وشانه واعلمه ان والده الملك شهرمان ثم ان قمر الزمان قصّ عليه القصة من اولها الى آخرها واخبره بجميع ما اتفق له مع الست بدور وكيف اخذ الخاتم من اصبعها والبسها خاتمه فتعجب الملك الغيور من ذلك وقال له ان حكايتكما ينبغي ان تؤرخ فى الكتب وتقرأ بعدكما جيلا بعد جيل ثم ان الملك الغيور احضر من وقته القضاة والشهود وكتب كتاب السيدة بدور على قمر الزمان وامر بتزيين المدينة سبعة ايام ثم مدوا السماط والاطعمة وعملت الافراح وتزيّنت المدينة وجميع العساكر بافخر الثياب واقبلت البشائر ودقّت الطبول ودخل قمر الزمان على الست بدور وفرح ابوها بعافيتها وزواجها وحمدالله الذي رماها في حب شاب مليح من ابناء الملوك فجلوها عليه وكانا يشبهان بعضهما فى الحسن والجمال والظرف والدلال فنام قمر الزمان عندها تلك الليلة وبلغ اربه منها وهي بلّت شوقها منه وتمتّعت بحسنه وجماله وتعانقا الى الصباح وفى اليوم الثاني عمل الملك وليمة وجمع فيها جميع اهل الجزائر الجوانيه والبرانية وقدّم لهم الاسمطة والطعام الفاخر وامتدت الموائد مدة شهر كامل وبعد ان استهدى سرّ قمر الزمان وبلغ اربه ومكث في هذا الحال مع الست بدور مدة تفكر والده الملك شهرمان فرآه فى المنام وهو يقول له يا ولدي اهكذا تفعل معي هذه الفعال وانشده فى النوم هذين البيتين

Digitized by Google

الورقة فلما عرفت المقصود علمت انه معشوقها وانه هو الواقف خلف الستارة فطار عقلها من الفرح وانشرح صدرها واتسع ومن فرط المسرات انشدت هذه الابيات

وَلَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى تَفَرُّقِ شَمْلِنَا ... نَدَمًا وَفَاضَ الدَّمْعُ مِنْ اَجْفَانِي
وَنَذَرْتُ اِنْ عَادَ الزَّمَانُ يَلُمُّنَا ... مَا عِشْتُ اَذْكُرُ فُرْقَةً بِلِسَانِي
هَجَمَ السُّرُورُ عَلَيَّ حَتَّى اَنَّهُ ... مِنْ عَظْمِ مَا قَدْ سَرَّنِي اَبْكَانِي
يَا عَيْنُ صَارَ الدَّمْعُ مِنْكِ سَجِيَّةً ... تَبْكِينَ مِنْ فَرَحٍ وَمِنْ اَحْزَانِي

فلما فرغت الست بدور من شعرها قامت من وقتها وصلبت رجليها في الحائط واتكأت بقوتها على الغل الحديد فقطعته من رقبتها وقطعت السلاسل وخرجت من خلف الستارة ورمت نفسها على قمر الزمان وقبلته في فمه مثل زق الحمام وعانقته من شدة مابها من الوجد والغرام وقالت له يا سيدي هل هذا يقظة ام منام وهل قد منّ الله علينا بالقرب بعد البعاد فالحمد لله على جمع شملنا بعد اليأس فلما رآها الخادم على تلك الحالة ذهب يجري حتى وصل الى الملك الغيور فقبّل الارض بين يديه وقال له يا مولاي اعلم ان هذا المنجم شيخ المنجمين واعلمهم كلهم فانه داوى ابنتك وهو واقف خلف الستارة ولم يدخل عليها فقال له الملك انظر جيدا اصحيح هذا الخبر فقال له الخادم ياسيدي قم وانظر اليها كيف وجدت فيها قد حتى قطعت السلاسل من الحديد وخرجت الى المنجم تقبله وتعانقه فعند ذلك قام الملك الغيور ودخل على بنته فلما رأته نهضت قائمة وغطت رأسها وانشدت هذين البيتين

لَا اُحِبُّ السِّوَاكَ مِنْ اَجْلِ اَنِّي ... اِنْ ذَكَرْتُ السِّوَاكَ قُلْتُ سِوَاكَا

Digitized by Google

وكتب ايضـــا

هَبُوا لِي حَدِيثًا مِنْ حَدِيثِكُمْ عَسَى ... بِهِ تَرْحَمُونِي أَوْ يَقِرُّ جَنَانِي
وَمِنْ شَغَفِي فِيكُمْ وَوَجْدِي أَنَّنِي ... أُهَوِّنُ مَا أَلْقَاهُ وَهُوَ هُوَانِي
رَعَى اللهُ قَوْمًا شَطَّ عَنِّي مَزَارُهُمْ ... كَتَمْتُ هَوَاهُمْ فِي أَعَزِّ مَكَانِ
وَهَا أَنَا قَدْ جَادَ الزَّمَانُ بِفَضْلِهِ ... وَفِي تُرْبِ أَعْتَابِ الْحَبِيبِ رَمَانِي
رَأَيْتُ بُدُورًا فِي الْفِرَاشِ بِجَانِبِي ... زَهَا قَمَرِي مِنْ شَمْسِهَا بِزَمَانِي

ثم ان قمر الزمان بعد ان ختم الكتـــاب كتب في عنوانه هذه الابيـــات

سَلِي كِتَابِي عَمَّا خَطَّهُ قَلَمِي ... فَالرَّسْمُ يُخْبِرُ عَنْ وَجْدِي وَعَنْ أَلَمِي
يَدِي تَخُطُّ وَدَمْعُ الْعَيْنِ مُنْهَمِلٌ ... وَقَدْ شَكَى الشَّوْقُ لِلْقِرْطَاسِ مِنْ قَلَمِي
مَا زَالَ دَمْعِي عَلَى الْقِرْطَاسِ مُنْسَكِبًا ... إِنِ انْقَضَتْ أَدْمُعِي أَتْبَعْتُهَا بِدَمِي

ثم كتب ايضا في آخر الكتـــاب

أَرْسَلْتُ خَاتَمَكَ الَّذِي اسْتَبْدَلْتُهُ ... يَوْمَ التَّوَاصُلِ فَارْسَلِي لِي خَاتَمِي

ثم ان قمر الزمان جعل خاتم الست بدور فى طيّ الورقة وناولهـــا للخادم فاخذها منه وادخل بها على سيدته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــاح

فلما كانت الليلة الخامسة بعد المائتين

قالت بلغني ايهـــا الملك السعيد ان قمر الزمان لما وضع الخـــاتم فى الورقة وناولها للخادم فاخذها ودخل بهـــا الى الست بدور فاخذتها من يد الخادم وفتحتها فوجدت خاتمها فيها بعينه فقرأت

Digitized by Google

واتلفه الهوى * ولهلكه الاسى * والبلاء لمن يئس من الحياة * وايقن بحلول الوفاة * وما لقلبه الحزين * من مسعف ولا معين * وما لطرفه الساهر * على الهم ناصر * فنهاره في لهيب * وليله في تعذيب * وقد انهوى جسمه من كثرة النحول * ولم يأته من حبيبه رسول * ثم كتب هذه الابيات

كَتَبْتُ وَلِي قَلْبٌ بِذِكْرِكِ مُوْلَعُ ... وَجَفْنٌ تَرِيحٌ مِنْ دِمَائِي يَدْمَعُ
وَجِسْمٌ كَسَاهُ لَاعِجُ الشَّوْقِ وَالْاَسَى ... قَمِيْصَ نُحُوْلٍ فَهْوَ فِيْهِ مُضَعْضَعُ
شَكَوْتُ الْهَوٰى لَمَّا اَضَرَّ بِيَ الْهَوٰى ... وَلَمْ يَبْقَ عِنْدِي لِلتَّصَبُّرِ مَوْضِعُ
اِلَيْكِ فَجُوْدِي وَارْحَمِي وَتَعَطَّفِي ... فَاِنَّ فُؤَادِي بِالْهَوٰى يَتَقَطَّعُ

ثم كتب تحت الشعر هذه السجعات شفاء القلوب * لقاء المحبوب * من جفاء حبيبه * فالله طبيبه * من خان منكم ومنّا * لا نال مايتمنّى * ولا اظرف من المحب الوافي * الى الحبيب الجافي * ثم كتب في الامضاء من الهائم الولهان * العاشق الحيران * مَن اقلقه العشق والغرام * اسير الوجد والهيام * قمر الزمان * ابن شهرمان * الى فريدة الزمان * ونخبة الحور الحسان * السيدة بدور * بنت الملك الغيور * اعلمي انّني في ليلي سهران * وفي نهاري حيران * زائد النحول والاسقام * والعشق والغرام * كثيرا لزفرات * غزير العبرات * اسير الهوى * قتيل الجوى * والهجر لقلبه كوى * غريم الغرام * نديم السقام * فانا السهران الذي لا تهجع مقلته * والمتيّم الذي لا ترقأ عبرته * فنار قلبي لا تطفى * ولهيب شوقي لا يخفى * ثم ان قمر الزمان كتب في حاشية الكتاب هذا البيت المستطاب شعر

سَلَامٌ مِنْ خَزَائِنِ لُطْفِ رَبِّيْ ... عَلَى مَنْ عِنْدَهَا رُوْحِي وَقَلْبِي

Digitized by Google

ضربت عنقه وكل من ابرأها زوّجته بها فلا يغرّنك حسنك وجمالك والله والله ان لم تبرئها لاضربنّ عنقك فقال قمر الزمان لك ذلك وانا راض وعندي علمُ هذا قبل ان آتيك فاشهد عليه الملك الغيور القضاة وسلّمه الى الخادم وقال له اوصل هذا الى الست بدور فمسكه الخادم من يده ومشى به في الدهليز فسابقه قمر الزمان فصار الخادم يجري ويقول له ويلك لا تستعجل على هلاك نفسك فاني ما رأيت منجما يستعجل على هلاك نفسه غيرك ولكنّك لم تعرف ايّ شيّ قدّامك من الدواهي فاعرض قمر الزمان بوجهه عن الخادم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الرابعة بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخادم قال لقمر الزمان اصبر ولا تستعجل فاعرض بوجهه عنه وانشد يقول هذه الابيـــــات

أَنَا عَارِفٌ بِصِفَاتِ حُسْنِكَ جَاهِلُ ... مُتَحَيِّرٌ لَمْ أَدْرِ مَا أَنَا قَائِلُ
لَوْ قُلْتُ شَمْسًا كَانَ حُسْنُكَ لَمْ يَغِبْ ... عَنْ نَاظِرِي إِنَّ الشُّمُوسَ أَوَافِلُ
كَمُلَتْ مَحَاسِنُكَ الَّتِي فِي وَصْفِهَا ... عَجَزَ الْبَلِيغُ وَحَارَ فِيهَا الْقَائِلُ

ثم ان الخادم اوقف قمر الزمان خلف الستارة التي على الباب فقال له قمر الزمان ايّ الحالتين احب اليك اكون اداوي سيّدتك وابرؤها من هنا او ادخل اليها فابرؤها من داخل الستارة فتعجب الخادم من كلامه وقال له ان ابرأتها من هنا كان ذلك زيادة في فضلك فعند ذلك جلس قمر الزمان خلف الستارة واخرج الدواة والقلم واخذ ورقة وكتب فيها هذه الكلمات هذا كتابُ مَن برح به الجوى *

Digitized by Google

الغيور وانظر بعينك الى هذه الروس المعلّقة فان اصحابها كلهم قُتلوا بسبب ذلك فلم يلتفت قمرالزمان الى كلامه ونادى باعلى صوته انا الحكيم الكاتب انا المنجم الحاسب فصار كل من اهل البلد ينهاه عن هذا الفعل فلم يلتفت اليهم ابدا وقال في نفسه ما يعلم الشوق الّا من يكابده وصار ينادي باعلى صوته انا الحكيم انا المنجم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيدان قمرالزمان لم يلتفت الى كلام اهل المدينة وصار ينادي انا الكاتب انا الحاسب انا المنجم فاجتاط جميع اهل المدينة منه وقالوا له ما انت الاشاب بليد مكابر احمق ارحم شبابك وصغر سنّك وحسنك وجمالك فصاح قمرالزمان وقال انا المنجم والحاسب فهل من طالب فبينما قمرالزمان ينادي والناس ينهونه اذ سمع صوته الملك الغيور وسمع ضجّة الناس فقال الملك للوزير انزل أ اتنا بهذا المنجم فنزل الوزير سريعا واخذ قمرالزمان من وسط الناس واطلعه الى الملك فلما صار بين يدى الملك الغيور قبّل الارض وانشد يقول

ثَمَانِيَةٌ فِي الْمَجْدِ حُزْتَ جَمِيعَهَا ... فَلَا زَالَ خُدَّامًا بِهِنَّ لَكَ الدَّهْرُ
يَقِينُكَ وَالتَّقْوَى وَمَجْدُكَ وَالنَّدَى ... وَلَفْظُكَ وَالْمَعْنَى وَعِزُّكَ وَالنَّصْرُ

فلما نظر الملك الغيور اليه اجلسه الى جانبه واقبل عليه وقال له بالله يا ولدي ان لم تكن منجّما فلا تخاطر بنفسك ولا تدخل على شرطي فاني شرطت على نفسي ان كل من دخل على بنتي ولم يبرئها مما اصابها

Digitized by Google

في خان و استراحا ثلثة ايام من السفر و بعد ذلك ادخل مرزوان قمر الزمان و دخل به الحمام و البسه لبس التجار و عمل له تخت رمل من ذهب و عمل له عدّة و عمل له اسطرلابا من فضة مطلى بالذهب و قال له قم يا مولاي وقف تحت قصر الملك و نادِ انا الحاسب انا الكاتب انا الذي اعرف المطلوب و الطالب انا الحكيم الماهر انا المنجم الباهر فاين الطالب فان الملك اذا سمعك يرسل خلفك و يدخل بك على ابنته الملكة بدور محبوبتك فاذا دخلت عليها قل له اعطني مهلة ثلثة ايام فان طابت زوّجني بها و ان لم تطب افعل بي كما فعلت بالذين قبلي فانه يقبل منك ذلك فاذا صرت عندها عرّفها بنفسك فانها تشتدّ لما تراك و يزول ما بها من الجنون وهي تطيب في ليلة فاطعمها و اسقها و يفرح ابوها بسلامتها و يزوّجك بها و يقاسمك في ملكه لانه شرط على نفسه هذا الشرط و السلام فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام قال له لا عدمت فضلك و اخذ منه العدّة و خرج من الخان وهو لابس البدلة واخذ معه العدة التي ذكرناها و سار الى ان وقف تحت قصر الملك الغيور و نادى انا الكاتب الحاسب انا الذي اعرف المطلوب و الطالب انا الذي افتح الكتاب و احسب الحساب وافسّر الاحلام واخطّ بالقلام المطالب فاين الطالب فلما سمع اهل المدينة هذا الكلام جاؤا اليه لان لهم مدة ما رأوا كاتبا ولا منجّما فوقفوا حوله و صاروا يتأمّلونه فرأوه على غاية من الجمال و اللطف والظرف والكمال فوقفوا يتعجّبون من حسنه وجماله و قدّه و اعتداله فتقدّم اليه واحد وقال له بالله عليك ايها الشاب المليح صاحب اللسان الفصيح لا تخاطر بنفسك و ترمي روحك في الهلاك طمعا في زواج الملكة بدور بنت الملك

Digitized by Google

فقال له ما هذا يا اخي الذي فعلته و ما ذا يفيد ذلك فقال له اعلم انّ والدك الملك شهرمان اذا غبنا عنه ليلة بعد الليلة التي اخذنا بها منه الاذن ولم نحضر له فيها يركب ويسافر في اثرنا فاذا وصل الى هذا الدم الذي فعلته ورأى قميصك ولباسك مقطّعا وعليه الدم فيظنّ في نفسه انه جرى لك امر من قطاع الطريق او وحوش البر فينقطع رجاؤه منك ويرجع الى المدينة ونبلغ بهذه الحيلة مانريد فقال قمرالزمان والله ان هذه حيلة مليحة نعم ما فعلت ثم انهما سارا اياما وليالي كل ذلك وقمرالزمان يشتكي اذا انفرد بنفسه ويبكي الى ان استبشر بقرب الديار فانشد يقول هذه الاشعار

اَتَجْفُوْ مُحِبًّا مَاسَلَا عَنْكَ سَاعَةً ... وَتَزْهَدُ فِيْهِ بَعْدَمَا كُنْتَ رَاغِبًا
حُرِمْتُ الرِّضَى اِنْ كُنْتُ خُنْتُكَ فِي الْهَوى ... وَعُوْقِبْتُ بِالْهِجْرَانِ اِنْ كُنْتُ كَاذِبًا
وَمَا كَانَ لِيْ ذَنْبٌ فَاسْتَوْجِبُ الْجَفَا ... وَاِنْ كَانَ لِيْ ذَنْبٌ فَقَدْ جِئْتُ تَائِبًا
وَمِنْ عَجَبِ الْاَيَّامِ اَنَّكَ هَاجِرِيْ ... وَمَازَالَتِ الْاَيَّامُ تُبْدِي الْعَجَائِبَا

فلما فرغ قمرالزمان من شعره قال له مرزوان انظر هذه جزائر الملك الغيور قد لاحت ففرح قمرالزمان فرحا شديدا وشكر مرزوان على فعله وقبّله بين عينيه وضمّه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيدان قمرالزمان لما قال له مرزوان انظر هذه جزائر الملك الغيور فرح و شكر على فعله و قبّله وضمّه الى صدره فلما وصلا الى الجزائر دخلا المدينة و انزله مرزوان

Digitized by Google

ثم ان الملك جهّز ولده قمر الزمان وجهّز معه مرزوان وامران يهيّئ لهما اربعة من الخيل وهجينا برسم المال وجملا يحمل الماء والزاد ومنع قمر الزمان ان يخرج معه احد في خدمته فودّعه ابوه وضمّه الى صدره وقبّله وقال له سألتك بالله لا تغب عني غير ليلة واحدة وحرام عليّ المنام فيها فانيّ كما قال الشاعر

وَصَالُكَ عِنْدِيْ نَعِيْمٌ نَعِيْمٌ ... وَصَبْرِيْ عَنْكَ اِلَيْمٌ اَلِيْمٌ
فَدَيْتُكَ اِنْ كَانَ ذَنْبِي الْهَوَى ... اِلَيْكَ فَذَنْبِي عَظِيْمٌ عَظِيْمٌ
اَعِنْدَكَ مِثْلِيْ نَارُ الْجَوَى ... فَاَصْلَى بِذَاكَ عَذَابَ الْجَحِيْمِ

فقال يا ابي ان شاء الله لا ابيت غير ليلة ثم ودّعه وانصرف وخرج قمر الزمان ومرزوان وركبا الخيل ومعهما الهجين عليه المال والجمل عليه الماء والزاد واستقبلا البر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الاولى بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان ومرزوان سارا واستقبلا البر وسارا من اول النهار الى المساء ونزلا واكلا وشربا واطعما دوابهما واستراحا ساعة ثم ركبا وسارا ومازالا سائرين الى ثلثة ايام وفي رابع يوم بان لهما مكان متّسع فيه غاب فنزلا فيه فاخذ مرزوان جملا وفرسا وذبحهما وقطع لحمهما قطعا ونجر عظمهما واخذ من قمر الزمان قميصه ولباسه وقطعهما قطعا ولوّثهما بدم الفرس واخذ جبّة قمر الزمان ومزّقها ولوّثها بالدم ورماها في مفرق الطريق ثم اكلا وشربا وركبا وسافرا فسأله قمر الزمان عما فعله

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الموفية للمائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيدان قمر الزمان ابن الملك شهرمان لما ذهب الى الحمّام امر والده باطلاق المحابيس فرحا بذلك وخلع الخلع السنيّة على ارباب دولته و تصدق على الفقراء وامربزينة البلد فزيّنت المدينة سبعة ايام ثم ان مرزوان قال لقمر الزمان اعلم ياسيدي اني ما جئت من عند الست بدور الا لهذا الامر وهوسبب سفري لاجل ان اخلصها مما هي فيه وما بقي لنا الا اننا ندبر حيلة في ذهابنا اليها لان والدك لايقدر على فراقك والرأي عندي انك في غد استأذن والدك فى انك تخرج الى الصيد فى البرية وخذ معك خرجا ملآنا من المال واركب الجواد وخذ معك جنيبا وانا الآخر مثلك اركب معك وقل لوالدك اني اريدان اتفرج فى البرية واتصيد وانظر الفضاء وابيت هناك ليلة واحدة فاذا خرجنا ذهبنا الى حالنا ولا تخلي احدا يتبعنا من الخدم فقال قمر الزمان نعم هذا الرأي وفرح بذلك فرحا شديدا واشتد ظهره ودخل على والده فاخبره بذلك فاذن له والده فى الخروج الى الصيد وقال له يا ولدي الف يوم مبارك الذي قواك وانا لا اكره ذلك ولكن لا تبت الا ليلة واحدة وفي غد تأتي وتحضر عندي فانك تعلم انه ما يطيب لي عيش الا بك واني ما صدقت انك شفيت مما كنت فيه وانت عندي كما قال فيه الشاعر

وَلَوْ أَنَّ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ... بِسَاطُ سُلَيْمَانَ وَمُلْكُ الْأَكَاسِرَةْ
لَمَا سُرِّ يَا عِنْدِي جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ... إِذَا لَمْ تَكُنْ عَيْنِي لِشَخْصِكَ نَاظِرَةْ

Digitized by Google

فزيّنت المدينة و فرحت الناس وكان يوما عظيما ثم ان مرزوان بات تلك الليلة عند قمر الزمان وبات الملك عندهما من فرحته وهو مسرور وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والتسعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الملك شهرمان بات تلك الليلة عندهما من شدة فرحته بشفاء ولده فلما اصبح الصباح وانصرف الملك شهرمان وخلا مرزوان بقمر الزمان حدّثه بالقصة من اولها الى آخرها وقال له اعلم انّني اعرف التي اجتمعت بها واسمها الست بدور بنت الملك الغيور ثم حدثه بماجري للسيدة بدور من الاول الى الآخر واخبره بفرط محبتها له وقال له جميع ماجرى لك مع ابيك جرى لها مع ابيها وانت من غير شك حبيبها وهي حبيبتك فشدّ عزمك وقوّ قلبك فها انا اوصلك اليها واجمع بينك و بينها قريبا واعمل معكما كما قال الشاعر

إِذَا صَدِيْقٌ صَدَّ عَنْ إِلْفِهِ ... وَلَمْ يَزَلْ فِيْ فَرْطِ إِعْرَاضِ
أَلَّفْتُ وَصْلًا بَيْنَ شَخْصَيْهِمَا ... كَأَنَّنِيْ مِسْمَارُ مِقْرَاضِ

ولم يزل مرزوان يقوّي قمر الزمان ويشجّعه ويسلّيه و يحثّه على الاكل والشرب حتى اكل الطعام وشرب الشراب وردت روحه اليه وعادت اليه قوّته ونجا مما كان فيه كل ذلك ومرزوان يسلّيه بالاشعار والحكايات حتى ان قمر الزمان وقف على حيله وطلب ان يروح الى الحمام فاخذ مرزوان بيده ودخلا الى الحمام فغسلا ابدانهما وتنظّفا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

Digitized by Google

قمرالزمان واقبل الملك على مرزوان وقال له الحمد لله على سلامتك فقال له سلم الله لك ولدك و دعا للملك فقال له الملك من اي البلاد انت قال من الجزائر الجوانية من بلاد الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور والسبعة قصور فقال له الملك شهرمان عسى ان يكون قدومك مباركا على ولدي وينجيه الله مما هو فيه فقال ان شاء الله تعالى ما يكون الا الخير ثم ان مرزوان اقبل على قمرالزمان و قال له في اذنه في غفلة الملك و اهل الدولة يا سيدي شدّ روحك و قوّ قلبك و ترعينك فان التي صرت من اجلها هكذا لا تسأل عما هي فيه من اجلك ولكنك كتمت امرك فضعفت واما هي فانها اظهرت امرها فقالوا انها جنّت وهي الآن مسجونة و في رقبتها سلسلة من الحديد وهي في اسوء حال و ان شاء الله تعالى يكون دواؤكما على يدي فلما سمع قمرالزمان هذا الكلام ردت روحه اليه واشتد قلبه و حصل عنده نشاط و اشار الى ابيه ان يجلسه فكاد الملك ان يطير من الفرح ونهض الى ولده واجلسه فجلس قمرالزمان فنفض الملك المنديل من خوفه على ولده فانصرفت جميع الامراء والوزراء و وضع له مخدتين فجلس متكئا وامر الملك ان يطيب القصر بالزعفران ثم امر بزينة المدينة وقال لمرزوان والله يا ولدي ان طلعتك سعيدة مباركة ثم اكرمه غاية الاكرام وطلب له الملك الطعام فقدموه له فتقدم مرزوان وقال لقمرالزمان تقدّم كل معي نطاوعه وتقدّم واكل معه كل هذا والملك يدعو لمرزوان ويقول ما احسن قدومك يا ولدي فلما رأى والده اكل ولده زاد به الفرح والسرور وخرج من وقته و اخبر امه واهل القصر فضربت البشائر في القصر لسلامة قمرالزمان و نادى الملك بالزينة

Digitized by Google

فَقَالَتْ وَأَلْقَتْ فِي الْحَشَا لِاعِجَ الْجَوَى ... مَقَالَةَ مَنْ لِلْحُبِّ لَمْ يَتَكَتَّمِ
وَعَيْشِكَ مَا هٰذَا خِضَابُ خَضَبْتُهُ ... فَلَا تَكُ بِالْبُهْتَانِ وَالزُّورِ مُتَّهِمِي
وَلٰكِنَّنِي لَمَّا رَأَيْتُكَ رَاحِلًا ... وَقَدْ كُنْتَ لِي زَنْدِي وَكَفِّي وَمِعْصَمِي
بَكَيْتُ دَمًا يَوْمَ النَّوَى فَمَسَحْتُهُ ... بِكَفِّي فَاحْمَرَّتْ بَنَانِي مِنْ دَمِي
فَلَوْ قَبْلَ مَبْكَاهَا بَكَيْتُ صَبَابَةً ... لَكُنْتُ شَفَيْتُ النَّفْسَ قَبْلَ التَّنَدُّمِ
وَلٰكِنْ بَكَتْ قَبْلِي فَهَيَّجَنِي الْبُكَا ... بُكَاهَا فَقُلْتُ الْفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ
فَلَا تَعْذُلُونِي فِي هَوَاهَا لِأَنَّنِي ... وَحَقِّ الْهَوَى فِيهَا كَثِيرُ التَّأَلُّمِ
بَكَيْتُ عَلَى مَنْ زَيَّنَ الْحُسْنُ وَجْهَهَا ... وَلَيْسَ لَهَا مِثْلٌ بِعُرْبٍ وَأَعْجَمِ
لَهَا عِلْمُ لُقْمَانٍ وَصُورَةُ يُوسُفٍ ... وَنَغْمَةُ دَاوُدٍ وَعِفَّةُ مَرْيَمِ
وَلِي حُزْنُ يَعْقُوبٍ وَحَسْرَةُ يُونُسٍ ... وَبَلْوَةُ أَيُّوبٍ وَقِصَّةُ آدَمِ
فَلَا تَقْتُلُوهَا إِنْ قَتَلْتُ بِهَا جَوًى ... بَلَى فَاسْأَلُوهَا كَيْفَ حَلَّ لَهَا دَمِي

فلما انشد مرزوان هذه القصيدة نزل على قلب قمر الزمان بردا و سلاما و تنهد ودار لسانه في فمه و قال لوالده يا ابي دع هذا الشاب يأتي ويجلس الى جانبي و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والتسعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان مرزوان قال لوالده يا ابي خل هذا الشاب يأتي و يجلس في جانبي فلما سمع السلطان من ولده قمر الزمان ذلك فرح فرحا شديدا بعد ان كان قلبه تغير من جهة مرزوان و اضمر في نفسه انه لا بد ان يرمي رقبته فلما سمع ولده تكلم زال ما به و نهض قائما وجذب الغلام مرزوان واجلسه بجانب

Digitized by Google

مرزوان خلف الوزير الى ان وصل الى القصر فجلس الوزير تحت رجلي قمر الزمان واما مرزوان فانه لم يكن له دأب الا انه مشي حتى وقف قدام قمر الزمان و نظر اليه فمات الوزير في جلده من الخوف و صار ينظر الى مرزوان و يغمزه ليروح الى حال سبيله و مرزوان يتغافل وينظر الى قمر الزمان فتحقق وعلم انه هو المطلوب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة السابعة والتسعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان مرزوان لما نظر الى قمر الزمان و علم انه هو المطلوب قال سبحان الله الذي جعل قدّه مثل قدّها وخدّه كخدّها ولونه كلونهـــا ففتح قمر الزمان عينيه وصغى باذنيه الى كلامه فلما رآه مرزوان صاغيا الى ما يلقيه من الكلمات انشد يقول هذه الابيـــــــــــــــــــــــــات

أَرَاكَ طَرُوبًا ذَا شَجِي وَتَرَنُّمِ ... تَمِيلُ إِلَى ذِكْرِ المَحَاسِنِ بِالفَمِ
أَصَابَكَ عِشْقٌ أَمْ رُمِيتَ بِأَسْهُمِ ... فَمَا هٰذِهِ إِلَّا سَجِيَّةُ مَنْ رُمِي
أَلَا فَاسْقِنِي كَأْسَاتِ خَمْرٍ وَغَنِّ لِي ... بِذِكْرِ سُلَيْمَى وَالرَّبَابِ وَتَنْعَمِ
وَشَمْسَةَ كَرْمٍ بُرْجُهَا قَاعُ دَنِّهَا ... وَمَشْرِقُهَا السَّاقِي وَمَغْرِبُهَا فَمِي
أَغَارُ عَلَى أَعْطَافِهَا مِنْ ثِيَابِهَا ... إِذَا لَبِسَتْهَا فَوْقَ جِسْمٍ مُنَعَّمِ
وَأَحْسُدُ كَأْسَاتٍ تُقَبِّلُ ثَغْرَهَا ... إِذَا وَضَعَتْهَا مَوْضِعَ اللَّثْمِ فِي الفَمِ
فَلَا تَحْسَبُوا إِنِّي قُتِلْتُ بِصَارِمٍ ... وَلٰكِنَّ لَحَاظٌ قَدْ رَمَتْنِي بِأَسْهُمِ
وَلَمَّا تَلَاقَيْنَا وَجَدْتُ بَنَانَهَا ... مُخَضَّبَةً تَحْكِي عُصَارَةَ عَنْدَمِ
فَقُلْتُ خَضَبْتِ الكَفَّ بَعْدِي هٰكَذَا ... يَكُونُ جَزَاءُ المُسْتَهَامِ المُتَيَّمِ

Digitized by Google

و موتك و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والتسعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الوزير لما فعل مع مرزوان ما فعل قال له اعلم اني كنت سببا لنجاتك من الغرق فلا تكن انت سببا لموتي وموتك فقال مرزوان وكيف ذلك قال الوزير لانك في هذه الساعة تطلع وتشق بين امراء و وزراء و الكل ساكتون لايتكلمون لاجل قمر الزمان ابن السلطان فلما سمع مرزوان ذكر قمر الزمان عرفه لانه كان يسمع بحديثه فى البلاد و اتى في طلبه ولكنه تجاهل وقال للوزير و من قمر الزمان فقال الوزير هو ابن السلطان شهرمان و هو ضعيف ملقى على الفراش ليس له قرار ولا يأكل ولا يشرب ولا ينام لا بالليل ولا بالنهار وقد اشرف على الموت ويئسنا من حيوته وايقنّا بوفاته واياك ان تطيل النظر اليه او تنظر الى غير الموضع الذي تحطّ فيه رجلك و الّا فتروح روحك وروحي فقال له بالله عليك ايها الوزير ارجو من تفضلاتك ان تخبرني عن هذا الشاب الذي وصفته لي ما سبب هذا الامر الذي هو فيه فقال له الوزير لا اعلم له سببا الّا ان والده من منذ ثلث سنين سأله ان يتزوج فابي فغضب عليه وسجنه فاصبح وهو يزعم انه كان نائما فرأى بجنبه صبيّة بارعة الجمال يعجز عن وصف حسنها اللسان وذكر لنا انه نزع خاتمها من اصبعها و لبسه والبسها خاتمه ونحن لا نعرف باطن هذه القضية فبالله يا ولدي اذا طلعت معي الى القصر لا تنظر الى ابن الملك ورح الى حال سبيلك فان السلطان قلبه ملآن عليّ غيظا فقال مرزوان في نفسه والله ان هذا هو المطلوب ثم طلع

Digitized by Google

اشتغل كلواحد بنفسه واما مرزوان فان الموج قذفه حتى اوصله الى تحت قصر الملك الذي فيه قمر الزمان وكان بالامر المقدر كان هذا اليوم الذي يجتمع فيه على الملك شهرمان اهل دولته وارباب مملكته للخدمة والملك شهرمان جالس ورأس ولده قمر الزمان في حجره وخادم ينشّ عليه وكان قمر الزمان مضى له يومان ما تكلّم ولا اكل ولا شرب وصار النحف من المغزل والوزير واقف عند رجليه قريب الشباك المطلّ على البحر فرفع الوزير بصره فرأى مرزوان قد اشرف على الهلاك من التيّار وبقي على آخر نفس فرقّ عليه قلب الوزير فتقرب الى الملك ومدّ رأسه اليه وقال له استأذنك ايها الملك في ان انزل الى ساحة القصر وافتح بابها لا نقذ انسانا قد اشرف على الغرق في البحر واطلعه من الضيق الى الفرج لعلّ الله بسبب ذلك يخلص ولدك مما هو فيه فقال له الملك ايها الوزير يكفي ماجرى على ولدي منك وبسببك وربما انك اذا اطلعت هذا الغريق يطّلع على احوالنا وينظر الى ولدي وهو في هذه الحالة فيشمت بي ولكن اقسم بالله ان طلع هذا الغريق ونظر الى ولدي وخرج يتحدّث مع احد بأسرارنا لاضربنّ رقبتك قبله لانك ايّها الوزير سبب ماجرى لنا اوّلا وآخرا فافعل ما بدالك فنهض الوزير وفتح باب سر القصر النافذ الى البحر ونزل في الممشاة عشرين خطوة ثم خرج الى البحر فراى مرزوان مشرفا على الموت فمدّ الوزير يده اليه ومسكه من شعر رأسه وجذبه منه فخرج من البحر وهو في حال العدم وقد امتلأ بطنه ماء وبرزت عيناه فصبر الوزير عليه حتى ردّت روحه اليه ثم نزع عنه ثيابه والبسه ثيابا غيرها وعمّمه بعمامة من عمائم غلمانه وقال له اعلم اني كنت سببا لنجاتك من الغرق فلا تكن انت سببا لموتي

Digitized by Google

ثم ان مرزوان ودّعها ودعا لها بالثبات وخرج من عندها وهي تنشد هذه الابيـــــــــــــــــــــــــــــــــات

وَيَخْطُو لِي خَيَالُكَ فِي ضَمِيرِي ... عَلَى بُعْدِ الْمَكَانِ خُطَى مَزُورِ
وَتُدْنِيكَ الْأَمَانِي مِنْ فُؤَادِي ... وَأَيْنَ الْبَرْقُ مِنْ لَمْحِ الْبَصِيرِ
فَلَا تَبْعُدْ لِأَنَّكَ نُورُ عَيْنِي ... إِذَا مَا غِبْتَ لَمْ تَكْحَلْ بِنُورِ

ثم ان مرزوان تمشي الى بيت والدته فنام تلك الليلة فلما اصبح تجهز للسفر فسافر ولم يزل مسافرا من مدينة الى مدينة ومن جزيرة الى جزيرة مدة شهر كامل فدخل مدينة يقال لها الطيرب ومشى يستنشق الاخبار من الناس لعله يجد دواء الملكة بدور وكان كلما يدخل مدينة او يمرّ بها يسمع ان الملكة بدور بنت الملك الغيور قد حصل لها جنون الى ان وصل الى مدينة الطيرب فسمع خبر قمر الزمان ابن الملك شهرمان بانه مريض وانه اعتراه وسواس وجنون فسأل مرزوان عن اسم مدينته فقالوا له انه في جزائر خالدان وهي من مدينتنا هذه مسيرة شهر كامل في البحر واما في البرفستة اشهر فنزل مرزوان في مركب كانت متوجهة الى جزائر خالدان فطاب لهـــا الريح مدة شهر فاشرفوا على جزائر خالدان ولمـــا اشرفوا عليها ولم يبق لهم الا الوصول الى الساحل واذا بريح عاصف خرج عليهم ورمى الصواري ومزق القماش ووقعت القلوع في البحر وانقلبت المركب بجميع ما فيها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــاح

فلما كانت الليلة الخامسة والتسعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان المركب لما انقلبت بجميع ما فيها

Digitized by Google

منامي ليلة فى الثلث الاخير من الليل وجلست على حيلي فنظرت الى جانبي شابّا احسن ما يكون من الشباب يكلّ عن وصفه اللسان كانه غصن بان اوقضيب خيزران فظننت ان ابي هو الذي امره بهذا الامر ليمتحنني به لانه راودني عن الزواج لما خطبنى منه الملوك فابيت فهذا الظن هو الذي منعني من ان انبهه وخشيت اني اذا عملت شيأ اواعانته ربما يخبر لابي بذلك فلما اصبحت رأيت بيدي خاتمه عوضا عن خاتمي الذي اخذه مني فهذه حكايتي وسبب جنوني وانايا اخي قد تعلق قلبي به من حين رؤيته ومن كثرة عشقي والغرام لم اذق طعم المنام ومالي شغل غير الدموع والبكاء وانشاد الاشعار بالليل والنهار ثم افاضت العبرات وانشدت هذه الابيات

أَبَعْدَ الْحِبِّ لِذَّاتِي تَطِيبُ ... وَذَاكَ الظَّبْيُ مَرْتَعُهُ الْقُلُوبُ
دَمُ الْعُشَّاقِ أَهْوَنُ مَا عَلَيْهِ ... وَفِيهِ مُهْجَةُ الْمُضْنَى تَذُوبُ
أَغَارُ عَلَيْهِ مِنْ نَظَرِي وَفِكْرِي ... فَمِنْ بَعْضِي عَلَى بَعْضِي رَقِيبُ
وَأَجْفَانٍ لَهُ تَرْمِي سِهَاماً ... فَوَاتِكَ فِي الْقُلُوبِ لَنَا تُصِيبُ
فَهَلْ لِي أَنْ أَرَاهُ قَبِيلَ مَوْتِي ... إِذَا مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا نَصِيبُ
وَأَكْتُمُ سِرَّهُ فَيَنِمُّ دَمْعِي ... بِمَا عِنْدِي وَيَعْلَمُهُ الرَّقِيبُ
قَرِيبٌ وَصْلُهُ مِنِّي بَعِيدٌ ... بَعِيدٌ ذِكْرُهُ مِنِّي قَرِيبُ

ثم ان الست بدور قالت لمرزوان انظر يا اخي ما الذي تعمل معي في الذي اعتراني فاطرق مرزوان رأسه الى الارض ساعة وهو يتعجب وما يدري مايفعل ثم رفع رأسه وقال لها جميع ماجرى لك صحيح وان حكاية هذا الشاب اعيت فكري ولكن اني ادور في جميع البلاد وافتش على دوائك لعل الله يجعله على يدي ولكن اصبري ولاتجزعي

Digitized by Google

ولا زالت تمشي به حتى اوصلته الى الخادم بعد انصراف السلطان من عند بنته فلما رآها الخادم قام واقفا وقال لها ادخلي ولا تطيلي القعود فلما دخلت العجوز بولدها راى مرزوان الست بدور في تلك الحالة فسلم عليها بعد ان كشفت عنه امه ثياب النساء فاخرج مرزوان الكتب التي معه واوقد شمعته وقرأ بعض اقسام فنظرت اليه الست بدور فعرفته وقالت له يا اخي انت كنت سافرت وانقطعت اخبارك عنا فقال لها صحيح ولكن ردّني الله بالسلامة واردت السفر ثانيا فما ردّني عنه الا هذا الخبر الذي سمعته عنك فاحترق قلبي عليك وجئت اليك لعلي ان اخلصك مما انت فيه فقالت له يا اخي هل انت تظن ان الذي اعتراني جنون قال نعم قالت لا والله وانما هو كما قال الشاعر

قَالُوا جُنِنْتَ بِمَنْ تَهْوَى فَقُلْتُ لَهُمْ ... مَا لَذَّةُ الْعَيْشِ إِلَّا لِلْمَجَانِينِ
اَلْعِشْقُ لَا يَسْتَفِيقُ الدَّهْرَ صَاحِبُهُ ... وَإِنَّمَا يَصْرَعُ الْمَجْنُونَ فِي الْحِينِ
نَعَمْ جُنِنْتُ فَهَاتُوا مَنْ جُنِنْتُ بِهِ ... إِنْ كَانَ يَشْفِي جُنُونِي لَا تَلُومُونِي

فعند ذلك علم مرزوان انها عاشقة فقال لها احكي لي على قصتك وما اصابك لعل ان يكون بيدي شيء افعله ويكون فيه خلاصك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والتسعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان مرزوان قال للسيدة بدور اخبريني بقصتك وما اتفق لك لعل الله ان يطلعني على ما فيه خلاصك فقالت له الست بدور يا اخي اسمع قصتي وذلك اني استيقظت من

Digitized by Google

سَلَامِي عَلَى الْاَحْبَابِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ فَاِنِّي اِلَى نَحْوِ الْحَبِيبِ اُرِيدُ
سَلَامِي عَلَيْكُمْ لَا سَلَامَ مُوَدِّعٍ سَلَامٌ كَثِيرٌ لَا يَزَالُ يَزِيدُ
وَاِنِّي لَاَهْوَاكُمْ وَاَهْوَى دِيَارَكُمْ وَلٰكِنَّنِي عَمَّا اُرِيدُ بَعِيدُ

فلما فرغت الست بدور من انشاد هذه الاشعار بكت حتى مرضت عيناها وتغيرت وجناتها ثم انها استمرت على هذا الحال ثلث سنين وكان لها اخ من الرضاع يسمى مرزوان وكان سافر الى اقصى البلاد وغاب عنها تلك المدة بطولها وكان يحبّها محبة زيادة على محبة الاخوة فلما حضر دخل على والدته وسألها عن اخته الست بدور فقالت له يا ولدي ان اخيك حصل لها جنون ومضى لها ثلث سنين وفي رقبتها سلسلة من حديد وعجزت جميع اهل الطب واهل الحكمة عن دوائها فلما سمع مرزوان هذا الكلام قال لابد من دخولي عليها لعلي اعرف ما بها واقدر على دوائها فلما سمعت امه كلامه قالت لابد من دخولك عليها ولكن تمهّل الى غد حتى اتحيّل في امرك ثم ان امه ترجّلت الى قصر الست بدور واجتمعت بالخادم الموكّل بالباب واهدت له هدية وقالت له ان لي بنتا وقد تربت مع الست بدور وقد زوجتها ولما جرى لسيدتك ماجرى صار خاطرها متعلقا بها وانا اقصد من فضلك في ان بنتي تأتي عندها ساعة لتنظرها ثم ترجع من حيث جاءت ولايعلم بها احد فقال الخادم لايمكن ذلك الا في الليل فبعد ان يأتي السلطان ينظر ابنته ويخرج فادخلي انت وابنتك فقبّلت العجوز يد الخادم وخرجت الى بيتها فصبرت الى ثاني يوم العشاء فلما جاء وقته قامت من وقتها وساعتها واخذت ولدها مرزوان والبسته بدلة من ثياب النساء وجعلت يده في يدها وادخلته القصر

Digitized by Google

وراحوا الى ابيها واعلموه بحالها فاتى الملك الى ابنته الست بدور من وقتـــه وساعـــته وقال لها يا بنتي ما خبرك فقالت يا ابي اين الشابُّ الذي كان نائما بجانبي في هذه الليلة وطار عقلها من دماغها وصارت تلتفت بعينها يمينا وشمالا ثم شقت ثوبها الى ذيلها فلما رأى ابوها تلك الفعـال امر الجواري ان يمسكوها فمسكـــوها وقيّدوها وجعلوا في رقبتها سلسلة من حديد وربطوها فى الشباك الذي فى القصر وتركوها هذا ما كان من امر الملكة بدور واما ماكان من امر ابيها الملك الغيور فانه لما رأى ماجرى على ابنته الست بدور ضاقت عليه الدنيا لانه كان يحبّها وماهان عليه امرها فعند ذلك احضر الحكماء والمنجمين واصحاب الاقلام وقال لهم كل من ابرأ بنتي مماهي فيه زوجته بها واعطيته نصف مملكتي ومن تقدم اليها ولم يبرئهـــا اضرب عنقه واعلق رأسه على باب قصرها فصار كل من دخل عليها ولم يبرئها يضرب عنقـــه ويعلق رأسه على باب القصر الى ان قطع من اجلهـــا اربعين راس رجل من الحكماء وصلب اربعين رجلا من المنجّمين فتوقفت جميع الناس عنهـــا وعجزت جميع الحكماء عن دوائها واشكلت حكايتهـــا على اهل العلوم وارباب الاقلام ثم ان الست بدور لما زاد بها الوجد والغرام واضرّبها العشق والهيام اجرت العبرات وانشدت هذه الابـــــــيـــــــات

غَرَامِي فِيكَ يَا قَمَرِي غَرِيمِي ... وَذِكْرُكَ فِي دُجَى لَيْلِي نَدِيمِي
أَبِيتُ وَأَضْلُعِي فِيهَا لَهِيبٌ ... يُحَاكِي حَرُّهُ نَارَ الْجَحِيمِ
بُلِيتُ بِفَرْطِ وَجْدٍ وَاحْتِرَاقٍ ... عَذَابِي مِنْهُمَا أَضْحَى أَلِيمِي

ثم انها تاوّهت وانشدت ايضا تقـــــــــــــــول

Digitized by Google

فقالت لهاايتها العجوز النحس اين معشوقي الشاب المليح الذي كان نائما هذه الليلة في حضني فاخبريني اين راح فلما سمعت منها القهرمانة هذا الكلام صار الضياء في وجهها ظلاما وخافت من باسها خوفا عظيما وقالت ياستي بدوراي شيء هذا الكلام القبيح فقالت الست بدور ويلك يا عجوز النحس اين معشوقي الشاب المليح صاحب الوجه الصبيح والقد الرجيح والعيون السود والحواجب المقرونة الذي كان بائتا عندي في هذه الليلة من العشاء الى قرب طلوع الفجر فقالت والله ما رأيت شابا ولا غيره فبالله ياسيدتي لا تمزحي هذا المزاح الخارج عن الحد فتروح ارواحنا وربّما يبلغ اباك هذا المزاح فمن كان يخلصنا من يده وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والتسعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان القهرمانة قالت للسيدة بدور بالله عليك ياسيدتي لاتمزحي هذا المزاح الخارج عن الحد فانه ربّما يبلغ اباك هذا المزاح فمن يخلصنا من يده فقالت لها الملكة بدور انه كان غلام بائتا عندي في هذه الليلة وهو من احسن الناس وجها فقالت لها القهرمانة سلامة عقلك ما كان احد بائتا عندك في هذه الليلة فعند ذلك نظرت بدور الى يدها فوجدت خاتم قمرالزمان في اصبعها ولم تجد خاتمها فقالت للقهرمانة ويلك يا ملعونة يا خائنة اتكذبين عليّ وتقولين ما كان احد بائتا عندي وتحلفين لي بالله باطلا فقالت القهرمانة والله ماكذبت عليك ولا حلفت باطلا فاغتاظت منها الست بدور وسحبت سيفا كان عندها وضربت به القهرمانة فقتلها فعند ذلك صاح الخادم والجواري والسراري عليها

Digitized by Google

وساعته وامر بتحويل ولده من ذلك المكان الى القصر الذي في السراية المطل على البحر وهذا القصر كان في وسط البحر يمشون اليه على ممشاة عرضها عشرون ذراعا وبدائر القصر شبابيك مطلة على البحر وارضه مفروشة بالرخام الملون وسقفه مذهون بانواع الدهانات وافخرها ومنقوش بالذهب واللازورد ففرشوا لقمرالزمان فيه الفراش الحرير الفاخر والبسط المطرز والبسوا حيطانه خاص الديباج وارخوا عليه الستارات المكللة بالجواهر واجلسوا فيه قمر الزمان على سرير من العرعر مكلل بالدّر والجوهر فجلس قمر الزمان عليه الّا انه من شدة اشتغاله بالصبيّة وعشقه لها تغير لونه ونحل جسمه وصار لا يأكل ولا يشرب ولا ينام وصار كالمريض الذي له عشرون سنة مريضا فجلس والده عند رأسه وحزن عليه حزنا عظيما وصار الملك في كل يوم اثنين ويوم خميس يأذن بدخول الامراء والحجّاب والنوّاب وارباب الدولة والعساكر والرعية في ذلك القصر فيدخلون عليه ويؤدّون وظائف الخدمة ويقيمون عنده الى آخر النهار ثم ينصرفون الى حال سبيلهم ثم يدخل الملك عند ولده في ذلك المكان ولا يفارقه ليلا ولا نهارا ولم يزل على تلك الحالة مدة ايام وليالي من الزمان هذا ما كان من امر قمر الزمان بن الملك شهرمان واما ما كان من امر الملكة بدور بنت الملك الغيور صاحب الجزائر والسبعة قصور فان الجن لما حملوها ووضعوها في فراشها لم تزل نائمة الى ان طلع الفجر فانتبهت من منامها وجلست على حيلها والتفتت يمينا وشمالا فلم تر الشابّ الذي كان في حضنها فرجف فؤادها وزال عقلها وصرخت صرخة عظيمة فاستيقظ جميع جواريها والدايات والقهرمانات ودخلن عليها فتقدمت اليها كبيرتهن وقالت لها ياسيدتي ما الذي اصابك

Digitized by Google

إِذَا مَا اشْتَهَى الْخَلْخَالُ تَقْبِيلَ قُرْطِهَا ... بَدَتْ لِعُيُونِ الْوَصْلِ مِنْهَا الضَّمَائِرُ
وَلِي عَاذِلٌ فِي حُبِّهَا غَيْرُ عَاذِرٍ ... وَمَا تَنْفَعُ الْأَبْصَارُ لَوْلَا الْبَصَائِرُ
عَذُولِي لَحَاكَ اللهُ مَا أَنْتَ مُنْصِفٌ ... فَعَنْ حُسْنِ هَذَا الظَّبْيِ تُثْنَى النَّوَاظِرُ

فلما فرغ من شعره قال الوزير للملك يا ملك العصر والاوان الى متى انت تقعد عند ولدك وانت محجوب عن العساكر فربّما ينفسد عليك نظام مملكتك بسبب بعدك عن ارباب دولتك والعاقل اذا كان بجسمه جراحات مختلفات فليداوي الاخطر منها والرأي عندي ان تنقل ولدك من هذا المكان الى القصر الذي في السراية المطل على البحر وتنقطع عند ولدك فيه وتجعل للديوان والموكب في كل جمعة يومين يوم الخميس ويوم الاثنين فيدخل عليك فيهما الامراء والوزراء والحجّاب والنوّاب وارباب الدولة وخواص المملكة وبقية العسكر والرعية ويعرضون عليك احوالهم فتقضي لهم حوائجهم واحكم بينهم وخذ واعط معهم وأمر وانهِ بينهم وبقية الجمعة تكون عند ولدك قمر الزمان ولم تزل على تلك الحالة حتى يفرج الله عنك وعنه ولاتأمن ايها الملك من نوائب الزمان وطوارق الحدثان فان العاقل دائما محاذر وما احسن قول الشاعر

حَسَّنْتَ ظَنَّكَ بِالْأَيَّامِ إِذْ حَسُنَتْ ... وَلَمْ تَخَفْ سُوءَ مَا يَأْتِي بِهِ الْقَدَرُ
وَسَالَمَتْكَ اللَّيَالِي فَاغْتَرَرْتَ بِهَا ... وَعِنْدَ صَفْوِ اللَّيَالِي يَحْدُثُ الْكَدَرُ
يَا مَعْشَرَ النَّاسِ مَنْ كَانَ الزَّمَانُ لَهُ ... مُسَاعِدًا فَلْيَكُنْ مِنْ رَأْيِهِ الْحَذَرُ

فلما سمع السلطان من الوزير هذا الكلام رآه صوابا ونصيحة له في مصلحته فاثر عنده وخاف ان ينفسد عليه نظام الملك فنهض من وقته

Digitized by Google

و يأتيك بالفرج العظيم فان بعض الشعراء قـــــــــال

عَسَى وَلَعَلَّ الدَّهْرُ يَلْوِي عِنَانَهُ ... وَيَأْتِي بِخَيْـــرٍ فَالزَّمَانُ غَيُورُ
وَتُسْعِدُ آمَالِي وَتَقْضِي حَوَائِجِي ... وَتَحْدِثُ مِنْ بَعْدِ الْأُمُورِ أُمُورُ

فيا ولدي اني تحققت في هذه الساعة ان مابك جنون و لكن قصتك غريبة لا يجلّيها عنك الا الله تعالى فقال له قمر الزمان بالله يا والدي انك تفعل معي جميلا وتفحص لي عن هذه الصبيّة وتعجّل بقدومها و الامتُّ كمدا لم يدر بموتي احد ثم ان قمر الزمان اظهر الوجد والتفت الى ابيه و انشد هذين البيـــــتيـــــن

إِنْ كَانَ وَعْدُكُمُ بِالْوَصْلِ تَزْوِيرُ ... فَفِي الْكَرَى وَاصِلُوا الْمُشْتَاقَ أَوْ زُورُوا
قَالُوا وَكَيْفَ يَزُورُ الطَّيْفُ جَفْنَ فَتًى ... مَنَامُهُ عَنْهُ مَمْنُوعٌ وَمَهْجُورُ

ثم ان قمر الزمان بعد انشاد هذه الاشعار التفت الى ابيه بخضوع وانكسار وافاض العبرات وانشد هذه الابيات و ادرك شهرزاد الصبـــاح فسكتت عن الكـــلام المـــــــــبـــــــاح

فلما كانت الليلة الثانية والتسعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان لما انشد لابيـــه هذه الابيات بكى واشتكى و تاوّه من كبد مجروح وانشد ايضا هذه الابيات

خُذُوا حِذْرَكُمْ مِنْ طَرْفِهَا فَهُوَ سَاحِرُ ... وَلَيْسَ بِنَاجٍ مَنْ رَمَتْهُ الْمَحَاجِرُ
وَلَا تَخْدَعُوا مِنْ رِقَّةٍ فِي كَلَامِهَا ... فَإِنَّ الْحُمَيَّا لِلْعُقُولِ تُخَامِرُ
مُنَعَّمَةٌ لَوْ لَامَسَ الْوَرْدُ خَدَّهَا ... بَكَتْ وَجَرَتْ مِنْ مُقْلَتَيْهِ الْمَوَاطِرُ
فَلَوْ فِي الْكَرَى مَرَّ النَّسِيمُ بِأَرْضِهَا ... سَرَى أَبَدًا مِنْ أَرْضِهَا وَهُوَ عَاطِرُ
قَلَائِدُهَا تَشْكُو رَنِينَ وِشَاحِهَا ... وَقَدْ خَرِسَتْ مِنْ مِعْصَمَيْهَا الْأَسَاوِرُ

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الحادية والتسعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان قمر الزمان قال لوالده انا اضرب لك مثلا يبيّن لك ان هذا كان فى اليقظة وهو اني اسألك هل اتفق لاحد انه رأى نفسه فى المنام يقاتل وقد قاتل قتالا شديدا وبعد ذلك استيقظ من منامه فوجد في يده سيفا ملوّثا بالدم فقال له والده لا والله يا ولدي لم يتّفق هذا فقال قمر الزمان لوالده انا اخبرك بما حصل لي وهو اني رأيت في هذه الليلة كأني استيقظت من منامي نصف الليل فوجدت بنتا نائمة بجانبي تدها كقدّي وشكلها كشكلي فعانقتها وقلبتها بيدي واخذتُ خاتمها ولبسته في اصبعي وقلعت خاتمي والبسته في اصبعها ونمت بجنبها وامتنعت عنها حياء منك وخوفا ان تكون انت ارسلتها تمتحنني بها وظننت انك مختفي في مكان لتنظر ما افعل بها واستحييت من اجل ذلك ان اقبّلها في فمها حياء منك وظننتُ انك ترغبني فى الزواج وبعد ذلك انتبهتُ من منامي في وجه الصبح فلم اجد للصبيّة اثرا ولا وقفت لها على خبر وجرى لي مع الخادم والوزير ماجرى فكيف يكون هذا الامر مناما وكذبا وامر الخاتم صحيح ولولا الخاتم كنت اظن انه منام وهذا خاتمها في خنصري فانظر ايها الملك الى الخاتم كم يساوي ثم ان قمر الزمان ناول الخاتم لابيه فاخذه وتامّله وقلّبه ثم التفت الى ولده وقال له ان لهذا الخاتم نبأ عظيما وخبرا جسيما وان الذي اتفق لك في هذه الليلة مع تلك الصبيّة امر مشكل ولا اعلم من اين دخل علينا هذا الدخيل وما سبب هذه الفتنة كلها الا الوزير فبالله عليك يا ولدي اصبر حتى يفرج الله عنك هذه الكربة

Digitized by Google

التى كانت نائمة عندي في هذه الليلة فاني اتحقق انك انت الذي ارسلتها اليّ و شوّقتني اليها و بعد ذلك ارسلت اليها قبل الصبح و اخذتها من عندي فقال الملك اسم الله حوالَيك يا ولدي سلامة عقلك من الجنون وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للتسعين بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك شهرمان قال لولده قمر الزمان اسم الله حواليك يا ولدي سلامة عقلك من الجنون فايّ شيء هذه الصبيّة التي تزعم اني ارسلتها اليك في هذه الليلة ثم ارسلت آخذها من عندك قبل الصباح فوالله يا ولدي ليس لي علم بهذا الامر فبالله عليك ان تخبرني هل ذلك اضغاث احلام او تخيلات طعام فانك بتّ في هذه الليلة وانت مشغول الخاطر بالزواج وموسوس بذكره فلعن الله الزواج وساعته ولعن من اشاربه ولا شكّ ولا ريب انك متكدّر المزاج من جهة الزواج فرأيتَ فى المنام ان صبيّة مليحة تعانقك وانت تعتقد في نفسك انك رأيتها فى اليقظة وهذا كلّه يا ولدي اضغاث احلام فقال له قمر الزمان دع عنك هذا الكلام واحلف لي بالله الخالق العلّام قاصم الجبابرة ومبيد الاكاسرة انه لم يكن عندك خبر بالصبيّة ومحلّها فقال له الملك وحق الله العظيم الّه موسى و ابراهيم انه لم يكن لي علم بذلك ولا عندي منه خبر وانما ذلك اضغاث احلام رأيته انت فى المنام فقال قمر الزمان لوالده انا اضرب لك مثلا يبيّن لك ان هذا كان فى اليقظة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

Digitized by Google

اَنَا تَائِبٌ عَمَّا جَنَيْتُ وَعَفْوُكُمْ يَسَعُ الْمُسِيْءَ اِذَا اَتَى مُسْتَغْفِرًا

فعند ذلك قام الملك وعانق ولده قمر الزمان وقبّله بين عينيه واجلسه الى جانبه فوق السرير والتفت الى الوزير ونظر اليه بعين الغضب وقال له يا كلب الوزراء كيف تقول على ولدي قمر الزمان ما هو كذا وكذا وترعب قلبي عليه ثم التفت الملك الى ولده وقال له يا ولدي ما اسم هذا اليوم فقال له يا والدي هذا يوم السبت وغدا يوم الاحد وبعده يوم الاثنين وبعده الثلثاء وبعده الاربعاء وبعده الخميس وبعده الجمعة فقال له الملك يا ولدي يا قمرالزمان الحمد لله على سلامة عقلك ما اسم هذا الشهر الذي علينا بالعربي فقال اسمه ذوالقعدة ويليه ذوالحجة وبعده المحرّم وبعده صفر وبعده شهر ربيع الاول وبعده شهر ربيع الآخر وبعده جمادي الاولى وبعده جمادي الاخرى وبعده رجب وبعده شعبان وبعده رمضان وبعده شوال ففرح بذلك الملك فرحا شديدا وبصق في وجه الوزير وقال له يا شيخ السوء كيف تزعم ان ولدي قدجنّ والحال انه ماجنّ الا انت فعند ذلك حرّك الوزير برأسه واراد ان يتكلم ثم خطربباله ان يتمهّل قليلا لينظر ما ذا يكون ثم ان الملك قال لولده يا ولدي اي شيء هذا الكلام الذي تكلّمت به للخادم والوزير حيث قلت لهما اني كنت نائما مع صبيّة مليحة في هذه الليلة فما شان هذه الصبيّة التي ذكرتها فضحك قمرالزمان من كلام ابيه وقال له يا ابي اعلم انه ما بقي لي قوة تتحمل السخرية فلا تزيدوا عليّ شيأ ولا بكلمة واحدة فقد ضاق خلقي مما تفعلونه معي واعلم يا ابي علما يقينا اني قد رضيت بالزواج ولكن بشرط ان تزوّجني تلك الصبية

Digitized by Google

فلما كانت الليلة التاسعة والثمانون بعد المائة

قالت بلغني ايهـــا الملك السعيدان الوزير خرج من البرج ولم يزل يجري الى ان دخل على الملك شهرمان فلمـــا وصل اليـــه قال له الملك ايها الوزير ما الذي دهاك و من الذي بشرّه رماك و مالي اراك في ارتباك حتى جئت مروعوبا فقال له ايها الملك اني قد جئتك ببشارة فقال له الملك و ما هي قال له اعلم ان ولدك قمرالزمان ذهب عقله و حصل له جنون فلما سمع الملك كلام الوزير صار الضياء في وجهـــه ظلاما وقال له ايها الوزير اوضح لي صفة جنونه قال له ياسيّدي سمعا وطاعة ثم اعلمه انه قد جرى منه كذا وكذا و اخبره بمـــا تمّ له معه فقال له الملك ابشر ايهـــا الوزير فاني اعطيك في نظير بشارتك اياّي بجنون ولدي ضرب رقبتك وزوال النعمة عنك يا انحس الوزراء و انجس الامراء لاني اعلم انك سبب جنون ولدي بمشورتك ورأيك الفاسد التعيس الذي اشرت به عليّ في الاول و الآخر و الله ان كان ياتي على ولدي شيءٌ من الضرر او الجنون لاسمرّنك على القبة و اذيقك النكبـــة ثم ان الملك نهض قائمـــا على اقدامه و اتى به الى البرج ودخل فيـــه على قمرالزمان فلما وصلا اليه وثب قمرالزمان على الاقدام و نزل سريعا من فوق السرير الذي هو جالس عليه و قبـــل يدي والده وتأخر وراءه و اطرق برأسه الى الارض وهو مكتف اليدين الى ورائه قدام ابيه و لم يزل كذلك ساعة زمانية و بعد ذلك رفع رأسه الى والده و فرت الدموع من عينيه و سالت على خدّيه و انشد يقـــول

إِنْ كُنْتُ قَدْ اَذْنَبْتُ ذَنْبًا سَالِفًا ... فِي حَقِّكُمْ وَاَتَيْتُ شَيْئًا مُنْكَرًا

Digitized by Google

واخلص نفسي انا الآخر بكذبة والاّ يهلكني فها انا اكذب واخلص نفسي منه فانه مجنون لاشكّ في جنونه ثم ان الوزير التفت الى قمر الزمان وقال له يا سيدى لا تؤاخذني فان والدك قداوصاني اني اكتم عنك خبر هذه الصبيّة وانا الآن عجزت وكلّيت وتالّمت من الضرب لاني رجل كبير وليس لي جلد ولاقوة على تحمل الضرب فتمهّل عليّ قليلا حتى أحدثك واخبرك بقصة الصبية فعند ماسمع منه ذلك بطل عنه الضرب وقال له لاي شيء لم تخبرني بخبر تلك الصبيّة الاّ بعد الاهانة والضرب فقم يا ايها الشيخ النحس واحكِ لي عن خبرها فقال له الوزير هل انت تسأل عن تلك الصبية صاحبة الوجه المليح والقد الرجيح فقال له قمر الزمان نعم اخبرني ايها الوزير من الذي اتى بها اليّ وانا مها بجانبي ومن الذي اخذها من جانبي في الليل واين ذهبت هي في هذه الساعة حتى اروح انا اليها بنفسي فان كان ابي الملك شهرمان فعل معي هذه الفعال وامتحنني بتلك الصبيّة المليحة من اجل زواجها فانا رضيتُ ان اتزوج بها واريح نفسي من هذا فانه مافعل معي هذا الا مركّله الاّ من اجل امتناعي من الزواج فها انا رضيت بالزواج ثم رضيت بالزواج فاعلم والدي بذلك ايها الوزير واشر اليه ان يزوجني بتلك الصبيّة فاني لااريد سواها وقلبي لايحبّ الاّ اياها فقم واسرع الى ابي واشر اليه بتعجيل زواجي ثم عد اليّ بالجواب في هذه الساعة فقال له الوزير نعم وما صدق انه يخلص من يديه ثم قام من عنده وخرج من البرج هو يمشي ويعثر من شدة الخوف والفزع ولم يزل يجري الى ان دخل على الملك شهرمان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

Digitized by Google

في هذه الليلة احدا وقد نمتَ وحدك والباب مقفول عليك والخادم نائم من خلف الباب وما اتى اليك صبيّة ولا غيرها فثبّت عقلك وارجع اليه ياسيدي ولا تشغل خاطرك فقال له قمر الزمان وقد اغتاظ من كلامه ايها الوزير ان تلك الصبيّة معشوقتي وهي المليحة صاحبة العيون السود والخدود الحمر التي عانقتها في هذه الليلة بطولها فتعجب الوزير من كلام قمر الزمان وقال له هل انت رأيت تلك الصبية في هذه الليلة بعينك في اليقظة ام في المنام فقال له قمر الزمان يا ايها الشيخ النحس اتظنّ اني رأيتها باذني انما رأيتها بعيوني في اليقظة وقبلتها بيدي وسهرت معها نصف ليلة كاملة وانا اتفرج على حسنها وجمالها وظرفها ودلالها وانما انتم قد علّمتموها واوصيتموها انها لا تكلمني فجعلت روحها نائمة فنمت بجانبها الى الصباح فتنبّهت من منامي فلم اجدها فقال له الوزير ياسيدي قمر الزمان ربما تكون انت رأيت هذا الامر في المنام فيكون اضغاث احلام او تخيلات من اكل مختلف الطعام او وسوسة من الشياطين اللئام فقال له قمر الزمان يا ايها الشيخ النحس كيف تهزأ بي انت الآخر وتقول لي لعلّ هذا اضغاث احلام مع ان هذا الخادم كان قد قرّ لي بتلك الصبيّة وقال لي في هذه الساعة اعود اليك واخبرك بقصّتها ثم ان قمر الزمان قام من وقته وساعته وتقدّم الى الوزير وقبض لحيته في يده وكانت لحيته طويلة فاخذها قمر الزمان ولفّها على يده وجذبه منها فرماه من فوق السرير والقاه على الارض فحسّ الوزير ان روحه طلعت من شدة نتف لحيته ولا زال قمر الزمان يرفس الوزير برجليه ويلكمه في صدره وعلى اضلاعه ويصفعه على قفاه بيديه حتى كاد ان يهلكه فقال الوزير في نفسه اذا كان العبد الخادم خلص نفسه من هذا الصبي المجنون بكذبه فانا اولى بذلك منه

Digitized by Google

قمر الزمان فوجده جالسا على السرير يقرأ القرآن فسلّم عليه الوزير وجلس الى جانبه وقال له ياسيّدي ان هذا الخادم السوء اخبرنا بخبر شوّش علينا وازعجنا فاغتاظ الملك من ذلك فقال له قمر الزمان وما الذي قال لكم عنّي حتى شوّش علي ابي وفي الحقيقة هو ما شوّش الّا عليّ فقال له الوزير انه جاء الينا بحالة منكرة وقال لو الدك قولا حاشاك منه وكذب علينا هذا العبد بما لاينبغي ان يذكر في شأنك فسلامة شبابك وسلامة عقلك الرجيح ولسانك الفصيح وحاشا ان يظهر منك قبيح فقال له قمر الزمان ايّها الوزير فايّ شيء قاله هذا العبد النحس عنّي فقال له الوزير انه اخبرنا انّ عقلك ذهب وقلت له انه كان عندك صبيّة في الليلة الماضية وكلّفته انه يخبرك اين ذهبت وعذّبته على ذلك فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام اغتاظ غيظا شديدا وقال للوزير تبيّن لي انكم علّمتم الخادم الفعل الذي صدر منه وادرك فهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــاح

فلما كانت الليلة الثامنة والثمانون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان قمر الزمان لما سمع كلام الوزير اغتاظ غيظا شديدا ثم قال للوزير تبيّن لي انكم علّمتم الخادم الفعل الذي صدر منه ومنعتموه من ان يخبرني بامر الصبيّة التي كانت نائمة عندي في هذه الليلة وانت ايّها الوزير اعقل من الخادم فاخبرني في هذه الساعة اين ذهبت الصبيّة التي كانت نائمة في حضني تلك الليلة فانتم الذين ارسلتموها عندي وامرتموها ان تنام في حضني ونمت وايّاها الى الصباح فلما انتبهت ما وجدتها فاين هي الآن فقال له الوزير ياسيدي قمر الزمان اسم الله حوالَيك والله ما ارسلنالك

Digitized by Google

وانشرها في الشمس والبس غيرها ثم احضر اليك سريعا واخبرك بالخبر الصحيح فقال له قمر الزمان ياعبد السوء لولا انك عاينت الموت ما اقررت بالحق وما قلت ذلك فاخرج لقضاء اغراضك وعد اليّ سريعا واخبرني على الصحيح فعند ذلك خرج العبد وهو لا يصدق بالنجاة ولم يزل يجري ويقع ويقوم الى ان دخل على الملك شهرمان ابي قمر الزمان فرأه جالسا والوزير بجانبه وهما يتحدّثان في امر قمر الزمان والملك يقول للوزير اني لم انم هذه الليلة من اشتغال قلبي على ولدي قمر الزمان واني اخاف ان يحصل له ضرر في هذا البرج العتيق واي شيء كان في سجنه من المصلحة فقال له الوزير لا تخف عليه والله لا يصيبه شيء ابدا فاتركه مسجونا شهر زمان حتى تلين عريكته وتنكسر نفسه ويهدي خلقه فبينما هما في الكلام واذا بالخادم دخل عليهما وهو في تلك الحالة فانزعج الملك منه فقال له الخادم يا مولانا السلطان ان ولدك طار عقله وصار مجنونا وقد فعل بي كذا وكذا حتى صرت كما تراني وهو يقول لي ان صبية باتت عندي في هذه الليلة وذهبت بخفية فاين هي ويكلفني اني اخبره لها وبمن اخذها وانا لا رأيت صبية ولا صبيا والباب طول الليل مغلوق وانا نائم على بابه والمفتاح تحت رأسي وفتحت له في الصبح بيدي فلما سمع الملك شهرمان هذا الكلام عن ولده قمر الزمان صرخ قائلا واولداه وغضب على الوزير الذي كان سببا في هذه الامور غضبا شديدا وقال له قم اكشف لي خبر ولدي وانظر ما جرى في عقله فقام الوزير وخرج وهو يتعثر في اذياله من خوفه من سطوة الملك وراح مع الخادم الى البرج وكانت الشمس قد طلعت فدخل الوزير على

Digitized by Google

ما رأيت صبية ولا صبيا فغضب قمر الزمان من كلام الخادم و قال له يا ملعون ان ابي علّمــك المكر فتعال عندي فتقدّم الخــادم الى قمر الزمان فمسك قمر الزمان باطواقه و ضرب به الارض فضرط ثم بزك عليه قمر الزمان ورفصه برجله و خنقه حتى غشي عليه وشا له بعد ذلك وربطه في سلبة البئر و ادلاه الى ان وصل الى المــاء وارخاه وكانت تلك الايام ايام بردوشتاء قاطع فغطس الخــادم فى المــاء ثم نشله قمر الزمان وارخاه ثانيا ولازال يغطس ذلك الخادم فى الماء و ينشله منه والخادم يستغيث ويصرخ ويصيح وقمر الزمان يقول له والله يا ملعون ما اطلعــك من هذه البئر حتى تعلمني و تخبرني بخبر هذه الصبيّة وقضيّتها ومن الذي اخذها وانا نائم وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المــــــــــــــباح

فلما كانت الليلة السابعة والثمانون بعد المائة

قالت بلغني ايهــا الملك السعيدان قمر الزمان قال للخادم والله ما اطلعك من هذه البئر حتى تخبرني بخبــر هذه الصبية ومن الذي اخذها وانا نائم فقال له بعد ماعاين الموت ياسيدي اطلقني وانا احكي لك على الصحيح واخبرك بالخبر فعند ذلك جذبه من البئر واطلعه وهو غائب عن الوجود من شدة ما قاساه من البرد والعذاب والغطاس والخوف من الغرق والضرب وصار يرتعد مثــل القصبة فى الريح العاصف واشتبكت اسنانه في بعضها وابتلت ثيابه وتلوث بدنه وتشطب من حيطان البئر وصار في حالة شنيعــة فعند ذلك صعب على قمر الزمان لما رآه في تلك الحالة فلما راى الخادم نفســه على وجه الارض قال له ياسيدي دعني اروح و اقلع ثيابي واعصرها

Digitized by Google

ولكني عفوت عنك ثم كتبت له وثيقة انه اعتقها والتفتت الى قشقش وقالت له ادخل مع دهنش واحمل معشوقته وما عنده على وصولها الى مكانها لان الليل قد مضى ولم يبق منه الا قليلا فقال سمعا وطاعة ثم تقدم قشقش ودهنش الى الملكة بدور ودخلا تحتها وحملاها وطارا بها واوصلاها الى مكانها وارقداها في فراشها واختلت ميمونة بالنظر الى قمر الزمان وهو نائم حتى لم يبق من الليل الا القليل ثم توجهت الى حال سبيلها فلما انشق الفجر انتبه قمر الزمان من منامه فالتفت يمينا وشمالا فلم يجد الصبية عنده فقال في نفسه ما هذا الامر كأنّ ابي يرغبني في الزواج بالصبية التي كانت عندي ثم اخذها سرّاً لاجل ان تزداد رغبتي في الزواج ثم انه صرخ على الخادم الذي هو نائم على الباب وقال له ويلك يا ملعون قم على حيلك فقام الخادم وهو طائش العقل من النوم وقدم الطشت والابريق فقام قمر الزمان ودخل المستراح وقضى حاجته وخرج فتوضأ وصلّى الصبح وجلس يسبّح الله تعالى ثم نظر الى الخادم فوجده واقفا في خدمته بين يديه فقال له ويلك يا صواب من جاء هنا واخذ الصبيّة من جنبي وانا نائم فقال له الخادم ياسيدي اي شيء الصبيّة فقال قمر الزمان الصبية التي كانت نائمة عندي في هذه الليلة فانزعج الخادم من كلامه وقال له والله ما كان عندك صبية ولا غيرها ومن اين دخلت الصبية وانا نائم على الباب وهو مقفول والله ياسيدي ما دخل عليك ذكر ولا انثى فقال له قمر الزمان تكذب ياعبد النحس وهل وصل من قدرك انت الآخر انك تخادعني ولا تخبرني اين ذهبت الصبية التي كانت نائمة عندي في هذه الليلة ولم تخبرني بالذي اخذها من عندي فقال الطواشي وقد انزعج منه والله ياسيدي

Digitized by Google

جوارحها وقالت لقمر الزمان يا سيدي كلّمني يا حبيبي حدّثني يا معشوقي ردّ عليّ الجواب وقل لي ما اسمك فانك قد سلبت عقلي كل ذلك وقمر الزمان مستغرق في النوم ولم يرد عليها بكلمة فتأوهت الملكة بدور وقالت له يوه يوه مالك معجبا بنفسك ثم هزّته وقلّبت يده فرأت خاتمها في اصبعه الخنصر فشهقت شهقة واتبغتها بغنجة وقالت اوّاه اوّاه والله انت حبيبي وتحبني ولكن كانك تعرض عنّي دلالا مع انك يا حبيبي جئتني وانا نائمة وما اعرف ما فعلت معي واخذت خاتمي ولكن ما انا قالعة خاتمي من اصبعك ثم فتحت جيب قميصه ومالت عليه فقبلته ومدت يدها اليه تفتّشه لاجل ان ترى معه شيأ تاخذه فلم تجد شيأ فنزلت بيدها الى صدرها فزلقت يدها من نعومة جسمه الى بطنه فنزلت الى سرته فسقطت يدها على ايره فانصدع قلبها وارتجف فؤادها وهاجت عليها الشهوة لان شهوة النساء اقوى من شهوة الرجال فخجلت ثم نزعت خاتمه من اصبعه ووضعته في اصبعها عوضا عن خاتمها وقبّلته في ثغره وقبلت كفّيه ولم تترك فيه موضعا الا قبّلته ثم بعد ذلك تقدّمت اليه واخذته في حضنها وعانقته ووضعت احدى يديها تحت رقبته والاخرى من تحت ابطه واعتنقته ونامت بجانبه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثمانون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملكة بدور لما نامت بجانب قمر الزمان وجرى منها ما جرى قالت ميمونة لدهنش هل رأيت يا ملعون كيف فعل معشوقي من التيه والدلال وكيف فعلت معشوقتك من الوله بمعشوقي ولا شك ان معشوقي احسن من معشوقتك

Digitized by Google

أَتَرْضَى بِأَنْ أَمْسَى أَسِيرَ أَسِيرَةٍ مُحَصَّنَةٍ أَوْمِنْ وَرَاءِ جِدَارِ

ثم ان الملكة بدور لما رأت قمر الزمان اخذها الهيام والوجد والغرام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثمانون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملكة بدور لما رأت قمر الزمان اخذها الهيام والوجد والغرام وقالت في نفسها وافضيحتاه ان هذ الشاب غريب لا اعرفه ماباله راقدا بجنبي في فراش واحد ثم نظرت اليه ثاني مرة وتأمّلت حسنه وجماله فقالت والله انه شاب مليح الا ان كبدي تكاد ان تتمزق وجدا عليه فيا فضيحتي منه والله لوعلمت ان هذا الشاب هوالذي خطبني من ابي ما رددته بل كنت اتزوّجه واتملّى بجماله ثم نظرت الى وجهه وقالت يا سيدي ونور عيني انتبه من النوم وتمتّع بحسني وجمالي ثم حركته بيدها فارخت عليه ميمونة الجنية النوم وثقلت على رأسه بجناحها فلم يستيقظ قمر الزمان فصارت الملكة بدور تهزّه بيدها وتقول له بحيوتي عليك ان تطيعني فانتبه من منامك وانظر الى النرجس والخضرة وتمتع ببطني والسرة وهارشني وانا عشقني من هذا الوقت الى بكرة بالله عليك قم يا سيدي واتكئ على المخدّة ولا تنم فلم يرد عليها قمر الزمان جوابا بل خط في النوم فقالت يوه يوه انت تغترّ بحسنك وجمالك وظرفك ودلالك فكما انت مليح انا الاخرى ايضا مليحة فما هذا الذي تفعله هل هم علّموك الصدّ عنّي او ابي الشيخ النحس علّمك ومنعك وحلّفك انك لاتكلمني هذه الليلة فما فتح قمر الزمان فم ولا انتبه فازدادت فيه محبة والقى الله محبته في قلبها ونظرته نظرة اعقبتها الف حسرة فخفق فؤادها وتقلقلت أحشاؤها واضطربت

Digitized by Google

قمر الزمان فرجده جالسا على السرير يقرأ القرآن فسلّم عليه الوزير وجلس الى جانبه وقال له ياسيّدي ان هذا الخادم السوء اخبرنا بخبر شوّش علينا وازعجنا فاغتاظ الملك من ذلك فقال له قمر الزمان وما الذي قال لكم عنّي حتى شوّش علي ابي وفي الحقيقة هو ما شوّش الّا عليّ فقال له الوزير انه جاء الينا بحالة منكرة وقال لوالدك قولا حاشاك منه وكذب علينا هذا العبد بما لاينبغي ان يذكر في شأنك فسلامة شبابك وسلامة عقلك الرجيح ولسانك الفصيح وحاشا ان يظهر منك قبيح فقال له قمر الزمان ايّها الوزير فايّ شيء قاله هذا العبد النحس عنّي فقال له الوزير انه اخبرنا انّ عقلك ذهب وقلت له انه كان عندك صبيّة في الليلة الماضية وكلّفته انه يخبرك اين ذهبت وعذّبته على ذلك فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام اغتاظ غيظا شديدا وقال للوزير تبيّن لي انكم علّمتم الخادم الفعل الذي صدر منه وادرك فهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثمانون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان لما سمع كلام الوزير اغتاظ غيظا شديدا ثم قال للوزير تبيّن لي انكم علّمتم الخادم الفعل الذي صدر منه ومنعتموه من ان يخبرني بامر الصبيّة التي كانت نائمة عندي في هذه الليلة وانت ايّها الوزير اعقل من الخادم فاخبرني في هذه الساعة اين ذهبت الصبيّة التي كانت نائمة في حضني تلك الليلة فانتم الذين ارسلتموها عندي وامرتموها ان تنام في حضني ونمت واياها الى الصباح فلما انتبهت ما وجدتها فاين هي الآن فقال له الوزير ياسيدي قمر الزمان اسم الله حوالَيك والله ما ارسلنا لك

Digitized by Google

وانشرها في الشمس والبس غيرها ثم احضر اليك سريعا واخبرك بالخبر الصحيح فقال له قمر الزمان ياعبد السوء لولا انك عاينت الموت ما اقررت بالحق وما قلت ذلك فاخرج لقضاء اغراضك وعد اليّ سريعا واخبرني على الصحيح فعند ذلك خرج العبد وهو لا يصدق بالنجاة ولم يزل يجري ويقع ويقوم الى ان دخل على الملك شهرمان ابي قمر الزمان فرأه جالسا والوزير بجانبه وهما يتحدّثان في امر قمر الزمان والملك يقول للوزير اني لم انم هذه الليلة من اشتغال قلبي على ولدي قمر الزمان واني اخاف ان يحصل له ضرر في هذا البرج العتيق واي شيء كان في سجنه من المصلحة فقال له الوزير لا تخف عليه والله لا يصيبه شيء ابدا فاتركه مسجونا شهر زمان حتى تلين عريكته وتنكسر نفسه ويهدي خلقه فبينما هما في الكلام واذا بالخادم دخل عليهما وهو في تلك الحالة فانزعج الملك منه فقال له الخادم يا مولانا السلطان ان ولدك طار عقله وصار مجنونا وقد فعل بي كذا وكذا حتى صرت كما تراني وهو يقول لي ان صبية باتت عندي في هذه الليلة وذهبت بخفية فاين هي ويكلفني اني اخبره لها وبمن اخذها وانا لا رأيت صبية ولا صبيا والباب طول الليل مغلوق وانا نائم على بابه والمفتاح تحت رأسي وفتحت له في الصبح بيدي فلما سمع الملك شهرمان هذا الكلام عن ولده قمر الزمان صرخ قائلا واولداه وغضب على الوزير الذي كان سببا في هذه الامور غضبا شديدا وقال له قم اكشف لي خبر ولدي وانظر ما جرى في عقله فقام الوزير وخرج وهو يتعثر في اذياله من خوفه من سطوة الملك وراح مع الخادم الى البرج وكانت الشمس قد طلعت فدخل الوزير على

Digitized by Google

مارأيت صبية ولا صبيا فغضب قمر الزمان من كلام الخادم و قال له يا ملعون ان ابي علّمـــك المكر فتعال عندي فتقدّم الخـــادم الى قمر الزمان فمسك قمر الزمان باطواقه وضرب به الارض فضرط ثم بزك عليه قمر الزمان ورفصه برجله وخنقه حتى غشي عليه وشا له بعد ذلك وربطه في سلبة البئر وادلاه الى ان وصل الى المـــاء وارخاه وكانت تلك الايام ايام بردوشتاء قاطع فغطس الخـــادم فى المـــاء ثم نشله قمر الزمان وارخاه ثانيا ولازال يغطس ذلك الخادم فى الماء وينشله منه والخادم يستغيث ويصرخ ويصيح وقمر الزمان يقول له والله يا ملعون ما اطلعـــك من هذه البئر حتى تعلمني وتخبرني بخبر هذه الصبيّة وقضيّتها ومن الذي اخذها وانا نائم وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــــــــــــبـــــــــــاح

فلما كانت الليلة السابعة والثمانون بعد المائة

قالت بلغني ايهـــا الملك السعيدان قمر الزمان قال للخادم والله ما اطلعك من هذه البئر حتى تخبرني بخبـــر هذه الصبية ومن الذي اخذها وانا نائم فقال له بعد ماعاين الموت ياسيدي اطلقني وانا احكي لك على الصحيح واخبرك بالخبر فعند ذلك جذبه من البئر واطلعه وهو غائب عن الوجود من شدة ما قاساه من البرد والعذاب والغطاس والخوف من الغرق والضرب وصار يرتعد مثـــل القصبة فى الريح العاصف واشتبكت اسنانه في بعضها وابتلت ثيابه وتلوث بدنه وتشطب من حيطان البئر وصار في حالة شنيعـــة فعند ذلك صعب على قمر الزمان لما رآه في تلك الحالة فلما راى الخادم نفســـه على وجه الارض قال له ياسيدي دعني اروح و اتلع ثيابي واعصرها

Digitized by Google

ولكني عفوت عنك ثم كتبت له وثيقة انه اعتقها والتفتت الى قشقش وقالت له ادخل مع دهنش واحمل معشوقته وما عنده على وصولها الى مكانها لان الليل قد مضى ولم يبق منه الا قليلا فقال سمعا وطاعة ثم تقدم قشقش ودهنش الى الملكة بدور ودخلا تحتها وحملاها وطاراتها واوصلاها الى مكانها وارقداها في فراشها واختلت ميمونة بالنظر الى قمر الزمان وهو نائم حتى لم يبق من الليل الا القليل ثم توجهت الى حال سبيلها فلما انشق الفجر انتبه قمر الزمان من منامه فالتفت يمينا وشمالا فلم يجد الصبية عنده فقال في نفسه ما هذا الامر كأنّ ابي يرغبني في الزواج بالصبية التي كانت عندي ثم اخذها سرّاً لاجل ان تزداد رغبتي في الزواج ثم انه صرخ على الخادم الذي هو نائم على الباب وقال له ويلك يا ملعون قم على حيلك فقام الخادم وهو طائش العقل من النوم وقد الطشت والابريق فقام قمر الزمان ودخل المستراح وقضى حاجته وخرج فتوضّأ وصلّى الصبح وجلس يسبّح الله تعالى ثم نظر الى الخادم فوجده واقفا في خدمته بين يديه فقال له ويلك يا صواب من جاء هنا واخذ الصبيّة من جنبي وانا نائم فقال له الخادم ياسيدي اي شيء الصبيّة فقال قمر الزمان الصبية التي كانت نائمة عندي في هذه الليلة فانزعج الخادم من كلامه وقال له والله ما كان عندك صبية ولا غيرها ومن اين دخلت الصبية وانا نائم على الباب وهو مقفول والله ياسيدي ما دخل عليك ذكر ولا انثى فقال له قمر الزمان تكذب يا عبد النحس وهل وصل من قدرك انت الآخر انك تخادعني ولا تخبرني اين ذهبت الصبية التي كانت نائمة عندي في هذه الليلة ولم تخبرني بالذي اخذها من عندي فقال الطواشي وقد انزعج منه والله ياسيدي

Digitized by Google

جوارحها وقالت لقمر الزمان يا سيدي كلّمني يا حبيبي حدّثني يا معشوقي ردّ عليّ الجواب وقل لي ما اسمك فانك قد سلبت عقلي كل ذلك وقمر الزمان مستغرق في النوم ولم يرد عليها بكلمة فتأوهت الملكة بدور وقالت له يوه يوه مالك معجبا بنفسك ثم هزّته وقلّبت يده فرأت خاتمها في اصبعه الخنصر فشهقت شهقة واتبغتها بغنجة وقالت اوّاه اوّاه والله انت حبيبي وتحبني ولكن كانك تعرض عنّي دلالا مع انك يا حبيبي جئتني وانا نائمة وما اعرف ما فعلت معي واخذت خاتمي ولكن ما انا قالعة خاتمي من اصبعك ثم فتحت جيب قميصه ومالت عليه فقبلته ومدت يدها اليه تفتّشه لاجل ان ترى معه شيأ تاخذه فلم تجد شيأ فنزلت بيدها الى صدرها فزلقت يدها من نعومة جسمه الى بطنه فنزلت الى سرته فسقطت يدها على ايره فانصدع قلبها وارتجف فؤادها وهاجت عليها الشهوة لان شهوة النساء اقوى من شهوة الرجال فخجلت ثم نزعت خاتمه من اصبعه ووضعته في اصبعها عوضا عن خاتمها وقبّلته في ثغره وقبلت كفّيه ولم تترك فيه موضعا الا قبّلته ثم بعد ذلك تقدّمت اليه واخذته في حضنها وعانقته ووضعت احدى يديها تحت رقبته والاخرى من تحت ابطه واعتنقته ونامت بجانبه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثمانون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملكة بدور لما نامت بجانب قمر الزمان وجرى منها ما جرى قالت ميمونة لدهنش هل رأيت يا ملعون كيف فعل معشوقي من التيه والدلال وكيف فعلت معشوقتك من الوله بمعشوقي ولا شك ان معشوقي احسن من معشوقتك

Digitized by Google

أَتَرْضَى بِأَنْ أَمْسَى أَسِيرَ أَسِيرَةٍ مُحَصَّنَةٍ أَوْمِنْ وَرَاءِ جِدَارِ

ثم ان الملكة بدور لما رأت قمر الزمان اخذها الهيام والوجد والغرام و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثمانون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الملكة بدور لما رأت قمر الزمان اخذها الهيام والوجد والغرام وقالت في نفسها وافضيحتاه ان هذ اشاب غريب لا اعرفه ماباله راقدا بجنبي في فراش واحد ثم نظرت اليه ثاني مرة وتأمّلت حسنه وجماله فقالت والله انه شاب مليح الا ان كبدي تكاد ان تتمزق وجدا عليه فيا فضيحتي منه والله لوعلمت ان هذا الشاب هوالذي خطبني من ابي ما رددته بل كنت اتزوّجه واتملّى بجماله ثم نظرت الى وجهه وقالت يا سيدي ونور عيني انتبه من النوم وتمتّع بحسني وجمالي ثم حركته بيدها فارخت عليه ميمونة الجنية النوم وثقلت على رأسه بجناحها فلم يستيقظ قمر الزمان فصارت الملكة بدور تهزّه بيدها وتقول له بحيوتي عليك ان تطيعني فانتبه من منامك وانظر الى النرجس والخضرة وتمتع ببطني والسرة وهارشني ونا غشنى من هذا الوقت الى بكرة بالله عليك قم يا سيدي واتكئ على المخدّة ولا تنم فلم يرد عليها قمر الزمان جوابا بل خط في النوم فقالت يوه يوه انت تغترّ بحسنك وجمالك وظرفك ودلالك فكما انت مليح انا الاخرى ايضا مليحة فما هذا الذي تفعله هل هم علّموك الصدّ عنّى او ابي الشيخ النحس علّمك ومنعك وحلّفك انك لاتكلمني هذه الليلة فما فتح قمر الزمان فم ولا انتبه فازدادت فيه محبة والقى الله محبته في قلبها ونظرته نظرة اعقبتها الف حسرة فخفق فؤادها وتقلقلت أحشاؤها واضطربت

Digitized by Google

في دائرته هذه الا بـــــــــــــيـــــــــــــات

لَا تَحْسِبُوا انِّي نَسِيتُ عُهُودَكُمْ ... مَهْمَا اَطَلْتُمْ فِي الزَّمَانِ صُدُودَكُمْ
يَا سَادَتِي جُودُوا عَلَيَّ وَاعْطِفُوا ... فَعَسَى اُقَبِّلُ ثَغْرَكُمْ وَخُدُودَكُمْ
وَاللّٰهِ انِّي لَسْتُ اَبْرَحُ عَنْكُمُ ... وَلَوِ اعْتَدَيْتُمْ فِي الْغَرَامِ حُدُودَكُمْ

ثم ان قمر الزمان نزع ذلك الخاتم من خنصر الملكة بدور ولبسه في خنصره وادار ظهره اليها ونام ففرحت ميمونة الجنّية لما رأت ذلك وقالت للدهنش وتشقش هل رأيتما محبوبي قمر الزمان ومافعله من العفة عن هذه الصبية فهذا من كمال محاسنه فانظرا كيف رأى هذه الصبية وحسنها وجمالها ولم يعانقها ولم يقبلها ولامد يده اليها بل ادار ظهره اليها ونام فقالا لها نعم قد رأينا ماصنع من الكمال فعند ذلك انقلبت ميمونة وجعلت نفسها برغوثا ودخلت ثياب بدور محبوبة دهنش ومشت على ساقها وطلعت على فخذها ومشت تحت سرتها مقدار اربعة قراريط وفرصتها ففتحت عينيها واستوت قاعدة على حيلها فرأت شابّا نائما بجانبها وهو يخط في نومه وهو من اجمل خلق الله تعالى وله لواحظ تخجل الحور الحسان وريقه حلوا لمذاق وانفع من الترياق وفم كانه خاتم سليمان وشفتان مثل لون المرجان وخدود كشقائق النعمان كما قال فيه بعض واصفيه هذه الابيـــات

سَلَبَ خَاطِرِي عَنْ زَيْنَبٍ وَنَوَارِ ... بِوَرْدَةِ خَدٍّ فَوْقَ آسٍ عِـــذَارِ
وَاَصْبَحْتُ بِالظَّبْيِ الْمُقَرْطَقِ مُغْرَمًا ... وَلَا رَأْيَ لِي فِي عِشْقِ ذَاتِ سِوَارِ
اَنِيسِي فِي النَّادِي وَفِي خَلْوَتِي مَعًا ... خِلَافَ اَنِيسِي فِي قَرَارَةِ دَارِي
فَيَا لَائِمِي فِي هَجْرِ هِنْدٍ وَزَيْنَبٍ ... وَقَدْ لَاحَ عُذْرِي كَالصَّبَاحِ لِسَارِ

Digitized by Google

ان صدق حذري فهذه الصبيـــة هي التي يريد والدي زواجي بها ومضى لي ثلث سنين و انا امتنع من ذلك فانا ان شاء الله اذا جاء الصبح اقول لابي زوّجني بها لا تملى بها والسلام وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــــــــــــــباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثمانون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان قمر الزمان قال في نفسه والله اني اصبح واقول لابي زوّجني بها لا تملّى بها ولا اترك نصف النهار يفوت حتى افوز بوصا لها واتملى بحسنها وجمالها ثم ان قمر الزمان مال الى بدور ليقبّلها فارتعدت ميمونة الجنية وخجلت واما العفريت دهنش فانه طار من الفرح ثم ان قمر الزمان لما اراد ان يقبّلها في فمها استحى من الله تعالى وداربرأسه والفت وجهه وقال لقلبه اصبر فتفكر في نفسه وقال انا اصبر لئلا يكون والدي لما غضب عليّ وحبسني في هذا الموضع جاء لي بهذه الصبيّة وامرها بالنيام بجانبي ليمتحنني بها واوصاها اني اذا نبّهتها لا تستيقظ سريعا وقال لها ايّ شيء فعل بك قمر الزمان فاعلميني به او يكون والدي واقفا مستخفيا في مكان بحيث يطلع عليّ وانا لا انظره وهو ينظر جميع ما افعله بهذه الصبية فيصبح يوبّخني و يقول لي كيف تقول مالي ارب في الزواج وانت قبلت تلك الصبية وعانقتها فانا اكفّ نفسي عنها لئلا ينكشف امري مع والدي والصواب اني لا المس هذه الصبيّة في تلك الساعة ولا انظر اليها. غير اني آخذ لي منها شيأ يكون امارة عندي وتذكرة لها حتى يبقى بيني و بينهـــا اشارة ثم ان قمر الزمان رفع كف الصبيّة واخذ من خنصرها خاتمـــا يساوي جملة من المال لان فصه كان من نفيس الجـــواهر و منقوش

Digitized by Google

بجنبه ونفسه ازكى من المسك الاذفر وجسمه اليمن من الزبد فتعجب قمر الزمان من ذلك غاية العجب وقام وجلس على حيله ونظر الى ذلك الشخص الراقد بجانبه فوجدها صبية كالدرة السنية او القبة المبنيّة بقامة الفيّة خماسية القد بارزة النهد موردّة الخد كما قال فيها الشاعر

أَرْبَعَةٌ مَا اجْتَمَعْنَ قَطُّ سِوَى ... عَلَى أَذَى مُهْجَتِي وَسَفْكِ دَمِي
ضَوْءُ جَبِينٍ وَلَيْلُ سَالِفَةٍ ... وَوَرْدُ خَدٍّ وَضَوْءُ مُبْتَسَمِ

وقول الآخر

بَدَتْ قَمَرًا وَمَالَتْ غُصْنَ بَانٍ ... وَفَاحَتْ عَنْبَرًا وَرَنَتْ غِزَالَا
كَأَنَّ الْحُزْنَ مَشْغُوفٌ بِقَلْبِي ... فَسَاعَةُ هَجْرِهَا يَجِدُ الْوِصَالَا

فلما راى قمر الزمان الست بدور بنت الملك الغيور ورأى حسنها وجمالها وهي نائمه بجانبه ورأى عليها قميصا بندقيا وهى بلا سروال وفوق راسها كوفية مطرزة بالذهب مرصعة بالجواهر وفي اذنيها زوج حلق يضيء مثل الكوكب وفي عنقها عقد من الدر اليتيم لايقدر عليه احد من الملوك فنظر اليها بعينه فصار مدهوش العقل فتحركت فيه الحرارة الغريزية والقى الله عليه شهوة الجماع وقال في نفسه ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن ثم انه مدّ يده اليها وقلّبها وفتح طوق قميصها فبان له صدرها ورأى نهودها مثل حقين من العاج فازداد فيها محبة ورغب فيها رغبة عظيمة فصار ينبّهها وهي لا تنتبه لان دهنشا ثقل نومها فصار قمر الزمان يهزّها ويحرّكها ويقول يا حبيبتي استيقظي وانظري مَن انا فانا قمر الزمان فلم تستيقظ ولم تحرك رأسها فعند ذلك تفكر في امرها ساعة زمانية وقال في نفسه

Digitized by Google

و جما لهما و التفت الى ميمونة و دهنش بعد ان اطال الى الصبي و الصبية الالتفات و انشد يقول هذه الابـــــيـــــات

زُرْ مَنْ تُحِبُّ وَدَعْ مَقَالَةَ حَاسِدٍ ... لَيْسَ الْحَسُودُ عَلَى الْهَوَى بِمُسَاعِدِ
لَنْ يَخْلُقَ الرَّحْمٰنُ اَحْسَنَ مَنْظَرًا ... مِنْ عَاشِقَيْنِ عَلَى فِرَاشٍ وَاحِدِ
مُتَعَانِقَيْنِ عَلَيْهِمَا حُلَلُ الرِّضَى ... مُتَوَسِّدَيْنِ بِمِعْصَمٍ وَبِسَاعِدِ
وَاِذَا صَفَالَكَ مِنْ زَمَانِكَ وَاحِدٌ ... فَهُوَ الْمُرَادُ وَعِشْ بِذَاكَ الْوَاحِدِ
وَاِذَا تَآلَفَتِ الْقُلُوبُ عَلَى الْهَوَى ... فَالنَّاسُ تَضْرِبُ فِي حَدِيدٍ بَارِدِ
يَا مَنْ يَلُومُ عَلَى الْهَوَى اَهْلَ الْهَوَى ... هَلْ تَسْتَطِيعُ صَلَاحَ قَلْبٍ فَاسِدِ
يَا رَبِّ يَا رَحْمٰنُ تَجْمَعُ بَيْنَنَـــا ... قَبْلَ الْمَمَاتِ وَلَوْ بِيَوْمٍ وَاحِدِ

ثم ان العفريت تشقش التفت الى ميمونة و دهنش وقال لهما والله ان اردتما الحق فاني اقول ان الاثنين سواء فى الحسن و الجمـــال و البهجة و الكمال ولا يفرق بينهما بالتذكير و التانيث و عندي رأي آخرُ وهو اننا ننبّه احد هنا من غير عِلْم الثاني فكل من التهب على رفيقه فهو دونه فى الحسن و الجمال فقالت ميمونة هذا الرأي هو الصـواب و قال دهنش رضيت بذلك فعند ذلك انقلب دهنش في صورة برغوث و قرص قمر الزمان فوثب من منامه مرعوبا و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــبـــــاح

فلما كانت الليلة الثالثة والثمانون بعد المائة

قالت بلغني ايهـا الملك السعيدان دهنشا انقلب في صورة برغوث و قرص قمر الـزمان فوثب من منامه موعوبا و هرش موضـع القرصة في رقبته من شدة ما احرقته فتحرك بجنبه فوجد شيأ نائمـا

Digitized by Google

قَالَتْ وَقَدْ فَتَّشْتُ عَنْهَا كُلَّ مَنْ ... لَاقَيْتُهُ مِنْ حَاضِرٍ أَوْ بَادِي
أَنَا فِي فُؤَادِكَ فَارِمِ طَرْفَكَ نَحْوَهُ ... تَرْنِي فَقُلْتُ لَهَا وَأَيْنَ فُؤَادِي

فلما سمعت ميمونة من دهنش هذا الشعر قالت له احسنت يادهنش ولكن اي هذين الاثنين احسن فقال لها محبوبتي بدور احسن من محبوبك فقالت له ميمونة كذبت يا ملعون بل محبوبي احسن من معشوقتك فقال دهنش معشوقتي احسن ثم انهما لم يزالا يعارضان مع بعضهما في الكلام حتى صرخت ميمونة على دهنش وارادت ان تبطش به فذلّ لها ورقّق كلامه وقال لها لا يصعب عليك الحق فابطلي قولك وقولي فان كلامنا يشهد لمعشوقه انه احسن فيعرض كل واحد منا عن كلامه ونطلب من يفصل الحكم بيننا ونعتمد على ما يقوله فقالت له ميمونة رضيت بذلك ثم دقت بكفها الارض فطلع منها عفريت اعور احدب اجرب وعيناه مشقوقتان في وجهه بالطول وفي رأسه سبعة قرون وله اربع ذوائب من الشعر مسترسلة الى كعبيه ويداه مثل المداري ورجلاه مثل الصواري وله اظفار مثل اظفار الاسد وحوافر مثل حوافر الحمار الوحشي فلما طلع ذلك العفريت ورأى ميمونة قبّل الارض بين يديها ووقف مكتفا وقال لها ما حاجتك ايها السيدة يا بنت الملك فقالت له ياقشقش اني اريدان تحكم بيني وبين هذا الملعون دهنش ثم انها حكت له على القصة من اولها الى آخرها فعندها نظر العفريت قشقش الى وجه ذلك الصبي ووجه تلك الصبية فرآهما متعانقين وهما نائمان ومعصم كل منهما تحت عنق الآخر وهما في الحسن والجمال متشابهان وفي الملاحة متساويان فنظر المارد قشقش اليهما وتعجب من حسنهما

Digitized by Google

فلما سمع دهنش شعر ميمونة في معشوقها طرب غاية الطرب وتعجب كل العجب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثمانون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العفريت دهنش لما سمع شعر ميمونة اهتزّ من شدة الطرب وقال انك انشدت فيمن تعشقينه واحسنت في وصفه وانا الآخر لابد اني ابذل الجهد على قدر طاقتي واقول في محبوبتي شيأ ثم ان دهنش قام الى الصبية بدور وقبّلها بين عينيها ونظر الى ميمونة والى معشوقته بدور وانشد يقول هذه القصيدة وهو بلا شعور .

لَامُوا عَلَى حُبِّ المَلِيحِ وَعَنَّفُوا ... مَا أَنْصَفُوا مِنْ جَهْلِهِمْ مَا أَنْصَفُوا
جُودِي بِوَصْلِكِ لِلْمُتَيَّمِ أَنَّهُ ... إِنْ ذَاقَ هَجْرَكِ بِالتَّخَلُّفِ يَتْلَفُ
وَلَقَدْ بُلِيتُ صَبَابَةً بِمَدَامِعِي ... تَحْكِي الدِّمَا مِنْ جَفْنِ عَيْنِي تَذْرِفُ
لَيْسَ العَجِيبُ بِمَا أُلَاقِي فِي الهَوَى ... وَعَجِبْتُ جِسْمِي بَعْدَ بُعْدِكِ يُعْرَفُ
حُرِّمْتُ وَصْلَكِ إِنْ هَمَمْتُ بِرِيبَةٍ ... أَوْ مَلَّ قَلْبِي الحُبَّ أَوْ يَتَكَلَّفُ

وقول الآخر

أَتَوْتُ مَعَاهِدَهُمْ بِشَطِّ الوَادِي ... فَبَقِيتُ مَقْتُولاً وَشَطَّ الوَادِي
وَسَكِرْتُ مِنْ خَمْرِ الغَرَامِ وَرَقَّصَتْ ... عَيْنُ الدُّمُوعِ عَلَى غِنَاءِ الحَادِي
أَسْعَى لِأَسْعَدَ بِالوِصَالِ وَحَقَّ لِي ... إِنَّ السَّعَادَةَ فِي بُدُورٍ سُعَادِ
لَمْ أَدْرِ مِنْ أَيِّ الثَّلَاثَةِ أَشْتَكِي ... وَلَقَدْ عَدَدْتُ فَأَصْغِ لِلْإِعْدَادِ
مِنْ لَحْظِهَا السَّيَّافِ أَمْ مِنْ قَدِّهَا الرَّمَّاحِ أَمْ مِنْ صُدْغِهَا الزَّرَّادِ

Digitized by Google

وصار دهنش وميمونة ينظران اليهما فقال دهنش والله طيب يا سيدتي ان محبوبتي احسن فقالت له ميمونة بل معشوقتي احسن ويلك يا دهنش انت اعمى العين والقلب ما تفرق بين الغثّ والسمين هل تخفى الحق اما تنظر الى حسنه وجماله وقدّه واعتداله ويلك اسمع ما اقوله في محبوبي وان كنت محبـــا صادقا لمن تعشقها فقل فيها مثل ما اقول في معشوقي ثم ان ميمونة قبلّت قمر الزمان بين عينيه قبلاً عديدة وانشدت تقول هذه القصيـــــــــــــــــدة

مَالِي وَلِلاَّحِي عَلَيْكَ يُعَنِّفُ ... كَيْفَ السُّلُوُّ وَأَنْتَ غُصْنٌ أَهْيَفُ

لَكَ مُقْلَةٌ كَحْلاَءُ تَنْفُثُ سِحْرَهَا ... مَا لِلْهَوَى الْعُذْرِيِّ عَنْهَا مَصْرِفُ

تُرْكِيَّةُ الأَلْحَاظِ تَفْعَلُ بِالْحَشَا ... مَا لَيْسَ يَفْعَلُهُ الصَّقِيلُ الْمُرْهَفُ

حَمَّلْتَنِي ثِقْلَ الْغَرَامِ وَإِنَّنِي ... بِالْعَجْزِ عَنْ حَمْلِ الْقَمِيصِ وَأَضْعَفُ

وَجْدِي عَلَيْكَ كَمَا عَلِمْتَ وَلَوْعَتِي ... طَبْعٌ وَعِشْقِي فِيكَ سِوَاكَ تَكَلُّفُ

لَوْ أَنَّ قَلْبِي مِثْلَ قَلْبِكَ لَمْ أَبِتْ ... وَالْجِسْمَ مِنِّي مِثْلَ خَصْرِكَ مُنْحَفُ

وَيْلاَهُ مِنْ قَمَرٍ بِكُلِّ مَلاَحَةٍ ... بَيْنَ الأَنَامِ وَكُلِّ حُسْنٍ يُوصَفُ

قَالَ الْعَوَاذِلُ فِي الْهَوَى مَنْ ذَا الَّذِي ... أَنْتَ الْكَئِيبُ بِهِ فَقُلْتُ لَهُمْ صِفُوا

يَا قَلْبُهُ الْقَاسِي تَعَلَّمْ عِطْفَةً ... مِنْ قَدِّهِ فَعَسَى يَرِقُّ وَيَعْطِفُ

لَكَ يَا أَمِيرِي فِي الْمَلاَحَةِ نَاظِرٌ ... يَسْطُو عَلَيَّ وَحَاجِبٌ لاَ يَنْصِفُ

كَذَبَ الَّذِي ظَنَّ الْمَلاَحَةَ كُلَّهَا ... فِي يُوسُفٍ كَمْ فِي جَمَالِكَ يُوسُفُ

اَلْجِنُّ تَخْشَانِي إِذَا قَابَلْتُهَا ... وَأَنَا إِذَا لاَقَاكَ قَلْبِي يَرْجُفُ

أَتَكَلَّفُ الإِعْرَاضَ عَنْكَ مَهَابَةً ... وَإِلَيْكَ أَصْبُو جَهْدَ مَا أَتَكَلَّفُ

وَالشَّعْرُ أَسْوَدُ وَالْجَبِينُ مُشَعْشَعٌ ... وَالطَّرْفُ أَحْوَرُ وَالْقَوَامُ مُهَفْهَفُ

Digitized by Google

علي ذلك و انا اعرف ان محبوبتي املح واحلى ثم ان العفريت دهنش طار من وقته وساعته وطارت ميمونة معه من اجل المحافظة عليه فغابا ساعة زمانية ثم اقبل الاثنان بعد ذلك و هما حاملان تلك الصبية و عليها قميص بند مي رفيع بطرازين من الذهب وهو مزركش ببدائع التطريزات ورأس الكمين مكتوب عليه هذه الابيات شعر

ثَلْثَةٌ مَنَعَتْهَا عَنْ رِبَارِتِنَا ... خَوْفُ الرَّقِيبِ وَخَوْفُ الْحَاسِدِ الْخَنِقِ
ضَوْءُ الْجَبِينِ وَوَسْوَاسُ الْحُلِيِّ وَمَا ... حَوَتْ مَعًا طِفْلُهَا مِنْ عَنْبَرٍ عَبِقِ
هَبِ الْجَبِينَ بِفَضْلِ الْكُمِّ تَسْتُرُهُ ... وَالْحَلْيُ تَنْزِعُهُ مَا حِيلَةُ الْعَرَقِ

ولم يزل دهنش وميمونة حاملين تلك الصبية حتى وضعاها و مدّداها بجانب الغلام قمر الزمان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثمانون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان العفريت دهنش والعفريتة ميمونة لم يزالا حاملين الملكة بدور حتى نزلا و مدّداها بجانب قمر الزمان على السرير وكشفا عن وجوه الاثنين فكانا اشبه الناس ببعضهما فكانهما توأمان اواخوان منفرد ان و هما فتنة للمتقين كما قال فيهما الشاعر المبين

يَا قَلْبُ لَا تَعْشَقْ مَلِيحًا وَاحِدًا ... تَحْتَارُ فِيهِ تَدَلُّلًا وَ تَدَلُّلَا
وَاهْوِ الْمِلَاحَ جَمِيعَهُمْ تَلْقَاهُمُ ... إِنْ صَدَّ هٰذَا كَانَ هٰذَا مُقْبِلَا

وقال الآخر

رَأَيْتُ بِعَيْنِي نَائِمَيْنِ عَلَى الثَّرَى ... وَدَدْتُهُمَا لَوْ يَرْقُدَانِ عَلَى جَفْنِي

Digitized by Google

يكون لك عليّ وان طلع معشوقي احسن فان ذلك الرهن يكون لي عليك فقال لها العفريت دهنش يا سيدتي قبلت منك هذا الشرط ورضيت به تعالي معي الى الجزائر فقالت له ميمونة لا لانّ موضع معشوقي اقرب من موضع معشوقتك وها هو تحتنا فانحدر معي لتنظر معشوقي ونروح بعد ذلك الى معشوقتك فقال لها دهنش السمع والطاعة ثم انحدرا الى اسفل فنزلا في دور القاعة التي في البرج واوقفت ميمونة دهنشا بجنب السرير ومدّت يدها وشالت ملاءة الحرير عن وجه قمر الزمان ابن الملك شهرمان فسطع وجهه ولمع واشرق وزهى فنظرت ميمونة اليه والتفتت من وقتها وساعتها الى دهنش وقالت له انظر يا ملعون ولا تكن اقبح مجنون فنحن بنات وبه مفتونات فعند ذلك نظر اليه دهنش واستمرّ بتأمّل فيه ساعة ثم حرّك رأسه وقال لميمونة والله يا سيدتي انك معذورة ولكن بقي عليك شيء آخر وهو ان حال الانثى غير حال الذكر وحق الله ان معشوقتك هذا اعجبه الخلق بمعشوقتي في الحسن والجمال والبهجة والكمال وهما الاثنان كانهما قد افرغا في قالب الجمال سواء فلما سمعت ميمونة من دهنش هذا الكلام صار الضياء في وجهها ظلاما ولطمته بجناحها على رأسه لطمة قوية كادت ان تقضي عليه من شدّتها وقالت له قسما بنور وجه جلا له ان تروح يا ملعون في هذه الساعة وتحمل معشوقتك التي تحبّها وتأتي بها سريعا الى هذا المكان حتى نجمع بين الاثنين وننظر فيهما وهما نائمان بالقرب من بعضهما سواء فيظهر لنا ايّهما املح واحسن من صاحبه وان لم تفعل ما امرتك به في هذه الساعه يا ملعون احرقتك بناري ورميت عليك شراري ومزّقتك قطعا قطعا وارميك في البراري واجعلك عبرة للمقيم والساري فقال لها دهنش ياسيدتي لكِ

Digitized by Google

وبصقت في وجهه ايش هذه البنت التي تقول عنها فما هي الا قوارة البول افوه افوه والله اني حسبت ان معك امرا عجيبا او خبرا غريبا يا ملعون فكيف لو رأيت معشوقي اني رأيت انسانا في هذه الليلة لو رأيته ولو في المنام لا نفلجت عليه وسالت ريالتك فقال لها دهنش وما حكاية هذا الغلام فقالت له اعلم يا دهنش ان هذا الغلام قد جرى له مثل ما جرى لمعشوقتك التي ذكرتها وامره ابوه بالزواج مرارا عديدة فابى فلما خالف اباه غضب عليه وسجنه في البرج الذي انا ساكنة فيه فطلعت في هذه الليلة فرأيته فقال لها دهنش يا سيدتي ارينى هذا الغلام لانظر هل هو احسن من معشوقتي الملكة بدور ام لا لاني ما اظن ان يوجد في هذا الزمان مثل معشوقتي فقالت له العفريتة تكذب يا ملعون يا انحس المردة و احقر الشياطين فانا اتحقق انه لا يوجد لمعشوقي مثيل في هذه الديار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثمانين بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العفريتة ميمونة قالت للعفريت دهنش انا اتحقق انه لا يوجد لمعشوقي مثيل في هذه الديار فهل انت مجنون حتى نقيس معشوقتك بمعشوقي فقال لها بالله عليك يا سيدتي امضي معي وانظري معشوقتي وارجع معك وانظر معشوقتك فقالت له ميمونة لابد من ذلك يا ملعون لانك شيطان مكّار ولكن لا اجيء معك ولا تجيء انت معي الّا ان يكون برهن و شرط وهو انه ان طلعت معشوقتك التي انت تحبها وتتغالى فيها احسن من معشوقتي التي ذكرته واحبه واتغالى فيه فان ذلك الرهن والشرط

Digitized by Google

و قالت لابيها يا والدي ليس لي غرض فى الزواج ابدا فاني سيدة وحاكمة ومملكة احكم على الناس ولا اريد رجلا يحكم عليّ وكلما امتنعت من الزواج زادت رغبة الخطّاب فيها فعند ذلك ارسلت جميع ملوك جزائر الصين الجوّانية لابيها الهدايا والتحف وكاتبوه في امر زواجها فكرر عليها ابوها المشـــاورة في امر الزواج مرارا عديدة فخالفته وسفهت عليه وغضبت منه وقالت له يا ابي ان ذكرت لي الزواج مرة اخرى دخلت البيت واخذت السيف وغرزت قائمه فى الارض وادخلت ذبابته في بطني واتكئ عليه حتى يطلع من ظهري واقتل نفسي فلما سمع ابوها منها هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلاما واحترق قلبه عليها غاية الاحتراق وخشي ان تقتـل نفسهـــا وحار في امرها وفي امر الملوك الذين خطبوها فقال لهـــا ان كان ولابد من عدم زواجـــك فامتنعي من الدخول والخروج ثم ان اباها ادخلها البيت وحجبها فيه ورسم عليها عشرة عجائز قهرمانات ومنعها من ان تظهر الى السبع قصور واظهر انه غضبان عليها وارسل كاتب الملوك جميعهم واعلمهم انها اصيبت بجنون في عقلها ولها الآن سنة وهي محجوبة ثم ان العفريت دهنش قال للعفريتة ميمونة وانا اروح اليها يا سيدتي في كل ليلة فانظرها واتملّى بوجهها واقبّلها وهي نائمة بين عينيها ومن محبتي فيها لا اضرّها ولا اوذيها ولا اركبها لان شبابها مليح وجمالها بارع كل من رآها يغار عليها من نفسه واتسمت عليك ياسيدتي ان ترجعي معي وتنظري حسنها وجمالها وقدّها واعتدالها وبعد هذا ان شئت ان تعاقبيني اوتأسريني فافعلي فان الامر امرك والنهي نهيك ثم ان العفريت دهنشا اطرق برأسه الى الارض وخفض اجنحته الى الارض فقالت له العفريتـة ميمونة بعد ان ضحكت من كلامـــه

Digitized by Google

العقيمين للديّان فعجبت لصغرهما كيف يحملان ما فوقهما وقد اختصرت في وصفها خوف الاطالة فتركته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والسبعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العفريت دهنش بن شمهورش قال للعفريتة ميمونة وقد اختصرت في وصفها خوف الاطالة فلما سمعت ميمونة وصف تلك الصبية وحسنها وجمالها تعجّبت فقال لها دهنش وان ابا تلك الصبية ملك جبّار فارس كرّار خوّاض المعا مع في الليل والنهار لا يهاب الموت ولا يخاف الفوت لانه جائر ظلوم وقاهر غشوم وهو صاحب جيوش وعساكر واقاليم وجزائر ومُدن ودور واسمه الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور والسبعة قصور وكان يحب ابنته هذه الصبية التي وصفتها لك حبًّا شديدا ومن محبته لها جلب اموال سائر الملوك وبنى لها بذلك سبعة قصور كل قصر من جنس مخصوص القصر الاول من البلّور والثاني من الرخام والثالث من الحديد الصيني والقصر الرابع من المعادن والجواهر والقصر الخامس من الخزف والجزع الملوّن والفصوص والقصر السادس من الفضة والقصر السابع من الذهب وملأ السبعة قصور من انواع الفرش الفاخر من الحرير واواني الذهب والفضة وجميع الآلات من كل ما تحتاج اليه الملوك وامر ابنته ان تسكن في كل قصر مدة من السنة ثم تنتقل منه الى قصر غيره واسمها الملكة بدور فلما اشتهر حسنها وشاع في البلاد ذكرها ارسل سائر الملوك الى ابيها يخطبونها منه فشاورها وراودها في امر الزواج فكرهت ذلك

Digitized by Google

الله في زمانها احسن منها واني لم اقدر اصفها لك فان لساني يعجز عن وصفها كما ينبغي ولكن اذكر لك شيأ من صفاتها على سبيل التقريب اما شعرها فكليالي الهجر والانفصال واما وجهها فكايام الوصال وقد احسن في وصفها من قال

نَشَرَتْ ثَلٰثُ ذَوائِبٍ مِنْ شَعْرِهَا ... فِي لَيْلَةٍ فَأَرَتْ لَيَالِيَ أَرْبَعًا
وَاسْتَقْبَلَتْ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا ... فَأَرَتْنِيَ الْقَمَرَيْنِ فِي وَقْتٍ مَعًا

ولها انف كحد السيف المصقول ولها وجنتان كرحيق الارجوان ولها خدّ كشقائق النعمان وشفتاها كالمرجان والعقيق وريقها اشهى من الرحيق يطفئ ملذاته عذاب الحريق ولسانها يحرّكه عقل وافر وجواب حاضر ولها صدر فتنة لمن يراه فسبحان من خلقه وسوّاه ومتصل به عضدان مد ملجان كما قال فيهما الشاعر الولهان

وَزَنْدَانِ لَوْ لَا أُمْسِكَا بِأَسَاوِرٍ ... لَسَالَ مِنَ الْأَكْمَامِ سَيْلَ الْجَدَاوِلِ

ولها فهدان كانهما من العاج حقّان يستمدّ من اشراقهما القمران ولها بطن باعكان مطويّة كطيّ القباطى المصرية المدبجة بطيّات كالقراطيس المدرجة وينتهي ذلك الى خصر مختصر من وهم الخيّال فوق ردف ككثيب من رمال يقعدها اذا ارادت القيام ويوقظها اذا ارادت المنام كما قال فيها الشاعر واجاد

لَهَا كَفَلٌ تَعَلَّقَ فِي ضَعِيفٍ ... وَذَاكَ الرِّدْفُ لِي وَلَهَا ظُلُومُ
فَيُوقِفُنِي إِذَا فَكَّرْتُ فِيهِ ... وَيُقْعِدُهَا إِذَا هَمَّتْ تَقُومُ

ويحمل ذلك الكفل فخذ ان مد ملجان وساقان كانهما من الدرّ عمودان ويحمل ذلك كله قدمان لطيفان محدّدان مثل حدّ السنان صنعة

Digitized by Google

دهنش فانقضّت عليه انقضاض الباشق فلما احسّ بها دهنش وعرف انها ميمونة بنت ملك الجن خاف منها وارتعدت فرائصه فاستجارها وقال لها اقسم عليك بالاسم الاعظم المكرم والطلسم الاكرم المنقوش على خاتم سليمان ان ترفقي بي ولا تؤذيني فلما سمعت ميمونة من دهنش هذا الكلام حنّ قلبها عليه وقالت له لقد اقسمت عليّ يا ملعون بقسم عظيم ولكن لا اعتقك حتى تخبرني من اين مجيئك في هذه الساعة فقال لها ايها السيدة اعلمي ان مجيئي من آخر بلاد الصين ومن داخل الجزائر واخبرك بأعجوبة رأيتها في هذه الليلة فان وجدت كلامي صحيحا فاتركيني اروح الى حال سبيلي واكتبي لي بخطك وثيقة اني عتيقك حتى لا يعارضني احد من ارهاط الجن الطيّارة العلوية والسفلية والغواصة قالت له ميمونة فما الذي رأيته في هذه الليلة يا كذّاب يا ملعون فاخبرني ولا تكذب عليّ وتريدان تنفلت مني بكذبك وانا اقسم بحق النقش المكتوب على فصّ خاتم سليمان بن داوُد عليهما السلام ان لم يكن كلامك صحيحا نتفت ريشك بيدي ومزّقت جلدك وكسّرت عظمك فقال لها العفريت دهنش ابن شمهورش الطيّار رضيت يا سيدتي بهذا الشرط وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الثامنة والسبعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان دهنشا قال لميمونة رضيت يا سيدتي بهذا الشرط ثم قال اعلمي يا سيدتي اني قد خرجت في هذه الليلة من الجزائر الداخلة في بلاد الصين وهي بلاد الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور والسبعة قصور فرأيت ذلك الملك بنتالم يخلق

Digitized by Google

الخادم نائما على باب القاعة ولما دخلت القاعة وجدت سريرا منصوبا وعليه هيئة انسان نائم وشمعة موقودة عند رأسه وفانوس موقد عند رجليه فتعجبت العفريتة ميمونة من ذلك النور وتقدمت اليه قليلا قليلا وارخت اجنحتها ووقفت على السرير وكشفت الملاءة عن وجه قمر الزمان ونظرت اليه فبهتت في حسنه وجماله ساعة زمانية وقد وجدت ضوء وجهه غالبا على نور الشمعة فصار وجهه يتلألأ نورا وتغازلت من النوم عيناه واسودت مقلتاه واحمر خداه وفترجفناه وتقوس حاجباه وفاح مسكه العاطر كما قال فيه الشاعر

قَبَّلْتُهُ فَاسْوَدَّتِ الْمُقَلُ الَّتِي ... هِيَ فِتْنَتِي وَاحْمَرَّتِ الْوَجَنَاتُ
يَا قَلْبُ اِنْ زَعَمَ الْعَوَاذِلُ اَنَّهُ ... فِي الْحُسْنِ يُوجَدُ مِثْلُهُ قُلْ هَاتُوا

فلما رأته العفريتة ميمونة بنت الدمرياط سبحت الله وقالت تبارك الله احسن الخالقين وكانت تلك العفريتة من الجن المؤمنين فاستمرت ساعة وهي تنظر الى وجه قمر الزمان وتوحد الله وتغبطه على حسنه وجماله وقالت في نفسها والله اني لم اضره ولم اترك احدا يؤذيه ومن كل سوء افديه فان هذا الوجه المليح لا يستحق الا النظر اليه والتسبيح عليه ولكن كيف هان على اهله حتى انهم حطوه في هذا المكان الخراب فلو طلع له احد من مردتنا في هذه الساعة لعطبه ثم ان تلك العفريتة مالت عليه وقبلته بين عينيه وبعد ذلك ارخت الملاءة على وجهه وغطته بها وضمت اجنحتها وطارت ناحية السماء وطلعت من دور تلك القاعة ولم تزل طائرة في الهواء وصاعدة في الجو الى ان قربت من سماء الدنيا واذا بها سمعت خفق اجنحة طائرة في الهواء فقصدت ناحية تلك الاجنحة فدنت منها فوجدته عفريتا يقال له

Digitized by Google

فوق طرّاحة من الاطلس المعدني لها وجهان و هي محشوّة بالخزّ العرا قي و تحت رأسه مخدّة محشوة بريش النعام وحين اراد النوم تجرّد من ثيابه وخلع لباسه ونام في قميص مشمع رفيع وكان على رأسه مقنع مروزي ازرق فصار قمر الزمان تلك الساعة في هذه الليلة كانه البدر اذا بدر ليلة اربعة عشر ثم تغطّى بملاءة من حرير ونام والفانوس موقود تحت رجليه والشمعة موقودة فوق رأسه ولم يزل نائما الى ثلث الليل الاول ولم يعلم ما خبئ له في الغيب و ما قدّره عليه علّام الغيب وكان بالامر المقدّر والقضاء المتحتم ان هذا البرج وهذه القاعة كانا عتيقين مهجورين من مدة سنين وكانت في تلك القاعة بئر روماني معمورة بجنيّة ساكنة فيها وهي من ذرّيّة ابليس اللعين واسمها ميمونة ابنة الدمرياط احد ملوك الجان المشهورين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والسبعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان اسم تلك الجنيّة ميمونة ابنة الدمرياط احد ملوك الجان المشهورين فلما استمرّ قمر الزمان نائما الى ثلث الليل الاول طلعت تلك العفريتة من البئر الروماني وقصدت السماء لاستراق السمع فلما صارت في اعلى البئر رأت نورا يشتعل في البرج على خلاف العادة وكانت تلك العفريتة مقيمة في ذلك المكان مدة مديدة من السنين فقالت في نفسها انا ما عهدت هنا شيأ من ذلك فلما رأت النور تعجبت من هذا الامر غاية العجب وخطر ببالها انه لابدّ لذلك من سبب ثم قصدت ناحية ذلك النور فوجدته خارجا من القاعة فدخلت اليها فوجدت

Digitized by Google

و قول الآخر

لَمَّا رَأَيْتُ النَّجْمَ سَاءَ طَرْفَهُ وَالْقُطْبَ قَدْ أَلْقَى عَلَيْهِ سُبَاتَا
وَبَنَاتَ نَعْشٍ فِي الْحِدَادِ سَوَافِرًا أَيْقَنْتُ أَنَّ صَبَاحَهُمْ قَدْ مَاتَا

هذا ماكان من امر الملك شهرمان واما ماكان من امر قمر الزمان فانه لما دخل عليه الليل قدم له الخادم الفانوس واوقد له شمعة و جعلها في شمعدان وقدم له شيأ من المأكل فاكل قليلا وصار قمر الزمان يعاتب نفسه على الذي اساء الادب في حق ابيه وقال لنفسه يا نفسي الم تعلمي ان ابن آدم رهين لسانه وان لسان الآدمي هو الذي يوقعه فى المهالك ثم ذرفت عيناه بالدموع وبكى على ماكان صدر منه من فؤاد موجوع و قلب مصدوع وندم على ماوقع منه في حق ابيه غاية الندم و انشد يقول

يَمُوتُ الْفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ مِنْ لِسَانِهِ وَلَيْسَ يَمُوتُ الْمَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرِّجْلِ
فَعَثْرَتُهُ مِنْ فِيهِ تَرْمِي بِرَأْسِهِ وَعَثْرَتُهُ بِالرِّجْلِ تَبْرِي عَلَى مَهْلِ

ثم ان قمرالزمان لما فرغ من الاكل طلب ان يغسل يديه فغسل له المملوك يديه من الطعام ثم قام وتوضّأ وصلّى المغرب والعشاء وجلس وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والسبعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان قمر الزمان ابن الملك شهرمان لما صلّى المغرب والعشاء جلس على السرير يقرأ القرآن فقرأ البقرة وآل عمران ويا سين والرحمٰن وتبارك الملك والاخلاص والمعوّذتين و ختم بالدعاء وتحصّن واستعاذ بالله ونام على السرير

Digitized by Google

والده حيث لاينفعه الندم وقال لعن الله الزواج و البنات و النساء الخائنات فيا ليتني سمعت من والدي وتزوجت فلو فعلت ذلك كان احسن لي من هذا السجن هذا ما كان من امرقمرالزمان واما ماكان من امرابيه فانه اقام على كرسيّ مملكته بقية اليوم الى وقت الغروب ثم خلا بالوزير فقال له اعلم ايها الوزير انك كنت السبب في هذا الذي جرى بيني و بين ولدي كله حيث اشرت عليّ بما اشرت فما الذي تشيربه عليّ ان افعله الآن فقال له الوزيرايها الملك دع ولدك في السجن مدة خمسة عشر يوما ثم احضرْه بين يديك وأمرْه بالزواج فانه لايخالفك ابدا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والسبعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الوزير قال للملك شهرمان دع ولدك في السجن مدة خمسة عشريوما ثم احضره بين يديك وأمره بالزواج فانه لا يخالفك ابدا فقبل الملك رأي الوزير في ذلك ونام تلك الليلة وهو مشتغل القلب على ولده لانه كان يحبّه محبة عظيمة حيث لم يكن له ولد سواه وكان الملك شهرمان كل ليلة لم يجيءُ له نوم الا اذا وضع ذراعه تحت رقبة قمرالزمان وينام فبات الملك تلك الليلة متشوش الخاطر من اجله وصار يتقلب من جنب الى جنب كانّه نائم على جمر الغضاة ولحقه الوسواس ولم ياخذه نوم في تلك الليلة بطولها وذرفت عيناه بالدموع وانشد يقول شعـــــــــــــر

لَقَدْ طَالَ لَيْلِي وَالْوُشَاةُ هُجُوعُ ... وَنَاهِيكَ قَلْبًا بِالْفِرَاقِ مَرُوعُ
اَقُولُ ولَيْلِي زَادَ بِالْهَمِّ طُولُهُ ... اَمَا لَكَ يَا ضَوْءَ الصَّبَاحِ رُجُوعُ

Digitized by Google

الله في زمانها احسن منها واني لم اقدر اصفها لك فان لساني يعجز عن وصفها كما ينبغي ولكن اذكر لك شيأ من صفاتها على سبيل التقريب اما شعرها فكليالي الهجر والانفصال واما وجهها فكايام الوصال وقد احسن في وصفها من قال

نَشَرَتْ ثَلٰثُ ذَوائِبٍ مِنْ شَعْرِهَا ... فِي لَيْلَةٍ فَارَتْ لَيَالِيَ اَرْبَعًا
وَاسْتَقْبَلَتْ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا ... فَاَرَتْنِيَ الْقَمَرَيْنِ فِي وَقْتٍ مَعًا

ولها انف كحد السيف المصقول ولها وجنتان كرحيق الارجوان ولها خدّ كشقائق النعمان وشفتاها كالمرجان والعقيق وريقها اشهى من الرحيق يطفئ مذاقه عذاب الحريق ولسانها يحرّكه عقل وافر وجواب حاضر ولها صدر فتنة لمن يراه فسبحان من خلقه وسوّاه ومتصل به عضدان مد ملجان كما قال فيهما الشاعر الولهان

وَزَنْدَانِ لَوْ لَا اُمْسِكَ بِاَسَاوِرٍ ... لَسَالَ مِنَ الْاَكْمَامِ سَيْلَ الْجَدَاوِلِ

ولها فهدان كانهما من العاج حقّان يستمدّ من اشراتهما القمران ولها بطن باعكان مطويّة كطيّ القباطى المصرية المدبجة بطيّات كالقراطيس المدرجة وينتهي ذلك الى خصر مختصر من وهم الخيّال فوق ردف ككثيب من رمال يقعدها اذا ارادت القيام ويوقظها اذا ارادت المنام كما قال فيها الشاعر واجاد

لَهَا كَفَلٌ تَعَلَّقَ فِي ضَعِيفٍ ... وَذَاكَ الرِّدْفُ لِي وَلَهَا ظُلُومُ
فَيُوقِفُنِي اِذَا فَكَّرْتُ فِيهِ ... وَيُقْعِدُهَا اِذَا هَمَّتْ تَقُومُ

ويحمل ذلك الكفل فخذ ان مد ملجان وساقان كانهما من الدرّ عمودان ويحمل ذلك كله قدمان لطيفان معدّدان مثل حدّ السنان صنعة

Digitized by Google

دهنش فانقضّت عليه انقضاض الباشق فلما احسّ بها دهنش وعرف انها ميمونة بنت ملك الجن خاف منها وارتعدت فرائصه فاستجارها وقال لها اقسم عليك بالاسم الاعظم المكرم والطلسم الاكرم المنقوش على خاتم سليمان ان ترفقي بي ولا تؤذيني فلما سمعت ميمونة من دهنش هذا الكلام حنّ قلبها عليه وقالت له لقد اقسمت عليّ يا ملعون بقسم عظيم ولكن لااعتقك حتى تخبرني من اين مجيئك في هذه الساعة فقال لها ايها السيدة اعلمي ان مجيئي من آخر بلاد الصين ومن داخل الجزائر واخبرك يا عجوبة رأيتها في هذه الليلة فان وجدت كلامي صحيحا فاتركيني اروح الى حال سبيلي واكتبي لي بخطك وثيقة اني عتيقك حتى لا يعارضني احد من ارهاط الجن الطيّارة العلوية والسفلية والغواصة قالت له ميمونة فماالذي رأيته في هذه الليلة يا كذّاب يا ملعون فاخبرني ولاتكذب عليّ وتريدان تنفلت مني بكذبك وانا اقسم بحق النقش المكتوب على فصّ خاتم سليمان بن داوُد عليهما السلام ان لم يكن كلامك صحيحا نتفت ريشك بيدي ومزّقت جلدك وكسّرت عظمك فقال لها العفريت دهنش ابن همهورش الطيّار رضيت يا سيدتي بهذا الشرط وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الثامنة والسبعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان دهنشا قال لميمونة رضيت يا سيدتي بهذا الشرط ثم قال اعلمي يا سيدتي اني قد خرجت في هذه الليلة من الجزائر الداخلة في بلاد الصين وهي بلاد الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور والسبعة قصور فرأيت ذلك الملك بنتالم يخلق

Digitized by Google

الخادم نائما على باب القاعة ولما دخلت القاعة وجدت سريرا منصوبا وعليه هيئة انسان نائم وشمعة موقودة عند رأسه وفانوس موقد عند رجليه فتعجبت العفريتة ميمونة من ذلك النور وتقدمت اليه قليلا قليلا وارخت اجنحتها ووقفت على السرير وكشفت الملاءة عن وجه قمر الزمان ونظرت اليه فبهتت في حسنه وجماله ساعة زمانية وقد وجدت ضوء وجهه غالبا على نور الشمعة فصار وجهه يتلألأ نورا وتغازلت من النوم عيناه واسودت مقلتاه واحمر خداه وفترجفناه وتقوس حاجباه وفاح مسكه العاطر كما قال فيه الشاعر

قَبَّلْتُهُ فَاسْوَدَّتِ الْمُقَلُ الَّتِي ... هِيَ فِتْنَتِي وَاحْمَرَّتِ الْوَجَنَاتُ
يَا قَلْبُ اِنْ زَعَمَ الْعَوَاذِلُ اَنَّهُ ... فِي الْحُسْنِ يُوجَدُ مِثْلُهُ قُلْ هَاتُوا

فلما رأته العفريتة ميمونة بنت الدمرياط سبحت الله وقالت تبارك الله احسن الخالقين وكانت تلك العفريتة من الجن المؤمنين فاستمرت ساعة وهي تنظر الى وجه قمر الزمان وتوحد الله وتغبطه على حسنه وجماله وقالت في نفسها و الله اني لم اضره و لم اترك احدا يؤذيه ومن كل سوء افديه فان هذا الوجه المليح لا يستحق الا النظر اليه والتسبيح عليه ولكن كيف هان على اهله حتى انهم خطوه في هذا المكان الخراب فلو طلع له احد من مردتنا في هذه الساعة لعطبه ثم ان تلك العفريتة مالت عليه وقبلته بين عينيه وبعد ذلك ارخت الملاءة على وجهه وغطته بها وضمت اجنحتها وطارت ناحية السماء وطلعت من دور تلك القاعة ولم تزل طائرة في الهواء وصاعدة في الجو الى ان قربت من سماء الدنيا واذا بها سمعت خفق اجنحة طائرة في الهواء فقصدت ناحية تلك الاجنحة فدنت منها فوجدته عفريتا يقال له

Digitized by Google

فوق طرّاحة من الاطلس المعدني لها وجهان و هي محشوّة بالخزّ العرا قي و تحت رأسه مخدّة محشوة بريش النعام وحين اراد النوم تجرّد من ثيابه وخلع لباسه ونام في قميص مشمع رفيع وكان على رأسه مقنع مروزي ازرق فصار قمر الزمان تلك الساعة في هذه الليلة كانه البدر اذا بدر ليلة اربعة عشر ثم تغطّى بملاءة من حرير ونام والفانوس موقود تحت رجليه والشمعة موقودة فوق رأسه ولم يزل نائما الى ثلث الليل الاول ولم يعلم ما خبئ له في الغيب و ما قدّره عليه علّام الغيب وكان بالامر المقدّر والقضاء المتحتم ان هذا البرج وهذه القاعة كانا عتيقين مهجورين من مدة سنين وكانت في تلك القاعة بئر روماني معمورة بجنيّة ساكنة فيها وهي من ذرّيّة ابليس اللعين واسمها ميمونة ابنة الدمرياط احد ملوك الجان المشهورين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والسبعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان اسم تلك الجنيّة ميمونة ابنة الدمرياط احد ملوك الجان المشهورين فلما استمرّ قمر الزمان نائما الى ثلث الليل الاول طلعت تلك العفريتة من البئر الروماني وتصدت السماء لاستراق السمع فلما صارت في اعلى البئر رأت نورا يشتعل في البرج على خلاف العادة وكانت تلك العفريتة مقيمة في ذلك المكان مدة مديدة من السنين فقالت في نفسها انا ما عهدت هنا شيأ من ذلك فلما رأت النور تعجبت من هذا الامر غاية العجب وخطر ببالها انه لابدّ لذلك من سبب ثم تصدت ناحية ذلك النور فوجدته خارجا من القاعة فدخلت اليها فوجدت

Digitized by Google

و قول الآخر

لَمَّا رَأَيْتُ النَّجْمَ سَاءَ طَرْفَهُ ... وَالْقُطْبَ قَدْ أَلْقَى عَلَيْهِ سُبَاتَا
وَبَنَاتَ نَعْشٍ فِي الْحِدَادِ سَوَافِرًا ... أَيْقَنْتُ أَنَّ صَبَاحَهُمْ قَدْ مَاتَا

هذا ماكان من امر الملك شهرمان واما ماكان من امر قمر الزمان فانه لما دخل عليه الليل قدم له الخادم الفانوس واوقد له شمعة و جعلها في شمعدان وقدم له شيأ من المأكل فاكل قليلا وصار قمر الزمان يعاتب نفسه على الذي اساء الادب في حق ابيه وقال لنفسه يا نفسي الم تعلمي ان ابن آدم رهين لسانه وان لسان الآدمي هو الذي يوقعه فى المهالك ثم ذرفت عيناه بالدموع وبكى على ماكان صدر منه من فؤاد موجوع و قلب مصدوع وندم على ماوقع منه في حق ابيه غاية الندم و انشد يقول

يَمُوتُ الْفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ مِنْ لِسَانِهِ ... وَلَيْسَ يَمُوتُ الْمَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرِّجْلِ
فَعَثْرَتُهُ مِنْ فِيهِ تَرْمِي بِرَأْسِهِ ... وَعَثْرَتُهُ بِالرِّجْلِ تَبْرِي عَلَى مَهْلِ

ثم ان قمرالزمان لما فرغ من الاكل طلب ان يغسل يديه فغسل له المملوك يديه من الطعام ثم قام وتوضأ وصلّى المغرب والعشاء وجلس وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والسبعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان ابن الملك شهرمان لما صلّى المغرب والعشاء جلس على السرير يقرأ القرآن فقرأ البقرة وآل عمران ويا سين والرحمن وتبارك الملك والاخلاص والمعوّذتين و ختم بالدعاء وتحصّن واستعاذ بالله ونام على السرير

Digitized by Google

والده حيث لاينفعه الندم وقال لعن الله الزواج و البنات و النساء الخائنات فيا ليتني سمعت من والدي وتزوجت فلو فعلت ذلك كان احسن لي من هذا السجن هذا ما كان من امرقمرالزمان واما ماكان من امرابيه فانه اقام على كرسيّ مملكته بقية اليوم الى وقت الغروب ثم خلا بالوزير فقال له اعلم ايها الوزير انك كنت السبب في هذا الذي جرى بيني و بين ولدي كله حيث اشرت عليّ بما اشرت فمااللذي تشيربه عليّ ان افعله الآن فقال له الوزير ايها الملك دع ولدك في السجن مدة خمسة عشر يوما ثم احضره بين يديك وأمره بالزواج فانه لايخالفك ابدا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والسبعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الوزير قال للملك شهرمان دع ولدك في السجن مدة خمسة عشريوما ثم احضره بين يديك وأمره بالزواج فانه لا يخالفك ابدا فقبل الملك رأي الوزير في ذلك ونام تلك الليلة وهو مشتغل القلب على ولده لانه كان يحبّه محبة عظيمة حيث لم يكن له ولد سواه وكان الملك شهرمان كل ليلة لم يجئ له نوم الا اذا وضع ذراعه تحت رقبة قمرالزمان وينام فبات الملك تلك الليلة متشوش الخاطر من اجله وصار يتقلب من جنب الى جنب كانّه نائم على جمر الغضاة ولحقه الوسواس ولم ياخذه نوم في تلك الليلة بطولها وذرفت عيناه بالدموع وانشد يقول شعـــــــــــــــر

لَقَدْ طَالَ لَيْلِي وَالْوُشَاةُ هُجُوعُ ... وَنَاهِيْكَ قَلْبًا بِالْفِرَاقِ مَرُوعُ
اَقُولُ وَلَيْلِي زَادَ بِالْهَمِّ طُولَهُ ... اَمَالَكَ يَا ضَوْءَ الصَّبَاحِ رُجُوعُ

Digitized by Google

لانه حصل ذلك قدام ارباب دولته والعساكر الحاضرين فى الموسم ثم ان الملك شهرمان لحقته شهامة الملك فصرخ على ولده فارعبه وصرخ على المماليك الذين قدّامه وقال لهم امسكوه فتسابقت اليه المماليك فمسكوه واحضروه قدامه فامرهم ان يكتّفوه فكتفوه وقدموه بين يدى الملك وهو مطرق رأسه من الخوف والوجل و تكلّل جبينه ووجهه بالعرق واشتدّبه الحياء والخجل فعند ذلك شتمه ابوه وسبّه وقال له ويلك ياولد الزنا وتربية الخنا كيف يكون هذا جوابك لي بين عساكري وجيوشي ولكن انت الى الآن ما ادّبك احدوا درك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والسبعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الملك شهرمان قال لولده قمر الزمان كيف يكون هذا جوابك لي بين عساكري وجيوشي ولكن انت الى الآن ما ادّبك احد اما تعلم ان هذا الامر الذي صدر منك لو صدر من عامي من العوام لكان ذلك قبيحا منه ثم ان الملك امر المماليك ان يحلّوا كتافه ويحبسوه في برج من ابراج القلعة فعند ذلك اخذوه ودخلوا به الى برج عتيق فيه قاعة خربة وفي وسط القاعة بئر خربة عتيقة فكنسوها ومسحوا بلاطها ونصبوا لقمر الزمان فيها سريرا وفرشوا له على السرير طرّاحة ونطعا ووضعوا له مخدّة واتوا له بفانوس كبير وشمعة لان ذلك المكان كان مظلما فى النهار ثم ان المماليك ادخلوا قمر الزمان في ذلك المكان وجعلوا على باب القاعة خادما فعند ذلك طلع قمر الزمان فوق ذلك السرير وهو منكسر الخاطر حزين الفؤاد وقد عاتب نفسه وندم على ماجرى منه في حق

Digitized by Google

مَا الْمِسْكُ إِلَّا مِنْ فُضَالَةِ خَالِهِ وَالطِّيْبُ يَرْوِي رِيْحُهُ عَنْ نَشْرِهِ
وَكَذَلِكَ الشَّمْسُ الْمُنِيْرَةُ دُوْنَهُ وَارَى الْهِلَالَ قُلَامَةً مِنْ ظُفْرِهِ

ثم ان الملك شهرمان سمع كلام الوزير سنة اخرى حتى حصل يوم موسم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــاح

فلما كانت الليلة الثالثة والسبعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك شهرمان سمع كلام الوزير وصبر سنة اخرى حتى حصل يوم موسم وجاء يوم حكومة وتكامل فيـــه مجلس الملك بالامراء والوزراء وارباب الدولة والعساكر واصحاب الصـــولة ثم انه ارسل خلف ولده قمر الزمان فلما حضر قبّل الارض بين يدي ابيـــه ثلث مرات ووقف مكتّفـــا يديه وراء ظهـــره قدام ابيه فقال له ابوه اعلم يا ولدي اني ما ارسلت اليك وما احضـــرتك هذه المرة قدام هذا المجلس وجميع اهل الدولة حاضرون بيـــن ايدينا الّا لاجل ان آمرك بامر فلا تخـــالفني فيه وذلك ان تتـــزوج لاني اشتهي ان ازوجك بابنة ملك من الملوك وافرح بك قبل موتي فلما سمع قمر الزمان من ابيه ذلك اطرق برأسه الي الارض ساعة ثم رفع رأسه الى ابيه وقد لحقه في تلك الســـاعة جنون الصبا وجهل الشبيبة وقال له اما انا فلا اتزوج ابدا ولوسقيت كؤس الردى واما انت فرجل كبير السنّ صغير العقل اليس انك سألتني قبل هذا اليوم مرّتين غير هذه المرة في شان الزواج وانا لا اجيبك الى ذلك ثم ان قمر الزمان فكّ كتاف يديه وشمّر عن ذراعيه قدام ابيه وهو في هيظه وتكلم مع ابيه بكلام كثير وانزعج خاطره فخجل ابوه و استحى

Digitized by Google

حكومة ويكون جميع الامراء والوزراء حاضرين وجميع العساكر واقفون فاذا اجتمع هؤلاء فارسل حينئذ خلف ولدك قمر الزمان في تلك الساعة واحضره فاذا حضر فقل له على امر الزواج بحضرة الوزراء وارباب الدولة واصحاب الصولة فانه لابد يستحي منهم ولا يقدر ان يخالفك احضرتهم فلما سمع الملك شهرمان من وزيره هذا الكلام فرح فرحا شديدا واستصوب رأيه في ذلك وخلع عليه خلعة سنية وصبر الملك شهرمان على ولده قمر الزمان سنة وكلما مرت عليه يوم من الايام يزداد حسنا وجمالا وبهجة وكمالا حتى بلغ من العمر قريبا من عشرين سنة والبسه الله حلة الجمال وتوّجه بتاج الكمال فصار طرفه اسحر من هاروت وغنج لحاظه اضل من الطاغوت واشرقت خدوده بالاحمرار وازدرت جفونه بالصارم البتار وبياض غرته حكى القمر الزاهر وسواد شعره كأنه الليل العاكر وخصره ارقّ من خيط همميان وردفه اثقل من الكثبان تهيّج البلابل على اعطافه ويشتكي خصره من ثقل ردافه ومحاسنه حيرت الورى كما قال فيه بعض الشعراء هذه الابيات

قَمَرٌ بِوَجْنَتِهِ وَبَاسِمِ ثَغْرِهِ ... وَبِأَسْهُمٍ قَدْ رَاشَهَا مِنْ سِحْرِهِ
وَبِلِيْنِ عِطْفَيْهِ وَمُرْهِفِ لَحْظِهِ ... وَبِبَيَاضِ غُرَّتِهِ وَأَسْوَدِ شَعْرِهِ
وَبِحَاجِبٍ حَجَبَ الْكَرَى عَنْ نَاظِرِي ... وَسَطَا عَلَيَّ بِنَهْيِهِ وَبِأَمْرِهِ
وَعَقَارِبٍ قَدْ أُرْسِلَتْ مِنْ صُدْغِهِ ... وَسَعَتْ لِقَتْلِ الْعَاشِقِيْنَ بِهَجْرِهِ
وَبِوَرْدِ خَدَّيْهِ وَآسِ عِذَارِهِ ... وَعَقِيْقِ مَبْسَمِهِ وَلُؤْلُؤِ ثَغْرِهِ
وَبِطِيْبِ نَكْهَتِهِ وَسَلْسَالٍ جَرَى ... فِي فِيْهِ يُزْرِي بِالرَّحِيْقِ وَعَصْرِهِ
وَبِرِدْفِهِ الْمُرْتَجِّ فِي حَرَكَاتِهِ ... وَسُكُوْنِهِ وَبِرِقَّةٍ فِي خَصْرِهِ
وَبِجُوْدِ رَاحَتِهِ وَصِدْقِ لِسَانِهِ ... وَبِطِيْبِ عُنْصُرِهِ وَعَالِي قَدْرِهِ

Digitized by Google

وَلَوْ بَنَى أَلْفَ حِصْنٍ مُشَيَّدَةً بِالرَّصَاصِ
فَلَيْسَ يُجْدِي بِنَاهَا وَلَا تُفِيدُ الصَّيَاصِي
إِنَّ النِّسَاءَ خَائِنَاتٌ لِكُلِّ دَانٍ وَقَاصِ
مُخَضَّبَاتُ بَنَانٍ مُظَفَّرَاتُ عِقَاصِ
مُكَحَّلَاتُ جُفُونٍ مُجَرِّعَاتُ غِصَاصِ

وما احسن قول الآخر

إِنَّ النِّسَاءَ وَإِنْ دُعِينَ لِعِفَّةٍ رِمَمٌ تُقَلِّبُهَا النُّسُورُ الْحُوَّمُ
فِي اللَّيْلِ عِنْدَكَ سِرُّهَا وَحَدِيثُهَا وَغَدٌ لِغَيْرِكَ سَاقُهَا وَالْمِعْصَمُ
كَالْخَانِ تَسْكُنُهُ وَتُصْبِحُ رَاحِلًا فَيَحِلُّ بَعْدَكَ فِيهِ مَنْ لَا تَعْلَمُ

فلما سمع الملك شهرمان من ولده قمر الزمان هذا الكلام وفهم الشعر والنظام لم يردّ عليه جوابا من فرط محبته له وزاده من انعامه واكرامه وانفض ذلك المجلس من تلك الساعة وبعد انفضاض المجلس دعا الملك بوزيره واختلى به وقال له ايها الوزير اخبرني ما الذي افعله في ولدي قمر الزمان من قضية الزواج وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والسبعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك طلب وزيره واختلى به وقال له ايها الوزير قل لي ما الذي افعله في ولدي قمر الزمان من قضية الزواج فاني استشرتك في زواجه فانت الذي اشرت عليّ بزواجه قبل ان اسلطنه فذكرت له الزواج مرارا فخالفني فاشر عليّ الآن ايها الوزير ما الذي افعله فقال له الوزير ايها الملك اصبر عليه سنة اخرى فاذا اردت ان تكلمه بعدها في هذا الامر فلا تكلمه سرّا وانما كلّمه في يوم

Digitized by Google

و الملاحة و تهتكت في حسنه الورى و يروى لطفه كل نسيم سرى و صار فتنة فى الجمال للعشاق و روضة فى الكمال للمشتاق عذب الكلام يخجل وجهه بدر التمام صاحب قد واعتدال وظرف و دلال كانه غصن بان او قضيب خيزران ينوب خده عن الورد و شقائق النعمان وقده عن غصن البان ظريف الشمائل كما قال فيه القائل

بَدَا فَقَالُوا تَبَارَكَ اللّٰهُ جَلَّ الَّذِي صَاغَهُ وَسَوَّاهُ
مَلِيكُ كُلِّ الْمِلَاحِ قَاطِبَةً فَكُلُّهُمْ اَصْبَحُوا رَعَايَاهُ
فِي رِيقِهِ شُهْدَةٌ مُذَوَّبَةٌ وَانْعَقَدَ الدُّرُّ فِي ثَنَايَاهُ
مُكَمَّلًا بِالْجَمَالِ مُنْفَرِدًا كُلُّ الْوَرَى فِي جَمَالِهِ تَاهُوا
قَدْ كَتَبَ الْحُسْنُ فَوْقَ وَجْنَتِهِ اَشْهَدُ اَنْ لَا مَلِيحَ اِلَّا هُوْ

فلمّا تكاملت سنة اخرى لقمر الزمان دعاه والده اليه و قال له يا ولدي اما تسمع مني فوقع قمر الزمان على الارض بين يدي والده هيبة واستحى منه و قال له يا ابت كيف لااسمع منك وقد امرني الله بطاعتك و ان لا اعصيك فقال له الملك شهرمان يا ولدي اعلم اني اريدان ازوجك وافرح بك في حيوتي واسلطنك في مملكتي قبل مماتي فلما سمع من ابيه ذلك اطرق رأسه ساعة ثم رفع رأسه وقال يا ابت هذا شيء لا افعله ابدا ولو سقيت كأس الردى وانا اعلم يقينا ان الله تعالى فرض عليّ طاعتك فبالله عليك لا تكلفني في امر الزاوج و لاتظن اني اتزوج طول عمري لانني قرأت كتبا للمتقدّمين و المتأخرين واطّلعت على ما وقع لهم من النساء من الفتن والآفات و مكرهن غير المتناهي وما يحدث عنهن من الدواهي و ما احسن قول الشاعر

مَنْ كَادَهُ الْعَاهِرَاتُ فَلَا يَرَى مِنْ خَلَامِ

Digitized by Google

الارض حياء من ابيه فقال له ابوه يا قمر الزمان اني اريد ان ازوجك وافرح بك في حيوتي فقال له يا ابي اعلم ان مالي في الزواج رغبة و نفسي لا تميل الى النساء لاني وجدت في مكرهن و غدرهن كتبا و كلاما كثيرا كما قال الشاعر

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنَّنِي ... خَبِيرٌ بِأَحْوَالِ النِّسَاءِ طَبِيبُ
إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ أَوْقَلَّ مَالُهُ ... فَلَيْسَ لَهُ مِنْ وُدِّهِنَّ نَصِيبُ

و قال الآخر

إِعْصِ النِّسَاءَ فَتِلْكَ الطَّاعَةُ الْحَسَنَهْ ... فَلَنْ يَفُوزَ فَتًى يُعْطِي النِّسَا رَسَنَهْ
يَعْقِنَهُ عَنْ كَمَالٍ فِي فَضَائِلِهِ ... وَلَوْ سَعَى طَالِبًا لِلْعِلْمِ أَلْفَ سَنَهْ

ولما فرغ من شعره قال يا ابي ان الزواج شيء لا افعله ابدا ولو سقيتُ كأس الردى فلما سمع السلطان شهرمان من ولده هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلاما و اغتم لذلك غمّا شديدا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والسبعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك شهرمان لما سمع من ولده هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلاما واغتمّ على عدم مطاوعة ولده قمر الزمان له فيما اشار عليه به من امر الزواج ومن شدة محبّته له لم يرض ان يكرر عليه هذا الكلام ولم يغضبه بل اقبل عليه واكرمه ولاطفه بكل ما يجلب المحبة الى القلب كل ذلك وقمر الزمان كل يوم يزداد حسنا وجمالا و ظرفا و دلالا فصبر الملك شهرمان على ولده سنة كاملة فوجده قد كمل بالفصاحة

Digitized by Google

قال لها الملك وكيف كان ذلك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للسبعين بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد انه كان في قديم الزمان وسالف العصر والاوان ملك يسمّى الملك شهرمان وكان صاحب عسكر عظيم وخدم واعوان الا انه كان قد كبر سنه ورقّ عظمه ولم يرزق بولد فتفكر في نفسه وحزن وقلق وشكى ذلك لبعض وزرائه وقال اني اخاف اذا مت ضاع الملك لانّي لم اجد من يتولّاه بعدي من ولدي فقال له ذلك الوزير لعلّ الله يحدث بعد ذلك امرا فتوكل على الله ايها الملك وابتهل اليه فقام الملك وتوضأ وصلى ركعتين ودعى الله تعالى بنية صادقة ودعا زوجته للفراش وجامعها في ذلك الوقت فعلقت منه بقدرة الله تعالى فلمّا كملت اشهرها وضعت ولدا ذكرا كانه البدر ليلة تمامه فسمّاه قمر الزمان وفرح به غاية الفرح ونادى بالزّينة فزينت المدينة سبعة ايام ودقت الطبول واقبلت البشائر ورتّبت له المراضع والدايات وتربّى في العز والدلال حتى صار له من العمر خمس عشرة سنة وكان فائقا في الحسن والجمال والقد والاعتدال وكان ابوه يحبّه ولا يقدر ان يفارقه ليلا ولانهارا فشكى ابوه لبعض وزرائه زيادة حبّه له وقال ايها الوزير اني خائف على ولدي قمر الزمان من طوارق الدهر والحدثان واريد ان ازوّجه في حيوتي فقال له الوزير اعلم ايها الملك ان الزواج من مكارم الاخلاق والصواب ان تزوج ولدك في حيوتك قبل ان تسلطنه فعند ذلك قال الملك شهرمان علّي بولدي قمر الزمان فحضر واطرق برأسه الى

Digitized by Google

فَكَيْفَ أَرُومُ السِّرَّ أَوْ أَكْتُمُ الْهَوَى ... وَفَرْطُ غَرَامِي فِيكَ يُشْهِرُ مَا عِنْدِي
وَقَدْ طَابَ مَوْتِي عِنْدَ فَقْدِ أَحِبَّتِي ... فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَا يَطِيبُ لَهُمْ بَعْدِي

فلما سمعت شمس النهار انشاد الشعر من الجارية لم تستطع الجلوس وسقطت مغشيا عليها فرمى الخليفة القدح وجذبها عنده وصاح وضجّت الجواري وقلّبها امير المؤمنين وحرّكها فاذا هي ميتة فحزن امير المؤمنين لموتها حزنا شديدا وامر بتكسير كل ما كان في المجلس من الاواني والعيدان وآلات الملاهي والطرب وحملها في حجره بعد موتها ومكث عندها باقي ليلته فلما طلع النهار جهزها وامر بغسلها وتكفينها ودفنها وحزن عليها حزنا كثيرا ولم يسأل عن حالها ولا عن الامر الذي كانت فيه ثم قالت الجارية للجوهري سألتك بالله الا ما اعلمتني يوم وصول جنازة علي بن بكار لاجل ان احضر دفنه فقال لها امّا انا ففي ايّ محل شئت تجديني واما انت ففي ايّ محل اجدك ومن يستطيع الوصول اليك في المحل الذي انت فيه فقالت له ان امير المؤمنين لما ماتت شمس النهار اعتق جواريها من يوم موتها وانا من جملتهن ونحن مقيمات على تربتها في المحل الفلاني فقمت معها واتيت الى قبرها وزرت شمس النهار ومضيت الى حالي ولم ازل انتظر جنازة علي بن بكار الى ان جاءت فخرجت له اهل بغداد وخرجتُ معهم فوجدت الجارية بين النساء وهي اشدهن حزنا ولم يتفق في بغداد جنازة اعظم منها ولم نزل في ازدحام عظيم حتى انتهينا الى المقبرة ودفناه الى رحمة الله تعالى وصرت لا انقطع عن زيارة قبره وقبر شمس النهار فهذا ما كان من حديثهما رحمهما الله تعالى وليس هذا باعجب من حديث الملك شهرمان

فلما سمعت ام علي بن بكار كلامي سقطت مغشيا عليها فلما افاقت عزمت على ما اوصيتها به ثم انّي ذهبت الى داري وصرت في الطريق اتفكر في حسن شبابه فبينما انا كذلك واذا بامرأة قد قبضت علي يدي و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــاح

فلما كانت الليلة التاسعة والستون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجوهري قال و اذا بامرأة قبضت على يدي فتأملتها واذا هي الجارية التي تأتي من عند شمس النهار وقد علاها الانكسار فلما تعارفنا بكينا جميعا حتى اتينا الى تلك الدار فقلت لها هل علمت بخبر الفتى علي بن بكار فقالت لا والله فاخبرتهـــا بخبره وما كان من امره ونحن نبكي ثم اني قلت لها وكيف حال سيدتك فقالت لم يقبل امير المؤمنين فيها قول احد لشدة محبته لها وقد حمل جميع امورها على المحامل الحسنة وقال الخليفة لهـا يا شمس النهـــار انت عندي عزيزة وانا اتحملك على رغم اعدائك ثم امر لها بفرش مقصورة مذهبة وحجرة مليحـــة وصارت عنده من ذلك في عيش رغيد وقبول عظيم فاتفق انه جلس يوما من الايام على جري عادته للشـــرب وحضـرت المحـــاظي بين يديه فاجلسهن في مراتبهن واجلسها بجـانبه وقد عدمت صبرها و زاد امرها فعند ذلك امر جارية من الجـواري ان تغنى فاخذت العـــود واصلحته و جسّته و ضربت به ثم انشدت تقول شعـــــــــــر

وَدَاعٍ دَعَانِي لِلْهَوَى فَأَجَبْتُهُ ... وَدَمْعِي يَخُطُّ الْوَجْدَ خَطًّا عَلَى خَدِّي
كَأَنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ تُخْبِرُ حَالَنَا ... فَتُبْدِي الَّذِي أُخْفِي وَتُخْفِي الَّذِي أُبْدِي

Digitized by Google

اليها ويسمع صوتهـا وهو تارة يسكر وتارة يصحو وتارة يبكي شجنا وحزنا مما اصابه فسمع الجارية التي تغنى تنشد هذه الابيـات

عَجَّلَ الْبَيْنُ بَيْنَنَـا بِالْفِرَاقِ ... بَعْدَ اِلْفٍ وَ جِيرَةٍ وَ اتِّفَـاقِ
فَرَّقَتْ بَيْنَنَا صُرُوفُ اللَّيَالِي ... لَيْتَ شِعْرِي مَتَى يَكُونُ التَّلَاقِي
مَا اَمَرَّ الْفِرَاقَ بَعْدَ اجْتِمَـاعٍ ... لَيْتَـهُ مَا اَضَرَّ بِالْعُشَّـاقِ
غُصَّةُ الْمَوْتِ سَاعَةٌ ثُمَّ تَقْضِي ... وَفِرَاقُ الْحَبِيبِ فِي الْقَلْبِ بَاقِي
لَوْ وَجَدْنَا اِلَى الْفِرَاقِ سَبِيلًا ... لَاَذَقْنَا الْفِرَاقَ طَعْـمَ الْفِرَاقِ

فلما سمع ابن بكار انشاد الجارية شهق شهقة فارقت روحه جسده قال الجوهري فلما رأيته مات اوصيت عليه صاحب الدار وقلت له اعلم انني ذاهب الى بغداد لاخبر امّه واقاربه حتى يأتوا ليجهزوه ثم اني اتيت الى بغداد ودخلت داري وغيرت ثيـابي وبعد ذلك جئت الى دار علي بن بكار فلما رآني غلمانه اتوا اليّ وسألوني عنه وسألتهم ان يستأذنوا لي بالدخول على والدته فاذنت لي بالدخول فدخلت وسلمت عليها وقلت ان الله مدبر الانفـاس بامره واذا قضى امرا لا مفرّ من قضائه وماكان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجّلا فتوهمت ام علي بن بكار من هذا الكلام ان ابنها قد مات فبكت بكاء شديدا ثم قالت بالله عليك ان تخبرني هل توفي ولدي فلم اقدر ان اردّ عليها جوابا من البكاء وكثرة الجزع فلما رأتني على تلك الحالة انخنقت بالبكاء ثم وقعت على الارض مغشيا عليها فلمـا افاقت من غشيتها قالت ما كان من امر ولدي فقلت لها اعظم الله اجرك فيه ثم اني حدثتها بما كان من امره من الابتداء الى الانتهاء فقالت هل اوصاك بشيء فقلت لها نعم وحكيت لها على ما اوصاني به وقلت لها اسرعي في تجهيزه

مشينا الى ان اصبح الصباح فوصلنا الى بلد فدخلنا ها و قصدنا مسجدها فدخلنا اليه ونحن عريانون فجلسنا في جانب المسجد باقي يومنا كله فلما جاء الليل بتنا فيه تلك الليلة و نحن بغير اكل وشرب فلما اصبح الصباح صلّينا الصبح و جلسنا واذا برجل دخل وسلم علينا وصلّى ركعتين ثم التفت الينا وقال يا جماعة هل انتم غرباء قلنا نعم وقطع اللصوص علينا الطريق وعرّونا و دخلنا هذه البلدة ولم نعرف فيها احدا نأوي عنده فقال لنا الرجل هل لكم ان تقوموا معي الى داري قال الجوهري فقلت لعلي بن بكار قم بنامعه فننجو من امرين الاول اننا نخشى ان يدخل علينا احد الى هذا المسجد فيعرفنا فنفتضح والثاني اننا ناس غرباء وليس لنا محل نأوي اليه فقال علي بن بكار افعل ماتريد ثم ان الرجل قال لنا ثاني مرة يا فقراء اطيعوني و سيروا معي الى مكاني قال الجوهري فقلت له السمع والطاعة ثم ان الرجل خلع علينا شيأ من اثوابه والبسنا و اعتذر لنا ولاطفنا فقمنا معه الى داره فطرق الباب فخرج اليه خادم صغير وفتح الباب فدخل الرجل صاحب المنزل ودخلنا خلفه ثم ان الرجل امر باحضار بقجة فيها ثياب وشاشات فالبسنا حلتين واعطانا شاشين فتعممنا وجلسنا واذا بجارية اقبلت الينا بمائدة ووضعتها بين ايدينا وقالت كلوا فاكلنا شيأ يسيرا ورفعت المائدة ثم اقمنا عنده الى ان دخل الليل فتأوّه علي بن بكار وقال للجوهري اعلم يا اخي انني هالك لامحالة واريدان اوصيك بوصيّة وهواني اذا رأيتني مت اذهب الى والدتي واخبرها واوصها ان تأتي الى هذا المكان لاجل ان تأخذ عزائي وتحضر غسلي واوصها ان تكون صابرة على فراقي ثم خرّمغشيا عليه فلما افاق سمع جارية تغنّي من بعيد وتنشد الاشعار فصار يصغي

Digitized by Google

الرأي ان تبادر الى علي بن بكار ان كان صديقك وانت تريد له النجاة وانت عليك بتبليغ هذا الخبر له بسرعة ولا تطول عليه هذه المدة ولا تبعد المسافة وانا عليّ ان اتقيد باستنشاق الاخبار ثم ودعتني وخرجت فلما خرجت الجارية قمت وخرجت في اثرها ومضيت الى علي بن بكار فوجدته يمنّي نفسه بالوصال ويعلّلها بالمحال فلما رآني رجعت اليه عاجلا قال لي اني اراك رجعت اليّ وجئت في الحال فقلت له اصبر اقصر من التعلق المطال ودع ما انت فيه من الاشتغال فقد حدث حادث وامر فيه اتلاف نفسك ومالك فلما سمع هذا الكلام تغير حاله وانزعج وقال لي يا اخي اخبرني بماوقع فقلت له يا سيدي اعلم انه قد جرى ماهو كذا وكذا وانك تالف لامحالة ان اقمت في دارك هذه الى آخر النهار فبهت علي بن بكار وكادت روحه ان تفارق جسده ثم استرجع بعد ذلك وقال لي اي شيء افعل يا اخي وما عندك من الرأي فقلت له الرأي خذ معك من مالك ماتقدر عليه ومن غلمانك ماتثق به وامض بنا الى ديار غير هذه قبل ان ينقضي هذا النهار فقال لي سمعا وطاعة فوثب علي بن بكار وهو متخبل ومتحير في امره فتارة يمشي وتارة يقع فاخذ ما قدر عليه واعتذر الى اهله واوصاهم بمقصوده واخذ معه ثلثة جمال محملة وركب دابته وقد فعلت انا كما فعل ثم خرجنا خفية ونحن متنكّرون وسرنا ولم نزل مسافرين باقي يومنا وليلتنا فلما كان آخر الليل حططنا حمولنا وعقلنا جمالنا ونمنا فحلّ علينا التعب وغفلنا عن انفسنا واذا باللصوص احاطوا بنا واخذوا جميع ماكان معنا وقتلوا الغلمان لما ارادوا ان يمنعوا عنّا ثم تركونا مكاننا ونحن في اقبح حال بعد ان اخذوا المال وساقوا الجميع وساروا فلما قمنا

Digitized by Google

الى داري فلعل الجارية ترجع الي بخبر فقال علي بن بكار لا باس بذلك ولكن اذهب واسرع بالعود عندي لاجل ان تخبرني فانك ترى حالي فودّعته وانصرفت الى داري فلم استتم الجلوس الا والجارية اقبلت وهي مختنقة بالبكاء فقلت لها ما سبب ذلك فقالت ياسيدي اعلم انه حلّ بنا ماحلّ من امر نخافه فاني لما مضيت من عندك بالامس صادفت سيدتي وهي مغتاظة على وصيفة من الوصيفتين اللتين كانتا معنا تلك الليلة فامرت بضربها فخافت وهربت من سيدتها فخرجت فلاقاها بعض الموكلين بالباب فاخذها واراد ردها الى سيدتها فلوّحت له بالكلام فلا طفها واستنطقها عن حالها فاخبرته بما كنّا فيه فبلغ الخبر الى الخليفة فامر بنقل سيدتي شمس النهار وجميع مالها الى دار الخلافة ووكّل بها عشرين خادما ولم اجتمع بها الى الآن ولم اعلمها بالسبب وتوهمت انه بسبب ذلك فخشيت انا على نفسي واحترتُ ياسيدي ولم ادر كيف افعل وكيف احتال في امري وامرها فان ما عندها احفظ واقرب لكتمان السر غيري وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والستون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية قالت للجوهري ان سيدتي لم يكن عندها اقرب واحفظ لكتمان السر مني فامض وتوجد ياسيدي الى علي بن بكار سريعا واخبره بذلك لاجل ان يكون على اهبة وحذر فاذا انكشف الامر نتدبر في امر نفعله لنجاة انفسنا قال الجوهري فانخلعت من ذلك همّ عظيم وصار الكون في وجهي ظلاما من كلام الجارية وهمّت الجارية لتمضي فقلت لها وما الرأي وما بقي في الامر وقت فقالت لي

Digitized by Google

واجلسته وضممته الى صدري فقال لي اعلم يا اخي اني من حين رقدتُ ما جلست الّا في هذه الساعة فالحمد لله على مشاهدتك قال الجوهري فلم ازل اسنده حتى اوقفته على رجليه ومشّيته خطوات وغيّرت اثوابه وشرب شرابا وكل ذلك لاجل ان يطيب خاطره فلما رأيت عليه علامة العافية حدثته بما كان من الجارية ولم يسمعني احد ثم قلت له شدّ نفسك وحيلك فانا اعرف مابك فتبسم فقلت له انك لا تجد الا مايسرّك ويدا ويك ثم ان علي بن بكار امر باحضار الطعام فاحضروه واومى الى غلمانه فتفرّقوا ثم قال لي يا اخي هل رأيت ما اصابني واعتذر لي وسألني عن حالي في هذه المدة فاخبرته بجميع ماجرى لي من الاول الى الآخر فتعجب ثم قال للخدم ائتوني بكذا وكذا فاتوه بفرش نفيس وبسط وغير ذلك من تجاليق الذهب والفضة اكثر من الذي ضاع لي واعطاني اياه جميعا فارسلته الى منزلي واقمت عنده ليلتي فلما اسفر الصبح قال لي اعلم ان لكل شيء نهاية ونهاية الهوى الموت او الوصال وانا الى الموت اقرب فيا ليتني متُّ قبل الذي جرى ولولا ان الله لطف بنا لافتضحنا ولا ادري ما الذي يوصلني الى الخلاص مما انا فيه ولولا خوفي من الله لعجّلت على نفسي بالهلاك واعلم يا اخي انني كالطير في القفص وان نفسي هالكة لامحالة من الغصص ولكن لها وقت معلوم واجل محتوم ثم بكى واشتكى وانشد يقول شعر

لَقَدْ كَفَى مَاجَرَى لِلصَّبِّ مَنْ مَعَهُ ... أَمَّا الْأَسَى عَنْ جَمِيعِ الصَّبْرِ يَرْدَعُهُ

قَدْ كَانَ يَجْمَعُ لِلْأَسْرَارِ كَاتِمُهَا ... فَفَرَّقَتْ عَيْنُهُ مَا كَانَ يَجْمَعُهُ

فلما فرغ من شعره قال له الجوهري ياسيدي اعلم اني عولت على الذهاب

Digitized by Google

لي قف هنا حتى اعود اليك و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والستون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجوهري لما قالت له الجارية قف هنا حتى اعود اليك و مضت ثم عادت وهي حاملة المال ورفعته اليّ و قالت لي يا سيدي نجتمع بك في اي محل فقلت لها امضي واتوجه الى داري في هذه الساعة و اتحمل الصعوبة لاجل خاطرك واتدبر فيما يوصلك اليه فانه يتعذر الوصول اليه في هذا الوقت قالت فاخبرني بمحل آتيك فيه فقلت لها في داري ثم ودّعتني ومضت فحملت المال واتيت به الى منزلي وعددت المال فوجدته خمسة آلاف دينار فاعطيت اهلي منه شيأ ومن كان له عندي شيء اعطيته عوضاعنه ثم اني قمت و اخذت غلماني وذهبت الى الدار التي ضاعت منها الامتعة وجئت بالمعمارين والنجّارين و البنّائين فاعادوها الى ما كانت عليه وجعلتُ جاريتي فيها ونسيتُ ماجرى لي ثم تمشيت واتيت الى دار علي بن بكار فلما وصلت اليها اقبل غلمانه عليّ وقالوا لي ان سيدي في طلبك ليلا ونهارا و وعدنا ان كل من اتى بك اليه يعتقه فهم يدورون ويفتّشون عليك ولا يعرفون لك موضعا وقد رجعت الى سيدنا عافيته فهو تارة يفيق و تارة يستغرق فلما يفيق يذكرك ويقول لابد ان تحضروه لي لحظة ويعود الى سكرته قال الجوهري فمضيت مع الغلام اليه فوجدته لايستطيع الكلام فلما رأيته جلست عند رأسه ففتح عينيه فلما رآني بكى وقال لي اهلا ومرحبا ثم اسندته

اللصوص فقالوا لنا من يكون صاحب الدار التي كنتما فيها فقلنا لهم صاحبهـــا فلان الجوهري فقال واحد منهم انا اعرفه حق المعرفة و اعرف مكانه انه ساكن في داره الثانية و عليّ ان آتيكم به في تلك الساعـة واتفقوا علي ان يجعلوني في موضع وحدي و علي بن بكار في موضع وحده و قالوا لنا استريحا ولاتخافا ان ينكشف خبركما وانتما في امان منّا ثم ان صاحبهم مضى الى الجوهري واتي به وكشف امرنا لهم واجتمعنا عليه ثم ان رجـــلا منهم احضر لنا سُمَيريّة فاطلعونا فيها وعدوا بنا الى الجانب الثاني و رمونا الى البرّ وذهبوا فاتت خيالة من اصحاب العسس و قالوا لنا من تكونوا فتكلمتُ مع المقدم على العسس وقلت له انا شمس النهار محظية الخليفة فاني سكرت وخرجت لبعض معارفي من نساء الوزراء فجاء ني العيارون واخذوني فاوصلوني الى هذا المكان فلما رأوكم فرّوا هاربين و انا قادرة على مكافأتك فلما سمع مقدم الخيالة كلامي عرفني و نزل عن مركوبه واركبني و فعل كذلك مع علي بن بكار والجوهري وفي كبدي الآن من اجلهما لهيب النار لا سيما الجوهري رفيق ابن بكار فامضي اليه وسلمي عليه واستخبري منه علي بن بكار فكلمتها ولمتها على ما وقع منها و حذرتها و قلت لها ياسيدتي خافي على نفسك فصاحت عليّ و غضبت من كلامي ثم قمت من عندها وجئت اليك فلم اجدك وخشيت من الرواح الى ابن بكار فصرت واقفة ارتقبك حتى اسألك عنه و اعلم ما هو فيه فاسألك من فضلك ان تاخذمني شيأ من المال فانك لابد استعرت امتعة من اصحابك وضاعت عليك فتحتـــاج ان تعوض على الناس ماذهب لهـــم من الامتعـــة عندك قال الجوهري فقلت سمعـــا وطاعة سيري و مشيت معهـــا الى ان اتينا الى قرب محلي فقالت

Digitized by Google

من الفرح بعدان قطعت الرجاء منها فلما تقدمت بين يديها امرتني ان ادفع الى الرجل الذي جاء بها الف دينار ثم حملتها انا والوصيفتان الى ان القيناها على فراشها فاقامت تلك الليلة على حالة مكدّرة فلما اصبحت الصباح منعت انا للجواري والخدم من الدخول عليها والوصول اليها ذلك اليوم وفي ثاني يوم افاقت مما كان بها فوجدتها كأنها قد خرجت من مقبرة فرششت على وجهها ماء الورد وغيّرت ثيابها وغسّلت يديها ورجليها ولم ازل الاطفها حتى اطعمتها شيأ من الطعام و اسقيتها شيأ من الشراب و هي ليس لها قابلية في شيء من ذلك فلما شمّت الهواء وتوجّهت اليها العافية صرت اعاتبهـــا وقلت لها يا سيدتي انظري وارفقي بنفسك فقد رأيتِ ما جرى لنا وقد حصل لكِ من المشقة ما فيه الكفاية فانكِ قد اشرفت على الهلاك فقالت والله يا جارية الخير ان الموت عندي اهون مما جرى لي فاني كنت مقتولة لامحالة لان اللصوص لمّا خرجوا بنا من بيت الجوهري سألوني وقالوا لي من تكونين انت فقلت انا جارية من المغنّيات فصدّقوني ثم سألوا علي بن بكار عن نفسه وقالوا له من تكون انت وما شأنك فقال انا من عوام الناس فاخذونا وسرنا معهم الى ان انتهوا بنا الى موضعهم ونحن نسرع معهم في السير من شدة الخوف فلما استقرّوا بنا في اماكنهم تأملوني ونظروا ما عليّ من الملبوس والعقود والجواهر فانكروا امري وقالوا ان هذه العقود لم تكن لواحدة من المغنيات فاصدقينا وقولي لنا الحق ما قضيتكِ فلم اردّ عليهم جوابا بشيء وقلت في نفسي الآن يقتلـــونني لاجل ما عليّ من الحلي والحلل فلم انطق بكلمة فالتفت العيّـــارون الى علي بن بكار وقالوا له وانت من تكون ومن اين انت فان رؤيتك غير رؤية العوام فتكلّم وصرنا نكتم امرنا ونبكي فحنّن الله علينا قلوب

Digitized by Google

انظرها يأخذني الرعب منها وهي تقول لي قف حتى احدثك بشيء وانا لم التفت اليها ولم ازل سائرا الى مسجد في موضع خال من الناس فقالت لي ادخل في هذا المسجد لاقول لك كلمة ولا تخف من شيء وحلفتني فدخلت المسجد ودخلت خلفي فصلّيت ركعتين ثم تقدمتُ اليها وانا اتأوّه وقلت لها مابالك فسألتني عن حالي فحدثتها بما وقع لي واخبرتها بما جرى لعلي بن بكار وقلت لها ماخبرك فقالت اعلم اني لما رأيت الرجال كسروا باب دارك ودخلوا خفت منهم وخشيت ان يكونوا من عند الخليفة فيأخذوني انا وسيدتي فنهلك في وقتنا فهربت من السطوح انا والوصيفتان ورمينا انفسنا من مكان عال ودخلنا على قوم فهربنا عندهم واوصلونا الى قصر الخلافة ونحن على اقبح صفة ثم اخفينا امرنا وصرنا نتقلب على الجمر الى ان جنّ الليل ففتحت باب البحر واستدعيت بالملاح الذي اخرجنا تلك الليلة وقلت له ان سيدتي لم تعلم لها خبرا فاحملني في الزورق حتى اذهبُ وافتشُ عليها في البحر لعلّي اقع على خبرها فحملني في الزورق وساربي ولم ازل سائرة في البحر حتى انتصف الليل فرأيت سُمَيريّة اقبلت إلى جهة الباب وفيها رجل يقذف ومعه رجل آخر واقف وامرأة مطروحة بينهما وما زال يقذف الى ان وصلت الى البر فلما نزلت المرأة تأملتها فاذا هي شمس النهار فنزلت اليها وقد اندهشت من الفرحة لما رأيتها بعد ماقطعت الرجاء منها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والستون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية قالت للجوهري وقد اندهشت

Digitized by Google

بنفسه ثم شددت عليهم و خوفتهم من الفضيحة بيني وبينهم فبينما نحن كذلك واذا بعلي بن بكار تحرك في فراشه ففرح اهله وانصرف الناس عنه و منعني اهله من الخروج من عنده ثم رشّوا ماء الورد على وجهه فلما افاق وشمّ الهواء صاروا يسألونه عن حاله فصار يخبرهم ولسانه لايرد جوابا بسرعة ثم اشار اليهم ان يطلقوني لاذهب الى منزلي فاطلقوني فخرجت وانا لا اصدق بالخلاص واتيت الى داري وانا بين رجلين حتى وصلت الى اهلي فلما رأوني على تلك الحالة قاموا بالعياط ولطموا على وجوههم فاومأت اليهم بيدي ان اسكتوا فسكتوا وانصرف الرجلان الى حال سبيلهما وانقلبت على فراشي بقية ليلتي ولم افق الّا وقت الضحى فوجدت اهلي مجتمعين حولي فقالوا ما الذي دهاك وبشّره رماك فقلت ائتوني بشيء من الشراب فجاؤا لي شرابا فشربت منه حتى استكفيت ثم قلت لهم قد كان ماكان فانصرفوا الى حال سبيلهم ثم اعتذرت الى اصحابي وسألتهم عن الذي ذهب من داري هل عاد شيء منه فقالوا عاد البعض و سببه إنه جاء انسان و رماه في باب الدار ولم ننظره فصليت نفسي واقمت في مكاني يومين وانا لااقدر على القيام من محلّي ثم قوّيت نفسي و مشيت حتى دخلت الحمام وانا عندي تعب شديد وقلبي مشغول من جهة علي بن بكار وشمس النهار ولم اسمع لهما خبرا في تلك المدة ولم استطع الوصول الى دار علي بن بكار وام يستقرلي قرار في مكاني خوفا على نفسي ثم تبت الى الله تعالى مما صدر مني و حمدته على سلامتي و بعد مدة حدثتني نفسي ان اقصد تلك الناحية و ارجع في ساعة فلما اردت المسير رأيت امرأة واقفة فتأملتها واذا هي جارية شمس النهار فلما عرفتها بسرت وهرولت في سيري فتبعتني فداخلني منها الفزع و صرت كلما

ASHMOLEAN OXFORD Digitized by Google

بن بكار وقالوا لي لست صادقا في كلامك فان كنت صادقا فاخبرنا من انتم و من اين انتم و ما موضعكم و فى اىّ الحارت انتم ساكنون قال الجوهري فلم ادرما اقول لهم فوثبت شمس النهار و تقدمت الى مقدم الخيالة و تحدثت معه سرّا فنزل من فوق جواده واركبها عليه واخذ بزمامها و صار يقودها وكذلك فعل آخر بالفتى علي بن بكار وفعل بي ايضا ثم ان مقدم الخيالة لم يزل سائرابنا الى موضع على جانب البحر وضاح بالرطانة فاقبل له جماعة من البرية معهم سميريتان فطلّعنا المقدم فى واحدة وهو معنا وطلع اصحابه في الثانية وقذفوا بنا الى ان انتهينا الى دار الخلافة ونحن نكا بد الموت من شدة الخوف و لم نزل سائرين الى ان انتهينا الى المحل الذي نتوصل منه الى موضعنا فنزلنا على البر و مشينا و معنا جماعة من الخيالة يؤانسوننا الى ان دخلنا الدار وحين دخلناها و دعنا من كان معنا من الخيالة و مضوا الى حال سبيلهم واما نحن فقد دخلنا مكاننا و نحن لانقدر ان نتحرك من مكاننا و لاندري الصباح من المساء ولم نزل على هذه الحالة الى ان اصبح الصباح فلما جاء آخر النهار سقط علي بن بكار مغشيا عليه و بكى عليه النساء و الرجال و هو مطروح لم يتحرك فجاوني بعض اهله و ايقظوني و قالوا حدثنا بماجرى على ولدنا وما هذا الحال الذي هو فيه فقلت لهم يا قوم اسمعوا كلامي و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــاح

فلما كانت الليلة الخامسة والستون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجوهري قال لهم ياقوم اسمعوا كلامي و لا تفعلوا بي مكروها واصبروا و هو يفيق و يخبركم بقصته

Digitized by Google

انفع واحسن من كتمانه فحدثتهم بجميع ما وقع لي حتى انتهيت الى آخر الحديث فلما سمعوا حكايتي قالوا وهل هذا الفتى علي بن بكار وهذه الجارية شمس النهار قلت نعم فصعب عليهم ذلك وقاموا واعتذروا لهما ثم قالوا لي ان الذي اخذناه من دارك ذهب بعضه وهذا باقيه ثم ردّوا اليّ اكثر الامتعة والتزموا انهم يعيدونها الى محلها في داري ويردون لي الباقي فاطمأن قلبي ولكنهم انقسموا نصفين فصار قسم منهم معي وقسم منهم عليّ ثم خرجنا من تلك الدار هذا ما كان من امري واما ما كان من امر علي بن بكار وشمس النهار فانهما قد اشرفا على الهلاك من شدة الخوف ثم اني تقدمت الى علي بن بكار وشمس النهار وسلمت عليهما وقلت لهما ياترى كيف جرى بالجارية والوصيفتين واين ذهبن فقالا لاعلم لنا بهن ولم نزل سائرين الى ان انتهينا الى المكان الذي فيه السُمَيرية فاطلعونا فيها واذا هي التي عدينا فيها بالامس فقذف بنا الملاح حتى اوصلنا الى البر الثاني فانزلونا على جانب البر فما استقر بنا الجلوس على جانب البر وما استرحنا الا والخيالة قد احاطوا بنا مثل العقبان من كل جانب ومكان فوثب الذين كانوا معنا عاجلا كالعقاب فرجعت لهم السُمَيرية فنزلوا فيها ودفع بهم الملاح فصاروا في وسط البحر وذهبوا وبقينا نحن على البر على شاطئ البحر لا نستطيع الحركة ولا السكون فقال لنا الخيالة من اين انتم فتحيرنا في الجواب قال الجوهري فقلت لهم ان هؤلاء الذين رأيتموهم معنا كانوا عيارين لانعرفهم واما نحن فمغنون وارادوا اخذنا لنغني لهم فما تخلصنا منهم الّا باللطافة ولين الكلام فافرجوا عنا في هذه الساعة وقد كان منهم ما رأيتم من امرهم فنظر الخيالة الى شمس النهار وعلي

Digitized by Google

الزورق ونزلت خلفه فاخذ الرجل بيدى ونزل بي في درب لم ادخله طول عمرى ولم اعلم هو في اىّ ناحية ثم ان الرجل وقف على باب دار وفتحها ودخل وادخلني معه واغلق بابهـــا بقفل من حديد ثم مشي بي في دهليزها حتى دخلنـــا على عشرة رجال كانهم رجل واحد وهم اخوان قال الجوهري فسلمنا عليهم فردّوا علينا السلام وامرونا بالجلوس فجلسنا وكنت قد هلكت من شدة التعب فجاؤا اليّ بمـــاء ورد ورشّوه على وجهي وسقوني شرابا وقدموا اليّ طعاما واكل بعضهم معي فقلت لوكان فى الطعام شيءٌ مضرّ لم يأكلوا منه معي فلما غسلنا ايدينا عادكل منا الى مكانه وقالواهل تعرفنـــا فقلت لاولا عمري رأيتكم بل ولارايت الذي احضرني اليكم ولارأيت هذا الموضع ابدا فقالوا اطلعنا على خبرك ولا تكذب في شيءٌ فقلت لهم اعلموا ان حالي عجيب وامري غريب فهل عندكم شيءٌ من خبري قالوا نعم نحن الذي اخذنا امتعتك فى الليلة المـــاضية واخذنا صديقك والتي كانت تغنّي معه فقلت لهم اسبل الله عليكم ستره اين صديقي هووالتي كانت تغنّي معه فاشاروا اليّ بايديهم الى ناحية وقالوا ههنا ولكن والله يا اخي ماظهر سرّهما على احد منا غيرك ومن حين اتينا بهما لم نرهما الى هذا الوقت ولم نسألهما عن حالهمـــا لمارأينا عليهما من الهيبة والوقار وهذا هوالذي منعنا عن قتلهما فاخبرنا عن حقيقة امرهما وانت فى امان على نفسك وعليهما قال الجوهري فلما سمعت هذا الكلام كدت ان اهلك من الخوف والفزع وقلت لهم يا اخواني اعلموا ان المروة اذا ضاعت لم توجد الّا عندكم واذا كان عندهم سراخاف افشـــاءه فلا ينبغي الا صدوركم وصرت ابالغ لهم في هذا المعنى ثم اني وجدت المبادرة لهم بالحديث

Digitized by Google

فيحصل مرادك بغير سعي منك فلما سمع الجوهري هذا الكلام رجع الى داره الثانية التي هو ساكن بها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والستون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجوهري لما سمع الكلام رجع الى داره الثانية التي هو ساكن بها وقال في نفسه ان الذي حصل لي هو الذي خاف منه ابو الحسن وذهب الى البصرة وقد وقعت فيه انا ثم ان نهب داره اشتهر عند الناس فاقبل اليه الناس من كل جانب ومكان فمنهم من هو شامت به ومنهم من هو عاذر وحامل همّه فصار يشكولهم ولم يأكل طعاما ولم يشرب شرابا ممابه فبينما هو جالس متندم واذا بغلام من غلمانه دخل عليه وقال له ان شخصا بالباب يدعوك لم اعرفه فخرج الجوهري اليه وسلّم عليه ووجده انسانا لم يعرفه فقال له الرجل ان لي حديثا بيني وبينك فادخله الدار وقال له ماعندك من الحديث فقال له الرجل امض معي الى دارك الثانية فقال الجوهري وهل تعرف داري الثانية فقال ان جميع خبرك عندي وان عندي ايضا مايفرج الله به همّك عنك فقلت في نفسي انا امضي معه حيث اراد ثم توجهت الى ان اتينا الدار فلما رأى الرجل الدار قال انها بغير باب ولا بواب ولا يمكن القعود فيها فامض بنا الى غيرها فلم يزل الرجل يدور من مكان الى مكان وانا معه حتى دخل علينا الليل ولم اسأله عن امر من الامور ثم انه لم يزل يمشي وانا امشي معه حتى خرجنا الى الفضاء وهو يقول اتبعني وصار يُهَرْوِل في مشيه وانا أُهَرْوِل وراءه والقوي قلبي على المشي حتى اتينا البحر فطلع بنا في زورق وقذف بنا الملاح حتى عدانا الى البر الثاني فنزل من ذلك

Digitized by Google

بمارحبت ونظرت الى الباب فلم اجد مسلكا فنطّيت الى دار بعض الجيران وتخبّيت فرجدت الناس قد دخلوا داري وصار لهم ضجة عظيمة فاعتقدت ان خبرنا قد وصل الى الخليفة فارسل صاحب الشرطة ليكْبس علينا ويحضرنا اليه فبقيت متحيرا ولم ازل مقيما الى نصف الليل ولم اقدر على الخروج من المكان الذى انا فيه فقام صاحب الدار واحسّ بي ففزع وصار عنده فزع عظيم مني فطلع من بيته وجاء اليّ وبيده سيف مسلول وقال من هذا الذي عندنا فقلت له انا جارك الجوهري فعرفني ورجع عني ثم جاء بضوء وتقدّم عندي وقال لي يا اخي ماهان عليّ الذي جرى لك الليلة فقلت له ياأخي عرّفني عن من كان في داري ومن دخلها وكسر بابي فاني هربت عندك ولم اعلم القصة فقال لي ان اللصوص الذين جاؤا الى جيراننا بالامس وقتلوا فلانا واخذوا ماله قد رأوك بالامس وانت تنقل حوائجك وتاتي بها الى هذا المكان فجاؤك واخذوا ما عندك وقتلوا ضيوفك قال الجوهري فقمت انا وجاري وجئنا الى الدار فوجدناها خالية ولم يبق فيها شيء فتحيرت في امري وقلت اما الامتعة فلا ابالي بضياعها وان كنت استعرت بعض الامتعة من اصحابي وضاعت فلا باس بذلك لانهم عرفوا عذري بذهاب مالي ونهب داري واما علي بن بكار ومحظية امير المؤمنين فاخشى ان يشتهر الامر بينهما فيكون ذلك سبب رواح روحي ثم التفت الى جاري وقلت له انت اخي وجاري وتستر عليّ عوراتي فما الذي تشير به عليّ من الامور فقال لي الرجل الذي اشير به عليك ان تتربص فان الذين دخلوا دارك واخذوا متاعك قد قتلوا احسن جماعة من دار الخليفة وقتلوا جماعة من عند صاحب الشرطة واعوانُ الدولة يدورون عليهم في جميع الطرق فلعلهم يصدفونهم

Digitized by Google

فاحضرتُ شيأ من الطعام فاكلا حتى اكتفيا ثم غسلا ايديهما ثم نقلتُهما الى مجلس آخر واحضرتُ لهما الشراب فشربا وسكرا ومالا على بعضهما ثم ان شمس النهار قالت لي يا سيدي كمِّل جميلك واحضر لنا عودا او شيأ من آلات الطرب لاجل ان يكمل سرورنا في هذه الساعة فقلت على الرأس والعين ثم اني قمت واحضرتُ عودا فاخذتْه واصلحته ثم انها وضعته في حجرها وضربت عليه ضربا بليغا هيجت الشجون واطربت المحزون ثم انشدت هذين البيتين

أَرِقْتُ حَتَّى كَأَنِّي اَعْشَقُ الْأَرِقَا ... وَذُبْتُ حَتَّى كَأَنَّ السُّقْمَ لِي خُلِقَا
وَفَاضَ دَمْعِي عَلَى خَدِّي فَاَحْرَقَهُ ... يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ بَعْدَ الْفِرَاقِ لِقَا

ثم انها اخذت في غناء الاشعار حتى حيرت الافكار وهي تغنّي باصوات مختلفة واشعار رائقة حتى كاد المجلس ان يرقص من شدة الطرب بما اتت فيه من مغانيها بالعجب وما بقي لنا عقل ولافكر ولمّا استقرّ بنا الجلوس ودارت بيننا الكؤس اطربت الجارية بالنغمات وانشدت هذه الابيات

وَعَدَ الْحَبِيبُ بِوَصْلِهِ وَوَفَى لِي ... فِي لَيْلَةٍ سَأُعِدُّهَا بِلَيَالِي
يَا لَيْلَةً سَمَحَ الزَّمَانُ لَنَا بِهَا ... فِي غَفْلَةِ الْوَاشِينَ وَالْعُذَّالِ
بَاتَ الْحَبِيبُ يَضُمُّنِي بِيَمِينِهِ ... مِنْ فَرْحَتِي فَضَمَمْتُهُ بِشِمَالِي
عَانَقْتُهُ وَرَشَفْتُ خُمْرَةَ رِيقِهِ ... وَحَظِيتُ بِالْمَعْسُولِ وَالْعُسَّالِ

قال الجوهري فبينما نحن في بحر السرور غارقون واذا بوصيفة صغيرة دخلت علينا وهي ترتعد وقالت ياسيدتي انظري كيف تذهبين فان القوم احاطوا بكم وادركوكم ولم ندر سبب ذلك فلما سمعتُ كلامه قمت مرعوبا واذا بجارية تقول جاءكم البلاء فضاقت عليّ الارض

Digitized by Google

و انا ذاهبة الى سيدتي لا خبرها بما ذكرت و اعرض عليها ما قلت ثم قامت و مضت حتى دخلت على سيدتها و عرضت عليها الكلام وعادت الى منزلي وقالت لي الا مر صار على ما ذكرته فهيّ لنا المحل و انتظرنا ثم اخرجت من جيبها كيسا فيه دنانير وقالت لي ان سيدتي تسلم عليك و تقول لك خذ هذا واقض منه ما يحتاج اليه الحال فاقسمت اني لا آخذه منه شيأ فاخذته الجارية و عادت الى سيدتها فقالت ياسيدتي انّه لم يقبل الدراهم بل دفعها اليّ فقالت لا باس قال الجوهري ثم اني قمت بعد رواح الجارية و ذهبت الى داري الثانية و حوّلت اليها ما يحتاج اليه الحال من الآلات و الفرش الفاخرة و نقلت اليها اواني الصيني و الزجاج و الفضة و الذهب وهيّأت جميع ما يحتاج اليه من المأكل و المشرب فلما حضرت الجارية و نظرت ما فعلته اعجبها و امرتني باحضار علي بن بكار فقلت ما يحضر به الاّ انت فذهبت اليه و احضرته على اتمّ حال و قد راقت محاسنه قال الجوهري فتلقيته و ترحبت به ثم اجلسته على مرتبة تصلح له و وضعت بين يديه شيأ من المشموم المنزه في بعض الا واني الصيني والبلور من سائر الالوان و وضعت سفرة فيها من سائرالالوان الملوّنة مما تشرح رويته الصدر و جلست احدثه و اسليه ثم ان الجارية مضت وغابت الى المساء و عادت بعد المغرب ومعها شمس النهار ووصيفتان لاغير فلما رأت علي بن بكار و رآها قام قائما و اعتنقها فاعتنقته الاخرى فسقطا على الارض مغشيا عليهما قدر ساعة زمانية فلما افاقا اتبلا على بعضهما يتشاكيان الم الفراق ثم جلسا يتحدّثان بكلام فصيح عذب رقيق و استعملا شيأ من الطيب ثم انهما صارا يشكران من صنعي معهما فقلت لهما هل لكما في شيء من الطعام فقالا نعم

Digitized by Google

يصغي الى كلامه وكلما سمع منه كلمة يتغيّر لون وجهه من صفرة الى احمرار و يقوي جسمه مرة و يضعف اخرى فلما انتهى الى آخر الكلام بكى ابن بكار وقال له يا اخي انا على كل حال هالك فليت اجلي قريب كنت ارتاح من هذا ولكني اهالك من فضلك ان تكون معاوني و ملاطفي في جميع اموري الى ان يريد الله بما يريده و اني لا اخالف لك قولا فقال له الجوهري لا يطفئ عنك هذه النار الا الاجتماع بمن شغفت بها ولكن يكون في غير هذا المكان الخطير بل يكون ذلك عندي في الموضع الذي جاءتني فيه الجارية و سيدتها وهو الموضع الذي اختاروه لنفسها و المقصود من ذلك اجتماعكما ببعضكما و شكوا كما ما قاسيتما من الم الحب فقال علي بن بكار يا سيدي افعل ما تريد والجوك على الله فما ترى فيه الصواب عليك به و لا تطول عليّ لئلا اموت بهذه الغصة قال الجوهري فاقمت عنده تلك الليلة اسامره الى ان اصبح الصباح وطلع النهار و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الثالثة والستون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجوهري قال فاقمت عنده تلك الليلة اسامره الى ان طلع النهار ثم صلّيت الصبح و خرجت من عنده وذهبت الى منزلي فما استقرّيت الّا قليلا حتى جاءت الجارية فسلمت عليّ فرددت عليها السلام و حدثتها بما كان بيني وبين علي بن بكار فقالت الجارية اعلم ان الخليفة توجّه من عندنا وان مجلسنا لا احد فيه و هو استرلنا و احسن فقلت لها كلامك صحيح ولكنه ليس كمنزلي هذا فانه اليق بنا واسترلنا فقالت الجارية الرأي كما تراه انت

Digitized by Google

و مشت فتمشى بين يديها الجوهري الى ان وصلت الى باب الدار ثم رجع و قعد فى موضعه بعد ان نظر من حسنها ما بهره و سمع من مقالها ما حير عقله و شاهد من ظرفها و ادبها ما ادهشه ثم استمرّ يتفكر في شمائلها حتى سكنت نفسه و طلب الطعام فاكل ما يمسك رمقه ثم غيّر ثيابه و خرج من داره و توجه الى الفتى علي بن بكار فطرق بابه فما توانت غلمانه حتى لاقوه و مشوا امامه الى ان اوصلوه الى سيدهم فوجده ملقى على فراشه فلما رأى الجوهريَ قال له ابطأت علّي فزدتني همّا على همّي ثم صرف غلمانه و امر بغلق ابوابه و قال له و الله يا اخي ما غمضت عيني من يوم فارقتني فان الجارية جاءتني بالامس و معها رقعة مختومة من عند سيدتها شمس النهار و حكى له ابن بكار على جميع ما وقع له معها ثم قال و الله لقد تحيرت في امري و قلّ صبري و كان لي ابو الحسن انيسا لانه يعرف الجارية فلما سمع الجوهري كلامه ضحك فقال له ابن بكار كيف تضحك من كلامي و قد استبشرت بك و اتخذتك عدّة للنائبات ثم تاوّه و بكي و انشد هذه الابيات

وَضاحِكٍ مِن بُكائي حِينَ ابْصَرَنِي ... لَوْكانَ قاسَى الَّذي قاسَيتُ ابْكاهُ
لَمْ يَرْثِ لِلْمُبْتَلي مِمَّا يُكابِدُهُ ... الّا شَجٍ مِثْلُهُ قَدْ طالَ بَلْواهُ
وَجْدي حَنِينِي انِينِي فِكْرَتِي وَلَهِي ... الى حَبِيبٍ زَوَايا القَلْبِ مَأْواهُ
حَلَّ الفُؤادَ مُقِيمًا لا يُفارِقُهُ ... وَقتًا وَ لَكِنَّهُ قَدْ عَزَّ لُقْياهُ
مَالِي سِوَاهُ خَلِيلٌ ارْتَضِي بَدَلًا ... وَمَا اصْطَفَيْتُ حَبِيبًا قَطُّ الّا هُوَ

فلما سمع الجوهري منه هذا الكلام وفهم الشعر و النظام بكى لبكائه واخبره بما جرى له مع الجارية وسيدتها من حين فارقه فصار ابن بكار

Digitized by Google

في منزله ثم قالت لجاريتها اهذا الرجل الذي قلت لي عليه قالت نعم فالتفتت الى الجوهري و قالت له كيف حالك قال بخير ودعاء في حياتك وحياة امير المؤمنين فقالت انك حملتنا على المسير عندك و ان نطلعك على ما يكون من سرنا ثم سألته عن اهله و عياله فكشف لها عن جميع احواله و ما هو فيه وقال لها ان لي دار غير هذه الدار جعلتها للاجتماع بالاصحاب و الاخوان و ليس لي فيها احد الا الجارية التي قلت عليها لجاريتك ثم سألته عن كيفية اطلاعه على اصل القصة وقصة ابي الحسن وسبب سفره فاخبرها بماخطر بباله ودعاه على السفر فتاوّهت لفراق ابى الحسن وقالت يا فلان اعلم ان ارواح الناس متلائمة فى الشهوات و الناس بالناس لايتم عمل الا بقول و لا يتم غرض الا بسعي ولاتحصل راحة الا بعد تعب و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الثانية والستون بعد المائة

قالت بلغني ايهـــا الملك السعيدان شمس النهـــار قالت للجوهري لا تحصـــل راحة الا بعد تعب و لا يظهر نجاح الا من ذى مروّة و قد اطلعتك الآن على امرنا و صار بيدك هتكنا وسترنا ولا زيادة لما انت عليه من المروة فانت قد علمت ان جاريتي هذه كاتمة لسرّي وبسبب ذلك لها رتبة عظيمة عندى وقد اختصصتها لمهمات اموري فلا يكن عندك اعز منها و اطلعهـــا على امرك و طب نفسا فانت آمن مما تخافه من جهتنا فما يسدّ عليك موضع الا وتفتحه لك وهي تأتيك من عندي باخبار علي بن بكار وتكون انت الواسطة في التبليغ بيننا ثم ان شمس النهار قامت وهي لا تستطيع القيام

Digitized by Google

فيما بينك وبينه من العهود فاعزم على المسير معي اليها في هذا الوقت فلما سمع الجوهري كلام الجارية رآه امرا عظيما وخطرا جسيما لايمكن الدخول فيه ولا التهجم عليه فقال الجوهري للجارية يا اختي اني من اولاد العوام ولم اكن كابي الحسن لان ابا الحسن كان رفيع المقدار معروفا بالاشتهار متردّدا على دار الخلافة لاحتياجهم الى بضاعته واما انا فان ابا الحسن كان يحدثني وانا ارتعد من حديثه بين يديه واذا كانت سيدتك رغبت في حديثي لها فينبغي ان يكون ذلك في غير دار الخلافة بعيدا عن محل امير المؤمنين لانّ عقلي ليس يطاوعني على ماتقولين ثم انه امتنع من المسير معها واما الجارية فانها صارت تتضمن له السلامة وتقول له لاتخف ولاتخش من ضرر وكرّرت عليه ذلك فهمّ ان يقوم معها فانثنت رجلاه وارتعشت يداه فقال حاش الله ان اذهب معك وليس لي قدرة على ذلك فقالت له الجاريه اطمئن قلبك ان كان يصعب عليك الرواح الى دار الخلافة ولايمكنك المسير معي فانا اجعلها تسير اليك فلاتبرح من مكانك حتى ارجع اليك بها ثم ان الجارية مضت ولم تغب الّا قليلا وعادت الى الجوهري وقالت له احذر من ان يكون عندك احد غيرك من غلام او جارية فقال لها ماعندي غير جارية سوداء كبيرة السن تخدمني فقامت الجارية واغلقت الباب بين جارية الجوهري وبينه وصرفت غلمانه الى خارج الدار ثم خرجت الجارية وعادت ومعها جارية خلفها ودخلت بها دار الجوهري فاعبقت الدار من الطيب فلما رآها الجوهري نهض قائما ووضع لها مرتبة ومخدة فجلست عليها وجلس هو بين يديها فمكثت ساعة لم تتكلم حتى اخذت الراحة ثم كشفت وجهها فخيّل للجوهري ان الشمس اشرقت

Digitized by Google

إِنَّ الرَّسُولَ الَّذِي كَانَتْ رَسَائِلُنَا ... مَكْتُومَةٌ عِنْدَهُ ضَاعَتْ وَقَدْ غَضِبَا
فَاسْتَخْلِصُوا لِي رَسُولًا مِنْكُمُ ثِقَةً ... يَسْتَحْسِنُ الصِّدْقَ لَا يَسْتَحْسِنُ الْكَذِبَا

وبعد فاني ما اتيت بخيانة * ولا ضيّعت امانة * ولم يصدر مني جفاء * ولا تركت وفاء * ولا نقضت عهدا * ولا قطعت ودّا * ولا فارقت اسفا * ولالقيت بعد الفراق الّا تلفا * ولا علمت اصلا بما ذكرتم * ولا احب غير ما احببتم * وحق عالم السرّ والنجوى * ما تصدني الا ان اجتمع بمن اهوى * وشأني كتمان الغرام * وان امرضني السقام * وهذا شرح حالي والسلام * فلما قرأ الجوهري هذه الرقعة وعرف ما فيها بكى بكاء شديدا ثم ان الجارية قالت له لاتخرج عن هذا المكان حتى اعود اليك لانه قد اتهمني بامر من الامور وهو معذور وانا اريد ان اجمع بينك وبين سيدتي شمس النهار باي حيلة كانت فاني تركتها مطروحة وهي تنتظر مني ردّ الجواب ثم ان الجارية مضت الى سيدتها وبات الجوهري مشوش الخاطر فلما اصبح الصباح صلّى الصبح وقعد ينتظر قدومها واذا بها اقبلت وهي فرحانة الى ان دخلت عليه فقال لها ما الخبر يا جارية فقالت مضيت من عندك الى سيدتي ودفعت لها الرقعة التي كتبها علي بن بكار فلما قراتها وفهمت معناها حارت في فكرها فقلت لها يا سيدتي لاتخشي من فساد الامر بينكما بسبب غياب ابي الحسن فاني وجدت من يقوم مقامه وهو احسن منه واعلى مقدارا واهلا لكتمان الاسرار وقد حدّثتها بما بينك وبين ابي الحسن وكيف توصلت اليه والى علي بن بكار وكيف سقطت تلك الرقعة مني وقد وقعت انت عليها واخبرتها بما استقرّ عليه الامر بيني وبينك فتعجب الجوهري غاية العجب ثم قالت له ان سيدتي تشتهي ان تسمع كلامك لاجل ان توكل عليه

تِهْ اَحْتَمِلْ وَاسْتَطِلْ اَصْبِرْ وَعَزِّاهُنْ وَوَلِّ اَقْبَلْ وَقُلْ اَسْمَعْ وَ مُرْ اُطِعْ

فلما قرأها واذا بالجارية اقبلت وهي تلتفت يمينا وشمالا فرأت الورقة في يد الجوهري فقالت له يا سيدي ان هذه الورقة وقعت مني فلم يرد عليها جوابا ومشى ومشت الجارية خلفه الى ان اقبل على داره ودخل والجارية خلفه فقالت له يا سيدي اعطني هذه الورقة وردّ لي فانها سقطت مني فالتفت اليها وقال يا جارية الخير لا تخافي ولا تحزني فان الله ستّار يحبّ الستر فاخبريني بالخبر على وجه الصدق فاني كتوم للاسرار ولكن احلفك يمينا انك لا تخفي عني شيأ من امر سيدتك فعسى الله ان يعينني على قضاء اغراضها ويسهل الامور الصعاب على يدي فلما سمعت الجارية كلامه قالت له يا سيدي ما ضاع سرّ انت حافظه ولا خاب امر انت تسعى في قضائه اعلم ان قلبي مال اليك واكشف خبري عليك واعطني الورقة ثم اخبرته بجميع الخبر وقالت الله على ما اقول شهيد فقال لها صدقت فان عندي علما باصل الخبر ثم حدّثها بحديث علي بن بكار وكيف اخذ ضميره واخبرها بالخبر من اوله الى آخره فلما سمعت ذلك فرحت واتفقا على انها تأخذ الورقة وتعطيها لعلي بن بكار وبجميع ما يجري ترجع اليه وتخبره به فاعطاها الورقة فاخذتها وختمتها كما كانت وقالت ان سيدتي شمس النهار اعطتها لي مختومة فاذا قرأها وردّ لي جوابها اتيتك به ثم ان الجارية ودعته ومشت الى علي بن بكار فوجدته في الانتظار فاعطته الورقة وقرأها ثم كتب لها ورقة ردّ الجواب واعطاها لها فاخذتها ورجعت بها الى الجوهري فاخذ منها وفض ختمها وقرأها فوجد الجوهري فيها مكتوبا هذين البيتين

Digitized by Google

بذلك حيلة لاجل عدم المراسلة و المواصلة فحلفتُ لها ان ذلك لم يكن فلم تصدقني و مضت الي سيدتها وهي على ما هي عليه من سوء الظنّ لانها كانت تميل وتصغي الى ابي الحسن فقال الشاب الجوهري يا اخي اني فهمت من حال هذه الجارية هذا الامر واطلعت عليه ولكن ان شاء الله تعالى اكون عونا لك على مرادك فقال له علي بن بكار فمَن لي بذلك وكيف تعمل معها وهي تنفر كوحش الفلاة فقال له والله لابداني ابذل جهدي في مساعدتك واحتيالي فى التوصّل اليها من غير كشف ستر ولا مضرة ثم استأذنه فى الانصراف فقال له علي ابن بكار يا اخي عليك بكتمان السرّ ثم نظر اليه وبكى فودعه وانصرف وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والستون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجوهري ودّعه وانصرف وهو لا يدري كيف يعمل في اسعاف علي بن بكار وما زال ماشيا وهو متفكّر في امره اذ رأى ورقة مطروحة فى الطريق فاخذها ونظر عنوانها وقرأه فاذا هو من المحب الاصغر الى الحبيب الاكبر ففتح الورقة فرأى مكتوبا فيها هذان البيتان

جَاءَ الرَّسُوْلُ بِوَصْلٍ مِنْكَ يَطْمَعُنِيْ ... وَكَانَ اَكْثَرُ ظَنِّيْ اَنَّهُ وَهَمَا
فَمَا فَرِحْتُ وَلٰكِنْ زَادَنِيْ حُزْنًا ... عِلْمِيْ بِاَنَّ رَسُوْلِيْ لَمْ يَكُنْ فَهِمَا

وبعد فاعلم يا سيّدي انّني لم ادر سبب قطع المراسلة بيني وبينك فان يكن صدر منك الجفاء فانا اقابله بالوفاء وان يكن ذهب منك الوداد فانا احفظ الودّ على البعاد فانا معك كما قال الشاعر

Digitized by Google

ابي الحسن جوهريا فلما انصرفت الجارية وجد للكلام محلا فقال لعلي بن بكار لاشك ولاريب ان للدار الخلافة عليك مطالبة او بينك وبينها معاملة فقال ومن اعلمك بذلك فقال معرفتي بهذه الجارية لانها جارية شمس النهار وكانت جاءتني من مدة برقعة مكتوب فيها انها تشتهي عقد جوهر فارسلت اليها عقدا ثمينا فلما سمع علي بن بكار كلامه اضطرب حتى خشي عليه التلف ثم راجع نفسه وقال يا اخي سألتك بالله من اين تعرفها فقال له الجوهري دع الالحاح في السؤال فقال له علي بن بكار لا ارجع عنك الّا اذا اخبرتني بالصحيح فقال له الجوهري انا اخبرك بحيث لا يدخلك مني وهم ولا يعتريك من كلامي انقباض ولا اخفي عنك سرا وابين لك حقيقة الامر ولكن بشرط ان تخبرني بحقيقة حالك وسبب مرضك فاخبره بخبره ثم قال والله يا اخي ما حملني على كتمان امري عن غيرك الّا مخافة ان الناس تكشف استار بعضها فقال الجوهري لعلي بن بكار وانا ما اردت اجتماعي بك الا لشدة محبتي لك وحيرتي في كل حال عليك وشفقتي على قلبك من الم الفراق عسى اكون لك مؤنسا نيابة عن صديقي ابي الحسن في طول غيبته فطب نفسا وقرّ عينا فشكره علي بن بكار على ذلك وانشد هذين البيتين

وَلَوْ قُلْتُ إِنِّي صَابِرٌ بَعْدَ بُعْدِهِ ... لَكَذَّبَنِي دَمْعِي وَفَرْطُ نَحِيبِي
وَكَيْفَ أُدَارِي مَدْمَعًا جَرَيَانُهُ ... عَلَى صَحْنِ خَدِّي مِنْ فِرَاقِ حَبِيبِي

ثم ان علي بن بكار سكت ساعة من الزمان وبعد ذلك قال للجوهري اتدري ما سرّتني به الجارية فقال له لا والله يا سيدي فقال انها زعمت اني اشرت على ابي الحسن بالمسير الى البصرة وانني دبرت

فوجدت دكّانه مقفولة فسألت عنه الجيران فقالوا انه توجه الى البصرة ولم اعلم له صديقا اوفى منك فبالله عرفني خبره فلما سمع علي بن بكار كلامه تغيّر لونه واضطرب وقال لم اسمع قبل هذا اليوم خبر سفره وان كان الامر كما ذكرت فقد حصل لي التعب وانشد يقول

قَدْ كُنْتُ اَبْكِي عَلَى مَا فَاتَ مِنْ فَرَحٍ ... وَاَهْلُ وُدِّي جَمِيعًا غَيْرُ اَشْتَاتِ
وَالْيَوْمَ فُرِّقَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُمُ ... دَهْرِي فَاَبْكِي عَلَى اَهْلِ الْمَوَدَّاتِ

ثم ان عليا بن بكار اطرق رأسه الى الارض يتفكّر وبعد ساعة رفع رأسه الى خادم له وقال له امض الى دار ابي الحسن واسأل عنه هل هو مقيم او مسافر فان قالوا سافر فاسأل الى اىّ جهة توجه فمضى الغلام وغاب ساعة ثم اقبل الى سيده وقال اني لما سألت عن ابي الحسن اخبرني اهله انه سافر الى البصرة ولكن وجدت جارية واقفة على الباب فلما رأتني عرفتني ولم اعرفها وقالت لي هل انت غلام علي بن بكار فقلت لها نعم فقالت ان معي رسالة اليه من عند اعز الناس عليه فجاءت معي وهي واقفة على الباب فقال علي بن بكار ادخلها فطلع الغلام اليها وادخلها فنظر الرجل الذي عند ابن بكار الى الجارية فوجدها ظريفة ثم ان الجارية تقدمت عند ابن بكار وسلمت عليه وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للستين بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية لما دخلت على علي بن بكار تقدمت عنده وسلمت عليه وتحدثت معه سرّا وهو يقسم في اثناء الكلام ويحلف انه لم يتكلم بذلك ثم ودّعته ومضت وكان الرجل صاحب

Digitized by Google

ما هو قال ابو الحسن اعلم يا اخي اني رجل معروف بكثرة المعاملات بين الرجال والنساء واخشى يا اخي ان ينكشف امرهما فيكون ذلك سببا لهلاكي واخذ مالي وهتك عرضي وعرض عيالي وقد اقتضى رأيي ان اجمع مالي واجهّز حالي واتوجّه الى مدينة البصرة واقيم بها حتى انظر ما يكون من امرهما بحيث لا يشعر بي احد فقد تمكنت المحبة منهما ودارت المراسلة بينهما والحال ان الماشي بينهما جارية وهي كاتمة لاسرارهما واخشى ان يغلب عليها الضجر فتبوح بسرّهما لاحد فيشيع خبرهما ويؤدي ذلك الى هلاكي ويكون سببا لتلفي وليس لي عذر عند الناس فقال له صاحبه قد اخبرتني بخبر خطير يخاف من مثله العاقل الخبير كفاك الله شرّما تخافه وتخشاه ونجّاك مما تخاف عقباه وهذا الرأي هو الصواب فانصرف ابو الحسن الى منزله وصار يقضي مصالحه ويتجهّز للسفر الى مدينة البصرة فما مضى ثلثة ايام حتى قضى مصالحه وخرج مسافرا الى البصرة فجاء صاحبه بعد ثلثة ايام ليزوره فلم يجده فسأل عنه جيرانه فقالوا له انه توجه الى البصرة من مدة ثلثة ايام لان له معاملات عند تجّارها فذهب ليطالب ارباب الديون وعن قريب يأتي فاحتار الرجل في امره وصار لا يدري اين يذهب وقال يا ليتني لم افارق ابا الحسن ثم دبّر حيلة يتوصل بها الى علي بن بكار فقصد داره وقال لبعض غلمانه استأذن لي سيدك لادخل اسلّم عليه فدخل الغلام واخبر سيده به ثم عاد اليه واذن له في الدخول فدخل عليه فوجده ملقى على الوسادة فسلّم عليه فرد عليه السلام ورحب به ثم اعتذر له ذلك الشاب في تخلفه عنه تلك المدة ثم قال له يا سيدي ان بيني وبين ابي الحسن صداقة وانّي كنت اودّعه اسراري ولا انقطع عنه ساعة فغبت في بعض المصالح مع جماعة من رفقائي مدة ثلثة ايام ثم جئت اليه

Digitized by Google

فلما كانت الليلة التاسعة والخمسون بعد المائة

قلت بلغني ايها الملك السعيد ان ابا الحسن ودع الجارية وذهب الى دكانه وفتحها وجلس مثل عادته فلما استقر في مكانه وجد قلبه قد انقبض وضاق صدره وحار في امره ولم يزل في فكر بقية يومه وليلته وفي اليوم الثاني ذهب الى علي بن بكار وجلس عنده حتى ذهب الناس وسأله عن حاله فاخذ في شكوى الغرام ومابه من الوجد والهيام وانشد قول الشاعر

شَكَى أَلَمَ ٱلْغَرَامِ النَّاسُ قَبْلِي ... وَرَوَّعَ بِالنَّوىٰ حَيٌّ وَمَيْتُ
وَأَمَّا مِثْلُ مَا ضَمَّتْ ضُلُوعِي ... فَإِنِّي لَا سَمِعْتُ وَلَا رَأَيْتُ

وقول الشاعر

وَلَقِيتُ مِنْ حُبِّيكَ مَا لَمْ يَلْقَهُ ... فِي حُبِّ لُبْنَىٰ قَيْسُهَا ٱلْمَجْنُونُ
لٰكِنَّنِي لَمْ أَتَّبِعْ وَحْشَ ٱلْفَلَا ... كَفِعَالِ قَيْسٍ وَٱلْجُنُونُ فُنُونُ

فقال له ابو الحسن انا ما رايت ولا سمعت بمثلك في محبتك كيف يكون هذا الوجد وضعف الحركة وقد تعلّقتَ بحبيب موافق فكيف اذا احببت حبيبا مخالفا مخادعا فكان امرك ينكشف قال ابو الحسن فاعجب علي ابن بكار كلامي وركن اليه وشكرني على ذلك وكان لي صاحب يطلع على امري وامره ويعلم اننا متوافقان ولا يعلم احد ما بيننا غيره وكان يأتيني فيسألني عن حال علي ابن بكار وبعد قليل سألني عن الجارية فخادعته وقلت له قد دعته اليها وكان بينه وبينها ما لا مزيد عليه وهذا آخر ما انتهى من امرهما ولكنني دبرت لنفسي امرا ورأيا اريد ان اعرضه عليك فقال له صاحبه

Digitized by Google

وَانْظُرْ الى جِسْمِكَ النَّحِيلِ وَمَا قَدْ حَلَّهُ وَاسْتَدَلَّ بِالْأَثَرِ

وبعد فقد كتبت لك كتابا بغير بنان * و نطقت لك بغير لسان * وجملة شرح حالي ان لي عينا لايفارقها السهر * وقلبا لاتبرح منه الفكر * فكانني قط ما عرفت صحة * ولا فارقت ترحة * ولا رأيت منظرا بهيا * ولا قطعت عيشا هنيا * وكانني خلقت من الصبابة * و من الم الوجد والكآبة * فعليّ السقام مترادف * و الغرام متضاعف * والشوق متكاثر * والوجد بقلبي ثاير * وصرت كما قال الشاعر *

اَلْقَلْبُ مُنْقَبِضٌ وَالْفِكْرُ مُنْبَسِطُ وَالْعَيْنُ سَاهِرَةٌ وَالْجِسْمُ مَتْعُوبُ
وَالصَّبْرُ مُنْفَصِلٌ وَالْهَجْرُ مُتَّصِلٌ وَالْعَقْلُ مُخْتَبِلٌ وَالْقَلْبُ مَسْلُوبُ

واعلم ان الشكوى * لاتطفي نار البلوى * لكنها تعلّل من اعلّه الاشتياق * و اتلفه الفراق * واتسلى بذكر لفظ الوصال * و ما احسن قول من قال *

اِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحُبِّ سُخْطٌ وَلَا رِضًى فَأَيْنَ حَلَاوَاتُ الرَّسَائِلِ وَالْكُتُبِ

قال ابوالحسن فلما قرأتها هيجت الفاظها بلابلي واصابت معانيها مقاتلي ثم دفعتها الى الجارية فلما اخذتها قال لها علي بن بكار ابلغي سيدتك سلامي وعرفيها بوجدي وغرامي وامتزاج المحبة بلحمي وعظامي واخبريها انني محتاج الى من ينقذني من بحر الهلاك وينجيني من هذا الارتباك وقد تعدّى علي الزمان بنوائبه فهل من منجد يخلصني من شوائبه ثم بكى فبكت الجارية لبكائه وودّعته وخرجت من عنده وخرج ابوالحسن معها وودعها فانصرفت الى حالها وذهب ابوالحسن الى دكانه وفتحها وجلس مثل عادته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

تسلم عليك وعليه وقد كتبت له ورقة وهي في حال اعظم من حاله وقد سلمتني الورقة وقالت لا تاتيني الاّ بجوابها وافعلي ما امرتك به وها هي الورقة معي فهل لك ان تسير معي اليه ونأخذ منه الجواب فقال لها ابو الحسن سمعا وطاعة ثم قفل الدكان واخذ معه الجارية وذهب بها من مكان غير الذي جاء منه ولم يزالا سائرين الى ان وصلا الى دار علي بن بكار ثم اوقفها على الباب ودخل وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والخمسون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابا الحسن ذهب بالجارية الى دار علي بن بكار واوقفها على الباب ودخل البيت فلما رآه علي ابن بكار فرح به فقال له ابو الحسن سبب مجيئي ان فلانا ارسل اليك جاريته برقعة تتضمن سلامه عليك وذكر فيها ان سبب تأخره عنك لعذر حصل له والجارية واقفة بالباب فهل تأذن لها بالدخول فقال علي ادخلوها فغمزه ابو الحسن انها جارية شمس النهار فعرف بالاشارة فلما رأها تحرك وفرح وقال لها بالاشارة كيف حال السيد شفاه الله وعافاه فقالت بخير ثم اخرجت الورقة ودفعتها له فاخذها وقبّلها وفتحها وقرأها وناولها لابي الحسن فوجد مكتوبا فيها هذه الابيات

يُنْبِيكَ هٰذَا الرَّسُوْلُ عَنْ خَبَرِيْ ... فَاسْتَغْنِ فِيْ ذِكْرِهِ عَنِ النَّظَرِ
خَلَّفْتُ صَبًّا بِحُبِّكُمْ شَغَفًا ... وَطَرْفُهُ لَايَزَالُ بِالسَّهَرِ
أُكَابِدُ الصَّبْرَ فِي الْبَلَاءِ فَمَا ... يَدْفَعُ خَلْقِيْ مَوَاقِعَ الْقَدَرِ
وَتَرْعَيْنًا فَلَيْسَ تَغْفَلُ عَنْ ... قَلْبِيْ وَلَا يَوْمَ غِبْتَ عَنْ بَصَرِيْ

Digitized by Google

الليلة فلما جن الليل تأوه علي ابن بكار وبكى واشتكى ثم ارسل العبرات وانشد هذه الابيات

خَيالُكَ في عَيْني وَذِكْرُكَ في فَمي ... وَمَثْواكَ في قَلْبي فَكَيْفَ تَغيبُ
وَما اَسَفي اِلّا عَلَى العُمْرِ يَنْقَضي ... وَلَيْسَ لَنا فِي الاِجْتِماعِ نَصيبُ

وقول الآخر

خَفَرَتْ بِسَيْفِ اللَّحْظِ ذِمَّةَ مُغْفَرِي ... وَفَرَتْ بِرُمْحِ القَدِّ دِرْعَ تَصَبُّرِي
وَجَلَتْ لَنَا مِنْ تَحْتِ مِسْكَةِ خالِها ... كافُورَ فَجْرٍ شَقَّ لَيْلَ العَنْبَرِ
فَزَعَتْ فَضَرَّسَتِ العَقيقَ بِلُؤْلُؤٍ ... سَكَنَتْ فَرائِدُهُ غَديرَ السُّكَّرِ
وَتَنَهَّدَتْ جَزَعاً فَأَثَّرَ كَفُّها ... في صَدْرِها فَنَظَرْتُ مالَمْ اَنْظُرِ
اَقْلامُ مَرْجانٍ كَتَبْنَ بِعَنْبَرٍ ... بِصَحيفَةِ البِلُّورِ خَمْسَةَ اَسْطُرِ
يا حامِلَ السَّيْفِ الصَّحيحِ اِذا رَنَتْ ... اِيّاكَ ضَرْبَةَ جَفْنِها المُتَكَسِّرِ
وَتَوَقَّ يا رَبَّ القَناةِ الطَّعْنَ اِنْ ... حَمَلَتْ عَلَيْكَ مِنَ القَوامِ بِاَسْمَرِ

فلما فرغ علي بن بكار من شعره صرخ صرخة عظيمة ووقع مغشيا عليه فظن ابو الحسن ان روحه خرجت من جسده ولم يزل في غشيته حتى طلع النهار فافاق وتحدث مع ابي الحسن ولم يزل ابو الحسن جالسا عنده الى ضحوة النهار فقام وانصرف من عنده وجاء الى دكانه وفتحها واذا بالجارية قد جاءته ووقفت عنده فلما نظر اليها اومأت اليه بالسلام فردّ عليها السلام وبلّغته سلام سيدتها وقالت له كيف حال علي بن بكار فقال لها يا جارية الخير لا تسألي عن حاله وما هو فيه من شدة الغرام فانه لا ينام الليل ولا يستريح بالنهار وقد انحله السهر وغلب عليه الضجر وصار في حال لا يسر حبيبا فقالت له ان سيدتي

Digitized by Google

واقام عندها باقي ليلته الى ان اصبح الصباح فاستدعى امير المؤمنين بالحكماء والاطباء وامرهم بمعالجتها ولم يعلم بما هي فيه من العشق والغرام واقمت عندها حتى ظننت انه قد انصلح حالها وهذا هو الذي عاقني عن المجيء اليكما وقد تركت عندها جماعة من خواصها مشتغلين القلب عليها لمّا امرتني بالمسير اليكما لآخذ خبر علي بن بكار واعود اليها فلما سمع ابوالحسن كلامها تعجب وقال لها والله اني اخبرتك بجميع خبره فعودي الى سيدتك وسلّمي عليها وبالغي لها في الصبر وحثّيها عليه وقولي لها اكتمي السرّ واخبريها اني عرفت امرها وهو امر صعب يحتاج الى التدبير فشكرته الجارية وودّعته وانصرفت الى سيدتها هذا ما كان من امرها واما ما كان من امر ابي الحسن فانه لم يزل في دكانه الى آخر النهار فلما مضى النهار قام وعزل دكانه وقفل واتى الى دار علي بن بكار فدق الباب فخرج له بعض غلمانه وادخله فلما دخل عليه تبسم واستبشر بقدومه وقال له يا ابا الحسن اوحشتني لتخلّفك عني في هذا اليوم وروحي مرتهنة بك باقي عمري فقال له ابو الحسن دع هذا الكلام فلو كان شفاؤك بيدي لجدت به قبل ان تسألني ولو امكن فداك كنت افديك بروحي وفي هذا اليوم جاءت جارية شمس النهار واخبرتني انه ما عاقها عن المجيء الّا جلوس الخليفة عند سيدتها واخبرتني بما كان من امر سيدتها وحكى له جميع ما سمعه من الجارية فتاسف علي بن بكار غاية الاسف وبكى ثم التفت الى ابي الحسن وقال له بالله عليك يا اخي ان تساعدني فيما بليت به وعلمني كيف تكون الحيلة واسألك من فضلك ان تبيت عندي هذه الليلة لاستأنس بك فامتثل ابوالحسن امره واجابه على المبيت عنده فباتا يتحادثان في تلك

Digitized by Google

على شيء لم آكله قطّ ثم انها اظهرت القوة واستدعت بشيء من الشراب فشربته ثم سألت الملك ان يعود الى انشراحه فجلس الملك على سريره فى القبة والمجلس منتظم فلما جئت اليها سألتني عن حالكما فاخبرتها بما فعلت معكما و انشدتها ما قاله علي بن بكار فى الوداع فبكت سرّا ثم سكتت ثم ان امير المؤمنين جلس وامر جارية ان تغني فانشدت تقول

لَعَمْرِي لَا يَحْلُو لِيَ الْعَيْشُ بَعْدَكُمْ ... فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ حَالُكُمُ بَعْدِي
يَحِقُّ لِدَمْعِي أَنْ يَكُونَ مِنَ الدِّمَا ... إِذَا كُنْتُمُ تَبْكُونَ دَمْعًا عَلَى بُعْدِي

فلما سمعت سيدتي هذا الشعر وقعت على الصفة مغشيا عليها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والخمسون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية قالت لابي الحسن فلما سمعت سيدتي هذا الشعر وقعت على الصفة مغشيا عليها فامسكت يدها ورششت على وجهها ماء الورد فافاقت فقلت لها ياسيدتي لا تهتكي نفسك ومن يحويه قصرك فبحيات محبوبك ان تصبري فقالت هل فى الامر اكثر من الموت فانا اطلبه والله ان فيه راحتي فبينما نحن في هذا الكلام اذ غنت جارية بقول الشاعر

وَقَالُوا لَعَلَّ الصَّبْرَ يَعْقُبُ رَاحَةً ... فَقُلْتُ وَأَيْنَ الصَّبْرُ بَعْدَ فِرَاقِهِ
وَقَدْ أَكَّدَ الْمِيثَاقَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ... بِقَطْعِ حِبَالِ الصَّبْرِ عِنْدَ عِنَاقِهِ

فلما فرغت من الشعر وقعت مغشيا عليها فنظرها الخليفة فاتى مسرعا اليها وامر برفع الشراب و ان تعود كل جارية الى مقصورتها

Digitized by Google

جَسُّ الطَّبِيبِ يَدِي جَهْلًا فَقُلْتُ لَهُ ... إِنَّ التَّأَلُّمَ فِي قَلْبِي فَمَحِّلِ يَدِي
قَالَتْ لَطِيفُ خَيَالٍ زَارَنِي وَمَضَى ... بِاللَّهِ صِفْهُ وَلَا تَنْقُصْ وَلَا تَزِدِ
فَقَالَ خَلَّفْتُهُ لَوْمَاتَ مِنْ ظَمَأٍ ... وَقُلْتُ قِفْ عَنْ وُرُودِ الْمَاءِ لَمْ يَرِدِ
فَاسْتَمْطَرَتْ لُؤْلُؤًا مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَتْ ... وَرْدًا وَعَضَّتْ عَلَى الْعُنَّابِ بِالْبَرَدِ

فلما فرغ من شعره قال يا ابا الحسن قد بليتُ بمصيبة كنت في امن منها وليس لي اعظم راحة من الموت فقال له ابو الحسن اصبر لعل الله يشفيك ثم نزل ابو الحسن من عنده وجاء الى دكّانه وفتحها فما جلس غير قليل و اذا بالجارية اقبلت اليه وسلمت عليه فرد عليها السلام ونظر اليها فوجدها خافقة القلب مهمومة يظهر عليها اثر الكآبة فقال لها اهلا وسهلا كيف حال شمس النهار فقالت سوف اخبرك عن حالها كيف حال علي بن بكار فاخبرها ابو الحسن بجميع ما كان و بما تمّ من امره فتأسفت وتوجّعت وتأوّهت وتعجبت من هذا الامر ثم قالت ان سيدتي حالها اعجب من ذلك فانّكم لما مضيتم وتوجّهتم رجعت و قلبي يخفق عليكم وما صدقت بنجاتكم فلما رجعتُ وجدتُ سيدتي مطروحة في القبة لا تتكلّم ولا ترد جوابا على احد واميرالمؤمنين جالس عند رأسها لا يجد من يخبره بخبرها ولا يعلم ما بها ولم تزل في غشيتها الى نصف الليل ثم افاقت فقال لها امير المؤمنين ما الذي اصابك يا شمس النهار وما الذي اعتراك في هذه الليلة فلما سمعت شمس النهار كلام الخليفة قبلت اقدامه وقالت له يا امير المؤمنين جعلني الله فداك انه خامرني خلط فاضرم النار في جسدي وغشي عليّ من شدة ما بي ولا اعلم كيف كان حالي فقال لها الخليفة ما الذي استعملته في نهارك فقالت افطرت

الغلمان الى ان ادخله ابو الحسن منزله فلمّا اطمأنّ في بيته حمد الله ابو الحسن على خلاصه من هذه الورطة وجلس معه يسلّيه وهو لا يملك نفسه من شدة الوجد والغرام فقام ابو الحسن وودّعه وانصرف الى منزله وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والخمسون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابا الحسن ودّعه فقال له علي ابن بكار يا اخي لا تقطع عني الاخبار فقال سمعا وطاعة ثم ان ابا الحسن قام من عنده واتى الى دكّانه ففتحها وصار يرتقب خبرا من عند شمس النهار فلم يأته احد بخبر فبات تلك الليلة في داره فلما اصبح الصباح قام الى ان اتى الى دار علي بن بكار ودخل عليه فوجده ملقى على فراشه واصحابه حوله والحكماء عنده وكل واحد يصف له شيأ ويجسّون يده فلما دخل ابو الحسن ورآه تبسم فسلم ابو الحسن عليه وسأله عن حاله وجلس عنده حتى خرج الناس فقال له ابو الحسن ما هذا الحال فقال علي بن بكار قد شاع خبري اني مريض وتسامع بذلك اصحابي وليس لي قوة استعين بها على القيام والمشي حتى اكذّب من جعلني ضعيفا ولم ازل ملقى مكاني كما تراني وقد اتت اصحابي الى زيارتي لكن يا اخي هل رأيت الجارية او سمعت بخبر من عندها فقال لم ارها من يوم فارقتها على شاطئ الدجلة ثم قال له ابو الحسن يا اخي احذر الفضيحة واترك هذا البكاء فقال علي بن بكار يا اخي لا املك نفسي ثم انشد وجعل يقول

قَامَتْ عَلَى يَدِهَا مَا لَمْ تَنَلْهُ يَدِي ... نَقْشٌ عَلَى مِعْصَمٍ أَوْهَتْ بِهِ جَلَدِي

خَافَتْ عَلَى يَدِهَا مِنْ قَبْلِ مُقْلَتِهَا ... فَأَلْبَسَتْ يَدَهَا دِرْعًا مِنَ الزَّرَدِ

Digitized by Google

بيت ابي الحسن فحلف على صاحبه علي بن بكار وادخله بيته فاضطجعا على الفراش قليلا فلما افاقا امر ابو الحسن غلمانه ان يفرشوا البيت بالفراشات الفاخرة ففعلوا ثم ان ابا الحسن قال في نفسه لابد ان اسلي هذا الغلام واؤانسه عما هو فيه فاني ادري بحاله من غيري ثم ان ابا الحسن استدعى بماء لعلي بن بكار فحضروا له بالماء فقام وتوضأ وصلّى ما فاته من الفروض في يومه وليلته وجلس يسلّي نفسه مع ابو الحسن بالكلام فلما رأى منه ابو الحسن ذلك تقدم اليه وقال له يا سيدي ان الا ليق بما انت فيه ان تقيم عندي هذه الليلة لينشرح صدرك وينفرج مابك من كرب الشوق وتتلاهى معنا لعلّ ان يسكن ما بقلبك من الحرق فقال علي بن بكار افعل يا اخي ما بدالك فاني على كل حال غير ناج مما اصابني فاصنع ما انت صانع فقام ابو الحسن واستدعى غلمانه واحضر بعض خواص اصحابه وارسل الى ارباب المغاني والآلات فحضروا وهيّأ لهم طعاما وشرابا وجلسوا على اكل وشرب وانشراح باقي يومهم الى المساء ثم اوقدوا الشموع ودارت بينهم كؤوس المصاحبة والمنادمة فطاب لهم الوقت فاخذت المغنّية العود وانشدت تقول

رُمِيْتُ مِنَ الزَّمَانِ بِسَهْمِ لَحْظٍ ... فَأَصْمَانِيْ وَفَارَقْتُ الْحَبَائِبْ
وَعَانَدَنِي الزَّمَانُ وَقَلَّ صَبْرِيْ ... وَإِنِّيْ قَبْلَ هٰذَا كُنْتُ حَاسِبْ

فلمّا سمع علي بن بكار كلام المغنّية وقع على الارض مغشيّا عليه فلم يزل في غشيته حتى طلع الفجر ويئس ابو الحسن منه فلما لمع النهار افاق وطلب الذهاب الى بيته فلم يمنعه ابو الحسن خوفا من عاقبة امره فاتاه غلمانه ببغلة واركبوه فركب وسار معه ابو الحسن وبعض

Digitized by Google

ثم ان الجارية قالت للملّاح اسرع بهما فصاريتلف لاجل السرعة والجارية معهم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والخمسون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الملّاح تلف بهماالى البر والجارية معهما الى ان قطعوا ذلك الجانب وعدّوا الى البر الثاني فنزلا الى البر وطلعا وودعتهما الجارية وقالت لهما كان قصدي لا افارقكما لكنني لا اقدران اسير الى مكان غير هذا الموضع ثم ان الجارية عادت وامّا علي بن بكارفانه وقع مطروحا بين يدي ابي الحسن لا يستطيع النهوض فقال له ابو الحسن ان هذا المكان غير امين ونخشى على انفسنا من التلف في هذا المكان بسبب اللصوص والعيّارين واولاد الحرام فقام علي بن بكار ومشى قليلا وهولا يستطيع المشى وكان ابو الحسن له في ذلك الجانب اصدقاء فقصد من يثق به منهم ومن يأنس اليه فدق بابه فخرج اليه مسرعا فلمارأهما رحب بهما ودخل بهما الى منزله واجلسهما وتحدّث معهما وسألهما اين كانا فقال ابو الحسن قد خرجنا في هذا الوقت واحوجنا الى هذا الامر انسان عاملته ولي عنده دراهم وبلغني انه يريد السفر بما لي فخرجت في هذه الليلة وقصدته واستأنست برفيقي هذا علي بن بكار وجئنا لعلّنا ننظره فتوارى منا ولم نره وعدنا صفر اليدين بلاشيء وشق علينا العود في هذا الوقت من الليل ولم ندراين نسير فجئنا اليك لمانعلم من صداقتك وعوائدك الجميلة فقال لهما مرحبا واهلا واجتهد في اكرامهما فاقاما عنده بقية ليلتهما فلما اصبح الصباح خرجا من عنده ولم يزالا سائرين حتى وصلا الى المدينة ودخلاها وجازا على

Digitized by Google

المطرب فاخذت العود واصلحته وانشدت تقـــــــــول

وَمَا وَجْدُ اَعْرَابِيَّةٍ بَانَ اَهْلُهَا ... فَحَنَّتْ اِلَى بَانِ الْحِجَازِ وَرَنْدِهِ
اِذَا اَنَسَتْ رَكْبًا تَكَفَّلَ شَوْقُهَا ... بِنَارِ قِـرَاهُ وَالدُّمُوعُ بِوَرْدِهِ
بِاَعْظَمَ مِنْ وَجْدِي بِحُبِّي وَاِنَّمَا ... يَرَى اَنَّنِي اَذْنَبْتُ ذَنْبًـــا بِوُدِّهِ

فلما سمعت شمس النهار هذا الشعر مالت من على كرسيها الذي هي جالسة عليه وسقطت الى الارض مغشيا عليها وغابت عن الوجود فقام الجواري واحتملنها فلما نظر اليها علي بن بكار من الروشن وقع مغشيا عليه فقال ابوالحسن ان القضاء قسم الغرام بينكما بالسوية فبينما هما يتحدّثان واذا بالجارية التي اطلعتهما الروشن جاءتهما وقالت يا ابا الحسن انهض انت ورفيقك وانزلا فقد ضاقت علينا الدنيا وانا خائفة ان يظهر الامر او يعلم بكما الخليفة فان لم تنزلا في هذه الساعة متنـا فقال ابو الحسن وكيف ينهض هذا الغـــلام معي ولاقدرة له على النهوض فصارت الجارية ترش عليه ماء الورد حتى افاق من غشيته فحمله ابو الحسن واسندته الجارية ونزلابه من الروشن ومشيا قليلا ثم فتحت الجارية بابا صغيرا من الحديد واخرجت ابا الحسن وعلي بن بكار فرأيا مصطبة على شاطئ الدجلة فجلسا عليها فصفقت الجارية بيديها فاتاها رجل في زورق صغير فقالت له خذ هذين الشـــابين واطلعهما على البر الثاني فنزلا في الزورق فلما قذف بهما الرجل وفارقا البستان نظر علي بن بكار الى قصر الخلافة والقبة والبستان وودّعهم بهذين البيتيـــــــــــــــــــــن

مَدَدْتُ اِلَى التَّوْدِيعِ كَفًّا ضَعِيفَةً ... وَاُخْرَى عَلَى الرَّمْضَاءِ تَحْتَ فُؤَادِي
فَلَا كَانَ هٰذَا آخِرَ الْعَهْدِ بَيْنَنَـــا ... وَلَا كَانَ هٰذَا الزَّادُ آخِرَ زَادِي

Digitized by Google

من باب البستان وقبّلن الارض بين يديه ولم يزلن سائرات امامه الى ان جلس على السرير والذين في البستان من الجواري والخدم وقفوا جميعا بين يديه وجاءت الجواري الحسان والوصائف بايديهن الشموع الموقودة والطيب والبخور وآلات الطرب فامر الملك المغنّيات ان يجلسن فجلسن في اماكنهن وجاءت شمس النهار فجلست على كرسي بجانب سرير الخليفة وصارت تحدّثه كل ذلك وابو الحسن وعلي بن بكار ينظران ويسمعان والخليفة لم يرهما ثم ان الخليفة صار يمازح ويلعب مع شمس النهار وهم في هنأ وسرور فامر الملك بفتح القبة ففتحت وشرعوا طيقانها واوقدوا الشموع حتى صار المكان وقت الظلام كالنهار ثم ان الخدم صاروا ينقلون آلات المشروب قال ابو الحسن فرايت آلات المشروب ومن التحائف لم ترعيني مثلها واواني من الذهب والفضة وسائر اصناف المعادن والجواهر مما يقصر عنه الوصف حتى خيّل لي اني في المنام لكثرة ما دهشت مما رأيت واما علي بن بكار فمن حين فارقته شمس النهار كان مطروحا في الارض من شدة الوجد والغرام فلما افاق صار ينظر الى هذه الاشياء التي لا يوجد مثلها فقال لابي الحسن يا اخي اني اخاف ان ينظرنا الخليفة او يعلم حالنا وما اكثر خوفي الاّ عليك واما انا فاني اعلم بنفسي اني هالك لامحالة وما هلاكي الا بسبب العشق والغرام وفرط الوجد والهيام وفراق الاحباب بعد الاقتراب وارجو من الله ان يخلصنا من هذه الورطة ولم يزل علي بن بكار وابو الحسن ينظران من الروشن الى الخليفة وما هو فيه من السرور حتى تكاملت الحضرة بين يديه ثم ان الخليفة التفت الى جارية من الجواري وقال هاتي ما عندك يا غرام من السماع

Digitized by Google

وقال ياسيّدتي ان هذا الوداع سببا لتلف نفسي وهلاك روحي ولكن اسأل الله ان يرزقني الصبر على ما بلاني به من محبتي فقالت له شمس النهار والله مايصير فى التلف الا انا فانك قد تخرج الى السوق وتجتمع بمن يسليك فتكون مصونا وغرامك مكنونا واما انا فاني اقع فى العناء والتعب ولا اجد من يسليني خصوصا وقد وعدت الخليفة بميعاد فربما يلحقني من ذلك عظيم الخطر بسبب شوقي اليك وحبي لك وتعشّقي فيك وتأسفى على مفارقتك فبأيّ لسان اغنّي وبأيّ قلب احضر عند الخليفة وبأيّ كلام انادم امير المؤمنين وبأيّ نظر انظر الى مكان ما انت فيه وكيف اكون في حضرة لم تكن بها وبأيّ ذوق اشرب مداما ما انت حاضره فقال لها ابو الحسن لا تتحيري واصبري ولا تغفلي عن منادمة امير المؤمنين هذه الليلة ولا تظهري له التهاون وتجلّدي فبينما هم كذلك واذا بجارية جاءت وقالت ياسيدتي جاء غلمان امير المؤمنين فنهضت قائمة وقالت للجارية خذي ابا الحسن ورفيقه واقصدي بهما اعلى الروشن المطل على البستان ودعيهما هناك الى ان يدخل الظلام فتحيلي في خروجهما فاخذتهما الجارية واطلعتهما فى الروشن واغلقت الباب عليهما ومضت الى حال سبيلها فجلسا ينظران على البستان واذا بالخليفة قدم وبين يديه نحو مائة خادم بايديهم السيوف وحواليه عشرون جارية كانهن الاقمار وعليهن افخر ما يكون من الملبوس وعلى رأس كل واحدة تاج مكلل بالجواهر واليواقيت وفي يد كل واحدة شمعة موقودة والخليفة يمشي بينهن وهن محيطات به من كل ناحية وقدامه مسرور وعفيف ووصيف وهو يتمايل بينهم فقامت له شمس النهار وجميع من عندها من الجواري فلاقينه

Digitized by Google

فلما سمع علي بن بكار و ابو الحسن والحاضرون شعر شمس النهار كادوا ان يطيروا من الطرب ولعبوا وضحكوا فبينماهم على هذا الحال واذا بجارية اقبلت وهي ترتعد من الخوف و قالت ياسيدتي خدام امير المؤمنين بالباب وهم عفيف و مسرور ومرجان وغيرهم من الخدام لم اعرفهم فلما سمعوا كلام الجارية كادوا ان يهلكوا من الخوف فضحكت شمس النهار وقالت لاتخافوا ثم قالت للجارية ردّي عليهم الجواب بقدر مانتحول من هذا المكان ثم انها امرت بغلق باب القبة وارخت على ابوا بها الستائر وهم فيها واغلقت باب القاعة ثم خرجت من باب السرّ الى البستان وجلست على سريرلها هناك وامرت جارية ان تكبس رجليها وامرت بقية الجواري ان يمضين الى اماكنهن وامرت الجارية ان تدعو من بالباب ليدخل فدخل مسرور ومن معه وكانوا عشرين وبايديهم السيوف فسلموا على شمس النهار فقالت لهم لم جئتم فقالوا ان امير المؤمنين يسلم عليك وقد استوحش لرؤيتك ويخبرك انه كان عنده اليوم سرور وحظ زائد واحب ان يكون ختام السرور بوجودك في هذه الساعة فهل تأتين عنده او يأتي عندك فقامت وقبلت الارض وقالت سمعا وطاعة لامر امير المؤمنين ثم امرت باحضار القهر مانات و الجواري فحضرن و اظهرت لهن انها مقبلة على ما أمر به الخليفة وكان المكان كاملا في جميع امورة ثم قالت للخدام امضوا الى امير المؤمنين و اخبروه انني فى انتظاره بعد قليل الى ان اهيّئ له مكانا بالفرش و الامتعة فمضى الخدام مسرعين الى امير المؤمنين واما شمس النهار فانها خلعت ثيابها و دخلت الى معشوقها علي بن بكار وضمّته الى صدرها وودّعته فبكي بكاء شديدا

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الرابعة والخمسون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شمس النهار ملأت الكأس واعطته لعلي بن بكار ثم امرت جاريـــة ان تغنّي فانشدت تقـــول هذه الابيـــــــــــــــــــــــــــــــات

تَشَاكَلَ دَمْعِي إِذْ جَرَى وَمُدَامَتِي ... فَمِنْ مِثْلِ مَا فِي الْكَأْسِ عَيْنِي تَسْكُبُ
فَوَاللّٰهِ مَا أَدْرِي أَبِالْخَمْرِ أَسْبَلَتْ ... جُفُونِي أَمْ مِنْ أَدْمُعِي كُنْتُ أَشْرَبُ

فلما فرغت من شعرها شرب علي بن بكار كأسه وردّه الى شمس النهار فملأته وناولته لابي الحسن فشربه ثم اخذت العود وقالت لا يغني على قدحي غيري ثم شدت الاوتار وانشدت تقول هذه الاشعار

غَرَائِبُ الدَّمْعِ فِي خَدَّيْهِ تَضْطَرِبُ ... وَلِلْهَوَى حُرَقٌ فِي صَدْرِهِ تَقِدُ
يَبْكِي مِنَ الْقُرْبِ خَوْفًا مِنْ تَبَاعُدِهِمْ ... فَالدَّمْعُ إِنْ قَرُبُوا جَارٍ وَإِنْ بَعُدُوا

وقول الآخر

*
نَتَفَدَّاكَ سَاقِيًا قَدْ كَسَاكَ الْحُسْـــــنُ مِنْ فَرْقِكَ الْمُضِيءِ لِسَاقِكْ

*
تَشْرُقُ الشَّمْسُ مِنْ يَدَيْكَ وَمِنْ فِيـــــكَ الثُّرَيَّا وَالْبَدْرُ مِنْ أَطْوَاقِكْ
إِنَّ أَقْدَاحَكَ الَّتِي تَرَكَتْنِـــي ... غَيْرُ صَاحٍ تُدَارُ مِنْ أَحْدَاقِكْ
أَوَلَيْسَ الْعَجِيبُ كَوْنُكَ بَـــدْرًا ... كَامِلًا وَالْمُحَاقُ مِنْ عُشَّاقِكْ
آ اللّٰهُ أَنْتَ إِذْ تُمِيتُ وَتُحْيِي ... بِتَلَاقِيكَ مَنْ تَشَـــا وَفِرَاقِكْ

*
خَلَقَ اللّٰهُ مِنْ خَلِيقَتِكَ الْحُسْـــــنَ وَطِيبَ النَّسِيمِ مِنْ أَخْلَاقِكْ

*
مَا أَنْتَ مِنْ هَذِهِ الْبَرِيَّةِ بَلْ أَنْـــتَ مَلِيكٌ أُرْسِلْتَ مِنْ خَلَّاقِكْ

Digitized by Google

في شانكما فان حالكما عجيب وامركما غريب هذا البكاء وانتما مجتمعان فكيف يكون الحال بعد انفصالكما وتفرقكما ثم قال هذا ليس وقت حزن وبكاء بل هذا وقت اجتماع ومسرة فانشرحا وانبسطا ولا تبكيا ثم ان شمس النهار اشارت الى جارية فقامت وعادت ومعها وصائف حاملات مائدة من صحون الفضة وفيها من انواع الطعام الفاخر فوضعن المائدة قدامهما فصارت شمس النهار تأكل وتطعم علي بن بكار ولم يزالوا يأكلون حتى اكتفوا ثم رفعت المائدة وغسلوا ايديهم وجاءتهم المباخر بانواع البخور من العود والعنبر والند وجاءتهم القماقم بماء الورد فتطيبوا وتبخروا وقدمت لهم اطباق من الذهب المنقوش فيها من انواع الشراب والفواكه والنقل ماتشتهي الانفس وتلذ الاعين ثم جاءت لهم بطشت من العقيق ملآن من المدام ثم اختارت شمس النهار عشرة وصائف اوقفتهم عندهم وعشر جوار من المغنيات وصرفت باقي الجواري الى اماكنهن وامرت بعض الحاضرين من الجواري ان يضربن بالعيدان ففعلن ما امرت به وانشدت واحدة منهن تقول

بِنَفْسِيَ مَنْ رَدَّ التَّحِيَّةَ ضَاحِكًا ... فَجَدَّدَ بَعْدَ الْيَأْسِ فِي الْوَصْلِ مَطْمَعِي

لَقَدْ أَبْرَزَتْ أَيْدِي الْغَرَامِ سَرَائِرِي ... وَأَظْهَرْنَ لِلْعُذَّالِ مَا بَيْنَ أَضْلُعِي

وَحَالَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ... كَأَنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ تَعْشَقُهُ مَعِي

فلما فرغت من شعرها قامت شمس النهار وملأت الكأس وشربته ثم ملأته واعطته لعلي بن بكار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

Digitized by Google

رَقَمَ الْعِذَارُ غُلَالَتَيْهِ بِأَحْرُفٍ مَعْنَى الْهَوَى فِي طَيِّهَا مُتَنَاهِ
نَادَى عَلَيْهِ الْحُسْنُ حِينَ لَقِيتُهُ هَذَا الْمُنَمْنَمُ فِي طِرَازِ اللّٰهِ

فلما فرغت من شعرها قال علي بن بكار لجارية قريبة منه انشدي انت ايتها الجارية واسمعينا شيأ فاخذت العود وانشدت تقول

زَمَنُ الْوِصَالِ يَضِيقُ عَنْ هَذَا التَّمَادِي وَ الدَّلَالِ
كَمْ مِنْ صُدُودٍ مُتْلِفٍ مَا هَكَذَا أَهْلُ الْجَمَالِ
فَاسْتَغْنِمُوا وَقْتَ السُّعُودِ بِطِيبِ سَاعَاتِ الْوِصَالِ

فلما فرغت من شعرها اتبعها علي بن بكار بدموع غزار فلما رأته شمس النهار قد بكى وانّ واشتكى احرقها الوجد والغرام واتلفها الوله والهيام فقامت من فوق السرير وجاءت الى باب القبة فقام علي بن بكار وتلقاها وتعانقا ووقعا مغشيا عليهما في باب القبة فقام الجواري اليهما وحملنهما واد خلنهما باب القبة ورشّشن عليهما ماء الورد فلما افاقا لم يجدا ابا الحسن وكان قداختفى في جانب سرير فقالت الصبية اين ابو الحسن فظهر لها من جانب السرير فسلمت عليه وقالت اسأل الله ان يقدرني على مكافأتك ياصاحب المعروف ثم اقبلت على علي بن بكار وقالت له ياسيدي مابلغ بك الهوى الى غاية الا وعندي ضعفها ولكن لم يكن لنا غير الصبر على ما اصابنا فقال علي بن بكار والله ياسيدتي ليس جمع شملي بك يطيب ولا نظري اليك يطفئ ماعندي من اللهيب ولا يذهب ما تمكن من حبك في قلبي الا بذهاب روحي ثم بكى ونزلت دموعه على خده كانها اللؤلؤ المنثور فلما رأته شمس النهار يبكي بكت لبكائه فقال ابو الحسن والله اني عجبت من امركما واحترت

Digitized by Google

أَعِدِ الرِّسَالَةَ ثَانِيَهْ وَخُذِ الْجَوَابَ عَلَانِيَهْ
وَ إِلَيْكَ يَا مَلِكَ الْمِلَا حِ وَ قَفْتُ أَشْكُوْحَا لِيَهْ
مَوْلَايَ يَاقَلْبِي الْعَزِ يْزُ وَ يَا حَيَاتِي الْغَالِيَهْ
اِنْعَمْ عَلَيَّ بِقُبْلَةٍ هِبَةً وَ إِلَّا عَارِيَهْ
وَ أَرُدُّهَا لَكَ لَاعَدِمْتَ بِعَيْنِهَا وَكَمَا هِيَهْ
وَ إِذَا أَرَدَّتْ زِيَادَةً خُذْهَا وَنَفْسُكَ رَاضِيَهْ
يَا مُلْبِسِي ثَوْبَ الضَّنَى يُهْنِيكَ ثَوْبُ الْعَافِيَهْ

فطرب علي بن بكار وقال لها زيديني من مثل هذا الشعر فحركت الاوتار وانشدت تقول هذه الابيات

مِنْ كَثْرَةِ الْبُعْدِ يَاحَبِيبِي عَلَّمْتَ طُوْلَ الْبُكَا عُيُوْنِي
يَاحَظَّ عَيْنِي وَيَا مُنَاهَا وَ مُنْتَهَى غَايَتِي وَدِيْنِي
اِرْثِ لِمَنْ طَرْفُهُ غَرِيْقٌ فِي عَبْرَةِ الْوَالِهِ الْحَزِيْنِ

فلما فرغت من شعرها قالت شمس النهار لجارية غيرها اسمعينا شيأ فاطربت بالنغمات وانشدت تقول هذه الابيات

سَكَرْتُ مِنْ لَحْظِهِ لَامِنْ مُدَامَتِهِ وَمَالَ بِالنَّوْمِ عَنْ عَيْنِي تَمَايُلُهُ
فَمَا السُّلَافُ سَلَبْنَنِي بَلْ سَوَالِفُهُ وَمَا الشُّمُوْلُ شَلَبْنَنِي بَلْ شَمَائِلُهُ
لَوَى بِعَزْمِيَ اَصْدَاغٌ لَوَيْنَ لَهُ وَغَالَ عَقْلِي بِمَا تَحْوِي غَلَائِلُهُ

فلما سمعت شمس النهار انشاد الجارية تنهدت مليّا واعجبها الشعر ثم امرت جارية اخرى ان تغني فاخذت العود و انشدت تقول

وَجْهٌ لِمِصْبَاحِ السَّمَاءِ مُبَاهِ يَبْدُوالشَّبَابُ عَلَيْهِ رَشَّ مِيَاهِ

Digitized by Google

العقل ويحيره فوقفن بالبـاب وجاء من بعدهن عشر جوار اخرى احسن منهن وعليهن من المـلابس الفـاخرة مالا يدخل تحت وصف فوقفن ايضـا بالباب ثم خرج من البـاب عشرون جارية وبينهن جارية اسمها شمس النهـار كانها القمر بين النجوم وهي تتمايل عجبا ودلالا وهي متوشحة بفاضل شعرها وعليها ثوب ازرق وازار من الحرير بطرازات من الذهب والجوهر وفي وسطها حياصة مرصعـة بانواع الجـواهر ولم تزل تتبختر وتتمـايل حتى جلست على السرير فلما رآها علي بن بكار انشد هذه الاشعـار

إِنَّ هٰذِي هِيَ ابْتِدَاءُ سَقَامِي ... وَتَمَادِي وَجْدِي وَطُوْلُ غَرَامِي
عِنْدَهَا قَدْ رَأَيْتُ نَفْسِي ذَابَتْ ... مِنْ وُلُوْعِي بِهَا وَبَرَى عِظَامِي

فلمـا فرغ من شعـره قال لابي الحسن لوعملت معي خيرا كنت اخبرتني بهذه الامور قبل الدخول هنا لاجل ان اوطن نفسي واصبرها على ما اصابها ثم بكى وانّ واشتكى فقال له ابو الحسن يا اخي انا ما اردت لك الا الخيـر ولكـن خشيت ان اعلمك بـذلك فيلحقك من الوجد ما يصدك عن لقائها ويحيل بينك وبينها فطب نفسا وقرّ عينا فهي نحوك مقبلة وللقـائك متوصلة فقال علي بن بكار ما اسـم هذه الصبية فقال له ابو الحسن تسمى شمس النهار وهي من محـاظي امير المؤمنين هارون الرشيد وهذا المـكان قصر الخـلافة ثم ان شمس النهار جلست وتأملت محاسن علي بن بكار وتامل هوايضا حسنها فاشتغـلا بحب بعضهما فامرت الجواري ان تجلس كل واحدة منهن في مكانها على سرير فجلست كل واحدة قبال طاقة وامرتهن بالغناء فاخذت واحدة منهن العود وانشدت تقـول

Digitized by Google

فَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْهَا الصُّعُودَ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْكَ النُّزُولَا

فلما سمعت ذلك تبسمت وقالت لابي الحسن ما اسم هذا الشاب ومن اين هو فقال لها هذا غريب فقالت من اي البلاد فقال انه ابن ملك العجم واسمه علي بن بكار والغريب يجب اكرامه فقالت له اذا جاءتك جاريتي تأتي به عندي فقال ابو الحسن على الرأس والعين ثم قامت وتوجّهت الى حال سبيلها هذا ماكان من امرها واما ماكان من امر علي ابن بكار فانه صار لايعرف ما يقول وبعد ساعة جاءت الجارية الى ابي الحسن وقالت له ان ستي تطلبك انت ورفيقك فنهض ابو الحسن واخذ معه عليا بن بكار وسارا الى دار هارون الرشيد فادخلتهما في مقصورة واجلستهما فتحدّثا ساعة واذا بالموائد وضعت قدّامهما فاكلا وغسلا ايديهما ثم احضرت لهما الشراب فسكرا ثم امرتهما بالقيام فقاما معها فادخلتهما مقصورة اخرى مركبة على اربعة اعمدة وهي مفروشة بانواع الفرش مزينة بانواع الزينة كانها من مقاصير الجنان فاندهشا مما عاينا من التحف فبينما هما يتفرجان على هذه الغرائب واذا بعشر جوار اقبلن كانهن الاقمار يتمايلن عجبا يدهشن الابصار ويحيّرن الافكار واصطففن كانهن من حور الجنان وبعد برهة واذا بعشر جوار اخرى اقبلن فسلمن عليهما وبايديهن العيدان وآلات اللهو والطرب فجلسن كلهن واصلحن الاوتار وقمن بين ايديهما يضربن بالعيدان ويغنّين وينشدن الاشعار وكل واحدة منهن فتنة للعباد فبينماهما كذلك واذا بعشر جوار مثلهن كواعب اتراب سود العيون موردات الخدود مقرونات الحواجب ناعسات الاطراف فتنة للعابدين ونزهة للناظرين وعليهن من انواع الحرير الملوّن والحلل ما يدهش

Digitized by Google

ابا الحسن عليا بن طاهر وكان ذلك الرجل كثير المال عزيز النوال وكان ولده حسن الصورة محبوب السيرة عند جميع الناس وكان يدخل دار الخلافة من غير اذن ويحبه جميع سراري الخليفة وجواريه وكان ينادم الملك وينشد له الاشعار ويحدثه بنوادر الاخبار الّا انه كان يبيع ويشتري في سوق التجار وكان يجلس على دكانه شاب من اولاد ملوك العجم يقال له علي بن بكار وكان ذلك الشاب مليح القامة ظريف الشكل كامل الصورة مورّد الخدين مقرون الحاجبين عذب الكلام ضاحك السن يحب البسط والانشراح فاتفق انهما كانا جالسين يتحدثان ويضحكان واذا بعشر جوار كانهن الاقمار وكل منهن ذات حسن وجمال وقد واعتدال وبينهن صبية راكبة على بغلة بسرج مزركش له ركاب من الذهب و عليها ازار رفيع وفي وسطها زنار من الحرير مطرز بالذهب وهي كما قال فيها الشاعر

لَهَا بَشَرٌ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَ مَنْطِقٌ ... رَخِيمُ الْحَوَاشِي لَا هُرَاءٌ وَلَا نَذْرُ
وَ عَيْنَانِ قَالَ اللّٰهُ كُونَا فَكَانَتَا ... فَعُولَانِ بِالْأَلْبَابِ مَا تَفْعَلُ الْخَمْرُ
فَيَا حُبَّهَا زِدْنِي جَوًى كُلَّ لَيْلَةٍ ... وَيَا سُلْوَةَ الْأَحْبَابِ مَوْعِدُكَ الْحَشْرُ

فلما وصلن الى دكان ابي الحسن نزلت تلك الجارية عن البغلة وجلست على دكانه فسلمت عليه وسلم عليها فلما رأها علي ابن بكار سلبت عقله واراد القيام فقالت له اجلس مكانك نحن جئنا عندك وانت تروح هذا ماهو انصاف فقال والله ياستي اني هارب مما رأيتُ ولسان الحال يقول

هِيَ الشَّمْسُ مَسْكَنُهَا فِي السَّمَاءِ ... فَعَزِّ الْفُؤَادَ عَزَاءً جَمِيلَا

Digitized by Google

حتى سقطا في وسط الشبكة وصارا يصرخان فقام الصياد واخذهما فازعجني ذلك وهذا سبب غيابي عنك يا ملك الزمان وما بقيت اسكن هذا الوكر حذرا من الشبكة فقال له الطاؤوس لا ترحل من مكانك فلا ينفعك الحذر من القدر فامتثل امره وقال ساصبر ولا ارحل طاعة للملك ولم يزل العصفور حذرا على نفسه واخذ الطعام الى الطاؤوس فاكل حتى اكتفى وتناول على الطعام الماء وذهب العصفور فبينما هو في بعض الايام شاخص واذا بعصفورين يقتتلان في الارض فقال في نفسه كيف اكون وزير الملك وأرى العصافير تقتتل في جواري والله لاصلحن بينهما ثم ذهب اليهما ليصلح بينهما فقلب الصياد الشبكة على الجميع فوقع ذلك العصفور في وسطها فقام اليه الصياد واخذه ودفعه الى صاحبه وقال له استوثق به فانه سمين ولم اراحسن منه فقال العصفور في نفسه قد وقعت فيما كنت اخاف منه وما كان امني الا الطاؤوس ولم ينفعني الحذر من نزول القدر فلا مفر من القضاء للمحاذر وما احسن قول الشاعر

مَا لَا يَكُونُ فَلَا يَكُونُ بِحِيلَةٍ ... أَبَدًا وَمَا هُوَ كَائِنٌ فَيَكُونُ

سَيَكُونُ مَا هُوَ كَائِنٌ فِي وَقْتِهِ ... وَأَخُ الْجَهَالَةِ دَائِمًا مَغْبُونُ

فقال الملك يا شهرزاد زيديني من هذا الحديث فقالت في الليلة القابلة ان ابقاني الملك اعزه الله وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الثالثة والخمسون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد انه كان في قديم الزمان وسالف العصر والاوان في خلافة الملك هارون الرشيد رجل تاجر له ولد يسمى

Digitized by Google

قام وصعد على السور ورمى نفسه فلما وصل الى الارض اندقت عنقه فمات من ساعته وانّما اخبرتك بذلك لتجعل الكلك من الوجه الذي تعلم به وتحيط به علما ولئلا يدخلك الشره فترغب فيما ليس من شأنك فقال لها زوجها ماكلّ عالم يسلم بعلمه ولاكلّ جاهل يعطب بجهله وقد رأيت الحاوي الخبير بالحيات العالم بها ربما نهشته الحية فتقتله وقد يظفر بها الذي لا معرفة له بها ولا علم عنده باحوالها ثم انه قد خالف زوجته واشترى المتاع واخذ في تلك العادة فصار يشتري من السارقين بدون القيمة الى ان وقع في تهمة فهلك فيها وكان في زمنه عصفور يأتي كل يوم الى ملك من ملوك الطيور ولم يزل غاديا ورائحا عنده بحيث كان اول داخل عليه وآخر خارج من عنده فاتفق ان جماعة من الطيور اجتمعوا في جبل عال من الجبال فقال بعضهم لبعض انا قد كثرنا وكثر الاختلاف بيننا ولابدّ لنا من ملك ينظر في امور نا فتجتمع كلمتنا ويزول الاختلاف عنا فمرّبهم ذلك العصفور فاشارعليهم بتمليك الطاؤوس وهو الملك الذي يتردد اليه فاختاروا الطاؤوس وجعلوه عليهم ملكا فاحسن اليهم وجعل ذلك العصفور كاتبه ووزيره فكان تارة يترك الملازمة وينظر في الامور ثم ان العصفور غاب يوما عن الطاؤوس فقلق قلقا عظيما فبينما هو كذلك اذ دخل عليه العصفور فقال له ما الذي اخّرك وانت اقرب الاتباع الينا واعزّهم علينا فقال العصفور رأيت امرا واشتبه عليّ فتخوفت منه فقال له الطاؤوس ما الذي رأيت قال العصفور رأيت رجلا معه شبكة قد نصبها عند وكري وثبت اوتادها وبذر في وسطها حبّا وقعد بعيدا عنها فجلست انظر ما يفعل فبينما انا كذلك واذا بكركي هو وزوجته قد ساقهما القضاء والقدر

Digitized by Google

القرد رأى الشخص الذي معه الثياب المقطعة وكان قد وضعها في بقجة وجلس يستريح من التعب فلعب القرد قدامه حتى اشغله بالفرجة عليه و اختلس منه تلك البقجة ثم اخذ القرد و ذهب الى مكان خال و فتح البقجة فرأى تلك الثياب المقطعة فوضعها في بقجة نفيسة و ذهب بها الى سوق آخر و عرض البقجة للبيع بما فيها و اشترط ان لا تفتح و رغب الناس فيها لقلة الثمن فرآها رجل و اعجبه نفاستها فاشتراها بهذا الشرط فانصرف بها الى منزله وظن انه اصاب فلما رأت زوجته ذلك قالت ما هذا قال متاع نفيس اشتريته بدون القيمة لا بيعه فأخذ فائدته فقالت له ايها المغبون آ يباع هذا المتاع باقل من قيمته الا اذا كان مسروقا اماتعلم ان من اشترى شيأ ولم يعاينه كان مخطئا و كان مثله كمثل الحائك فقال لها وما قصة الحائك قال

بلغني

ان حائكا كان في بعض القرى وكان يعمل فلا ينال القوت الا بجهد فاتفق انّ رجلا من الاغنياء بالقرب من قريته صنع وليمة فدعا الناس اليها وحضر الحائك فرأى الناس الذين عليهم الثياب الناعمة يقدم لهم الاطعمة الفاخرة و صاحب المنزل يعظّمهم لمارأى من حسن زيهم فقال الحائك في نفسه لو بدلت هذه الصنعة بصناعة اخف مؤنة منها و ارفع رتبة واكثر اجرة لجمعتُ مالاً كثيرا واشتريت ثيابا فاخرة لارتفع شأني و عظمت في اعين الناس وصرت مثل هؤلاء القوم ثم انه نظر الى بعض اهل الملاعب الحاضرين في الوليمة قام وصعد على سور عال مرتفع شاهق ثم رمى بنفسه منه الى الارض و قام قائما فقال الحائك في نفسه لا بد ان اعمل مثل ما عمل هذا ولا اعجز عنه ثم

Digitized by Google

لئلا يصيبك ما اصاب الخداعين الذين مكروا بالتاجر فقال القنفذ وكيف ذلك قـــــــــــــــــــــــــــــــال

بلغني

ان تاجرا من مدينة يقال لها سنده كان ذا مال واسع فشد احمالا و جهز متاعا و خرج به الى بعض المدن ليبيعه فيها فتبعه رجلان من المكرة فحملا ما حضرهما من مال و متاع و اظهرا للتاجر انهما من التجار و سارا معه فلمـــا نزلا اول منزل اتفقـــا على المكر به و اخذ مامعه ثم ان كلواحد منهما اضمر المكر لصاحبه والغدر به و قال كل واحد منهما في نفسه لو غدرتُ بصاحبي لصفى لي الوقت و اخذت جميع هذا المال ثم اضمرا لبعضهما على نية فاسدة واخذ كل منهما طعاما و جعل فيه سما و فعل الآخر مثله في طعـامه و قدم كل واحد منهما طعامه لصاحبه فأكلا من ذلك فماتا جميعا و كانا يجاسان مع التاجر و يحدثانه فلما غابا عنه و ابطأا عليه فتش عليهما ليعرف خبرهما فوجدهما ميتين فعلم انهما كانا محتالين و اراد المكربه فعاد مكرهما عليهما و سلم التاجر واخذ ما كان معهما فقال الملك لقد نبهتني يا شهـر زاد على كل شيءٍ كنتُ غافلا عنه فتزيدينى من هذه الامثال قـــــــــــــــــــــــــات

بلغني

ايهـــا الملك ان رجلا كان عنده ترد وكان ذلك الـــرجل سارقا لا يدخل الى سوق من اسواق المدينة التي هو فيها الا و ينصرف منه بكسب عظيم فـــاتفق انه رأى يوما رجلا يحمل اثوابا مقطعة ليبيعها و صار ينادي عليها فى السوق فلا يسومها احد وكان لايعرضها على احـــد الّا و يمتنع من شرائها فاتفق ان الســـارق الذي معه

Digitized by Google

الى عبادة ربي فقال له القنفذ خذ في الاستعداد للمعاد والقناعة بالكفاف من الزاد فقال الورشان كيف لي بذلك وانا طائر لا استطيع ان اتجاوز النخلة التي فيها قوتي ولو استطعت ذلك ما عرفت موضعا استقر فيه فقال القنفذ يمكنك ان تنثر من ثمر النخلة ما يكفيك مؤنة عام انت وزوجتك و تسكن في وكر تحت النخلة لا لتماس حسن ارشادك ثم مِلْ الى مانثرته من الثمر فانقله جميعه و ادخره قوتا للعدم و اذا فرغت الثمار و طال عليك المطال صر الى كفاف من العيش فقال الورشان جزاك الله خيرا بحسن النية حيث ذكرتني بالمعاد و هديتني الى الرشاد ثم تعب الورشان وزوجته في طرح الثمر حتى لم يبق في النخلة شيء فوجد القنفذ ما يأكل وفرح به و ملأ مسكنه من الثمر وادخره لقوته وقال في نفسه ان الورشان هو وزوجته اذا احتاجا الى مؤنتهما طلباها مني و طمعا فيما عندي وركنا الى تزهدي و ورعي فاذا سمعا نصيحتي و وعظي دنيا مني فاقتنصهما و آكلهما و يخلو لي هذا المكان و كلما تساقط من ثمر النخلة يكفيني ثم ان الورشان نزل هو وزوجته من فوق النخلة بعد ان نثرا ما عليها من الثمر فوجدا القنفذ قد نقل جميع ذلك الى جحره فقال له الورشان ايها القنفذ الصالح والواعظ الناصح انا لم نجد للثمر اثرا ولا نعرف لقوتنا غيره ثمرا فقال لعله طارت به الرياح والاعراض عن الرزق الى الرازق عين الفلاح فالذي شق الاشداق لا يتركها بلا ارزاق وما زال يعظهما بتلك المواعظ و يظهر لهما الورع بزخرف الملافظ حتى ركنا اليه و اقبلا عليه ودخلا باب وكره و امنا من مكره فوثب الى الباب وقرع الانياب فلما رأى الورشان منه الخديعة لائحة قال له اين الليلة من البارحة اما تعلم ان للمظلومين ناصرا فاياك والمكر والخديعة

Digitized by Google

بكاءه و أنّه ورأى كآبته وحزنه قال ايّها الثعلب ما نابك حتى قرعت نابك قال له الثعلب انّما قرعت سنّي لاني رأيتك اخدع مني ثم انه ولّى هاربا ورد راجعا ولجحره طالبا وهذا ما كان من حديثهما ايها الملك فقال الملك يا شهرزاد ما احسن هذه الحكايات واطيبها هل عندك شيء مثلها من الموعظـــــــــــــــــات قالت

ويحكى

انّ قنفذا اتّخذ مسكنا بجانب نخلة وكان قد الفها الورشان وزوجته وعشّشا فيها وسكنا بها في عيش رغيد فقال القنفذ في نفسه ان الورشان وزوجته يأكلان من ثمر النخلة وانا لا اجد الى ذلك سبيلا ولكن لابد من استعمال الحيلة عليهما ثم حفر في اسفل النخلة بيتا واتخذه مسكنا له ولزوجته واتخذ جانبه مسجدا وانفرد فيه واظهر النسك والعبادة وترك الدنيا فكان الورشان يراه متعبدا مصليا فرق له من شدة زهده وقال له كم سنة وانت هكذا فقال من مدة ثلثين سنة قال ما طعامك قال ما يسقط من النخلة قال ما لباسك قال شوك انتفع بخشونته فقال وكيف اخترت مكانك هذا على غيره قال اخترته على غير طريق لاجل ان ارشد الضال واعلم الجاهل قال له الورشان كنت اظن انك على غير هذه الحالة ولكني الآن رغبت فيما عندك فقال القنفذ اني اخشى ان يكون قولك ضد فعلك فتكون كالزراع الذي لما جاء وقت الزرع قصر في بذره وقال اني اخشى ان لا تبلغني الايام امنيتي فاكون قد بدأت باضاعة المال وسرعة البذر فلما جاء وقت الحصاد ورأى الناس وهم يحصدون ندم على ما فاته من تخلفه ومات اسفا وحزنا فقال الورشان للقنفذ وماذا اصنع حتى اتخلص من علائق الدنيا وانقطع

Digitized by Google

والشدة وانت كذلك ايها الثعلب ان عدمت قوتك ما عدمت خداعك ولستُ اشكُّ في ان ما تطلبه من صحبتي حيلة على قُوْتك فلا كنت ممن يطرح ويضع يده في يدك لان الله اعطاني قوة في جناحي وحذرا في نفسي وبصرا في عيني واعلم ان من تشبّه باقوى منه تعب وربما هلك وانا اخاف عليك ان تشبهت بمن هو اقوى منك ان يجري لك ما جرى للعصفور فقال له الثعلب واي شيءٌ جرى للعصفور فبالله عليك ان تحدثني بحديثه فقال الغـــــــــــراب بلغني

ان عصفورا كان طائرا بمراح غنم فنظـــر الى هذا المـــراح ووقف يتأمل فيه واذا بعقاب كبير انقضّ على رميس من صغار اولاد الغنم فاختطفه بين مخالبه وطار فلما رأه العصفور رفرف بجناحه وقال انا افعل مثل ما فعـــل هذا واعجبته نفسه وتشبه بمن هو اكبر منه فطـــار لوقته وانقضّ على كبش سمين له صـــوف كثير وقد تلبد صوفه من رقاده على بوله وروثه فصـــار صوفه مثل البزاق فلمـــا انقض على ظهره صفق بجناحيه فاشتبكت رجلاه في الصوف فاراد ان يطير فلم يستطع ان يخلص نفسه وقد حصل كل هذا والراعي ينظـــر ما جرى من العقاب اوّلا وما جرى للعصفـــور ثانيـــا فجاء الراعي الى العصفور غضبـــانا فقبضه ونتف ريش اجنحته وربطَ في رجليه خيطا واتى به الى اولاده ورماه لهم فقال بعض الاولاد ما هذا فقال هذا تشبّه بمن هو اعلى منه فهلك وانت كذلك ايهـــا الثعلب احذرك ان تتشبّه بمن هو اقوى منك فتهلك هذا ما عندي من الكلام فاذهب عني بسلام فلما يئس الثعلب من مصادقة الغراب رجع من حزنه يَئِنُّ وقرع للندامة سنا على سن فلما سمع الغراب

Digitized by Google

فانظر كيف جازاها وكافأها باحسن المكافأة فقال الغراب ان شاء المحسن يحسن اولا يحسن وليس الاحسان واجبا لمن التمس صلة بقطيعة وان احسنت اليك مع كونك عدوي اكون قد تسببت في قطيعة نفسي وانت ايها الثعلب ذو مكر وخداع ومَنْ شيمته المكر والخديعة لا يؤمن على عهد ومن لا يؤمن على عهد لا امان له وقد بلغني عنك من قريب انك غدرت بصاحب لك وهو الذئب ومكرت به حتى اهلكته بغدرك وحيلتك وفعلت به هذه الامور مع انه من جنسك وقد صحبتَه مدة مديدة فما ابقيت عليه فكيف اثق منك بنصيحة واذا كان هذا فعلك مع صاحبك الذي من جنسك فكيف يكون فعلك مع عدوّك الذي من غير جنسك وما مثالك معي الا مثال الصقر مع سواري الطير فقال الثعلب وكيف ذلك فقال الغـــراب

زعموا

ان صقرا كان جبّارا عنيدا وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــاح

فلما كانت الليلة الثانية والخمسون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الغراب قال زعموا ان صقرا كان جبّارا عنيدا في ايام شبيبته وكانت تفزع منه سباع الطير وسباع البر ولا يسلم من شره احد وله وقائع كثيرة في ظلمه وتجبّره وكان دأب هذا الصقر الاذى لسائر الطيور فلما مرّت عليه السنون ضعفت قوته وانهد حيله وجاع واشتد جهده بعد فقد قوته فاجمع رأيه على ان يأتي مجمع الطير فيأكل ما يفضل منهـــا فعند ذلك صار قُوته بالحيلة بعد القوة

Digitized by Google

فاتفق ان التاجر جاء ليلة الى منزله بدنانير كثيرة فجعل يقلبها فلما سمعت الفأرة صوت الدنانير اطلعت رأسها من جحرها و جعلت تنظر اليها حتى وضعها التاجر تحت وسادة و نام فقالت الفأرة للبرغوث اما ترى الفرصة الممكّنة والحظ العظيم فهل عندك حيلة توصلنا الى بلوغ الغرض من تلك الدنانير فقال البرغوث انه لا يحسن لمن طلب الغرض الا ان يكون قادرا عليه فان كان ضعيفا عنه وقع فيما يحذر ولم يدرك مراده مع الضعف و ان استحكمت قوة المحتال كالعصفور الذى يلتقط الحب فيقع فى الشبكة فيقتنصه صائده و ليس لك قوة على اخذ الدنانير ولا على اخراجها من البيت و انا لاطاقة لي على ذلك بل ولا اقدر على حمل دينار واحد منها فانت و شأنك بالدنانير فقالت له الفأرة اني اعددت في جحري هذا سبعين منفذا اخرج منه اذا طلبت الخروج واعددت للذخائر موضعا حريزا و ان تحيلت انت و اخرجته من البيت فلست اشك فى الظفر ان ساعدني القدر فقال لهـــا البرغوث قد التزمت لك باخراجه من البيت ثم انطلق البرغوث الى فراش التاجر ولدغه لدغة مفزعة لم يكن تقدّم منه للتاجر مثلها و تنحى البرغوث الى موضع يأمن فيه على نفسه من التاجر فانتبه التاجر يطلبه فلم يجده فرقد على جنبه الآخر فلدغه البرغوث لدغة اشد من الاولى فقلق التاجر وفارق مضجعه وخرج الى مصطبة على باب داره فنام هناك ولم ينتبه الى الصباح ثم ان الفأرة اقبلت على نقل الدنانير حتى لم تترك منها شيأ فلمّا اصبح الصباح صار التاجر يتهمّ النّاس ويظن الظنون ثم قال الثعلب للغراب واعلم اني لم اقل لك هذا الكلام ايها الغراب البصير العاقل الخبير الا لاجل ان يصل اليك جزاء احسانك اليّ كمـــا وصل للفأرة جزاء احسانها الى البرغوث

Digitized by Google

ولا مضارتك فقال لهـــا البرغوث اني هربت في منزلك و فزت بنفسي من القتل و اتيتك مستجيـــرا بك ولا طمع لي في بيتك ولا يلحقك مني ضرّ يدعوك الى الخروج من منزلك و اني ارجوان اكافئك على احسانك اليّ بكل جميل و سوف تجدين و تحمدين عاقبة ما اقول لك فلما سمعت الفأرة كلام البرغوث و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الحادية والخمسون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الفأرة لما سمعت كلام البرغوث قالت اذا كان الكلام على ما رسمت و اخبرت فاطمئنّ هنا وما عليك الاّ مطر السلامة ولاتجد الاّ ما يسرّك ولا يصيبك الا ما يصيبني و قد بذلت لك مودتي ولا تندم على مافاتك من دم التاجر ولا تأسف على فوتك منه و ارض بما تيسر لك ببلغة من العيش فان ذلك اسلم لك وقد سمعت ايها البرغوث بعض الشعراء من الوعاظ يقول هذه الابيات شعر

سَلَكْتُ الْقَنَاعَةَ وَالإِنْفِـــرَادَ ... وَ قَضَّيْتُ دَهْرِي بِمَاذَا اتَّفَقْ
بِكِسْرَةِ خُبْزٍ وَ شُرْبَةِ مَـــاءٍ ... وَ مِلْحِ جَرِيْشٍ وَثَوْبٍ خَلِقْ
فَإِنْ يَسَّرَاللّٰهُ فِي عِيْشَتِـــي ... وَ إِلاَّ قَنَعْتُ بِمَـــا قَدْ رُزِقْ

فلما سمع البرغوث كلام الفأرة قال يا اختي قد سمعت وصيتك و انا منقـــاد الى طاعتك ولا قوة لي على مخـــالفتك الى ان ينقضي العمر بتلك النية الحسنة فقالت له الفأرة كفى بصدق المودة صلاح النية فاتصل الودّ و انعقد بينهما و كان البرغوث بعد ذلك يأوي الى فراش التاجر ولا يتجاوز بلغته ويأوي بالنهار مع الفأرة في مسكنها

Digitized by Google

ملا طفتك وبعثتني على التماس اخوتك فمـــا عندك من الجواب فقال له الغراب للثعلب ان خير القول اصدقه وربّما تتحدّث بلسانك ماليس في قلبك واخشى ان تكون اخوتك باللسان ظاهرا وعدا وتك فى القلب باطنا لانك آكل وانا مأكول فوجب لنا التباين فى المحبة والموا صلة فما الذى دعاك الى طلب مالاتدرك وارادة مالا يكون وانت من جنس الوحش وانا من جنس الطير وهذه الاخوة لا تتم ولا تصح فقال له الثعلب ان من علم موضع الاجلاء فاحسن الاختيار فيما يختاره منها ربما يصل الى منافع الاخوان وقد احببت قربك واخترت الانس بك ليكون بعضنا عونا لبعض على اغراضنا وتعقب مودتنا نجاحا وعندى حكايات في حسن الصـــداقة ان اردت ان احكيها حكيتهـــا لك فقال الغراب قد اذنت لك في ان تبثّهـــا فقل وحدثنى بها حتي اسمعهـــا واعيها واعرف المراد منهـــا فقال له الثعلب اسمع يا خليلي يحكى عن برغوث وفأرة ما يستدلّ به على ما ذكرتـه لك فقال الغـــراب وكيف كان ذلك فقال الثعـــلب زعموا

ان فارة كانت في بيت رجل من التجـار عظيم التجارة كثير المـــال فأوى البرغوث ليلـة الى فراش ذلك التاجر فوجد له بدنا ناعما وكان البر غوث عطشانا فشرب من دمه فوجد التاجر من البرغوث المـــا فاستيقظ من النوم فجلس قاعدا ونادى لجـــواريه وبعض اتبـــاعه فاسرعوا اليه وشمّروا عن ايديهم يطوفون على البرغوث فلما احس البرغوث بالطلب ولّى هاربا فصادف جحر الفـــأرة فدخله فلما رأته الفأرة قالت له ما الذي ادخلك عليّ ولست من جوهري ولا من جنسي ولست بآمن من الغلظة عليك ولا المنـــازعة اليك

Digitized by Google

وَمَنْ اِذَا رَيْبُ الزَّمَانِ صَدَّعَكَ شَتَّتَ فِيكَ نَفْسَهُ لِيَجْمَعَكَ

وكان قريبا من الشجرة رُعاة معهم كلاب فذهب الغراب حتى ضرب بجناحه وجه الاوض ونعق وصاح ثم تقدم اليهم وضرب بجناحه وجه بعض الكلاب وارتفع قليلا وتبعته الكلاب وصارت في اثره فرفع الراعي رأسه فرأى طائرا يطير قريبا من الارض ويقع فتبعه وصار الغراب لايطير الا بقدر النجاة والخلاص من الكلاب ويطمعها في ان تفترسه ثم ارتفع قليلا وتبعته الكلاب حتى انتهى الى الشجرة التي تحتها النمر فلما رأت الكلاب النمر وثبت عليه فولى هاربا وكان يظن انه يأكل القط فنجى منه ذلك القط بحيلة صاحبه الغراب فهذه الحكاية ايها الملك تدل على ان مودة اخوان الصفا تخلص وتنجي من الهلكات والوقوع في المعاطب

وحكي

ان ثعلبا سكن في بيت من الجبل وكان كلما ولد ولدا واشتد ولده اكله من الجوع وان لم يأكل ولده وخلاه ويقعد عنده ويحفظه ويحرسه مات من الجوع واضربه ذلك وكان يأوي الى ذروة ذلك الجبل غراب فقال الثعلب في نفسه اريدان اعقد بيني وبين هذا الغراب مودة واجعله لي مؤنسا على الوحدة معاونا على طلب الرزق لانه يقدر من ذلك على مالا اقدر عليه فدنا الثعلب من الغراب حتى صار قريبا منه بحيث يسمع كلامه فسلم عليه ثم قال له ياجاري ان للجار المسلم على الجار المسلم حقين حق الجيرة وحق الاسلام واعلم يا خليلي بانك جاري ولك علي حق يجب قضاؤه وخصوصا مع طول المجاورة على ان في صدري وديعة من محبتك دعتني الى

ولا يثبت على المودة فقالت الفأرة نعم يا خليلتي وانعم بك وبجوارك فما سبب هذا الكلام قالت بنت عرس ان رب البيت اتى بسمسم فاكل منه هو وعياله وشبعوا واستغنوا عنه وتركوه كثيرا وقد اخذ منه كل ذي روح فلو اخذت انت الاخرى كنت احق به ممن اخذ منه فاعجب الفأرة ذلك وزقزقت ورقصت ولعبت آذانها وذنبها وغرها الطمع في السمسم فقامت من وقتها وخرجت من بيتها فرأت السمسم مجففا مقشورا يلمع من البياض والمرأة جالسة ترصده فلم تفكر الفأرة في عاقبة الامر وكانت المرأة قد استعدت بهراوة فلم تتمالك الفأرة نفسها الى ان دخلت في السمسم وخالطته وعاثت فيه وصارت تأكل منه فضربتها المرأة بتلك الهراوة فشجت رأسها وكان سبب هلاكها الطمع وغفلتها عن عواقب الامور فقال الملك يا شهرزاد والله ان هذه احدوثة مليحة فهل عندك حديث في حسن الصداقة وحفظها عند الشدة في التخلص من الهلكة قالت نعم

بلغني

ان غرابا وسنورا كانا متآخيين فبينما هما تحت شجرة على تلك الحالة اذ رأى يا نمرا مقبلا على تلك الشجرة التي كانا تحتها ولم يعلما به حتى صار قريبا من الشجرة فطار الغراب الى اعلى الشجرة وبقي السنور متحيرا فقال للغراب ياخليلي هل عندك حيلة في خلاصي كما هو الرجاء فيك فقال له الغراب انما تلتمس الاخوان عند الحاجة اليهم في الحيلة عند نزول المكروه بهم وما احسن قول الشاعر

إِنَّ صَدِيْقَ الْحَقِّ مَنْ كَانَ مَعَكْ وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكْ

Digitized by Google

ثم ان الثعلب اقام بالكرم وحده مطمئنا لا يخاف ضررا الى ان اتاه الموت و هذا ماكان من حديث الذئب والثعلب

ومما يحكى

ان فأرة وبنت عرس كانا ينزلان منزلا لدهقان وكان ذلك الدهقان فقيرا وقد مرض بعض اصدقائه فوصف له الطبيب السمسم المقشور فطلب من بعض اصحابه سمسما يقشره لمرض اصابه فاعطا قدرا من السمسم لذلك الدهقان الفقير ليقشره له فاتى به الى زوجته وامرها باصلاحه فبلّته ونشرته وخففته واصلحته فلما عاينت بنت عرس السمسم اتت اليه ولم تزل تنقل من ذلك السمسم الى جحرها طول يومها حتى نقلت اكثره وجاءت المرأة فرأت نقصان السمسم واضحا فوقفت تتعجب فجلست ترصد من يأتي اليه حتى تعلم سبب نقصانه فنزلت بنت عرس لتنقل منه على عادتها فرأت المرأة جالسة فعلمت انها ترصدها فقالت في نفسها ان لهذا الفعل عواقب ذميمة واني اخشى من تلك المرأة ان تكون لي بالمرصاد ومن لم ينظر فى العواقب ما الدهر له بصاحب ولا بدّ لي ان اعمل عملا حسنا اظهر به براءتي واغسل به جميع ما عملته من القبيح فجعلت تنقل من ذلك السمسم الذي في بيتها وتخرجه وتجيء به وتضعه على السمسم فوافتها المرأة ورأتها وهي تفعل ذلك فقالت في نفسها ماهذه سبب نقصه لانها تأتي به من جحر الذي اختلسه وتضعه على بعضه وقد احسنت الينا في رد السمسم وما جزاء من احسن الا ان يحسن اليه وليست هذه آفة فى السمسم ولكن لا ازال ارصده حتى يقع واعلم من هو فعلمت بنت عرس ما خطر ببال تلك المرأة فانطلقت الى الفأرة وقالت لها يا اختي انه لا خير فيمن لا يراعى المجاورة

Digitized by Google

وانت ايها الاحمق شبهتك بتلك الحية مع ذلك الرجل اما سمعت قول الشاعر

لَا تَأْمَنَنَّ فَتًى اَسْكَنْتَ مُهْجَتَهُ ... غَيْظًا وَتَحْسِبُ اَنَّ الْغَيْظَ قَدْ زَالَا
اِنَّ الْاَفَاعِيَ وَاِنْ لَانَتْ مَلَامِسُهَا ... تُبْدِي الْعِطَافَا وَتُخْفِي السَّمَّ قَتَّالَا

فقال له الذئب ايها الفصيح صاحب الوجه المليح لاتجهل حالي وخوف الناس مني وقد علمت اني اهجم على الحصون واقلع الكروم فافعل ما امرتك به وقم بي قيام العبد بسيّده فقال له الثعلب ايها الاحمق الجاهل المحاول بالباطل اني تعجّبت من حمقك وصلابة وجهك فيما تأمرني به من خدمتك والقيام بين يديك حتى كانني عبدك اشتريتني بمالك فسوف ترى مايحل بك من شدخ رأسك بالحجارة وكسر انيابك الغدارة ثم وقف الثعلب فوق تلّ يشرف على الكرم فصاح الثعلب على اهل الكرم ولم يزل يصيح حتى نبّههم وبصروابه واقبلوا عليه بجمعهم مسرعين فثبت لهم الثعلب حتى قربوا منه ومن الحفيرة التي فيها الذئب ثم ولى الثعلب هاربا فنظر اصحاب الكرم فى الحفيرة فرأوا الذئب فيها فمالوا عليه بالحجارة الثقال ولم يزالوا يضربونه بالحجارة والخشب ويطعنونه باسنة الرماح حتى قتلوه وانصرفوا فرجع الثعلب الى تلك الحفرة ووقف على مقتل الذئب فرأه ميتا فحرك رأسه من شدة الفرحات وجعل ينشد هذه الابيات

اَوْدَى الزَّمَانُ بِنَفْسِ الذِّئْبِ فَاخْتَطَفَتْ ... بُعْدًا وَسُحْقًا لَهَا مِنْ مُهْجَةٍ تَلِفَتْ
فَكَمْ سَعَيْتَ اَيَا سَرْحَانُ فِي تَلَفِي ... فَالْيَوْمَ حَلَّتْ بِكَ الْآفَاتُ وَالْتَصَقَتْ
وَقَعْتَ فِي حُفْرَةٍ مَا حَلَّهَا اَحَدٌ ... اِلَّا وَفِيهَا رِيَاحُ الْمَوْتِ قَدْ عَصَفَتْ

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الموفية للخمسين بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الذئب لما سمع كلام الثعلب عضّ على كفه ندما ثم ليّن له الكلام ولم يجد بدا من ذلك فلم ينفع عنده شيأ فقال له بلسان خافت انكم معاشر الثعالب من احلى القوم لسانا والطفها مزاحا وهذا منك مزاح ولكن ما كل وقت يحسن اللعب والمزاح فقال الثعلب ايها الجاهل ان للمزاح حدا لايجاوزه صاحبه فلاتظنّ ان الله يمكّنك منّي بعد ان انقذني من يديك فقال له الذئب انك لجدير ان ترغب في خلاصي لما بيننا من سابق المواخاة والصحبة وان خلصتني لابدان احسن مكافأتك فقال الثعلب ان الحكماء قالوا لاتواخ الجاهل الفاجر فانه يشينك ولايزينك ولاتواخ الكذاب فانه ان بدامنك خير اخفاه وان بدامنك شر افشاه وقالت الحكماء لكل شيٍ حيلة الا الموت ويصلح كل شيٍ الافساد الجوهر وقديدفع كل شيٍ الا القدر واما من جهة المكافأة التي زعمت اني استحقها منك فاني شبّهتك في مكافأتك بالحية الهاربة من الحاوي اذرآها رجل وهي مرعوبة فقال لها ما شانك ايتها الحية فقالت هربت من الحاوي فانه يطلبني ولئن انجيتني منه واخفيتني عندك لاحسنن مكافأتك واصنع معك كل جميل فاخذها اغتناما للاجر وطمعا فى المكافأة فادخلها في جيبه فلما فات الحاوي ومضى الى حال سبيله وزال عن الحية ماكانت تخافه قال لها الرجل اين المكافأة فقدا نجيتك مما تخافين وتحذرين فقالت له الحية اخبرني في اي عضو في اي موضع انهشك فقد علمت اننا لانتجاوز هذه المكافأة ثم نهشته نهشة مات منها

Digitized by Google

لم اكن جاهلا بحوادث الدهر فلا تؤخر حيلة خلاصنا فالامر اضيق من ان نطيل فيه الكلام فقال الذئب ان مع قلة ثقتي بوفائك قد عرفت مافي خاطرك من انك اردت خلاصي لما سمعت من توبتي فقلت في نفسي ان كان صحقا فيما زعم فانه استدرك ما افسد وان كان مبطلا فجزاؤه على ربه وها انا اقبل منك ما اشرت به عليّ فان غدرت بي كان الغدر سببا لهلاكك ثم ان الذئب انتصب قائما في الحفرة واخذ الثعلب على اكتافه حتى ساوى به ظاهر الارض فقفز الثعلب عن اكتاف الذئب فصار على وجه الارض فلما صار خارج الحفرة وقع مغشيا عليه فقال له الذئب يا خليلي لاتغفل عن امري ولاتؤخر خلاصي فضحك الثعلب وقهقه وقال ايها المغرور لم يوقعني في يديك الاعقوبة المزح معك والسخرية بك وذلك اني لمّا سمعتُ توبتك استخفّني الطرب والفرح فنطيت وطربت ورقصت فتدلى ذنبي في الحفرة فجذبتني فوقعت عندك ثم انقذني الله تعالى منك فما لي لااكون عونا على هلاكك لانك من حزب الشيطان واني رأيت البارحة في منامي اني ارقص في عرسك فقصصت الرؤيا على معبّر فقال لي انك تقع في ورطة وتنجو منها فعلمت ان وقوعي في يدك ونجاتي هو تأويل رؤياي وانت تعلم ايها المغرور الجاهل انني عدوك فكيف تطمع بقلة عقلك وجهلك في انقاذي اياك مع ما سمعت من غلظ كلامي وكيف اسعى في نجاتك وقد قالت العلماء ان في موت الفاجر راحة للناس وتطهيرا للارض ولولا مخافة ان احتمل من الالم في الوفاء لك ما هوا عظم من الم الغدر لتدبرت في خلاصك فلما سمع الذئب كلام الثعلب عضّ على كفه ندما وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

Digitized by Google

تتعلق به وتخلص انت بعد ذلك فقال له الذئب لست بقبولك واثقا لان الحكماء قالوا من استعمل الثقة في موضع الحقد كان مخطئا ومن وثق بغير ثقة كان مغرورا ومن جرب المجرب حلت به الندامة وذهبت ايامه ضياعا ومن لم يفرق بين الحالات فيعطي كل حالة حظها بل حمل الاشياء كلها على حالة واحدة قل حظه وكثرت مصائبه وما احسن قول الشاعر

لَا يَكُنْ ظَنُّكَ إِلَّا سَيِّئًا ... إِنَّ سُوءَ الظَّنِّ مِنْ أَقْوَى الْفِطَنْ
مَا رُمِيَ الْإِنْسَانُ فِي مَهْلَكَةٍ ... مِثْلَ فِعْلِ الْخَيْرِ وَالظَّنِّ الْحَسَنْ

وقول الآخر

إِلْزَمْ يَقِينَكَ سُوءَ الظَّنِّ تَنْجُ بِهِ ... مَنْ عَاشَ مُسْتَيْقِظًا قَلَّتْ مَصَائِبُهُ
وَاتْقِ الْعَدُوَّ بِوَجْهٍ بَاسِمٍ طَلِقٍ ... وَانْصِبْ لَهُ فِي الْحَشَى جَيْشًا يُحَارِبُهُ

وقول الآخر

أَعْدِدْ عَدُوَّكَ أَدْنَى مَنْ وَثِقْتَ بِهِ ... فَحَاذِرِ النَّاسَ وَاصْحَبْهُمْ عَلَى دَخَلِ
وَحُسْنُ ظَنِّكَ بِالْأَيَّامِ مُعْجِزَةٌ ... فَظُنَّ شَرًّا وَكُنْ مِنْهَا عَلَى وَجَلِ

فقالت له الثعلب ان سوء الظن ليس بمحمود في كل حال وحسن الظن من شيم الكمال وعاقبته النجاة من الاهوال وينبغي لك ايها الذئب ان تعمل حيلة على النجاة مما انت فيه ونسلم جميعا خير من موتنا فارجع عن سوء الظن والحقد لانك ان احسنت الظن فالامر على وجهين اما ان آتيك بما تتعلق به وتنجو مما انت فيه واما ان اعد ربك فاخلص وادعك وهذا مما لا يمكن فاني لا آمن ان ابتلي بشيء مما ابتليت به فيكون ذلك عقوبة الغدر وقد قيل في الامثال الوفاء مليح والغدر قبيح فينبغي ان تثق بي فاني

Digitized by Google

ثم ان الثعلب قال للذئب لا تعجل عليّ بالقتل فليس هذا جزائي فتندّم ايّها الوحش الصنديد صاحب القوة والبأس الشديد وان تمهلت و امعنت النظر فيما احكيه لك عرفت قصدي الذي قصدته و ان عجلت بقتلي فلا يحصل في يدك شيء و نموت جميعا هٰهنا فقال له الذئب ايها الخادع الماكر وما الذي ترجوه من سلامتي و سلامتك حتى تسألني التمهل عليك فاعلمني و اخبرني بقصدك الذي قصدته فقال له الثعلب امّا قصدي الذي قصدته فما ينبغي ان تحسن عليه مجازاتي لانّي لما سمعت ما وعدت من نفسك واعترافك بما سلف منك و تلهفك على مافاتك من التوبة و فعل الخير و سمعتُ ما نذرته على نفسك ان تجوت مما انت فيه من كف الاذى عن الاصحاب و غيرهم و تركك اكل العنب و سائر الفواكه و لزومك الخشوع و تقليم اظفارك و تكسير انيابك و لبس الصوف و تقريبك القربان لله تعالى اخذتني الشفقة عليك فان خير القول اصدقه مع انّني كنتُ على هلاكك حريصا فلما سمعتُ منك توبتك وما نذرته على نفسك ان نجاك الله لزمني لك الخلاص مما انت فيه فاديت اليك ذنبي لكيما تتعلق به و تنجو فلم تترك الحالة التي انت عليها من العنف والشدة ولم تلتمس النجاة والسلامة لنفسك بالرفق بل جذبتني جذبة ظننت منها ان روحي قد خرجت فصرت انا و انت في منزلة الهلاك و الموت و ما ينجيني وانت الاّ شيء ان قبلته مني خلصت انا وانت وبعد ذلك يجب عليك ان تفي بما نذرته و اكون رفيقك فقال له الذئب و ما الذي اقبله منك قال له الثعلب تنهض قائما ثم اَعْلُو انا فوق رأسك حتى اساوي قريب ظهر الارض فاهمز فاسير فوقها واخرج انا وآتيك بما

Digitized by Google

على الجبل ذاكرًا لله تعالى خائفا من عقابه و اعتزل سائر الوحوش ولا طعم من المجاهدين والفقراء ثم بكى و انتحب فرق له قلب الثعلب وكأنه لما سمع تضرعه والكلام الذي يدل على توبته من العتو والتكبر اخذته الشفقة عليه فوثب من فرجته ووقف على شفير الحفرة ثم جلس على رجليه و ادلى ذنبه فى الحفرة فقام الذئب و مدّ يده الى ذنب الثعلب و جذبه اليه فصار فى الحفرة معه فقال له الذئب ايها الثعلب القليل الرحمة كيف تشمت بي وقد كنت صاحبي و تحت قهري وقد وقعت معي فى الحفرة وتعجّلت لك العقوبة وقد قالت الحكماء لو عاير احدكم اخاه برضاع كلبة لارتضعها وما احسن قول الشاعر

إِذَا مَا الدَّهْرُ جَرَّ عَلَى أُنَاسٍ ... كَلَاكِلَهُ أَنَاخَ بِآخَرِينَا
فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا ... سَيَلْقَى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا

و الموت في جمع احسن اشياء فلا عجّلن تتلك قبل ان ترى قتلي فقال الثعلب في نفسه آه آه اني وقعت مع هذا الجبار و هذا الحال يحتاج الى المكر والخداع وقد قيل ان المرأة تصوغ حليها ليوم الزينة و فى المثل ما ادخرتك يا دمعتي الا لشدتي وان لم اتحيل في امر هذا الوحش الظالم هلكت لامحالة وما احسن قول الشاعر

عِشْ بِالْخِدَاعِ فَأَنْتَ فِي ... زَمَنٍ بَنُوهُ كَأُسْدِ بِيشَهْ
وَ اِدْرَقْ نَاةَ الْمَكْرِ حَتَّى * تَسْتَدِيرُ رَحَى الْمَعِيشَهْ
وَ اجْنِ الثِّمَارَ فَإِنْ تَفُتْ * كَ فَرُبَّ نَفْسَكَ بِالْحَشِيشَهْ

Digitized by Google

من الالة مايكون لك عدّة ثم لا علمنك من الحيل الغـــريبة ماتفتح به الكروم الخصبة وتجني الا شجار المثمرة فطب نفسا وقرّ عينا فقال له الثعلب وهو يضحك ما احسن ما قالته العلمـــاء في كثير الجهل مثلك قال الذئب وما قالت العلمـــاء قال الثعلب ذكر العلماء ان الغليظ الجثة الغليظ الطبع يكون بعيدا من العقل قريبا من الجهل و اما قولك ايها المغرور الماكر الاحمق قد يتحمل الصديق المشقة في تخليص صديقه صحيح كما ذكرت و لكن عرفني بجهلك و قلة عقلك كيف اصادقك مع خيانتك احسبتني لك صديقا و انا لك عدو شامت و هذا الكلام اشد من القتل و رشق السهـــام ان كنت تعقـل و اما قولك تدفع لي من الآلة ما يكون عدة لي و تعلمني من الحيل ما اصل به الى الكروم المخصبة و اجتني به الاشجار المثمرة فمالك ايها المخادع الغادر لا تعرف لك حيلة تتخلص بها من الهلاك فما ابعدك من المنفعة لنفسك وما ابعدني من القبـــول لنصيحتك فان كان عندك حيلة فتحيـــل لنفسك في الخـلاص من هذا الامر الذي اسأل الله ان يبعد خلاصك منه فانظر ايهـا الجاهل ان كان عندك حيلة فخلّص نفسك بها من القتل قبل ان تبذل التعليـــم لغيرك و لكنك مثل انسان نابه مرض فاتاه رجل مريض بمثل مرضه ليداويه فقال له هل لك ان اداويك من مرضك فقال له الـرجل هل لابدأت بنفسك بالمداواة فخلاه وانصرف وانت ايها الذئب الجاهل كذلك فالزم مكانك و اصبر على ما اصابك فلما سمع الذئب كلام الثعلب علم انـــه لاخير له عنده فبكى على نفسه و قال قد كنت في غفلـــة من امري فان خلصني الله من هذه الكـــربة لاتوبنّ من تجبّري على من هو اضعف مني ولالبسنّ الصوف ولا صعدنّ

Digitized by Google

ولافســاد اظهر من كوني في تلك الحفـرة اتجرع غصص الموت وانظر الى الهلاك وانت قادر على خلاصي من الاسر تبــاك فجد عليّ بالخلاص وافعل معي جميلا فقال له الثعلب ايّها الفظّ الغليظ انّي اشبهك في حسن علانيتك وقولك واقيس قبح نيتك وفعلك بالبازي مع الحجل فقال الذئب وكيف ذلك فقال الثعلب دخلت يوماكرما لآكل من عنبه فبينمــا انا فيه اذ رأيت بأزيا انقضّ على حجل فلما علقه واقتنصه انفلت منه الحجل ودخل وَكْره واختفى فيه فتبعه البأزي وناداه ايها الجاهل اني رأيتك في البرية جائعــا فرحمتك والتقطتُ لك حبّا واسكتــك لتأكل فهربت مني ولــم اعرف لهروبك وجهــا الاّ الحرمان فاظهر وخذ ما آتيتك به من الحب فكله هنيأ مريأ فلما سمع الحجل قول البأزي صدقه وخرج اليه فانشب مخالبه فيه ومكّنها منه فقال له الحجل اهذا الذي ذكرتَ انك اتيت لي به من البرية وقلتَ لي كله هنيأ مريأ فكذبت عليّ جعل الله ما تأكله من لحمي في جوفك سما قاتلا فلما اكله وقع ريشه وسقطت قوته ومات لوقته ثم قال له الثعلب اعلم ايها الذئب ان من حفر لاخيــه قليبــا وقع فيه قريبــا وانت غدرت بي اوّلا فقال الذئب للثعلب دعني من هذا المقال وضرب الامثال ولا تذكرلي ماسلف مني من قبيح الفعال يكفيني ما انا فيه من سوء الحال لاني قدحصلت فيموضع يرثي لي منها العدو فضلاعن الصديق واصنع لي حيلة اتخلّص بهــا وكن فيهــا غيــاثي وان كان عليك في ذلك مشقة فقد يتحمّل الصديق لصديقه اشد النصب ويخاطر بنفسه فيمــا فيه نجاته من العطب فقد قيل ان الصــديق الشفيق خير من الاخ الشقيق فان تسببتَ في نجاتي ونجوتُ لاجمعن لك

Digitized by Google

الحفرة ثم بكى واشتكى وافاض دمع العينين وانشد هذين البيتين

يَامَنْ اَيَادِيْهِ عِنْدِيْ غَيْرُ وَاحِدَةٍ ... وَمَنْ مَوَاهِبُهُ تَنْمُوْ عَنِ الْعَدَدِ
مَا نَابَنِيْ مِنْ زَمَانِيْ قَطُّ نَائِبَةٌ ... اِلَّا وَجَدْتُكَ فِيْهَا آخِذًا بِيَدِيْ

فقال له الثعلب ايها العدو الاحمق كيف صرت الى التضرع والخشوع والذلة والخضوع بعد الانفة والتكبر والظلم والتجبر لقد صحبتك خائفا من عدوانك وتملقت لك لارغبة في احسانك والآن نزلت بك الرجفة وحلت بك النقمة وانشد هذين البيتين

يَا اَيُّهَا الْمُلْتَمِسُ الْخَدِيْعَةْ ... وَقَعْتَ فِيْ نِيَّتِكَ الشَّنِيْعَةْ
فَذُقْ وَبَالَ الْمِحْنَةِ الْفَظِيْعَةْ ... وَكُنْ مَعَ النِّيَابِ فِيْ تَطِيْعَةْ

فقال له الذئب ايها الحليم لاتكن بلسان اهل العداوة ناطقا وبعينهم محدقا وكن وافيا بعهد ائتلافي قبل ان يفوت وقت التلافي وقم وتسبب لي في حبل تشدّ طرفه في شجرة وتدلي طرفه الآخر الّي حتى اتعلّق به لعلّي انجو مما انا فيه وادفع لك جميع ماحوته يدي من الذخائر فقال له الثعلب لقد اكثرت من المحاورة فيما ليس فيه خلاصك فلا تطمع في ذلك فلن تنال مني ما تمسك به نفسك واذكر ما سلف من سوء فعلك وما تضمره لي من الغدر والمكر واين انت من الرجم بالحجارة واعلم بان ذاتك للدنيا مفارقة ومنها زائلة وعنها راحلة ثم تصير الى الدمار وسوء الدار فبئس القرار فقال له الذئب يا ابا الحصين كن قريب الرجوع الى الوداد ولا تصر على ضغائن الاحقاد واعلم ان من خلص نفسا من الهلاك فقد احياها ومن احياها فكانما احيى الناس جميعا ولا تتبع الفساد فان الحكماء نهوا عنه

Digitized by Google

وترغب في مودتي وتخاف من شدة قوتي فلا تحقد عليّ بما فعلت معك فمن قدر وعفا كان اجره على الله وقد قال الشـــاعر

اِزْرَعْ جَمِيْلًا وَلَوْ فِيْ غَيْرِ مَوْضِعِهِ ... مَا خَابَ قَطُّ جَمِيْلٌ اَيْنَمَا زُرِعَا
اِنَّ الْجَمِيْلَ وَاِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ ... فَلَيْسَ يَحْصُدُهُ اِلَّا الَّذِيْ زَرَعَا

فقال له الثعلب يا اجهل السبـــاع واحمق الوحوش فى البقاع هل نسيت تجبّرك وعتوّك و تكبرك و انت لم ترع حق المعـاشرة و لم تنتصح بقول الشـــــــــــــــــــــــــــــاعر

لَا تَظْلِمَنَّ اِذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا ... اِنَّ الظُّلُوْمَ عَلَى حَدِّ مِنَ النِّقَمِ
تَنَامُ عَيْنَيْكَ وَالْمَظْلُوْمُ مُنْتَبِهٌ ... يَدْعُوْ عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللّٰهِ لَمْ تَنَمِ

فقال له الذئب يا ابا الحصين لاتؤاخذني بسـابق الذنوب فالعفو من الكرام مطلوب وصنع المعروف من احسن الذخائر و ما احسن قول الشـــــــــــــــــــــــــــــاعر

بَادِرْ بِخَيْرٍ اِذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا ... فَلَيْسَ فِيْ كُلِّ حِيْنٍ اَنْتَ مُقْتَدِرًا

و لم يزل الذئب يتذلل للثعلب ويقول له لعلك تقدر على شيء تخلصني به من الهلاك فقال له الثعلب ايها الذئب الجاهل المغرور الماكر الغادر لاتطمـع فى الخلاص فان هذا جزاء لقبيح فعلك وقصاص ثم ضحك بالشدقين وانشد هذ ين البيتيـــــــــــــــن

لَا تُكْثِـــرَنَّ خِـدَاعِيْ ... فَلَـنْ تَنَـالَ مَنَـــالَا
مَا رُمْتَ مِنِّيْ مُحَـــالٌ ... زَرَعْتَ فَاحْصُـــدْ وَبَالَا

فقال له الذئب يا حليم السباع انت عندي اوثق من ان تسلمني في هذه

Digitized by Google

فلما انتهى الذئب الى الثلمة قال له الثعلب ادخل الى الكرم فقد كفيت مؤنة التسليق و هدم حائط البستان و على الله تمام الاحسان فاقبل الذئب ماشيا يريد الدخول الى الكرم فلما توسط غطاء الثلمة هوى فيها فاضطرب الثعلب اضطرابا شديدا من السرور والفرح وزال عنه الهم والترح و اطرب بالنغمات و انشد هذه الابيات

رَقَّ الزَّمَانُ لِحَالَتِي ... وَرَثَى لِطُولِ تَحَرُّقِي
وَ اَنَا لَنِي مَا اَشْتَهِي ... وَ اَزَالَ مِمَّا اَتَّقِي
فَلَاَ صْفَحَنْ عَمَّا جَنَا ... هُ مِنَ الذُّنُوبِ السَّبَّقِ
فَالذِّئْبُ لَيْسَ لَهُ خَلَا ... صٌ مِنْ هَلَاكٍ مُوبِقِ
وَ الْكَرْمُ لِي وَ حْدِي وَمَا ... لِي مِنْ شَرِيكٍ اَحْمَقِ

ثم انه نظر فى الحفرة فرأى الذئب يبكي ندما و حزنا على نفسه فبكى الثعلب معه فرفع الذئب رأسه الى الثعلب وقال له اَمِن رحمتك لي بكيت يا ابا الحصين قال لا والذي تذنك في هذه الحفرة انما بكيت لطول عمرك الماضي واسفا على كونك لم تقع في هذه الثلمة قبل اليوم ولو وقعت فيها قبل اجتماعي بك لكنت ارحت و استرحت و لكن ابقيت الى اجلك المحتوم و وقتك المعلوم فقال له الذئب كالمازح ايها المسيء في فعله رح لوالدتي واخبرها بما حصل لي لعلّها تحتال على خلاصي فقال له الثعلب لقد اوقعك فى الهلاك شدة طمعك و كثرة حرصك حيث سقطت في حفرة لست منها بسالم الم تعلم ايها الذئب الجاهل ان صاحب المثل السائر يقول من لم يفكر فى العواقب ما الدهر له بصاحب ولم يأمن المعاطب فقال الذئب للثعلب يا ابا الحصين الماكنت تظهر محبتي

Digitized by Google

مكيدة تؤدي الى التلف ولا يحملني الطمع على ان القي نفسي في الهلكة ثم دنا منها وطاف بها وهو محاذر وتأملها فاذا هي حفيرة عظيمة قد حفرها صاحب الكرم ليصيد فيها الوحش الذي يفسد الكرم فقال لنفسه انك نلته ما املّته ورأى عليها غطاء نحيفا رقيقا فتأخّر عنها وقال الحمد لله حيث حذرتها وارجوان يقع فيها عدوي الذئب الذي نغص عيشي فيخلولي الكرم واستقلّ به وحدي واعيش فيه آمنا ثم هز رأسه وضحك ضحكا عاليا وانشد يقول

لَيْتَنِي أَبْصَرْتُ هَذَا الْوَقْتَ ... فِي ذِي الْبِئْرِ ذِئْبَا
طَالَ مَا قَدْ سَاءَ قَلْبِي ... وَسَقَانِي الْمُرَّ غَصْبَا
لَيْتَنِي مِنْ بَعْدِ هَذَا ... أَبْقَى وَ يَقْضِي الذِّئْبُ نَحْبَا
ثُمَّ يَخْلُو الْكَرْمُ مِنْهُ ... وَأَرَى لِي فِيهِ نَهْبَا

فلما فرغ من شعره انطلق مسرعا حتى اتى الى الذئب وقال ان الله سهل لك الامور الى الكرم بلاتعب وهذا من سعادتك فهنيأ لك بمافتح الله عليك وسهل لك من تلك الغنيمة السائغة والرزق الواسع بلا مشقة فقال الذئب للثعلب وما الدليل على ما وصفت قال انّي انتهيت الى الكرم فوجدت صاحبه قدمات وافترسه الذئب ودخلت البستان فرأيت الاثمار زاهية على الاشجار فلم يشكّ الذئب في قول الثعلب وادركه الشرّة فقام حتى انتهى الى الثلمة وقد غرّه الطمع ووقف الثعلب متهافتا كالميت وتمثل بهذا البيت شعر

أَتَطْمَعُ مِنْ لَيْلَى بِوَصْلٍ وَإِنَّهَا ... تَضُرُّ بِأَعْنَاقِ الرِّجَالِ الْمَطَامِعُ

Digitized by Google

لابد ان اسعى واكون سببا لهلاك هذا الذئب وصبر على اذى الذئب وقال في نفسه ان البطر والافتراء يكونان سببا للهلاك ويوقعان فى الارتباك فقد قيل من بطر خسر ومن جهل ندم ومن خاف سلم والانصاف من شيم الاشراف والاداب اشرف الاكتساب ومن الرأي مداراة هذا الباغي ولابد له من مصرع ثم ان الثعلب قال له ان الرب يغفر للعبد المذنب ويتوب على عبده إن اقترف الذنوب وانا عبد ضعيف وقد ارتكبت في نصحك التعسيف ولو علمتَ بما حصل لي من الم لطمتك لعلمت ان الفيل لا يقوم به ولا يقدر عليه ولكني لا اشتكي من الم هذه اللطمة بسبب ملحصل لي بها من السرور فانها وان كانت قد بلغت مني مبلغا عظيما عاقبتها سرور وقد قال الحكيم ضرب المؤدب اوله صعب شديد وآخره احلى من العسل المصفى فقال الذئب قد غفرت ذنبك واقلت عثرتك فكن من قوتي على حذر واعترف لي بالعبودية فقد علمت قهري لمن عاداني فسجد له الثعلب وقال له اطال الله عمرك ولازلت قاهرا لمن عاداك ولم يزل الثعلب خائفا من الذئب مداريا مصانعا له ثم ان الثعلب اتى الى الكرم يوما فرأى في حائطه ثلمة فانكرها وقال في نفسه ان هذه الثلمة لا بد لها من سبب وقد قيل فى المثل من رأى خرقا فى الارض فلم يجتنبه ويتوقى عن الاقدام عليه كان بنفسه مغرورا وللهلاك متعرضا وقد اشتهر ان بعض الناس يعمل صورة الثعلب فى الكرم حتى يقدم اليه العنب فى الاطباق لاجل ان يرى ذلك ثعلب فيقدم اليه فيقع فى الهلاك واني ارى هذه الثلمة مكيدة وقد قيل فى المثل الحذر نصف الشطارة ومن الحذر ان ابحث هذه الثلمة وانظر لعلّي اجد عندها

Digitized by Google

فاتفق ان الثعلب اشار على الذئب بالرفق وترك الفساد وقال له اعلم ان دمت على عتوّك ربما سلط الله عليك ابن آدم فانه ذوحيل ومكر وخداع يصيد الطير من الجوّ والحوت من البحر ويقطع الجبال وينقلها من مكان الى مكان وكل ذلك من حيله ومكره فعليك بالرفق والانصاف وترك الشر والاعتساف فانه اهنى لعيشك فلم يقبل الذئب قوله واغلظ له الردّ وقال له مالك والكلام في عظيم الامور وجسيمها ثم لطم الثعلب لطمة فخرّمنها مغشيا عليه فلما افاق ضحك في وجه الذئب واقبل معتذرا اليه من الكلام الشين قائلا له هذين البيتين شعر

إِنْ كُنْتُ قَدْ اَذْنَبْتُ ذَنْبًا سَالِفًا ... فِي حُبِّكُمْ وَأَتَيْتُ شَيْأً مُنْكَرًا
اَنَا تَائِبٌ عَمَّا جَنَيْتُ وَعَفْوُكُمْ ... يَسَعُ الْمُسِيْءَ اِذَا اَتَى مُسْتَغْفِرًا

فقبل الذئب عذره وكفّ عنه اشراره وقال له لاتتكلم فيما لايعنيك تسمع مالا يرضيك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والاربعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الذئب قال للثعلب لا تتكلم فيما لا يعنيك تسمع مالا يرضيك فقال له الثعلب سمعا وطاعة فانا بمعزل عن مالا يرضيك فقد قال الحكيم لا تقولن عن مالا تسأل عنه ولا تُجب مالا تدعى اليه وذَرِ الذي لا يعنيك الى مايعنيك ولا تبذلن النصيحة للاشرار فانهم يجازونك عليها شرّا فلما سمع الثعلب كلام الذئب تبسم في وجهه ولكنه اضمر له مكرا وقال

Digitized by Google

مروّتك وما زالا يتحدّثان مع بعضهما الى ان قال طير الماء للسحلف انا لم ازل اخشى نوائب الزمان و طوارق الحدثان فلما سمع السحلف مقالة طير الماء اقبل عليه و قبّله بين عينيه و قال له لم تزل جماعة الطير تتبرك بك و تعرف في مشورتك الخير فكيف تحمل الهمّ والضير ولم يزل يسكّن روع طير الماء حتى اطمأنّ ثم ان طير الماء طار الى مكان الجيفة فلما وصل اليه لم ير من سباع الطير شيأ ولا من تلك الجيفة الّا عظاما فرجع و اخبر السحلف بزوال العدوّ من مكانه و قال له اعلم انّي احبّ الرجوع الى مكاني لاتملّى بخلّاني فانه لا صبر للعاقل على فراق وطنه فاتيا الى ذلك المكان فلم يجدا شيأ مما يخافا منه فانشد طير الماء يقول

وَلَرُبَّ نَازِلَةٍ يَضِيقُ لَهَا الْفَتَى ذَرْعًا وَعِنْدَاللّٰهِ مِنْهَا الْمَخْرَجُ
ضَاقَتْ فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتْ حَلَقَاتُهَا فَرَجَتْ وَكُنْتُ اَظُنُّهَا لَاتُفْرَجُ

ثم انهما سكنا في تلك الجزيرة فبينما طير الماء مسرورا آمنا اذ ساق القضاء اليه بازيا جائعا فضربه بمخلبه في بطنه ضربة فقتله ولم يغن عنه الحذر عند فراغ الاجل و سبب قتله غفلته عن التسبيح قيل ان تسبيحه سبحان ربنا فيما قدّر و دبّر سبحان ربنا فيما اغنى و افقر هذا ما كان من حديث طير الماء و جوارح الطيور فقال الملك يا شهرزاد لقد زدتني بحكايتك مواعظ و اعتبارا فهل عندك شيء من حكايات الوحوش قالت نعم

اعلم

ايها الملك ان ثعلبا وذئبا الفا وكرًا فكانا يأويان اليه مع بعضهما ويبيتان فيه وكان الذئب قاهرا للثعلب فلبثا على ذلك مدّة من الزمان

Digitized by Google

الارض حتى يصير تحتها و يحثو عليه التراب اعز الناس اليه و اقربهم لديه وما للفتى خير من الصبر على همومها ومكارهها وقد فارقت مكاني و وطني وكنت كارهًا لفرقة اخواني و احبائي وخلّاني فبينما هو في فكرته واذا بذكر من السلاحف اقبل متحدرا في الماء ودنا من طير الماء و سلّم عليه و قال يا سيدي ما الذي حجبك و ابعدك عن موضعك قال حلول الاعداء فيه ولا صبر للعاقل على مجاورة عدوّه وما احسن قول بعض الشعراء

إِذَا حَلَّ الثَّقِيلُ بِأَرْضِ قَوْمٍ فَمَا لِلسَّاكِنِينَ سِوَى الرَّحِيلِ

فقال له السحلف ان كان الامر كما وصفته والحال مثل ذكرته فانا لازال بين يديك و لا افارقك لاقضي لك حاجتك وَإني بخدمتك فانه قيل لا وحشة اشدّ من وحشة الغريب المنقطع عن اهله و وطنه وقد قيل ان فرقة الصالحين لا يعد لها شيءٌ من المصائب و احسن ما يسلّي به العاقلُ نفسَه الاستيناس في الغربة والصبر على الرزية والكربة وارجوان تحمد صحبتي معك واكون لك خادما ومعينا فلمّا سمع طير الماء مقالة السحلف قال له لقد صدقت في قولك ولعمري اني وجدت للفراق الما وغما مدةَ بُعدي عن مكاني وفراقي لاخواني و خلّاني لان في الفراق عبرة لمن اعتبر وفكرة لمن تفكّر واذا لم يجد الفتى من يسلّيه من الاصحاب ينقطع عنه الخير ابدا و يثبت الشر سرمدا و ليس للعاقل الّا التسلي بالاخوان عن الهموم في جميع الاحوال وملازمة الصبر والتجلد فانهما خصلتان محمودتان يُعينان على المصيبة و نوائب الدهر و يدفعان الفزع والجزع في كل امر فقال له السحلف اياك والجزع فانه يفسد عليك عيشك ويذهب

Digitized by Google

ربهما ويتقوتان من لحوم الغنم والبانها متجردين عن المال والبنين الى ان اتاهما اليقين و هذا آخر حديثهما فقال الملك يا شهرزاد لقد زهدتني في ملكي وندمتني على ما فرط منّي في قتل النساء والبنات فهل عندك شيء من حديث الطيور قالت نعم زعموا ايها الملك ان طيرا من الطيور طار وعلا الى الجو ثمّ انقض على صخرة في وسط الماء وكان الماء جاريا فبينما الطائر واقف و اذا هو برمّة انسان جرّها الماء حتى اسندها الى تلك الصخرة وقد انتفخت وارتفعت فدنا منها طير الماء و تأملها فرأها رمّة ابن آدم فوجد فيها ضرب سيوف وطعن رماح فقال طير الماء في نفسه اظنّ ان هذا المقتول كان شريرا فاجتمع عليه جماعة فقتلوه واستراحوا منه ومن شرّه ولم يزل طير الماء طائرا وهو يتعجب فبينما هو كذلك واذا بنسور وعقبان احاطوا بتلك الجيفة من جميع جوانبها فلما راى ذلك طير الماء جزع جزعا شديدا وقال لاصبر لي على الاقامة في هذا المكان ثم طار منه يفتش على موضع يأويه الى حين تنفد تلك الجيفة وتروح سباع الطيور عنها ولم يزل طائرا حتى وجد نهرا في وسطه شجرة فنزل عليها متغيرا كئيبا حزينا على فراق وطنه وقال في نفسه ما زالت الاحزان تتبعني وكنت قد استرحت لما رأيت تلك الجيفة و فرحت بها فرحا شديدا وقلت هذا رزق ساقه الله اليّ فصار فرحي غما وسروري حزنا وهمّا فاخذتها وافترستها سباع الطيور مني وحالوا بيني و بينها فكيف ارجو ان اكون سالما في هذه الدنيا من الكدر واطمئن اليها و قد قيل في المثل الدنيا دار من لا دار له يغترّ بها من لا عقل له ويطمئنّ اليها بماله وولده وعشيرته ولم يزل المغترّ بها راكنا اليها يختال فوق

في منامه كأن قائلا يقول له ان بالقرب منك في مكان كذا رجل صالح فاذهب اليه وكن تحت طاعة امره فلما اصبح الصباح توجّه نحوه سائرا فلما اشتدّ عليه الحرّ انتهى الى شجرة عندها عين ماء تجري فاستراح هناك وجلس في ظل تلك الشجرة فاذا هو بوحوش وطيور اتوا الى تلك العين ليشربوا منها فلما رأوا العابد جالسا نفروا منه ورجعوا وشردوا فقال العابد لاحول ولا قوة الا بالله اني لم استرح هنا الّا ضررا على هذه الوحوش والطيور فقام وقال معاتبا لنفسه لقد اضرّ بهذه الحيوانات في هذا اليوم جلوسي في هذا المكان فما العذر بيني وبين خالقي وخالق هذه الطيور والوحوش فاني كنت سببا لشرودهم عن شربهم وعن رزقهم ومرعاهم فوا خجلتي من ربي يوم يقتص للشاة الجمّاء من الشاة القرناء ثم بكى وانشد يقول هذه الابيات

اَمَا وَاللّٰهِ لَوْ عَلِمَ الْاَنَامُ ... لِمَا خُلِقُوْا لَمَا غَفَلُوْا وَنَامُوْا
فَمَوْتٌ ثُمَّ بَعْثٌ ثُمَّ حَشْرٌ ... وَتَوْبِيْخٌ وَاَهْوَالٌ عِظَامُ
وَنَحْنُ اِذَا انْتَهَيْنَا اَوْ اَمَرْنَا ... كَاَهْلِ الْكَهْفِ اَيْقَاظٌ نِيَامُ

ثم بكى على جلوسه تحت الشجرة عند العين ومنعه الطيور والوحوش من شربها وولّى سائحا على وجهه حتى اتى الى الراعي فدخل اليه وسلم عليه فرد عليه السلام وعانقه وبكى فقال له الراعي ماالذي اتى بك الى هذا المكان الذي لم يدخله احد من الناس عليّ فقال له العابد اني رأيت في منامي من يصف لي مكانك ويامرني ان اسير اليك واسلم عليك فاتيتك ممتثلا لما اُمرتُ به فقبله الراعي وطابت نفسه بصحبته وجلس معه في الجبل يعبدان الله في ذلك الغار فحسنت عبادتهما ولم يزالا في ذلك المكان يعبدان

Digitized by Google

والرجال من النساء فما الذي يمنعك منّي و قد اخترت قربك و احببت وصالك وقد جئتك طائعة وعليك غير ممتنعة وليس عندنا احد نخشاه واريد ان اقيم معك طول مقامك في هذا الجبل واكون انيسة لك فقد عرضت نفسي عليك لانك تحتاج لخدمة النساء وانت ان باشرتني زال عنك مرضك و عادت اليك صحتك و ندمت على مافاتك من قرب النساء في سالف عمرك وقد نصحتك فاقبل نصحي و ادن منّي فقال لها الراعي اخرجي عني ايتها المرأة الخداعة الغدارة فلا اركن اليك ولا ادنو منك ولاحاجة لي بقربك ولا بوصالك لان من رغب فيك زهد في الآخرة و من رغب في الآخرة زهد فيك لانك فتنت الاولين والآخرين والله تعالى لعباده بالمرصاد والويل لمن ابتلى بصحبتك فقالت له ايها التايه عن السداد والضالّ عن طريق الرشاد اقبل بوجهك اليّ و انظر الى محاسني و اغتنم قربي كما فعل من كان قبلك من الحكماء فقد كانوا اكثر منك تجربة و اصوب منك رأيا و مع ذلك لم يرفضوا ما رفضت من التمتع بالنساء بل رغبوا فيما زهدت فيه من مباشرة النساء و قربهن فما اساءهم ذلك في دينهم ولا دنياهم فارجع عن رأيك تحمد عاقبة امرك فقال لها الراعي ان كلما تقولينه نكرته و كرهته و جميع ما تبدينه زهدته لانك خداعة غدّارة لا عهد لك ولا وفاء فكم من قبيح تحت حسنك اخفيته و كم من صالح فتنته و كانت عاقبته الى الندامة والخسران فارجعي عني ايتها المصلحة نفسها لفساد غيرها ثم القى عباءته على وجهه حتى لا يرى وجهها واشتغل بذكر ربه فلما رأى الملك حسن طاعته خرج عنه و صعد الى السماء وكان قريبا من الراعي قرية فيها رجل من الصالحين لم يعلم بمكانه فرأى

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الثامنة والاربعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان العابد قد قسم قوته نصفين وجعل نصفه لنفسه ونصفه لذلك الزوج الحمام ودعا العابد لهما بكثرة النسل فكثر نسلهما ولم يكن الحمام يأوي سوى الجبل الذي فيه العابد وكان السبب في اجتماع الحمام بالعابد كثرة تسبيح الحمام وقيل ان الحمام يقول في تسبيحه سبحان خالق الخلق وقاسم الرزق وباني السموات وباسط الارضين ولم يزل ذلك الزوج الحمام في ارغد عيش هو ونسله حتى مات العابد فتشتّت شمل الحمام وتفرّق في المدن والقرى والجبال وقيل انه كان في بعض الجبال رجل من الرعاة وكان صاحب دين وعقل وعفة وكان له اغنما يرعاها وينتفع بالبانها واصوافها وكان ذلك الجبل الذي يأوي اليه الراعي كثير الاشجار والمرعى والسباع ولم يكن لتلك الوحوش قدرة على الراعي ولا على غنمه ولم يزل مقيما في الجبل مطمئنا لا يهمه شيء من امر الدنيا لسعادته واقباله على صلوته وعبادته فقدر الله انه مرض مرضا شديدا فدخل العابد في كهف الجبل وصارت الغنم تخرج بالنهار الى مرعاها وتأوي بالليل الى الكهف فاراد الله تعالى ان يختبر ذلك الراعي ويمتحنه في طاعته وصبره فبعث اليه ملكا فدخل عليه الملك في صورة امرأة حسناء فجلس بين يديه فلما رأى الراعي تلك المرأة جالسة عنده اقشعرّ بدنه منها فقال لها ايتها المرأة ما الذي دعاك الى المجيء هنا وليس لي حاجة بك ولا بيني وبينك ما يوجب لدخولك عندي فقالت له ايها الانسان اما ترى حسني وجمالي وطيب رائحتي اما تعلم حاجة النساء من الرجال

Digitized by Google

ما حصل بيني و بين هذه البطة افتراق و لقد كانت من خيار الاصدقاء ثم طارت الطاؤوسة و اجتمعت بالظبي فسلم عليها و هنّاها بالسلامة وسألها عن البطة فقالت له قد اخذها العدوّ وكرهت المقام في تلك الجزيرة بعدها ثم بكت على فراق البطة و انشدت تقـــــول

إِنَّ يَوْمَ الْفِـــرَاقِ قَطَّعَ قَلْبِي قَطَّعَ اللّٰهُ قَلْبَ يَوْمِ الْفِـــرَاقِ

ثم قالت ايضا هذا البيت

تَمَنَّيْتُ الْوِصَـالَ يَعُوْدُ يَوْمًا لِأُخْبِرَهُ بِمَـــا صَنَعَ الْفِـرَاقُ

فاغتم الظبـــي غمـــا شديدا ثم رد عزم الطـاؤوسة عن الرحيل فاقامت مع الظبي آمنين آكلين شاربين غير انهما لم يزالا حزينين على فراق البطة فقال الظبي للطاؤوسة يا اختي قد علمت ان الناس الذين طلعوا لنا من المركب كانوا سببـــا لفراقنا ولهـلاك البطة فاحذريهم واحترسي منهـــم ومن مكر بني آدم و خداعه قالت قد علمت يقينا ان ماقتلها غير تركها التسبيح ولقد قلت لها اني اخاف عليك من تركك التسبيح لان كل شيء خلقه الله يسبّحه فان غفل عن التسبيح عوتب بهلاكه فلما سمع الظبي كلام الطاؤوسة قال احسن الله صورتك واقبل على التسبيح لا يفتر عنه ساعة وقد قيل ان تسبيح الظبي سبحان الديّان ذي الجبروت و السلطـــان

وورد

ان بعض العبّاد كان يتعبد في بعض الجبال وكان يأوي الى ذلك الجبل زوج من الحمام وكان ذلك العابد قسم قوته نصفين وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــاح

Digitized by Google

انت تعلمين قلة صبري ولولا اني رأيتك ههنا ما كنت تعدت فقالت الطاؤوسة ان كان على جبيننا شيء نستوفاه وان كان دنا اجلنا فمن يخلصنا ولن تموت نفس حتى تستوفي رزقها واجلها فبينماهما في هذا الكلام اذ طلعت عليهما غبرة فعند ذلك صاحت البطة ونزلت البحر وقالت الحذر الحذر وان لم يكن مفر من القضاء والقدر فبعد ساعة انكشفت الغبرة وبان من تحتها ظبي فاطمأنت البطة والطاؤوسة ثم قالت للبطة يا اختي ان الذي نظرت و حذرت منه ظبي و هاهو قد اقبل نحونا فليس علينا منه بأس لان الظبي انما ياكل الحشايش من نبات الارض وكما انت من جنس الطير هو الآخر من جنس الوحوش فاطمئني ولا تهتمي فان الهمّ ينحل البدن فلم تتم الطاؤوسة كلامها حتى وصل الظبي اليهما يستظل تحت ظل الشجرة فلما رأى الطاؤوسة والبطة سلم عليهما و قال لهما اني دخلت الى هذه الجزيرة اليوم فلم ار اكثر منها خصبا ولا احسن منها مسكنا ثم دعاهما لمرافقته ومصافاته فلما رأت البطة والطاؤوسة تودده اليهما اقبلتا عليه ورغبتا في عشرته فتصادقوا و تحالفوا على ذلك و صار مبيتهم واحدا و مأكلهم و مشربهم سواء ولم يزالوا آمنين آكلين شاربين حتى مرّت بهم سفينة كانت تائهة في البحر فارست قريبا منهم فطلع الناس و تفرقوا في الجزيرة فرأوا اجتماع الظبي و الطاؤوسة والبطة فاقبلوا عليهم فلما رأتهم الطاؤوسة صعدت الى الشجرة ثم طارت في الجوّ وشرد الظبي في البرية فبقيت البطة مخبلة ولم يزالوا بها حتى صادوها وصاحت قائلة لم ينفعني الحذر من القضاء والقدر وانصرفوا بها الى سفينتهم فلما رأت الطاؤوسة ما جرى للبطة ارتحلت من الجزيرة و قالت لا ارى الآفات الّا مراصدة لكل احد ولولا هذه السفينة

Digitized by Google

قائلا يا نجـــارما هذا البيت الضيق الذى صنعته لي دعني اخـرج منه فقال له النجـــار هيهـــات هيهات لا ينفع الندم على مافات انك لا تخـــرج من هذا المكان ثم ضحك النجـــار و قال للشبل انك وقعت فى القفص و ما بقي لك خلاص من ضيق الاقفـــاص يا اخبث الوحوش فقال يا اخي ما هذا الخطاب الذي تخـاطبني به فقال له النجار اعلم يا كلب البرّ انك قد وقعت فيما كنت تخاف منه و قدرماك القدر ولم ينفعك الحذر فلما سمع الشبل كلامه يا اختي علم انه ابن آدم الذي حذره منه ابوه فى اليقظة والهاتف فى المنام وانا ايضا تحققت انه هو بلاشك فيه ولاريب فخفت منه على نفسي خوفا عظيما و بعدت عنه قليلا و صرت انتظر ماذا يفعل بالشبل فرأيت يا اختي ابن آدم حفر حفرة في ذلك المـــكان بالقرب من الصندوق الذي فيه الشبل و رماه في تلك الحفرة والقى عليه الحطب واحرقه بالنـــار فكبر يا اختي خوفي ولي يومان هاربة من ابن آدم وخائفة منه فلما سمعت الطاؤسة من البطة هذا الكلام و ادرك شهرزاد الصبـــاح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة السابعة والاربعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الطاؤسة لمـــا سمعت من البطة هذا الكلام تعجبت منه غـــاية العجب و قالت يا اختى انك امنت من ابن آدم لاننّا في جزيرة من جزائر البحر ليس لابن آدم فيها مسلك فاختارى المقام عندنا الى ان يسهل الله امرك و امرنا قالت اني اخاف ان يطرقني طارق والقضاء لا ينفك عنه أبق فقالت اقعدى عندنا و انت مثلنا ولا زالت بهـــا حتى قعدت و قالت يا اختي

Digitized by Google

اخذت هذه الالواح و توجّهت اليه فلما سمع الشبل كلام النجّار اخذه الحسد للفهد فقال له بحياتي لا بدان تصنع لي هذه الالواح بيتا قبل ان تصنع للفهد بيته و اذا فرغت من شغلي فامض الى الفهد واصنع له ما يريد فلما سمع النجار من الشبل هذا الكلام قال له ياسيد الوحوش ما اقدران اصنع لك شيأ الا اذا صنعت للفهد ما يريد ثم اجيء الى خدمتك واصنع لك بيتا يحصنك من عدوّك فقال له الشبل والله ما اخليك تروح من هذا المكان حتى تصنع لي هذه الالواح بيتا ثم ان الشبل همّ على النجار ووثب عليه واراد ان يمزح معه فلطشه بيده فرمى المقطف من على كتفه ووقع النجار مغشيا عليه فضحك الشبل عليه وقال له ويلك يا نجار انك ضعيف ومالك قوة فانت معذور اذا خفت من ابن آدم فلما وقع النجار على ظهره اغتاظ غيظا شديدا ولكنه كتم ذلك عن الشبل من خوفه منه فقعد النجار على حيله وضحك في وجهه وقال له ها انا اصنع لك البيت ثم ان النجار تناول الالواح التي كانت معه وسمر البيت وجعله مثل القالب على قياس الشبل وخلّى بابه مفتوحا لانه جعله على صورة الصندوق وفتح له طاقة كبيرة وجعل لها غطاء كبيرا وثقب فيه ثقبا كثيرة واخرج منها مسامير مطرفة وقال للشبل ادخل في هذا البيت من هذه الطاقة حتى اقيسه عليك ففرح الشبل بذلك واتى الى تلك الطاقة فرآها ضيقة فقال له النجار ادخل وابرك على يديك ورجليك ففعل الشبل ذلك ودخل الصندوق فبقي ذنبه خارجا في آخره فاراد الشبل ان يتأخر الى ورائه و يخرج فقال له النجار امهل واصبر حتى انظر هل يسع ذنبك معك فامتثل الشبل امره ثم ان النجار لفّ ذنب الشبل و حشاه في الصندوق ورد اللوح على الطاقة سريعا و سمره فصاح الشبل

Digitized by Google

وبعد ساعة انكشفت عن شيخ قصير رقيق البشرة على كتفه مقطف فيه عدّة نجّار وعلى رأسه شعبة وثمانية الواح وبيده اطفال صغار وهو يهرول في مشيه ومازال يمشي حتى قرب من الشبل فلما رأيته يا اختي وقعت من شدة الخوف واما الشبل فانه قام وتمشى اليه ولاقاه فلما وصل اليه ضحك النجّار في وجهه وقال له بلسان فصيح ايها الملك الجليل صاحب الباع الطويل اسعد الله مساك ومسعاك وزاد في شجاعتك وقواك اجرني ممادهاني وبشّره رماني لاني ما وجدت لي نصيرا غيرك ثم ان النجار وقف بين يدى الاسد وبكى وانّ واشتكى فلمّا سمع الشبل بكاءه وشكواه قال له اجرتك مما تخشاه فمَن الذي قد ظلمك وما انت تكون ايها الوحش الذي ما رأيت عمري مثلك ولا احسن صورة ولا افصح لسانا منك فما شأنك فقال له النجار يا سيد الوحوش اما انا فنجّار واما الذي ظلمني فانه ابن آدم وفي صباح هذه الليلة يكون عندك في هذا المكان فلما سمع الشبل من النجار هذا الكلام تبدل الضياء في وجهه بالظلام وشخر ونخر وارتمت عيناه بالشرر وصاح وقال والله لاسهرنّ في هذه الليلة الى الصباح ولا ارجع الى والدي حتى ابلغ مقصدي ثم ان الشبل التفت الى النجار وقال له انّي ارى خطواتك قصيرة ولا اقدر ان اكسر بخاطرك لاني ذو مروءة واظن انك لا تقدران تماشي الوحوش فاخبرني الى اين تذهب فقال له النجار اعلم انني رائح الى وزير والدك الفهد لانه لما بلغه ان ابن آدم داس هذه الارض خاف على نفسه خوفا عظيما وارسل اليّ رسولا من الوحوش لاصنع له بيتا يسكن فيه ويأوي اليه ويمنع عنه عدوّه حتى لايصل اليه احد من بني آدم فلما جاءني الرسول

Digitized by Google

فاراد الوثوب عليه فقلت له يا ابن السلطان ان هذا ما هو ابن آدم وانما هذا جمل وكأنه هارب من ابن آدم فبينما انا يا اختي مع الشبل في هذا الكلام واذا بالجمل تقدم بين ايادي الشبل و سلم عليه فرد عليه السلام وقال له ما سبب مجيئك في هذا المكان قال جئت هاربا من ابن آدم فقال له الشبل وانت مع عظم خلقتك وطولك وعرضك كيف تخاف من ابن آدم ولو رفصته برجلك رفصة لقتلته فقال له الجمل يا ابن السلطان اعلم ان ابن آدم له دواهي لا تطاق وما يغلبه الا الموت لانه يضع في انفي خيطا ويسميه خزاما ويجعل في رأسي مقودا ويسلمني الى اصغر اولاده فيجرّني الولد الصغير بالخيط مع كبري وعظمي ويحملونني اثقل الاحمال ويسافرون بي الاسفار الطوال ويستعملونني في الاشغال الشاقة أناء الليل والنهار واذا كبرت وشخت او انكسرت فلم يحفظ صحبتي بل يبيعني للجزار فيذبحني ويبيع جلدي للدباغين ولحمي للطباخين ولا تسأل عن ما اقاسي من ابن آدم فقال له الشبل اي وقت فارقت ابن آدم فقال فارقته وقت الغروب واظنه يأتي عند انصرافي فلم يجدني فيسعى في طلبي فدعني يا ابن السلطان حتى اهج في البراري والقفار فقال الشبل تمهّل قليلا يا جمل حتى تنظر كيف افترسه واطعمك من لحمه واهشم عظمه واشرب من دمه فقال له الجمل يا ابن السلطان انا خائف عليك من ابن آدم فانه مخادع ماكر ثم انشد قول الشاعر

إِذَا حَلَّ الثَّقِيلُ بِأَرْضِ قَوْمٍ ... فَمَا لِلسَّاكِنِينَ سِوَى الرَّحِيلِ

فبينما الجمل يتحدث مع الشبل في هذا الكلام واذا بغبرة طلعت

Digitized by Google

قطعت قلبي بكلامك وارجعتني عما اردت ان افعله فاذا كنت انت مع عظمك قد قهرك ابن آدم ولم يخف من طولك وعرضك مع انك لورفصته برجلك لقتلته ولم يقدر عليك بل تسقيه كاس الردى فضحك الفرس لما سمع كلام الشبل وقال هيهات هيهات ان اغلبه يا ابن الملك فلا يغرك طولي ولا عرضي ولا ضخامتي مع ابن آدم لانه من شدة حيله ومكره يصنع لي شيأ يقال له الشكال ويضع في اربعة قوائمي شكالين من حبال الليف الملفوفة باللباد ويصلبني من رأسي في وتد عال وابقى واقفا وانا مصلوب لا اقدر اقعد ولا انام واذا اراد ان يركبني يعمل لي شيأ في رجليه من الحديد اسمه الركاب ويضع على ظهري شيأ يسميه السرج ويشده بحزامين من تحت ابطي ويضع في فمي شيأ من الحديد يسميه اللجام ويضع فيه شيأ من الجلد يسميه الصرع فاذا ركب فوق ظهري على السرج يمسك الصرع بيده ويقودني به ويهمزني بالركاب في خواصري حتى يدميها ولا تسأل يا ابن السلطان عن ما اقاسيه من ابن آدم فاذا كبرت وانتحل ظهري ولم اقدر على سرعة الجري يبيعني للطحان ليدورني في الطاحون فلا ازال دائرا فيها ليلا ونهارا الى ان اهرم فيبيعني للجزار فيذبحني ويسلخ جلدي وينتف ذنبي ويبيعهما للغرابلي والمناخلي ويسلي شحمي فلما سمع الشبل كلام الفرس ازداد غيظا وغما وقال له متى فارقت ابن آدم قال فارقته نصف النهار وهو في اثري فبينما الشبل يتحدث مع الفرس في هذا الكلام واذا بغبرة ثارت وبعد ذلك انكشفت الغبرة وبان من تحتها جمل هائج وهو يبعبع ويخبط برجليه في الارض ولم يزل يفعل كذلك حتى وصل الينا فلما رأه الشبل كبيرا غليظا ظن انه ابن آدم

Digitized by Google

لم اقدر على الجري يجعل لي رحلا من الخشب ويسلمني الى السقايين فيحملون الماء على ظهري من البحر في القِرَب ونحوها كالجرار ولا ازال في ذل وهوان وتعب حتى اموت فيرمونني فوق التلال للكلاب فاي شيء اكبر من هذا الهم وايّ مصيبة اكبر من هذه المصائب فلما سمعتُ ايها الطاؤوسة كلام الحمار اقشعرّ جسدي من ابن آدم وقلت للشبل ياسيدي ان الحمار معذور وقد زادني كلامه رعبا على رعبي فقال الشبل للحمار الى اين انت سائر فقال له الحمار اني نظرت ابن آدم قبل اشراق الشمس من بعيد ففررت هربا منه وها انا اريدان انطلق ولم ازل اجري من شدة خوفي منه فعسى اجدلي موضعا يأويني من ابن آدم الغدار فبينما ذلك الحمار يتحدث مع الشبل في ذلك الكلام وهو يريدان يودعنا ويروح اذ ظهرت لنا غبرة فنهق الحمار وصاح ونظر بعينه الى ناحية الغبرة وضرط ضراطا عاليا وبعد ساعة انكشفت الغبرة عن فرس ادهم بغرة كالدرهم وذلك الفرس ظريف الغرة مليح التحجيل حسن القوائم والصهيل ولم يزل يجري حتى وقف بين يدي الشبل ابن الاسد فلما رأه الشبل استعظمه وقال له ماجنسك ايها الوحش الجليل وما سبب شرودك في هذا البر العريض الطويل فقال له ياسيد الوحوس انا فرس من جنس الخيل وسبب شرودي هروبي من ابن آدم فتعجب الشبل من كلام الفرس وقال له لا تقل هذا الكلام فانه عيب عليك وانت طويل عريض وكيف تخاف من ابن آدم مع عظم جثتك وسرعة جريك وانا مع صغر جسمي قد عزمت على ان التقي مع ابن آدم فابطش به وآكل لحمه واسكن روع هذه البطة المسكينة واقرها في وطنها وها انت لما اتيت في هذه الساعة

Digitized by Google

اقربي مني فلما قربت منه قال لي ما اسمك وما جنسك فقلت له اسمي بطة وانا من جنس الطيور ثم قلت له ما سبب قعودك الى هذا الوقت في هذا المكان فقال الشبل سبب ذلك ان والدى الاسد له ايام وهو يحذرني من ابن آدم فاتفق انني رأيت في هذه الليلة في منامي صورة ابن آدم ثم ان الشبل حكى لي نظير ما حكيته لك فلما سمعت كلامه قلت له يا اسد اني قد لجأت اليك في ان تقتل ابن آدم وتحزم رأيك في قتله فاني اخاف على نفسي منه خوفا شديدا وازددت خوفا على خوفي من خوفك من ابن آدم مع انك سلطان الوحوش وما زلت يا اختي احذر الشبل من ابن آدم واوصيه بقتله حتى قام من وقته وساعته من المكان الذي كان فيه وتمشى وتمشيت وراءه ففرقع بذنبه على ظهره ولم يزل يتمشى وانا امشي وراءه الى مفرق الطريق فوجدنا غبرة طارت وبعد ذلك انكشفت الغبرة فبان من تحتها حمار شارد عريان وهو تارة يقمص ويجري وتارة يتمرّغ فلما رأه الاسد صاح عليه فاتى اليه خاضعا فقال له ايها الحيوان الخريف العقل ما جنسك وما سبب قدومك الى هذا المكان فقال له يا ابن السطان انا جنسي حمار وسبب قدومي الى هذا المكان هروبي من ابن آدم فقال له الشبل وهل انت خائف من ابن آدم ان يقتلك فقال له الحمار لا يابن السلطان وانما خوفي ان يعمل حيلة عليّ ويركبني لان عنده شيأ يسميه البرذعة فيجعلها على ظهري وشيأ يسميه الحزام فيشده على بطني وشيأ يسميه الطفر فيجعله تحت ذنبي وشيأ يسميه اللجام فيجعله في فمي ويعمل لي منخاسا ينخسني به ويكلفني ما لا اطيق من الجري واذا عثرت لعنني وان نهقت شتمني وبعد ذلك اذا كبرت و

Digitized by Google

راحة في مودتكما فلما فرغت من كلامها نزلت اليها زوجة الطاؤس و قالت لها اهلا و سهلا ومرحبا لاباس عليك و من اين يصل الينا ابن آدم و نحن في تلك الجزيرة التي في وسط البحر فمن البر لا يقدر ان يصل الينا و من البحر لا يمكن ان يطلع علينا فابشري و حدثينا بالذي نزل بك و اعتراك من ابن آدم فقالت البطة اعلمي ايتها الطاؤوسة انني في هذه الجزيرة طول عمري آمنة لاارى مكروها فنمت ليلة من الليالي فرأيت في منامي صورة ابن آدم و هو يخاطبني و اخاطبه و سمعت قائلا يقول لي ايتها البطة احذري من ابن آدم ولا تغتري بكلامه ولابما يدخله عليك فانه كثير الحيل والخداع فالحذر كل الحذر من مكره فانه مخادع ماكر كما قال فيه الشاعر

يُعْطِيْكَ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ حَلَاوَةً ... وَيَرُوْغُ مِنْكَ كَمَا يَرُوْغُ الثَّعْلَبُ

و اعلمي ان ابن آدم يحتال على الحيتان فيخرجها من البحار و يرمي الطير ببندقة من طين و يوقع الفيل بمكره و ابن آدم لا يسلم احد من شره ولا ينجو منه طير ولا وحش و قد بلغتك ما سمعته عن ابن آدم فاستيقظت من منامي خائفة مرعوبة و انا الى الآن لا ينشرح صدري خوفا على نفسي من ابن آدم لئلا يدهمني بحيلته ويصيدني بحبائله ولم يات عليّ آخر النهار الاّ وقد ضعفت قوتي و بطلت همتي ثم اني اشتقت الى الاكل والشرب فخرجت اتمشى وخاطري مكدر و قلبي مقبوض فلما وصلت الى ذلك الجبل وجدت على باب مغارة شبلا اصفر اللون فلما رآني ذلك الشبل فرح بي فرحا شديدا و اعجبه لوني وكوني لطيفة الذات فصاح عليّ و قال لي

Digitized by Google

من تصاريف الزمان بالملك عمر بن النعمان و ولده شركان و ولده ضوء المكان وولد ولده كان ما كان وبنته نزهة الزمان و بنتها قضى فكان ثم ان الملك قال لشهرزاد اشتهي ان تحكي لي شيأ من حكاية الطيور فقالت لها اختها لم ار الملك في طول هذه المدة انشرح صدره غير هذه الليلة و ارجوان تكون عاقبتك معه محمودة و كان الملك ادركه النوم فنام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والاربعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد انه كان في قديم الزمان و سالف العصر والاوان طاؤوس يأوي الى جانب البحر مع زوجته وكان ذلك الموضع كثير السباع و فيه من سائر الوحوش غير انه كثير الاشجار والانهار و ذلك الطاؤوس هو وزوجته يأويان الى شجرة من تلك الاشجار ليلا من خوفهما من الوحوش و يغدوان في طلب الرزق نهارا ولم يزالا كذلك حتى كثر خوفهما فسارا يبغيان موضعا غير موضعهما يأويان اليه فبينما هما يفتشان على موضع اذ ظهرت لهما جزيرة كثيرة الاشجار والانهار فنزلا في تلك الجزيرة و اكلا من ثمارها و شربا من انهارها فبينما هما كذلك و اذا ببطة اقبلت عليهما و هي في شدة الفزع ولم تزل تسعى حتى اتت الى الشجرة التي عليها الطاؤوس هو و زوجته فاطمأنت فلم يشك الطاؤوس في ان تلك البطة لها حكاية عجيبة فسألها عن حالها و من سبب خوفها فقالت انني مريضة من الحزن وخوفي من ابن آدم فالحذر ثم الحذر من بني آدم فقال لها الطاؤوس لاتخافي في حيث وصلت الينا فقالت البطة الحمد لله الذي فرج عني همي و غمي بقربكما وقد اتيت

Digitized by Google

من غير عسكر فان البلاد امان لانها صارت تحت ايدينا فلما وصل الكتاب اليها وقرأته وعرفت خط الملك رومزان فرحت فرحا شديدا وتجهزت من وقتها وساعتها للسفر هي والملكة صفية ام فزهة الزمان ومن صحبهم ولم يزالوا مسافرين حتى وصلوا الى بغداد فتقدم الرسول واخبرهم بحضورها فقال رومزان المصلحة تقتضي اننا نلبس لبس الافرنج ونقابل العجوز حتى نأمن من خداعها وحيلها فقالوا سمعا وطاعة ثم انهم لبسوا لباس الافرنج فلما رأت ذلك قضى فكان قالت وحق الرب المعبود لولا اني اعرفكم لقلت انكم افرنج ثم ان رومزان تقدم امامهم وخرجوا يقابلون العجوز في الف فارس فلما وقعت العين في العين ترجّل رومزان عن جواده وسعى اليها فلما رأته وعرفته ترجلت اليه وعانقته فقرط بيده على اضلاعها حتى كاد ان يقصفها فقالت ما هذا يا ولدي فلم تتم كلامها حتى نزل اليهما كان ما كان والوزير دندان وزعقت الفرسان على من معها من الجواري والغلمان واخذوهم جميعهم ورجعوا الى بغداد وامرهم رومزان ان يزينوا بغداد فزينوها ثلثة ايام ثم اخرجوا بالعجوز شواهي الملقبة بذات الدواهي وعلى رأسها طرطور احمر من الخوص مكلل بروث الحمير وقدامها مناد ينادي هذا جزاء من يتجارى على الملوك وعلى اولاد الملوك ثم صلبوها على باب بغداد ولما رأى اصحابها ما جرى لها اسلموا كلهم جميعا ثم ان كان ما كان وعمه رومزان ونزهة الزمان والوزير دندان تعجبوا لهذه السيرة العجيبة وامروا الكتّاب ان يؤرخوها في الكتب حتى تقرأ من بعدهم واقاموا بقية الزمان في التّعيش واهناه الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات وهذا آخر ما انتهى الينا

Digitized by Google

ابريزة بنت الملك حرودب ملك الروم وكيف قتلها وهرب فلم يتم العبد كلامه حتى رمى الملك رومزان رقبته بالحسام وقال الحمد لله الذي احياني واخذت ثارامّي بيدي واخبرهم ان دايته مرجانة حكت له عن هذا العبد الذي اسمه الغضبان وبعد ذلك اقبلوا على الثالث وكان هو الجمّال الذي اكتروه اهل بيت المقدس الى حمل ضوء المكان وتوصيله الى المارستان الذي في دمشق الشام فذهب به والقاه في المستوقد وذهب الى حال سبيله ثم قالوا له اخبرنا انت بخبرك واصدق في حديثك فحكى له جميع ما وقع له مع السلطان ضوء المكان وكيف حمله من بيت المقدس وهوضعيف على ان يوصله الى الشام ويرميه في المارستان وكيف جاء له اهل بيت المقدس بالدراهم فاخذها وهرب بعد ان رماه على المزبلة التي بجانب مستوقد الحمام فلما تم كلامه اخذ السلطان كان ماكان السيف وضربه فرمى عنقه وقال الحمد لله الذي احياني حتى جازيت هذا الخائن بما فعل مع ابي فانني سمعت هذه الحكاية بعينها من والدي السلطان ضوء المكان فقال الملوك لبعضهم مابقي علينا الا العجوز شواهي الملقبة بذات الدواهي فانها سبب هذه البلايا حيث اوقعتنا في الرزايا ومن لنا بها حتى ناخذ منها الثار ونكشف العار فقال له الملك رومزان عم الملك كان ماكان لابد من حضورها ثم ان الملك رومزان كتب كتابا من وقته وساعته وارسله الى جدته العجوز شواهي الملقبة بذات الدواهي وذكر لها فيه انه غلب على مملكة دمشق والموصل والعراق وكسر عسكر المسلمين واسر ملوكهم وقال اريدان تحضري عندي من كل بدّ انت والملكة صفية بنت الملك افريدون ملك القسطنطينية ومن شئتم من اكابر النصارى

Digitized by Google

يُرِيْدُ بِهٰذَا اَنْ يَنَـــالَ مُرَادَهُ لَقَدْ كَذَبَ الشَّيْطَانُ فِيْ كُلِّ مَا اَمَرْ

فلما فرغت من شعرها قالت له يا ملعون الجدين لما ذا قتلت اخي وخُتنه وكان مراده ان يردك الى بلادك بالزاد و الهدايا و كان مراده ايضا ان يزوجني لك فى اول الشهر ثم جذبت سيفا كان عندها وجعلت قائمه فى الارض و طرفه في صدرها وانحنت عليه حتى طلع من ظهرها فخرّت على الارض ميتة فحـــزنت عليها و ندمت حيث لاينفعني الندم وبكيت ثم قمت مسرعا الى الخباء واخذت ماخف حمله وغلا ثمنه وسرت الى حال سبيلي و من خوفي و عجلتى لم التفت الى احد من اصحابي ولا د فنت الصبية ولا الشاب وهذه الحكاية اعجب من حكايتي الا ولى مع البنت الخدامة التي خطفتها من بيت المقدس فلما سمعت نزهة الزمان من البدوي هذا الكلام تبدل النور في عينها بالظلام و ادرك شهر زاد الصبـــاح فسكتت عن الكلام المـــــــــــــــــــــــــــــــباح

فلما كانت الليلة الخامسة والاربعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان نزهة الزمان لما سمعت من البدوى هذا الكلام تبدل الضياء في عينها بالظلام و قامت جردت السيف وضربت به البدوى حمادا على عاتقه فاطلعته من علائقه فقال لها الحاضرون لاىّ شئ استعجلت على قتله فقالت الحمد لله الذي فسح في اجلي حتى اخذت ثاري بيدى ثم انها امرت العبيدان يجرّوه من رجليه ويرموه للكلاب وبعد ذلك اقبلوا على الاثنين الباقيين من الثلثة وكان احدهما عبدا اسود فقالوا له ما اسمك انت فاصدقنا في حديثك قال انا اسمي الغضبان واخبرهم بما وقع له مع الملكة

Digitized by Google

في رأسه واحمرّ وجهه فالتفت اليّ وقال لي ويلك يا حماد هل تعرفني ام لا فقلت وعيشك ما ازددت الّا جهلا فقال يا حمادا نا عباد بن تميم بن ثعلبة ان الله وهب لك نفسك وابقى عليك عرسك ثم حيّاني بقدح شربته وحياني بثان وثالث ورابع فشربت الجميع ونادمني وحلفني اني لا اخونه فحلفت له الفا وخمسمائة يمين اني لا اخونه قط بل اكون له معينا فعند ذلك امراخته ان تاتيني بعشر خلع من الحرير فاتت بها وافرغتها على بدني وهذه بدلة منها على جسدي وامرها ان تاتيني بناقة من احسن النياق فاتتني بناقة محملة من التحف والزاد وامرها ايضا ان تحضر لي الحصان الاشقرفا حضرته لي ثم وهب لي جميع ذلك واقمت عندهم ثلثة ايام في اكل وشرب والذي قد اعطاه لي موجود عندي الى الآن وبعد الثلثة ايام قال لي يا اخي ياحماد اريدان انام قليلا لاريح نفسي وقد استأمنتك على نفسي فان رأيت خيلا ثائرة فلا تفزع منها واعلم انهم من بني ثعلبة يطلبون حربي ثم توسد سيفه تحت رأسه ونام فلما استغرق في النوم وسوس اليّ ابليس بقتله فقمت بسرعة وجذبت سيفه من تحت رأسه وضربته ضربة اطاحت رأسه عن جثته فعلمت بي اخته فوثبت من جانب الخباء ورمت نفسها على اخيها وشقّت ما عليها من الثياب وانشدت هذه الابيات

إِلَى الْأَهْلِ بَلِّغْ إِنْ ذَا أَشَأَمُ الْخَبَرْ ... وَمَا لِامْرِئٍ مِمَّا الْحَكِيمُ قَضَى مَفَرْ
وَأَنْتَ صَرِيعٌ يَا أَخِي مُتَجَنْدِلٌ ... وَوَجْهُكَ يَحْكِي حُسْنُهُ دَوْرَةَ الْقَمَرْ
لَقَدْ كَانَ يَوْمُ الشُّؤْمِ يَوْمَ لَقِيتَهُمْ ... وَرُمْحُكَ مِنْ بَعْدِ اطِّرَادٍ قَدِ انْكَسَرْ
وَبَعْدَكَ لَا يُرْتَاحُ لِلْخَيْلِ رَاكِبٌ ... وَلَا تَلِدُ الْأُنْثَى نَظِيرَكَ مِنْ ذَكَرْ
وَأَصْبَحَ حَمَّادٌ لَكَ الْيَوْمَ قَاتِلًا ... وَقَدْ خَانَ أَيْمَانًا وَبِالْعَهْدِ قَدْ غَدَرْ

Digitized by Google

فلما رأت ذلك الجارية فرحت بفعل اخيها و اقبلت عليه و قبلته بين عينيه ثم انه سلمني الى اخته و قال لها دونكِ واياه و احسني مثواه لانه دخل في زمامنا فقبضت الجارية على اطواق درعي وصارت تقودني كما تقود الكلب وفكت عن اخيها لامة الحرب والبسته بدلة و نصبت له كرسيا من العاج فجلس عليه و قالت له بيّض الله عرضك و جعلك عدة للنائبات فاجابها بهذه الابيـــــــــات

تَقُولُ وَقَدْ رَأَتْ فِي الْحَرْبِ اُخْتِي ... لَوَامِعَ غُرَّتِي مِثْلَ الشُّعَاعِ
اَلَا لِلّٰهِ دَرُّكَ مِنْ شُجَاعٍ ... تَذِلُّ لِحَرْبِهِ اُسْدُ الْبِقَاعِ
فَقُلْتُ لَهَا سَلِي الْاَبْطَالَ عَنِّي ... اِذَا مَا فَرَّ اَرْبَابُ الْقِرَاعِ
اَنَا الْمَعْرُوفُ فِي سَعْدِي وَجِدِّي ... وَعَزْمِي قَدْ عَلَا اَيَّ ارْتِفَاعِ
اَيَا حَمَّادُ قَدْ نَازَلْتَ لَيْثًا ... يُرِيكَ الْمَوْتَ يَسْعَى كَالْاَفَاعِي

فلما سمعت شعره حرت في امري و نظرت الى حالتي و ما صرت اليه من الاسر و تصاغرت اليّ نفسي ثم نظرت الى الجارية اخت الشاب و الى حسنها فقلت في نفسي هذه سبب الفتنة و صرت اتعجب من جمالها و اجريت العبرات و انشدت هذه الابيـــــــات

خَلِيلَيْ كُفَّ عَنْ لَوْمِي وَعَذْلِي ... فَاِنِّي لِلْمَلَامَةِ غَيْرُ وَاعِ
كُلِفْتُ بِغَادَةٍ لَمْ تُبْدِ اِلَّا ... دَعَتْنِي فِي مَحَبَّتِهَا الدَّوَاعِي
اَخُوهَا فِي الْهَوَى اَمْسَى رَقِيبِي ... وَصَاحِبُ هِمَّةٍ وَطَوِيلُ بَاعِ

ثم ان الجارية احضرت لاخيها الطعام فدعاني الى الاكل معه ففرحت و امنت على نفسي من القتل ولما فرغ اخوها من الاكل احضرت له آنية المدام ثم ان الشاب اقبل على المدام وشرب حتى شعشع الشراب

Digitized by Google

يَا اَيُّهَا الْكَلْبُ رَخِيمُ الرِّجْسِ فَاَيْنَ غَالٍ سِعْرُهُ مِنْ بَخْسِ
وَ اِنَّمَا اللَّيْثُ الْكَرِيمُ الْجِنْسُ مَنْ لَمْ يُبَالِ فِي الْوَغَى بِنَفْسِ

ثم لم يمهله الشاب دون ان تركه غريقا في دمه ثم نادى الشاب هل من مبارز فبرز اليه واحد فانطلق على الشاب و جعل يقول

اِلَيْكَ اَقْبَلْتُ وَ فِي قَلْبِي لَهَبْ مِنْهُ اُنَادِي عِنْدَ صَحْبِي فِي الْحَرَبْ
لَمَّا قَتَلْتَ الْيَوْمَ سَادَاتِ الْعَرَبْ فَالْيَوْمَ لَا تُلْقِي فِكَاكًا مِنْ طَلَبْ

فلما سمع الشاب كلامه اجابه بقوله

كَذَبْتَ بِئْسَ اَنْتَ مِنْ شَيْطَانِ قَدْ جِئْتَ بِالزُّورِ وَ بِالْبُهْتَانِ
اَلْيَوْمَ تُلْقِي فَاتِكَ السِّنَانِ فِي مَوْقِفِ الْحَرْبِ وَالطِّعَانِ

ثم طعنه في صدره فطلع السنان من ظهره ثم قال هل من مبارز فخرج اليه الرابع و سأله الشاب عن اسمه فقال له الفارس اسمي هلال فانشد يقول

اَخْطَأْتَ اِذْ اَرَدْتَ خَوْضَ بَحْرِي وَ جِئْتَ بِالزُّورِ وَ كُلِّ الْاَمْرِ
اَنَا الَّذِي تَسْمَعُ مِنِّي شِعْرِي اَخْتَلِسُ النَّفْسَ وَ لَسْتَ تَدْرِي

ثم حملا على بعضهما و اختلف بينهما ضربتان فكانت ضربة الشاب هي السابقة الى الفارس فقتله و صار كل من نزل اليه يقتله فلما نظرت اصحابي قد قُتلوا قلت في نفسي ان نزلت اليه في الحرب لم اطقه و ان هربت ابقى معيرة بين العرب فلم يمهلني الشاب دون ان انقضّ عليّ وجذبني بيده فاطاحني من سرجي فوقعت مغشيا عليّ ورفع سيفه و اراد ان يضرب عنقي فتعلقت باذياله فحملني بكفه فصرت معه كالعصفور

Digitized by Google

وَإِنْ بَرَزَ اللَّيْثُ الْمُقَدَّمُ فِيهِمُ ... وَأَشْجَعُهُمْ قَلْبًا وَأَثْبَتُهُمْ لُبَّا
سَأَسْقِيهِ مِنِّي ضَرْبَةً ثَعْلَبِيَّةً ... وَأَتْرُكُ فِيهِ الرُّمْحَ يَسْتَغْرِقُ الْكَعْبَا
وَإِنْ لَمْ أُقَاتِلْ عَنْكِ أُخْتِي فَلَيْتَنِي ... قَتِيلٌ وَلَيْتَ الطَّيْرَ تَنْهَبُنِي نَهْبَا
أُقَاتِلُ عَنْكِ مَا اسْتَطَعْتُ تَكَرُّمًا ... وَهَذَا حَدِيثٌ بَعْدَنَا يَمْلَأُ الْكُتْبَا

فلما فرغ من شعره قال يا اختي اسمعي ما اقوله لك وما اوصيك به فقالت له سمعا و طاعة فقال لها ان هلكت فلا تمكّني احدا من نفسك فعند ذلك لطمت على وجهها وقالت معاذ الله يا اخي ان اراك صريعا و امكّن الاعداء مني فعند ذلك مدّ الغلام يده اليها وكشف برقعها عن وجهها فلاحت لنا صورتها كالشمس من تحت الغمام فقبلها بين عينيها وودّعها وبعد ذلك التفت الينا وقال لنا يافرسان هل انتم ضيفان اوتريدون الضرب و الطعان فان كنتم ضيفانا فابشروا بالقرى وان كنتم تريدون القمر الزاهر فليبرز لي منكم فارس بعد فارس في هذا الميدان ومقام الحرب والطعان فعند ذلك برز اليه فارس شجاع فقال له الشاب ما اسمك وما اسم ابيك فاني حالف اني ما اقتل من اسمه موافق لاسمي واسم ابيه موافق لاسم ابي فان كنت بهذا الوصف فقد سلمت اليك الجارية فقال له الفارس اسمي بلال فاجابه الشاب بقوله

كَذَبْتَ فِي قَوْلِكَ مِنْ بِلَالِ ... وَجِئْتَ بِالزُّورِ وَبِالْمُحَالِ
إِنْ كُنْتَ شَهْمًا فَاسْتَمِعْ مَقَالِي ... أَنَا مُجَنْدِلُ الْأَبْطَالِ فِي الْمَجَالِ
بِصَارِمٍ مَاضٍ كَمَا الْهِلَالِ ... فَاصْبِرْ لِطَعْنٍ مُرْجِفِ الْجِبَالِ

ثم حملا على بعضهما فطعنه الشاب في صدره فخرج السنان من ظهره ثم برز اليه واحد فقال الشاب

خلاف ثم رددت رأس جوادى الى خلفي وقد زاد بى الجنون في محبة تلك الجارية ورجعت الى اصحابي ووصفت لهم حسنها وجمالها وحسن الشاب الذي عندها وشجاعته وقوة جنانه وكيف يذكرانه يصادم الف فارس ثم اعلمت اصحابي بجميع ما فى الخباء من الاموال والتحف وقلت لهم اعلموا ان هذا الشاب ما هو منقطع في تلك الارض الّا لكونه ذا شجاعة عظيمة وانا اوصيكم ان كل من قتل هذا الغلام يأخذ اخته فقالوا رضينا بذلك ثم ان اصحابي لبسوا آلة حربهم وركبوا خيلهم وقصدوا الغلام فوجدوه قد لبس آلة حربه وركب جواده ووثبت اليه اخته و تعلّقت بركابه وبلّت برتعها بدموعها وهي تنادي بالويل والثبور من خوفها على اخيها وتنشد هذه الابيات

إِلَى اللّٰهِ اَشْكُوْ مِحْنَةً وَكَآبَةً ... لَعَلَّ اِلٰهَ الْعَرْشِ يُرْهِقُهُمْ رُعْبَا
يُرِيْدُوْنَ قَتْلَكَ يَا اُخَيَّ تَعَمُّدًا ... وَلَا شَيْءَ مِنْ قِبَلِ الْقِتَالِ وَلَا ذَنْبَا
وَقَدْ عَرَفَتْ ذَا الْخَيْلِ اَنَّكَ فَارِسٌ ... وَاَشْجَعُ مَنْ حَلَّ الْمَشَارِقَ وَالْغَرْبَا
تُحَامِيْ عَنِ الْاُخْتِ الَّتِيْ قَلَّ عَزْمُهَا ... فَاَنْتَ اَخُوْهَا وَهْيَ تَدْعُوْكَ الرَّبَّا
فَلَا تَتْرُكِ الْاَعْدَاءَ تَمْلِكُ مُهْجَتِيْ ... وَتَأْخُذُنِيْ قَهْرًا وَتَأْسِرُنِيْ غَصْبَا
وَلَسْتُ وَحَقِّ اللّٰهِ اَبْقَى بِبَلْدَةٍ ... اِذَا لَمْ تَكُنْ فِيْهَا وَاِنْ مَلَأَتْ خَصْبَا
وَاقْتُلْ نَفْسِيْ فِيْ هَوَاكَ مَحَبَّةً ... وَاَسْكُنْ لَحْدًا فِيْهِ اَفْتَرِشُ التُّرْبَا

فلما سمع اخوها شعرها بكى بكاء شديدا وردّ رأس جواده الى اخته واجابها على شعرها بقوله

قِفِيْ وَانْظُرِيْ مِنِّيْ وُقُوْعَ عَجَائِبٍ ... اِذَا مَا الْتَقَيْنَا حِيْنَ اُثْخِنُهُمْ ضَرْبَا

Digitized by Google

التفت الى الجارية المليحة وقال ائتي الى هذا الرجل بالماء و ماحضر من الطعام فقامت الجارية تسحب اذيالها و الحجول الذهب تشخشخ في رجليها و هي تتعثر في شعرها وغابت قليلا ثم اقبلت وفي يدها اليمنى اناء من فضة مملوء ماء باردا و في يدها اليسرى قدح ملآن تمرا و لبنا و ماحضر من لحوم الوحوش فما استطعت ان آخذ من الجارية طعاما و لاشرابا من شدة محبتي لها فتمثلت بهذين البيتين و قلت

كَأَنَّ الْخِضَابَ عَلَى كَفِّهَا ... غُرَابٌ عَلَى ثَلْجَةٍ وَاقِفُ
تَرَى الشَّمْسَ وَالْبَدْرَ مِنْ وَجْهِهَا ... قَرِيْبَيْنِ خَافٍ وَ ذَاخَائِفُ

ثم قلت للشاب بعدان اكلت وشربت يا وجه العرب اعلم اني اوقفتك على حقيقة خبري و اريدان تخبرني بحالك وتوقفني على حقيقة خبرك فقال الشاب اما هذه الجارية فهي اختي فقلت اريدان تزوجني بها طوعا والا اقتلك و آخذها غصبا فعند ذلك اطرق الشاب رأسه الى الارض ساعة ثم رفع بصره اليّ وقال لي لقد صدقت في دعواك انك فارس معروف وبطل موصوف و انك اسد البيداء ولكن ان هجمتم عليّ غدرا و قتلتموني قهرا واخذتم اختي فان هذا يكون عارا عليكم وان كنتم على ما ذكرتم من انكم فرسان تعدون من الابطال ولا تبالون بالحرب و النزال فامهلوني قليلا حتى البس آلة حربي واتقلد بسيفي واعتقل رمحي واركب فرسي واصير انا واياكم في ميدان الحرب فان ظفرت بكم اقتلكم عن آخركم وان ظفرتم بي وقتلتموني فهذه الجارية اختي لكم فلما سمعت منه هذه الكلام قلت له ان هذا هوالانصاف و ما عندنا

Digitized by Google

ونحن رفقاؤك فنزلنا كلنا مع بعضنا فبينما نحن سائرون و اذا بنعامة ظهرت لنا فقصدناها ففرت من بين ايدينا وهي فاتحة اجنحتها ولم تزل شاردة ونحن خلفها الى الظهر حتى رمتنا في برية لانبات فيها ولا ماء ولم نسمع فيها غير صفير الحيات وزعيق الجان وصريخ الغيلان فلما وصلنا الى ذلك المكان غابت عنا فلم ندر أفى السماء طارت ام فى الارض غارت. فرددنا رؤس الخيل واردنا الرواح ثم رأينا ان الرجوع في هذا الوقت الشديد الحر لاخير فيه ولا اصلاح وقد اشتد علينا الحر وعطشنا عطشا شديدا ووقفت خيولنا فايقنا بالموت فبينما نحن كذلك اذ نظرنا من بعيد مرجا افيح فيه غزلان تمرح وهناك خيمة مضروبة وفي جانب الخيمة حصان مربوط وسنان يلمع على رمح مركوز فانتعشت نفوسنا من بعد الياس وردنا رؤس خيلنا نحو تلك الخيمة نطلب ذلك المرج والماء وتوجه اليه جميع اصحابي وانافي اولهم ولم نزل سائرين حتى وصلنا الى ذلك المرج فوقفنا على عين وشربنا وسقينا خيولنا فاخذتني حمية الجاهلية وقصدت باب ذلك الخباء فرأيت فيه شابا لانبات بعارضيه وهو كأنه هلال وعن يمينه جارية هيفاء كأنها قضيب بان فلما نظرت اليها وقعت محبتها في قلبي فسلمت على ذلك الشاب فرد عليّ السلام فقلت يا اخا العرب اخبرني من انت وما تكون لك تلك الجارية التي عندك فاطرق الشاب رأسه الى الارض ساعة ثم رفع رأسه وقال اخبرني من انت وما الخيل التي معك فقلت انا حماد بن الفزاري الفارسي الموصوف الذى اعدّ بين العرب بخمس مائة فارس ونحن خرجنا من محلنا نريد الصيد والقنص فادركنا العطش فقصدت انا باب تلك الخيمة لعلي اجد عندكم شربة ماء فاما سمع مني ذلك الكلام

Digitized by Google

فبكت بكاء شديدا فدنوت منها وضربتها ضربا وجيعا واخذتها وسرت بها الى مدينة دمشق فرآها معي تاجر فتحير عقله لما رآها واعجبته فصاحتها واراد اشتراؤها مني ولم يزل يزيدني في ثمنها حتى بعتها له بمائة الف درهم فعند ما اعطيتها له رأيت منها فصاحة عظيمة وبلغني ان التاجر كساها كسوة مليحة وقدمها الى الملك صاحب دمشق فاعطاه قدر المبلغ الذي دفعه اليّ مرتين وهذا يا ملوك الزمان اعجب ماجرى لي ولعمري ان ذلك الثمن قليل في تلك البنت فلما سمع الملوك هذه الحكاية تعجبوا ولما سمعت نزهة الزمان من البدوي ماحكاه صار الضياء في وجهها ظلاما وصاحت وقالت لاخيها رومزان ان هذا البدوي الذي كان خطفني من بيت المقدس بعينه من غير شك ثم ان نزهة الزمان حكت لهم جميع ماجرى لها معه في غربتها من الشدائد والضرب والجوع والذل والهوان ثم قالت لهم الآن حل لي قتله ثم جذبت السيف وقامت الى البدوي لتقتله واذا هو صاح وقال ياملوك الزمان لاتدعوها تقتلني حتى احكي لكم ماجرى لي من العجائب فقال لها ابن اخيها كان ما كان يا عمتي دعيه يحكي لنا حكاية وبعد ذلك فافعلي ماتريدين فرجعت عنه فقال له الملوك الآن احك لنا حكايتك فقال يا ملوك الزمان ان حكيت لكم حكاية عجيبة تعفوا عني قالوا نعم فابتدأ البدوي يحدثهم باعجب ما وقع له وقال اعلموا اني من مدة يسيرة ارقت ليلة ارقا شديدا وما صدقت ان الصباح يصبح فلما اصبح الصباح قمت من وقتي وساعتي وتقلدت بسيفي وركبت جوادي واعتقلت رمحي وخرجت اريد الصيد والقنص فواجهني جماعة في الطريق فسألوني عن قصدي فاخبرتهم به فقالوا

Digitized by Google

عليه اخاها الملك رومزان و ابن اخيها الملك كان ما كان فامر له باموال و عبيد و غلمان من اجل خدمته و ارسلت اليه نزهة الزمان مائة الف درهم من المال و خمسين حملا من البضائع و قدا تحفته بهدايا و ارسلت اليه تطلبه فلما حضر طلعت له و سلمت عليه و اعلمته انها بنت الملك عمر بن النعمان و ان اخاها الملك رومزان و ان ابن اخيها الملك كان ما كان ففرح التاجر بذلك فرحا شديدا وهناها بسلامتها و اجتماعها باخيها و قبل يديها و شكرها على فعلها و قال لها والله ما ضاع الجميل معك ثم دخلت الى خدرها واقام التاجر عندهم ثلثة ايام ثم ودعهم و رحل الى بلاد الشام و بعد ذلك احضر الملوك الثلثة اشخاص اللصوص الذين كانوا رؤساء قطاع الطريق و سألوهم عن حالهم فتقدم واحد منهم و قال اعلموا اني رجل بدوي اقف في الطريق لاخطف الصغار والبنات الابكار و ابيعهم للتجار و دمت على ذلك مدة من الزمان الى هذه الايام و اغراني الشيطان فاتفقت مع هذين الشقيين على جمع الاوباش من الاعراب والبلدان لاجل نهب الاموال وقطع الطريق على التجار فقالوا له احك لنا على اعجب ما رأيت في خطفك الصغار والبنات فقال لهم اعجب ما جرى لي يا ملوك الزمان انني من مدة اثنتين و عشرين سنة خطفت بنتا من بنات بيت المقدس ذات يوم من الايام وكانت تلك البنت ذات حسن وجمال غير انها كانت خدامة و عليها اثواب خلقة و على رأسها قطعة عباءة فرأيتها قد خرجت من الخان فخطفتها بحيلة في تلك الساعة وحملتها على جمل و سبقت بها وكان في املي انني اذهب بها الى اهلي في البرية واجعلها عندي ترعى الجمال وتجمع البعر من الوادي

Digitized by Google

اليهم فخرجوا اليهم في مائة فارس كل فارس منهم يعدّ بين الرجال بالوف و ذلك التاجر سار امامهم يدلّهم على الطريق ولم يزالوا سائرين ذلك النهار و طول الليل الى السحر حتى اشرفوا على واد غزير الانهار كثير الاشجار فوجدوا القوم قد تفرقوا في ذلك الوادي و قسموا بينهم احمال ذلك التاجر و بقي البعض فاطبق عليهم المائة فارس واحاطوا بهم من كل مكان و صاح عليهم الملك رومزان هو و ابن اخيه كان ما كان فما كان غير ساعة حتى اسروا الجميع وكانوا نحو ثلثمائة فارس مجتمعين من اوباش العربان فلما اسروهم اخذوا ما معهم من مال التاجر و شدوا وثاقهم و طلعوا بهم الى مدينة بغداد فعند ذلك جلس الملك رومزان هو وابن اخيه الملك كان ما كان على تخت واحد مع بعضهما ثم عرضوا الجميع بين ايديهما وسألاهم عن حالهم وعن كبارهم فقالوا ما لنا كبار غير ثلثة اشخاص وهم الذين جمعونا من سائر النواحي والاقطار فقالا لهم ميّزوهم لنا باعيانهم فميزوهم لهما فامرا بالقبض عليهم واطلاق بقية اصحابهم بعد اخذ جميع ما معهم من الاموال وتسليمه للتاجر فتفقد التاجر قماشه وما له فوجده قد هلك ربعه فوعدوه انهم يعوضون له جميع ماضاع منه فعند ذلك اخرج التاجر كتابين احدهما بخط شركان والآخر بخط نزهة الزمان وقد كان هذا التاجر اشترى نزهة الزمان من البدوي وهي بكر و قدمها لاخيها شركان وجرى بينها وبين اخيها ماجرى ثم ان الملك كان ما كان وقف على الكتابين و عرف خط عمه شركان و سمع حكاية عمته نزهة الزمان فدخل عليها بذلك الكتاب الثاني الذي كانت كتبته للتاجر الذي ضاع منها المال واخبرها كان ما كان بقصة التاجر من اولها الى آخرها فعرفته نزهة الزمان و عرفت خطها واخرجت للتاجر الضيافات ووصت

Digitized by Google

ان اعارضك في ملكك فعند ذلك اشار عليهما الوزير دندان ان يكون الاثنان فى الملك سواء وكلواحد يحكم يوما فارتضيا بذلك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والاربعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد انهما اتفقا على ان كلواحد يحكم يوما ثم اولموا الولائم و ذبحوا الذبائح وزادت بهم الافراح و اقاموا على ذلك مدة من الزمان كل ذلك والسلطان كان ما كان يقطع ليله مع بنت عمه قضى فكان و بعد تلك المدة بينماهم قاعدون فرحانون بهذا الامر و اصلاح الشأن اذ ظهر لهم غبار قد علا وطار حتى سد الاقطار و قد اتي اليهم من التجار صارخ يستغيث و هو يصيح و يقول يا ملوك الزمان كيف اسلم في بلاد الكفر و انهب في بلادكم و هي بلاد العدل والامان فاقبل عليه الملك رومزان و سأله عن حاله فقال له انا تاجر من التجار و لي غائب عن الاوطان مدة مديدة من الزمان و استغرقت فى البلاد نحو عشرين سنة من الاعوام و ان معي كتابا من مدينة دمشق كان قد كتبه لي المرحوم الملك شركان و سبب ذلك اني كنت قدا هديت اليه جارية فلما قربت من تلك البلاد وكان معي مائة حمل من تحف الهند واتيت بها الى بغداد التي هي خرمكم و محل امنكم وعد لكم فخرجت علينا عربان ومعهم اكراد مجتمعة من جميع البلاد فقتلوا رجالي و نهبوا اموالي و هذا شرح حالي ثم ان التاجر بكى بين يدي الملك رومزان و حوقل و اشتكى فرحمه الملك ورق اليه وكذلك رحمه ابن اخيه الملك كان ما كان و حلفوا انهم يخرجون

Digitized by Google

ونفت عنهـا الشرور والاحزان حتى وصلت الى الملك الزبلكان وسلمت عليه واعلمته بما جرى من الاتفاق وان الملك رومزان ظهر انه عمها وعم كان ماكان وحين اقبلت عليه وجدته باكي العين خائفا على الامراء والاعيان فشرحت له القصة من اولها الى آخرها فزادت افراحهم وزالت اتراحهم وركب الملك الزبلكان هو وجميع الاكابر والاعيان وسارت قدامهم الملكة قضى فكان حتى اوصلتهم الى سرادق الملك رومزان فلما دخلوا عليه وجدوه جالسا مع ابن اخيه السلطان كان ماكان وقد استشاره هو والوزير دندان في امر الملك الزبلكان فاتفقوا على انهم يسلمون اليه مدينة دمشق الشام ويتركونه ملكا عليها كمـا كان مثل العـادة وهم يدخلون الى العراق فجعلوا الملك الزبلكان عاملا على دمشق الشام ثم امروه بالتوجه اليها فتوجه بعساكره اليهـا ومشوا معه سـاعة لاجل الوداع وبعـد ذلك رجعوا الى مكانهم ثم نادوا في العسكر بالرحيـل الى بلاد العراق واجتمـع العسكران مع بعضهم ثم ان الملوك قالوا لبعضهم ما بقيت قلوبنـا تستريح ولا يشفى غيظنا الا باخذ الثأر وكشف العار بالا نتقام من العجوز شواهي الملقبة بذات الدواهي فعند ذلك سار الملك رومزان مع خواصه وارباب دولته وفرح السلطـان كان ماكان بعمه الملك رومزان ودعا للجـارية مرجانة حيث عرفتهم ببعضهم ثم ساروا ولم يزالوا سـائرين حتى وصلوا الى ارضهم فسمع بهم الحاجب الكبير ساسان فطلع وقبل يد الملك رومزان فخلع عليه ثم ان الملك رومزان جلس واجلس ابن اخيه السلطان كان ما كان الى جانبه فقال كان ماكان الى عمه الملك رومزان يا عم ما يصلح هذا الملك الا لك فقال له معاذ الله

Digitized by Google

الجارية مرجانة التفاتة فرأت الخرزة الثالثة بعينها رفيقة الخرزتين اللتين كانتا مع الملكة ابريزة في رقبة السلطان كان ماكان فعرفتها فصاحت صيحة عظيمة دوى لها الفضاء وقالت للملك يا ولدي اعلم انه قد زاد في تلك الساعة صدق يقيني لان هذه الخرزة التي في رقبة هذا الاسير نظير الخرزة التي وضعتها في عنقك وهي رفيقتها وهذا الاسير هو ابن اخيك وهو كان ماكان ثم ان الجارية مرجانة التفتت الى كان ماكان وقالت له ارني هذه الخرزة يا ملك الزمان فنزعها من عنقه وناولها لتلك الجارية داية الملك رومزان فاخذتها منه ثم سألت نزهة الزمان عن الخرزة الثالثة فاعطتها لها فلما صار الخرزتان في يد الجارية ناولتها للملك رومزان فظهر له الحق والبرهان وتحقق انه عم السلطان كان ماكان وان اباه الملك عمر بن النعمان فقام من وقته وساعته الى الوزير دندان وعانقه ثم عانق الملك كان ماكان وعلا الصياح بكثرة الافراح وفي تلك الساعة انتشرت البشائر ودقت الكاسات والطبول وزمرت الزمور وزادت الافراح وسمع عساكر العراق والشام ضجيج الروم بالافراح فركبوا عن آخرهم وركب الملك الزبلكان وقال في نفسه يا ترى ما سبب هذا الصياح والسرور الذي في عسكر الافرنج والروم واما عسكر العراق فانهم قد اقبلوا وعلى القتال هولوا وصاروا في الميدان ومقام الحرب والطعان فالتفت الملك رومزان فرأى العساكر مقبلين وللحرب متهيئين فسأل عن سبب ذلك فاخبروه بالخبر فامر قضي فكان ابنة اخيه شركان ان تسير من وقتها وساعتها الى عسكر الشام والعراق وتعلمهم بحصول الاتفاق وان الملك رومزان ظهر انه عم السلطان كان ماكان فسارت قضي فكان بنفسها

استقلّيت بالمملكـــة اخبرتك وما امكنني ان اعلمك الا في هذا الوقت يا ملك الزمان وقد كشفت لك السر والبرهان وهذا ماعندي من الخبر وانت برأيك اخبر وكان الاسارى قد سمعوا من الجارية مرجانة داية الملك هذا الكلام جميعه فصاحت نزهة الزمان من وقتها وساعتها صيحة وقالت هذا الملك رومزان اخي من ابي عمر بن النعمان وامه الملكة ابريزة بنت الملك حردوب ملك الروم وانا اعرف هذه الجارية مرجانة حق المعرفة فلمـــا سمع الملك رومزان هذا اخذته الحدة وصار متحيرا في امره واحضـــر في وقته وســـاعته نزهة الزمان بين يديه فلما رآها حنّ الدم للدم واستخبرها عن قصته فحكت له القصة فوافق كلامها كلام دايته مرجانة فصح عند الملك انه من اهل العراق من غير شك ولا ارتياب وان اباه الملك عمر بن النعمـــان فقام من تلك الساعة وحلّ كتاف اختـــه نزهة الزمان فقدمت اليه وقبلت يديه ودمعت عيناها فبكى الملك لبكائهـــا واخذته حنية الاخوّة ومال قلبه الى ابن اخته السلطان كان ما كان وقام ناهضـــا علي قدميه واخذ السيف من يد السياف فايقن الاسارى بالهلاك لمـــا رأوا منه ذلك فامر باحضـــارهم بين يديه وفك وثاقهم وقال لدايتـــه مرجانة اشرحي حديثك الذي شرحتـــه لي لهؤلاء الجماعة فقالت دايته مرجانة اعلم ايها الملك ان هذا الشيخ هـــو الوزير دندان وهولي اكبـــر شا هد لانـــه يعرف حقيقة الامر ثم انها اقبلت عليهم من وقتها وساعتها وعلى من حضـــرهم من ملـــوك الروم وملوك الافرنج وحدثتهم بذلك الحديث والملكة نزهة الزمان والوزير دندان ومن معهما من الاسارى يصدقونها على ذلك وفي آخر الحديث لاحت من

ASHMOLEAN OXFORD
Digitized by Google

الثانية لاخيك ضوء المكان واعطى الثالثة لاخيك الملك شركان فاخذتها منه الملكة ابريزة وحفظتها لك فلما قربت ولادتها اشتاقت امك الى اهلها واطلعتنى على سرها فاجتمعت بعبد اسود يقال له الغضبان واخبرته بالخبر سرا ورغبته في ان يسافر معنا فاخذنا العبد وطلع بنا من المدينة وهرب بنا وكانت امك قدقربت ولادتها فلما دخلنا على اوائل بلادنا في مكان منقطع اخذ امك الطلق بولادتك فحدث العبد نفسه بالخنا فاتى فلما قرب منها راودها عن الفاحشة فصرخت عليه صرخة عظيمة وانزعجت منه فمن عظم انزعاجها وضعتك حالا وكان في تلك الساعة قد طلع في البرمن ناحية بلادنا غبار قد علا وطار حتى سد الاقطار فخشي العبد على نفسه الهلاك فضرب الملكة ابريزة بسيفه فقتلها من شدة غيظه وركب جواده وتوجه الى حال سبيله وبعد ماراح العبد انكشف الغبار عن جدك الملك حردوب ملك الروم فراى امك ابنته وهي في ذلك المكان قتيلة وعلى الارض جديلة فصعب ذلك عليه وكبر لديه وسألني عن سبب قتلها وعن سبب خروجها خفية من بلاد ابيها فحكيت له جميع ذلك من الاول الى الآخر وهذا هو سبب العداوة بين اهل بلاد الروم وبين اهل بلاد بغداد فعند ذلك احتملنا امك وهي قتيلة ودفناها وقد احتملتك انا وربيتك وعلقت لك الخرزة التي كانت مع الملكة ابريزة ولما كبرت وبلغت مبلغ الرجال لم يمكنني ان اخبرك بحقيقة الامر لانني لو اخبرتك بذلك لثارت بينكم الحروب وقد امرني جدك بالكتمان ولاقدرة لي على مخالفة امر جدك الملك حردوب ملك الروم فهذا سبب كتمان الخبر عنك وعدم اعلامك بان اباك الملك عمر بن النعمان فلما

Digitized by Google

عليه و قالت له بلسان الافرنج كيف يطيب عليك ان تقتل ابن اخيك و اختك و ابنة اختك فلما سمع الملك من دايته هذا الكلام اغتاظ غيظا شديدا و قال لها يا ملعـــونة الم تعلمي ان امي قد قتلت و ان ابي قدمات مسمـــوما و اعطيتني خرزة و قلت لي ان هذه الخرزة كانت لابيك فلم لاتصدقيني فى الحديث فقالت له كل ما اخبرتك به صدق ولكن شاني و شانك عجيب و امري وامرك غريب فانني انا اسمي مرجانة و اسم امك ابريزة و كانت ذات حسن و جمـال و شجاعتها تضرب بهـــا الامثال و اشتهرت بالشجاعة بين الابطال و اما ابوك فانه الملك عمر بن النعمان صاحب بغداد و خراسان من غير شك ولاريب ولارجـــم غيب وكان قدارسل ولده شركان الى بعض غزواته صحبة هذا الوزير دندان وكان منهـــم الذي قدكان وكان اخوك الملك شركان تقدم على الجيوش وانفرد وحده عن عسكره فوقع عند امك الملكة ابريزة في قصرها ونزلنا واياها في خلوة للصراع فصادفنا ونحن على تلك الحالة فتصارع مع امك وغلبته لباهر حسنها و شجاعتها ثم استضافته امك مدة خمسة ايام في قصرها فبلغ ابوها ذلك الخبر من امه العجوز شواهي الملقبة بذات الدواهي وكانت امك قداسلمت على يد شركان اخيك فاخذها وتوجه بها الى مدينة بغداد سرّا وكنت انا وريحانة وعشرون جارية معهـــا وكنا قد اسلمنا كلنا على يد الملك شركان فلمـــا دخلنا على ابيك الملك عمر بن النعمان ورأى امك الملكة ابريزة وقع في قلبه محبتها فدخل عليها ليلة واختلى بهـــا فحملت بك وكان مع امك ثلث خرزات فاعطتهم لابيك فاعطى خرزة لابنته نزهة الزمان واعطى

Digitized by Google

بالموت لما امر باحضارهم و قالوا لبعضهم انه ما ارسل الينا الّا لانه يريد قتلنا و بعد ان اطمانوا قال لهم الملك اني رايت منا ما و قصصته على الرهبان فقالوا ما يفسره لك الاالوزير دندان فقال له الوزير خيـــرا رأيت يا ملك الزمان فقال له ايها الوزير رأيت اني في حفرة على صفة بئر اسود وكان اقواما يعذبونني فاردت القيام فلما نهضت وقعت على اقدامي و ما قدرت على الخروج من تلك الحفـــرة ثم التفت فرأيت فيهـــا منطقـــة من ذهب فمددت يدي لآخذها فلما رفعتها من الارض رأيتها منطقتين فشددت وسطي بهما فاذا هما قد صارتا منطقة و احدة و هذا ايها الوزير منامي والذي رايته في الليل احلامي فقال له الوزير دندان اعلم يا مولانا السلطان ان رويا ك تدل على ان لك اخا او ابن اخ اوابن عم اواحدا يكون من اهلك من دمك ولحمك وعلى كل حال هو من العصب فلما سمع الملك هذا الكلام نظر الى كان ماكان ونزهة الزمان وقضى فكان والوزير دندان و من معهم من الاسارى و قال في نفسه اذا رميت وقاب هؤلاء انقطعت قلوب عسكرهم بهلاك اصحابهم و رجعت الى بلادي عن قريب لئلا يخرج الملك من يدي ولما صمم على ذلك استدعى بالسياف و امره ان يضرب رقبة كان ماكان من وقته و ساعته و اذا بداية الملك قدا قبلت في تلك الساعة فقالت له ايها الملك السعيد على ماذا عولت فقال لهـــا عولت على قتل هؤلاء الاسارى الذين في قبضتي وبعد ذلك ارمي رؤسهم الى اصحابهم ثم احمل انا و اصحابي عليهم جملة واحدة فنقتل الذي نقتله و نهزم الباقي و تكون هذه وقعة الانفصال و ارجع الى بلادي عن قريب قبل ان يحدث بعد الامور امور في مملكتي فعند ما سمعت منـــه دايته هذا الكلام اقبلت

Digitized by Google

استقلّيت بالمملكـــة اخبرتك وما امكنني ان اعلمك الا في هذا الوقت يا ملك الزمان وقد كشفت لك السر والبرهان وهذا ماعندي من الخبر وانت برأيك اخبر وكان الاسارى قد سمعوا من الجارية مرجانة داية الملك هذا الكلام جميعه فصاحت نزهة الزمان من وقتها وساعتها صيحة وقالت هذا الملك رومزان اخي من ابي عمر بن النعمان وامه الملكة ابريزة بنت الملك حردوب ملك الروم وانا اعرف هذه الجارية مرجانة حق المعرفة فلمـــا سمع الملك رومزان هذا أخذته الحدة وصار متحيرا في امره واحضـــر في وقته وســـاعته نزهة الزمان بين يديه فلما رآها حنّ الدم للدم واستخبرها عن قصته فحكت له القصة فوافق كلامها كلام دايته مرجانة فصح عند الملك انه من اهل العراق من غير شك ولا ارتياب وان اباه الملك عمر بن النعمـــان فقام من تلك الساعة وحلّ كتاف اختـــه نزهة الزمان فقدمت اليه وقبلت يديه ودمعت عيناها فبكى الملك لبكائهـــا واخذته حنية الاخوّة ومال قلبه الى ابن اخته السلطان كان ما كان وقام ناهضـــا علي قدميه واخذ السيف من يد السياف فايقن الاسارى بالهلاك لمـــا رأوا منه ذلك فامر باحضـــارهم بين يديه وفك وثاقهم وقال لدايتـــه مرجانة اشرحي حديثك الذي شرحتـــه لي لهؤلاء الجماعة فقالت دايته مرجانة اعلم ايها الملك ان هذا الشيخ هـــو الوزير دندان وهولي اكبـــر شا هد لانـــه يعرف حقيقة الامر ثم انها اقبلت عليهم من وقتها وساعتها وعلى من حضـــرهم من ملـــوك الروم وملوك الافرنج وحدثتهم بذلك الحديث والملكة نزهة الزمان والوزير دندان ومن معهما من الاسارى يصدقونها على ذلك وفي آخر الحديث لاحت من

ASHMOLEAN OXFORD
Digitized by Google

الثانية لاخيك ضوء المكان واعطى الثالثة لاخيك الملك شركان فاخذتها منه الملكة ابريزة وحفظتها لك فلما قربت ولادتها اشتاقت امك الى اهلها واطلعتنى على سرها فاجتمعت بعبد اسود يقال له الغضبان واخبرته بالخبر سرا ورغبته في ان يسافر معنا فاخذنا العبد وطلع بنا من المدينة وهربْ بنا وكانت امك قدقربت ولادتها فلما دخلنا على اوائل بلادنا في مكان منقطع اخذ امك الطلق بولادتك فحدث العبد نفسه بالخنا فاتى فلما قرب منها راودها عن الفاحشة فصرخت عليه صرخة عظيمة وانزعجت منه فمن عظم انزعاجها وضعتك حالا وكان في تلك الساعة قد طلع في البرمن ناحية بلادنا غبار قد علا وطار حتى سد الاقطار فخشي العبد على نفسه الهلاك فضرب الملكة ابريزة بسيفه فقتلها من شدة غيظه وركب جواده وتوجه الى حال سبيله وبعد ماراح العبد انكشف الغبار عن جدك الملك حردوب ملك الروم فراى امك ابنته وهي في ذلك المكان قتيلة وعلى الارض جديلة فصعب ذلك عليه وكبر لديه وسألني عن سبب قتلها وعن سبب خروجها خفية من بلاد ابيها فحكيت له جميع ذلك من الاول الى الآخر وهذا هو سبب العداوة بين اهل بلاد الروم وبين اهل بلاد بغداد فعند ذلك احتملنا امك وهي قتيلة ودفناها وقد احتملتك انا وربيتك وعلقت لك الخرزة التي كانت مع الملكة ابريزة ولما كبرت وبلغت مبلغ الرجال لم يمكنني ان اخبرك بحقيقة الامر لانني لو اخبرتك بذلك لثارت بينكم الحروب وقد امرني جدك بالكتمان ولاقدرة لي على مخالفة امر جدك الملك حردوب ملك الروم فهذا سبب كتمان الخبر عنك وعدم اعلامك بان اباك الملك عمر بن النعمان فلما

Digitized by Google

عليه و قالت له بلسان الافرنج كيف يطيب عليك ان تقتل ابن اخيك و اختك و ابنة اختك فلما سمع الملك من دايته هذا الكلام اغتاظ غيظا شديدا و قال لها يا ملعـــونة الم تعلمي ان امي قد قتلت و ان ابي قدمات مسمـــوما و اعطيتني خرزة و قلت لي ان هذه الخرزة كانت لابيك فلم لاتصدقيني فى الحديث فقالت له كل ما اخبرتك به صدق ولكن شاني و شانك عجيب و امري وامرك غريب فانني انا اسمي مرجانة و اسم امك ابريزة و كانت ذات حسن و جمـال و شجاعتها تضرب بهـــا الامثال و اشتهرت بالشجاعة بين الابطال و اما ابوك فانه الملك عمر بن النعمان صاحب بغداد و خراسان من غير شك ولاريب ولارجـــم غيب وكان قدارسل ولده شركان الى بعض غزواته صحبة هذا الوزير دندان وكان منهـــم الذي قدكان وكان اخوك الملك شركان تقدم على الجيوش وانفرد وحده عن عسكره فوقع عند امك الملكة ابريزة في قصرها ونزلنا واياها في خلوة للصراع فصادفنا ونحن على تلك الحالة فتصارع مع امك وغلبته لباهر حسنها و شجاعتها ثم استضافته امك مدة خمسة ايام في قصرها فبلغ ابوها ذلك الخبر من امه العجوز شواهي الملقبة بذات الدواهي وكانت امك قداسلمت على يد شركان اخيك فاخذها و توجه بها الى مدينة بغداد سرّا وكنت انا وريحانة وعشرون جارية معهـــا وكنا قد اسلمنا كلنا على يد الملك شركان فلمـــا دخلنا على ابيك الملك عمر بن النعمان ورأى امك الملكة ابريزة وقع في قلبه محبتها فدخل عليها ليلة واختلى بهـــا فحملت بك وكان مع امك ثلث خرزات فاعطتهم لابيك فاعطى خرزة لابنته نزهة الزمان واعطى

Digitized by Google

بالموت لما أمر باحضارهم و قالوا لبعضهم انه ما ارسل الينا الّا لانه يريد قتلنا و بعد ان اطمانوا قال لهم الملك اني رايت منا ما و قصصته على الرهبان فقالوا ما يفسره لك الاالوزير دندان فقال له الوزير خيـــرا رأيت يا ملك الزمان فقال له ايها الوزير رأيت اني في حفرة على صفة بئر اسود وكان اقواما يعذبونني فاردت القيام فلما نهضت وقعت على اقدامي و ما قدرت على الخروج من تلك الحفـــرة ثم التفت فرأيت فيهـــا منطقـة من ذهب فمددت يدي لآخذها فلما رفعتها من الارض رأيتها منطقتين فشددت وسطي بهما فاذا هما قد صارتا منطقة و احدة و هذا ايها الوزير منامي والذي رايته في الليل احلامي فقال له الوزير دندان اعلم يا مولانا السلطان ان رويا ك تدل على ان لك اخا او ابن اخ اوابن عم اواحدا يكون من اهلك من دمك ولحمك وعلى كل حال هو من العصب فلما سمع الملك هذا الكلام نظر الى كان ماكان ونزهة الزمان وقضى فكان والوزير دندان و من معهم من الاسارى و قال في نفسه اذا رميت رقاب هؤلاء انقطعت قلوب عسكرهم بهلاك اصحابهم و رجعت الى بلادي عن قريب لئلا يخرج الملك من يدي ولما صمم على ذلك استدعى بالسياف و امره ان يضرب رقبة كان ماكان من وقته و ساعته و اذا بداية الملك قد اقبلت في تلك الساعة فقالت له ايها الملك السعيد على ماذا عولت فقال لهـــا عولت على قتل هؤلاء الاسارى الذين في قبضتي وبعد ذلك ارمي رؤسهم الى اصحابهم ثم احمل انا واصحابي عليهم جملة واحدة فنقتل الذي نقتله و نهزم الباقي و تكون هذه وقعة الانفصال و ارجع الى بلادي عن قريب قبل ان يحدث بعد الامور امور في مملكتي فعند ما سمعت منـــه دايته هذا الكلام اقبلت

Digitized by Google

فخرجت وهي لا تعقل ولا تنتظر شيأ حتي دخلت فى الساعة التي نام فيها وهمت باكون عليه تريد ذبحه فلما استيقظه قال لامه لقد جئت يا امي في وقت طيب وداد تي باكون حاضرة عندى في تلك الليلة ثم انه التفت الى باكون وقال لها بحياتي عليك هل تعرفين حكاية احسن من الحكايات التي حدثتني بها فقالت له الجارية واين ماحدثتك به سابقا مما احدثك به الآن فانه اعذب ولكن احكيه لك في غير هذا الوقت ثم قامت باكون وهي لا تصدق بالنجاة فقال لها مع السلامة ولمحت بمكرها ان امه عندها خبر بما حصل فذهبت الى حالها فعند ذلك قالت له والدته يا ولدي هذه ليلة مباركة حيث نجاك الله تعالى من هذه الملعونة فقال لها وكيف ذلك فاخبرته بالامر من اوله الى آخره فقال لها يا والدتي ان الحي ما له قاتل وان قتل لايموت ولكن الاحوط لنا اننا نرحل من عند هؤلاء الاعداء والله يفعل ما يريد فلما اصبح الصباح خرج كان ماكان من المدينة واجتمع بالوزير دندان وبعد خروجه حصلت امور بين الملك ساسان ونزهة الزمان او جبت خروج نزهة الزمان ايضا من المدينة فاجتمعت بهم واجتمع عليهم جميع ارباب دولة الملك ساسان الذين يميلون اليهم فجلسوا يدبرون الحيلة فاجمع رأيهم على غزو ملك الروم واخذ الثار ثم توجهوا الى غزو الروم ووقعوا في اسر الملك رومزان ملك الروم بعد امور يطول شرحها كما يظهر من السياق فلما اصبح الصباح امر الملك رومزان ان يحضر كان ماكان والوزير دندان وجماعتهما فحضروا بين يديه واجلسهم بجانبه وامر باحضار الموائد فاحضرت فاكلوا وشربوا واطمأنوا بعد ان ايقنوا

Digitized by Google

الغلمان واجلسوه علي المرتبة وصاروا يكبسونه حتى غلب عليه النوم فلما نام راى في حضنه صبية فباسها ووضعها بين فخذيه وجلس منها مجلس الرجل من المرأة وقبض ذكره بيده وسحبها عنده وعصرها تحته واذا بواحد يقول له انتبه يا زليط قد جاء الظهر وانت نائم ففتح عينه فوجد روحه على الحوض البارد وحوله جماعة يضحكون عليه وايره قائم والفوطة انحلت من وسطه وتبين له ان كل هذه اضغاث احلام وتخيلات حشيش فاغتم ونظر الى الذي نبّهه وقال كنت اصبر حتى احطه فقال له الناس اما تستحي يا حشاش وانت نائم وذكرك قائم وصكوه حتى احمر قفاه وهو جيعان وقد ذاق طعم السعادة وهو في المنام فلما سمع كان ماكان من الجارية هذا الكلام ضحك حتى استلقى على قفاه وقال لباكون يا دادتي ان هذا حديث عجيب فاني ما سمعت مثل هذه الحكاية فهل عندك غيرها فقالت له نعم ثم ان الجارية باكون لم تزل تحدث كان ماكان بمخارف حكايات ونوادر مضحكات حتى غلب عليه النوم ولم تزل تلك الجارية جالسة عند راسه حتى مضى غالب الليل فقالت في نفسها هذا وقت انتهاز الفرصة ثم نهضت وسلّت الخنجر ووثبت على كان ما كان وارادت ذبحه واذا بام كان ماكان دخلت عليهما فلما راتها باكون قامت لها واستقبلتها ثم لحقها الخوف فصارت تنتفض كانها اخذتها الحمى فلما راتها ام كان ماكان تعجبت ونبّهت ولدها من النوم فلما استيقظ وجدامه جالسة فوق راسه وكان السبب في حياته مجيئها وسبب مجيء امه اليه ان قضى فكان سمعت الحديث والاتفاق على قتله فقالت لامه يا زوجة عمي الحقي ولدك قبل ان تقتله العاهرة باكون واخبرتها بما جرى من اوله الى آخره

Digitized by Google

في منه فانقلب على الرخام و خيل له الحشيش ان مهتارا كبيرا يكبسه وعبدين واقفان على راسه واحد معه الطاسة والآخر معه آلة الحمام وما يحتاج اليه البلان فلما راى ذلك قال في نفسه كان هؤلاء غلطوا فيّ او من طائفتنا الحشاشين ثم انه مدّ رجليه فتخيل له ان البلان قال له يا سيدى قد ازف الوقت على طلوعك واليوم نوبتك فضحك وقال في نفسه ما شاء الله يا حشيش ثم قعد وهو ساكت فقام البلان و اخذ بيده وادار علي وسطه ميزرا من الحرير الاسود ومشى العبدان وراءه بالطاسات والحوائج ولم يزالوا به حتى ادخلوه الخلوة واطلقوا فيها البخور فوجدها ملأنة من سائر الفواكه والمشموم وشقوا له بطّيخة واجلسوه على كرسي من الابنوس ووقف البلان يغسله والعبدان يصبان الماء ثم دلكوه دلكا جيدا وقالوا له يا مولانا الصاحب نعيم دائم ثم خرجوا وردوا عليه الباب فلما تخيل ذلك قام ورفع الميزر من وسطه وصار يضحك الى ان غشي عليه و استمر ساعة يضحك ثم قال في نفسه ما بالهم يخاطبونني خطاب الوزير ويقولون يا مولانا الصاحب ولعل الامر التبس عليهم في هذه الساعة و بعد ذلك يعرفونني و يقولون هذا زليط و يشبعون صكّا في رقبتي ثم انه استحمى وفتح الباب فتخيل ان مملوكا صغيرا وطواشيا قد دخلا عليه فالمملوك معه بقجة ففتحها واخرج منها ثلث فوط من الحرير فرمى الاولى على راسه والاخرى على اكتافه وحزمه بالثالثة وقدم له الطواشي قبقابا فلبسه واقبلت عليه مماليك وطواشية و صاروا يسندونه وكل ذلك حصل وهو يضحك الى ان خرج وطلع الليوان فوجد فرشا عظيما لا يصلح الا للملوك وتبادرت اليه

Digitized by Google

قضي فكان وكان في تلك الليلة قد تذكر بنت عمه قضي فكان فالتهبت من حبها في قلبه النيران فبينما هو كذلك واذا بالجارية باكون داخلة عليه وهي تقول آن اوان الوصال ومضت ايام الانفصال فلما سمعت ذلك قال لها كيف حال قضى فكان فقالت له باكون اعلم انها مشتغلة بحبك فعند ذلك قام كان ما كان اليها وخلع اثوابه عليها ووعدها بكل جميل فقالت له اعلم اني انام عندك الليلة واحدثك بما سمعت من الكلام واسليك بحديث كل متيم امرضه الغرام فقال لها كان ماكان حدثيني بحديث يفرح به قلبي ويزول به كربي فقالت له باكون حبا وكرامة ثم جلست الى جانبه وذلك الخنجر من داخل اثوابها فقالت له اعلم ان اعذب ما سمعت اذني ان رجلا كان يعشق الملاح وصرف عليهن ماله حتى افتقر وصار لا يملك شيأ فضاقت عليه الدنيا فصار يمشي في الاسواق ويفتش على شيء يقتات به فبينما هو ماش واذا بقطعة مسمار فكتته في اصبعه فسال دمه فقعد ومسح الدم وعصب اصبعه ثم قام وهو يصرخ حتى جاز على الحمام ودخلها ثم قلع ثيابه فلما صار داخل الحمام وجدها نظيفة فجلس على الفسقية وما زال ينزح الماء على راسه الى ان تعب وادرك شهز زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والاربعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد انه جلس على الفسقية وما زال ينزح الماء على راسه الى ان تعب فخرج الى الحوض البارد فلم يجد احدا فاختلى بنفسه وطلع قطعة حشيش وبلعها فساحت

Digitized by Google

اِنَّهُ حَقٌّ رُتْبَتِي تَجِدْهُ ... يَنِيلُكَ اِنْ دَنَوْتَ وَاِنْ تَبَاعَدْ
وَلَا تَقُلِ الَّذِي تَدْرِيهِ فِيهِ ... تَكُنْ مِمَّنْ عَنِ الْحُسْنَى تَقَاعَدْ
فَكَمْ فِي الْخِدْرِ اَبْهَى مِنْ عَرُوسٍ ... وَلٰكِنْ لِلْعَرُوسِ الدَّهْرُ سَاعَدْ

فلما سمع ساسان منها هذا الكلام وفهم الشعر والنظام قام مغضبا من عندها وقال لولا ان قتلك عار وشنار لعلوت بالسيف راسك واخمدت انفاسك فقالت حيث غضبت مني فانا امزح معك ثم وثبت اليه وقبّلت راسه ويديه وقالت له الصواب ماتراه وسوف اتدبر انا وانت في حيلة نقتله بها فلما سمع منها هذا الكلام فرح وقال لها عجّلي بالحيلة وفرّجي كربتي فلقد ضاق عليّ باب الحيل فقالت له سوف اتحيّل لك على اتلاف مهجته فقال لها بايّ شيء فقالت له بجاريتنا التي اسمها باكون فانها في المكر ذات فنون وكانت هذه الجارية من انحس العجائز وعدم الخبث في مذهبها غير جائز وكانت قد ربت كان ماكان وقضى فكان غيران كان ماكان يميل اليها كثيرا ومن فرط ميله اليها كان ينام تحت رجليها فلما سمع الملك ساسان من زوجته هذا الكلام قال ان هذا الرأي هو الصواب ثم احضر الجارية باكون وحدّثها بما جرى وامرها ان تسعى في قتله ووعدها بكل جميل فقالت له امرك مطاع ولكن اريد يامولاي ان تعطيني خنجرا قد سقي بماء الهلاك لاعجّل لك باتلافه فقال لها ساسان مرحبا بك ثم احضر لها خنجرا يكاد ان يسبق القضاء وكانت هذه الجارية قد سمعت الحكايات والاشعار وتحفظ النوادر والاخبار فاخذت الخنجر وخرجت من الدار مفكرة فيما يكون به الدمار واتت الى كان ماكان وهو قاعد ينتظر وعد السيدة

Digitized by Google

فيه يتحدثون ثم قام كان ما كان الى ساسان و قال له هل بقي في قلبك مني امر تكرهه قال ساسان لا والله ثم اتفقوا على انهم يرجعون الى بغداد فقال صباح البدوي انا اسبقكما لا بشر الناس فسبق يبشر النساء والرجال فخرجت اليه الناس بالدفوف والمزامير و برزت قضى فكان وهي مثل البدر بهيّ الانوار في دياجي الاعتكار فقابلها كان ما كان وخفت الارواح للارواح واشتاقت الاشباح للاشباح ولم يبق لاهل العصر حديث الا في كان ماكان و شهد له الفرسان انه اشجع اهل الزمان و قالوا لا يصح ان يكون سلطانا علينا الا كان ماكان و يعود اليه ملك جده كما كان واما ساسان فانه دخل على نزهة الزمان فقالت له اني ارى الناس ليس لهم حديث الّا في كان ماكان و يصفونه باوصاف يعجز عنها اللسان فقال لها ليس الخبر كالعيان فاني رايته ولم ار فيه صفة من صفات الكمال وما كل ما يسمع يقال ولكن الناس يقلّد بعضهم بعضا في مدحه ومحبته واجرى الله على السنة الناس مدحه حتى مالت اليه قلوب اهل بغداد والوزير دندان الغادر الخوّان وقد جمع له عساكر من سائر البلدان ومن الذي يكون مالك الاقطار و يرضى ان يكون تحت يد حاكم يتيم ماله مقدار فقالت له نزهة الزمان وعلى ما ذا عوّلت فقال لها عولت على قتله ويرجع الوزير دندان خائبا في قصده ويدخل تحت امري وطاعتي ولا يبقى له الاّ خدمتي فقالت له نزهة الزمان ان الغدر قبيح بالاجانب فكيف بالاقارب والصواب ان تزوجه ابنتك قضى فكان وتسمع ما قيل فيما مضى من الزمان

إِذَا رَفَعَ الزَّمَانُ عَلَيْكَ شَخْصًا وَكُنْتَ أَحَقَّ مِنْهُ وَلَوْ تَصَاعَدْ

غصب ملكي ظلمـــا و عدوانا مع ان ذلك المـــلك كان لابي وجدّي من قبلي فاستولى عليه قهـــرا بعد موت ابي ولم يعتبرني لصغرسني فنذرت انني لا آكل لاحد زادا حتى اشفي فؤادي من غريمي فقال له الشاب ابشر فقد وفى الله نذرك و اعلم انه مسجون في مكان و اظنه ان يموت قريبا فقال له كان ماكان في ايّ بيت هو معتقل فقال له في تلك القبة العالية فنظر كان ماكان الى قبة عالية ورأى الناس في تلك القبة يدخلون و على سا سان يلطمون و هو يتجرّع غصص المنـــون فقام كان ما كان و مشى حتى وصل الى تلك القبة و عاين ما فيها ثم عاد الى موضعه و قعد على الاكل و اكل ما تيسر و وضع ما بقي من اللحم في مزوده ثم جلس في مكانه ولم يزل جالسا الى ان اظلم الليل و نام الشاب الذي ضيّفه ثم ذهب كان ماكان الى القبة التي فيها سا سان وكان حولها كلاب يحرسونها فوثب له كلب من الكلاب فرمى له قطعة لحم من الذي في مـــزوده وما زال يرمي للكلاب لحما حتى وصل الى القبة وتوصل الى ان صار عند الملك سا سان و وضع يده على راسه فقال له بصوت عال من انت فقال انا كان ما كان الذي سعيت في قتله فاوتعك الله في سوء تدبيرك أمَا يكفيك اخذ ملكي وملك ابي وجدي حتى تسعى في قتلي فحلف سا سان الايمان الباطلة انه لم يسع في قتله و ان هذا الكـــلام غير صحيح فصفح عنه كان ماكان و قال له اتبعني فقال لا اقدر ان اخطو خطـــوة واحدة لضعف قوتي فقال كان ما كان اذا كان الامر كذلك نأخذ لنـــا فرسين ونـــركب انا و انت و نطلب المـــر ثم فعل كما قال و ركب هو و سا سان و سارا الى الصباح ثم صلوا الصبح وساروا ولم يزالوا كذلك حتى وصلوا الى بستان فجلسوا

Digitized by Google

من بغداد ليرسل وراءه من يقتله فاتفق انه خرج الى الصيد والقنص و خرج صباح معه لانه كان لا يفارقه ليلا ولا نهارا فاصطاد عشر غزالات وفيهن غزالة كحلاء العيون صارت تتلفت يمينا وشمالا فاطلقها فقال له صباح لاي شيء اطلقت هذه الغزالة فضحك كان ما كان واطلق الباقي و قال له ان من المروة اطلاق الغزالات التي لها اولاد وما تتلفت تلك الغزالة الّا لان لها اولادا فاطلقتها و اطلقت الباقي في كرامتها فقال له صباح اطلقني حتى اروح الى اهلي فضحك و ضربه بعقب الرمح على قلبه فوقع على الارض يلتوي كالثعبان فبينما هما كذلك و اذا بغبرة ثائرة و خيل تركض و بان من تحتها فرسان و شجعان و سبب ذلك ان الملك ساسان اخبره جماعة ان كان ما كان خرج الى الصيد و القنص فارسل اميرا من الديلم يقال له جامع و معه عشرون فارسا و دفع لهم المال ثم امرهم ان يقتلوا كان ما كان فلما قربوا منه حملوا عليه و حمل عليهم فقتلهم عن آخرهم و اذا بالملك ساسان ركب وسار ولحق بالعسكر فوجدهم مقتولين فتعجب و رجع و اذ باها اليها قبضوا عليه وشدوا وثاقه ثم ان كان ما كان توجه بعد ذلك من ذلك المكان و توجه معه صباح البدوي فبينما هو سائر اذرأى في طريقه شابا على باب دار فالقى كان ما كان عليه السلام فرد الشاب عليه السلام ثم دخل الدار و خرج و معه قصعتان احدهما فيها لبن والثانية فيها ثريد والسمن في جوانبها يموج و وضع القصعتين قدام كان ماكان و قال له تفضّل علينا بالاكل من زادنا فامتنع كان ما كان من الاكل فقال له الشاب مالك ايها الانسان لا تاكل فقال له كان ما كان انه عليّ نذر فقال له الشاب وما سبب نذرك فقال له كان ما كان اعلم ان الملك ساسان

Digitized by Google

اقاربه وقد علمتم بما فعل الوزير دندان فانه جحد معروفي بعد الاحسان و خانني في الايمان و بلغني انه جمع عساكر البلدان و قصد ان يسلطن كان ما كان لان السلطنة كانت لابيه وجده ولا شك انه قاتلي بلامحالة فلما سمع خواص مملكته منه هذا الكلام قالوا له ايها الملك انه اقل من ذلك ولولا اننا علمنا بانه تربيتك لم يقبل عليه منا احد و اعلم اننا بين يديك ان شئت قتله قتلناه و ان شئت بعده ابعدناه فلما سمع كلامهم قال ان قتله هو الصواب و لكن لابد من اخذ الميثاق فتحالفوا على انهم لا بد ان يقتلوا كان ما كان فاذا اتى الوزير دندان سمع بقتله تضعف قوته عما هو عازم عليه فلما اعطوه العهد والميثاق على ذلك اكرمهم غاية الاكرام ثم دخل بيته وقد تفرق عنه الرؤساء و امتنعت العساكر من الركوب والنزول حتى يبصروا ما يكون لانهم رأوا غالب العسكر مع الوزير دندان ثم ان ذلك الخبر وصل الى قضى فكان فحصل عندها غم زائد و ارسلت الى العجوز التي عادتها ان تاتيها من عند ابن عمها بالاخبار فلما حضرت عندها امرتها ان تذهب اليه و تخبره بالخبر فلما وصلت اليه العجوز سلمت عليه ففرح بها و اخبرته بالخبر فلما سمع ذلك قال بلغي بنت عمي سلامي و قولي لها ان الارض لله عز وجل يورثها من يشاء من عباده وما احسن قول القائل

اَلْمُلْكُ لِلّٰهِ مَنْ يَظْفَرْ بِنَيْلِ مُنًى ... يُرْدِدْهُ نَهْرًا وَتَضْمَنْ نَفْسُهُ الدَّرَكَا
لَوْ كَانَ لِيْ اَوْ لِغَيْرِيْ قَدْرُ اَنْمِلَةٍ ... مِنَ الْبَسِيْطَةِ كَانَ الْاَمْرُ مُشْتَرَكَا

فرجعت العجوز الى بنت عمه و اخبرتها بما قاله و اعلمتها بان كان ما كان اقام في المدينة ثم ان الملك سان سان صار ينتظر خروجه

Digitized by Google

عليه و طعنه في صدره فاطلع السنان من ظهره و جمع الخيل و الاسلاب و صاح فى العبيد دونكم والسوق الشديد فنزل عند ذلك صباح و جاء الى كان ما كان و قال له احسنت يا فارس الزمان اني دعوت لك و قد استجاب ربي دعائي ثم ان صباحا قطع راس كهرداش فضحك كان ما كان و قال له ويلك يا صباح كنت اظن انك فارس الحرب والكفاح فقال له لا تنس عبدك من هذه الغنيمة لعلي اصل بسببها الى زواج بنت عمي نجمة فقال له لابد لك فيها من نصيب و لكن كن محافظا على الغنيمة والعبيد ثم ان كان ما كان سار متوجها الى الديار و لم يزل سائرا بالليل والنهار حتى اشرف على مدينة بغداد و علمت به جميع الاجناد و رؤا ما معه من الغنيمة والاموال و راس كهرداش على رمح صباح وعرف التجار راس كهرداش ففرحوا و قالوا لقد اراح الله الخلق منه لانه كان قاطع الطريق وتعجبوا من قتله ودعوا لقاتله واتت اهل بغداد الى كان ما كان يسألون بماجرى له من الاخبار فاخبرهم بماجرى فهابته جميع الرجال وخافته الفرسان والابطال و ساق ما معه الى ان اوصله تحت القصر وركز الرمح الذي عليه راس كهرداش الى باب القصر و وهب للناس و اعطاهم الخيل والجمال فاحبّه اهل بغداد و مالت اليه القلوب ثم اقبل على صباح و انزله في بعض الاماكن الفساح و اعطاه شيأ من الغنيمة ثم دخل على امه و اخبرها بما جرى له في سفره و قد وصل الى الملك خبره فقام من مجلسه و اختلى بخواصه و قال لهم اعلموا اني اريد ان ابوح لكم بسرّي و ابدي لكم مكنون امري اعلموا ان كان ما كان هو الذي يكون سببا لانقلاعنا من هذه الاوطان لانه قتل كهرداش مع انه له قبائل من الاكراد والاتراك وامرنا معه آيل الى الهلاك و اكثر جيشنا من

Digitized by Google

فقال لكان ما كان قد وهبت لك دمك ودم اصحابي فخذ من المال ما شئت واذهب الى حال سبيلك فقد رحمتك لحسن ثباتك والحيوة اولى بك فقال له كان ما كان لا عدمت مروة الكرام ولكن اترك عنك هذا الكلام وفزبنفسك ولا تخش الملام ولا تطمع نفسك في رد الغنيمة واسلك لنجاة نفسك طريقة مستقيمة فعند ذلك اشتد بكهرداش الغضب وحصل عنده ما يوجب العطب فقال لكان ما كان ويلك لو عرفت من انا ما نطقت بهذا الكلام في حومة الزحام فاسأل عني فانا الاسد البطاش المعروف بكهر داش الذي نهب الملوك الكبار وقطع الطريق على جميع السفّار واخذ اموال التجار وهذا الحصان الذي تحتك طلبتي واريدان تعرفني كيف وصلت اليه حتى استوليت عليه فقال اعلم ان هذا الجواد كان سائرا الى عمي الملك ساسان وقائدته عجوز كبيرة ومعها عشرة عبيد يخدمونها وانت تعديت عليها واخذته منها ولنا عندها ثار من جهة جدي الملك عمر بن النعمان وعمي الملك شركان فقال كهرداش ويلك ومن ابوك لا ام لك فقال اعلم اني كان ما كان ابن ضوء المكان ابن عمر بن النعمان فلما سمع كهرداش هذا الخطاب قال لا يستنكر عليك الكمال والجمع بين الفروسية والجمال ثم قال له توجّه بامان فان اباك كان صاحب فضل علينا واحسان فقال له كان ما كان انا والله ما اوقرّك يا مهان حتى اقهرك في حومة الميدان فاغتاظ البدوي ثم حمل كل منهما على صاحبه وتصايحا فسدت لهما الخيل آذانها ورفعت اذنا بها ولم يزالا يصطدمان حتى ظن كل منهما ان السماء قد انشقت ثم بعد ذلك تقاتلا ككباش النطاح واختلفت بينهما طعنات الرماح فحاوله كهر داش بطعنة فزاغ عنها كان ما كان ثم كرّ

Digitized by Google

كان ما كان هذا الكلام صارت نيران غيظه في اضطرام ونادى ويلك يا كلب الا عجام دع عنك فاتنًا وما به ترتاب و تقدم الى الطعن والضراب فعن قريب تبقى على التراب ثم انه جال وصال ومدّ واستطال فلما نظره كهرداش علم انه فارس همام وبطل ضرغام و تبين له خطأ ظنه حيث لاح له عذار اخضر فوق خده كآس نبت خلال ورد احمر فهاب من كرّته و قال للذين معه ويلكم ليحمل واحد منكم عليه ويظهر له السيف البتار و الرمح الخطار واعلموا ان قتال الجماعة للواحد عارو لوكان فارسا شجاعا وترسا مناعا فعند ذلك حمل عليه فارس ضيغم وتحته جواد ادهم بتحجيل وغرة كالدرهم يحيّر العقل والناظر كانه الا بجر الذي كان لعنتر كما قال فيه الشاعر

قَدْ جَاءَكَ الْمُهْرُ الَّذِي نَزَلَ الْوَغَى ... جَزْلَانَ يَخْلِطُ أَرْضَهُ بِسَمَائِهِ
وَكَأَنَّمَا لَطَمَ الصَّبَاحُ جَبِينَهُ ... وَاقْتَصَّ مِنْهُ فَخَاضَ فِي أَحْشَائِهِ

فحمل على كان ما كان و ابتدر وتجا ولا فى الحرب برهة من الزمان وتضار باضربا يحيّر الافكار و يعشى الابصار فسبقه كان ما كان بضربة بطل شجاع فقطت منه العمامة والمغفر والى راسه وصلت فمال عن الجواد كانه البعير اذا انحدر ثم تقدم اليه الثاني وحمل عليه وكذا الثالث و الرابع والخامس ففعل بهم كالاول ثم حملت عليه الباقون و قد اشتد بهم القلق وزادت بهم الحرق فما كان الّا ساعة حتى التقطهم بسنان رمحه فلما نظر كهرداش الى هذه الفعال خاف من الارتحال وعرف ان عنده ثبات الجنان واعتقد انه اوحد الابطال والفرسان

Digitized by Google

سمع الفارس ذلك الكلام نظر اليه فوجده فارسا كالاسد الضرغام الّا ان وجهه كالقمر الطالع ليلة اربعة عشر والشجاعة تلوح بين عينيه وكان ذلك الفارس هوا لمقدم على المائة فارس واسمه كهرداش فلما راى الى كان ماكان مع كمال فروسيته بديع المحاسن يشبه حسنه حسن معشوقة له يقال لها فاتن وكانت من اجمل النساء وجها قد اعطاها الله من الحسن والجمال وكرم الخصال ومن كل معنى لطيف ما يعجز عن وصفه اللسان ويشغل قلب كل انسان وكانت فرسان القوم تخشى سطوتها وابطال ذاك القطر تخاف من هيبتها وحلفت انها لا تتزوج ولا تملك نفسها الّا من يقهرها وكان كهرداش من جملة خطّابها فقالت لا بيها ما يقربني الّا من يقهرني فى الميدان وموقف الحرب والطعان فلما بلغ كهرداش هذا القول اختشى ان يقاتل جارية وخاف من العار فقال له بعض خواصه انت كامل الخصال فى الحسن والجمال فلو قاتلتها وكانت اقوى منك فانك تغلبها لانها اذا رأت حسنك وجمالك تنهزم قدامك حتى تملكها لان النساء لهن غرض فى الرجال ولا يخفى عنك هذه الاحوال فابى كهرداش وامتنع من قتالها واستمرّ على امتناعه من القتال الى ان جرت له مع كان ماكان هذه الافعال فظن انه محبوبته فاتن فهاب وقد عشقته لما سمعت بحسنه وشجاعته فتقدم الى كان ما كان وقال ويلك يا فاتن قد اتيتني لتريني شجاعتك فانزلي عن جوادك حتى اتحدث معك فاني قد سقت هذه الاموال وخنت الرفيق وقطعت الطريق على الفرسان والابطال كل هذا لحسنك وجمالك الذي ما له مثيل وتزوجيني حتى تخدمك بنات الملوك وتصيري ملكة هذه الاقطار فلما سمع

Digitized by Google

والبقر والغنم والخيل قدّامه فتبادرت اليه العبيد بالسيوف الصقال والرماح الطوال وفي اوائلهم فارس تركي الّا انه شديد الحرب والكفاح عارف باعمال سمر القناوبيض الصفاح فحمل على كان ماكان وقال له ويلك لو علمت لمن هذا المال ما فعلت هذه الفعال اعلم ان هذه الاموال للعصابة الرومية والابطال البحرية والفرقة الجركسية الذين ما فيهم الّا كل بطل عابس وهم مائة فارس الذين خرجوا من طاعة كل سلطان وقد سرق منهم حصان وحلفوا ان لا يرجعوا من هنا الّا به فلما سمع كان ماكان هذا الكلام صاح قائلا يا لئام هذا هو الحصان الذي تعنون وانتم له طالبون وفي قتالي بسببه راغبون فبارزوني كلكم اجمعون وشانكم وما تريدون ثم صرخ بين اذني القاتول فخرج عليهم مثل الغول وصار كان ماكان عطف على الفارس فطعنه ورماه واخرج كلاه ومال على ثان وثالث ورابع اعدمهم الحياة فعند ذلك هابته العبيد فصاح عليهم يا اولاد الزواني سوقوا المال والخيول والاخضبت من دمائكم سناني فساقوا المال وخذوا في الانطلاق فانحدر اليه صباح واعلن بالصياح وزادت به الافراح واذا بغبار طلع وطار حتى سد الاقطار وبان من تحته مائة فارس مثل الليوث العوابس فهرب صباح وطلع على اعلى الرابية وترك البطاح وصار يتفرج على الكفاح وقال ما انا فارس الّا في اللعب والمزاح ثم ان المائة فارس احاطوا بكان ماكان ودار وابه من كل جانب ومكان فتقدم اليه فارس منهم وقال له الى اين تمضي بهذا المال فقال له كان ماكان آخذه واذهب به واحرمك منه فدونك والقتال واعلم ان من دونه اسد اروع وبطل سميدع وسيف اينما مال قطع فلما

Digitized by Google

الاّ على قدر نيته وبعد فراقك بساعة حصلت لي السعادة وهل لك ان تأتي معي وتخلص النية في صحبتي وتسافر معي في هذه البرية فقال ورب الكعبة مابقيت انا اديك الاّ مولاي ثم جرى قدام الجواد وسيفه على عاتقه وجرابه بين كتفيه وكان ماكان وراءه واستغرقوا في البر اربعة ايام وهما يأكلان من صيد الغزلان ويشربان من ماء العيون وفي اليوم الخامس اشرفا على تلّ عال تحته مرابع وغدير سياح فيها ابل وبقر وغنم وخيول ملأت الروابي والبطاح واولادها الصغار تلعب حول المراح فلما راى ذلك كان ماكان زادت به الافراح وامتلأ صدره بالانشراح وعوّل على القتال ليأخذ النياق والجمال فقال لصباح انزل بنا على هذا المال الذي عن اهله وحيد وقاتل معى القريب والبعيد حتى يكون لنا في اخذ المال نصيب فقال صباح يا مولاي ان اصحاب هؤلاء خلق كثيرون وفيهم ابطال من فرسان ورجال وان رمينا ارواحنا في هذا الخطب الجسيم فاننا تكون من هوله على خطر عظيم وما يرجع احد منا لا هله سليما وينخرم من ابنة عمه يتيما فضحك كان ماكان وعلم انه جبان فتركه وانحدر من الرابية عازما على شنّ الغارات وصاح وترنّم وانشد بهذه الابيات

وَآلِ نُعْمَانَ نَحْنُ ذُو الْهِمَمِ ... وَالسَّادَةُ الضَّارِبُوْنَ فِي الْقُمَمِ
قَوْمٌ اِذَا مَا الْهِيَاجُ قَامَ لَهُمْ ... قَامُوْا بِأَسْوَاقِهِ عَلَى قَدَمِ
تَنَامُ عَيْنُ الْفَقِيْرِ بَيْنَهُمُ ... وَلَا يَرَى قُبْحَ صُوْرَةِ الْعَدَمِ
وَاِنَّنِي اَرْتَجِي مُعَاوَنَةً ... مِنْ مَالِكِ الْمُلْكِ بَارِئِ النَّسَمِ

ثم انه حمل على تلك النوق مثل الجمل الهائج وساق جميع الابل

Digitized by Google

لئلا يميلوا اليه وسوف ترين مايكون ثم تركها وخرج يدبر امر ملكه هذا ماكان من امر الملك سامان واما ماكان من امر كان ماكان فانه اقبل على امه في ثاني يوم وقال لها يا امي اني عزمت على شن الغارات وقطع الطرقات وسوق الخيل والنعم والعبيد والمماليك واذا كثر مالي وحسن حالي خطبت بنت عمي قضى فكان من عمي الملك سامان فقالت له يا ولدي ان اموال الناس غير سائغة لك لان دونها ضرب الصفاح وطعن الرماح ورجال تاكل السباع وتوحش البقاع وتقتنص الاسود وتصيد الفهود فقال لها كان ماكان هيهات ان ارجع عن عزيمتي الّا اذا بلغت منيتي ثم ارسل العجوز الى قضى فكان يعلمها انه سائر يتسبب لها مهرا يصلح لها وقال للعجوز لابد ان تسألها حتى تاتيني منها بجواب فقالت له سمعا وطاعة ثم ذهبت اليها ورجعت اليه بالجواب وقالت له انها تأتي اليك في نصف الليل فاقام سهرانا الى نصف الليل فاخذه القلق فلم يشعر الا وهي داخلة عليه وهي تقول روحي لك الفداء من السهر فنهض لها قائما وقال يامنية القلب روحي لك الفداء من جميع الاسواء ثم اعلمها بما عزم عليه فبكت فقال لها لاتبكي يا بنت العم فانا اسأل الذي حكم علينا بالفراق ان يمنّ علينا بالتلاقي والوفاق ثم عوّل كان ماكان على السفر ودخل على امه وودّعها ونزل من القصر وتقلّد بسيفه وتعمّم وتلثّم وركب جواده القاتول وشق المدينة وهو كالبدر حتى وصل الى باب بغداد واذا برفيقه صباح بن رملح خارج من المدينة فلما رآه جرى في ركابه وحياه فرد عليه السلام فقال له صباح يا اخي كيف صار لك هذا الجواد وهذا السيف والثياب وانا الى الآن لا املك غير سيفي وترسي فقال له كان ماكان ما يزجح الصياد بصيد

يَا مُدَّعِي طُرُقَ الْمَحَبَّـــــةِ فِي الْمَوَدَّةِ وَالْغَـــرَامِ
وَاللّٰهِ يَا بْنَ الْعَمِّ مَـــا رَقَدَتْ عُيُونُ الْمُسْتَهَـــامِ

فلما سمع كان ماكان ذلك من بنت عمه استحى منها وقام واعتذر اليها وتعانقا وتشاكيا الم الفراق ولم يزالا كذلك الى ان طلع الفجر وانتشر في الآفاق فعزمت قضى فكان على الذهاب فعنـــد ذلك بكى كان ماكان وصعد الزفرات وانشد يقول هذه الابيـات

فَيَا زَائِرِي مِنْ بَعْدِ فَرْطِ صُدُودِهِ وَفِي الثَّغْرِ مِنْهُ الدُّرُّ فِي نَظْمِ عِقْدِهِ
فَقَبَّلْتُهُ أَلْفًـــا وَعَانَقْتُ قَدَّهُ وَبِتُّ وَخَدِّي لَاصِقٌ تَحْتَ خَدِّهِ
إِلَى أَنْ أَتَى الصُّبْحُ الْمُفَرِّقُ بَيْنَنَا كَحَدِّ حُسَامٍ لَاحَ مِنْ جَوْفِ غِمْدِهِ

فلما فرغ من شعـــره ودّعته قضى فـــكان ورجعت الى خدرها فاطلعت على سرّها بعض الجـــواري فذهبت جارية منهن الى الملك فاعلمت الملك ساسان فتوجه اليهـــا ودخل عليها وجرّد عليها الحسام واراد ان يقتلهـــا فدخلت عليه امهـــا نزهة الزمان وقالت له بالله لا تفعل بها ضررا فانك ان فعلت بها ضررا يشيع الخبر بين الناس وتبقى معيرة عند ملـــوك الزمان واعلم ان كان ماكان ما هو ولدزنا وانها تربت معه وانه صاحب عرض ومروة ولا يفعل امرا يعاب عليه فاصبر ولا تعجل فان اهل القصر وجميع اهل بغداد قد شاع عندهم خبر الوزير دندان انه قاد العســـاكر من جميع البلدان وجاء بهم ليملكوا كان ماكان فقال لهـــا والله لا بدان ارميه في بلية بحيث لاارض تقلّـه ولا سمـــاء تظلّه واني ما انعمت عليه وطيبت خاطره الا لاجل اهل مملكتي ودولتي

Digitized by Google

فاني لا امضي اليهـا ولا ادخل بهذا الكلام عليها فلمـا سمع من امه ذلك اخبرها بما قاله السلال من ان العجوز ذات الدواهي طرقت بلادهم و قصدها ان تدخل بغداد و هي التي قتلت عمي وجدى ولا بد اني آخذ الثار و اكشف عنا العـار ثم ترك امه و اقبل على عجوز نحس عاهرة ماكرة محتـالة اسمهـا سعد انة و شكى اليها حاله وما يجده من حب بنت عمه قضى فكان و سألها ان تمضي اليها و تستعطفها عليه فقالت له العجوز السمع والطـاعة ثم انها فارقته و ذهبت الى قصر قضى فكان و استعطفت قلبها عليه ثم عادت اليه و اعلمته بان قضى فكان تسلم عليك ووعدتها لك انها في نصف الليل تأتي اليك و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المـبـاح

فلما كانت الليلة الثانية والاربعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العجوز لما اتت الى كان ما كان واخبرته ان بنت عمك تسلم عليك وهي تاتي اليك هذه الليلـة في نصف الليل ففرح كان ماكان وجلس ينتظر انجـاز وعد بنت عمه قضى فكان فمـا كان نصف الليل الا وهي اتته بملاءة سوداء من الحرير و دخلت عليه ونبهته من نومه وقالت له كيف تدعي انك تحبني وانت خلي البال نائم على احسن الحال فانتبه وقال والله يا منية القلب اني ما نمت الا طمعا في خيال منك يطرقني فعند ذلك عاتبته بلطيف الكلمـات وانشدت تقول هذه الابيـات

لَوْ كُنْتَ تَصْدُقُ فِي الْمَحَبَّـةِ * مَا جَنَحْتَ إِلَى الْمَنَـام

Digitized by Google

في بغداد ولاقوه و مشوا بين يديه الى القصر يقبلون الاعتاب و دخلت الجواري و الطواشية الى امه فبشروها بقدومه فاقت اليه و قبلته بين عينيه فقال يا اماه دعيني امضي الى عمي الملك ساسان الذي عمرني بالنعمة والاحسان هذا و قد تحيرت عقول اهل القصر والدولة في حسن ذلك الحصان و قالوا ما ملك مثل هذا الانسان قد خل كان ما كان الى الملك ساسان و سلم عليه فقام له فقبل كان ما كان يديه و رجليه و قدم له الحصان هدية فرحب به و قال له اهلا و سهلا بولدي كان ما كان والله لقد ضاقت بي الدنيا لغيابك والحمد لله على سلامتك فدعا له كان ما كان ثم نظر الملك الى هذا الحصان المسمى بالقاتول فعرف انه الحصان الذي كان رآه من سنة كذا و كذا في حصار عبدة الصلبان مع ابيه ضوء المكان حين قتل عمه شركان و قال له لو قدر عليه ابوك لاشتراه بالف جواد و لكن الآن عاد العزالي اهله و قد قبلناه و منا لك و هبناه و انت احق به من كل انسان لانك سيد الفرسان ثم امر الملك ساسان ان يحضروا لكان ما كان الخلع و قاد له الخيول و افرد له في القصر اكبر الدور و اقبل عليه العز والسرور و اعطاه مالا جزيلا و اكرمه غاية الاكرام لانه كان يخشى عاقبة امر الوزير دندان ففرح بذلك كان ما كان و زال عنه الذل و الهوان و دخل بيته و اقبل على امه و قال يا امي كيف حال ابنة عمي فقالت والله يا ولدي ان شغلي بغيبتك شغلني عن كل احد حتى محبوبتك سيما هي كانت سببا لغيبتك و فرقتك فشكى اليها حاله و قال يا امي امضي اليها واقبلي عليها لعلها تجود علي بنظرة و تزيل عني هذه الحسرة فقالت له ان المطامع تذل رقاب الرجال فدع عنك ما يفضي الى الوبال

Digitized by Google

وَ اَمَّلْتُ اِنِّي اَنَالُ الْمُنَى ... بِذَاكَ الْحِصَانِ فَاَعْيَى مَسِيْرِي
وَطُوْلِ الْحَيٰوةِ اَسُلُّ الْخُيُوْلَ ... فَكَانَتْ وَفَاتِي عِنْدَ الْقَدِيْرِ
وَ آخِرُ اَمْرِيْ اِنِّي تَعِبْتُ ... لِرِزْقِ الْغَرِيْبِ الْيَتِيْمِ الْفَقِيْرِ

فلما فرغ من شعره غمض عينيه وفتح فاه وشهق شهقة ففارق الدنيا فقام كان ما كان وحفر له حفرة وواراه في التراب ثم اتى الى الجواد فقبله ومسح وجهه وفرح فرحا شديدا وقال ما احد حظي بمثل هذا الحصان ولا هو عند الملك ساسان هذا ما جرى لكان ما كان واما ما كان من امر الملك ساسان فانه اتته الاخبار ان الوزير دندان خرج عن طاعة الملك ساسان هو ونصف العسكر وحلفوا ان مالهم ملك غير كان ما كان واستوثق الوزير من العسكر بالعهود والايمان ودخل بهم الى جزائر الهند والبربر وبلاد السودان واجتمع معهم عساكر مثل البحر الزاخر لا يعرف لهم اول من آخر وعزم الوزير ان يقصد بهم مدينة بغداد ويملك تلك البلاد ويقتل من خالفه من العباد واقسم على انه لا يرد سيف الحرب الى غمده حتى يملك كان ما كان فلما بلغته هذه الاخبار غرق في بحر الافكار وعلم ان الدولة انحرفت عليه الصغار والكبار فزاد به الغم وكثر عليه الهم وفتح الخزائن وفرق على ارباب دولته الاموال وتمنى ان كان ما كان يقدم عليه ويجذب قلبه اليه بالملاطفة والاحسان ويجعله اميرا على العساكر الذين لم يزالوا تحت طاعته لتطفى به شرارة جمرته ثم ان كان ما كان لما بلغه ذلك الخبر من التجار رجع مسرعا الى بغداد على ظهر ذلك الجواد فبينما الملك ساسان في اريكته حيران اذ سمع بقدوم كان ما كان فاخرج جميع العساكر ووجهاه بغداد لملاقاته فخرج كل من

Digitized by Google

لم اذق مناما ولا التذ بطعـــام وقد ضعفت منى القوى وهانت عليّ الدنيا وانت احسنت اليّ و شفقت عليّ واراك عارى الجسـد ظاهر الكمد ويلوح عليك اثر النعمة فمن انت و من اين اقبلت والى اين تريد فقلت له انا اسمي كان ماكان ابن الملك ضوء المكان ابن الملك عمربن النعمان قد مات والدى و تربيت يتيما وتولّى بعده رجل لئيم وصار ملكا على الحقير و العظيم ثم حدّثه بحديثه من اوّله الى آخره فقال له السلال وقد رق له والله انك ذو حسب عظيم وشرف جسيم وسيكون لك شان وتصير افرس اهل هذا الزمان فان قدرت ان تحملني وانت راكب ورائي وتؤدّيني الى بلادي يكن لك الشرف فى الدنيا و الاجر في يوم التنـادي فانه ما بقي لي قوة امسك بها نفسي وان كانت الاخرى فانت بالجواد اولى من غيرك فقال له كان ماكان والله لو قدرت احملك على اكتافي اوانا سمك همري لفعلت من غير هذا الجواد لاني من اهل المعروف واغاثة الملهوف وفعل الخير لوجه الله تعالى يدفع سبعين بلاء عن صاحبه فاعزم على المسير و توكل على اللطيف الخبير فارادان يحمـــله على الحصان و يسير متوكلا على الله المستعان فقال له اصبر عليّ قليلا فغمض عينيه وفتح يديه وقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله وقال يا عظيم اغفرلي الذنب العظيم فانه لايغفر الذنب العظيم الا العظيم وتهيّأ للممات وانشد هذه الا بيـــات

ظَلَمْتُ الْعِبَـادَ وَطُفْتُ الْبِلَادَ ... وَاَمْضَيْتُ عُمْرِي بِشُرْبِ الْخُمُوْر
وَخُضْتُ السُّيُوْلَ لِسَلِّ الْخُيُوْلِ ... وَهَدْمِ الطُّلُـــوْلِ بِفِعْلِ النُّكُوْر
وَاَمْرِي عَظِيْمٌ وَجُرْمِي جَسِيْم ... وَقَاتُـوْلُ مِنِّي تَمَـــامُ الْاُمُوْر

Digitized by Google

عليه الى ان وصلوا الى تلك البلاد وخفت ان يدخلوا مدينة بغداد فبينما انا اشاور نفسي في مرتقة الحصان اذ طلع عليهم غبار حتى سد الاقطار فانكشف ذلك الغبار عن خمسين فارسا مجتمعين لقطع الطريق على التجار و مقدمهم بطل كأنه الضيغم الهراش يقال له كهرداش ولكنه فى الحرب كاسد يجعل الابطال كالفراش وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والاربعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الفارس المجروح قال لكان ماكان فخرج على العجوز ومن معها كهرداش واطبق عليهم وصاح بهم وهاش وماكان الا ساعة حتى ربط العشرة عبيد والعجوز وتسلّم منهم الحصان وساربهم فرحان فقلت في نفسي ضاع تعبي وما بلغت اربي ثم صبرت حتى انظر مايؤل اليه الامر فلما رأت العجوز نفسها فى الاسر بكت وقالت للمقدم كهرداش ايها الفارس الهمام والبطل الضرغام ماذا تصنع بالعجوز والعبيد وقد بلغت من الحصان ماتريد ثم انها خادعته بلين الكلام و حلفت انها تسوق له الخيل والانعام فاطلق العبيد و اطلقها ثم سار هو و اصحابه وتبعتهم حتى وصلوا الى هذه الديار وانا الاحظه و اتبعه فلما وجدت اليه سبيلا سرقته وركبته و اخرجت من ملاتي سوطا وضربته فلما احسّوا بي لحقوني واحاطوا بي من كل مكان ورموني بالسهام والسنان و انا ثابت عليه وهو يقاتل عني بيديه ورجليه الى ان اخرج بي من بينهم مثل السهم الراشق والنجم الطارق ولكن لما اشتد الكفاح اصابني بعض الجراح وقد مضى لي على ظهره ثلثة ايام

Digitized by Google

وقد اقتعد ظهره وارخى عنانه فاستوى كان ماكان جالسا وبعد ساعة وصل اليه الفارس وهو في آخر نفس وقد يقن بالفناء لانه كان به جرح بالغ فلما وصل اليه جرى دمعه على خده مثل انواء الغرب وقال لكان ماكان يا وجه العرب اتّخذني ما عشت لك صديقا فانك لا تجد مثلي واسقني قليلا من الماء وان كان شربُ المـــاء لا يصلح للمجروح سيما وقت خروج الدم والروح وان عشت دفعت لك ما يجبر كسرك وفقرك وان مت فانت المسعود بحسن نيتك وكان تحت ذلك الفارس جواد من جياد الحصان يكل عن وصفه اللسان وله قوائم مثل اعمدة الرخام فلما نظر اليه كان ماكان والى ذلك الحصـــان اخذه الهيمان وقال في نفسه ان مثل هذا الحصان لا يوجد في هذا الزمان ثم انه انزل الفارس ورفق به وجرّعه يسيرا من الماء وصبر عليه حتى اخذ الراحة واقبل عليه وقال له من الذي فعـــل بك هذه الفعال فقال الفارس انا اخبرك بحقيقة الحال انا رجل ســـلال غيار طول دهري اسلّ الخيل واختلسها في الليل والنهار وانا يقال لي غسّان آفة كل حجرة وحصان وقد سمعت بهذا الحصان في بلاد الروم عند الملك افريدون وقد سماه بالقاتول ولقّبه بالمجنون وقد كنت سافرت الى القسطنطينية من اجله وصرت اراقبه فبينما انا كذلك اذ خرجت عجوز معظمة عنـــد الروم وامرها عندهم نافذ تسمى شواهي ذات الدواهي وهي في الخداع متناهي ومعها هذا الجواد وصحبتهـــا عشرة عبيد لاغير وهم برسم خدمتهـــا والحصان وقصدت هي بغداد وخراسان وتريد الدخول على الملك ساسان لتطلب منه الصلح والامان فخرجت في اثرهم طمعا في الحصان وما زلت تابعهم ولا اقدر اصل اليه لان العبيد شداد الحـــرص

Digitized by Google

حتى لا يشتغل خاطرك ولا خاطرهم عليك وتتعوق عن عرس ابنة عمك فتضجّر صباح وبكى وصاح وقال لاتفعل يا فارس الزمان واطلقني واجعلني لك من بعض الغلمان ثم بكى واشتكى وانشد يقول شعر

تَغَرَّبْتُ عَنْ اَهْلِي فَيَاطُوْلَ غُرْبَتِي ... وَبَالَيْتَ شِعْرِي هَلْ اَمُوْتُ غَرِيْبًا
اَمُوْتُ وَاَهْلِي لَيْسَ يَعْرِفُ مَقْتَلِي ... وَاَوْدَى غَرِيْبًا لَا اَزُوْرُ حَبِيْبًا

فرحمه كان ماكان وقال له تعاهدني بالعهود والمواثيق على انك تكون لي نعم الرفيق وتصحبني في كل طريق فقال نعم وعاهده على ذلك فاطلقه كان ماكان فقام صباح وارادان يقبل يد كان ماكان فمنعه من ذلك فقام البدوى وفتح جرابه واخرج منه ثلث قرصات شعير ووضعها قدام كان ماكان وجلس هو واياه على حافة النهر واكل الاثنان مع بعضهما ولما فرغا من الاكل توضأا وصلّيا وجلسا يتحدثان على مالقياه من اهلهما ومن صروف الزمان فقال له كان ماكان الى اين تعزم فقال صباح عزمي الى بغداد بلدك اقيم بها حتى يرزق الله لي بالصداق فقال له دونك والطريق وها انا هنا فودعه البدوي وطلب طريق بغداد وقام كان ماكان وقال في نفسه يا نفسي اىّ وجه للرجوع مع الفقر والفاقة فوالله لا ارجع خائبا ولا بذلي من الفرج ان شاء الله تعالى ثم تقدم الى النهر وتوضأ وصلى فلما سجد وضع جبهته على التراب نادى ربه وقال اللهم منزل القطر ورازق الدود فى الحجر اسألك ان ترزقني بقدرتك ولطيف رحمتك ثم سلم من صلوته وضاق به كل مسلك فبينما هو جالس يلتفت يمينا وشمالا واذا بفارس اقبل على جواد

Digitized by Google

في بطنه فصاح امسك يدك يا غلام فلم يلتفت الى ما ابداه من الكلام بل هزّه ورفعه من الارض وقصد به النهر ليرميه فيه فناداه البدوي يا ايها البطل ما الذي عزمت عليه فقال اريدان ارميك في هذا النهر فهو يعبربك الي الدجلة والدجلة تدخل بك الي نهر عيسى ونهر عيسى يوصلك الى الفرات والفرات يلقيك الى بلادك فيراك قومك فيعرفونك ويعرفون مروتك وصدق محبتك فصاح صباح ونادى يا فارس البطاح لاتفعل فعل القباح اطلقني بحيوة بنت عمك زينة الملاح فعند ذلك وضعه كان ما كان في الارض فلما راى نفسه خالصا اتى الى سيفه وترسه واخذهما وقعد يشاور نفسه في الغدر به والهجوم عليه فعرف كان ما كان من عينه ذلك فقال له قد عرفت ما في قلبك حيث ملكت سيفك وترسك ومالك في الصراع يدطويلة وانت عديم الحيل ولوكنت على فرس تجول وبسيفك عليّ تصول كنت من زمان مقتول وانا ابلغك ما تختار حتى لايبقى في قلبك انكار فاعطني الترس والهجم عليّ بسيفك فاما ان تقتلني واما ان اقتلك فقال له دونك هاهو ورمى له الترس وجرّد سيفه وهجم به على كان ما كان فتناول الترس بيمينه وصار يلاقي به عن نفسه وصار صباح يضربه ويقول له مابقي الا هذه الضربة الفاصلة فتخرج غير قاتلة وياخذها كان ما كان في الترس وتروح ضائعة ولا يضربه لان مامعه شيء يضرب به ولم يزل صباح يضربه بالسيف حتى كلّت يده وعرف خصمه منه ذلك فهجم عليه واحتضنه وهزّه والقاه في الارض وادار كتافه وكتّفه بحمائل سيفه وجرّه من رجليه وقصد به النهر فناداه صباح اي شيء تريد تصنع بي ايها الشاب وفارس الزمان وبطل الميدان فقال له الم اقل لك ان قصدي ان ارسلك الى اهلك وقومك في النهر

Digitized by Google

يطلبونك و اذا وجدوك عند احد فبالاموال الجزيلة يفدونك هيّا فادِر كتافك يا غلامي و امش قد امي فقال كان ما كان لا تفعل يا اخا العرب لان اهلي لا يشترونني بفضة ولا ذهب ولا بدرهم نحاس و انا رجل فقير ولا معي قليل ولا كثير فدع عنك هذه الاخلاق و اتخذني من الرفاق و اخرج بنا من ارض العراق لنجول في نواحي الآفاق لعلنا نظفر بالمهر والصداق و نحظى من بنات همّنا بالتقبيل والعناق فلما سمع صباح ذلك الكلام غضب و زاد به الاعجاب و الالتهاب و قال له و يلك اتُراددني في الجواب يا اخسّ الكلاب ادِر كتافك والا انزلت عليك العذاب فتبسّم كان ما كان وقال له كيف اديرلك الكتاف اما عندك انصاف اما تخشى معايرة العربان ان تسوق رجلا مثلي اسيرا في الذل والهوان و انت ما اختبرته في الميدان لتعلم هل هو فارس اوجبان فضحك صباح و قال يا لله العجب انك في سن الغلام و لكنك كبير الكلام لان هذا القول لايصدر الّا عن البطل المصدام فما تريد من انصاف فقال له كان ما كان ان كنت تريدني اسيرا معك و في خدمتك فارم سلاحك وخفف ثيابك وادن مني و صارعني فكل من صرع منّا صاحبه بلغ منه مرامه وجعله غلامه فضحك صباح وقال اظن ان كثرة كلامك تدل على قرب حمامك ثم نهض و رمى سلاحه و شمّر اذيا له ودنا من كان ما كان فدنا منه الآخر و تجاذبا فوجده البدوي يفوق عنه و يرجح عليه كما يرجح القنطار على الدينار و نظر الى ثبات رجليه في الارض فوجدهما كالمأذنتين المؤسّستين اوو تدين مدقوقين اوجبلين راسخين فعرف من نفسه قصر باعه و ندم على الدنو من صراعه وقال في نفسه ليتني قاتلته بسلاحي ثم ان كان ما كان قبض عليه و تمكّن منه و هزّه فحسّ البدوي ان امعاءه تقطعت

Digitized by Google

نجمه كل من رآها اتته النعمة و مات والدي و تربيّت عند عمي ابي نجمه فلما كبرت انا وكبرت بنت عمي حجبها عني و حجبني عنها لما رآني فقير الحال قليل المال فدخلت العرب الكبار وسادات القبائل و سقت عليه فاستحى منهم واجاب ان يعطيني بنت عمي ولكنه اشترط عليّ في مهرها خمسين راسا من الخيل وخمسين ناقة عشاريات وخمسين جملا محملة برّ ومثلها شعير و عشرة عبيد وعشر جوار وحملني ما لا اطيق واكثر عليّ في الصداق وهاانا مسافر من الشام الى العراق ولي عشرون يوما ما نظرت احدا سواك وعزمت اني ادخل بغداد و انظر من يخرج منها من التجار المياسير الكبار فاخرج في اثرهم و اغير على اموالهم و اقتل رجالهم و اسوق جمالهم واحمالهم فمن تكون انت من الناس فقال كان ما كان ان قصتك مثل قصتي غير ان مرضي اخطر من مرضك لان ابنة عمي بنت ملك واهلها لا يكفيهم مني ما ذكرت ولا يرضيهم شيء مثل هذا فقال صباح لعلّك مهبول او من كثرة العشق مخبول كيف تكون بنت عمك بنت ملك و انت ما عليك سيمة الملوك و ما انت الا صعلوك فقال يا وجه العرب لا تستغرب هذا الحال وما فات فات و ان شئت مني البيان فانا كان ما كان بن الملك ضوء المكان ابن الملك عمر بن النعمان صاحب بغداد و ارض خراسان وقد جار عليّ الزمان فمات والدي و تسلطن الملك ساسان و خرجت من بغداد خفية لئلا يراني انسان فها انا قد اوضحت لك البيان ولي عشرون يوما ما رايت احدا غيرك فقصتك مثل قصتي و حاجتك مثل حاجتي فلما سمع ذلك صباح صاح و افرحتي فاني بلغت منيتي وليس لي اليوم كسب غيرك لانك من ذرية الملوك و خرجت في زيّ صعلوك ولا بد انّ اهلك

Digitized by Google

فان لي سائرا في هذه البرية نحو عشرين يوما فلم ار شخصا ولم اسمع صوتا غير صوتك فلما سمع كان ما كان هذا الكلام قال في نفسه هذا قصته مثل قصتي فاني انا الآخر لي ايضا عشرون يوما و انا سائر لم ار شخصا ولا اسمع صوتا وقال في نفسه لم ارد عليه جوابا حتى يطلع النهار ثم سكت فناداه صاحب الصوت ايها الداعي ان كنت من الجان فاذهب بسلام و ان كنت انسيا فالبث مليّا حتى يطلع الفجر و النهار ويذهب الليل بالاعتكار ثم لبث المنادي مكانه ولبث كان ما كان مكانه ولم يزالا يتنا شدان الاشعار ويبكيان بالدموع الغزار حتى طلع ضوء النهـــار و ذهب الليل بالاعتكار فنظر اليه كان ما كان فوجده رجلا من عرب البادية الا انه شاب في سنه و عليه ثياب رثة متقلد بسيف صَدِئ في جفيره وآثار العشق عليه لائحة فاتى اليـــه و تقدم و سلّم عليه فردّ البدوي عليه السلام و حيّاه بالاكرام الّا انه احتقره لمـــا راى من صغر سنه و حالته حالة فقير فقال له يافتى من اىّ القوم انت و الى من تنسب من العربان و ما قصّتك و انت سائر فى الليل و هو فعل الابطال و قد كلمتني فى الليل كلاما لا يتكلم به الّا كل فارس همام و بطـــل ضرغام و الآن روحك في قبضتي و لكني ارحمك لصغر سنك فاجعلك رفيقي و تكـــون عندي برسم خدمتي فلما سمع كان ما كان فظاعة كلامه بعد ما ابداه من حسن نظامه علم انه احتقره و طمع فيه فقال له بكلام ليّن فصيح يا وجه العـرب دعنـــا من صغرسني و اخبرني عن سبب سيرك بالليل فى القفار و انشادك الاشعار و اراك تذكرانني اخدمك فمن تكـــون انت وما حملك على هذا المقال فقال له اسمع يا غلام انا صبـــاح ابن رماح بن همام و قومي من عرب الشام ولي بنت عم اسمهـــا

Digitized by Google

فلما سمع كان ماكان هذه الابيات هاجت به الاشجان وجرت دموعه على خده كالغدران وانطلق في قلبه لهيب النيران وقام ينظر قائل هذا الكلام فلم ير احدا في جنح الظلام فزاد وجده وفزع واخذه القلق ونزل من مكانه الى اسفل الوادي ومشى على شاطئ النهر فسمع صاحب الصوت يصعد الزفرات ويقول هذه الابيات شعر

إِنْ كُنْتَ تَضْمُرُ مَا فِي الْحُبِّ إِشْفَاقَا ... فَاطْلِقِ الدَّمْعَ يَوْمَ الْبَيْنِ إِطْلَاقَا
بَيْنِي وَبَيْنَ أَحِبَّائِي عُهُودُ هَوًى ... لِذَا إِلَيْهِمْ أَظَلُّ الدَّهْرَ مُشْتَاقَا
يَرْتَاحُ قَلْبِي إِلَيْهِمْ ثُمَّ يُطْرِبُنِي ... نَسِيمُ بَرْدٍ إِذَا مَا هَبَّ أَشْوَاقَا
يَا سَعْدُ هَلْ رَبَّةَ الْخَلْخَالِ تَذْكُرُلِي ... بَعْدَ الْبِعَادِ لَنَا عَهْدًا وَمِيثَاقَا
وَهَلْ تَعُودُ لَيَالِي الْوَصْلِ تَجْمَعُنَا ... يَوْمًا وَيَشْرَحُ كُلٌّ بَعْضَ مَا لَاقَا
قَالَتْ فُتِنْتَ بِنَا وَجْدًا فَقُلْتُ لَهَا ... كَمْ قَدْ فُتِنْتِ رَعَاكِ اللَّهُ عُشَّاقَا
لَا مَتَّعَ اللَّهُ طَرْفِي مِنْ مَحَاسِنِهَا ... إِنْ كَانَ مِنْ بَعْدِهَا طِيبُ الْكَرَى ذَاقَا
يَا لَسْعَةً فِي فُؤَادِي مَا رَأَيْتُ لَهَا ... سِوَى الْوِصَالِ وَرَشْفِ الثَّغْرِ تِرْيَاقَا

فلما سمع كان ماكان هذه الاشعار من صاحب ذلك الصوت ثاني مرّة ولم ير شخصه علم ان ذلك القائل عاشق مثله ومنع من الوصل الى من يحبّه فقال في نفسه هذا يصلح ان يضع راسه الى راسي واجعله انيسالي في هذه الغربة ثم تنحنح ونادى قائلا ايها السائر في الليل العاكر تقرّب مني وقصّ عليّ قصتك لعلّك ان تجدني معينا لك على بلّيتك فلما سمع صاحب الصوت ذلك الكلام نادى ايها المجيب لدعوتي والسامع لقصتي من تكون من الغرسان وهل انت من الانس او الجان عجّل عليّ بكلامك قبل دنوّ حمامك

Digitized by Google

اين يروح فسار فى البرّ ثلثة ايام وحده فلم ير راجلا ولا فارسا فطار رقاده وزاد سهاده وتفكر اهله وبلاده وصار يتقوت من نبات الارض ويشرب من انهارها ويقيل وقت الحرّ في كل قائلة تحت اشجارها ثم خرج من تلك الطريق الى طريق اخرى وسار فيها ثلثة ايام وفى اليوم الرابع اشرف على ارض معشبة الفلوات مخضبة النبات مليحة الجنبات وهذه الارض قد شربت من كاسات الغمام على اصوات الرعود والحمام فاخضرت جوانبها وطاب فلاها فتذكر كان ماكان بلاد ابيه بغداد فانشد من فرط ما هو فيه يقول

خَرَجْتُ وَفِي اَمَلِي عَوْدَةٌ ... وَلٰكِنَّنِي لَسْتُ اَدْرِي مَتَى
وَشَرَّدْتُ فِي حُبِّ مَنْ لَمْ اَجِدْ ... سَبِيلًا اِلَى دَفْعِ مَاقَدْ اَتَى

فلما فرغ من شعره بكى ثم مسح دموعه واكل من ذلك النبات ما يتقوت به وتوضأ وصلى ما فاته من الفرائض في هذه المدة وجلس يستريح ذلك اليوم بطوله في ذلك المكان فلما جاء الليل نام ولم يزل نائما الى نصف الليل ثم انتبه فسمع صوت انسان يقول هذه الابيات

مَا الْعَيْشُ اِلَّا اَنْ يَرَى لَكَ بَارِقٌ ... مِنْ ثَغْرِ مَنْ تَهْوَى وَوَجْهٌ رَائِقُ
صَلُّوا عَلَيْهَا فِي الدُّيُورِ اَسَاقِفٌ ... خَرُّوا اِلَيْهَا بِالسُّجُودِ تُسَابِقُ
وَالْمَوْتُ اَسْهَلُ مِنْ صُدُودِ حَبِيبِهِ ... لَمْ يَغْشَنِي مِنْهَا خَيَالٌ طَارِقُ
يَافَرْحَةَ النَّدْمَاءِ حَيْثُ تَجَمَّعُوا ... وَاَقَامَ مَعْشُوقٌ هُنَاكَ وَعَاشِقُ
لَاسِيَّمَا وَقْتَ الرَّبِيعِ وَزَهْرِهِ ... طَابَ الزَّمَانُ بِمَا اِلَيْهِ تُسَابِقُ
يَا شَارِبَ الصَّهْبَاءِ دُونَكَ هٰذِهِ ... اَرْضَ النَّعِيمِ وَمَاوُهَا يَتَدَفَّقُ

Digitized by Google

ثم انها امتنعت من الطعام والشراب وزادت في البكاء والانتحاب و صار بكاؤها على رؤس الاشهاد فابكت العباد والبلاد و صار الناس يقولون اين عينك يا ضوء المكان وشكوا تحامل الزمان وقالوا يا هل ترى ما جرى على كان ما كان حتى بعد عن وطنه وطرد من المكان وكان ابوه يشبع الجيعـــان و يامر بالعدل والامان وزادت امه في البكاء والأنان فوصل الخبر الى الملك سا سان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــــــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الموفية للاربعين بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الملك سا سان وصل اليه خبر كان ما كان من الامراء الكبار وقالوا له انه ولد ملكنا ومن ذريّة الملك عمر بن النعمان و قد بلغنا انه تغرّب عن الاوطان فلما سمع الملك سا سان كلامهم غضب عليهم و امر بشنق واحد منهم و علقه فوقعت هيبته في قلوب بقية الدولة و لم يقدر احد منهم ان يتكلم ثم ان سا سان تذكر ما صنعه معه ضوء المكان من الجميل و انه اوصاه به فحزن على كان ما كان وقال لا بد من التفتيش عليه في سائر البـــلاد ثم انه احضـــر تركاش وامره ان ينتخب مائة فارس و ياخذهم و يدور على كان ما كان فذهب و غـــاب عشـــرة ايام ورجع وقال لم اطلع له على خبر ولا وقفت له على اثر ولا احد اخبرني عنه بخبر فحزن الملك سا سان على ما فعل معه و اما امّه فانها صارت لايقرلها قرار ولايطاوعها اصطبار ومضى عليها عشـــرون يوما كبارا فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر كان ما كان فانه لما خرج من بغـــداد صار متحيرا في امره و لم يعلـــم

Digitized by Google

مَنْ رَامَ اَلْحِفَاظَ اَلْعُيُونِ مُعَارِضًا ... لِسُيُوفِهَا لَمْ يَنْجُ مِنْ عُدْوَانِهَا
سَأَسِيرُ اَرْضَ اللّٰهِ غَيْرَ مُقَصِّرٍ ... كَيْ اَنْ اَنَالَ اَلرِّزْقَ مِنْ حِرْمَانِهَا
سَأَسِيرُ فِي اَلْاَرْضِ اَلْوَسِيعَةِ مُنْقِذًا ... نَفْسِي وَاَمْنَحُهَا سِوَى حِرْمَانِهَا
وَاَعُودُ مَسْرُورَ اَلْفُؤَادِ مُنَعَّمًا ... وَاُقَاتِلُ اَلْاَبْطَالَ فِي مَيْدَانِهَا
وَلَصَوْفَ اَسْتَاقُ اَلْغَنَائِمَ عَائِدًا ... وَاَصُولُ مُقْتَدِرًا عَلَى اَقْرَانِهَا

ثم ان كان ما كان خرج من القصر حافيا ما شيا في قميص قصير الاكمام وعلى راسه لبدة لها سبعة اعوام وصحبته رغيف فاشف له ثلثه ايام وخرج في حندس الظلام واتي الى باب الارج ببغداد فوقف هناك ولما فتح باب المدينة كان اول من خرج منه كان ماكان وساح على وجهه في القفار ليلا ونهارا ولما اتى الليل طلبته امه فلم تجده ابدا فضاقت عليها الدنيا باتساعها ولم تلتذ بشيء من متاعها فانتظرته اول يوم وثاني يوم وثالث يوم الى ان مضى عشرة ايام فلم تقع له على خبر فضاق صدرها وصرخت وعيطت وقالت يا ولدي يا انيسي هيّجت احزاني لقد كان بي ماكفاني حتى بعدت عن اوطاني فلا اريد بعدك بطعام ولا التذ بمنام وما بقي لي الا البكاء والاحزان يا ولدي من اي البلاد اناديك واي بلد تاويك ثم صعدت الزفرات وانشدت تقول هذه الابيات

عَلِمْنَا بِأَنَّا بَعْدَ غَيْبَتِكُمْ نُبْلَى ... وَمَدَّتْ تُسِيُّ لِلْفِرَاقِ لَنَا نَبْلَا
وَقَدْ خَلَّفُونِي بَعْدَ شَدِّ رِحَالِهِمْ ... أُعَالِجُ كُرْبَ الْمَوْتِ اِذْ قَطَعُوا الرَّمْلَا
لَقَدْ هَتَفَتْ بِي جُنْحَ لَيْلٍ حَمَامَةٌ ... مُطَوَّقَةٌ نَاحَتْ فَقُلْتُ لَهَا مَهْلَا
لَعَمْرُكِ لَوْ كَانَتْ كَمِثْلِي حَزِينَةً ... لَمَا لَبِسَتْ طَوْقًا وَلَا خَضَبَتْ رِجْلَا
وَفَارَقَنِي اِلْفِي فَلَا قَيْتُ بَعْدَهُ ... دَوَاعِيَ هَمٍّ لَا تُفَارِقُنِي اَصْلَا

Digitized by Google

و الصبر في كل الامور اجمل ولعل من قضى علينا بالفراق ان يمنّ لنا بالتلاق ثم انشدت تقول هذين البيتين

اَيَا بْنَ الْعَمِّ عِنْدِي مِنْ غَرَامِي ... كَا مْثَالِ الَّذِي قَدْ حَلَّ عِنْدَكْ
وَلٰكِنِّي كَتَمْتُ النَّاسَ وَجْدِي ... فَهَلَّا كُنْتَ اَنْتَ كَتَمْتَ وَجْدَكْ

فلما سمعت منها ام كان ما كان ذلك شكرتها و دعت لها و خرجت من عندها و اعلمت ولدها كان ما كان بذلك فزاد طمعه فيها وقويت نفسه بعد ان كان قطع يا سه وخمدت انفاسه وقال والله ما اريد سواها و انشد يقول شعر

دَعِ اللَّوْمَ لَا اَصْغِي اِلَى قَوْلِ لَائِمِ ... فَقَدْ بُحْتُ بِالسِّرِّ الَّذِي كُنْتُ كَاتِمَا
وَقَدْ غَابَ عَنِّي مَنْ اُرَجِّي وِصَالَهُ ... وَقَدْ سَهِرَتْ عَيْنِي وَقَدْ بَاتَ نَائِمَا

ثم مضت الايام والليالي وهو يتقلّب على جمر المقالي حتى مضى له من العمر سبعة عشر سنه وقد كمل حسنه و تمّ ظرفه فسهر ليلة من الليالي وحدث نفسه وقال مالي اسكت على نفسي حتى اذوب ولا ارى حبيبي ومالي عيب الا الفقر والله اني اريدان ارحل من هذه البلاد واشتّ فى البراري و القفار فان مقامي في هذه البلاد عذاب ولا لي فيها صديق ولا حبيب يسليني واريدان اسلي نفسي بالغربة عن الوطن حتى اموت واستريح من هذا الذل والمحن ثم انه انشد وجعل يقول هذه الابيات شعر

دَعْ مُهْجَتِي تَزْدَادُ فِي خَفَقَانِهَا ... لَيْسَ التَّذَلُّلُ فِي الْعِدَى مِنْ شَانِهَا
وَاعْذُرْ فَاِنَّ حُشَاشَتِي كَصَحِيفَةٍ ... لَا شَكَّ اَنَّ الدَّمْعَ مِنْ عُنْوَانِهَا
هَا بِنْتَ عَمِّي قَدْ بَدَتْ حُورِيَّةٌ ... نَزَلَتْ اِلَيْنَا عَنْ رِضَى رِضْوَانِهَا

Digitized by Google

ولم يبعثوا لنا في هذه الليلة عشاء نا كله و نموت جوعا و نحن لو كنا في بلد غير هذه لكنا هلكنا من الم الجوع او ذل السؤال فلما سمع كان ما كان من امّه هذا الكلام زادت حسرته ودمعت عينيه فانّ واشتكى وانشد يقول

أَقِلِّي مِنَ اللَّوْمِ الَّذِي لاَ يُفَارِقُ ... فَقَلْبِي إِلَى مَنْ تَيَّمَتْهُ لَعَاشِقُ
وَلاَ تَطْلُبِي عِنْدِي مِنَ الصَّبْرِ ذَرَّةً ... فَصَبْرِي وَبَيْتِ اللهِ مِنِّي طَالِقُ
إِذَا سَامَنِي اللُّوَّامُ نَهْيًا عَصَيْتُهُمْ ... وَهَا أَنَا فِي دَعْوَى الْمَحَبَّةِ صَادِقُ
وَقَدْ مَنَعُونِي عَنْوَةً أَنْ أَزُورَهَا ... وَهَا أَنَا وَالرَّحْمَنِ مَا أَنَا فَاسِقُ
وَإِنَّ عِظَامِي حِينَ تَسْمَعُ ذِكْرَهَا ... تُشَابِهُ طَيْرًا خَلْفَهُنَّ بَوَاشِقُ
أَلاَ قُلْ لِمَنْ قَدْ لاَمَ فِي الْحُبِّ إِنَّنِي ... لِوَجْهِكَ حَقًّا بِنْتَ عَمِّي لَعَاشِقُ

ولما فرغ من شعره قال لامه ما بقي لي عند عمتي ولا عند هؤلاء القوم مقام بل اخرج من القصر و اسكن في اطراف المدينة فخرجت به امه من القصر وجاؤا بجوار قوم صعاليك و سكنوا وصارت امه تتردد الى قصر الملك سا سان وتأخذ منه ما تقتات به هي واياه هذا ثم ان قضى فكان اختلت بام كان ما كان و قالت لها ياعمّتاه كيف حال ولدك فقالت يا بنتي انه باكي العين حزين القلب واقع في شرك هواك و انشدتها ما قاله من الابيات فبكت قضى فكان و قالت والله ما هجرته لكلامه ولا بغضا له و لكن خوفا عليه من الاعداء وان عندي من الشوق له اضعاف ما عنده لي ولا يقدر لساني على وصف شوقي له ولو لا عثرات لسانه و خفقان جنانه ماقطع ابي عنه احسانه واولاه منعه وحرمانه ولكن ايام الورى دول

Digitized by Google

فلما كانت الليلة التاسعة والثلثون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الحاجب الكبير لما صار سلطانا سموه الملك ساسان فجلس على تخت المملكه وسار فى الناس سيرة حسنة فبينما هو جالس يوما اذ وصلت اليه ابيات كان ماكان فندم على ما فات ودخل على زوجته نزهة الزمان وقال ان الجمع بين الحليفة والنار لمن اعظم الاخطار وليست الرجال على النساء بموءٍ تمنين مادامت العيون ترمق والجفون تخفق وان ابن اخيك كان ماكان قد بلغ مبلغ الرجال فيجب منعه عن الدخول على ربّات الحجال ومنع بنتك عن الرجال اوجب لان مثلها يجب ان تحجب فقالت صدقت ايها الملك العاقل فلما كان الغد جاء كان ما كان على جري عادته ودخل على عمته نزهة الزمان وسلّم عليها فردت عليه السلام وقالت له يا ولدي عندي كلام ماكنت احب ان اقوله ولكن اخبرك به رغما عني فقال لها قولي فقالت ان اباك الحاجب ابا قضي فكان قد سمع بما انشدته فيها من الشعر فامر بحجبها عنك فاذا كان يا ولدي لك عندنا حاجة فانا ارسلها اليك من وراء الباب ولا تنظر قضى فكان ولا عدت ترجع هنا من هذا الوقت فلما سمع كلامها قام وخرج ولم ينطق بحرف واحد ودخل على والدته اعلمها بما قالته عمّته فقالت له انما نشأ هذا من كثرة كلامك وانت تعلم ان حديث حبّك لقضى فكان شاع وانتشر له ذكر في كل مكان وكيف انت تأكل زادهم وبعد ذلك تعشق بنتهم فقال ومن يأخذها غيري وهي بنت عمي وانا احق بها فقالت له امّه بطّل هذا الكلام واسكت لئلا يصل الخبر الى الملك ساسان فيكون ذلك سبب حرمانك منها وسبب هلاكك وكثرة احزانك

Digitized by Google

الخد يحسد خالها والاقحوان يتبسّم عن بارق ثغرها فجعل كان ماكان يدور حولها ويطلق النظر اليها وهي كالقمر الزاهر فقوّى جنانه واطلق بالشعر لسانه فانشد يقـــــــــــــــــول

مَتَى يَشْتَفِي قَلْبُ الْكَئِيبِ مِنَ الْبُعْدِ ... وَيَضْحَكُ ثَغْرُ الْوَصْلِ مِنْ زَائِلِ الصَّدِّ
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً ... بِوَصْلِ حَبِيبٍ عِنْدَهُ بَعْضُ مَا عِنْدِي

فلما سمعت قضي فكان هذه الابيات اظهرت له الملامة والعتاب وشمخت شمخة فاغتاظت بكأن ما كان وقالت له اتذكرني في شعرك لاجل ان تفضحني بين اهلك والله ان لم ترجع عن هذا المقال لاشكينك للحاجب الكبير سلطان خراسان وبغداد صاحب العدل والانصاف ينزل بك الذل والهوان فسكت كان ماكان واغتاظ وعاد الى بغداد وهو غضبان ثم طلعت قضي فكان الى قصرها وشكت من ابن عمها الى امها فقالت لها يا بنتي لعله ما ارادك بسوء وهل هو الّا يتيم ومع هذا لم يذكر شيأ يعيبك فايالك ان تعلمي بذلك احدا فانه ربما بلغ الخبر الى السلطان فيقصر عمره ويخمد ذكره ويجعله كامس مضي ذكره هذا وشاع في بغداد حب كان ماكان لقضى فكان وتحدثت به النسوان ثم ان كان ماكان ضاق صدره وعيل صبره وقلّ حيله ولم يخف على الناس حاله واشتهى ان يبوح بما في قلبه من لوعة البين فخاف من عتبها وغضبها فانشد يقـــــــــــــــــول

إِذَا خِفْتُ يَوْمًا عِتَابَ الَّتِي ... تَكَدَّرَ أَخْلَاقَهَا الصَّافِيَهْ
صَبَرْتُ عَلَيْهَا كَصَبْرِ الْفَتَى ... عَلَى الْكَيِّ فِي طَلَبِ الْعَافِيَهْ

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــاح

Digitized by Google

وريق كالسلسبيل كما قال فيها بعض واصفيها هذين البيتين

كَأَنَّ سُلَافَ الْخَمْرِ مِنْ مَاءِ رِيقِهَا ... وَعُنْقُودَهَا مِنْ ثَغْرِهَا الْعَذْبِ يُقْطَفُ
وَأَعْنَابَهَا مَالَتْ إِذَا مَا ثَنَيْتَهَا ... فَسُبْحَانَ خَلَّاقٍ لَهَا لَيْسَ يُوصَفُ

وقد جمع الله تعالى فيها كل المحاسن فقدّها يخجل الاغصان والورد يطلب من خدها الامان واما الريق فانه يهزأ ابالرحيق تسرّ القلب والناظر كما قيل فيها الشاعر

مَلِيحَةُ الْوَصْفِ قَدْ تَمَّتْ مَحَاسِنُهَا ... أَجْفَانُهَا تَفْضَحُ التَّكْحِيلَ بِالْكُحْلِ
كَأَنَّ الْحَاظَهَا فِي قَلْبِ عَاشِقِهَا ... سَيْفٌ بِكَفِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِي

قال الراوي واما كان ما كان فانه كان بديع الجمال فائق الكمال ليس له فى الوصف والحسن مثال تلوح الشجاعة بين عينيه وتشهد له ولا تشهد عليه وتميل القلوب القاسية اليه اكحل الطرف كامل الوصف فلما اخضر شاربه وصار له عذار كثرت فيه الاشعار

مَا بَانَ عُذْرِي فِيهِ حَتَّى عَذَّرَا ... وَمَشَى الدُّجَى فِي خَدِّهِ فَتَحَيَّرَا
رَشَأٌ إِذَا رَنَتِ الْعُيُونُ لِحُسْنِهِ ... سَلَّتْ لَوَاحِظُهُ عَلَيْهَا خَنْجَرَا

وقول الآخر

نَسَخَتْ نُفُوسُ الْعَاشِقِينَ بِخَدِّهِ ... نَمْلًا وَتَمَّ بِهَا النَّجِيعُ الْأَحْمَرُ
فَاعْجَبْ لَهُمْ شَهِدُوا وَمَسْكَنُهُمْ لَظَى ... وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا الْحَرِيرُ الْأَخْضَرُ

فاتفق في بعض الاعياد تضى فكان خرجت تتعيّد على بعض اقاربها من الدولة والجواري حوالَيها والحسن قد عمّهما ورد

Digitized by Google

وَمَا هٰذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا مَوَاحِلُ ... مَوَارِدُهَا مَمْزُوجَةٌ بِالْمَصَائِبِ
وَمَا ضَرَّ قَلْبِي مِثْلُ فَقْدِ اَكَارِمٍ ... اَحَاطَتْ بِهِمْ مُسْتَعْظَمَاتُ النَّوَائِبِ

فلما سمعت نزهة الزمان هذا الكلام تذكّرت اخاها ضوء المكان وابنه كان ما كان فقرّبتها واقبلت عليها وقالت انا الآن والله غنية وانت فقيرة فوالله ما تركنا افتقادك الإ خوفا من انكسار قلبك لئلا يخطر ببالك ان ما نهديه اليك صدقة مع ان جميع ما نحن فيه من الخير منك ومن زوجك فبيتنا بيتك ومحلنا محلك ولك مالنا وعليك ما علينا ثم خلعت عليها ثيابا فاخرة وافردت لها مكانا فى القصر ملاصقا لمكانها واقامت عندهم في عيشة طيبة هي وولدها كان ما كان والبسته ثياب الملوك وافردت لهما الجواري برسم خدمتهما ثم ان نزهة الزمان بعد مدة قليلة ذكرت لزوجها حديث زوجة اخيها ضوء المكان فدمعت عيناه وقال ان شئت ان تنظري الدنيا بعدك فانظريها بعد غيرك فاكرمي مثواها وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثلثون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الحاجب لما اخبرته نزهة الزمان بخبر زوجة اخيها قال لها اكرمي مثواها واغني فقرها هذا ما كان من امر نزهة الزمان وزوجها وام ضوء المكان واما ما كان من امر كان ما كان وبنت عمه تضى فكان فانهما كبرا وترعرعا حتى صارا كانهما غصنان مثمران اوقمران ازهران وبلغا من العمر خمسة عشر عاما وكانت تضى فكان من احسن البنات المخدّرات بوجه جميل وخد اسيل وخصر نحيل وردف ثقيل وقد رشيق وثغر الذّ من الرحيق

Digitized by Google

تَرَى قَبْلَ الْمَمَاتِ اَرَى لِوُلْدِي ... يَكُوْنُ عَلَى الْوَرَى مَلِكٌ مَكَانِي
وَيَفْتِكُ بِالْعِدَاةِ لِاَخْذِ ثَارِ ... بِضَرْبِ السَّيْفِ اَوْ طَعْنِ السِّنَانِ
اَنَا الْمَغْبُوْنُ فِي هَزْلٍ وَجِدٍّ ... اِذَا مَوْلَايَ لَا يَشْفِي جِنَانِي

فلما فرغ من شعره وضع راسه على الوسادة فغفلت عينه فنام فراى في منامه قائلا يقول له ابشر فان ولدك يملأ البلاد عدلا و يملكها و تطيعه العباد فانتبه من منامه مسرورا من هذه البشارة التي رآها ثم انه بعد ايام قلائل طرقه الممات فاصاب اهل بغداد لموته غم عظيم و بكى عليه الوضيع والعظيم و مضى عليه الزمان كانّه ما كان و تغيّر حال كان ما كان و عز له اهل بغداد و جعلوه هو و عياله في مكان على حدتهم فلما راث ام كان ما كان ذلك صارت في اذل الاحوال فقالت لابد لي من قصد الحاجب الكبير و ارجو الرافة من اللطيف الخبير فقامت من منزلها الى ان اتت الى بيت الحاجب الذى صار سلطانا فوجدته جالسا على فراشه فدخلت عند زوجته نزهه الزمان و بكت بكاء شديدا وقالت لها ان الميت ما له صاحب فلا احوجكم الله مدى الدهور والاعوام ولا زلتم تحكمون بالعدل بين الخاص و العام قد سمعت اذناك و راث عيناك ما كنا فيه من الملك والعزّ والجاه والمال وحسن المعيشة والحال والآن انقلب علينا الزمان و خاننا الدهر والاوان و تصدّنا بالعدوان و اتيت اليك قاصدة احسانك بعد اسدائي للاحسان لانه اذا مات الرجل ذلّت بعده النساء والبنات ثم انشدت تقول هذه الابيات شعر

كَفَاكَ بِاَنَّ الْمَوْتَ بَادِي الْعَجَائِبِ ... وَمَا غَائِبُ الْاَعْمَارِ عَنَّا بِغَائِبِ

Digitized by Google

الحاجب يتعاطى احكام العباد و البلاد و بعد سنة احضر ولده كان ماكان والوزير دندان وقال يا ولدي ان هذا الوزير و الدك من بعدي واعلم اني راحل من الدار الفانية الى الدار الباقية وقد قضيت غرضي من الدنيا ولكن يبقى في قلبي حسرة يزيلها الله على يديك فقال ولده وما تلك الحسرة يا والدي فقال يا ولدي ان اموت ولم آخذ بثار جدك عمر بن النعمان وعمّك الملك شركان من عجوز يقال لها ذات الدواهي فان اعطاك الله النصر لا تنم عن اخذ الثار وكشف العار من الكفار واياك من مكر العجوز واقبل ما يقوله لك الوزير دندان لانه عماد ملكنا من قديم الزمان فقبل منه ولده ذلك ثم همليت عيناه بالدموع وازداد به المرض و صار امر المملكة للحاجب صهره وكان رجلا كبيرا فصار يحكم ويأمر وينهى واستمر على ذلك سنة كاملة وضوء المكان مشغول بمرضه ولم تزل تنهكه الامراض الى اربع سنين وقعد الحاجب الكبير بالملك وارتضى به اهل المملكة واكابر الدولة ودعت له جميع البلاد هذا ماكان من امر ضوء المكان والحاجب واما ماكان من امر ابن الملك كان ماكان فليس له شغل الّا ركوب الخيل واللعب بالرمح و الضرب بالنشاب وكذلك بنت عمه قضى فكان وكانت تخرج هي واياه من اول النهار الى الليل فتدخل هي الى امها ويدخل هو الى امه فيجدها جالسة عند راس ابيه تبكي فيخدمه بالليل الى الصباح ثم يخرج هو وبنت عمه على عادتهما وطالت بضوء المكان التوجعات فبكى وانشد يقول هذه الابيات

تَفانَى قُوَّتِي وَمَضى زَمانِي ... وَهَا اَنَا قَدْ بَقِيْتُ كَمَا تَرانِي
فَيَوْمَ الْعِزِّ كُنْتُ اَعَزَّ قَوْمِي ... وَاَسْبَقَهُمْ اِلى فَيْلِ الْاَمانِي

Digitized by Google

الوزير دندان ماهو يا ملك الزمان قال عزمت ان اسلطن ولدي كان ما كان وافرح به في حياتي واقاتل قد امه الى ان يد ركني الممات فما عندك من الرأى فقبّل الوزير دندان الارض بين يدى الملك ضوء المكان وقال له اعلم ايها الملك والسلطان صاحب العصر والاوان ان ماخطر ببالك مليح غير انه ماهو وقته الآن لخصلتين الاولى ان ولدك كان ماكان صغير السن والثانية ما جرت به العادة ان من سلطن ولده في حياته لا يعيش بعد ذلك الّا قليلا وهذا ما عندى من الجواب فقال اعلم ايها الوزير اننا نوصي عليه الحاجب الكبير فانه صار منّا والينا وقد تزوّج اختي فهو في منزلة اخي فقال له الوزير افعل ما بدالك فنحن مطيعون امرك فأرسل الملك الى الحاجب الكبير فاحضره وكذلك اكابر مملكته وقال لهم ان هذا ولدي كان ماكان قد علمتم انه فارس اهل زمانه وليس له نظير في حربه وطعانه وقد جعلته سلطانا عليكم والحاجب الكبير عمه وهو وصي عليه فقال الحاجب يا ملك الزمان ما انا الا عريس نعمتك فقال ضوء المكان ايها الحاجب ان ولدي كان ماكان وابنة اخي قضي فكان اولاد عم واني قد زوّجتها به واشهد الحاضرين على ذلك ثم نقل لولده من المال ما يعجز عن وصفه اللسان وبعد ذلك دخل على اخته نزهة الزمان واعلمها بذلك ففرحت وقالت ان الاثنين ولداي ابقاك الله وتعيش لهما انت مدى الزمان فقال يا اختي اني قضيت من الدنيا ما بقلبي وامنت على ولدي ولكن ينبغي ان تلاحظيه بعينك وتلاحظي امّه ثم صار يوصى الحاجب ونزهة الزمان على ولده وبنت اخيه وزوجته ليالي وايّاما وقد ايقن بكاس الحمام ولزم الوساد وصار

Digitized by Google

واحضر قضى فكان واركبها فى المحفة وارسل معها عشر جوار برسم الخدمة وبعدان سافر الوزير دندان رجع الملك المجاهد الى مملكته ليدبّرها واهتمّ بآلة السلاح وصار ينتظر الوقت الذي يرسل اليه فيه الملك ضوء المكان هذا ماكان من امر السلطان الزبلكان واما ماكان من امر الوزير دندان فانه لم يزل يقطع المراحل بقضى فكان وسار حتى وصل الى الرُحبة بعد شهر ثم سار حتى اشرف على بغداد وارسل اعلم ضوء المكان بقدومه فركب وخرج الى لقائه فاراد الوزير دندان ان يترجّل فاقسم عليه الملك ضوء المكان ان لا يفعل فساق جواده حتى جاء الى جانبه وسأله عن الزبلكان المجاهد فاعلمه انه بخير واعلمه بقدوم قضى فكان بنت اخيه شركان ففرح وقال له دونك والراحة من تعب السفر ثلثة ايام ثم بعد ذلك تعال عندي فقال حبا وكرامة ثم ان الوزير توجّه الى منزله وطلع الملك الى قصره ودخل على ابنة اخيه قضى فكان وهي ابنة ثمان سنين فلما رآها فرح بها وحزن على ابيها وفصّل لها ثيابا واعطى لها مصاغا وحليا عظيما وامر ان يبيّتوها مع ابنه كان ماكان في مكان واحد فطلعا اذكى اهل زمانهما واشجع غير ان قضى فكان طلعت صاحبة تدبير وعقل وخبرة بعواقب الامور وطلع كان ماكان سمحا كريما لا يفكّر في عاقبة شيء فكبر الاثنان وصار لهما من العمر عشر سنين وصارت قضى فكان تركب الخيل وتطلع مع ابن عمها فى البرّ وتسوق به وتوسع فى البر ويتعلمان الضرب بالسيف الطعن بالرمح حتى بلغ عمر كل منهما اثنتى عشرة سنة ثم ان الملك انتهت اشغاله للجهاد واكمل الاهبة والاستعداد فاحضر الوزير دندان وقال له اعلم اني عزمت على شيء فاذكر لك واريد اطلاعك عليه فاسرع في ردّ الجواب فقال

Digitized by Google

بالمجاهد ولما تكاملت حوائجه خرج وصحبته الوزير دندان وطلع الى الملك ليودّعه ويطلب منه اذنا بالسفر فقام له الملك وعانقه واوصاه بالعدل بين الرعية ثم امره ان ياخذ الاهبة للجهاد بعد سنتين وودّع بعضهم بعضا وسار الملك المجاهد المسمّى بالزبلكان بعد ان اوصاه الملك ضوء المكان بالرعية خيرا وقدمت له الامراء المماليك والخدم فبلغوا خمسة آلاف مملوك وركبوا خلفه وركب الحاجب الكبير ومقدم الديلم بهرام ومقدم العجم رستم ومقدم العرب تركاش وهم في خدمته وتوديعه وما زالوا سائرين معه ثلثة ايام ثم عادوا الى بغداد ولم يزل السلطان الزبلكان والوزير دندان ومن معهم من العساكر سائرين الى ان وصلوا الى دمشق وكانت الاخبار قد وصلت اليهم على اجنحة الطيور بان الملك ضوء المكان سلطن على دمشق سلطانا يقال له الزبلكان ولقّبه بالمجاهد فلما وصل الى دمشق زيّنت له المدينة وخرج كل من في دمشق للفرجة ودخل السلطان الى دمشق في موكب عظيم وطلع القلعة وجلس على سرير المملكة ووقف الوزير دندان في خدمته يعرّفه منازل الامراء ومراتبهم وهم يدخلون عليه ويقبّلون يديه ويدعون له فاقبل عليهم الملك الزبلكان وخلع واعطى ووهب ثم فتح خزائن الاموال وانفقها على جميع العساكر كبيرا وصغيرا وحكم وعدل وشرع الزبلكان في تجهيز بنت السلطان شركان الست قضى فكان وجعل لها محفة من الابريسم وجهز الوزير وقدم له شيأ من المال فابى الوزير دندان وقال له انت قريب عهد بالملك وربما تحتاج الى الاموال وبعد هذا نقبل منك ونرسل اليك نطلب مالا للجهاد او غير ذلك ولما تهيّأ الوزير دندان للسفر ركب السلطان المجاهد الى وداع الوزير دندان

Digitized by Google

مملكتي لشاركتك فيها فتمنّ ما تريد ودع الكلام قال الوقاد اخاف فقال لاتخف فقال اخاف ان اتمنّى شيـــأً لاتقدر عليه فعند ذلك غضب السلطـــان وقال له تمنّ ما اردت فقال له اتمنّى على الله ثم عليك ان تكتب لي مرسوما بعرافة جميع الوقادين الذين بمدينة القدس فضحك السلطـان و جميع من حضر وقال له تمنّ غير هذا فقال ياسيدي انا ما قلت لك اني اخاف ان اتمنّى شيأً لا تسمح لي به اولا تقدر عليه فلكزه الوزير ثانيا وثالثا وفي كل مرة يقول اتمنّى عليك فقال له السلطـــان تمنّ واسرع فقال اتمنّى عليك ان تجعلني رئيس الزبالين في مدينة القدس اوفي مدينـــة دمشق فانقلب الحاضرون على ظهورهم من الضحك عليه وضربه الوزير فالتفت الوقاد الى الوزير وقال له ايش تكون حتى تضربني وما لي ذنب فانك انت الذي قلت لي تمنّ شيأً عظيما ثم قال دعوني اسير الى بلادي فعرف السلطان انه يلعب فصبر عليه قليلا ثم اقبل عليه وقال له يا اخي تمنّ عليّ شيأً عظيما لائقا بمقامنا فقال يا ملك الزمان اني اتمنى على الله ثم على الملك ان تولّيني نائب دمشق موضع اخيك فقال الملك ان الله اعطـاك فقبّل الارض بين يديه وامر الملك بوضع كرسي له في مرتبته وخلـع عليه خلعـــة النيابة وكتب له التوقيع بذلك وختمه له وقال للوزير دندان ما يروح معـه غيرك واذا اردت العود وجئت فاحضر معك ابنة اخي قضى فكان فقال الوزير سمعا وطـــاعة ثم اخذ الوقاد ونزل به وتجهّز للسفـــر وامر الملك ان يخرجوا للوقاد خدما وحشما وتختا جديدا وطقم سلطنة وقال للامراء من كان يحبّني فليكرم هذا ويقدم له هدية عظيمة فقدمت له الامراء كل واحد بقدر همته وسماه السلطـان الزبلكان ولقبه

Digitized by Google

الوقاد الذي كان احسن اليه في غربته فأُحضر فلما حضر بين يديه قام له الملك اعظاما لحقّه واجلسه الى جانبه وكان الملك قد حدّث للوزير بما فعله معه من الخير والمعروف فعظّمته الامراء وعظّمه الوزير وكان الوقاد قد غلظ وسمن من الاكل والراحة وصار عنقه كعنق الفيل ووجهه كبطن الدرفيل وصار طأئش العقل لانه كان لايخرج من المكان الذي هو فيه فلم يعرف الملك بسيماه فاقبل عليه الملك وانبشّ في وجهه وحيّاه اعظم التحيات وقال له ما اسرع مانسيتني فعند ذلك تنبّه الوقاد فامعن فيه النظر وتحقّقه فعرفه وقام واثبا على الاقدام وقال يا حبيبي من الذي عملك سلطانا فضحك عليه فاقبل عليه الوزير وشرح له القصة وقال له انه كان اخاك وصاحبك والآن صار ملك الارض ولابدان يصل اليك منه خير كثير وها انا اوصيك اذا قال لك تمنّ عليّ فلا تتمنّ الّاشيأً عظيما لانك عنده عزيز فقال الوقاد اخاف ان اتمنّي عليه شيأً فلا يسمح لي به اولا يقدر عليه فقال له الوزير كلما تمنّيته يعطيك اياه وما عليك شيءٌ فقال له والله لابد اني ساتمنّي عليه الشيءُ الذي في خاطري وكل ليلة احلم به وارجو من الله تعالى ان يسمح لي به فقال له الوزير طيّب قلبك والله لو طلبت ولاية دمشق موضع اخيه لاعطاك وولّاك عليها فعند ذلك قام الوقاد على قدميه فاشار له ضوء المكان ان اجلس فابى وقال معاذ الله قد انقضت ايام قعودي في حضرتك فقال له السلطان لابل هي باقية الى الآن فانك كنت سببا لحياتي والله لو طلبت مني مهما اردت لاعطيتك اياه ولكن تمنّ على الله ثم عليّ فقال له ياسيدي اني اخاف فقال لا تخف فقال اخاف ان اتمنى شيأً فلا تسمح لي به فقال وما هو فضحك السلطان وقال له لوتمنّيت نصف

Digitized by Google

والمصيبة مصيبتين و سبب هذا كله العجوز ذات الدواهي فانها هي التي قتلت السلطان في مملكته و اخذت زوجته الملكة صفيّة وما كفاها ذلك حتى عملت الحيلة علينا وذبحت اخي و قد التزمت و حلفت بالايمان العظيمة انه لا بد من اخذ الثار فما انتم قائلون فافهموا هذا الخطاب و ردّوا عليّ الجواب فاطرقوا رؤسهم و قالوا الراي للوزير دندان فعند ذلك تقدم الوزير دندان الى الملك ضوء المكان و قال له اعلم يا ملك الزمان انه ما بقي في اقامتنا فائدة والراي اننا نرحل الى الاوطان ونقيم هناك برهة من الزمان ثم نعود و نغزو عَبَدة الاوثان فقال الملك نعم هذا الراي لان الناس اشتاقوا الى رؤية عيالهم و انا الآخر ايضا قد اقلقني الشوق الى ولدي كان ماكان و الى ابنة اخي قضى فكان لانها في دمشق ولا اعلم ما كان من امرها فلما سمعت العساكر ذلك فرحوا و دعوا للوزير دندان ثم ان الملك ضوء المكان امر المنادي ان ينادي بالرحيل بعد ثلثة ايام فابتدؤا في تجهيز احوالهم وفي اليوم الرابع دقّت الكاسات ونشرت الرايات و تقدّم الوزير دندان في مقدم العسكر و سار الملك في وسطه وبجانبه الحاجب الكبير و سارت الجيوش وما زالوا سائرين في الليل والنهار حتى وصلوا الى مدينة بغداد ففرحت بقدومهم الناس و زال عنهم الهم والباس والتقت الحضّار بالغيّاب و ذهب كل امير الى داره و طلع الملك الى قصره و دخل على ولده كان ما كان وقد بلغ من العمر سبع سنين و صار ينزل و يركب و لما استراح الملك من السفر دخل الحمام هو و ولده كان ما كان ثم رجع وجلس على كرسي مملكته ووقف الوزير دندان بين يديه و طلعت الامراء و خواص الدولة و وقفوا في خدمته فعند ذلك طلب ضوء المكان صاحبه

Digitized by Google

زوجها و ابيها فاحضر لهم الزاد والهدايا والتحف فحملوا و ساروا وسار معهم الملك شهرمان ثلثة ايام لاجل الوداع فاقسم عليه الملك شاه سليمان با لرجوع فرجع ومازال تاج الملوك و والده وزوجته و عساكرهم سائرين فى الليل والنهار حتى اشرفوا على مدينتهم فتواترت الاخبار بقدومهم فزيّنت لهم المدينة و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثلثون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شاه سليمان لما اقبل على مدينته زيّنت له و لولده المدينة ثم دخلوا المدينة وجلس الملك على كرسي مملكته و ولده تاج الملوك بجانبه فاعطى ووهب واطلق من كان مسجونا عنده ثم عمل لولده عرسا ثانيا وأستمرّت به المغاني والملاهي شهرا كاملا والمواشط تجلي للسيدة دنيا وهي لا تملّ من الجلاء وهنّ لا يملّن من النظر اليها ثم دخل تاج الملوك على زوجته بعد ان اجتمع مع ابيه وامّه وما زالوا فى الذّعيش واهناه حتى اتاهم هادم اللذات فعند ذلك قال ضوء المكان للوزير دندان ان مثلك من يشرح القلب الحزين وينا دم الملوك و يسلك في تدبيرهم احسن السلوك هذا كله وهم محاصرون القسطنطينية حتى مضى عليهم اربع سنين فاشتاقوا الى اوطانهم و ضجرت العساكر و ملوا من السهر والحصار و ادامة الحرب فى الليل والنهار فامر الملك ضوء المكان باحضار بهرام ورستم و تركاش فلما حضروا قال لهم اعلموا اننا اقمنا هذه السنين وما بلغنا مرادنا بل ازددنا هما و غما وقد اتينا لنخلص من ثار الملك عمر بن النعمان فقتل منا اخي شركان فصارت الحسرة حسرتين

Digitized by Google

بعدها فقال له عزيز والله يا سيدي لولا والدتي ما فارقتك ولكن ياسيدي لاتقطع اخبارك عني فقال له وهو كذلك ورجع تاج الملوك وسافر عزيز حتى وصل الى بلاده فدخل ولم يزل سائرا حتى دخل على امه فوجدها بنت له قبرا في وسط الدار وصارت تزوره فلما دخل الدار وجدها قد حلّت شعرها ونشرته على القبر وهي تبكي وتقول شعر

وَانِّي لَصَبَّارٌ عَلَى كُلِّ حَادِثٍ ... وَلٰكِنَّنِي مِنْ خُطَّةِ الْبَيْنِ اَجْزَعُ
وَمَنْ ذَا يُطِيْقُ الصَّبْرَ بَعْدَ خَلِيْلِهِ ... وَمَنْ ذَا لِوَشْكِ الْبَيْنِ لَا يَتَضَعْضَعُ

ثم صعدت الزفرات وانشدت هذه الابيات

مَالِيْ مَرَرْتُ عَلَى الْقُبُوْرِ مُسَلِّمًا ... قَبْرَ الْحَبِيْبِ فَلَمْ يَرُدَّ جَوَابِيْ
قَالَ الْحَبِيْبُ وَكَيْفَ رَدَّ جَوَابَكُمْ ... وَاَنَا رَهِيْنُ جَنَادِلٍ وَتُرَابِيْ
اَكَلَ التُّرَابُ مَحَاسِنِيْ فَنَسِيْتُكُمْ ... وَحَجَبْتُ عَنْ اَهْلِيْ وَعَنْ اَحْبَابِيْ

فبينما هي كذلك واذا بعزيز اقبل ودخل عليها فلما رأته وقعت مغشيا عليها من الفرح فنضح على وجهها الماء فافاقت وقامت واخذته في حضنها وضمّته وضمّها وسلم عليها وسلمت عليه وسألته عن سبب غيابه فحكى لها على ما وقع له من الاول الى الآخر واخبرها ان تاج الملوك اعطاه من المال والا قمشة مائة حمل ففرحت بذلك واقام عزيز عند والدته في بلدته يبكي على ما وقع له من بنت الدليلة المحتالة التي خصته هذا ماوقع لعزيز واما ماكان من امر تاج الملوك فانه دخل بمحبوبته الست دنيا وازال بكارتها ثم ان الملك شهرمان شرع في تجهيز ابنته للسفر مع

Digitized by Google

سليمان شاه اخذ الملك شهرمان بحضنه و اجلسه بجانبه على السرير و تحادثا و انبسطا مع بعضهما في الكلام ثم قدم لهم الطعام فاكلوا حتى اكتفوا ثم قدمت لهم الحلويات فتحلوا والفواكه والنقل فتفكهوا وتنقلوا ولم يكن غير ساعة الاوتاج الملوك قد اقبل عليهم في زيّ عظيم و زينة فلما رآه والده قام اليه واحتضنه وقبّله وقام جميع من كان جالسا و اجلسه الملكان بينهما وجلسوا يتحدثون ساعة فقال الملك سليمان شاه للملك شهرمان اني اريدان اكتب كتاب ولدي على ابنتك على رؤس الاشهاد ليشتهر ذلك كما هو السنّة فقال له السمع والطاعة فعند ذلك ارسل الملك شهرمان الى القاضي والشهود فحضروا وكتبوا كتاب تاج الملوك على الست دنيا و فرقت البقاشيش والسكروا نطلق البخور والطيب وكان يوم فرح و سرور و فرجت جميع الاكابر والعساكر بذلك و شرع الملك شهرمان في تجهيز ابنته ثم ان تاج الملوك قال لوالده ان هذا الشاب عزيز رجل من الكرام و قد خدمني خدمة عظيمة و تعب معي و سافر معي واوصلني الى بغيتي وصبر معي ويصبرني حتى قضيت حاجتي وله الآن معي سنتان وهو مشتّت من بلاده وقصدي اننا نهيّئ له تجارة من هنا ويسافر محبور الخاطر فان بلاده قريبة فقال له والده نعم ما رأيت فعند ذلك هيّئوا له مائة حمل من افخر القماش واغلاه واقبل عليه تاج الملوك وانعم عليه بالمال الجزيل وودّعه و قال له يا اخي وصديقي خذ هذه الاحمال واقبلها مني على سبيل الهدية والمحبة وتوجّه الى بلادك مع السلامة فقبلها منه وقبّل الارض بين يديه وبين يدي والده وودّعهم وركب تاج الملوك مع عزيز حتى شيّعه قدر ثلثة اميال و اخذ خاطره و اقسم عليه ان يرجع

Digitized by Google

ابوها و رآها في هذه الحالة صاح عليها و قال لهـــا يا سيدة بنات الملوك لا تفعلي و ارحمي اباك و اهل بلدتك ثم تقدم اليها وقال لها احاشيك ان يصيب والدك بسببك سوء ثم اعلمها بالقصة ان محبوبها ابن الملك شاه سليمان يريد زواجها وقال لها ان امر الخطبة والزواج تعلق بـرايك فتبسمت و قالت له انا ما قلت لك انه ابن سلطان والله لابدان اخليه حتى يصلبك على خشبه تساوي درهمين فقال لها ابوها يا بنتي ارحميني يرحمك الله فقالت له هيا بالعجل رُحْ و ائتني به سرعة بلا مهل فقال لهـا على الراس والعين ثم رجع من عندها عاجلا ودخل على تاج الملوك و سارره بهذا الكلام وقام هو و اياه و اتيا اليها فلما رات تاج الملوك عانقته بحضرة ابيهـــا و تعلقت به و قبلته وقالت له اوحشتني ثم التفتت الى ابيها وقالت هل رايت احدا يفرط في مثل هذه الذات الجميلة ومع ذلك انه ملك ابن ملك و من الاحرار المصانين عن الرذائل فعند ذلك خرج الملك شهرمان وردّ عليهمـا الباب بيده و مضى الى وزير الملك شاه سليمان ومن بصحبته من الرسل و امرهم ان يعلموا ملكهم ان ولده في خيـر و سرور وهو في الّذعيش مع معشوقته فتوجّهوا الى الملك ليعلموه بذلك ثم ان الملك شهرمان امر باخراج التقادم والعلوفات والضيـافات الى عساكر الملك سليمان شاه فلما اخرجو جميع ما امر به اخرج مائة جواد ومئة هجين ومائة مملوك و مائة سريه و مائة عبد ومائة جارية و ساق الجميع قدامه هدية وركب هو في اكابر دولته و خواصه حتى صاروا خارج المدينة فلما علم السلطان سليمان شاه بذلك قام و تمشى خطوات الى لقائه وكان الوزير و عزيز اعلماه بالخبر ففرح و قال الحمدلله الذي بلغ ولدي مناه ثم ان الملك

Digitized by Google

فرحته بهمـــا ثم ان الملك شهرمان صار متحيرا في امره و خاف خوفا شديدا لمـا تحقق ان مجيء هذا العسكر بسبب هذا الغلام فقام وتمشى الى عند تاج الملـــوك و قبل راسه و دمعت عينـــاه وقال له يا ولدي لا تؤاخذني ولا تواخذ المسيء بفعله فارحم شيبتي ولا تخرّب مملكتي فدنا منه تاج الملوك وقبل يده وقال له لاباس عليك و انت عندي بمنزلة والدي ولكن الحذران يصيب محبوبتي السيدة دنيا شيء فقال يا سيدي لاتخف عليها فما يحصل لها الّا السرور وصار الملك يعتذر اليه ويطيب خاطر وزير الملك شاه سليمان و وعده بالمـــال الجزيل على ان يخفى من الملك ما رآه ثم ان الملك شهرمان امر كبراء دولته ان ياخذوا تاج الملوك و يمضوا به الى الحمام ويلبسوه بدلة من خيار ملبوسه ويأتوا به سرعة ففعلوا ذلك و ادخلوه الحمـــام والبسوه البدلة التي افردها له الملك شهرمان ثم اتوا به الى المجلس فلما دخل على الملك شهرمان و قف له هو و اوقف له جميع اكابر دولته في الخدمة ثم ان تاج الملوك جلس يحدث وزير والده و عزيزا بمـا وقع له فقال له الوزير و عزيز و نحن في تلك المدة مضينا الى والدك فاخبرناه بانك دخلت سراية بنت الملك ولم تخرج والتبس علينا امرك فحين سمع بذلك جهّز العســـاكر ثم قدمنا هذه الديار وكان في قدومنـا غاية الفرج لك والسرور لنا فقال لهما لم يزل الخيـر يجرى على ايديكما اوّلا و آخرا هذا والملك شهرمان دخل على بنته الست دنيا فوجدها تُولْوِلُ و تبكي على تاج الملوك و اخذت سيفا و ركزت قبضته في الارض وجعلت ذبابته على راس قلبها بين نهديهـــا وانحنت على السيف و وقفت تقول لابدان اقتل نفسي ولا اعيش بعد حبيبي فلمـــا دخل عليها

Digitized by Google

بالامواج و خيلهم في ركض و قد ارتجّت لهم الارض و ما ادري خبرهم فاندهش الملك وخاف على ملكه ان ينزع منه ثم التفت الى وزيره وقال له امّا خرج احد من عسكرنا الى هذا العسكر فماتمّ كلامه الا وحجابه قد دخلوا عليه و معهم رسل الملك القادم و من جملتهم الوزير فابتداه بالسلام فنهض لهم قائما وقرّبهم وسالهم عن شان قدومهم فنهض الوزير من بينهم وتقدّم اليه وقال له اعلم ان الذي نزل بارضك ملك ليس كالملوك المتقدمين ولا مثل السلاطين السالفين فقال له الملك ومن هو قال الوزير هو صاحب العدل والامان الذي شاعت بعلوهمته الركبان السلطان سليمان شاه صاحب الارض الخضراء والعمودين وجبال اصفهان وهو يحب العدل والانصاف ويكره الجور والاعتساف و يقول لك ان ابنه عندك وفي مدينتك وهو حشاشة قلبه و ثمرة فؤاده فان وجده سالما فهو المقصود وانت المشكور المحمود وان كان فقد من بلادك او اصابه شيء فابشر بالدمار وخراب الديار لانه يصير بلدك قفراء ينعق فيه الغراب وها انا قد بلغتك الرسالة والسلام فلما سمع الملك شهرمان ذلك الكلام من رسول انزعج فؤاده وخاف على مملكته وزعق على ارباب دولته ووزرائه وحجابه ونوابه فلما حضروا قال لهم ويلكم انزلوا وفتّشوا على ذلك الغلام وكان تحت يد السياف وقد تغير من كثرة ما حصل له من الفزع ثم ان الرسول لاحت منه التفاتة فوجد ابن ملكه على نطع الدم فعرفه وقام ورمى روحه عليه وكذلك بقية الرسل ثم تقدموا وحلّوا وثاقه وقبلوا يديه ورجليه ففتح تاج الملوك عينه فعرف وزير والده وعرف صاحبه عزيزا فوقع مغشيا عليه من شدة

Digitized by Google

السيدة دنيا شابا جميلا نائما معها في فرش واحد وهما متعانقان فامر الملك باحضارهما فلما حضرا بين يديه قال لهما ما هذا الفعال واشتد به الغيظ فاخذ قمشة وهمّ ان يضرب تاج الملوك فرمت السيدة دنيا وجهها عليه وقالت لا بيها اقتلني قبله فنهرها الملك وامرهم ان يمضوا بها الى حجرتها ثم التفت الى تاج الملوك وقال له ويلك من اين انت ومن ابوك وماجسرك على ابنتي فقال تاج الملوك اعلم ايها الملك انك ان قتلتني هلكت وندمت انت ومن في مملكتك فقال له الملك ولِمَ ذلك فقال اعلم اني ابن الملك سليمان شاه وما تدري الاّ وهو قد اقبل عليك بخيله ورجله فلما سمع الملك شهرمان ذلك الكلام اراد ان يؤخّر قتله ويضعه في السجن حتى ينظر صحة قوله فقال له وزيره يا ملك الزمان الرأي عندي ان تعجل قتل هذا العلق فانه تجاسر على بنات الملوك فقال للسيّاف اضرب عنقه فانه خائن فاخذه السياف وشدّ وثاقه ورفع يده وشاور الا مراء اولاً وثانيا وقصد بذلك ان يكون في الامر توان فزعق عليه الملك وقال له الى متى تشاور ان شاورت مرة اخرى ضربت عنقك فرفع السياف يده حتى بان شعر ابطه واراد ان يضرب عنقه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثلثون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان السياف رفع يده حتى بان شعر ابطه واراد ان يضرب عنقه واذا بزعقات عالية والناس اغلقوا الدكاكين فقال الملك للسيّاف لا تعجل ثم ارسل من يكشف له الخبر فمضى الرسول ثم عاد اليه وقال له رايت عسكرا كالبحر العجاج المتلاطم

Digitized by Google

الى ابي ليرسل رسولا الى ابيك ويخطبك منه و نستريح فلما سمعت ذلك الكلام فرحت فرحا شديدا لانه و افق غرضها ثم باتا على هذا الاتفاق و اتفق بالامر المقدر ان النوم غلب عليهما في تلك الليلة من دون الليالي واستمرا الى ان طلعت الشمس و في ذلك الوقت كان الملك شهرمان جالسا في دست مملكته و بين يديه امراء دولته اذ دخل عليه عريف الصياغ و بيده حقّ كبير فقدم و فتحه بين يدي الملك و اخرج منه علبة لطيفة تساوي مائة الف دينار لما فيه من الجواهر واليواقيت و الزمرد مما لا يقدر عليه احد من ملوك الاقطار فلما رأها الملك تعجب من حسنها و التفت الى الخادم الكبير الذى جرى له مع العجوز ماجرى و قال له يا كافور خذ هذه العلبة و امض بها الى السيدة دنيا فاخذها الخادم و مضى حتى وصل الى مقصورة بنت الملك فوجد بابها مغلقا و العجوز نائمة على عتبته فقال الخادم الى هذه الساعة و انتم نائمون فلما سمعت العجوز كلام الخادم انتبهت من منامها و خافت منه و قالت اصبر حتى آتيك بالمفتاح ثم خرجت على وجهها هاربة هذا ماكان من امرها واما ماكان من امر الخادم فانه عرف انها مرتابة فخلع الباب ودخل المقصورة فوجد السيدة دنيا معانقة لتاج الملوك و هما نائمان فلما رأى ذلك تحير في امره وهمّ ان يعود الى الملك فانتبهت السيدة دنيا فوجد ته فتغيرت واصفر لونها وقالت له يا كافور استر ماستر الله فقال انا لااقدر ان اخفي شيأً عن الملك ثم قفل الباب عليهما و رجع الى الملك فقال له الملك هل اعطيت العلبة لسيدتك فقال له الخادم خذ العلبة هاهي و انا لا اقدر ان اخفي عنك شيأً اعلم اني رأيت عند

Digitized by Google

ابداً وانه هالك لا محالة فقال عزيز للوزير يا والدي ما ذا تصنع فقال الوزير يا ولدي ان هذا الامر مشكل و ان لم نرجع الى ابيه و نعلمه فانه يلومنا على ذلك ثم تجهّزا في الوقت والساعة و توجّها الى الارض الخضراء والعمودين و تخت الملك سليمان شاه و سارا يقطعان الاودية في الليل والنهار الى ن دخلا على الملك سليمان شاه و اخبراه بما جرى لولده و انه من حين دخل قصر بنت الملك لم يعلموا له خبرا فعند ذلك قامت عليه القيامة و اشتدّ به الندامة و امران ينادى في مملكته بالجهاد ثم برز العساكر الى خارج مدينته و نصب لهم الخيام و جلس في سرادقه حتى اجتمعت الجيوش من سائر الاقطار و كانت رعيته تحبه لكثرة عدله و احسانه ثم سار في عسكر سدّ الافق متوجّها في طلب ولده تاج الملوك هذا ما كان من امر هؤلاء و اما ما كان من امر تاج الملوك والسيدة دنيا فانهما اقاما على حالهما نصف سنة وهما كل يوم يزدادان محبة في بعضهما و زاد على تاج الملوك العشق والهيام والوجد والغرام حتى افصح لها عن الضمير وقال لها اعلمي يا حبيبة القلب والفؤاد اني كلما اقمت عندك ازددتُ هياما ووجدا وغراما لاني ما بلغت المرام بالكلية فقالت له و ما تريد يا نور عيني و ثمرة فؤادي ان شئت غير الضم والعناق والتفاف الساق على الساق فافعل الذي يرضيك وليس لله فينا شريك فقال ليس مرادي هكذا و انما مرادي ان اخبرك بحقيقتي فاعلمي اني لست بتاجر بل انا ملك ابن ملك و اسم ابي الملك الاعظم سليمان شاه الذي انفذ الوزير رسولا الى ابيك ليخطبكِ لي فلما بلغكِ الخبر ما رضيتِ ثم انه قصّ عليها قصته من الاول الى الآخر وليس في الاعادة افادة واريد الآن ان اتوجّه

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الخامسة والثلثون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الحاجب قال للعجوز انا لا اعرف جارية ولا غيرها ولا يدخل احد حتى افتشه كما امرني الملك فقالت له العجوز و قد اظهرت الغضب انا اعرف انك عاقل و مؤدب فان كان حالك قد تغيّر فاني اعلمها بذلك و اخبرها انك تعرّضت لجاريتها ثم زعقت على تاج الملوك و قالت له اعبري يا جارية فعند ذلك عبر الى داخل الدهليز كما امرته و سكت الخادم و لم يتكلّم ثم ان تاج الملوك عدّ خمسة ابواب و دخل الباب السادس فوجد السيدة دنيا واقفة في انتظارها فلما رأته عرفته فضمّته الى صدرها و ضمّها الى صدره ثم دخلت العجوز عليهما و تحيّلت على صرف الجواري خوفا من الفضيحة ثم قالت السيدة دنيا للعجوز كوني انت بوّابة ثم اختلت هي و تاج الملوك ولم يزالا في ضمّ وعناق والتفاف ساق على ساق الى وقت السحر فلما قرب الصباح خرجت من عنده و اغلقت عليه الباب و دخلت مقصورة اخرى و جلست على جري عادتها و اتت اليها الجواري فقضت حوائجهن و صارت تحدثهن ثم قالت للجواري اخرجن الآن من عندي فاني اريد ان انشرح وحدي فخرجت الجواري من عندها واتت الى تاج الملوك ثم انها اتت اليهما العجوز و معها شيء من الاكل فاكلوا و اخذا في الهراش الى وقت السحر فاغلقت عليهما الباب مثل اليوم الاول ولم يزالوا على ذلك مدة شهر كامل هذا ما كان من امر تاج الملوك والسيدة دنيا واما ما كان من امر الوزير و عزيز فانهما لما توجه تاج الملوك الى قصر بنت الملك و مكث تلك المدة علما انه لا يخرج منه

Digitized by Google

الف دينار و حلّة بالف دينار فاخذتهما و انصرفت و لا زالت سائرة حتى دخلت على السيدة دنيا فقالت لها يا دادتي ما عندك من خبر الحبيب فقالت لها قد عرفت مكانه و في غد اكون به عندك ففرحت السيدة دنيا بذلك واعطتها الف دينار و حلة بالف دينار فاخذتهما و انصرفت الى منزلها و باتت فيه الى الصباح ثم خرجت و توجّهت الى تاج الملوك والبسته لبس النساء و قالت له امش خلفي و تمايَلْ في خطواتك و لا تستعجل في مشيك ولا تلتفت الى من يكلّمك وبعد ان اوصت تاج الملوك بهذه الوصية خرجت و خرج خلفها وهو في زيّ النسوان و صارت تعلّمه وتجسره في الطريق حتى لا يفزع ولم تزل ماشية وهو خلفها حتى وصلا الى باب القصر فدخلت و هو وراءها وصارت تخترق الابواب والدهاليز الا ان جاوزت به سبعة ابواب و لما وصلت الى الباب السابع قالت لتاج الملوك قوّ قلبك و اذا زعقتُ عليك و قلت لك يا جارية اعبري فلا تتوان في مشيك و هَرْوِلْ فاذا دخلت الدهليز فانظر الى شمالك ترى ايوانا فيه ابواب فعدّ خمسة ابواب و ادخل الباب السادس فان مرادك فيه فقال تاج الملوك و اين تروحين انت فقالت له ما اروح موضعا غير اني ربما اتاخّر عنك وماتني الخادم الكبير واتحدث معه ثم مشت وهو خلفها حتى وصلت الى الباب الذي فيه الخادم الكبير فراى معها تاج الملوك في صورة جارية فقال لها ما شان هذه الجارية التي معك فقالت له هذه جارية قد سمعت السيدة دنيا بانها تعرف الاشغال وتريدان تشتريها فقال لها الخادم انا لا اعرف جارية ولا غيرها ولا يدخل احد حتى افتّشه كما امرني الملك وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

قالت يا دادتي من اين هذا الشاب المليح فقالت لا اعلم به غير اني اظنّ انه ولد ملك عظيم فانه بلغ من الحسن النهاية ومن الجمال الغاية فهامت به السيدة دنيا وانحلت عرى عزائمها وانبهر عقلها من حسنه وجماله وقده واعتداله وتحركت عليها الشهوة فقالت للعجوز يا دادتي ان هذا الشاب مليح فقالت لها العجوز صدقت ياسيدتي ثم ان العجوز اشارت الى ابن الملك ان يذهب الى بيته وقد التهبت به نار الغرام وزاد به الوجد والهيام فسار ولم يقف وودّع الخولي وانصرف الى منزله وقد هاج بتاج الملوك الشوق الا انه لم يخالف العجوز واخبر الوزير وعزيزا بان العجوز اشارت اليه بالانصراف فصارا يصبرانه ويقولان له لولا ان العجوز تعلم ان في رجوعك مصلحة ما اشارت عليك به هذا ماكان من امر تاج الملوك والوزير وعزيز واما ماكان من امر بنت الملك السيدة دنيا فانها غلب عليها الغرام وزاد بها الوجد والهيام وقالت للعجوز انا ما اعرف اجتماعي بهذا الشاب الا منكِ فقالت لها العجوز اعوذ بالله من الشيطان الرجيم انت لا تريدين الرجال وكيف حلّت بك من عشقه الا وجال لكن والله ما يصلح لشبابك الاهو فقالت السيدة دنيا يا دادتي اسعفيني وساعديني باجتماعي عليه ولك عندي الف دينار وخلعة بالف دينار وان لم تسعفيني بوصاله فاني ميتة لا محالة فقالت العجوز امض انت الى قصرك وانا اتسبب في اجتماعكما وابذل روحي في مرضاتكما ثم ان السيدة دنيا توجهت الى قصرها وتوجهت العجوز الى تاج الملوك فلما رآها نهض لها على الاقدام وقابلها باعزاز واكرام واجلسها الى جانبه فقالت له ان الحيلة قد تمت وحكت لها ما جرى لها مع السيدة دنيا فقال لها متى يكون الاجتماع قالت في غد فاعطاها

Digitized by Google

الا والخـــدم والجواري خرجوا من باب السر فلما رآهم الخولي ذهب الى تاج الملوك واعلمه بمجيئهـــا و قال له يا مولاي كيف يكون العمل وقد اتت ابنة الملك السيدة دنيـا فقال لا باس عليك فاني اختفي في بعض مواضع البستان فاوصاه البستاني بغاية الاختفاء ثم تركه وراح فلمـا دخلت بنت الملك هي وجواريهـــا والعجوز في البستان قالت العجوز في نفسهـــا متى كان الخدم معنـا فاننا لانذال مقصودنا ثم قالت لابنة الملك ياسيدتي اني اقول لك على شيء فيه راحة لقلبك فقالت السيدة دنيـــا قولي ما عندك فقالت العجوز ياسيدتي ان هؤلاء الخدم لاحاجة لك بهم في هذا الوقت ولا ينشرح صدرك مادامو معنـــا فامر فيهم عنا فقالت السيدة دنيا صدقت ثم صرفتهم وبعد قليل تمشت فصار تاج الملوك ينظر اليها والى حسنها وجمالها وهي لا تشعر بذلك وكلما نظر اليها يغشى عليه مما راى من بارع حسنها وصارت العجوز تسارقها في الحديث الى ان اوصلتها الى القصر الذي امر الوزير بنقشه ثم دخلت ذلك القصر وتفرجت على نقشه وابصرت الطيور والصياد والحمام فقالت سبحان الله ان هذه صفة ما رايتها في المنام و صارت تنظر الى صور الطيور والصياد والشرك وتتعجب ثم قالت يا دادتي اني كنت الوم الرجال وابغضهم ولكن انظري الصيـــاد كيف ذبحت الطيرة الانثى وتخلص الذكر واراد ان يجيء الى الانثى ويخلصها فقابله الجارح وافترسه وصارت العجوز تتجاهل عليها وتشاغلها بالحديث الى ان قربتا من المـــكان المختفي فيه تاج الملوك فاشارت اليه العجوز ان يتمشى تحت شبابيك القصر فبينما السيدة دنيا كذلك اذ لاحت منها التفاتة فراته وتاملت جمـــاله وقده و اعتداله ثم

Digitized by Google

وَظَنَنْتُ جَهْلًا اَنَّ حُبَّكَ هَيِّنٌ ... تُفْنَى عَلَيْهِ نَفَائِسُ الْاَرْوَاحِ
حَتّٰى رَاَيْتُكَ تَجْتَبِي وَتَخُصُّ مَنْ ... اَحْبَبْتَهُ بِلَطَائِفِ الْاَمْنَاحِ
فَعَلِمْتُ اَنَّكَ لَا تُنَالُ بِحِيْلَةٍ ... وَلَوَيْتُ رَاْسِي تَحْتَ طَيِّ جَنَاحِي
وَجَعَلْتُ فِي عَيْشِ الْغَرَامِ اِقَامَتِي ... فِيْهِ عُدُوٌّ دَائِمًا وَرَوَاحِي

هذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر العجوز فانها انقطعت في بيتها واشتاقت بنت الملك الى الفرجة في البستان وهي لاتخرج الّا بالعجوز فارسلت اليها وصالحتها وطيّبت خاطرها وقالت اني اريدان اخرج الى البستان لاتفرّج على اشجاره واثماره و ينشرح صدري بازهاره فقالت لها العجوز سمعا وطاعة ولكن اريدان اذهب الى بيتي والبس ثيابي واحضر عندك فقالت لها اذهبي الى بيتك ولا تاخري عني فخرجت العجوز من عندها و توجّهت الى تاج الملوك وقالت له تجهّز والبس افخر ثيابك واذهب الى البستان وادخل على البستاني و سلّم عليه ثم اختف في البستان فقال سمعا وطاعة وجعلت بينهما وبينه اشارة ثم توجّهت الى السيدة دنيا وبعد ذهابها قام الوزير و عزيز و البسا تاج الملوك بدلة من افخر ملابس الملوك تساوي خمسة آلاف دينار و غدّا في وسطه حياصة من الذهب مرصعة بالجواهر والمعادن ثم توجّهوا الى البستان فلمّا وصلوا الى باب البستان وجدوا الخولي جالسا هناك فلمّا رآه البستاني نهض له على الاقدام وقابله بالتعظيم والاكرام وفتح له الباب وقال له ادخل وتفرج في البستان و لم يعلم البستاني ان بنت الملك تدخل البستان في هذا اليوم فلما دخل تاج الملوك لم يلبث الا مقدار ساعة وسمع ضجّة فلم يشعر

Digitized by Google

هذه الافكار و يبرد ما بقلبي من لهيب النار فعند ذلك اطرب عزيز بالنغمات و انشد هذه الابيات

جَمِيعُ مَا قَالَتِ الْعُشَّاقُ مِنْ كَمَدٍ ... حَوَيْتُهُ مُفْرَدًا حَتَّى وَهَى جَلَدِي
وَإِنْ تُرِدْ مَوْرِدًا مِنْ أَدْمُعِي اتَّسَعَتْ ... لِلْوَارِدِينَ بِحَارُ الدَّمْعِ فِي مَدَدِ
وَإِنْ تُرِدْ تَنْظُرُ الْعُشَّاقَ مَا صَنَعَتْ ... أَيْدِي الْغَرَامِ بِهِمْ فَانْظُرْ إِلَى جَسَدِي

ثم اناض العبرات وانشد هذه الابيات

مَنْ كَانَ لَا يَعْشَقُ الْأَجْيَادَ وَالْحَدَقَ ... ثُمَّ ادَّعَى لَذَّةَ الدُّنْيَا فَمَا صَدَقَ
فَإِنَّ فِي الْعِشْقِ مَعْنًى لَيْسَ يُدْرِكُهُ ... مِنَ الْبَرِيَّةِ إِلَّا كُلُّ مَنْ عَشِقَ
لَا خَفَّفَ اللَّهُ عَنْ قَلْبِي صَبَابَتَهُ ... بِمَنْ هَوَيْتُ وَلَا عَنْ جَفْنِيَ الْأَرَقَ

ثم اطرب بالنغمات وانشد هذه الابيات

زَعَمَ ابْنُ سِينَا فِي أُصُولِ كَلَامِهِ ... أَنَّ الْمُحِبَّ دَوَاؤُهُ الْإِلْحَانُ
وَوِصَالُ مِثْلِ حَبِيبِهِ مِنْ جِنْسِهِ ... وَالنُّقْلُ وَالْمَشْرُوبُ وَالْبُسْتَانُ
فَصَحِبْتُ غَيْرَكَ لِلتَّدَاوِي مَرَّةً ... وَأَعَانَنِي الْمَقْدُورُ وَالْإِمْكَانُ
فَعَلِمْتُ أَنَّ الْحُبَّ دَاءٌ قَاتِلٌ ... فِيهِ ابْنُ سِينَا طِبُّهُ هَذَيَانُ

فلما فرغ عزيز من شعره تعجب تاج الملوك من فصاحته وحسن روايته وقال له قد ازلت عني بعض مابي فقال الوزير قد وقع للمتقدمين ما يحيّر السامعين فقال له ان كان يحضرك شيء من جنس هذا فاسمعني ما حضرك من هذا الشعر الرقيق وطول الحديث فاطرب بالنغمات وانشد هذه الابيات

قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ وَصْلَكَ يُشْتَرَى ... بِكَرَائِمِ الْأَمْوَالِ وَالْأَثْمَاحِ

Digitized by Google

وخبز مثل القطن و وضعه بين ايديهم فاكلوا و شربوا و بعد ذلك احضر لهم حلوى فتحلوا وغسلوا ايديهم وجلسوا يتحدثون فقال الوزير اخبرني عن هذا البستان هل هولك ام انت مستاجره فقال الشيخ ماهولي وانما هو لبنت الملك السيدة دنيا فقال الوزير كم لك في كل شهر من الاجرة فقال دينار واحد لا غير فتامل الوزير في البستان فرأى هناك قصرا عاليا الاّ انه عتيق فقال الوزير يا شيخ اربدان اعمل هنا خيرا تذكرني به فقال يا سيدي وما تريدان تفعل من الخير فقال خذ هذه الثلثمائة دينار فلما سمع الخولي بذكر الذهب قال يا سيدي مهما شئت فافعل ثم اعطاه الدنانير وقال له ان شاء الله تعالى نفعل في هذا المحل خيرا ثم خرجوا من عنده و توجّهوا الى منزلهم و باتوا تلك الليلة فلما كان من الغد احضر الوزير مبيّضا ونقّاشا و صائغا جيّدا واحضر لهم جميع مايحتاجون اليه من الآلات و دخل بهم البستان و امرهم بتبييض ذلك القصر وزخرفته بانواع النقش ثم امر باحضار الذهب واللازورد وقال للنقاش اعمل في صدر هذا الايوان صورة آدمي صيّاد كانه نصب شركه وقد وقعت فيه طيور وحمامة واشتبكت بمنقارها في الشرك فلما نقش النقاش جانبا وفرغ من نقشه قال له الوزير افعل في الجانب الآخر مثل الاول وصوّر صورة الحمامة وحدها في الشرك وان الصياد اخذها ووضع السكين على رقبتها واعمل في الجانب الآخر صورة جارح كبير قد قنص ذكر الحمام وانشب فيه مخالبه ففعل ذلك فلما فرغوا من هذه الاشياء التي ذكرها الوزير واعطاهم اجرتهم انصرفوا وانصرف الوزير ومن معه و ودّعوا البستاني ثم توجهوا الى منزلهم وجلسوا يتحدثون فقال تاج الملوك لعزيز يا اخي انشدني بعض الاشعار لعل صدري ينشرح وتزول عني

Digitized by Google

تاج الملوك يا امي اريد ان انظر اليها نظرة واحدة ولو كان في ذلك مماتي فتحيّلي لي بحيلة حتى انظر اليها فقالت اعلم ان لها بستانا تحت قصرها و هو برسم فرجتها و انها تخرج اليه في كل شهر مرة من باب السرّ و بعد عشرة ايام قد جاء اوان خروجها الى الفرجة فاذا ارادت الخروج اجيئ اليك و اعلمك حتى تخرج و تصادفها و احرص على انك لا تفارق البستان فلعلها اذا رأت حسنك و جمالك يتعلق قلبها بمحبتك فان المحبة اعظم اسباب الاجتماع فقال سمعا و طاعة ثم قام من الدكان هو و عزيز و اخذا معهما العجوز و مضيا الى منزلهما و عرفاه لها ثم ان تاج الملوك قال لعزيز يا اخي ليس لي حاجة بالدكان و قد قضيت حاجتي منها و وهبتها لك بجميع ما فيها لانك تغرّبت معي و فارقت بلادك فقبل عزيز منه ذلك ثم جلسا يتحدثان و صار تاج الملوك يسئله عن غريب احواله وما جرى له و صار هو يخبره بما حصل له وبعد ذلك اقبلا على الوزير واعلماه بما عزم عليه تاج الملوك وقالا له كيف العمل فقال قوموا بنا الى البستان فلبس كل واحد منهم افخر ما عنده و خرجوا و خلفهم ثلثة مماليك و توجّهوا الى البستان فرأوه كثير الاشجار غزير الانهار ورأوا الخولي جالسا على الباب فسلّموا عليه فردّ عليهم السلام فناوله الوزير مائة دينار و قال اشتهي ان تاخذ هذه النفقة وتشتري لنا شيأ ناكله فانا غرباء و معي هؤلاء الاولاد و اردت ان افرجهم فاخذ البستاني الدنانير و قال لهم ادخلوا وتفرجوا و جميعه ملككم و اجلسوا حتى احضر لكم بما تاكلون ثم توجه الى السوق و دخل الوزير و تاج الملوك و عزيز داخل البستان بعد ان ذهب البستاني الى السوق ثم بعد ساعة اتى و معه خاروف مشوي

Digitized by Google

تعالى لقتلتك ثم قالت لهم اعيدوا عليها الضرب فضربوها حتى غشي عليها ثم امرتهم ان يجرّوها ويرموها خارج الباب فسحبوها على وجهها ورموها قدام الباب فلما افاقت قامت تمشي و تقعد حتى وصلت الى منزلها وصبرت الى الصباح ثم قامت و تمشّت حتى اتت الى تاج الملوك و اخبرته بجميع ما جرى لها فصعب عليه ذلك و قال لها يعزّ علينا يا امي ما جرى لك ولكن كل شيءٍ بقضاء و قدر فقالت له طب نفسا وقرّ عينا فاني لا ازال اسعي حتى اجمع بينك وبينها و اوصلك الى هذه العاهرة التي احرقتني بالضرب فقال لها تاج الملوك اخبريني ما سبب بغضها للرجال فقالت لانها رأت مناما اوجب ذلك فقال لها وما ذلك المنام فقالت انها كانت نائمة ذات ليلة فرأت صيّادا نصب شركا في الارض و بذر حوله قمحا ثم جلس قريبا منه فلم يبق شيءٌ من الطيور الا و قد اتى الى ذلك الشرك ورأت في الطيور حمامتين ذكرا وانثى فبينما هي تنظر الى الشرك واذا برجل الذكر تعلّقت في الشرك و صار يختبط فنفرت عنه جميع الطيور و فرّت فرجعت اليه امرأته و حامت عليه ونزلت ثم تقدمت الى الشرك والصياد غافل فصارت تنقر العين التي فيها رجل الذكر و صارت تجذ به بمنقاره حتى خلصت رجله من الشرك وطارت هي و اياه فجاء بعد ذلك الصياد و اصلح الشرك و قعد بعيدا عنه فلم يمض غير ساعة حتى نزلت الطيور و علق الشرك في الانثى فنفرت عنها جميع الطيور و من جملتها الطير الذكر ولم يعد لانثاه فجاء الصياد واخذ الطيرة الانثى وذبحها فانتبهت مرعوبة من منامها وقالت كل ذكر مثل هذا ما فيه خير والرجال جميعهم ما عندهم خير للنساء فلما فرغت من حديثها قال لها

وَتَتْرُكُ الْأَهْلَ يَا مَغْرُورُ فِي نَدَمٍ عَلَى فِرَاقِكَ طُولَ الدَّهْرِ يَنْعَاكَا

ثم طوت الورقة و دفعتها للعجوز فاخذتها وتوجهت الى تاج الملوك فاعطتها له فلما قرأها علم انها قاسية القلب وانه لا يصل اليها فشكا امره الى الوزير وطلب منه حسن التدبير فقال له الوزير اعلم انه ما بقي شيء يفيد فيها غير انك تكتب لها كتابا و تدعو عليها فيه فقال يا اخي يا عزيز اكتب لها عن لساني مثل ما تعرف فاخذ عزيز ورقة وكتب هذه الابيات

يَا رَبِّ بِالْخَمْسَةِ الْأَشْيَاخِ تُنْقِذُنِي وَمَنْ بُلِيتُ بِهِ فَاجْعَلْهُ فِي شَجَنِ
فَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فِي جَوَى لَهَبٍ وَقَدْ جَفَانِي حَبِيبٌ لَيْسَ يَرْحَمُنِي
فَكَمْ أَرِقُّ لَهَا فِيمَا بُلِيتُ بِهِ وَكَمْ تَجُورُ عَلَى ضَعْفِي وَتَظْلِمُنِي
أَهِيمُ فِي غَمَرَاتٍ لَا انْقِضَاءَ لَهَا وَلَا أَرَى مُسْعِفًا يَا رَبِّ يُسْعِفُنِي
وَكَمْ أَرُومُ سُلُوًّا فِي مَحَبَّتِهَا وَكَيْفَ أَسْلُو وَصَبْرِي فِي الْغَرَامِ فَنِي
يَا مَانِعِي فِي الْهَوَى طِيبَ الْوِصَالِ فَهَلْ أَمِنْتَ مِنْ نَائِبَاتِ الدَّهْرِ وَالْمِحَنِ
أَلَسْتَ فِي عِيشَةٍ مَسْرُورَةٍ وَأَنَا مُغَرَّبٌ فِيكَ عَنْ أَهْلِي وَعَنْ وَطَنِي

ثم ان عزيزا طوى الكتاب و ناوله لتاج الملوك فلما قرأه اعجبه ثم ناوله للعجوز فاخذته العجوز و توجهت به الى ان دخلت على السيدة دنيا فناولتها اياه فلما قرأتها و فهمت مضمونه اغتاظت غيظا شديدا و قالت كل الذي جرى لي من تحت راس هذه العجوز النحس فصاحت على الجواري والخدم و قالت امسكوا هذه العجوز الملعونة الماكرة و اضربوها بنعالكم فنزلوا عليها ضربا بالنعال حتى غشي عليها فلما افاقت قالت لها و الله يا عجوز السوء لو لا خوفي من الله

Digitized by Google

فلما جلست عندها حكّت رأسها وقالت ياسيدتي عساك ان تغلي شوشتي فان لي زمانا مادخلت الحمام فكشفت السيدة دنيا عن مرفقيها وحلّت شعر العجوز وصارت تغلي شوشتها فسقطت الورقة من رأسها فرأتها السيدة دنيا فقالت ما هذه الورقة فقالت كاني تعلقت على دكان التاجر فتعلقت معي هذه الورقة هاتيها حتى او ديها له ربّما يكون فيها حساب يحتاجه ففتحتها السيدة دنيا وقرأتها وفهمت ما فيها وقالت للعجوز هذه حيلة من بعض حبلك ولولا انك ربيّتني لبطشت بكِ في هذا الوقت وقد بلاني الله بهذا التاجر وكل ماجرى لي منه من تحت رأسك وما ادري من اي ارض جاءنا هذا ولم يقدر احد من الناس ان يتجاسر عليّ غيره وانا اخاف ان ينكشف امري وخصوصا في رجل ما هو من جنسي ولا من اقراني فاقبلت العجوز عليها وقالت لا يقدر احد ان يتكلم بهذا الكلام خوفا من سطوتك وهيبة ابيك ولاباس ان تردّي له الجواب فقالت يا دادتى ان هذا شيطان كيف تجاسر على هذا الكلام ولم يخف من سطوة السلطان وقد تحيرت في امره فان اعرت بقتله فليس بصواب وان تركته ازداد في تجاسره فقالت لها العجوز اكتبي له كتابا لعله ينزجر فطلبت ورقة ودواة وقلما وكتبت له هذه الابيات

طَالَ الْعِتَابُ وَفَرْطُ الْجَهْلِ اَغْرَاكَا ... فَكَمْ بِخَطِّ يَدِيْ فِي الشِّعْرِ اَنْهَاكَا

وَاَنْتَ تَزْدَادُ عِنْدَ النَّهْيِ فِي طَمَعٍ ... وَلَسْتُ اِلَّا بِكَتْمِ السِّرِّ اَرْضَاكَا

اُكْتُمْ هَوَاكَ وَلَا تَجْهَرْ بِهِ اَبَدًا ... وَاِنْ نَطَقْتَ فَاِنِّي لَسْتُ اِرْعَاكَا

وَاِنْ رَجَعْتَ اِلَى مَا اَنْتَ تَذْكُرُهُ ... فَقَدْ اَتَاكَ غُرَابُ الْبَيْنِ يَنْعَاكَا

وَعَنْ قَلِيْلٍ يَكُوْنُ الْمَوْتُ مُنْدَفِعًا ... عَلَيْكَ وَاللَّدْنُ تَحْتَ الْاَرْضِ مَثْوَاكَا

Digitized by Google

أيا غافلاً عن حادثات الطوارق ... وليس الى نيل الوصال بسابق
أتزعم يا مغرور ان تدرك السها ... وما انت للبدر المنير بلاحق
فكيف تؤمّلنا وترجو وصالنا ... لتحظى بضم للقدود الروائق
فدع عنك هذا القصد خيفة سطوتي ... بيوم عبوس فيه شيب المفارق

ثم طوت الكتاب وناولته للعجوز فاخذته وانطلقت به الى تاج الملوك فلما رآها قام على قدميه وقال لا اعدمنى الله بركة قدومك فقالت له العجوز خذ جواب مكتوبك فاخذ الورقة وقرأها وبكى بكاء شديدا وقال اني اشتهي من يقتلني الآن حتى استريح فان القتل اهون عليّ من هذا الامر الذي انا فيه ثم اخذ دواة وقلما وقرطاسا وكتب مكتوبا ورقم فيه هذين البيتين

فيا منيتي لا تبتغي الهجر والجفا ... وزوري محباً في المحبة غارق
ولا تحسبيني في الحيوة مع الجفا ... فروحي من بعد الاحبة طالق

ثم طوى الكتاب واعطاه للعجوز وقال لها لا تؤاخذيني فقد اتعبتك بدون فائدة وامر عزيزا ان يدفع لها الف دينار وقال لها يا امي ان هذه الورقة لابد ان يعقبها كمال الاتصال او كمال الانفصال فقالت له يا ولدي والله ما اشتهي لك الا الخير ومرادي ان تكون هي عندك فانك انت القمر صاحب الانوار الساطعة وهي الشمس الطالعة وان لم اجمع بينكما فليس في حيوتي فائدة وانا قد قطعت عمري في المكر والخداع حتى بلغت التسعين من الاهوام فكيف اعجز عن الجمع بين اثنين في الحرام ثم ودّعته وطيّبت قلبه وانصرفت ولم تزل تمشي حتى دخلت على السيدة دنيا وقد اخفت الورقة في شعرها

Digitized by Google

اخاطر معك بروحي وابلغك مرادك واو صلك الى ما في خاطرك فقال لها تاج الملوك كل ما تفعلينه اجازيكِ عليه وتلتقيه في ميزانكِ فانكِ خبيرة بالسياسة وعارفة بابواب الدناسة وكل عسير عليكِ يسير والله على كل شيء قدير ثم اخذ ورقة وكتب فيها هذه الابيات

أَمْسَتْ تُهَدِّدُنِي بِالْقَتْلِ إِحْرَبِي ... وَالْقَتْلُ لِي رَاحَةٌ وَالْمَوْتُ مَقْدُورُ
وَالْمَوْتُ أَهْنَى لِصَبٍّ أَنْ تَطُولَ بِهِ ... حَيْوَتُهُ وَهُوَ مَمْنُوعٌ وَمَقْهُورُ
بِاللهِ زُورُوا مُحِبًّا قَلَّ نَاصِرُهُ ... فَإِنَّنِي عَبْدُكُمْ وَالْعَبْدُ مَأْسُورُ
يَا سَادَتِي فَارْحَمُونِي فِي مَحَبَّتِكُمْ ... فَكُلُّ مَنْ يَعْشَقُ الْأَحْرَارَ مَعْذُورُ

ثم انه تنفّس الصعداء وبكى حتى بكت العجوز وبعد ذلك اخذت الورقة منه وقالت له طب نفسا وقرّ عينا فلا بدان ابلغك مقصودك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثلثون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان تاج الملوك لما بكى قالت له العجوز طب نفسا وقرّ عينا فلا بدان ابلغك مقصودك ثم قامت وتركته على النار وتوجهت الى السيدة دنيا فرأتها متغيرة اللون من غيظها بمكتوب تاج الملوك فناولتها الكتاب فازدادت غيظا وقالت للعجوز اما قلت لك انه يطمع فينا فقالت لها واي شيء هذا الكلب حتى يطمع فيكِ فقالت لها السيدة دنيا اذ هبي اليه وقولي له ان راسلتها بعد ذلك ضربت عنقك فقالت لها العجوز اكتبي له هذا الكلام في مكتوب وانا آخذ المكتوب معي لاجل ان يزداد خوفه فاخذت ورقة وكتبت فيها هذه الابيات

Digitized by Google

علي بدواة وقرطاس وقلم من نحاس فلما احضروا لها تلك الادوات كتبت هذه الابيات

يَامُدَّعِي الْحُبِّ وَالْبَلْوَى مَعَ السَّهَرِ ... وَمَا يُلَاقِيهِ مِنْ وَجْدٍ وَمِنْ فِكَرِ
اَتَطْلُبُ الْوَصْلَ يَامَغْرُورُ مِنْ قَمَرٍ ... وَهَلْ يَنَالُ الْمُنَى شَخْصٌ مِنَ الْقَمَرِ
اِنِّي نَصَحْتُكَ عَمَّا اَنْتَ طَالِبُهُ ... فَاقْصُرْ فَاِنَّكَ فِي هٰذَا عَلَى خَطَرِ
وَاِنْ رَجَعْتَ اِلَى هٰذَا الْكَلَامِ فَقَدْ ... اَتَاكَ مِنِّي عَذَابٌ زَائِدُ الضَّرَرِ
وَحَقِّ مَنْ خَلَقَ الْاِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ... وَمَنْ اَنَارَ ضِيَاءَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ
لَئِنْ رَجَعْتَ اِلَى مَا اَنْتَ ذَاكِرُهُ ... لَاُصْلِبَنَّكَ فِي جِذْعٍ مِنَ الشَّجَرِ

ثم طوت الكتاب واعطته للعجوز وقالت لها اعطيه له وقولي له كف عن هذا الكلام فقالت لها سمعا وطاعة ثم اخذت الكتاب وهي فرحانة ومضت الى منزلها وباتت في بيتها فلما اصبح الصباح توجهت الى دكان تاج الملوك فوجدته في انتظارها فلما رآها كاد ان يطير من الفرح فلما قربت منه نهض اليها قائما واقعدها بجانبه فاخرجت له الورقة وناولته اياها وقالت له اقرأ مافيها ثم قالت له ان السيدة دنيا لما قرأت كتابك اغتاظت ولكنني لاطفتها وما زحتها حتى اضحكتها ورقت لك وردت لك الجواب فشكرها تاج الملوك على ذلك وامر عزيزا ان يعطيها الف دينار ثم انه قرأ الكتاب وفهمه وبكى بكاء شديدا فرق له قلب العجوز وعظم عليها بكاؤه وشكواه ثم قالت له يا ولدي واي شيء في هذه الورقة حتى ابكاك فقال لها انها تهددني بالقتل والصلب وتنهاني عن مراسلتها وان لم اراسلها يكون موتي خيرا من حيوتي فخذي جواب كتابها ودعيها تفعل ماتريد فقالت له العجوز وحيوة شبابك لا بداني

Digitized by Google

وَلَسْتُ بَآيِسٍ مِنْ فَضْلِ رَبِّي عَسَى يَوْمٌ يَكُوْنُ بِهِ اِجْتِمَاعُ

ثم طوى الكتاب وختمه واعطاه للعجوز وقال لها اوصليه الى الست دنيا فقالت سمعا وطاعة ثم اعطاها الف دينار وقال يا امي اقبلي هذه هدية مني على سبيل المحبة فاخذتها منه ودعت له وانصرفت ولم تزل ماشية حتى دخلت على الست دنيا فلما رأتها قالت لها يا دادتي ايش طلب من الحوائج حتى نقضيها له فقالت لها يا سيدتي انه قد ارسل معي هذا الكتاب ولا اعلم ما فيه ثم ناولتها الكتاب فاخذته وقرأته وفهمت معناه ثم قالت من اين الى اين حتى يراسلني هذا التاجر ويكاتبني ثم لطمت وجهها وقالت من اين كنا حتى اتصلنا ووصلنا الى السوقة اوّاه اوّاه وقالت والله لولا خوفي من الله لقتلته وصلبته على دكانه فقالت العجوز وايش في هذا الكتاب حتى انه ازعج قلبك وغيّر خاطرك يا ترى هل فيه شكاية مظلمة اوفيه طلب ثمن القماش فقالت لها ويلك ما فيه ذلك وما فيه الا كلام عشق ومحبة وهذا كله منكِ والا فمن اين هذا الشيطان كان يعرفني فقالت لها العجوز يا سيدتي انتِ قاعدة في قصركِ العالي وما يصل اليكِ احد ولا الطير الطائر سلامتكِ وسلامة شبابكِ من اللوم والعتاب وما عليكِ من نبيح الكلاب فانتِ سيدة بنت سيد فلا تؤاخذيني حيث جئت اليكِ بهذا الكتاب ولا اعلم بما فيه ولكن الرأي ان تردي اليه جوابا وتهدّديه فيه بالقتل وتنهيه عن هذا الهذيان فانه ينتهي ولا يعود الى مثل ذلك فقالت السيدة دنيا اخاف ان اكاتبه فيطمع فيّ فقالت العجوز انه اذا سمع التهديد والوعيد رجع عما هو فيه فقالت

حاجة لا عدمت معرفتك وهل احد يسلم ويخلو من حاجة فقالت لها الست دنيا اذهبي اليه وسلّمي عليه وقولي له شرّفت بقدومك ارضنا ومدينتنا ومهما كان لك من الحوائج قضيناها لك على الرأس والعين فرجعت العجوز الى تاج الملوك فى الوقت فلما رآها طار قلبه من الفرح والسرور وقام لها قائما على قدميه واخذ يدها واجلسها الى جانبه فلما جلست واستراحت اخبرته بما قالته لها الست دنيا فلما سمع ذلك فرح غاية الفرح واتسع صدره وانشرح ودخل في قلبه سرور وقال في نفسه قد قُضيتْ حاجتي ثم قال للعجوز لعلك ان تاخذى لها من عندي رسالة وتأتيني بجوابها فقالت سمعا وطاعة فعند ذلك قال لعزيز ائتني بدواة وقرطاس وقلم من نحاس فلما اتاه بتلك الادوات اخذ القلم بيده وكتب هذه الابيات شعر

كَتَبْتُ اِلَيْكَ يَاسُؤْلِي كِتَابًا ... بِمَا اَلْقَاهُ مِنْ اَلَمِ الْفِرَاقِ
فَاَوَّلُ سَطْرِهِ نَارٌ بِقَلْبِي ... وَثَانِيهِ غَرَامِي وَاشْتِيَاقِي
وَثَالِثُهُ فَنَى عُمْرِي وَصَبْرِي ... وَرَابِعُهُ جَمِيعُ الْوَجْدِ بَاقِي
وَخَامِسُهُ مَتَى عَيْنِي تَرَاكُمْ ... وَسَادِسُهُ مَتَى يَوْمُ التَّلَاقِي

ثم كتب في امضائه ان هذا الكتاب من اسير الاشواق * المسجون في سجن الاشتياق * الذي ليس له منه اطلاق * الا بالوصال والتلاق * بعد البعد والفراق * لانه يقاسي من فرقة الاحباب * اليم الوجد والعذاب * ثم افاض دمع العين وكتب هذين البيتين

كَتَبْتُ اِلَيْكَ وَالْعَبَرَاتُ تَجْرِي ... وَدَمْعُ الْعَيْنِ لَيْسَ لَهُ انْقِطَاعُ

Digitized by Google

وخصوصا اذا كانت صاحبة حسن وجمال مثلك فضحك تاج الملوك حتى انقلب على قفاه ثم قال يا قاضي الحاجات على ايدى العجائز الفاجرات هن قاضيات الحاجات ثم قالت له يا ولدي ما اسمك فقال اسمي تاج الملوك فقالت العجوز ان هذا اسم الملوك واولاد الملوك وانت في زيّ التجار فقال لها عزيز من صحبته عند والديه واهله ومعزته عليهم سمّوه بهذا الاسم فقالت العجوز صدقت كفاكم الله شر العين وشر الاعادي والحساد ولوفّتت بمحاسنكم الاكباد ثم اخذت القماش ومضت وهي باهتة في حسنه وجمـــاله وقدّه واعتداله ولم تزل ماشية حتى دخلت على الست دنيا وقالت لها يا سيدتي جئت لك بقماش مليح فقالت لها ارني اياه فقالت ياسيدتي هاهو فقلّبيه ياعيني وابصريه فلما رأته الستّ دنيا بهتت فيه وقالت لهـــا يا دادتي ان هذا قماش مليح ما رأيته في مدينتنـــا فقالت العجوز يا ستي ان بائعه احسن منه كأنّ رضوانا فتح ابواب الجنان وسها فخرج منها شاب هو الذي يبيع هذا القمـــاش وانا اشتهي في هذه الليلة انه ينام عندك ويكون بين نهودك فانه اتى مدينتك باقمشة مثمنة لاجل الفرجة وهو فتنة لمن يراه فضحكت الست دنيا من كلام العجوز وقالت اخزاك الله ياعجـوز النحس انك خرفت وما بقي لك عقل ثم قالت هاتي القماش حتى انظره نظرا جيدا فاعطتها اياه فنظرته ثانيا فرأته قليلا وثمنه كثيرا فاعجبها لانها ما رأت في عمرها مثله فقالت والله انه قماش مليح فقالت لهـــا العجوز ياسيدتي والله لو رأيت صاحبه لعرفت انه احسن من يكون على وجه الارض فقالت لهـــا الست دنيا هل كنت سألته ان كان له حاجة يعلمنا بها فنقضيها له فقالت العجوز وقد هزّت رأسهـــا حفظ الله فراستك والله ان له

Digitized by Google

فتنة للناظرين ثم تاملت و قالت ما هذا بشرا انْ هذا الاملك كريم ثم دنت منه وسلّمت عليه فرد عليها السلام وقام لها واقفا على الاقدام وتبسّم في وجهها هذا كله باشارة عزيز ثم اجلسها الى جانبه و صار يروّح عليها بمروحة حتى استفاقت و استراحت فالتفتت العجوز الى تاج الملوك وقالت له يا ولدي يا كامل الاوصاف والمعاني هل انت من هذه الديار فقال لها تاج الملوك بكلام فصيح عذب مليح والله يا سيدتي عمري ما دخلت هذه الديار الاّ هذه المرة ولا اقمت فيها الاّ على سبيل الفرجة فقالت اكرم بك من قادم على الرحب والسعة و ايّ شيءٍ جئت به معك من القماش ارني شيأً مليحا فان المليح لا يحمل الا المليح فلما سمع تاج الملوك كلامها خفق فؤاده ولم يعلم معنى كلامها فغمز عزيز بالاشارة فقال لها تاج الملوك عندي كلما تشتهين وعندي شيءٌ لايصلح الا للملوك و بنات الملوك فاخبريني بالشيء الذي تريدينه لِمَنْ حتى اقلّب عليك كل شيءٍ يصلح لاربابه واراد بذلك الكلام ان يفهم معنى كلامها فقالت له اريد قماشا يصلح للست دنيا بنت الملك شهرمان فلما سمع تاج الملوك ذكر محبوبته فرح فرحا شديدا و قال لعزيز ائتني بالبقجة الفلانية فاتى بها عزيز و حلّها بين يديه فقال لها تاج الملوك انتخبي مايصلح لها فان هذا شيءٌ لايوجد عند غيري فاختارت العجوز شيأً يساوي الف دينار وقالت بكم هذا وصارت العجوز تحدّثه و تحكّ بين افخاذها بكلوة يدها فقال لها تاج الملوك وهل انا اساوم مثلك في هذا الثمن الحقير الحمد لله الذي عرفني بك فقالت له العجوز اسم الله عليك اعوذ وجهك المليح برب الفلق الوجه مليح واللفظ فصيح هنيأً لمن قنام في حضنك وتضم قدّك و تحظى بشبابك

Digitized by Google

السجاجيد و البسط الحرير و وضعوا فيها مرتبتين كل مرتبة تساوي مائة دينار و جعلوا فوق كل مرتبة نطعا ملوكيا دائره شريط من الذهب وفي وسط الدكان الفرش الفائق اللائق بالمقام فجلس تاج الملوك على مرتبة و عزيز على الاخرى و جلس الوزير في وسط الدكان و وقف الغلمان بين ايديهم و تسامعت بهم اهل البلد فازدحموا عليهم فباعوا بعض بضائعهم و بعض اتمشتهم و شاع في المدينة ذكر تاج الملوك و حسنه و جمـــا له ثم اقاموا على ذلك اياما وفي كل يوم تتزايد الناس عليهم و تهرع اليهم فاقبل الوزير على تاج الملوك و اوصاه بكتمـــان سرّه و اوصى عليه عزيزا و مضى الوزير الى الدار ليختلي بنفسه و يدبر امرا يعود نفعه عليهـم وصار تاج الملوك و عزيز يتحادثان و تاج الملوك يقـــول لعزيز عسى احد يجيء من عند الست دنيا ولم يزل تاج الملوك على ذلك اياما و ليالي و هو قلق الفؤاد لا يعرف النوم ولا الرقاد و قد تمكن منه الغـــرام و زادبه الوجد والهيام حتى حرم لذيذ المنام و امتنع من الشراب والطعام و كان كالبدر ليلة التمام فبينما تاج الملوك جالس و اذا هو بامرأة عجوز اقبلت عليه و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثلثون بعد المائة

قالت بلغني ايهـــا الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان فبينما تاج الملـــوك جالس و اذا بعجوز اقبلت عليه و تقدمت اليه و خلفها جاريتان وما زالت ماشية حتى وقفت على دكان تاج الملوك فرأت قده و اعتدال له و حسنه وجماله فتعجبت من ملاحته وزشحت في سراويلها ثم قالت سبحـان من خلقك من ماء مَهين و جعلك

Digitized by Google

جَنَّةٌ نُكْرَهُ الْإِقَامَةُ فِيهَا وَجَحِيمٌ يَطِيبُ فِيهَا الدُّخُولُ

فلما فرغ تاج الملوك من شعره قال عزيز وانا كذلك احفظ في الحمام بيتين فقال له العريف انشد لي اياهما فانشد يقول

وَبَيْتٌ لَهُ مِنْ جَلْمَدِ الصَّخْرِ أَزْهَارُ أَنِيقٌ إِذَا مَا أَضْرَمَتْ حَوْلَهُ النَّارُ
تَرَاهُ جَحِيمًا وَهُوَ فِي الْحَقِّ جَنَّةٌ وَأَكْثَرُ مَا فِيهَا شُمُوسٌ وَأَقْمَارُ

فلما فرغ عزيز من شعره اعجب العريف ماقاله وينظر في صباحتهما وفصاحتهما وقال لهما والله لقد حزتما الفصاحة والملاحة فاسمعا انتما منّي ثم اطرب بالنغمات وانشد يقول هذه الابيات

يَاحُسْنَ نَارٍ وَالنَّعِيمُ عَذَابُهَا تُحْيَى بِهَا الْأَرْوَاحُ وَالْأَبْدَانُ
فَاعْجَبْ لِبَيْتٍ لَايَزَالُ نَعِيمُهُ غَضًّا وَتُوقَدُ تَحْتَهُ النِّيرَانُ
عَيْشُ السُّرُورِ لِمَنْ أَلَمَّ بِهِ وَقَدْ سَفَحَتْ عَلَيْهِ دُمُوعَهَا الْغُدْرَانُ

ثم سرح في رياض حسنهما نظر العين وانشد هذين البيتين

وَافَيْتُ مَنْزِلَهُ فَلَمْ أَرَ حَاجِبًا إِلَّا وَيَلْقَانِي بِوَجْهٍ ضَاحِكِ
وَدَخَلْتُ جَنَّتَهُ وَزُرْتُ جَحِيمَهُ فَشَكَرْتُ رِضْوَانًا وَرَأْفَةَ مَالِكِ

فلما سمعوا ذلك تعجبوا من هذه الابيات ثم ان العريف عزم عليهم فامتنعوا ومضوا الى منزلهم ليستريحوا من شدة حرّ الحمام فاستراحوا واكلوا وشربوا وباتوا تلك الليلة في منزلهم على اتم ما يكون من الحظ والسرور فلما اصبح الصباح قاموا من نومهم وتوضؤا وصلّوا فرضهم واصطبحوا ولما طلعت الشمس وفتحت الدكاكين والاسواق قاموا بعد ذلك وتمشوا وخرجوا من المنزل واتوا الى السوق وفتحوا الدكان وكانت الغلمان قد هيّأوها احسن هيئة وفرشوا فيها

Digitized by Google

فلما سمعا منه ذلك اتسما عليه ان يدخل معهما الحمام ثاني مرة فصادق بذلك واسرع الى الحمام ودخلا معه والوزير لم يكن خرج من الحمام فلما سمع به خرج وتلقاه من وسط الحمام وعزم عليه فامتنع فمسك تاج الملوك يده من ناحية وعزيز يده الاخرى من ناحية ودخلا به الى خلوة اخرى فانقاد لهما ذلك الشيخ الخبيث فزاد عليه هيمانه فحلف تاج الملوك انه لايغسله غيره وحلف عزيز ان لايصب عليه الماء غيره فامتنع وهو يتمنّى ذلك فقال له الوزير انهما اولادك خلّهما يغسلانك وينظفانك فقال العريف ابقاهما الله لك والله لقد حلّت في مدينتنا البركة والسعادة بقدومكم ومن بصحبتكم وانشد يقول هذين البيتين

أَقْبَلْتَ فَاخْضَرَّتْ لَدَيْنَا الرُّبَى ... وَقَدْ زَهَتْ بِالزَّهْرِ لِلْمُجْتَلِي
وَنَادَتِ الْأَرْضُ وَمَنْ فَوْقَهَا ... أَهْلاً وَسَهْلاً بِكَ مِنْ مُقْبِلِ

فشكروه على ذلك ومازال تاج الملوك يغسله وعزيز يصب عليه الماء وهو يظنّ ان روحه في الجنة حتى اتمّا خدمته فدعا لهما وجلس جنب الوزير على انه يتحدث معه وهو ينظر الى تاج الملوك وعزيز ثم بعد ذلك اتوا لهم الغلمان بالمناشف فتنفّشوا والبسوا حوائجهم وخرجوا من الحمام فاقبل الوزير على العريف وقال له يا سيدي ان الحمام نعيم الدنيا فقال العريف جعله الله لك ولاولادك عافية وكفاهما الله شر العين فهل تحفظون شيأ في الحمام مما قالته البلغاء فقال تاج الملوك انا انشد لك بيتين فانشد يقول

إِنَّ عَيْشَ الْحَمَّامِ أَطْيَبُ عَيْشٍ ... غَيْرَ أَنَّ الْمُقَامَ فِيهِ قَلِيلُ

Digitized by Google

ووضعوا امتعتهم فيها وباتوا تلك الليلة فلما اصبح الصباح اخذهما الوزير ودخل بهما الحمام فاغتسلوا وتنظّفوا ولبسوا الثياب الفاخرة وتطيّبوا واخذوا غاية حظّهم من الحمام وكان كل من الغلامين ذا جمال باهر فصارا في الحمام على حد قول الشـــــــــــــاعر

بُشْرَى لِقَيِّمِهِ اِذْ لاَ مَسَتْ يَدُهُ ... جِسْمًا تَوَلَّدَ بَيْنَ الْمَاءِ وَالنُّوْرِ
مَا زَالَ يُظْهِرُ لُطْفًا مِنْ صَنَاعَتِهِ ... حَتَّى جَنَى الْمِسْكَ مِنْ تِمْثَالِ كَافُوْرِ

ثم خرجا منه فلما سمع العريف بدخولهما الحمام تعد في انتظارهما واذا بهما قد اقبلا وهما كالغزالين وقد احمرت خدودهما واسودت عيونهما ولمعت وجوههما فصارا كانهما قمران زاهيان او غصنان مثمران فلما رآهما قام على حيله وقال يا اولادي حماكم نعيم دائم فقال له تاج الملوك باعذب كلام انعم الله عليك يا والدي لايش ما حضرت عندنا واستحميت معنا ثم نزل الاثنان على يد العريف وقبّلاها ومشيا قدامه حتى وصلا الى الدكان حشمة وتعظيما له لانه كبير التجار والسوق وتقدم منه الاحسان في حقهما باعطائهما الدكان فلما رأى اردافهما في ارتجاج زاد به الوجد وهاج وشخر ونخر ولم يطق الصبر فاحدق بهما العينين وانشد هذين البيتين

يُطَالِعُ الْقَلْبُ بَابَ الْاِخْتِصَاصِ بِهِ ... وَلَيْسَ يَقْرَأُ فِيْهِ مَبْحَثُ الشِّرْكَهْ
لَا غَرْوَ فِي كَوْنِهِ يَرْتَجُّ مِنْ ثِقَلٍ ... فَكَمْ لِذَا الْفَلَكِ الدَّوَّارِ مِنْ حَرَكَهْ

وايضا قال

رَأَى اثْنَيْنِ عَيْنِي يَمْشِيَانِ عَلَى الثَّرَى ... وَدَدْتُهُمَا لَوْ يَمْشِيَانِ عَلَى عَيْنِي

Digitized by Google

حتى يتفرّجا عليها ويعرفا اهلهـــا واني قد اتيت بلدتكم هذه واخترت المقام فيها واشتهي منك دكانا تكون جيدة من احسن المواضع حتى اجلسهمـــا فيها ليتّجرا ويتفرّجا على هذه البلدة ويتخلّقا باخلاق اهلها ويتعلّما البيع والشراء والاخذ والعطاء فقال العَريف لاباس بذلك فنظر العَريف الى الولدين وفرح بهما واحبهما حبّا زائدا وكان العَريف مغرما بفاتك اللحظات ويغلّب حب البنين على البنات ويميل الى الحموضة فقال في نفسه هذه صيدة مليحة سبحان خالقهما ومصوّرهما من ماء مهين فعند ذلك وقف العريف لخدمتهما كالغلام بين ايديهما ثم انه قام وهيّأ لهما الدكان وكانت في وسط القيصرية ولم يكن اكبر ولا اوجه منها في السوق عندهم لانها كانت متسعـــة مزخرفة فيها رفوف من عاج وخشب الآبنوس ثم سلّم المفاتيح للوزير وهو في صفة الشيخ التاجر وقال له خذ يا سيدي جعلهـا الله منزلا مبـــاركا على ولديك فاخذ منه المفاتيح ثم انهم مضوا الى الخان الذي وضعوا فيه امتعتهم وامروا الغلمان ان ينقلوا جميع ما معهم من البضـائع والقماش الى تلك الدكان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــاح

فلما كانت الليلة الثانية والثلثون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير لما اخذ مفاتيح الدكان وصحبته تاج الملوك وعزيز ذهبوا الى الخان وامروا الغلمـان ان ينقلوا ما معهم من البضائع والقماش والتحف وكان شيـــأ كثيرا يساوي خزائن من المال فنقلوا جميع ذلك ثم مضوا الى الدكان

Digitized by Google

دكانا في سوق البزّ تقعد فيها للبيع والشراء لان كلواحد من الخاص والعام يحتاج الى البزّ والتفاصيل واذا سكنت وتعدت في تلك الدكان ينصلح امرك ان شاء الله تعالى خصوصا وصورتك جميلة ولكن اجعل عزيزا امينا عندك واجلسه في داخل الدكان لينا ولك التفاصيل والاقمشة فلما سمع تاج الملوك ذلك الكلام قال ان هذا رأي سديد ومليح فعند ذلك اخرج تاج الملوك بدلة سنية تجّارية ولبسها وقام يمشي وغلمانه خلفه واعطى لاحدهم الف دينار معه ليقضي بها مصالح الدكان وما زالوا سائرين الى ان وصلوا الى سوق البزّ فلما رات التجّار تاج الملوك ونظروا الى حسنه وجماله تحيّروا وصاروا يقولون ان رضوان فتح ابواب الجنان وغفل عنها فخرج منها هذا الشاب البديع الحسن وآخر يقول لعلّ هذا من الملائكة فلما دخلوا عند التجار سألوا عن دكان العَريف فدلوهم عليها فما زالوا سائرين حتى وصلوا عند العَريف فسلموا عليه فقام اليهم هو ومن عنده من التجّار واجلسوهم وعظّموهم لاجل الوزير فانهم رأوه رجلا كبيرا مهابا ومعه الشاب تاج الملوك وعزيز فقال التجار لبعضهم لا شك ان هذا الشيخ والد هذين الشابين فقال لهم الوزير مَن شيخ السوق فيكم فقالوا هاهو واذا هو اقبل فنظر اليه الوزير وتأمّله فرآه شيخا كبيرا صاحب هيبة ووقار وخدم وغلمان وعبيد فعند ذلك حيّاهم العَريف تحيّة الاحباب وبالغ في اكرامهم واجلسهم الى جانبه وقال لهم هل لكم من حاجة نفوز بقضائها فقال الوزير نعم انا رجل كبير طاعن في السن ومعي هذان الغلامان وسافرت بهما سائر الاقاليم والبلاد وما دخلت بلدة الّا اقمت بها سنة كاملة

Digitized by Google

فلما فرغ تاج الملوك من انشاده اقبل عليه الوزير وقال له ابشر هذه علامة الخير فطب قلبا وقرّ عينا ولا بدّ ان تبلغ مقصودك واقبل عليه عزيز وصبره وصار يلهيه ويحادثه ويحكي له الحكايات وهم يجدون في السير ولم يزالوا مسافرين اياما وليالي الى مدّة شهرين آخرين فلما كان يوما من الايام اشرفت عليهم الشمس ولاح لهم من البعد شيء ابيض فقال تاج الملوك لعزيز ماهذا البياض فقال عزيز يامولاي هذه القلعة البيضاء وهذه المدينة التي انت طالبها ففرح تاج الملوك ولم يزالوا مسافرين الى ان قربوا من المدينة فلما قربوا منها فرح تاج الملوك غاية الفرح وزال عنه الهمّ والترح ثم دخلوها وهم في سيمة التجار وابن الملك في زيّ تاجر كبير ثم اتوا الى مكان يعرف بمنزل التجار وهو خان عظيم فقال تاج الملوك لعزيز اهذا محل التجار فقال عزيز نعم وهو الخان الذي كنت انا نزلت فيه فانزلوا فيه واناخوا فيه مطيّهم وحطوا رحالهم وخزنوا امتعتهم في المخازن واقاموا للراحة اربعة ايام ثم ان الوزير اشار عليهم ان يكتروا لهم دارا كبيرة فاجابوه واكتروا لهم دارا واسعة البنيان معدّة للافراح فنزلوا فيها واقام الوزير وعزيز يدبّران حيلة لتاج الملوك وتاج الملوك حائر لا يدري مايفعل ولم يجد له حيلة غير انه تاجر في قيصرية البزّ ثم ان الوزير اقبل على تاج الملوك وعزيز وقال لهما اعلما انه اذا كان مقامنا هنا على هذه الحالة فاننا لا نبلغ مرادنا ولا تقضي لنا حاجة وقد خطر ببالي شيء وهو ان شاء الله فيه الصلاح فقال له تاج الملوك وعزيز افعل مابدا لك فان المشائخ فيهم البركة لا سيّما انك قد مارست الامور فقل لنا ماخطر ببالك فقال لتاج الملوك الرأي اننا نكتري لك

Digitized by Google

لما نبلغ المرام لايكون الا خيرا وسافروا و كان الوزير قد اوصى تاج الملوك بالاصطبار وصار عزيز يسامره وينشد له الاشعار ويحدثه بالتواريخ والاخبار وهم يجدّون في السير ليلا و نهارا مدة شهرين كوامل فطالت الطريق على تاج الملوك وزادت به النيران فانشد يقول

طَالَ الْمَسِيْرُ وَزَادَ الْهَمُّ وَالْقَلَقُ ... وَفِي الْفُؤَادِ هَوًى زَادَتْ بِهِ الْحُرَقُ
اَقْسَمْتُ يَا مُنْيَتِي يَا مُنْتَهَى اَمَلِي ... بِحَقِّ مَنْ خَلَقَ الْاِنْسَانَ مِنْ عَلَقِ
لَقَدْ حَمَلْتُ غَرَامًا مِنْكَ يَا سُوْلِي ... لَمْ تَحْمِلَنْهُ جِبَالُ الشُّمِّ بِالْاَرَقِ
يَا سِتَّ دُنْيَايَ اِنَّ الْحُبَّ اَهْلَكَنِي ... وَرَدَّنِي مَيِّتًا مَا فِيَّ مِنْ رَمَقِ
لَوْلَا الرَّجَاءُ بِوَصْلٍ مِنْكَ يَطْمَعُنِي ... مَا كَانَ شَخْصِي اَتَى فِي السَّيْرِ مُنْطَلِقِ

ثم لما فرغ من انشاده بكى وبكى عزيز معه لانه جريح القلب فرقّ قلب الوزير لبكائهما وقال ياسيدي طب نفسا وقرّ عينا فما يكون الا الخير فقال تاج الملوك ياوزير طالت مدة السفر فاخبرني كم بيننا و بين البلد فقال له عزيز مابقي الا القليل ثم ساروا يقطعون الاودية والاوعار والبراري والقفار فبينما تاج الملوك ذات ليلة نائم اذرأى في النوم ان محبوبته معه و هو يعانقها و يضمّها الى صدره فانتبه مرعوبا فزعا طائر العقل وانشد يقول شعرا

خَلِيْلَيَّ هَامَ الْقَلْبُ وَالدَّمْعُ سَاجِمُ ... وَوَجْدِي عَزِيْزٌ وَالْغَرَامُ مُلَازِمُ
وَنَوْحِي كَنَوْحِ الثَّاكِلَاتِ مِنَ الْبُكَا ... اِذَا جَنَّ لَيْلِي نُحْتُ نَوْحَ الْحَمَائِمِ
وَاِنْ هَبَّتِ الْاَرْيَاحُ مِنْ نَحْوِ اَرْضِكُمْ ... وَجَدْتُ بِهَا بَرْدًا عَلَى الْاَرْضِ قَادِمِ
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كُلَّمَا هَبَّتِ الصَّبَا ... وَمَا طَارَ قُمْرِي وَنَاحَتْ حَمَائِمُ

Digitized by Google

تاج الملوك بذلك فلما علم ذلك قال لابيه يا ابي انا لا اطيق الصبر عنها فانا اروح اليها واتحايل في اتصالي بها ولو اموت ولا افعل غير هذا فقال له ابوه وكيف تروح اليها فقال اروح في صفة تاجر فقال الملك ان كان ولا بد فخذ معك الوزير وعزيزا ثم انه اخرج له شيأ من خزائنه وهيأ له متجرا بمائة الف دينار واتفقا معه على ذلك فلما جاء الليل ذهب تاج الملوك وعزيز الى منزل عزيز وباتا تلك الليلة هناك وصار تاج الملوك مسلوب الفؤاد ولم يطب له اكل ولا رقاد بل هجم عليه الفكر وهزّه الشوق الى محبوبته فتوسّل بالخلّاق ان يمنّ عليه بالتلاق وبكى وانّ واشتكى وانشد يقول

تَرَى هَلْ لَنَا بَعْدَ الْبِعَادِ وُصُولُ ... فَأَشْكُو إِلَيْكُمْ صَبْوَتِي وَأَقُولُ
تَذَكَّرْتُكُمْ وَاللَّيْلُ فِي غَفَلَاتِهِ ... وَأَسْهَرُ تُمُونِي وَالْأَنَامُ غُفُولُ

فلما فرغ من شعره بكى بكاء شديدا وبكى معه عزيز وتذكر ابنة عمه ولا زالا كذلك يبكيان الى ان اصبح الصباح ثم قام تاج الملوك ودخل على والدته وهو لابس اهبة السفر فسألته عن حاله فاعاد عليها الخبر فاعطته خمسين الف دينار ثم ودّعته وخرج من عندها ودعت له بالسلامة والاجتماع بالاحباب ثم دخل على والده واستاذنه ان يرحل فاذن له واعطاه خمسين الف دينار وامران تضرب له خيمة في خارج المدينة فضربت له الخيمة فاقام فيها يومين وسافر واستانس تاج الملوك بعزيز وقال له يا اخي انا ما بقيت اطيق ان افارقك فقال عزيز وانا الآخر كذلك وانا احبّ ان اموت تحت رجليك ولكن يا اخي قلبي اشتغل بوالدتي فقال له تاج الملوك

Digitized by Google

بالامر الذي جاء فيه فبقي الملك حائرا في ردّ الجـــواب لان ابنته لاتحبّ الرجال ولا تشتهي الزواج فاطرق الملك براسه الى الارض ساعة ثم رفع راسه ودعا بخـادم من بعض الخدام وقال له اذهب الى سيدتك دنيا واعد عليها ما سمعت و بمـــا جاء به هذا الوزير فقام الخادم وذهب وغاب ساعة ثم عاد الى الملك وقال له يامَلك الزمان اني لما دخلت واخبرت الست دنيا بما سمعت غضبت غضبا شديدا و نهضت اليّ بعصاة وارادت كسر راسي ففررت منها هاربا وقالت لي ان كان ابى يغصبنى على الزواج فالذي اتزوّج بـه اقتله فقال ابوها للوزير ولعزيز قد سمعتما فانتما تعلمان واخبرا الملك بذلك وسلّما وان ابنتي لاتحبّ الرجال ولا تشتهي الزواج و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــــــــــــباح

فلما كانت الليلة الحادية والثلثون بعد المائة

قالت بلغني ايهـــا الملك السعيدان الملك شهر مان قال للوزير وعزيز سلّما على الملك و انكما تخبران الملك بما سمعتماه بان ابنتى لاتحب الزواج فرجعوا من غير فائدة ومازالوا مسافرين الى ان دخلوا على الملك واخبروه بماجري فعند ذلك امر النقباء ان ينادوا على العساكر بالسفر من اجل الحرب والجهاد فقال له الوزير ايها الملك لاتفعـل ذلك فان الملك لا ذنب له وان ابنتـــه حين علمت بذلك ارســـلت تقول ان غصبنى ابي على الزواج اقتل من اتزوّج به واقتل نفسي بعده وانما الامتناع منها فلما سمع الملك كلام الوزير خاف على تاج الملوك وقال ان انا حاربت اباها وظفرت بابنته فهي تقتل نفسها فلا يفيدني شيء ثم ان الملك اعلم ابنـه

Digitized by Google

في امك لعلّ الله ان يبلغك المرام و ان لم يرض زلزلت عليه مملكته بجيش آخره عندي و اوّله عنده ثم دعا بالشاب عزيز وقال له يا ولدي هل انت تعرف الطريق قال نعم قال له اشتهي منك ان تسافر مع وزيري فقال له عزيز سمعا وطاعة يا ملك الزمان ثم ان الملك احضر وزيره و قال له دبّر لي رأيا في امر ولدي يكون صوابا واذهب الى جزائر الكافور و اخطب بنت ملكها لولدي فاجابه الوزير بالسمع والطاعة ثم عاد تاج الملوك الى منزله وقد زاد به الوجد والحال وطال عليه المطال فلما جنّ عليه الليل بكى و انّ واشتكى و انشد يقول شعر

جَنَّ الظَّلَامُ وَدَمْعِي زَائِدُ الْمَدَدِ ... وَالْوَجْدُ مِنْ شِدَّةِ النِّيرَانِ فِي كَبِدِي
سَلُوا اللَّيَالِيَ عَنِّي وَهْيَ تُخْبِرُكُمْ ... إِنْ كَانَ شُغْلِيَ غَيْرَ الْهَمِّ وَالْكَمَدِ
أَبِيتُ أَرْعَى نُجُومَ اللَّيْلِ مِنْ وَلَهِي ... وَالدَّمْعُ مُنْهَمِلٌ فِي الْخَدِّ كَالْبَرَدِ
وَقَدْ بَقِيتُ وَحِيدًا لَيْسَ لِي أَحَدٌ ... كَمِثْلِ صَبٍّ بِلَا أَهْلٍ وَلَا وَلَدِ

ثم لما فرغ من شعره غشي عليه ساعة فلم يفق الا وقت الصباح فاتى خادم ابيه ووقف عند راسه ودعاه الى والده فراح معه فلما رآه ابوه وجده قد تغيّر لونه فصبره ووعده بجمع شمله ثم جهّز عزيزا مع وزيره واعطاهم الهدايا فسافروا اياما و ليالي الى ان اشرفوا على جزائر الكافور فعند ذلك اقاموا على شاطئ نهر وانفذ الوزير رسولا من عنده الى الملك ليخبره بقدومهم فراح الرسول فلم يكن غير ساعة الّا و حجاب الملك وامراؤه قد اقبلوا عليهم و لاقوهم من مسيرة فرسخ فتلقوهم وساروا في خدمتهم الى ان دخلوا بهم على الملك فقدموا له الهدايا واقاموا في ضيافته ثلثة ايام فلما كان اليوم الرابع قام الوزير ودخل على الملك ووقف بين يديه وحدّثه

Digitized by Google

لي والسلام فلما سمع تاج الملوك ذلك الكلام اشتغل باله وفكره بحبّ السيدة دنيا و حار في امره ثم انه نهض و ركب جواده واخذ عزيزا معه و عادبه الى مدينة ابيه وافرد لعزيز دارا ووضع له فيها كل ما يحتاج اليه من المأكل والمشرب والملبس وتركه ومضى الى قصره و دموعه تجرى على خدوده لان السماع يحل محل النظر والاجتماع ولم يزل تاج الملوك على تلك الحالة حتى دخل عليه ابوه فوجده متغير اللون نحيف الجسم باكى العين فعلم انه مهموم لامر نزل به فقال له يا ولدي اخبرني عن حالك وما الذي جرى لك حتى تغيّر لونك و نحل جسمك فاعاد له جميع ما جرى له وما سمعه من قصة عزيز و قصّة السيدة دينا و انه عشقها على السماع ولم ينظرها بالعين فقال يا ولدي انها بنت ملك و بلاده بعيدة عنّا فدع عنك هذا وادخل الى قصر امّك و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثلثين بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان ان والد تاج الملوك قال له يا ولدي انّ اباها ملك و بلاده بعيدة عنّا فدع عنك هذا و ادخل الى قصر امّك ففيه خمسمائة جارية كالا قمار فمن اعجبتك منهن خذها و الّا ناخذ و نخطب لك بنتا من بنات الملوك تكون احسن منها فقال له يا ابي لا اريد غيرها ابدا و هي صاحبة الغزال الذي رايته ولابد لي منها والّا اهج في البراري والقفار و اقتل نفسي بسببها فقال له ابوه امهلني حتى ارسل الى ابيها واخطبها منه و ابلغك المرام مثل ما فعلت لنفسي

Digitized by Google

كثيرة الاشجار و حارس تلك البســاتين شيخ كبير طاعن فى السنّ فقلت له يا شيخ لمن هذا البستان فقال لي هو لابنة الملك الست دنيا و نحن تحت قصرها فاذا ارادت ان تتفرج تفتح باب السرّ وتتفرج فى البستــان و تشــمّ روائح الازهار فقلت له انعم عليّ بان اقعد في هذا البستان حتى تاتي وتمرّ لعلّي احظى منها بنظرة فقال الشيخ لاباس بذلك فلما قال لي ذلك اعطيته بعض دراهم و قلت له اشتر لنا شيأً ناكله فاخذهم و هو فرحان و فتح الباب و دخل و ادخلني معه و سرنا و ما زلنا سائرين الى ان اتينا الى مكان لطيف وقال لي اجلس هنــا الى ان اذهب و اعود اليك بعد ان احضــر لي شيأً من الفواكه وتركني ومضى وغاب ساعة ورجع ومعه خروف مشوي فاكلنا حتى اكتفينــا وقلبي مشتاق الى رؤية الصبية فبينما نحن جالسان و اذا بالبــاب قد انفتح فقال لي قم اختف فقمت و اختفيت و اذا بطواشي اسود اخرج راسه من باب الريح و قال يا شيخ هل عندك احد فقال لا فقال له اغلق باب البستان فاغلق الشيخ باب البستان و اذا بالست دنيــا طلعت من باب السرّ فلما رأيتها ظننت ان القمر قد طلع من الافق و اضاء فنظرت لها ساعة زمانية و صرت مشتاقا اليها كاشتياق الظمــآن الى المــاء و بعد ساعة اغلقت البــاب و مضت فعند ذلك خرجت انا من البستان وطلبت منزلي وعرفت انّي لا اصل اليها ولا انا من رجالها خصوصا و انا قد صرت مثل المراة ليس لي آلة رجال و هي بنت ملك و انا رجل تاجر فمن اين لي وصــول الى مثل هذه او غيرها فلما تجهزت اصحــابي هؤلاء تجهزت انا وسافرت معهم و هم قاصدون هذه البلدة حتى اذا وصلنا الى هذا المكان و اجتمعنا بك وسألتني فاخبرتك و هذه حكايتي وما جرى

Digitized by Google

عند و الدتى اولا و قد شبعت من الدنيـــا ثم بكى و انّ و اشتكى و نظر الى صورة الغزال وجرت د موعه على خدوده و سالت و انشد يقول هذين البيتـــــــــــــــــــــــــــــن

وَ قَائِلٍ قَالَ لِيْ لَابُدَّ مِنْ فَرَجٍ ... فَقُلْتُ لِلْغَيْظِ كَمْ لَابُدَّ مِنْ فَرَجٍ
فَقَالَ لِيْ بَعْدَ حِيْنٍ قُلْتُ يَا عَجَبِيْ ... مَنْ يَضْمَنُ الْعُمْرَ لِيْ يَا بَارِدَ الْحُجَجِ

وقول الآخر

اَللّٰهُ يَعْلَمُ اَنِّيْ بَعْدَ فُرْقَتِكُمْ ... بَكَيْتُ حَتَّى اسْتَلَفْتُ الدَّمْعَ بِالدَّيْنِ
فَقَالَ لِيْ عَاذِلِيْ اِصْبِرْ تَنَالُهُمُ ... فَقُلْتُ يَا عَاذِلِيْ اَلصَّبْرُ مِنْ اَيْنِ

و هذه حكايتي ايها الملك فهل سمعت اغرب من هذا الحديث فتعجب تاج الملوك غاية العجب وانه لما سمع قصة الشاب انطلقت في فؤاده النيران بسبب ذكر الست دنيا و جما لها و ادرك شهر زاد الصبـــاح فسكتت عن الكلام المـــــــــــــــــــــــــــــباح

فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون بعد المائة

قالت بلغني ايهـــا الملك السعيدان الوزير دندان قال لضوء المكان فلما سمع تاج الملوك قصة الشـــاب تعجب غاية العجب و انطلقت في فؤاده النيران لما سمع بجمال السيدة دنيا و عرف انهـــا هي التي ترقم الغزلان وزاد به الوجد والهيام فقال للشاب والله لقد جرى لك شيء ماجرى لاحد غيرك مثله و لكن لك عمر تقضيه و قصدي ان اسالك عن شيء فقال عزيز و ماهو قال تحكي لي كيف رأيت تلك الصبية التي عملت هذا الغزال فقال يا مولاي اني اتيتها بحيلة و هو اني لما دخلت مع القافلة الى بلدها كنت اخرج و ادور في البساتين وهي

Digitized by Google

موتي واعلم ان الصبية التي صنعت هذا الغزال بنت ملك جزائر الكافور وست الاحرار فلما قرأت تلك الورقة وفهمت مافيها بكيت وبكت امي لبكائي ولازلت انظر اليها وابكي الى ان اقبل الليل ولم ازل على تلك الحالة مدة سنة وبعد السنة تجهز هؤلاء التجّار من مدينتي الى السفر وهم هؤلاء الذين انا معهم في القافلة فاشارت عليّ امي ان اتجهّز معهم واسافر لعلي اتسلى ويذهب مابي من الحزن وقالت لي اشرح صدرك واترك هذا الحزن عنك وتغيب سنة اوسنتين اوثلثة حتى تعود القافلة فلعل ينشرح صدرك وينجلي خاطرك ولازالت تلاطفني بالكلام حتى جهزت متجري وسافرت معهم وانا لم تنشف لي دمعة طول سفري ابدا وفي كل منزلة ننزل بها افتح هذه الخرقة وانظر فيها الى هذا الغزال فاتذكر ابنة عمي وابكي عليها كما تراني فانها كانت تحبني محبّة زائدة وقد ماتت مقهورة مني ومافعلت معها الاّ الضرر وهي لم تفعل معي الا الخير ومتى رجعت التجار من سفرهم فانا ارجع معهم وتكمل مدة غيابي سنة كاملة وانا في حزن زائد وماجدّد همي وحزني الاّ اني جزت على جزائر الكافور وقلعة البلور وهي سبع جزائر والحاكم عليهم ملك يقال له شهرمان وله بنت يقال لها دنيا فقيل لي انها هي التي تصنع الغزلان وهذا الغزال الذي معك من جملة رقمها فلما علمت ذلك زادت بي الاشواق وغرقت في بحر الفكر والاحتراق فبكيت على روحي لاني بقيت مثل المرأة ولا حيلة لي وما بقي معي آلة مثل الرجال واني من يوم فراقي لجزائر الكافور وانا باكي العين حزين القلب ولي مدة على هذا الحال وما ادري هل يمكنني ان ارجع الى بلدي واموت

Digitized by Google

تحب لكن اذا اصابك شيء من بنت الدليلة المحتالة فلا ترجع تروح اليها ولا لغيرها واصبر على بليّتك ولولا اجلك مديد لكنت هلكت من زمان و لكن الحمد لله الذي جعل يومي قبل يومك و سلامي عليك واحتفظ على هذه الخرقة التي فيها صورة الغزال ولا تخليها تفارقك فان تلك الصورة كانت تؤانسني اذ اغبت عنّى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــاح

فلما كانت الليلة الثامنة والعشرون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال للملك ضوءالمكان ثم ان الشاب عزيزا قال لتاج الملوك فقرأت ماكتبته لى بنت عمي و اوصتني به وهي تقول احتفظ بهذا الغزال ولا تدعه يفارقك فانه كان يؤانسني اذا غبت عني و بالله عليك ان قدرت على من عملت هذا الغزال تتباعد عنها ولا تخليها تقربك ولا تتزوج بها وان لم تحصل لك ولا قدرت عليها ولا وجدت لك اليها سبيلا فلا تقرب بعدها واحدة من النساء واعلم ان صاحبة هذا الغزال تعمل كل سنه غزالا وترسله الى اقصى البلاد لاجل ان يشيع خبرها وحسن صنعتها التى يعجز عنها اهل الارض واما محبوبتك بنت الدليلة المحتالة فوصل اليها هذا الغزال فصارت تصدم به الناس وتريه لهم وتقول ان لى اختا تصنع هذا وهي كذّابة في قولها هتك الله سترها وهذه وصيتي وما اوصيتك بهذه الوصية الّا لانني اعلم ان الدنيا قدتضيق عليك بعد موتى وربما تتغرب بسبب ذلك و تطوف فى البلاد وتسمع بصاحبة هذه الصورة فتتشوق نفسك الى معرفتها فتذكرني فما ينفعك فلاتعرف قدري الّا بعد

Digitized by Google

لها اني لا انكر في احد ابدا غير ابنة عمي لاني استحق كل ماحصل لي حيث اهملتها وهي تحبّني فقالت وماحصل لك فحكيت لهـا ماحصل لي فبكت ساعة ثم قامت واحضرت لي شيأً من الماكول فاكلت قليلا وشربت واعدت لها قصتي واخبرتها بجميع ما وقع لي فقالت الحمد لله الذي جرى لك هذا وما ذبحتك ثم انها عالجتني وداوتني حتى برئت وتكاملت عافيتي فقالت لي يا ولدي الآن اخرج لك الوداعة التي وضعتها عندي بنت عمك فانها لك وقد حلفتني اني لا اخرجها لك حتى اراك تتذكرها وتبكي عليها وتنقطع علائقك من غيرها والآن علمت فيك هذه الشروط ثم قامت وفتحت صندوقا واخرجت منه هذه الخرقة التي فيها صورة هذا الغزال المصور وهي التي كنت وهبتها لهـا اوّلا فلما اخذتهـا وجدت مكتوبا فيهـا هذه الابيـــــــــــــــــــــــــات

يَارَبَّةَ الْحُسْنِ مَنْ بِالصَّدِّ اَغْرَاكِ ... حَتَّى قَتَلْتِ بِفَرْطِ الْحُبِّ مُضْنَاكِ
اِنْ كُنْتِ لَمْ تَذْكُرِينَا بَعْدَ فُرْقَتِنَا ... فَاللّٰهُ يَعْلَمُ اَنَّا مَا نَسِينَاكِ
عَلَّ بْتِنِي بِالتَّجَنِّي وَهْوَ يَعْذُبُ لِي ... فَهَلْ تَجُودِينَ لِي يَوْمًا بِرُؤْيَاكِ
مَاكُنْتُ اَحْسِبُ اَنَّ الْحُبَّ فِيهِ ضَنًا ... وَلَا عَذَابَ نُفُوسٍ قَبْلَ اَهْوَاكِ
حَتَّى تَوَلَّعَ قَلْبِي بِالْغَرَامِ فَمَا ... اَمْسَى اَسِيرَ الْهَوَى فِي لَحْظِ عَيْنَاكِ
رِقَّ الْعَذُولُ لِحَالِي فِي الْهَوَى وَرَثَى ... وَاَنْتِ يَا هِنْدُ لَمْ تَرْثِي لِمُضْنَاكِ
تَاللّٰهِ لَوْمُتُّ لَمْ اَسْلُوكِ يَا اَمَلِي ... وَلَوْ فَنِيتُ غَرَامًا لَسْتُ اَنْسَاكِ

فلما قرأت هذه الابيات بكيت بكاء شديدا ولطمت على وجهي وفتحت الرقعة فوقعت منها ورقة اخرى ففتحتها فاذا مكتوب فيها اعلم يا بن عمي اني جعلتك في حلّ من دمي وارجوالله ان يوفق بينك وبين من

Digitized by Google

في هذه الساعة لمن تشتهي وانا ما كان لي عندك غير الذي قطعته والآن مابقي لي عندك شيء ولالي فيك رغبة ولاحاجة لي بك فقم وملّس على راسك وترحم على بنت عمك ثم رفصتني برجلها فقمت وما قدرت ان امشي فتمشّيت قليلا قليلا حتى وصلت الى الباب فوجدته مفتوحا فرميت نفسي فيه وانا غائب عن الوجود واذا بزوجتي خرجت وحملتني وادخلتني القاعة فوجدتني مثل المرأة ثم اني نمت واستغرقت في النوم فلما قمت وصحوت وجدت نفسي مرميا على باب البستان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــاح

فلما كانت الليلة السابعة والعشرون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال للملك ضوء المكان ثم ان الشاب عزيزا قال لتاج الملك ثم اني لما قمت وصحوت وجدت نفسي ملقى على باب البستان فقمت وانا أئِنّ واتضجر وتمشيت حتى اتيت الى منزلي فدخلت فيه فوجدت امّي تبكي عليّ وتقول ياهل تري ياولدي انت في اي ارض فدنوت منها ورميت نفسي عليها . فلما نظرت اليّ وحست بي وجدتني على غير استواء وصار على وجهي الاصفرار والسواد فتفكرت بنت عمي ومافعلت معي من المعروف وتحققت انها كانت تحبّني فبكيت عليها وبكت امي فقالت امي ياولدي ان والدك قدمات فازددت غيظا وبكيت حتى اغمي عليّ فلما افقت نظرت الى موضع ابنة عمي التي كانت تقعد فيه فبكيت ثانيا وكدت ان اغمي عليّ من شدة البكاء ومازلت في هذا البكاء والنحيب الى نصف الليل فقالت لي امي ان لوالدك عشرة ايام وهو ميت فقلت

Digitized by Google

مسكتا يداي وقامت هي ومعها جاريتان فامرتهما ان يضرباني فضرباني حتى اغمي عليّ وخفي صوتي فلما استفقت قلت في نفسي ان موتي مذبوحا احسن و اهون عليّ من هذا الضرب وتذكّرت قول بنت عمي فانها كانت تقول لي كساك الله شرّها فصرخت وبكيت حتى انقطع صوتي وما بقي لي حس ولا نفس ثم سنّت السكّين وقالت للجواري اكشفن عنه فالهمني المولى ان اقول الكلمتين اللتين قالتهما بنت عمي واوصتني بهما فقلت ياسيدتي اما علمت ان الوفا مليح * والغدر قبيح * فلما سمعت ذلك صاحت وقالت يرحمك الله ياعزيزة الله يعوّضها في شبابها الجنة والله انها نفعتك في حياتها وبعد وفاتها وخلصتك من يدي بسبب هاتين الكلمتين ولكن لا يمكن اتركك هكذا ولا بد اني اعمل فيك اثرا لاجل نكاية تلك العاهرة المهتوكة التي حجبتك عني ثم صاحت على الجواري وامرتهن ان يربطن رجلاي بالحبل ثم قالت لهن اركبن عليه ففعلن ذلك ثم قامت من عندي واتت بطاجن من نحاس وعلّقته على كانون نار وصبّت فيه شيرجا وقلت فيه جبنّا وانا غائب عن الدنيا ثم اتت اليّ وحلّت لباسي وربطت مخاشمي بحبل وامسكته وناولته لجاريتين وقالت لهما جرّا الحبل فجرّتاه فغشي عليّ وصرت من شدة الالم في دنيا غير هذه الدنيا وجاءت بموسى من حديد وقطعت ذكري وبقيت مثل المرأة ثم كوت موضع القطع وكبسته بذرور وانا مغمى عليّ فلما افقت كان الدم قد انقطع فامرت الجواري ان يحللنني فاسقتني قدح شراب ثم قالت لي رح الآن للتي تزوجت بها وبخلت عليّ بليلة واحدة رحم الله بنت عمك التي هي سبب نجاتك ولم تبح سرّها ولولا انك اسمعتني كلمتيها لكنت ذبحتك فاذهب

Digitized by Google

وماتت مقهورة منك وهي التي حمتك مني وكنت اظنك تحبّني فخليت سبيلك مع اني كنت اقدر ما اخليك تروح سالما بشجم واقدر على حبسك وهلاكك ثم بكت بكاء شديدا واغتاظت واقشعرت في وجهي ونظرت اليّ بعين الغضب فلما رايتها على تلك الحالة ارتعدت فرائصي وخفت منها وصارت هي مثل الغولة المهولة وصرت انا مثل الفولة على النار ثم قالت لي مابقي فيك فائدة بعد ما تزوجت وصار لك ولد فانت لا تصلح لعشرتي لانه لا ينفعني الّا الغزب واما الرجل المتزوّج فانه ما ينفعنا بشيء وقد بعتني بالحزمة الدفرة والله لابد لاحمرنّ تلك العاهرة عليك ولا تبقى لي ولا لها ثم انها صرخت صرخة عظيمة فما اشعر الا وعشرة جوار اتين ورميني على الارض فلما بقيت تحت ايديهن قامت هي واخذت سكّينا وقالت لاذبحنّك ذبح التيوس ويكون هذا اقلّ من جزائك على ما فعلت معي ومع ابنة عمك قبلي فلما نظرت الى روحي وانا تحت يد جواريها وتعفّر خدي بالتراب ورايتها تسنّ السكّين تحققت الموت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والعشرون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان ثم ان الشاب عزيزا قال لتاج الملوك فلما رأيت روحي تحت يد جواريها وتعفّر خدّي بالتراب ورأيتها تسنّ السكّين تحققت الموت فعند ذلك استغثت بها فلم تزدد الّا قساوة وامرت الجواري ان يكتفنني فكتفنني ورميني على ظهري وجلسن على بطني ومسكن رأسي وقامت جاريتان جلستا على اقصاب رجلي وجاريتان

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان عزيزا قال لتاج الملوك ثم اني دخلت البستان ومشيت حتى اتيت الى المقعد فوجدت بنت الدليلة المحتالة جالسة وراسها على ركبتيها ويدها على خدها وقد تغير لونها وغارت عيناها فلما راتني قالت الحمد لله على السلامة وهمّت ان تقوم فوقعت من فرحتها فاستحييت منها وطأطأت راسي ثم تقدمت اليها وقبّلتها وقلت لها كيف عرفت ان اجيء اليك في هذه الليلة قالت لاعلم لي بذلك والله ان لي سنة لم اعرف طعم النوم ولم اذق الّا اني سهرانة كل ليلة في انتظارك وانا على تلك الحالة من يوم خرجت من عندي واعطيتك البدلة القماش الجديدة ووعدتني انك تروح الى الحمام وتجيء فقعدت انتظرتك اول ليلة وثاني ليلة وثالث ليلة فما اتيت الا بعد هذه المدة وانا دائما منتظرة لمجيئك وهذا شان العشاق فاني اريد منك انك تحكي لي على سبب غيابك عني هذه السنة فحكيت لها فلما علمت اني تزوجت اصفرّ لونها ثم قلت لها اني اتيتك هذه الليلة واروح قبل طلوع النهار فقالت اما كفاها انها عملت عليك الحيلة وتزوجت بك وحبستك عندها سنة كاملة حتى حلفتك بالطلاق انك تعود اليها من ليلتك قبل طلوع النهار ولم تسمح نفسها لك بان تتفسح عند امّك او عندي ولم يهن عليها ان تبيت عند احدنا ليلة واحدة بعيدا عنها فكيف حال من غبتَ عنها سنة كاملة وانا عرفتك قبلها ولكن رحم الله بنت عمك عزيزة فانها جرى لها مالم يجر لاحد وصبرت على مالم يصبر عليه احد

Digitized by Google

فعدت واعلمتها بانه مغلق مسمر فقالت لي يا عزيزان عندنا من الدقيق والحبوب والفواكه والرمان والسكر واللحم والغنم والدجاج وغير ذلك ما يكفينا اعواما عديدة ومن هذه الساعة لا يفتح الباب الا بعد سنة وانا اعلم انك ما بقيت ترى روحك خارجا عن هذه الدار الا بعد سنة فقلت لاحول ولاقوة الا بالله فقالت واي شيء يضرك وانت تعرف صنعة الديك التي اخبرتك بها ثم ضحكت فضحكت انا وطاوعتها فيما قالت ومكثت عندها وانا اعمل صنعة الديك آكل واشرب واليك حتى مرّ علينا عام اثنى عشر شهرا فلما كملت السنة حملت مني ورزقتُ منها ولدا وعند راس السنة سمعت فتح الباب واذا برجال دخلوا بكعك ودقيق وسكر فاردت ان اخرج فقالت اصبر الى وقت العشاء ومثل مادخلت فاخرج فصبرت الى وقت العشاء واردت ان اخرج وانا خائف مرعوب واذا هي قالت والله ما ادعك تخرج حتى احلفك انك تعود في هذه الليلة قبل ان يغلق الباب فاجبتها الى ذلك فحلفتني بالايمان الوثيقة على السيف والمصحف والطلاق اني اعود اليها ثم خرجت من عندها ومضيت الى البستان فوجدته مفتوحا كعادته فاغتظت وقلت في نفسي اني غائب عن هذا المكان سنة كاملة وجئته على غفلة فوجدته مفتوحا كعادته يا ترى هل الصبية باقية على حالها اولا ولكن لا بد اني ادخل وانظر قبل ان اروح الى امي وانا في وقت العشاء ثم دخلت البستان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

Digitized by Google

الكتاب اشهدت على نفسها انها قبضت جميع المهر مقدما و موخرا وان لي في ذمتها عشرة آلاف درهم ثم انها اعطت الشهود اجرتهم وانصرفوا من حيث اتوا فعند ذلك قامت الصبية و قلعت اثوابها واتت في قميص رفيع مطرّز بطراز من الذهب. و قلعت لباسها واخذت بيدي وطلعت بي الى فوق السرير و قالت لي مافي الحلال من غيب و نامت على السرير وانسطحت على ظهرها ورمتني على صدرها ثم شهقت شهقة واتبعتها بغنجة ثم كشفت الثوب الى فوق فهودها فلما رايتها على هذه الحالة لم املك نفسي دون ان اولجته فيها بعد ان مصصت شفتها وهي تتأوّه وتظهر الخشوع والبكاء من غير دموع ثم قالت يا حبيبي اعمل واذكرتني في الحال قول من قال

وَلَمَّا كَشَفْتُ الثَّوْبَ عَنْ سَطْحِ كُسِّهَا ... وَجَدْتُ بِهَا ضِيقًا كَخُلْقِي وَأَرْزَاقِي
فَأَوْلَجْتُ فِيهَا نِصْفَهُ فَتَنَهَّدَتْ ... فَقُلْتُ لِمَا هَذَا فَقَالَتْ عَلَى الْبَاقِي

ثم قالت يا حبيبي اعمل خلاصك فانا جاريتك خذه هاته كله بحياتي عندك هاته حتى ادخله بيدي واحطه في فوادي ولم تزل تسمعني الغنج والبكاء والشهيق في خلال البوس والتعنيق حتى صار صياحنا في الطريق وحظينا بالسعادة والتوفيق ثم نمنا الى الصباح واردت ان اخرج واذا هي اقبلت عليّ تضحك وتقول يوه يوه هل تحسب انت ان دخول الحمام مثل خروجه وما اظن الّا انك تحسبني مثل بنت الدليلة المحتالة اياك وهذا الظن فما انت الا زوجي بالكتاب والسنة وان كنت سكرانا فاصح لعقلك ان هذه الدار التي انت فيها ما تفتح الا في كل سنة يوما قم وانظر الى الباب الكبير فقمت الى الباب الكبير فوجدته مغلقا مسمرا

Digitized by Google

اتمناك يوما بعد يوم وما قدرت عليك الا في هذا الوقت حتى تحيلت عليك وقد تمت عليك الحيلة وانت الآن غشيم لا تعرف مكر النساء ولاد واهي العجائز فقلت لا والله فقالت لي طب نفسا وقرّ عينا فان الميت مرحوم والحي ملطـــوف به وانت شـــاب مليح وانا ما اريدك الا بسنّة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومهما اردت من مال وقمـاش يحضر لك سريعا وما اكلّفك بشيء ابدا وايضا عندي دائما الخبز مخبوز والماء في الكوز وما اريد منك الا ان تعمل معي كما يعمل الديك فقلت لهـا وما الذي يعمله الديك فضحكت وصفقت بيديها ووقعت على قفاها من شدة الضحك ثم انها قعدت على حيلها وتبسمت وقالت لي يا نور عيني اما تعرف صنعة الديك فقلت لا والله ما اعرف صنعـــة الديك قالت صنعة الديك ان تأكل وتشرب وتنيك فخجلت انا من كلامهـا ثم اني قلت اهذه صنعة الديك فقالت نعم وما اريد منك الآن الا ان تشد وسطك وتقوى عزمك وتنيك جهدك ثم انها صفقت بيديهـا وقالت يا امي احضري مَنْ عندك واذا بالعجوز قد اقبلت باربعة شهود عدول ومعها شقة حرير ثم انها اوقدت اربع شمعـــات فلما دخل الشهود سلموا عليّ وجلسوا فقامت الصبية وارخت عليها ازارا وكلّمت بعضهم في ولاية عقد النكاح فكتبوا الكتاب واشهدت على نفسها انها قبضت جميع المهر المقدم والمؤخر وان في ذمتها لي عشرة آلاف درهم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والعشرون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فلما كتبوا

ASHMOLEAN OXFORD MUSEUM
Digitized by Google

سعادة لايصلح الّا للملك مثلك ثم قالت لي يا عزيز ايّما احبّ اليك الموت ام الحياة فقلت لها الحياة فقالت لي اذا كانت الحيوة احب اليك فتزوج بي فقلت انا اكره ان اتزوج بمثلك فقالت لي ان تزوجت بي تسلم من بنت الدليلة المحتالة فقلت لها ومن بنت الدليلة المحتالة فقالت لي وقد ضحكت هي التي لك في صحبتها اليوم سنة واربعة اشهر اهلكها الله تعالى وابتلاها بمن هو اشدّ منها والله ما يوجد امكر منها وكم قتلت ناسا قبلك وكم فعلت افعالا وكيف سلمت منها ولك في صحبتها هذه المدة ولم تقتلك او تشوش عليك فلما سمعت كلامها تعجبت غاية العجب فقلت لها يا سيدتي ومن عرّفك بها فقالت انا اعرفها مثل ما يعرف الزمان مصائبه لكن قصدي ان تحكي لي جميع ما وقع لك معها حتى اعرف ما سبب سلامتك منها فحكيت لها جميع ما جرى لي معها ومع ابنة عمي عزيزة فترحمت عليها ودمعت عيناها ودقت يدا على يد لما سمعت بموت بنت عمي عزيزة وقالت في سبيل الله شمابها وعوّضك الله فيها خيرا والله يا عزيز انها ماتت وهي سبب سلامتك من بنت الدليلة المحتالة ولولاهي لكنت هلكت وانا خائفة عليك من مكرها وشرّها ولكن فمي ملآن ما اقدر ان اتكلم فقلت لها اي والله قد حصل كله ذلك فهزّت راسها وقالت لا يوجد اليوم مثل عزيزة فقلت وعند موتها اوصتني ان اقول لها هاتين الكلمتين لا غير وهما الوفاء مليح والغدر قبيح فلما سمعت ذلك مني قالت لي يا عزيز والله ان هاتين الكلمتين هما اللتان خلصتاك منها ومن القتل من يدها والآن قد اطمأنّ قلبي عليك منها ولا بقت تقتلك فقد خلصتك بنت عمك حية وميتة والله اني كنت

Digitized by Google

احلى منه يا امّي أهذا الذي جاء يقرأ الكتاب فقالت لها نعم فمددت يدها اليّ بالكتاب وكان بينها وبين الباب نحو نصف قصبة فمددت يدي لاتناول منها الكتاب فادخلت راسي واكتافي من الباب لاقرب منها واقرأ الكتاب فما اشعر الّا والعجوز قد وضعت رأسها في ظهري ودفعتني ويدي فيها الكتاب فما ادري الا وانا في وسط الدار وبقيت من داخل الدهليز ودخلت العجوز اسرع من البرق الخاطف وما كان لها شغل الاقفل الباب واما الصبية فانها لما رأتني من داخل الدهليز اقبلت عليّ وضمتني الى صدرها ورمتني على الارض وركبت على صدري وعصرت بطني بيديها فغبت عن الدنيا ثم اخذتني بيدها فما قدرت ان اتخلص منها من شدة ما خضتني ثم دخلت بي والعجوز قدّامها والشمعة موقودة معها حتى قطعت بي سبع دهاليز وبعد ذلك دخلت بي الى قاعة كبيرة باربعة لواوين يلعب فيها الخيّال بالأكر ثم خلتني وقالت لي افتح عينيك ففتحت عيني وانا دائخ من شدة ما ضمتني وعصرتني فرايت بتلك القاعة كلها رخام من ابهج المرمر وجميع فرشها من الحرير والديباج وكذلك المخدّات والمراتب وهناك دكّتان من النحاس الاصفر وسريران من الذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر ومقاعد وبيت

فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب عزيز قال لتاج الملوك فلما دفعتني العجوز لم اشعر الا وانا من داخل الدهليز ودخلت العجوزة اسرع من البرق الخاطف وما كان لها شغل الاقفل الباب واما الصبية فانها لما رأتني من داخل الدهليز اقبلت عليّ وضمتني الى صدرها ورمتني على الارض وركبت على صدري وعصرت بطني بيديها فغبت عن الدنيا ثم اخذتني بيدها فما قدرت ان اتخلص منها من شدة ما خضتني ثم دخلت بي والعجوز قدّامها والشمعة موقودة معها حتى قطعت بي سبع دهاليز وبعد ذلك دخلت بي الى قاعة كبيرة باربعة لواوين يلعب فيها الخيّال بالأكر ثم خلتني وقالت لي افتح عينيك ففتحت عيني وانا دائخ من شدة ما ضمتني وعصرتني فرايت بتلك القاعة كلها رخام من ابهج المرمر وجميع فرشها من الحرير والديباج وكذلك المخدّات والمراتب وهناك دكّتان من النحاس الاصفر وسريران من الذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر ومقاعد وبيت

Digitized by Google

يا ولدي ان المحب صولح بسوء الظن فلنعم علي بان تذهب معي وتقرأ لها هذا الكتاب وانت واقف خلف الستارة و انا انادي اختها تسمع من داخل الباب و تفرج عنا كربة و تقضي حاجتنا فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفّس من مكروب كربة من كُرب الدنيا نفّس الله عنه مائة كربة وفي حديث آخر من نفّس عن اخيه كربة من كُرب الدنيا نفّس الله عنه اثنين و سبعين كربة من كُرب يوم القيامة و انا قضيت لك فلا تخيّبني فقلت لها سمعا و طاعة لقد مي فلمشيت قدّ امي و مشيت و راءها قليلا حتى وصلت الى باب دار حسنة كبيرة و بابها مصفح بالنحاس الاحمر فوقفت انا خلف الباب فصاحت العجوز بالعجمية فما اسرع الاوصبية اتت بخفة و نشاط و هي مشمرة اباسها الى ركبتيها فرأيت لها ساقين يحيران الفكر والناظر وهي كما قال في وصفها الشاعر

يَا مَنْ يُشَمِّرُ عَنْ سَاقٍ لِيَعْرِضَهُ ... عَلَى الْمُحِبِّينَ حَتَّى يُفْهِمَ الْبَاقِي

وَطَافَ يَسْعَى بِكَأْسٍ نَحْوَ عَاشِقِهِ ... مَا أَفْتَنَ النَّاسَ غَيْرَ الْكَأْسِ وَالسَّاقِي

وزان ساقيها اللتين كانهما عمودان من مرمر خلاخل الذهب الموضعة بالجوهر و كانت تلك الصبية مشمّرة ثيابها الى تحت ابطيها و مشمّرة عن ذراعيها فنظرت الى معاصمها البيض وفي يديها زوجان من الاساور باتفال من اللؤلؤ الكبار و في رقبتها القلادة من ثمين الجواهر و في اذنيها قرطان من اللؤلؤ و على رأسها كوفية دقّ المطرقة مكللة بالفصوص الثمينة وقد رشقت اطراف قصصها من داخل دكة اللباس وهي كانها كانت تعمل شغلا فلما رايتها بهتّ لها وهي كانها الشمس المضيئة فقالت هي بلسان فصيح عذب ما سمعت

وفي يدها الاخرى كتاب ملفوف فتقدمت اليها و اذاهي تبكي و تنشد هذه الابيـــات

رَسُولُ الرِّضَا اَهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَبَا ... حَدِيثُكَ مَا اَحْلَاهُ عِنْدِي وَاَطْيَبَا
فَيَـــا مُهْدِيًا مِمَّنْ اُحِبُّ سَلَامَهُ ... عَلَيْكَ سَلَامُ اللّٰهِ مَا هَبَّتِ الصَّبَا

فلما رأتني قالت لي يا ولدي هل تعرف ان تقرأ فقلت لهـا بفضولي نعم يا خالتي العجوز فقالت لي خذ هذا الكتاب و اقرأه لي و ناولتني الكتاب فاخذته منها وفتحته وقراته عليها فاذاهو كتاب مضمونه من عند الغياب بالسلام على الاحباب فلما سمعته فرحت و استبشرت ودعت لي و قالت لي فرّج الله همك كما فرّجت همي ثم اخذت الكتاب ومشت خطوتين فحصل لي حصر البول فقعدت على ترافيصي لاريق الماء ثم اني قمت و تجمـرت و ارخيت اثوابي و اردت ان امشي و اذا بالعجوز قد اقبلت عليّ وطأطأت على يدي و قبلتها و قالت لي يا سيدي ربنا يهنيك بشبـــابك اترجّاك ان تمشي معي خطوات الى ذلك البـــاب فاني قلت لهم ما قلته لي في قراءة الكتاب فلم يصدقوني فامش معي خطوتين و اقرأ لهم الكتاب من خلف الباب و استقبل مني دعوة صالحة فقلت لها وما قصة هذا الكتاب فقالت لي يا ولدي هذا الكتاب جاء من عند ولدي و هو غائب عني مدة عشر سنين فانه سافر بمتجـر و مكث في بلاد الغربة مدة فقطعنـــا الرجاء منه و ظننا انه مات ثم بعد مدة وصل الينـــا هذا الكتاب من عنده وله اخت و هي تبكي عليه آناء الليل و اطراف النهـار فقلت لها انه طيب بخير فلم تصدقني وقالت لي لا بدان تا تيني بمن يقرأ هذا الكتـاب بحضرتي حتى يطمئن قلبي و يطيب خاطري و انت تعلم

Digitized by Google

مَسَاكِينُ أَهْلِ الْعِشْقِ حَتَّى قُبُورُهُمْ عَلَيْهَا تُرَابُ الذُّلِّ بَيْنَ الْخَلَائِقِ
فَلَوْ اسْتَطِعْ لَزَرَعْتُ حَوْلَكَ رَوْضَةً وَأَسْقَيْتُهَا مِنْ دَمْعِيَ الْمُتَدَافِقِ

ثم مضت وهي تبكي ومضيت معها الى البستان فقالت لي بالله انك لا تنقطع عني ابدا فقلت سمعا وطاعة ثم اني واظبتها واتردد عليها وكنت كلما بتّ عندها تحسن اليّ وتكرمني وتسألني عن الكلمتين اللتين قالتهما ابنة عمي عزيزة لامي قاعيدهما لها ومازلت على ذلك الحال من اكل وشرب وفم وعناق وتغيير ثياب من الملابس الرقاق حتى غلظت وسمنت ولم يكن بي هم ولاحزن ونصيت بنت عمي ولم ازل على ذلك الحال مدة سنة كاملة وعند راس السنة دخلت الحمام واصلحت شاني ولبست بدلة فاخرة ولما خرجت من الحمام شربت قدح شراب وشممت روائح قماشي المضمخ بانواع الطيب وانا منشرح الصدر ولم اعلم غدر الزمان وطوارق الحدثان فلما جاء وقت العشاء اشتاقت نفسي الذهاب اليها وانا سكران لادري اين اتوجّه فذهبت اليها فمال بي السكر الى زقاق يقال له زقاق النقيب فبينما انا ماش في ذلك الزقاق فنظرت بعيني واذا انا بعجوز ماشية وفي احدى يديها شمعة موقودة وفي يدها الاخرى كتاب ملفوف وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والعشرون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الشاب الذي اسمه عزيز قال لتاج الملوك فلما دخلت الزقاق الذي يقال له زقاق النقيب فنظرت بعيني واذا انا بعجوز ماشية وفي احدى يديها شمعة مضيئة

Digitized by Google

موتها حتى كنت اكافئها على ما فعلت معي من المعروف وازورها رحمة الله تعالى عليها فانها كتمت سرّها ولم تبح بما عندها ولولاها ما كنت وصلت اليّ ابدا واني اشتهي عليك امرا فقلت لها هو قالت وهو ان توصلني الى قبرها حتى ازورها في القبر الذي هي فيه واكتب عليه ابياتا فقلت لها في غد ان شاءالله تعالى ثم اني نمت معها تلك الليلة وهي بعد كل ساعة تقول لي ليتك اخبرتني ببنت عمك قبل موتها فقلت لها مامعني هذين الكلمتين اللتين قالتهما وهما الوفاء مليح * والغدر قبيح * فلم تجبني فلما كان الصباح قامت واخذت كيسا فيه دنانير وقالت لي قم وارني قبرها حتى ازوره واكتب عليه هذه الابيات واعمل عليه قبة واترحم عليها واصرف هذه الدنانير صدقة عن روحها فقلت لها سمعا وطاعة ثم مشيت قدامها ومشت خلفي وصارت تتصدق وهي ماشية في الطريق وكلما تصدقت صدقة تقول هذه الصدقة عن روح عزيزة التي كتمت سرّها حتى شربت كاس منونها ولاباحت بسرّهواها ولم تزل تتصدق من الكيس وتقول عن روح عزيزة حتى نفد ما في الكيس ووصلنا الى القبر فلما عاينت القبر بكت ورمت نفسها عليه ثم انها اخرجت بيكارا من الفولاذ ومطرقة لطيفة وخطّت بالبيكار على الحجر الذي على رأس القبر خطا لطيفا ورسمت هذه الابيات تقول

مَرَرْتُ بِقَبْرٍ دَارِسٍ وَسْطَ رَوْضَةٍ ... عَلَيْهِ مِنَ النُّعْمَانِ سَبْعُ شَقَائِقِ
فَقُلْتُ لِمَنْ ذَا الْقَبْرُ جَاوَبَنِي الثَّرَى ... تَأَدَّبْ فَهٰذَا الْقَبْرُ بَرْزَخُ عَاشِقِ
فَقُلْتُ رَعَاكَ اللّٰهُ يَا مَيِّتَ الْهَوَى ... وَاَسْلَنَكَ الْفِرْدَوْسَ اَعْلَى الشَّوَاهِقِ

Digitized by Google

خطيبتها فقلت لها انها قد جعلتني في حلّ قبل موتها ثم ذكرت لهـا ما اخبرتني به امي فقالت بالله عليك اذا ذهبت الى امك فاعرف الحاجة التي عندها فقلت لها ان امي قالت لي ان ابنة عمك قبـل ان تمـوت اوصتني وقالت لي اذا اراد ابنك ان يـذهب الى الموضـع الذي عادته الذهاب اليه فقولي له هاتين الكلمتين الوفاء مليح * و الغدر قبيح * فلما سمعت الصبية ذلك قالت رحمة الله تعـالى عليها فانهـا خلصتك مني و قد كنت اضمرت على ضررك فانا لا اضرّك ولا اشوش عليك فتعجبت من ذلك و قلت لها وما كنت تريدين قبـل ذلك ان تفعليه معي و قد صار بيني و بينك مودّة فقالت انت مولـع بي ولكنك صغير السن و غشيم و قلبك خال عن الخداع فانت لا تعرف مكرنا ولا خداعنا ولو كانت عاشت لكانت معينة لك فانها سبب سـلامتك وكانت انجتك من الهلكة والآن اوصيك ان لا تتكلم مع واحدة ولا تخـاطب واحدة من امثالنا لا صغيرة ولا كبيرة فايّاك ثم ايّاك فانك غشيم وغير عارف بخداع النساء ومكرهن والتي كانت تفسّر لك الاشارات قد ماتت واني اخاف عليك ان تقـع في رزيّـة فما تلقى من يخلصك منها بعد موت بنت عمك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـباح

فلما كانت الليلة الحادية والعشرون بعد المائة

قالت بلغني ايهـا الملك السعيدان الشاب قال لتاج الملوك ثم ان الصبية قالت لي اني اخاف عليك ان تقع في رزيّـة فما تلقى من يخلصك منها فوا حسرتاه على بنت عمك وليتني علمت بها قبل

Digitized by Google

به فبالله عليك اخبرني عمـــا كنت تفعل معها حتى ماتت فقلت ما عملت شيأً فقالت الله يقتص لها منك فانها ما ذكرت لي شيأً بل كتمت امرها حتى ماتت وهي راضية عنك ولما ماتت كنت عندها ففتحت عينها وقالت لي يا امرأة عمي جعل الله ولدك في حل من دمي ولا آخذه بما فعل معي وانما نقلني الله من الدار الدنيا الفانية الى الدار الآخرة الباقية فقلت يا بنتي سلامتك و سلامت شبـــابك وصرت اسألها عن سبب مرضها فما تكلمت ثم تبسمت وقالت يا امرأة عمي قولي لابنك اذا اراد الرواح الى الموضع الذي يروحه كل يوم يقول هذين الكلمتين عند انصرافه منه الوفاء مليح * والغدر قبيح * فان هذه شفقة مني عليه لاكون شفوقة عليه في حياتي و بعد مماتي ثم اعطتني لك حاجة وحلّفتني اني لا اعطيها لك حتى اراك تبكي عليها و تنوح والحاجة عندي فاذا رأيتك على الصفة التي ذكرتها اعطيتك اياها فقلت لهـــا ارني اياها فمـــا رضيت ثم اني اشتغلت بلذاتي فمـــا ذكرت انا موت ابنة عمي لاني كنت طائش العقل وكنت اودّ في نفسي ان اكون طول ليلي ونهـاري عند محبوبتي وماصـــدقت ان الليل اقبل حتى مضيت الى البستـــان فوجدت الصبية جالسة على مقالى النار من كثرة الانتظار فما صدقت انها راتني وتعـلقت بي و بادرت الى رقبتي و سالتني عن بنت عمي فقلت لها انهـا ماتت وعملنا لها الذكر والختوم ومضى لها اربع ليال و هذه الخامسة فلمـا سمعت ذلك صاحت وبكت و قالت اما قلت لك انك قتلتها ولو اعلمتني بها قبل موتهـــا لكنت اكافئها على ما فعلت معي من المعروف فانها خدمتني واوصلتك اليّ ولولاها ما اجتمعت انا و اياك وانا خائفة عليك ان تقع بك رزيّة بسبب

Digitized by Google

ان قائلة هذا الشعر قد ماتت ثم بكت وقالت و يلك ما تقرب لك قائلة هذا الشعر قلت لها انها ابنة عمي قالت كذبت والله لو كانت ابنة عمك لكان عندك لهـــا من المحبة مثل ما عندها لك فانت الذي قتلتها قتلك الله كما قتلتها والله لو اخبرتني ان لك ابنة عم ما كنت قربتك مني فقلت لها انها كانت تفسر لي تلك الاشارات التي كنت تشيرين بها اليّ وهي التي علمتني كيف اصل اليك و افعل معك ولولا هي مـا وصلت اليك فقالت و هل عرفت بنا قلت نعم قالت حسرك الله على شبابك كما حسرتها على شبابها ثم قالت لي رح انظرها فذهبت وخاطري متشوش وما زلت ما شيا الى ان اتيت الى زقاقنا فسمعت عياطا فسألت عنه فقيل لي ان عزيزة وجدناها خلف الباب ميتة ثم دخلت الدار فلما راتني امّي قالت انّ خطيئتها في ذمّتك و عنقك فلا سامحك الله من دمها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الموفية للعشرين بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب عزيز قال لتاج الملوك ثم دخلت الدار فلمـــا رأتني امي قالت ان خطيئتها في ذمتك فلا سامحك الله من دمها تبّالك من ابن عم ثم ان ابي جاء وجهّزناها واخرجناها وشيّعنا جنازتها ودفنّاها و عملنا على قبرها الختمات ومكثنا على القبر ثلثة ايام ثم رجعنا ودخلنا البيت و انا حزين عليهـــا فاقبلت عليّ امي وقالت لي ان قصدي ان اعرف ما كنتَ تفعله معهـــا حتى فقعتَ مرارتها واني ياولدي كنت اسأل منها في كل الاوقات عن سبب مرضها فما اطلعتني على شيء ولم تخبرني

Digitized by Google

و انشدت هذ ين البيتين

وَكَيْفَ يُدَارِي وَالْهَوَى قَاتِلُ الْفَتَى ... وَفِي كُلِّ يَوْمٍ قَلْبُهُ يَتَقَطَّعُ
لَقَدْ حَاوَلَ الصَّبْرَ الْجَمِيلَ وَلَمْ يَجِدْ ... لَهُ غَيْرَ قَلْبٍ فِي الصَّبَابَةِ يَجْزَعُ

ثم قالت لي ابنة عمي اذا ذهبت اليها على عادتك فانشدها هذين البيتين الذي سمعتهما فقلت لها سمعا و طاعة ثم ذهبت اليها في البستان على العادة وكان بيننا ما كان مما يقصر عن وصفه اللسان فلما اردت الانصراف انشدتها ذينك البيتين الى آخرهما فلما سمعتهما سالت مدامعها من المحاجر و انشدت قول الشاعر

فَإِنْ لَمْ يَجِدْ صَبْرًا لِكِتْمَانِ سِرِّهِ ... فَلَيْسَ لَهُ عِنْدِي سِوَى الْمَوْتِ انْفَعُ

فحفظته و توجّهت الى البيت فلما دخلت على ابنة عمي و جدتها ملقاة مغشيا عليها و امي جالسة عند رأسها فلما سمعت كلامي فتحت عيناها و قالت يا عزيز هل انشدتها البيتين قلت لها نعم و لكن لما سمعتهما بكت و انشدتني هذا البيت فان لم يجد الى آخره فلما سمعته بنت عمي غشي عليها ثانيا فلما افاقت انشدت هذين البيتين و هما هذان

سَمْعًا وَطَاعَةً ثُمَّ مُتْنَا فَبَلِّغُوا ... سَلَامِي عَلَى مَنْ كَانَ لِلْوَصْلِ يَمْنَعُ
هَنِيئًا لِأَرْبَابِ النَّعِيمِ نَعِيمُهُمْ ... وَلِلْعَاشِقِ الْمِسْكِينِ مَا يَتَجَرَّعُ

ثم لما اقبل الليل مضيت الى البستان على جري عادتي فوجدت الصبية في انتظاري فجلسنا و اكلنا و شربنا و عملنا شغلنا و نمنا الى الصباح فلما اردت الانصراف انشدتها ما قالته بنت عمي فلما سمعت ذلك صرخت صرخة عظيمة و تضجرت و قالت اوّاه اوّاه و الله

Digitized by Google

الصبر وافاضت دمع العين وانشدت هذين البيتين

يَا طَالِبًا لِلْفِرَاقِ مَهْلًا وَلَا يَغُرَّنَّكَ الْعِنَاقُ
مَهْلًا فَطَبْعُ الزَّمَانِ غَدْرٌ وَآخِرُ الصُّحْبَةِ الْفِرَاقُ

فلما فرغت من شعرها قالت يا بن عمي هب لي هذه الخرقة فوهبتها لها فاخذتها ونشرتها ورأت ما فيها فلما جاء وقت ذهابي قالت لي بنت عمي اذهب مصحوبا بالسلامة فاذا انصرفت من عندها فانشدها البيت الشعر الذي اخبرتك به اوّلا ونسيته فقلت لها اعيديه فاعادته ثم مضيت الى البستان ودخلت المقعد فوجدت الصبية في انتظاري فلما رأتني قامت وقبّلتني واجلستني في حجرها ثم اكلنا وشربنا وقضينا اغراضنا كما تقدم فلما اصبح الصباح انشدتها الشعر وهو

أَلَا أَيُّهَا الْعُشَّاقُ بِاللّٰهِ خَبِّرُوا ۔ إِذَا اشْتَدَّ عِشْقٌ بِالْفَتَى كَيْفَ يَصْنَعُ

فلما سمعته ذرفت عيناها بالدموع وانشدت تقول

يُدَارِي هَوَاهُ ثُمَّ يَكْتُمُ سِرَّهُ وَيَصْبِرُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ وَيَخْضَعُ

فحفظته وفرحت بقضاء حاجة ابنة عمي وخرجت واتيت الى ابنة عمي فوجدتها راقدة وامي عند رأسها تبكي على حالها فلما دخلت عليها قالت لي امي تبًّا لك من ابن عم كيف تترك بنت عمك على غير استواء ولا تسال عن مرضها فلما رأتني ابنة عمي رفعت رأسها وقعدت وقالت لي يا عزيز هل انشدتها البيت الذي اخبرتك به قلت لها نعم فلما سمعته بكت وانشدتني بيتا آخر وحفظته فقالت بنت عمي اسمعني اياه فلما اسمعتها اياه بكت بكاء شديدا

تلك الليلة مسرّة القلب وقرّة الناظر كما قال فيها الشاعر

اَهْنَى لَيَالِي الدَّهْرِ عِنْدِي لَيْلَةٌ ... لَمْ اَخْلُ فِيهَا الْكَأْسَ مِنْ اِعْمَالِ
فَرَقْتُ فِيهَا بَيْنَ جَفْنِي وَالْكَرَى ... وَجَمَعْتُ بَيْنَ الْقُرْطِ وَالْخَلْخَالِ

واجتمعنا ونمنا الى الصباح واردت ان انصرف واذا بها امسكتني وقالت لي تف حتى اقول لك على شيء وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة عشر بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فلمّا اردت الانصراف امسكتني وقالت تف حتى اخبرك بشيء واوصيك وصية فوقفت فحلّت منديلا واخرجت هذه الخرقة ونشرتها قدامي فوجدت فيها صورة غزال على هذا المثال فتعجّبت منها غاية العجب فاخذته وتواعدت انا واياها اني آتي اليها كل ليلة في ذلك البستان ثم انصرفت من عندها وانا فرحان ومن فرحي نسيت الشعر الذي اوصتني به بنت عمي وحين اعطتني الخرقة اللتي فيها صورة الغزال قالت لي هذا عمل اختي فقلت لها وما اسم اختك قالت اسمها نور الهدى فاحتفظ بهذه الخرقة ثم ودّعتها وانصرفت وانا فرحان ومشيت الى ان دخلت على ابنة عمي فوجدتها راقدة فلما رأتني قامت ودموعها تجري ثم اقبلت عليّ و باست صدري وقالت هل فعلت ما اوصيتك به من انشاد البيت فقلت لها اني نسيته وما اشغلني عنه الّا صورة هذا الغزال ورميت الخرقة قدامها فقامت وقعدت ولم تطق

Digitized by Google

انصرفتَ من عندها فانشدها البيت المتقدم ذكره ثم خرجتُ من عندها وانا فرحان ومضيت الى البستان وطلعت المقعد وانا شبعان فجلست وسهرت الى ربع الليل ثم طال الليل عليّ حتى كانّه سنة فمكثت ساهرا حتى مضى ثلثة ارباع الليل وصاحت الديوك فاشتدّ عندي الجوع من كثرة السهر فقمت الى السفرة واكلت حتى اكتفيت فثقلت رأسي واردت ان انام واذا انا بنور اقبل على بعد فنهضت وغسلت يدي وفمي ونبّهت نفسي فما كان الا قليل واذا بها اتت ومعها عشر جواري هي بينهن كالبدر بين الكواكب وعليها حلّة من الاطلس الاخضر مزركشة بالذهب الاحمر وهي كما قال الشاعر

تَتِيهُ عَلَى الْعُشَّاقِ فِي حُلَلٍ خُضْرٍ ... مُفَكَّكَةُ الْأَزْرَارِ مَحْلُولَةُ الشَّعْرِ
فَقُلْتُ لَهَا مَا الْاسْمُ قَالَتْ أَنَا الَّتِي ... كَوَيْتُ قُلُوبَ الْعَاشِقِينَ عَلَى الْجَمْرِ
شَكَوْتُ إِلَيْهَا مَا أُقَاسِي مِنَ الْهَوَى ... فَقَالَتْ إِلَى صَخْرٍ شَكَوْتَ وَلَمْ تَدْرِ
فَقُلْتُ لَهَا إِنْ كَانَ قَلْبُكِ صَخْرَةً ... فَقَدْ أَنْبَعَ اللّٰهُ الزُّلَالَ مِنَ الصَّخْرِ

فلما رأتني ضحكت وقالت كيف انتبهت ولم يغلب عليك النوم وحيث سهرت الليل علمتُ انك عاشق لان من شيم العشاق سهر الليل في مكابدة الاشواق ثم اقبلت على الجواري وغمزتهن فانصرفن عنها واقبلت عليّ وحضنتني لصدرها وباستني وبستها ومصّت شفتي الفوقانية ومصصت شفتها التحتانية ثم مددت يدي الى خصرها وغمزته وما نزلنا في الارض الا سواء وحلت سراويلها فنزلت في خلاخل رجليها واخذنا في الهراش والتعنيق والغنج والكلام الرقيق والعضّ وحمل السيقان والطواف بالبيت والاركان الى ان ارتخت مفاصلها وغشي عليها ودخلتُ في الغيبوبة وكانت

Digitized by Google

تقسم بها وتقول وحق رب العالمين وعيني اليمين ان رجعت ثاني مرة ونمت لاذبحنّك بهذه السكين وانا خائفة عليك يا بن عمي من مكرها وقلبي ملآن بالحزن عليك فما اقدران اتكلم فان كنت تعرف من نفسك انك ان رجعت اليها لا تنام فارجع اليها واحذر النوم فانك تفوز بحاجتك وان عرفت انك ان رجعت اليها تنام على عادتك ثم رجعت اليها ونمت ذبحتك فقلت لها وكيف يكون العمل يا بنت عمي اسالك بالله ان تساعديني في هذه البلية فقالت على عيني ورأسي ولكن ان سمعت كلامي واطعت امري قضيت حاجتك فقلت لها اني اسمع كلامك واطيع امرك فقالت اذا كان وقت الرواح اقول لك ثم ضمتني الى حضنها ووضعتني على الفراش ولا زالت تكبسني حتى غلبني النعاس واستغرقت في النوم فاخذت مروحة وجلست عند رأسي تروح على وجهي الى آخر النهار ثم نبّهتني فلما انتبهت وجدتها عند رأسي وفي يدها المروحة وهي تبكي ودموعها قد بلّت ثيابها فلما راتني استيقظت مسحت دموعها وجاءت بشيء من الاكل فامتنعت منه فقالت لي اما قلت لك اسمع مني وكُل فاكلت ولم اخالفها وصارت تضع الاكل في فمي وانا امضغ حتى امتلأت ثم اسقتني نقيع عنّاب بالسكّر ثم غسلت يدي ونشفتها بمحرمة ورشّت عليّ ماء الورد وجلست معها وانا في عافية فلما اظلم الليل البستني ثيابي وقالت يا بن عمي اسهر جميع الليل ولا تنم فانها ما تأتيك في هذه الليلة الاّ في آخر الليل وان شاء الله تجتمع بها في هذه الليلة ولكن لا تنس وصيتي ثم بكت فاوجعني قلبي عليها من كثرة بكائها وقلت لها ما الوصية التي وعدتني بها فقالت لي اذا

Digitized by Google

البستان و طلعت ذلك المقعد ونظرت الى البستان وجعلت افتح عيني باصابعي واهزّ رأسي حين جنّ الليل فادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة عشر بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فدخلت البستان وطلعت ذلك المقعد ونظرت الى البستان و جعلت افتح عيني باصابعي واهزّ رأسي حين جنّ الليل فجعت من السهر وهبّت عليّ روائح الطعام فازداد جوعي وتوجّهت الى السفرة وكشفت غطاوها واكلت من كل لون لقمة واكلت قطعة لحم واتيت الى باطية الخمر وقلت في نفسي اشرب قدحا فشربته ثم شربت الثاني والثالث الى غاية عشرة وقد ضربني الهواء فوقعت على الارض كالقتيل ومازلت كذلك حتى طلع النهار فانتبهت فرايت نفسي خارج البستان و على بطني شَفْرة ماضية ودرهم حديد فارتجفت واخذتهما واتيت بهما الى البيت فوجدت ابنة عمي تقول اني في هذا البيت مسكينة حزينة ليس لي معين الا البكاء فلما دخلت وقعت من طولي ورميت السكين والدرهم من يدي و غشي عليّ فلما افقت من غشيتي عرّفتها بما حصل لي و قلت لها انني لم افعل اربي فاشتدّ حزنها عليّ لما رات بكائي ووجدي و قالت لي اني عجزت وانا انصحك عن النوم فلم تسمع نصحي فكلامي لا يفيدك شيئاً فقلت لها اسالك بالله ان تفسّري لي اشارة السكين و الدرهم الحديد فقالت اما الدرهم الحديد فانها تشير به الى عينها اليمين و انها

Digitized by Google

عليّ وقبّلتني واخذت تضمني الى صدرها وانا اتباعد عنها واعاتب نفسي فقالت لي يا بن عمي كانك نمت في هذه الليلة فقلت لها نعم ولكنني لما انتبهت وجدت كعب عظم وفردة طاب ونواية بَلَح وبزرة خرّوب وما ادري لايّ شيءٍ فعلت هكذا ثم بكيت واقبلت عليها وقلت لها فسّري لي اشارة فعلها هذا وقولي لي ماذا افعل وساعديني على الذي انا فيه فقالت على الراس والعين اما فردة الطاب التي وضعتها على بطنك فانها تشير لك بها الى انك حضرت وقلبك غائب وكانها تقول لك ليس العشق هكذا فلا تعد نفسك من العاشقين واما نواية البَلَح فانها تشير لك بها الى انك لو كنت عاشقا لكان قلبك محترقا بالغرام ولم تذق لذيذ المنام فان لذة الحب كتمرة الهبت فى الفؤاد جمرة واما بزرة الخروب فانها تشير لك بها الى ان قلب المحب متعوب وتقول لك اصبر على فراقنا صبر ايّوب فلما سمعت هذا التفسير انطلقت في فؤادى النيران وزادت بقلبي الاحزان فصحت وقلت قدّر الله عليّ النوم لقلة بختي ثم قلت لها يا ابنة عمي بحياتي عندك ان تدبري لي حيلة اتوصل بها اليها فبكت وقالت يا عزيز يا بن عمي ان قلبي ملآن بالفكر ولا اقدران اتكلم ولكن رح الليلة الى ذلك المكان واحذران تنام فانك تبلغ المرام هذا هو الرأي والسلام فقلت لها ان شاء الله لا انام وانما افعل ماتامريني به فقامت ابنة عمي واتت لي بالطعام وقالت لي كل الآن مايكفيك حتى لا يبقى في خاطرك شيءٌ فاكلت كفايتي ولما اتى الليل قامت بنت عمي واتتني ببدلة عظيمة والبستني اياها وحلفتني ان اذكرلها البيت المذكور وحذرتني من النوم ثم خرجت من عند بنت عمي وتوجّهت الى

Digitized by Google

فرحت و صرت ادعو الله ان ياتي الليل فلما اتى الليل اردت الانصراف فقالت لي ابنة عمي اذا اجتمعت بها فاذكرلها البيت المتقدم وقت انصرافك فقلت لها على الراس والعين فلما خرجت وذهبت الى البستان وجدت المكان مهيأ على الحالة التي رايتها اولا وفيه مايحتاج اليه من الطعام والشراب و النقل و المشموم وغير ذلك فطلعت المقعد وشممت رائحة الطعام فاشتاقت نفسي اليه فمنعتها مرارا فلم اقدر على منعها فقمت واتيت الى السفرة وكشفت غطاءها فوجدت صحن دجاج وحوله اربع زبادى من الطعام فيها اربعة الوان فاكلت من كل لون لقمة واكلت ماتيسر من الحلوى و اكلت قطعة لحم وشربت من الزردة واعجبتني فاكثرت الشرب منها بالملعقة حتى شبعت و امتلأت بطني و بعد ذلك انطبقت اجفاني فاخذت وسادة ووضعتها تحت راسي و قلت لعلي اتكئ عليها ولا انام فاغمضت عيني و نمت وما انتبهت حتى طلعت الشمس فوجدت على بطني كعب عظم وفردة طاب ونواية بلح وبزرة خروب وليس فى المكان شيء من فرش ولا غيره وكانه لم يكن فيه شيء بالامس فقمت ونفضت الجميع عني وخرجت وانا مغتاظ الى ان وصلت الى البيت فوجدت ابنة عمي تصعد الزفرات و تنشد هذه الابيات

جَمَدُ نَا حِلُّ وَ قَلْبُ جَرِيحْ ... وَدُمُوعٌ عَلَى الْخُدُودِ تَسِيحْ
وَحَبِيبٌ صَعْبُ التَّجَنِّي وَلَكِنْ ... كُلُّمَا يَفْعَلُ الْمَلِيحُ مَلِيحْ
يَابْنَ عَمِّي مَلَأْتَ بِالْوَجْدِ قَلْبِي ... إِنَّ طَرْفِي مِنَ الدُّمُوعِ قَرِيحْ

فنهرت ابنة عمي وشتمتها فبكت ثم مسحت دموعها و اقبلت

Digitized by Google

المحبة كاذبة وكذلك هي محبّتها لك كاذبة لانها لما راتك نائما لم تنبّهك ولو كانت محبتهـــا لك صادقة لنبّهتك واما الفحم فان تفسير اشارته سوّد الله وجهك حيث ادعيت المحبة كذبا وانما انت صغير ولم يكن لك همّة الا الاكل والشرب والنوم وهذا تفسير اشارتها فالله تعالى يخلصك منها فلما سمعت كلامها ضربت بيدي على صدري وقلت والله ان هذا هو الصحيح لاني نمت والعشاق لاينامون فانا الظالم لنفسي وما كان اضرّ عليّ من الاكل والنوم فكيف يكون الامر ثم اني زدت في البكاء وقلت لابنة عمي دلّيني على شيء افعله وارحميني يرحمك الله والاّ اموت وكانت بنت عمي تحبني محبة عظيمـــة وادرك شهرزاد الصبـــاح فسكتت عن الكلام المـــــــــــــــــــــــــــــــباح

فلما كانت الليلة السابعة عشر بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فقلت لابنة عمي دلّيني على شيء افعله وارحميني يرحمك الله وكانت تحبّني محبّة عظيمة فقالت على راسي وعيني ولكن يا بن عمي قد قلت لك مرارا لو كنت ادخل واخرج لكنت اجمع بينك وبينهـــا في اقرب زمن واغطيكما بذيلي ولا افعل معك هذا الا لقصد رضاك وان شاء الله تعالى ابذل غاية الجهد في الجمع بينكما ولكن اسمع قولي واطمع امري واذهب الى نفس ذلك المكان واقعد هناك فاذا كان وقت العشاء فاجلس في الموضع الذي كنت فيه واحذران تاكل شيأً لان الاكل يجلب النوم واياك ان تنام فانها لا تأتي لك حتى يمضي من الليل ربعه كفاك الله شرّها فلما سمعت كلامهـــا

يمينا و شمالا فلم اجد احدا و وجدت نفسي نائما على الرخام من غير فرش فتحيرت في عقلي وحزنت حزنا عظيما و جرت دموعي على خدي وتاسفت على نفسي فقمت وقصدت البيت فلما وصلت اليه وجدت ابنة عمي تدق بيدها على صدرها وتبكي بدمع يبارى السحب الماطرات وتنشد هذه الابيات

هَبَّ رِيحٌ مِنَ الْحِمَى وَنَسِيمٌ ... فَاَهَاجَ الْهَوَى بِنَشْرٍ هُبُوبِهْ
يَا نَسِيمَ الصَّبَا هَلُمَّ اِلَيْنَا ... كُلُّ صَبٍّ بِحَظِّهِ وَنَصِيبِهْ
لَوْ قَدَرْنَا مِنَ الْغَرَامِ اعْتِنَاقَنَا ... كَاعْتِنَاقِ الْمُحِبِّ صَدْرَ حَبِيبِهْ
حَرَّمَ اللّٰهُ بَعْدَ وَجْهِ بْنِ عَمِّي ... كُلَّ عَيْشٍ مِنَ الزَّمَانِ وَطِيبِهْ
لَيْتَ شِعْرِي هَلْ قَلْبُهُ مِثْلَ قَلْبِي ... ذَائِبٌ مِنْ حَرِّ الْهَوَى وَلَهِيبِهْ

فلما رأتني قامت مسرعة ومسحت دموعها واقبلت عليّ بلين كلامها وقالت لي يا بن عمي انت في عشقك قد لطف الله بك حيث احبك من تحب وانا في بكائي وحزني على فراقك من يلمني ويعذرني ولكن لايؤاخذك الله من جهتي ثم انها تبسمت في وجهي تبسم الغيظ ولا طفتني وقلعتني اثوابي و نشرتها و قالت و الله ما هذه روائح من حظي بمحبوبه فاخبرني بما جرى لك يا بن عمي فاخبرتها بجميع ما جرى لي فتبسمت تبسم الغيظ ثانيا وقالت ان قلبي ملآن موجع فلا عاش من يوجع قلبك وهذه المرأة تتعزز عليك تعززا قويا و الله يا بن عمي اني خائفة عليك منها واعلم يا بن عمي ان تفسير الملح هو انك مستغرق في النوم فكانك بشع الطعم بحيث تعافك النفوس فينبغي لك ان تتملح حتى لا تمجك الطباع لانك تدعي انك من العشاق الكرام والنوم على العشاق حرام فدعواك

Digitized by Google

فلما كانت الليلة السادسة عشر بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فَهِمتُ بذلك المكان وفرحت غاية الفرح لكني ما وجدت فيه احدا من خلق الله تعالى ولم ار عبدا ولا جارية ولا من يعاني هذه الامور ولا من يحرس تلك الحوائج فجلست في ذلك المقعد انتظر مجيء محبوبة قلبي الى ان مضى اول ساعة من الليل وثاني ساعة وثالث ساعة فلم تأت واشتدّ بي الم الجوع لان لي مدة من الزمان ما اكلت طعاما لشدة وجدي فلما رايت ذلك المكان وظهر لي صدق بنت عمي في فهم اشارة معشوقتي استرحت ووجدت الم الجوع وقد شوّقتني روائح الطعام الذي في السفرة لما وصلت الى ذلك المكان واطمأنّت نفسي بالوصال فاشتهت نفسي الاكل فتقدمت الى السفرة وكشفت الغطاء فوجدت في وسطها طبقا من الصيني وفيه اربع دجاجات محمرّة ومتبلة بالبهارات وحول ذلك الطبق اربع زبادى واحدة حلوى والاخرى حب الرمان والثالثة بقلاوة والرابعة قطائف وتلك الزبادى مابين حلوى وحامض فاكلت من القطائف وقطعة لحم وعمدت الى البقلاوة واكلت منها ما تيسر ثم قصدت الحلوى واكلت ملعقة اوثنتين اوثلثا اواربعا واكلت بعض دجاجة واكلت لقمة فعند ذلك امتلأت بطني وارتخت مفاصلي وقد كسلت عن السهر فوضعت رأسي على وسادة بعد ان غسلت يدي فغلبني النوم ولم اعلم بما جرى لي بعد ذلك فما استيقظت حتى احرقني حرّ الشمس لان لي اياما ماذقت مناما فلما استيقظت وجدت على بطني ملحا وفحما فانتصبت قائما ونفضت ثيابي وقد تلّفت

Digitized by Google

فلما اتى الليل بكت ابنة عمي بكاء شديداً واعطتني حبّة مسك خالص وقالت يا بن عمي اجعل هذه الحبة في فمك فاذا اجتمعت بمحبوبتك وقضيت منها حاجتك وسمحت لك بما تمنّيت فانشدها هذا البيت

اَلَا اَيُّهَا الْعُشَّاقُ بِاللّٰهِ خَبِّرُوْا اِذَا اشْتَدَّ عِشْقٌ بِالْفَتٰى كَيْفَ يَصْنَعُ

ثم انها قبلتني وحلفتني اني لاانشدها ذلك البيت الشعر الا وقت خروجي من عندها فقلت سمعا وطاعة ثم خرجت وقت العشاء ومشيت ولم ازل ماشيا حتى وصلت الى البستان فوجدت بابه مفتوحا فدخلته فرايت نورا على بعد فقصدته فلما وصلت اليه وجدت مقعدا عظيما معقودا عليه قبّة من العاج والآبنوس والقنديل معلّق في وسط تلك القبة وذلك المقعد مفروش بالبسط الحرير المزركشة بالذهب والفضة وهناك شمعة كبيرة موقودة في شمعدان من الذهب تحت القنديل وفي وسط المقعد فسقية فيها انواع التصاوير وبجانب تلك الفسقية سفرة مغطاة بفوطة من الحرير والى جانبها باطية كبيرة من الصيني مملوءة خمرا وفيها قدح من بلور مزركش بالذهب والى جانب الجميع طبق كبير من فضة مغطى فكشفته فرايت فيه من سائر الفواكه مابين تين ورمان وعنب ونارنج واترج وكباد وبينها انواع الرياحين من ورد وياسمين وآس ونسرين ونرجس ومن سائر المشمومات فهمت بذلك المكان وفرحت غاية الفرح وزال عني الهم والترح لكني ما وجدت في هذه الدار احدا من خلق الله تعالى وادرك شهر واد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

Digitized by Google

فقالت لي اصبر فقد آن اوان وصالك وظفرت ببلوغ آمالك اما اشارتها لك بالمرآة وكونها ادخلتها في الكيس فانها تقول لك الى ان تغطس الشمس واما ارخاؤها شعرها على وجهها فانها تقول لك اذا اقبل الليل وانسدل سواد الظلام وعلا نور النهار فتعال واما اشارتها لك بالقصرية التي فيها الزرع فانها تقول لك اذا جئت فادخل البستان الذي وراء الزقاق واما اشارتها لك بالقنديل فانها تقول لك اذا دخلت البستان فامش فيه واي موضع وجدت فيه القنديل مضيأ فتوجّه اليه واجلس تحته وانتظرني فان هواك قاتلي فلما سمعت كلام ابنة عمي صحت من فرط الغرام وقلت كم تعذبني واتوجه اليها ولا احصل مقصودي ولا اجد لتفسيرك معنى صحيحا فعند ذلك ضحكت بنت عمي وقالت لي بقي عليك من الصبر ان تصبر بقية هذا اليوم الى ان يولي النهار ويقبل الليل بالاعتكار فتحظى بالوصال وبلوغ الآمال وهذا الكلام صدق بغير مين ثم انشدت هذين البيتين

دَرِّجِ الْأَيَّامَ تَنْدَرِجْ ... وَبُيُوتُ الْهَمِّ لَا تَلِجْ
رُبَّ أَمْرٍ عَزَّ مَطْلَبُهُ ... قَرَّبَتْهُ سَاعَةُ الْفَرَجْ

ثم انها اقبلت عليّ وصارت تسليني بلين الكلام ولم تجسر ان تاتيني بشيء من الطعام مخافة من غضبي عليها ورجاء ميلي اليها ولم يكن لها قصد الا انها اتت اليّ وقلعتني ثيابي ثم قالت يا بن عمي اقعد حتى احدثك بما يسليك الى آخر النهار وان شاء الله تعالى ماياتي الليل الا وانت عند محبوبتك فلم التفت اليها وصرت انتظر مجيء الليل واقول يارب عجّل بمجيء الليل

Digitized by Google

ذلك الزقاق بسرعة و جلست على تلك المسطبة و اذا بالطاقة قد انفتحت و ابرزت راسها منها و هي تضحك ثم غابت و رجعت و معها مرآة و كيس وقصرية ممتلئة بزرع اخضر وفي يدها قنديل فاول ما فعلت اخذت المرآة في يدها واد خلتها في الكيس ثم ربطته و رمته في البيت ثم ارخت شعرها على وجهها ثم وضعت القنديل على راس الزرع لحظة ثم اخذت جميع ذلك وانصرفت به واغلقت الطاقة فانفطر قلبي من هذا الحال و من اشاراتها الخفية ورموزها المخفية وهي لم تكلمني بكلمة قط فاشتد لذلك غرامي و زاد وجدي و هيامي ثم اني رجعت على عقبي وانا باكي العين حزين القلب حتى دخلت البيت فرايت ابنة عمي قاعدة و وجهها الى الحائط و قد احترق قلبها من الهم والغم والغيرة و لكن محبتها منعتها ان تخبرني بشيء مما عندها من الغرام لما رات ما انا فيه من كثرة الوجد والهيام ثم نظرت اليها فرايت على راسها عصابتين احدهما من الوقعة على جبهتها والاخرى على عينها بسبب وجع اصابها من شدة بكائها وهي في اسوء الحالات تبكي و تنشد هذه الابيات

أَعُدُّ اللَّيَالِي لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ ... وَقَدْ عِشْتُ دَهْرًا لَا أَعُدُّ اللَّيَا لِيَا
خَلِيلَيَّ وَاللَّهِ لَا أَمْلِكُ الَّذِي ... قَضَى اللَّهُ فِي لَيْلَى وَلَا مَا قَضَى لِيَا
قَضَاهَا لِغَيْرِي وَابْتَلَانِي بِحُبِّهَا ... فَهَلَّا بِشَيْءٍ غَيْرِ لَيْلَى ابْتَلَانِيَا

فلما فرغت من شعرها نظرت الي فراتني وهي تبكي فمسحت دموعها و نهضت الي و لم تقدر ان تتكلم مما هي فيه من الوجد و لم تزل ساكتة برهة من الزمان ثم بعد ذلك قالت يابن عمي اخبرني بما حصل لك منها في هذه المرة فاخبرتها بجميع ماحصل لي

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الخامسة عشر بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فلما رفصت ابنة عمي في صدرها انقلبت على طرف الايوان فجاء الوتد في جبهتها فانفتح جبينها و سال دمها فسكتت ولم تنطق بحرف واحد ثم انها قامت في الحال و احرقت حراقا وحشت به ذلك الجرح و تعصبت بعصابة ومسحت الدم الذي سال على البساط وكان ذلك شيء ما كان ثم انها اتتني وتبسّمت في وجهي وقالت لي بلين الكلام والله يا بن عمي ما قلت هذا الكلام استهزاء بك و لابها ولكن قد كنت مشغولة بوجع راسي وكان في خاطري ان اخرج الدم وفي هذه الساعة قد خفّت راسي وخفّت جبهتي فاخبرني بما كان من امرك في هذا اليوم فحكيت لها جميع ما وقع لي منها في ذلك اليوم وبعد كلامي بكيت فقالت يا بن عمي ابشر بنجاح قصدك و بلوغ املك ان هذه علامة القبول و ذلك انها غابت عنك لانها تريدان تختبرك وتعرف هل انت صابر اولا و هل انت صادق في محبتها اولا و في غد توجه اليها في مكانك الاول و انظر ماذا تشير به اليك فقد قربت افراحك وزالت احزانك و صارت تسليني على مابي و انا لم ازل متزايد الهموم والغموم ثم قدمت لي الطعام فرفصته برجلي فانكبت كل زبدية في ناحية و قلت كل من كان عاشقا فهو مجنون لا يميل الى طعام ولا يلتذ بمنام فقالت لي ابنة عمي عزيزة والله يا بن عمي ان هذه علامات المحبة وسالت دموعها ولمّت شقافة الزبادي و مسحت الطعام و جلست تسامرني و انا ادعوالله ان يصبح الصباح فلما اصبح الصباح و اضاء بنوره و لاح توجّهت اليها ودخلت

Digitized by Google

استيقظ فاجدها سهرانة من اجلي ودمعها يجري على خدها ولم ازل كذلك الى ان مضت الخمسة ايام فقامت ابنة عمي وسخنت لي ماء وحمتني به والبستني ثيابي وقالت لي توجّه اليها قضى الله حاجتك وبلغك مقصودك من محبوبتك فمضيت ولم ازل ماشيا الى ان اتيت الى راس الزقاق وكان ذلك في يوم السبت فرايت دكّان الصباغ مقفولة فجلست عليها حتى اذّن العصر واصفرّت الشمس واذّن المغرب ودخل الليل وانا لا ادري لها اثرا ولا اسمع حسا ولاخبرا فخشيت على نفسي وانا جالس وحدي فقمت وتمشيت وانا كالسكران الى ان دخلت البيت فلما دخلت رايت ابنة عمي عزيزة قائمة واحدى يديها قابضة على وتد مدقوق فى الحائط ويدها الاخرى على صدرها وهي تصعد الزفرات وتنشد هذه الابيات

وَمَا وَجْدُ اَعْرَابِيَّةٍ بَانَ اَهْلُهَا ... فَحَنَّتْ اِلَى بَانِ الْحِجَازِ وَرَنَّدِ
اِذَا اَنَسَتْ رَكْبًا تَكَفَّلَ شَوْقُهَا ... بِنَارِ قِرَاهُ وَالدُّمُوعُ بِوَرْدِ
بِاَعْظَمَ مِنْ وَجْدِي بِحُبِّي وَاِنَّمَا ... يَرَى اَنَّنِي اَذْنَبْتُ ذَنْبًا بِوُدِّهِ

فلما فرغت من شعرها التفتت اليّ فراتني فمسحت دموعها ودموعي بكمها وتبسمت في وجهي وقالت لي يا بن عمي هنّاك الله بما اعطاك فلاي شيء لم تبت الليلة عند محبوبتك ولم تقض منها اربك فلما سمعت كلامها رفستها برجلي في صدرها فانقلبت على الايوان فجاءت جبهتها على طرف الايوان وكان هناك وتد فجاء في جبهتها فتاملتها فرايت جبينها قد انفتح سال دمها وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

Digitized by Google

وَلَقَدْ بَكَيْتُ دَمًا لِقَوْلِ عَوَاذِلِي ... مِنْ جَفْنِ مَنْ تَهْوَى يَرُوعُكَ مُرْهَفُ
يَا لَيْتَ قَلْبِي مِثْلَ قَلْبِكَ إِنَّمَا ... جِسْمِي كَخَصْرِكَ بِالنَّحَافَةِ مُتْلَفُ
لَكَ يَا أَمِيرِ فِي الْمَلَاحَةِ نَاظِرٌ ... صَعْبٌ عَلَيَّ وَحَاجِبٌ لَا يَنْصِفُ
كَذَبَ الَّذِي قَالَ الْمَلَاحَةُ كُلُّهَا ... فِي يُوسُفٍ كَمْ فِي جَمَالِكَ يُوسُفُ
أَتَكَلَّفُ الْإِعْرَاضَ عَنْكَ مَخَافَةً ... مِنْ أَعْيُنِ الرُّقَبَاءِ كَمْ أَتَكَلَّفُ

فلما سمعتُ شعرها زاد ما بي من الهموم وتكاثرت عليّ الغموم ووقعت في زوايا البيت فنهضت اليّ وحملتني وقلعتني اثوابي ومسحت وجهي بكمّها ثم سالتني عن ماجرى لي فحكيت لها جميع ما حصل لي منها فقالت يابن عمي اما اشارتها بالكف والخمسة اصابع فان تفسيره تعال بعد خمسة ايام واما اشارتها بالمرآة وادلاء المنديل الاحمر ورفعه وابراز رأسها من الطاقة فان تفسيره اقعد على دكّان الصبّاغ حتى يا تيك رسولي فلما سمعت كلامها اشتعلت النار في قلبي وقلت بالله يابنت عمي انك تصدقينني في هذا التفسير لاني رايت في الزقاق صبّاغا يهوديا ثم بكيت فقالت ابنة عمي قوّ عزمك وثبّت قلبك فان غيرك يشتغل بالعشق مدة سنين ويتجلّد على حرّ الغرام وانت لك جمعة فكيف يحصل لك هذا الجزع ثم اخذت تسليني بالكلام واتت لي بالطعام فاخذت لقمة واردت ان آكلها فما قدرت فامتنعت من الشراب والطعام وهجرت لذيذ المنام واصفرلوني وتغيّرت محاسني لاني ما عشقت قبل ذلك ولا ذقت حرارة العشق الا في هذه المرة فضعفتُ وضعفتْ بنت عمي من اجلي وصارت تذكر لي احوال العشاق والمحبين على سبيل التسلي في كل ليلة الى ان انام وكنت

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الرابعة عشر بعد المائة

قالت بلغني ايّها الملك السعيد انّ الشاب قال لتاج الملوك فلما انقضى اليومان قالت لي ابنة عمي طب نفسا و قرّ عينا وقوّ عزمك والبس ثيابك وتوجّه اليها على الميعاد ثم انها قامت و غيرت اثوابي و بخّرتني ثم شددت حيلي وقويت قلبي وخرجت وتمشيت الى ان دخلت الزقاق وجلست على المصطبة ساعة واذا بالطاقة قد انفتحت فنظرت بعيني اليها فلما رايتها وقعت مغشيا عليّ ثم افقت فشددت عزمي وقويت قلبي ونظرت اليها ثانيا فغبت عن الوجود ثم استفقت فرايت معها مرآة ومنديلا احمر وحين راتني شمّرت عن ساعديها وفتحت اصابعها الخمس ودقت بها على صدرها بالكف والخمس اصابع ثم رفعت يديها وابرزت المرآة من الطاقة واخذت المنديل الاحمر ودخلت به وعادت وادلته من الطاقة الى صوب الزقاق ثلث مرات وهي تدليه وترفعه ثم عصرته ولفّته بيدها وطأطأت رأسها ثم جذبتها من الطاقة واغلقت الطاقة وانصرفت ولم تكلمني كلمة واحدة بل تركتني حيرانا لا اعلم ما اشارت به واستمرّيت جالسا الى وقت العشاء ثم جئت الى البيت قرب نصف الليل فوجدت ابنة عمي واضعة يدها على خدها واجفانها تسكب العبرات وهي تنشد هذه الابيات

مَا لِي وَ لِلاَّحِي عَلَيكَ يُعَنِّفُ ... كَيفَ السُّلُوُّ وَانتَ غُصنٌ اَهيَفُ

يَا لَمْعَةً سَلَبَتْ فُؤادِي وَانثَنَتْ ... مَا لِلْهَوَى الْعُذْرِيِّ عَنْهَا مَصْرَفُ

تُرْكِيَّةُ الاَلْحَاظِ تَفْعَلُ بِالْحَشَى ... مَا لَيْسَ يَفْعَلُهُ الصَّقِيلُ الْمُرْهَفُ

حَمَّلْتِنِي ثِقْلَ الْغَرَامِ وَلَيْسَ لِي ... جَلَدٌ عَلَى حَمْلِ الْقَمِيصِ وَاَضْعَفُ

Digitized by Google

فقالت لي اصبر فقد آن اوان وصالك وظفرت ببلوغ آمالك اماا شارتها لك بالمرآة وكونها ادخلتها في الكنيس فانها تقول لك الى ان تغطس الشمس واما ارخاؤها شعرها على وجهها فانها تقول لك اذا اقبل الليل وانسدل سواد الظلام وعلا نور النهار فتعال واما اشارتها لك بالقصرية التي فيها الزرع فانها تقول لك اذا جئت فادخل البستان الذي وراء الزقاق واما اشارتها لك بالقنديل فانها تقول لك اذا دخلت البستان فامش فيه واي موضع وجدت فيه القنديل مضيأ فتوجّه اليه واجلس تحته وانتظرني فان هواك قاتلي فلما سمعت كلام ابنة عمي صحت من فرط الغرام وقلت كم تعذبني واتوجه اليها ولا احصل مقصودي ولا اجد لتفسيرك معنى صحيحا فعند ذلك ضحكت بنت عمي وقالت لي بقي عليك من الصبر ان تصبر بقية هذا اليوم الى ان يولي النهار ويقبل الليل بالاعتكار فتحظى بالوصال وبلوغ الآمال وهذا الكلام صدق بغير مين ثم انشدت هذين البيتين

دَرِّجِ الْأَيَّامَ تَنْدَرِجْ ... وَبُيُوتُ الْهَمِّ لَا تَلِجْ
رُبَّ أَمْرٍ عَزَّ مَطْلَبُهُ ... قَرَّبَتْهُ سَاعَةُ الْفَرَجْ

ثم انها اقبلت عليّ وصارت تسليني بلين الكلام ولم تجسر ان تاتيني بشيء من الطعام مخافة من غضبي عليها ورجاء ميلي اليها ولم يكن لها قصد الا انها اتت اليّ وقلعتني ثيابي ثم قالت يا بن عمي اقعد حتى احدثك بما يسليك الى آخر النهار وان شاءالله تعالى ماياتي الليل الا وانت عند محبوبتك فلم التفت اليها وصرت انتظر مجيء الليل واقول يارب عجّل بمجيء الليل

Digitized by Google

ذلك الزقاق بسرعة و جلست على تلك المسطبة و اذا بالطاقة قد انفتحت و ابرزت راسها منها و هي تضحك ثم غابت و رجعت و معها مرآة و كيس وقصرية ممتلئة بزرع اخضر وفي يدها قنديل فاول ما فعلت اخذت المرآة في يدها واد خلتها في الكيس ثم ربطته و رمته في البيت ثم ارخت شعرها على وجهها ثم وضعت القنديل على راس الزرع لحظة ثم اخذت جميع ذلك وانصرفت به واغلقت الطاقة فانفطر قلبي من هذا الحال و من اشاراتها الخفية ورموزها المخفية وهي لم تكلمني بكلمة قط فاشتد لذلك غرامي و زاد وجدي و هيامي ثم اني رجعت على عقبي وانا باكي العين حزين القلب حتى دخلت البيت فرايت ابنة عمي قاعدة و وجهها الى الحائط و قد احترق قلبها من الهم والغم والغيرة و لكن محبتها منعتها ان تخبرني بشيء مما عندها من الغرام لما رات ما انا فيه من كثرة الوجد والهيام ثم نظرت اليها فرايت على راسها عصابتين احدهما من الوقعة على جبهتها والاخرى على عينها بسبب وجع اصابها من شدة بكائها وهي في اسوء الحالات تبكي و تنشد هذه الابيات

أَعُدُّ اللَّيَالِي لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ ... وَقَدْ عِشْتُ دَهْرًا لَا أَعُدُّ اللَّيَا لِيَا
خَلِيلَيَّ وَاللَّهِ لَا أَمْلِكُ الَّذِي ... قَضَى اللَّهُ فِي لَيْلَى وَلَا مَا قَضَى لِيَا
قَضَاهَا لِغَيْرِي وَابْتَلَانِي بِحُبِّهَا ... فَهَلَّا بِشَيْءٍ غَيْرِ لَيْلَى ابْتَلَانِيَا

فلما فرغت من شعرها نظرت الي فراتني وهي تبكي فمسحت دموعها و نهضت الي و لم تقدر ان تتكلم مما هي فيه من الوجد و لم تزل ساكتة برهة من الزمان ثم بعد ذلك قالت يابن عمي اخبرني بما حصل لك منها في هذه المرة فاخبرتها بجميع ماحصل لي

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الخامسة عشر بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فلما رفصت ابنة عمي في صدرها انقلبت على طرف الايوان فجاء الوتد في جبهتها فانفتح جبينها و سال دمها فسكتت ولم تنطق بحرف واحد ثم انها قامت في الحال و احرقت حراقا وحشت به ذلك الجرح و تعصبت بعصابة ومسحت الدم الذي سال على البساط وكان ذلك شيء ما كان ثم انها اتتني وتبسّمت في وجهي وقالت لي بلين الكلام والله يا بن عمي ما قلت هذا الكلام استهزاء بك ولابها ولكن قد كنت مشغولة بوجع راسي وكان في خاطري ان اخرج الدم وفي هذه الساعة قد خفّت راسي وخفّت جبهتي فاخبرني بما كان من امرك في هذا اليوم فحكيت لها جميع ما وقع لي منها في ذلك اليوم وبعد كلامي بكيت فقالت يا بن عمي ابشر بنجاح قصدك و بلوغ املك ان هذه علامة القبول و ذلك انها غابت عنك لانها تريدان تختبرك وتعرف هل انت صابر اولا و هل انت صادق في محبتها اولا و في غد توجه اليها في مكانك الاول و انظر ماذا تشير به اليك فقد قربت افراحك وزالت احزانك و صارت تسليني على مابي و انا لم ازل متزايد الهموم والغموم ثم قدمت لي الطعام فرفصته برجلي فانكبت كل زبدية في ناحية و قلت كل من كان عاشقا فهو مجنون لا يميل الى طعام ولا يلتذ بمنام فقالت لي ابنة عمي عزيزة والله يا بن عمي ان هذه علامات المحبة وسالت دموعها ولمّت شقافة الزبادي و مسحت الطعام و جلست تسامرني و انا ادعوالله ان يصبح الصباح فلما اصبح الصباح و اضاء بنوره و لاح توجّهت اليها ودخلت

Digitized by Google

استيقظ فاجدها سهرانة من اجلي ودمعها يجري على خدها ولم ازل كذلك الى ان مضت الخمسة ايام فقامت ابنة عمي وسخنت لي ماء وحممتني به والبستني ثيابي وقالت لي توجّه اليها قضي الله حاجتك وبلغك مقصودك من محبوبتك فمضيت ولم ازل ماشيا الى ان اتيت الى راس الزقاق وكان ذلك في يوم السبت فرايت دكّان الصباغ مقفولة فجلست عليها حتى اذّن العصر واصفرّت الشمس واذّن المغرب ودخل الليل وانا لا ادري لها اثرا ولا اسمع حسا ولاخبرا فخشيت على نفسي وانا جالس وحدي فقمت وتمشيت وانا كالسكران الى ان دخلت البيت فلما دخلت رايت ابنة عمي عزيزة قائمة واحدى يديها قابضة على وتد مدقوق فى الحائط ويدها الاخرى على صدرها وهي تصعد الزفرات وتنشد هذه الابيات

وَمَا وَجْدُ اَعْرَابِيَّةٍ بَانَ اَهْلُهَا ... فَحَنَّتْ اِلَى بَانِ الْحِجَازِ وَرَنَّدِ
اِذَا اَنَسَتْ رَكْبًا تَكَفَّلَ شَوْقُهَا ... بِنَارٍ تَوَارَاهُ وَالدُّمُوعُ بِوَرْدِ
بِاَعْظَمَ مِنْ وَجْدِي بِحُبِّي وَاِنَّمَا ... يَرَى اَنَّنِي اَذْنَبْتُ ذَنْبًا بِوُدِّهِ

فلما فرغت من شعرها التفتت اليّ فراتني فمسحت دموعها ودموعي بكمها وتبسمت في وجهي وقالت لي يا بن عمي هنّاك الله بما اعطاك فلاي شيء لم تبت الليلة عند محبوبتك ولم تقض منها اربك فلما سمعت كلامها رفستها برجلي في صدرها فانقلبت على الايوان فجاءت جبهتها على طرف الايوان وكان هناك وتد فجاء في جبهتها فتاملتها فرايت جبينها قد انفتح سال دمها وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

Digitized by Google

وَلَقَدْ بَكَيْتُ دَمًا لِقَوْلِ عَوَاذِلِي ... مِنْ جَفْنِ مَنْ تَهْوَى يَرُوعُكَ مُرْهَفُ
يَا لَيْتَ قَلْبِي مِثْلَ قَلْبِكَ اِنَّمَا ... جِسْمِي كَخَصْرِكَ بِالنَّحَافَةِ مُتْلَفُ
لَكَ يَا اَمِيرِ فِي الْمَلَاحَةِ نَاظِرٌ ... صَعْبٌ عَلَيَّ وَحَاجِبٌ لَا يَنْصِفُ
كَذَبَ الَّذِي قَالَ الْمَلَاحَةُ كُلُّهَا ... فِي يُوسُفٍ كَمْ فِي جَمَالِكَ يُوسُفُ
اَتَكَلَّفُ الْاِعْرَاضَ عَنْكَ مَخَافَةً ... مِنْ اَعْيُنِ الرُّقَبَاءِ كَمْ اَتَكَلَّفُ

فلما سمعتُ شعرها زاد ما بي من الهموم وتكاثرت عليّ الغموم ووقعت في زوايا البيت فنهضت اليّ وحملتني وقلعتني اثوابي ومسحت وجهي بكمّها ثم سالتني عن ماجرى لي فحكيت لها جميع ما حصل لي منها فقالت يابن عمي اما اشارتها بالكف والخمسة اصابع فان تفسيره تعال بعد خمسة ايام واما اشارتها بالمرآة وادلاء المنديل الاحمر ورفعه وابراز رأسها من الطاقة فان تفسيره اقعد على دكّان الصبّاغ حتى ياتيك رسولي فلما سمعت كلامها اشتعلت النار في قلبي وقلت بالله يابنت عمي انك تصدقينني في هذا التفسير لاني رايت في الزقاق صبّاغا يهوديا ثم بكيت فقالت ابنة عمي قوّ عزمك وثبّت قلبك فان غيرك يشتغل بالعشق مدة سنين ويتجلّد على حرّ الغرام وانت لك جمعة فكيف يحصل لك هذا الجزع ثم اخذت تسليني بالكلام واتت لي بالطعام فاخذت لقمة واردت ان آكلها فما قدرت فامتنعت من الشراب والطعام وهجرت لذيذ المنام واصفرلوني وتغيّرت محاسني لاني ما عشقت قبل ذلك ولا ذقت حرارة العشق الا في هذه المرة فضعفتُ وضعفتْ بنت عمي من اجلي وصارت تذكر لي احوال العشاق والمحبين على سبيل التسلي في كل ليلة الى ان انام وكنت

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الرابعة عشر بعد المائة

قالت بلغني ايّها الملك السعيد انّ الشاب قال لتاج الملوك فلما انقضى اليومان قالت لي ابنة عمي طب نفسا و قرّ عينا وقوّ عزمك والبس ثيابك و توجّه اليها على الميعاد ثم انها قامت و غيرت اثوابي و بخّرتني ثم شددت حيلي وقويت قلبي وخرجت وتمشيت الى ان دخلت الزقاق وجلست على المصطبة ساعة واذا بالطاقة قد انفتحت فنظرت بعيني اليها فلما رايتها وقعت مغشيا عليّ ثم افقت فشددت عزمي وقويت قلبي ونظرت اليها ثانيا فغبت عن الوجود ثم استفقت فرايت معها مرآة ومنديلا احمر وحين راتني شمّرت عن ساعديها وفتحت اصابعها الخمس ودقت بها على صدرها بالكف والخمس اصابع ثم رفعت يديها وابرزت المرآة من الطاقة واخذت المنديل الاحمر ودخلت به وعادت وادلته من الطاقة الى صوب الزقاق ثلث مرات وهي تدليه وترفعه ثم عصرته ولفّته بيدها وطأطأت رأسها ثم جذبتها من الطاقة واغلقت الطاقة وانصرفت ولم تكلمني كلمة واحدة بل تركتني حيرانا لا اعلم ما اشارت به واستمريت جالسا الى وقت العشاء ثم جئت الى البيت قرب نصف الليل فوجدت ابنة عمي واضعة يدها على خدها واجفانها تسكب العبرات وهي تنشد هذه الابيات

مَا لِي وَ لِلَّاحِي عَلَيْكَ يُعَنِّفُ ... كَيْفَ السُّلُوُّ وَانْتَ غُصْنٌ اهْيَفُ

يَا لَمْعَةً سَلَبَتْ فُؤَادِي وَانْثَنَتْ ... مَا لِلْهَوَى الْعُذْرِيِّ عَنْهَا مَصْرَفُ

تُرْكِيَّةُ الْاَلْحَاظِ تَفْعَلُ بِالْحَشَى ... مَا لَيْسَ يَفْعَلُهُ الصَّقِيلُ الْمُرْهَفُ

حَمَّلْتَنِي ثِقْلَ الْغَرَامِ وَلَيْسَ لِي ... جَلَدٌ عَلَى حَمْلِ الْقَمِيصِ وَاَضْعَفُ

Digitized by Google

ثم انها قالت لي فما قالت لك وما اشارت به اليك فقلت لها ما نطقت بشيء غير انها وضعت اصبعها في فمها ثم قرنتها بالاصبع الوسطى وجعلت الا صبعين على صدرها واشارت الى الارض ثم ادخلت رأسها واغلقت الطاقة ولم ارها بعد ذلك فاخذت قلبي معها فقعدت الى غياب الشمس انتظر انها تطلّ من الطاقة ثانيا فلم تفعل فلما يئست منها قمت من ذلك المكان وجئت الى بيتي وهذه قصتي واشتهي منك ان تعينيني على ما بُليت به فرفعت رأسها اليّ وقالت يا بن عمي لو طلبت عيني لأخرجتها لك من جفوني ولا بدان اساعدك على حاجتك واساعدها على حاجتها فانها مغرمة بك كما انك مغرم بها فقلت لها وما تفسير ما اشارت به قالت اما وضع اصبعها في فمها فانه اشارة الى انك عندها بمنزلة روحها من جسدها وانما تعضّ على وصالك بالنواجذ واما المنديل فانه اشارة الى سلام المحبين على المحبوبين واما الورقة فانها اشارة الى ان روحها متعلقة بك واما وضع اصبعيها على صدرها بين نهديها فتفسيره انها تقول لك بعد يومين تعال هنا ليزول عني بطلعتك العنا واعلم يا بن عمي انها لك عاشقة وبك واثقة وهذا ما عندي من التفسير لاشاراتها ولو كنت ادخل واخرج لجمعت بينك وبينها في اسرع وقت واستركما بذيلي قال الغلام فلما سمعتُ ذلك منها شكرتها على قولها وقلت في نفسي انا اصبر يومين ثم قعدت في البيت يومين لا ادخل ولا اخرج ولا آكل ولا اشرب ووضعت راسي في حجر بنت عمي وهي تسليني وتقول لي قوّ عزمك وهمتك وطيب قلبك وخاطرك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

Digitized by Google

الا جمال فما وصلت الى البيت الا بعد مدة من الليل فرأيت بنت عمي جالسة تبكي فلما رأتني مسحت دموعها واقبلت عليّ وقلعتني الثياب وسألتني عن سبب غيابي واخبرتني ان جميع الناس من امراء وكبراء وتجار وغيرهم قد اجتمعوا في بيتنا وحضر القاضي والشهود واكلوا الطعام واستمرّوا مدة جالسين ينتظرون حضورك من اجل كتب الكتاب فلما يئسوا من حضورك تفرّقوا وذهبوا الى حال سبيلهم وقالت لي ان اباك اغتاظ بسبب ذلك غيظا شديدا وحلف انه لا يكتب كتابنا الا في السنة القابلة لانه غرم في هذا الفرح مالا كثيرا ثم قالت لي ما الذي جرى لك في هذا اليوم حتى تأخّرت الى هذا الوقت وحصل ما حصل بسبب غيابك فقلت لها يابنت عمي لاتسألي عما جرى لي وذكرتُ لها المنديل واخبرتها بالخبر من اوله الى آخره فاخذتِ الورقة والمنديل وقرأتْ ما فيهما وجرت دموعها على خدودها وانشدت هذه الابيات

مَنْ قَالَ اَوَّلُ الْهَوَى اخْتِيَارُ ... فَقُلْ كَذَبَتْ كُلُّهُ اضْطِرَارُ
وَلَيْسَ بَعْدَ الْاضْطِرَارِ عَارُ ... دَلَّتْ عَلَى صِحَّتِهِ اَخْبَارُ
مَا زُيِّفَتْ عَلَى صَحِيحِ النَّقْدِ
فَاِنْ تَشَأْ فَقُلْ عَذَابٌ يَعْذُبُ ... اَوْ ضَرَبَانٌ فِي الْحَشَى اَوْ ضَرْبُ
اَوْ نِعْمَةٌ اَوْ نِقْمَةٌ اَوَارَبُ ... تَأْنِسُ النَّفْسُ بِهِ اَوْ تَعْطِبُ
قَدْ جِرْتُ بَيْنَ عَكْسِهِ وَالطَّرْدِ
وَمَعْ ذَا اَيًّا مُهُ مَوَاسِمْ ... وَثَغْرُهَا عَلَى الدَّوَامِ بَاسِمْ
وَنَفَحَاتُ طِيبِهَا مَوَاسِمْ ... وَهْوَ لِكُلِّ مَا يَشِينُ حَاسِمْ
مَا حَلَّ قَطُّ قَلْبَ نَذْلٍ وَغْدِ

Digitized by Google

ادخلت راسها من الطاقة وسدت باب الطاقة وانصرفت فانطلقت في قلبي النار وزاد به الاستعار واعقبتني النظرة الف حسرة وتحيّرت فلم اسمع ماقالت ولم افهم مابه اشارت فنظرت الى الطاقة ثانيا فوجدتها مطبوقة فصبرت الى مغيب الشمس فلم اسمع حسا ولم ارشخصا فلمايئست من رؤيتها قمت على حيلي من مكاني واخذت المنديل معي ثم فتحته ففاحت منه رائحة المسك فحصل لي من تلك الرائحة طرب عظيم حتى صرت كانني في الجنة ثم نشرته بين يدي فسقطت منه ورقة لطيفة ففتحت الورقة فرأيتها مضمّخة بالروائح الزكيّات ومكتوب فيها هذه الابيـــات

بَعَثْتُ اِلَيْهِ اَشْكُوْ مِنَ الْجَوَى ... بِخَطٍّ رَقِيْقٍ وَالْخُطُوْطُ فُنُوْنُ
فَقَالَ خَلِيْلِيْ مَا لِخَطِّكَ هٰكَذَا ... رَقِيْقًا دَقِيْقًـا لَا يَكَادُ يَبِيْنُ
فَقُلْتُ لِاَنِّيْ فِيْ نُحُوْلٍ وَدِقَّةٍ ... كَذَاكَ خُطُوْطُ الْعَاشِقِيْنَ تَكُوْنُ

ثم بعد ان قرأت الابيـــات اطلقت في بهجة المنديل نظر العين فرأيت في احدى حاشيتيه تسطير هذين البيـــــــــتين

كَتَبَ الْعِـذَارُ وَيَا لَهُ مِنْ كَاتِبٍ ... سَطْرَيْنِ فِيْ خَدَّيْهِ بِالرَّيْحَانِ
وَاَحَيْرَةَ الْقَمَـرَيْنِ مِنْهُ اِذَا بَدَا ... وَاِذَا انْثَنَى وَاَخَجْلَةَ الْاَغْصَانِ

ومسطر في الحاشية الاخرى هذان البيـــــــــتان

كَتَبَ الْعِـذَارُ بِعَنْبَرٍ فِيْ لُؤْلُؤٍ ... سَطْرَيْنِ مِنْ سَبْجٍ عَلَى تُفَّاحِ
اَلْقَتْلُ فِي الْخُدُوْدِ الْمِرَاضِ اِذَا نَتْ ... وَالسُّكْرُ فِي الْوَجَنَاتِ لَا فِي الرَّاحِ

فلما رأيت ما على المنديل من الاشعار انطلق في فؤادي لهيب النار وزادت بي الاشواق والافكار واخذت المنديل والورقة واتيت بهما الى البيت وانا لا ادري لي حيلة في الوصال ولا استطيع في العشق تفصيل

Digitized by Google

و ارسلت خلفي بدلة جديدة من افخر الثياب فلما خرجت من الحمام لبست تلك البدلة الفاخرة و كانت مطيبة فلما لبستها فاحت منها رائحة زكية عبقت فى الطريق ثم اردت ان اذهب الى الجامع فتذكرت صاحبا لي فرجعت افتّش عليه ليحضر كتب الكتاب و قلت في نفسي اشتغل بهذا الامر الى ان يقرب وقت الصلوة ثم اني دخلت زقاقا ما دخلته قط وكنت عرقانا من اثر الحمام والقماش الجديد الذي على جسدي فساح عرقي وفاحت روائحي فقعدت في راس الزقاق لا رتاح على مسطبة و فرشت تحتي منديلا مطرزا كان معي فاشتد عليّ الحر فعرق جبيني وصار العرق ينحدر على وجهي ولم يمكنني مسح العرق عن وجهي بالمنديل لانه مفروش تحتي فاردت ان آخذ فرجيتي وامسح به وجنتي فما ادري الا ومنديل ابيض وقع عليّ من فوق وكان ذلك المنديل ارق من النسيم ورؤيته الطف من شفاء السقيم فمسكته بيدي ورفعت راسي الى فوق لانظر من اين سقط هذا المنديل فوقعت عيني في عين صاحبة هذا الغزال و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة عشر بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فرفعت راسي الى فوق لانظر من اين سقط هذا المنديل فوقعت عيني في عين صاحبة هذا الغزال و اذا بها مطلة من طاقة في شباك من نحاس لم تر عيني اجمل منها و بالجملة يعجز عن وصفها لساني فلما راتني نظرت اليها فوضعت اصبعها في فمها ثم اخذت اصبعها الوسطاني والصقتها باصبعها الشاهد و وضعتهما على صدرها بين نهديها ثم

Digitized by Google

ذكر الخرقة تنهّد وقال يا مولاي ان حديثي عجيب وامري غريب مع هذه الخرقة وصاحبتها وصاحبة هذه الصور والتماثيل ثم نشر الخرقة واذا فيها صورة غزال مرقومة بالحرير مزركشة بالذهب الاحمر وقبالها صورة غزال آخر وهي مرقومة بالفضة وفي رقبته طوق من الذهب الاحمر وثلث قصبات من الزبرجد فلما نظر تاج الملوك اليه والى حسن صنعته قال سبحان الله الذي علّم الانسان مالم يعلم وتعلق قلب تاج الملوك بحديث هذا الشاب فقال له احك لي قصتك مع صاحبة هذا الغزال فقال له اعلم يا مولاي ان ابي كان من التجار الكبار ولم يرزق ولدا غيري وكان لي بنت عم تربّيت انا واياها في بيت ابي لان اباها مات وكان قبل موته تعاهد هو وابي على ان يزوّجاني بها فلما بلغت مبلغ الرجال وبلغت هي مبلغ النساء لم يحجبوها عني ولم يحجبوني عنها ثم تحدث والدي مع امي وقال لها في هذه السنة نكتب كتاب عزيز على عزيزة واتفق مع امي على هذا الامر ثم شرع ابي في تجهيز مؤن الولائم هذا كله وانا وبنت عمي ننام مع بعضنا في فراش واحد ولم ندر كيف الحال وكانت هي اشعر مني واعرف وادرى فلما جهّز ابي ادوات الفرح ولم يبق غير كتب الكتاب والدخول على بنت عمي اراد ابي ان يكتب الكتاب بعد صلوة الجمعة ثم توجه الى اصحابه من التجار وغيرهم واعلمهم بذلك ومضت امي وعزمت اصحابها من النساء ودعت اقاربها فلما جاء يوم الجمعة غسلوا القاعة المعدّة للجلوس وغسلوا رخامها وفرشوا في دارنا البسط ووضعوا فيها مايحتاج اليه الامر بعد ان زوّقوا حيطانها بالقماش المقصب واتفق الناس على ان يجيئوا بيتنا بعد صلوة الجمعة ثم مضى ابي وعمل الحلويات واطباق السكر وما بقي غير كتب الكتاب وقد ارسلتني امي الى الحمام

Digitized by Google

من سبب ولما اخذ الخرقة و وضعها تحت وركه قال له تاج الملوك ما هذه الخرقة فقال يا مولاي ليس لك بهذه الخرقة حاجة فقال له ابن الملك ارني اياها قال له يا مولاي انا ما امتنعت من عرض بضاعتي عليك الا لاجلها فاني لا اقدر ادعك تنظر اليها وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية عشر بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الشاب قال لتاج الملوك انا ما امتنعت من عرض بضاعتي عليك الّا لاجلها فاني لا اقدر ادعك تنظر اليها فقال له تاج الملوك لا بدّ من كوني انظر اليها ولحّ عليه و اغتاظ فاخرجها من تحت ركبته وبكى و انّ و اشتكى و اكثر من الانات و انشد هذه الابيات

لَا تَعْذُلِيهِ فَإِنَّ الْعَذْلَ يُوجِعُهُ ... قَدْ ذُقْتُ حَقًّا وَلَكِنْ لَيْسَ يَسْمَعُهُ
اَسْتَوْدِعُ اللّٰهَ فِي الْبَطْحَاءِ لِي قَمَرًا ... بِالْخَيِّ مِنْ فَلَكِ الْأَزْرَارِ مَطْلِعُهُ
وَدَّعْتُهُ وَبِوُدِّي لَوْ يُوَدِّعُنِي ... صَفْوَ الْحَيَاةِ وَ إِنِّي لَا أُوَدِّعُهُ
وَكَمْ تَشَفَّعَ بِي يَوْمَ الْفِرَاقِ ضُحًى ... وَ أَدْمُعِي مُسْتَهِلَّاتٌ وَ أَدْمَعُهُ
لَا كَذَّبَ اللّٰهُ ثَوْبَ الْعُذْرِ مُنْخَرِقٌ ... عَنِّي بِفُرْقَتِهِ لَكِنْ أُرَقِّعُهُ
لَا يَسْتَقِرُّ لِجَنْبِي مَضْجَعٌ وَكَذَا ... لَا يَسْتَقِرُّ لَهُ مُذْ بِنْتُ مَضْجَعُهُ
وَقَدْ سَعَى الدَّهْرُ فِيمَا بَيْنَنَا بِيَدٍ ... عَسْرَاءَ تَمْنَعُنِي حَظِّي وَ تَمْنَعُهُ
وَصَبَّتِ الْهَمَّ صِرْفًا عِنْدَ مَا مَلَأَتْ ... كَأْسًا تَجَرَّعَ مِنْهَا مَا أُجَرِّعُهُ

فلما فرغ من شعره قال له تاج الملوك ارني احوالك غير مستقيمة فاخبرني ما سبب بكائك عند نظرك الى هذه الخرقة فلما سمع الشاب

Digitized by Google

امر بنصب كرسيين فنصبوا له كرسيا من العاج والآبنوس مشبكا بالذهب والحرير وبسطوا له بساطا من الحرير فجلس تاج الملوك على الكرسي وامر الشاب ان يجلس على البساط وقال له اعرض عليّ بضاعتك فقال له الشاب يا مولاي لا تذكر لي ذلك فان بضاعتي ليست بمناسبة لك فقال له تاج الملوك لا بدّ من ذلك ثم امر بعض غلمانه باحضارها فاحضروها قهراعنه فلما رآها الشاب جرت دموعه وبكى وانّ واشتكى وصعد الزفرات وانشد هذه الابيات

بِمَا بِجَفْنِكَ مِنْ غُنْجٍ وَمِنْ كَحَلِ ... وَمَا بِقَدِّكَ مِنْ لِيْنٍ وَمِنْ مَيَلِ
وَمَا بِثَغْرِكَ مِنْ خَمْرٍ وَمِنْ شَهْدٍ ... وَمَا بِطَبْعِكَ مِنْ لُطْفٍ وَمِنْ مَلَلِ
عِنْدِي زِيَارَةُ طَيْفٍ مِنْكَ يَا اَمَلِي ... اَحْلَى مِنَ الْاَمْنِ عِنْدَ الْخَائِفِ الْوَجِلِ

ثم ان الشاب فتح بضاعته وعرضها على تاج الملوك قطعة قطعة وتفصيلة تفصيلة واخرج من جملتها ثوبا من الاطلس منسوجا بالذهب يساوي الفي دينار فلما فتح الثوب وقعت من وسطه خرقة فاخذها الشاب بسرعة ووضعها تحت وركه وقد ذهل عن المعقول وانشد يقول

مَتَى يَشْتَفِي مِنْكَ الْفُؤَادُ الْمُعَذَّبُ ... وَنَجْمُ الثُّرَيَّا مِنْ وِصَالِكَ اَقْرَبُ
بِعَادٌ وَهَجْرٌ وَاشْتِيَاقٌ وَلَوْعَةٌ ... وَمَطْلٌ وَتَسْوِيفٌ بِهِ الْعُمْرُ يَذْهَبُ
فَلَا الْوَصْلُ يُحْيِينِي وَلَا الْهَجْرُ قَاتِلِي ... وَلَا الْبُعْدُ يُنْسِينِي وَلَا اَنْتَ تَقْرُبُ
وَمَا مِنْكَ اِنْصَافٌ وَلَا لَكَ رَحْمَةٌ ... وَلَا مِنْكَ اِسْعَافٌ وَلَا عَنْكَ مَهْرَبُ
وَفِي حُبِّكُمْ ضَاعَتْ جَمِيعُ مَذَاهِبِي ... عَلَيَّ فَلَا اَدْرِي اِلَى اَيْنَ اَذْهَبُ

فتعجب تاج الملوك من انشاده غاية العجب ولم يعلم لذلك

Digitized by Google

الاحباب و زادبه الانين والانتحاب و سالت من جفنيه العبرات وهو ينشد هذه الابيـــــــــــــــــــــــات

طَالَ الْفِرَاقُ وَدَامَ الْهَمُّ وَالْوَجَلُ ... وَالدَّمْعُ مِنْ مُقْلَتِي يَا صَاحِ مُنْهَمِلُ
وَالْقَلْبُ وَدَّعَتْهُ يَوْمَ الْفِرَاقِ وَقَدْ ... بَقِيتُ فَرْدًا فَلَا قَلْبٌ وَلَا أَمَلُ
يَا صَاحِبِي قِفْ مَعِي حَتَّى أُودِعَ مَنْ ... مِنْ نُطْقِهَا تَشْتَفِي الْأَمْرَاضُ وَالْعِلَلُ

ثم ان الشاب بعد ما فرغ من الشعر بكى ساعة و غشي عليه و تاج الملوك ناظر اليه و هو يتعجب من امره فلمـــا افاق رنا بفاتك اللحظات و انشد هذه الابيـــــــــــــــــــــــات

خُذُوا حِذْرَكُمْ مِنْ طَرْفِهَا فَهُوَ سَاحِرُ ... وَلَيْسَ بِنَاجٍ مَنْ رَمَتْهُ الْمَحَاجِرُ
فَإِنَّ الْعُيُونَ السُّودَ هِيَ نَوَاعِسُ ... تَقِدُّ السُّيُوفَ الْبِيضَ وَهِيَ بَوَاتِرُ
وَلَا تَخْدَعُوا مِنْ رِقَّةٍ فِي كَلَامِهَا ... فَإِنَّ الْحُمَيَّـــا لِلْعُقُولِ تُخَـامِرُ
مُنَعَّمَةُ الْأَطْرَافِ لَوْ مَسَّ جِسْمُهَا ... حَرِيرٌ لَأَدْمَاهُ وَهَا أَنْتَ نَاظِـــرُ
بَعِيدَةُ مَا بَيْنَ الْمُخَلْخَلِ وَالطُّلَا ... وَأَيْنَ الثَّدَا مِنْ طِيبِهَـا وَهْوَ عَاطِرُ

ثم شهق شهقة فغشي عليه فلما رآه تاج الملوك على هذه الحالة تحيّر في امره و تمشى اليه فلمـــا افاق من غشيته نظر ابن الملك واقفا على راسه فنهض قائمـــا على قدميه و قبّل الارض بين يديه فقال له تاج الملوك لاىّ شيءٍ لم تعرض بضاعتك علينا فقال يا مولاي ان بضاعتي ليس فيها شيءٌ يصلح لحضرة سعادتك فقال لا بد ان تعرض علىّ ما معك و تخبرني بحالك فاني اراك باكى العين حزين القلب فان كنت مظلوما ازلنا ظلامتك و ان كنت مديونا قضينـــا دينك فان قلبي قد احترق من اجلك حين رأيتك ثم ان تاج الملوك

Digitized by Google

تجّار ونزلنا هنا لاجل الراحة لان المنزل بعيد علينا وقد نزلنا في هذا المكان لاننا مطمئنون بالملك سليمان شاه وولده ونعلم ان كل من نزل عنده صار في امان واطمئنان ومعنا قماش نفيس جئنا به من اجل ولده تاج الملوك فرجع الرسول الى ابن الملك واعلمه بحقيقة الحال واخبره بما سمعه من التجّار فقال ابن الملك اذا كان معهم شيء جاؤا به من اجلي فما ادخل المدينة ولا ارحل من هذا المكان حتى استعرضه ثم ركب جواده وسار وسارت مماليكه خلفه الى ان اشرف على القافلة فقام له التجار ودعوا له بالنصر والاقبال ودوام العز والافضال وقد ضربت له خيمة من الاطلس الاحمر مزركشة بالدر والجوهر وفرشوا له مقعدا سلطانيا فوق بساط من الحرير وصدره مزركش بالزمرد فجلس تاج الملوك ووقفت المماليك في خدمته وارسل الى التجار وامرهم ان يحضروا بجميع ما معهم فاقبلت عليه التجار ببضائعهم فاستعرض جميع بضاعتهم واخذ منها ما يصلح له ووفى لهم بالثمن ثم ركب واراد ان يسير فلاحت منه التفاتة الى القافلة فرأى شابا جميل الشباب نظيف الثياب ظريف المعاني بجبين ازهر ووجه انور الّا ان ذلك الشاب قد تغيرت محاسنه وعلاه الاصفرار من فرقة الاحباب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية عشر بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان تاج الملوك لاحت منه التفاتة الى القافلة فراى شابا جميل الشباب نظيف الثياب ظريف المعاني الّا ان ذلك الشاب قد تغيرت محاسنه وعلاه الاصفرار من فرقة

Digitized by Google

فلما صار بتلك الحالة وبلغ مبلغ الرجال زاد به الجمال ثم صار لتاج الملوك خاران اصحاب واحباب وكل من تقرّب اليه يرجوانه يصير سلطانا بعد موت ابيه وانه يكون عنده اميرا ثم انه تعلّق بالصيد والقنص وصار لم يفتر عنه ساعة واحدة وكان والده الملك سليمان شاه ينهاه عن ذلك مخافة عليه من آفات البرّ والوحوش فلم يقبل منه ذلك فاتفق انه قال لخدامه خذوا معكم عليق عشرة ايام فامتثلوا ما امرهم به فلما خرج باتباعه للصيد والقنص ساروا فى البرّ ولم يزالوا سائرين اربعة ايام حتى اشرفوا على ارض خضراء فرأوا فيها وحوشا راتعة واشجارا يانعة وعيونا نابعة فقال تاج الملوك لاتباعه انصبوا الحبائل هنا واوسعوا دائرة حلقتها ويكون اجتماعنا عند راس الحلقة فى المكان الفلاني فامتثلوا امره وانصبوا الحبائل واوسعوا دائرة حلقتها فاجتمع فيها شيء كثير من اصناف الوحوش والغزلان الى ان ضجت منهم الوحوش وتنافرت في وجوه الخيل فاغرى عليها الكلاب والفهود والصقور ثم ضربوا الوحوش بالنشاب فاصابوا مقاتل الوحوش وما وصلوا الى آخر الحلقة الا وقد اخذوا من الوحوش شيأ كثيرا وهرب الباقي وبعد ذلك نزل تاج الملوك على الماء واحضر الصيد وقسّمه وافرد لابيه سليمان شاه خاص الوحوش وارسله اليه وفرّق البعض على ارباب دولته وبات تلك الليلة في ذلك المكان فلما اصبح الصباح اقبلت عليهم قافلة كبيرة مشتملة على عبيد وغلمان وتجّار فنزلت تلك القافلة على الماء والخضرة فلما رآهم تاج الملوك قال لبعض اصحابه ائتني بخبر هولاء واسالهم لاي شيء نزلوا في هذا المكان فلما توجه اليهم الرسول قال لهم اخبرونا من انتم واسرعوا في ردّ الجواب فقالوا له نحن

Digitized by Google

سُكْرَانُ مَاشَرِبَ الْمُدَامَ وَانَّمَا ... اَمْسَى بِخَمْرِ رُضَابِهِ مُتَنَبِّذَا
اَضْحَى الْجَمَالُ بِاَسْرِهِ فِي اَسْرِهِ ... فَلِاَجْلِ ذَاكَ عَلَى الْقُلُوبِ اسْتَحْوَذَا
وَاللّٰهِ مَا خَطَرَ السُّلُوُّ بِخَاطِرِي ... مَادُمْتُ فِي قَيْدِ الْحَيٰوةِ وَلَا اِذَا
اِنْ عِشْتُ عِشْتُ عَلَى هَوَاهُ وَاِنْ اَمُتْ ... وَجْدًا بِهِ وَصَبَابَةً يَا حَبَّذَا

فلما بلغ من العمر ثمانية عشر عاما دبّ عذاره الاخضر على شامة خده الاحمر وزانهما خال كنقطة عنبر وصار يسبى العقول والنواظر كما قال فيه الشاعر

اَضْحَى لِيُوسُفَ فِي الْجَمَالِ خَلِيفَةً ... تَخْشَاهُ كُلُّ الْعَاشِقِينَ اِذَا بَدَا
عَرِّجْ مَعِي وَانْظُرْ اِلَيْهِ لِكَيْ تَرَى ... فِي خَدِّهِ عَلَمَ الْخِلَافَةِ اَسْوَدَا

وكما قال الآخر

مَا اَبْصَرَتْ عَيْنَاكَ اَحْسَنَ مَنْظَرًا ... فِيمَا يُرَى مِنْ سَائِرِ الْاَشْيَاءِ
كَالشَّامَةِ الْخَضْرَاءِ فَوْقَ الْوَجْنَةِ ... الْحَمْرَاءِ تَحْتَ الْمُقْلَةِ السَّوْدَاءِ

وكما قال الآخر

عَجِبْتُ بِخَالٍ يَعْبُدُ النَّارَ دَائِمًا ... بِخَدِّكَ لَمْ يَحْرِقْ بِهَا وَهْوَ كَافِرُ
وَاَعْجَبُ مِنْ ذَا اَنَّ بِاللَّحْظِ مُرْسَلًا ... يُصَدِّقُ بِالْاٰيَاتِ وَهْوَ لَسَاحِرُ
وَمَا اخْضَرَّ ذَاكَ الْخَدُّ نَبْتًا وَاِنَّمَا ... لِكَثْرَةِ مَا شُقَّتْ عَلَيْهِ الْمَرَائِرُ

وكما قال الآخر

اِنِّي لَاَعْجَبُ مِنْ سُؤَالِ النَّاسِ عَنْ ... مَاءِ الْحَيٰوةِ بِاَيِّ اَرْضٍ مُنْهَمِرِ
وَلَقَدْ اَرَاهُ بِثَغْرِ ظَبْيٍ اَهْيَدٍ ... حُلْوُ اللُّمَى وَعَلَيْهِ شَارِبُهُ الْخَضِرْ
وَمِنَ الْعَجَائِبِ اَنَّ مُوسَى يَلْتَقِي ... مَعَهُ هُنَالِكَ سَائِلًا لَمْ يَصْطَبِرْ

Digitized by Google

هَشَّتْ لِمَطْلَعِهِ الْاَسِنَّةُ وَالْاَسِرَّةُ وَالْمَحَافِلُ وَالْجَحَافِلُ وَالظُّبَى
لَاتَرْكُبُوهُ عَلَى النُّهُودِ فَاِنَّهُ لَيَرَى ظُهُورَ الْخَيْلِ اَوْطَاءُ مَرْكَبَا
وَلْتَفْطِمُوهُ عَنِ الرَّضَاعِ فَاِنَّهُ لَيَرَى دَمَ الْاَعْدَاءِ اَحْلَى مَشْرَبَا

ثم ان الدايات اخذن ذلك المولود وقطعن سرّته وكحّلن مقلته ثم سموه تاج الملوك خاران وارتضع ثدي الدلال وتربّى في حجر الاقبال ولازالت الايام تجرى والاعوام تمضي حتى صارله من العمر سبع سنين فعند ذلك احضر الملك سليمان شاه العلماء والحكماء وامرهم ان يعلّموا ولده الخط والحكمة والادب فمكثوا على ذلك مدة سنين حتى تعلم ما يحتاج اليه الامر فلما عرف جميع ما طلبه الملك احضره من عند الفقهاء والمعلمين واحضرله استاذا يعلّمه الفروسية فلم يزل يعلّمه حتى صارله من العمر اربعة عشر سنة وكان اذا خرج الى بعض اشغاله يفتتن به كل من رآه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة العاشرة بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان تاج الملوك خاران ابن الملك سليمان شاه لما مهر فى الفروسية وفاق اهل زمانه صارمن فرط جماله اذا خرج الى بعض اشغاله يفتتن به كل من رآه حتى نظموا فيه الاشعار وتهتكت في محبته الاحرار لما حوى من الجمال الباهر كما قال فيه الشاعر

عَانَقْتُهُ فَسَكِرْتُ مِنْ طِيبِ الشَّذَى غُصْنٌ رَطِيبٌ بِالنَّسِيمِ قَدِ اهْتَزَّا

Digitized by Google

واتفق ارباب الدولة على ان يزيّنوا الطريق وان يقفوا حتى تمرّ بهم العروسة والخدام قدامها والجواري بين يديها وعليها الخلعة التي اعطاها لها ابوها فلما اقبلت احاط بها العسكر ذات اليمين وذات الشمال ولم تزل المحفّة سائرة بها الى ان قربت من القصر ولم يبق احد الا وقد خرج ليتفرج عليها وصارت الطبول ضاربة والرماح لاعبة والبوقات صائحة وروائح الطيب فائحة والرايات خافقة والخيل متسابقة حتى وصلوا الى باب القصر وتقدّمت الغلمان بالمحفّة الى باب السرّ فاضاء المكان بهجتها واشرقت جهاته بحلي زينتها فلما اقبل الليل فتح الخدام ابواب السرادق ووقفوا وهم محتاطون بالباب ثم جاءت العروسة وهي بين الجواري كالقمر بين النجوم او الدرّة الفريدة بين اللؤلؤ المنظوم ثم دخلت المقصورة وقد نصبوا لها سريرا من المرمر مرصعا بالدر والجوهر فجلست عليه ودخل عليها الملك واوقع الله محبتها في قلبه فازال بكارتها وزال ماكان عنده من القلق والقهر واقام عندها نحو شهر فعلقت منه في اول ليلة وبعد تمام الشهر خرج وجلس على سرير مملكته وعدل في رعيّته الى ان وفت اشهرها وفي آخر ليلة من الشهر التاسع جاءها المخاض عند السحر فجلست على كرسي الطلق وهوّن الله عليها الولادة فوضعت غلاما ذكرا تلوح عليه علامات السعادة فلما سمع الملك بالولد فرح فرحا جليلا واعطى المبشر مالا جزيلا ومن فرحته توجّه الى الغلام وقبّله بين عينيه وتعجب من جماله الباهر وتحقق فيه قول الشاعر

اَللّٰهُ خَوَّلَ مِنْهُ اَجْمَعَ الْعُلَا اَسَدًا وَاَفَاقَ الرَّاْسَةَ كَوْكَبًا

الخيام فضربت بظاهر المدينة وعبوا القماش فى الصناديق و هيئوا الجوارى الروميات والوصائف التركيات و اصحب العروسة بنفيس الذخائر و ثمين الجواهر ثم صنع لها محفّة من الذهب الاحمر مرصّعة بالدر والجوهر و افرد لها عشرين بغالا للمسير وصارت تلك المحفة كانها مقصورة من المقاصير و صاحبتها كانها حورية من الحور الحسان و خدرها كقصر من قصور الجنان ثم رزموا الذخائر والاموال و حملوها على البغال والجمال و توجه الملك زهرشاه معهم قدر ثلثة فراسخ ثم ودّع الوزير و من معه و رجع الى الاوطان في فرح و امان و توجه الوزير با بنة الملك وسار ولم يزل يطوى المراحل والقفار وا درک شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام البـــاح

فلما كانت الليلة التاسعة بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير توجه با بنة الملك وسار ولم يزل يطوى المراحل والقفار ويجدّ السير فى الليل والنهار حتى بقي بينه وبين بلاده ثلثة ايام ثم ارسل الى الملك سليمان شاه من يخبره بقدوم العروسة فاسرع الرسول بالسير حتى وصل الى الملك واخبره بقدوم العروسة ففرح الملك سليمان شاه وخلع على الرسول و امر عساكره ان يخرجوا في موكب عظيم الى ملاقاة العروسة ومن معها بالتكريم وان تكونوا في احسن البهجات وان ينشروا على رؤسهم الرايات فامتثلوا امره ونادى مناد في المدينة انه لا تبقى بنت مخدّرة ولا حرة موقّرة ولا عجوز مكسّرة الا وتخرج الى لقاء العروسة فخرجوا جميعا الى لقائها وسعت كبراؤهم في خدمتها واتفقوا على ان يتوجهوا بها في الليل الى قصر الملك

Digitized by Google

المجلس ولم يبق الا الخواص فلما راى الوزير خلو المكان نهض قائما على قدميه واثنى على الملك وقبل الارض بين يديه ثم قال ايها الملك الكبير والسيد الخطيراني سعيت اليك وقدمت عليك في امرلك فيه الصلاح والخير والفلاح وهواني قداتيتك رسولا خاطبا وفي بنتك الحسيبة النسيبة راغبا من عند الملك سليمان شاه صاحب العدل والامان والفضل والاحسان ملك الارض الخضراء وجبال اصفهان وقدارسل اليك الهدايا الكثيرة والتحف الغزيرة وهو في مصاهرتك راغب فهل انت له كذلك طالب ثم انه سكت ينتظر الجواب فلما سمع الملك زهرشاه ذلك الكلام نهض قائما على الاقدام ولثم الارض باحتشام فتعجب الحاضرون من خضوع الملك للرسول واندهشت منهم العقول ثم ان الملك اثني على ذى الجلال والاكرام وقال وهو في حالة القيام ايها الوزير المعظّم والسيد المكرّم اسمع ما اقول اننا للملك سليمان شاه من جملة رعاياه ونتشرف بنسبه ونتنافس فيه وابنتي جارية من جملة جواريه وهذا اجلّ مرادي ليكون ذخري واعتمادي ثم انه احضر القضاة والشهود وشهدوا ان الملك سليمان شاه وكّل وزيره فى الزواج وتولّى الملك زهر شاه عقد بنته بابتهاج ثم ان القضاة احكموا عقد النكاح ودعوا لهما بالفوز والنجاح فعند ذلك قام الوزير واحضر ما جاءبه من الهدايا ونفائس التحف والعطايا وقدم الجميع للملك زهرشاه ثم ان الملك اخذ في تجهيز ابنته واكرام الوزير وعمّ بولائمه العظيم والحقير واستمرّ في اقامة الفرح مدة شهرين ولم يترك فيه شيأً مما يسرّ القلب والعين ولمّا تمّ ما تحتاج اليه العروسة امر الملك باخراج

Digitized by Google

وصار بين يديه ثبّت جنانه واطلق لسانه وابدى فصاحة الوزراء وتكلم بكلام البلغاء وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان وزير الملك سليمان شاه لما دخل على الملك زهرشـــاه ثبّت جنانه واطلق لسانه وابدى فصاحة الوزراء وتكلّم بكلام البلغاء واشار الى الملك بلطف التفات وانشد هذه الابـــــــــــــــــيـــــــــــــــــات

وَافَى وَاقْبَلَ فِي الْغَلَائِلِ يَنْثَنِي ... يُولِي النَّدَى لِلْمُجْتَنِي وَالْمُجْتَنِي
وَرَقَى فَمَا تُغْنِي التَّمَائِمُ وَالرُّقَا ... وَالسِّحْرُ مِنْ لَحَظَاتِ تِلْكَ الْأَعْيُنِ
قُلْ لِلْعَوَاذِلِ لَا تَلُومُوا اِنَّنِي ... طُولَ الْمَدَى عَنْ حُبِّهِ لَا انْثَنِي
حَتَّى فُؤَادِي خَانَنِي وَوَفَى لَهُ ... وَكَذَا الرُّقَادُ صَبَا اِلَيْهِ وَمَلَّنِي
يَا قَلْبُ مَا امْسَيْتَ وَحْدَكَ رَأْفَةً ... فَامْكُثْ لَدَيْهِ وَاِنْ تَكُنْ اَوْحَشْتَنِي
لَا شَيْءَ يُطْرِبُ مَسْمَعِي بِسِمَاعِهِ ... اِلَّا الثَّنَاءُ لِزَهْرِشَاهِ اَجْتَنِي
مَلِكٌ اِذَا انْفَقْتَ عُمْرَكَ كُلَّهُ ... فِي نَظْرَةٍ مِنْ وَجْهِهِ اَنْتَ الْغَنِي
وَاِذَا انْتَخَبْتَ لَهُ دُعَاءً صَالِحًا ... لَمْ تَلْقَ غَيْرَ مُشَارِكٍ وَمُؤَمِّنِ
يَا اَهْلَ ذَا الْمُلْكِ الَّذِي مَنْ فَاتَهُ ... وَرَجَا سِوَاهُ فَمَا اَرَاهُ بِمُؤْمِنِ

فلما فرغ الوزير من هذا النظام قرّبه الملك زهرشاه واكرمه غاية الاكرام واجلسه بجانبه وتبسم في وجهه وشرفه بلطيف الكلام ولم يزالوا على ذلك الى وقت الصباح ثم قدموا السماط في ذلك الايوان فاكلـــوا جميعا حتى اكتفـــوا ثم رفعوا السماط وخرج كل من في

Digitized by Google

الى تلك المدينة فلمّا قدم عليها وافق قدومه ان الملك زهر شاه كان جالسا في بعض المنتزهات قدّام باب المدينة فرآه وهو داخل. وعرف انه غريب فامر باحضاره بين يديه فلما حضر الرسول اخبره بقدوم وزير الملك الاعظم سليمـــان شاه صاحب الارض الخضراء و جبال اصفهان ففرح الملك زهرشاه و رحّب بالرسول واخذه و توجه الى قصره و قال اين فارقت الوزير فقال فارقته في اول النهار على شاطئ النهر الفلاني وفي غد يكون واصلا اليك ادام الله نعمته عليك ورحم والديك فامر زهرشاه بعض وزرائه ان ياخذ معظم خواصه وحجابه و نوابه و ارباب دولته و يخرج بهم الى مقابلته تعظيمـــا للملك سليمان شاه لان حكمه نافذ في الارض هذا ماكان من امر زهرشاه و اما ماكان من امر الوزير فانه استقر في مكانه الى نصف الليل ثم رحل متوجّها الى المدينة فلما لاح الصباح واشرقت الشمس على الروابي و البطاح لم يشعـــر الا ووزير الملك زهرشاه و حجابـــه وارباب دولته وخواص مملكته قدموا عليه و اجتمعوا به على فراسخ من المدينة فايقن الوزير بقضاء حاجته وسلم على الذين قابلوه ولم يزالوا سائرين قدامه حتى وصلوا الى قصر الملك ودخلوا بين يديه في باب القصر الى سابع دهليز وهو المكان الذي لا يدخله الراكب لانه قريب من الملك فترجّل الوزير و سعى على قدميـــه حتى وصل الى ايوان عال و في صدر ذلك الايوان سرير من المـــرمر مرصّع بالدر والجوهر وله اربعة قوائم من انياب الفيل وعلى ذلك السرير مرتبة من الا طلس الاخضر مطرزة بالذهب الاحمـــر ومن فوقها سرادق مرصع بالدر والجـــوهر و الملك زهرشاه جالس على ذلك السرير وارباب دولته واقفون في خدمته فلما دخل الوزير عليه

Digitized by Google

إِنْ عِشْتُ فَهْيَ الْمُنَى مَا شِئْتُ أَذْكُرُهَا أَوْ مُتُّ مِنْ دُونِهَا لَمْ يُجْدِنِي الْعُمُرُ

فلما فرغ الوزير من وصف تلك الجارية قال للملك سليمان شاه الرأى عندي ايها الملك ان ترسل الى ابيها رسولا فطنا خبيرا بالامور مجرّبا لتصاريف الدهور ليتلطّف في خطبتها لك من ابيها فانها لانظير لها في قاصي الارض ودانيها و تحظى منها بالوجه الجميل و يرضى عليك الرب الجليل فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا رهبانيّة فى الاسلام فعند ذلك توجه الي الملك كمال الفرح و اتسع صدره و انشرح وزال عنه الهم و الغم ثم اقبل على الوزير و قال له اعلم ايها الوزير انه لايتوجه الى هذا الامر الا انت لكمال عقلك وادبك فقم الى منزلك واقض اشغالك وتجهز في غد واخطب لي هذه البنت التي اشغلت بها خاطري ولاتعُدْ الّي الّا بها فقال سمعا وطاعة ثم ان الوزير توجه الى منزله واستدعى بالهدايا التي تصلح للملوك من الجواهر و نفيس الذخائر و غير ذلك مما هو خفيف فى الحمل ثقيل فى الثمن و من الخيل العربية والدروع الداوُدّية وصناديق المال التي يعجز عن وصفها المقال ثم حملوها على البغال والجمال وتوجّه الوزير ومعه مائة مملوك و مائة عبد و مائة جارية و انتشرت على راسه الرايات و الا علام واوصاه الملك ان ياتي اليه في مدة قليلة من الا يام وبعد توجّهه صار الملك سليمان شاه علي مقالى النار مشغولا بحبّها في الليل والنهار وسار الوزير ليلا ونهارا يطوي براري وقفارا حتى بقي بينه و بين المدينة التي هو متوجه اليها يوم واحد ثم نزل على شاطئ نهر و احضر بعض خواصه وامره ان يتوجه الى الملك زهرشاه بسرعة ويخبره بقدومه عليه فقال سمعا وطاعة ثم توجه بسرعة

Digitized by Google

الزمان ان اتكلم فيما هو من خصائص الرحمن اتريدان ادخل النار بسخط الملك الجبار فاشترجارية فقال له الملك اعلم ايها الوزير ان الملك اذا اشترى جارية لايعلم حسبها ولا يعرف نسبها فهو لايدري خساسة اصلها حتى يجتنبها ولاشرف عنصرها حتى يتسرى بها فاذا افضي اليها ربما حملت منه فيجيء الولد منافقا ظالما سافكا للدماء ويكون مثلها مثل الارض السبخة اذا زرع فيها زرع فانه يخبث نباته ولايحسن ثباته وقد يكون ذلك الولد متعرضا لسخط مولاه ولا يفعل ما امر به ولا يجتنب ماعنه نهاه فانا لا اتسبب في هذا بشراء جارية ابدا وانما مرادي ان تخطب لي بنتا من بنات الملوك يكون نسبها معروفا وجمالها موصوفا فان دللتني على ذات النسب والدين من بنات الملوك المسلمين فاني اخطبها واتزوج بها على رؤس الاشهاد ليحصل لي بذلك رضاء رب العباد فقال له الوزير ان الله قضى حاجتك وبلغك امنيتك فقال له اعلم ايها الملك انه بلغني ان الملك زهر شاه صاحب الارض البيضاء له بنت بارعة الجمال يعجز عن وصفها القيل والقال ولم يوجد لها في هذا الزمان مثيل لانها في غاية الكمال قويمة الاعتدال ذات طرف كحيل وشعر طويل وخصر نحيل وردف ثقيل ان اقبلت فتنت وان ادبرت قتلت تأخذ القلب والناظر كما قال فيها الشاعر

هَيْفَاءُ تُخْجِلُ غُصْنَ الْبَانِ قَامَتُهَا ... لَمْ يَحْكِ طَلْعَتَهَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرُ
كَأَنَّمَا رِيقُهَا شَهْدٌ وَقَدْ مُزِجَتْ ... بِهِ الْمُدَامَةُ لَكِنْ ثَغْرُهَا دُرَرُ
مَمْشُوقَةُ الْقَدِّ مِنْ حُورِ الْجِنَانِ لَهَا ... وَجْهٌ جَمِيلٌ وَفِي الْأَحْشَاءِ حَوَرُ
وَكَمْ لَهَا مِنْ قَتِيلٍ مَاتَ مِنْ كَمَدٍ ... وَفِي طَرِيقِ هَوَاهَا الْخَوْفُ وَالْخَطَرُ

Digitized by Google

فلما كانت الليلة السابعة بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الملك ضوء المكان لما احضر الوزير والحاجب ورستم وبهرام التفت الى الوزير دندان وقال اعلم ايها الوزير ان الليل قد اقبل وسدل جلابيبه علينا واسبل ونريدان تحكي لنا ما وعدتنا به من الحكايات فقال الوزير حبا وكرامة اعلم ايها الملك السعيدانه بلغني من حكاية العاشق والمعشوق والمتكلم بينهما وماجرى لهم من العجائب والغرائب ما يزيل الهم عن القلوب ويسلي عن مثل حزن يعقوب وهوانه كان في سالف الزمان مدينة وراء جبال اصبهان يقال لها المدينة الخضراء وكان بها ملك يقال لها الملك سليمان شاه وكان صاحب جود واحسان وعدل وامان وفضل وامتنان وسارت اليه الركبان من كل مكان وشاع ذكره في سائر الاقطار والبلدان واقام في المملكة مدة مديدة من الزمان وهو في عزّ وامان الّا انه كان خاليا من الاولاد والزوجات وكان له وزير يقاربه في الصفات من الجود والهبات فاتفق انه ارسل الى وزيره يوما من الايام واحضره بين يديه وقال له يا وزيري انه قد ضاق صدري وعيل صبري وضعف مني الجلد لكوني بلا زوجة ولا ولد وما هذا سبيل الملوك الحكام على كل امير وصعلوك فانهم يفرحون بخلفه الاولاد وتتضاعف لهم بهم العدد والاعداد وقال النبي صلى الله عليه وسلم تناكحوا تناسلوا تكثروا فاني مُبَاهٍ بكم الامم يوم القيامة فما عندك من الرأي يا وزير فشر عليّ بما فيه النصح من التدبير فلما سمع الوزير ذلك الكلام فاضت الدموع من عينه بالانسجام وقال له هيهات يا ملك

Digitized by Google

فلما فرغ الرجل من شعره بكى ضوء المكان هو والوزير دندان وضج جميع العسكر بالبكاء ثم انهم انصرفوا الى الخيام و اقبل السلطان على الوزير دندان واخذا يتشاوران في امر القتال و استمرا على ذلك ايا ما و ليالي وضوء المكان يتضجّر من الهمّ و الاحزان ثم قال اني اشتهي سماع اخبار الناس و احاديث الملوك و حكايات المتيّمين لعل الله يفرج ما بقلبي من الهم الشديد و يذهب عنّي البكاء والعديد فقال الوزير ان كان ما يفرج همّك الاّ سماع قصص الملوك من نوادر الاخبار و حكايات المتقدمين من المتيمين وغيرهم فان هذا امر سهل لانني لم يكن لي شغل في حياة المرحوم والدك الا بالحكايات والاشعار وفي هذه الليلة احدّثك بخبر العاشق والمعشوق لاجل ان ينشرح صدرك فلما سمع ضوء المكان كلام الوزير دندان تعلق قلبه بما وعده به ولم يبق له اشتغال الاّ بانتظار مجيء الليل لاجل ان يسمع ما يحكيه الوزير دندان من اخبار المتقدمين من الملوك والمتيّمين فما صدق ان الليل اقبل حتى امر بايقاد الشموع والقناديل واحضار ما يحتاجون اليه من الاكل والشرب وآلات البخور فاحضروا له جميع ذلك ثم ارسل الى الوزير دندان فحضر وارسل الى بهرام ورستم و تركاش والحاجب الكبير فحضروا فلمّا حضر جميعهم بين يديه التفت الى الوزير دندان وقال له اعلم ايها الوزير ان الليل قد اقبل وسدل جلابيبه علينا واسبل ونريدان تحكي لنا ما وعدتنا به من الحكايات فقال الوزير حبا وكرامة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

Digitized by Google

كَفَلَ الثَّنَاءُ لَهُ بِرَدِّ حَيَاتِهِ لَمَّا انْطَوَى فَكَأَنَّهُ مَنْشُورُ

فلما فرغ ضوء المكان من شعره بكى وبكى معه جميع الناس ثم اتى الى القبر ورمى نفسه عليه وهو حائر وانشد الوزير قول الشاعر

تَرَكْتَ الَّذِي يَفْنَى وَنِلْتَ الَّذِي يَبْقَى وَمِثْلُكَ اَقْوَامٌ فَقَدْ سَبَقُوا سَبْقَا
وَفَارَقْتَ هَذِي الدَّارَ مِنْ غَيْرِ رِيبَةٍ فَعَنْ هَذِهِ الدُّنْيَا تَسُرُّ بِمَا تَلْقَى
وَكُنْتَ مِنَ الْاَعْدَاءِ تُبْدِي وِقَايَةً اِذَا مَا سِهَامُ الْحَرْبِ حَاوَلَتِ الرَّشْقَا
اَرَى هَذِهِ الدُّنْيَا غُرُورًا وَبَاطِلًا وَجَلَّ مُرَادُ الْخَلْقِ اَنْ يَطْلُبُوا الْحَقَّ
حَبَاكَ اِلٰهُ الْعَرْشِ فَوْزًا بِجَنَّةٍ وَاَسْكَنَكَ الْهَادِي بِهَا مَقْعَدًا صِدْقًا
وَاِنِّي وَقَدْ اَمْسَيْتُ فِيكَ بِحَسْرَةٍ اَرَى الْغَرْبَ مَحْزُونًا بِفَقْدِكَ وَالشَّرْقَ

فلما فرغ الوزير دندان من شعره بكى بكاء شديدا ونثرت عيونه الدموع درّا نضيدا ثم تقدم رجل كان من ندماء شركان و بكى حتى حكت دموعه الخلجان وذكر ما لشركان من المكرمات وانشد شعرا مخمّسا

اَيْنَ الْعَطَاءُ وَكَفُّ جُودِكَ فِي الثَّرَى وَالْجِسْمُ بَعْدَكَ بِالسَّقَامِ قَدِ انْبَرَى
يَا حَادِيَ الْاَظْعَانِ سِرْكَ مَا تَرَى كَتَبَتْ دُمُوعِي فَوْقَ خَدِّي اَسْطُرَا

تَعْنِي بِهَا وَتَلَذُّ مِنْهَا مَنْظَرَا

وَاللّٰهِ مَا حَدَّثْتُ عَنْكَ ضَمَائِرِي كَلَّا وَلَا خَطَرَتْ عُلَاكَ بِخَاطِرِي
اِلَّا وَقَدْ جَرَحَ الدُّمُوعُ مَحَاجِرِي وَاِذَا صَرَفْتُ اِلَى سِوَاكَ نَوَاظِرِي

جَذَبَ الْغَرَامُ عَنَانَ طَرْفِي فِي الْكَرَى

مضمونه ان زوجة الملك ضوء المكان رزقت ولدا وسمته نزهة الزمان اخت الملك كان ما كان ولكن هذا الغلام سيكون له شان بسبب ما رأوه له من العجائب والغرائب وقد امرت العلماء والخطباء ان يدعوا لكم على المنابر و دبر كل صلوة و اننا طيبون بخير والامطار كثيرة و ان صاحبك الوقاد في غاية النعمة الجزيلة و عنده الخدم والغلمان ولكنه الى الآن لم يعلم بما جرى لك والسلام فقال ضوء المكان الآن اشتد ظهري حيث رزقت ولدا اسمه كان ما كان وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــاح

فلما كانت الليلة السادسة بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك ضوء المكان لما اتاه الخبر بان زوجته ولدت ولدا ذكرا فرح فرحا شديدا وقال الآن اشتد ظهري حيث رزقت ولدا اسمه كان ما كان ثم قال للوزير دندان اني اريد ان اترك هذا الحزن واعمل لاخي ختمات واجورا من الخيرات فقال الوزير نعم ما اردت ثم امر بنصب الخيام على قبر اخيه فنصبوها وجمعوا من العسكر من يقرأ القرآن فصار بعضهم يقرأ و بعضهم يذكر الله الى الصباح ثم تقدم السلطان ضوء المكان الى قبر اخيه شركان وسكب العبرات وانشد هذه الابيات

خَرَجُوا بِهِ وَلِكُلِّ بَاكٍ خَلْفَهُ ... صَعْقَاتُ مُوسَى يَوْمَ دَكِّ الطُّوْرِ
حَتَّى اذَا جَدَّثًا كَانَّ ضَرِيْحَهُ ... فِي قَلْبِ كُلِّ مُوَحِّدٍ مَحْفُوْرُ
مَا كُنْتُ أَمُلُ قَبْلَ نَعْشِكَ اَنْ اَرَى ... رَضْوَى عَلَى اَيْدِى الرِّجَالِ تَسِيْرُ
كَلَّا وَلَا مِنْ قَبْلِ دَفْنِكَ فِي الثَّرَى ... اَنَّ الْكَوَاكِبَ فِي التُّرَابِ تَغُوْرُ
اَمُجَاوِرَ الدِّيْمَاسِ رَهْنَ قَرَارَةٍ ... فِيْهَا الضِّيَاءُ بِوَجْهِهِ وَ النُّوْرُ

Digitized by Google

وفي اليوم الرابع نظروا الى ناحية السور واذا ببطريق معه سهم نشاب وفي طرفه كتاب فصبروا عليه حتى رماه اليهم فامر السلطان الوزير دندان ان يقرأه فلما قرأه وسمع مافيه وعرف معناه هملت بالدموع عيناه وصاح وتضجّر من مكرها وقال الوزير والله لقد كان قلبي نافرا منها فقال السلطان وهذه العاهرة كيف عملت علينا الحيلة مرّتين ولكن والله لا احول من هنا حتى املأ فرجها بمسيح الرصاص واسجنها سجن الطير في الاقفاص وبعد ذلك اربطها من شعرها واصلّبها على باب القسطنطينية ثم تذكرّ اخاه فبكى بكاء شديدا ثم ان الكفار لما توجهت لهم ذات الدواهي واخبرتهم بما حصل فرحوا بقتل شركان وسلامة ذات الدواهي ثم ان المسلمين رجعوا على باب القسطنطينية ووعدهم السلطان انه ان فتح المدينة فرق اموالها عليهم بالسوية هذا والسلطان لم تنشف دموعه حزنا على اخيه وعرى جسمه الهزال حتى صار كالخلال فدخل عليه الوزير دندان وقال له طب نفسا وتقرّعنيا فان اخاك ما مات الا باجله وليس في هذا الحزن فائدة وما احسن قول الشاعر

مَالَا يَكُوْنُ فَلَا يَكُوْنُ بِحِيْلَةٍ ... اَبَدًا وَمَا هُوَ كَائِنٌ فَيَكُوْنُ
سَيَكُوْنُ مَا هُوَ كَائِنٌ فِيْ وَقْتِهِ ... وَاَخُ الْجَهَالَةِ دَائِمًا مَغْبُوْنُ

فدع البكاء والنواح وقوّ قلبك لحمل السلاح فقال يا وزير ان قلبي مهموم من اجل موت ابي واخي ومن اجل غيابنا عن بلادنا فان خاطري مشغول برعيتي فبكى الوزير هو والحاضرون وما زالوا مقيمين على حصار القسطنطينية مدة من الزمان فبينماهم كذلك واذا بالاخبار وردت عليهم من بغداد صحبة امير من امرائه

Digitized by Google

والوزير دندان والحاجب ورستم وبهرام وعشرة آلاف فارس من عسكر الاسلام ولاتروح راس ولدى براس شركان ولا يكون ذلك ابدا ثم قالت للملك افريدون اعلم يا ملك الزمان انّي اريدان اقيم على ولدي الاحزان واقطع ازنّار واكسر الصلبان فقال افريدون افعلي ما شئت فانّي لا اخالف لك امرا ولو عملت حزنك زمانا طويلا لكان قليلا فان المسلمين لو ارادوا يحاصرونا سنين واعواما لم ينالوا منا اربا ولا ينا لهم منا غير التعب والنصب ثم ان الملعونة لما فرغت من الداهية التي عملتها والمخازي التي لنفسها ابدتها اخذت دواة وقرطاسا وكتبت فيه من عند شواهي ذات الدواهي الى حضرة المسلمين اعلموا اني دخلت بلادكم وغششت بلوٴمي كرامكم وقتلت سابقا ملككم عمر بن النعمان في وسط قصره وقتلت ايضا في وقعة الشعب والمغارة رجلا كثيرا وآخر من قتلته شركان وغلمانه ولوساعدني الزمان وطاوعني الشيطان لابدمن قتل السلطان والوزيردندان وانا الذي اتيت اليكم في زيّ الزاهد وانطلقت عليكم بمنى الحيل والمكائد فان شئتم سلامتكم بعد ذلك فارحلوا وان شئتم هلاك انفسكم فعن الاقامة لاتعدلوا فلو اقمتم سنين واعواما فما تبلغون منّا مرا ما والسلام وبعد ان كتبت الكتاب اقامت في حزنها على الملك حردوب ثلثة ايام وفي اليوم الرابع دعت بطريقا وامرته ان ياٴخذ الورقة ويضعها في سهم ويرميها الى المسلمين ثم دخلت الكنيسة وصارت تندب وتبكي على فقد ولدها وقالت لمن تسلطن بعده لابدان اقتل ضوء المكان وجميع امراء الاسلام هذا ما كان من امرها واما ما كان من امر المسلمين فانهم اقاموا ثلثة ايام في هم واغتمام

Digitized by Google

الوزير دندان ان يكتب كتابا الى اخته نزهة الزمان وقال له اعلمها بما وقع لنا وما نحن فيه واوصها بولدي لاني لما خرجت كانت زوجتي قريبة من الولادة وماهي الآن الاولدت فان كانت رزقت ولدا كما سمعت فاسرع في العود وائتني بالاخبار ثم وهبهم شيأ من المال فاخذوه وسافروا من وقته وساعته وخرج الناس لوداعهم واوصوهم على اموالهم ثم بعد مسيرهم اقبل الملك على الوزير دندان وامره ان يامر الناس بالزحف من قرب السور فزحفوا فلم يجدوا احدا على الاسوار فتعجبوا من ذلك وبقي السلطان مهموما لذلك حزنيا على فراق اخيه شركان متحيرا على الزاهد الخوّان فاقاموا على ذلك ثلثة ايام فلم يروا احدا هذا ماكان من امر المسلمين واما ماكان من امر الروم وسبب غيابهم عن القتال في هذه الثلثة ايام فان ذات الدواهي لما قتلت شركان اسرعت في مشيها واتت الى السور وصاحت بلسان الروم للحرّاس ان يدلوا لها الحبل فقالوا لها من انت فقالت انا ذات الدواهي فعرفوها وادلوا لها الحبل فربطت نفسها وسحبوها فلما وصلت اليهم دخلت على الملك افريدون فقالت له ما هذا الذي سمعته من المسلمين فانهم قالوا ان ابني حردوب قتل فقال نعم فصاحت وبكت ومازالت تبكي حتى ابكت افريدون ومن حضر عنده ثم اعلمت افريدون انها ذبحت شركان وثلثين من الغلمان ففرح افريدون بذلك وشكرها وقبّل يديها ودعى لها بالصبر على ولدها فقالت وحق المسيح اني لم ارض بقتل كلب من كلاب المسلمين في ثأر ملك من ملوك الزمان ولا بد اني اعمل حيلة وادبّر مكيدة اقتل بها السلطان ضوء المكان

Digitized by Google

فى الدين خبيث مـــاكر واعاد على الملك قصتـــه وانـــه اراد ان يتبعه فما مكّنه ثم ان الناس ضجّوا بالبكاء والنحيب وتضرّعوا الى القريب المجيب ان يوقع بين ايديهم ذلك الزاهد الذي هو لآيات الله جاحد ثم جهزوا شركان ودفنوه فى الجبـل المذكور وحزنوا على فضله المشهور وا درك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــباح

فلما كانت الليلة الخامسة بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد انهم جهزوا شركان ودفنوه فى الجبل المذكور وحزنوا على فضلـه المشهور ثم انتظروا باب المدينة ان يفتح فما فتح ولا بان لهم على الا سوار اثر احد فتعجبوا غاية العجب فقال الملك ضوء المكان والله لا احول عنهم ولو اقعد سنين واعوا ما حتى آخذ بثـــار اخي شركان واخرب القسطنطينية و اقتل ملوك النصرانية ولو تدركني المنيّة وا ستريح من الدنيا الدنيّة ثم امر باحضار الاموال التي اخذوها من دير مطروحنى و جمـع العساكر وفرق الاموال وما ترك احدا حتى اعطـاه و اكتفاه من المال ثم احضر من كل طائفة ثلثمـــائة فارس وقال لهم ارسلوا النفقات الى بيوتكم لاني مقيم هنـــا على هذه المدينة سنين واعوا ما حتى آخذ ثار اخي شركان ولو اموت في هذا المكان فلمـــا سمعت العساكر هذا الكلام اخذوا ما اعطاه لهم من الاموال واجابوا بالسمع والطـاعة واحضر ضوء المكان القصّاد واعطاهم الكتب واوصاهم بايصالها وايصال الاموال الى بيوت العساكر وان يخبروهم بانهم سالمون مطمئنون واعلموهم اننا في حضار القسطنطينية اما ان نخرّبها او نموت ولو اقمنا شهورا واعواما ما نرحل عنها الا بفتحها ثم امر

Digitized by Google

اليه ثم ولّت فقال الوزير دندان في نفسه والله لا تبع هذا الزاهد في هذه الليلة فقام و مشى خلفها فلما احست الملعونة بمشيه عرفت انه و راءها فخشيت ان تفتضح و قالت في نفسها ان لم اخدعه بحيلة فاني افتضح معه فاقبلت اليه من بعيد وقالت ايها الوزير اني سائر خلف هذا الولي لاعرفه و بعد ان اعرفه استاذنه في مجيئك اليه و اقبل عليك و اخبرك لانّي اخاف ان تذهب معي بغير استئذان الولي فيحصل له نفرة مني اذا رآك معي فلما سمع الوزير كلامها استحى ان يردّ عليها جوابا فتركها و رجع الى خيمته و ارادان ينام فما طاب له منام و كادت الدنيا ان تنطبق عليه فقام و خرج من خيمته و قال في نفسه انا امضي الى شركان و اتحدث معه الى الصباح فسار الى ان دخل خيمة شركان فوجد الدم سائلا كالقناة و نظر الغلمان مذبوحين فصاح صيحة ازعجت من كان نائما فتسارعت الخلق اليه فرأوا الدم سائلا فضجوا بالبكاء والنحيب فعند ذلك استيقظ السلطان ضوء المكان و سأل عن الخبر فقيل له ان شركان اخاك والغلمان مقتولون فقام مسرعا الى ان دخل الخيمة فوجد الوزير دندان يصيح و وجد جثة اخيه بلا رأس فغاب عن الدنيا و صاحت كل العساكر و بكوا و داروا حول ضوء المكان ساعة حتى استفاق ثم نظر الى شركان وبكى بكاء شديدا وفعل مثله الوزير ورستم و بهرام و اما الحاجب فانه صاح واكثر من النواح ثم طلب الارتحال لمابه من الاوجال فقال الملك اما علمتم بالذى فعل باخي هذه الفعال ومالي لا ارى الزاهد الذي عن متاع الدنيا متباعد فقال الوزير ومن جلب هذه الاحزان الّا هذا الزاهد الشيطان فوالله ان قلبي نفر منه فى الاول و الآخر لانني اعرف ان كل متنطع

Digitized by Google

انها فرحت و انها تبكي من شدة الفرح ثم انها قالت في نفسها وحق المسيح صابقي في حياتي فائدة ان لم احرق قلبه على اخيه شركان كما احرق قلبي على عماد الملة النصرانية والعصابة الصليبية الملك حرد وب ولكنها كتمت ما بها ثم ان الوزير دندان و الملك شركان والحاجب استمروا جالسين عند شركان حتى عملوا له اللزاق والادهان و اعطوه الدواء فتوجهت اليه العافية وفرحوا بذلك فرحا شديدا و اعلموا به العساكر فتباشر المسلمون و قالوا في غد يركب معنا و يباشر الحصار ثم ان شركان قال لهم انكم قاتلتم اليوم و تعبتم من القتال فينبغي ان تتوجهوا الى اماكنكم و تناموا ولا تسهروا فاجابوه الى ذلك وتوجه كل منهم الى سرادقه ومابقي عند شركان سوى قليل من الغلمان والعجوز ذات الدواهي فتحدث معها قليل من الليل ثم اضطجع لينام وكذلك الغلمان ثم غلب عليهم النوم فصاروا مثل الاموات هذا ما كان من امر شركان و غلمانه و اما ما كان من امر العجوز ذات الدواهي فانها بعد نومهم صارت يقظانة و حدها في الخيمة و نظرت الى شركان فوجدته مستغرقا في النوم فوثبت على قدميها كانها دبّة معطا او آفة رقطا و اخرجت من وسطها خنجرا مسموما لو وضع على صخرة لاذابها ثم جردته من غمده و اتت عند رأس شركان و جرته على رقبته فذبحته وازالت رأسه عن جسده ثم وثبت على قدميها و اتت الى الغلمان النيام وقطعت رؤسهم لئلا ينتبهوا ثم خرجت من الخيمة و اتت الى خيام السلطان فوجدت الحرّاس غير نائمين فمالت الى خيمة الوزير دندان فوجدته يقرأ القرآن فوقعت عينه عليها فقال مرحبا بالزاهد العابد فلما سمعت ذلك من الوزير ارتجف قلبها وقالت له ان سبب مجيئي الى هنا في هذا الوقت اني سمعت صوت ولي من اولياء الله و انا ذاهب

Digitized by Google

للاتراك وكان بجانبه اكثر من عشرين الف فارس فحملوا معه جملة واحدة فلم يجد الكفار لانفسهم غير الفرار وتولى الادبار وعمل فيهم الصارم البتار فقتلوا منهم نحو خمسين الف فارس واسروا ما يزيد على ذلك وقُتل عند دخول الباب خلق كثير من شدة الزحام ثم غلق الروم الباب وطلعوا فوق الاسوار خوف العذاب وعادت طوائف المسلمين مؤيدين منصورين واتواخيا مهم ودخل الملك ضوء المكان على اخيه فوجده في اسرّ الاحوال فسجد شكراً للكريم المتعال ثم اقبل عليه وهنّاه بالسلامة فقال له شركان اننا كلنا في بركة هذا الزاهد الاوّاب وما انتصرتم الا بدعائه المستجاب فانه لم يزل اليوم قاعدا يدعو للمسلمين بالنصر وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الملك ضوء المكان لما دخل على اخيه شركان وجده جالسا والعابد عنده ففرح واقبل عليه وهنّاه بالسلامة فقال شركان اننا كلنا في بركة هذا الزاهد وما انتصرتم الا بدعائه لكم فانه ما برح اليوم وهو يدعو للمسلمين وكنت وجدت في نفسي قوة حين سمعت تكبيركم فعلمت انكم منصورون على اعدائكم فاحك لي يا اخي ما وقع لك فحكى له جميع ما وقع له مع الملعون حردوب واخبره انه قتله وراح الى لعنة الله فاثنى عليه وشكر مسعاه فلما سمعت ذات الدواهي وهي في صفة الزاهد بقتل ولدها الملك حردوب انقلب لونها بالاصفرار وتغرغرت عيناها بالدموع الغزار ولكنها اخفت ذلك واظهرت للمسلمين

Digitized by Google

والمقام لا اتعد عن الخروج الى هؤلاء العلوج فلما صار في الميدان لعب بالسيف والسنان حتى اذهل الفرسان و تعجب الفريقان و حمل في الميمنة فقتل منها بطريقين و في الميسرة فقتل منها بطريقين و وقف في وسط الميدان و قال اين افريدون حتي اذيقه عذاب الهون فاراد الملعون ان يولي و هو مغبون فلما رآه الملك حردوب هذا الحال اقسم عليه ان لا يخرج اليه وقال له يا ملك بالامس كان قتالك واليوم قتالي وانا بشجاعته لا ابالي ثم خرج وفي يده صارم و تحته حصان كانه الابجر الذي كان لعنتر و ذلك الحصان ادهم مغائر كما قال الشاعر

قَدْ سَابَقَ الطَّرْفَ بِطِرْفٍ سَابِقٍ ... كَأَنَّهُ يُرِيْدُ إِدْرَاكَ الْقَدَرْ
دُهْمَتُهُ تُبْدِي سَوَادًا حَالِكًا ... كَأَنَّهَا لَيْلٌ إِذَا اللَّيْلُ عَكَرْ
صَهِيْلُهُ يُطْرِبُ مَنْ يَسْمَعُهُ ... كَأَنَّهُ الرَّعْدُ إِذَا الرَّعْدُ زَجَرْ
لَوْ سَابَقَ الرِّيْحَ جَرَى مِنْ قَبْلِهَا ... وَالْبَرْقُ لَا يُسْبِقُهُ إِذَا ظَهَرْ

ثم حمل كل منهما على صاحبه واحترز من مضاربه واظهر ما في بطنه من عجائبه واخذا في الكرّ والفرّ حتى ضاقت الصدور وقل الصبر للمقدور و صاح ضوء المكان و هجم على ملك الارمن حردوب و ضربه ضربة اطاح بها رأسه و قطع انفاسه فلما نظرت الكفار الى ذلك حملوا جميعا عليه و توجهوا بكليّتهم اليه فقابلهم في حومة الميدان واستمر الضرب والطعان حتى سال الدم بالجريان و ضجّ المسلمون بالتكبير والتهليل و الصلوة على البشير النذير و قاتلوا قتالا شديدا و انزل الله النصر على المؤمنين والخزي على الكافرين وصاح الوزير دندان خذوا بثأر الملك عمر بن النعمان وثار ولده شركان وكشف راسه وصاح

Digitized by Google

هذا ما كان من امر الكفار واما ما كان من امر عسكر الاسلام فان ضوء المكان لما رجع الى الخيام لم يكن له شغل الا باخيه فلما دخل عليه وجده في اسوأ الاحوال واشد الاهوال فدعا بالوزير دندان ورستم وبهرام للمشورة فلما دخلوا عليه اقتضى رأيهم احضار الحكماء لعلاج شركان ثم بكوا وقالوا لم يسمح بمثله الزمان وسهروا عنده تلك الليلة وفي آخر الليل اقبل عليهم الزاهد وهو يبكي فلما رآه ضوء المكان قام اليه فمس بيده على جرح اخيه وتلا شيأ من القرآن وعوّذه بايات الرحمن وما زال سهرا عنده الى الصباح فعند ذلك استفاق شركان وفتح عينيه وادار لسانه في فمه وتكلم ففرح السلطان ضوء المكان وقال قد حصل له بركة الزاهد فقال شركان الحمد لله على العافية فانني بخير في هذه الساعة وقد عمل عليّ هذا الملعون حيلة ولولا اني زغت اسرع من البرق لكانت الحربة نفذت من صدري فالحمد لله الذي نجاني وكيف حال المسلمين فقال له ضوء المكان هم في بكاء من اجلك فقال اني بخير وعافية وابين الزاهد وكان عند راسه قاعدا فقال له عند رأسك فالتفت اليه وقبّل يديه فقال الزاهد يا ولدي عليك بجميل الصبر يعظم الله لك الاجر فان الاجر على قدر المشقة فقال شركان ادع لي فدعا له فلما اصبح الصباح وبان الفجر ولاح برزت المسلمون الى ميدان الحرب وتهيّأ الكفار للطعن والضرب وتقدمت عساكر المسلمين فطلبوا الحرب والكفاح وجردوا السلاح وارادالملك ضوء المكان وافريدون ان يحملا على بعضهما واذا بضوء المكان خرج الى الميدان وخرج معه الوزير دندان والحاجب وبهرام وقالوا لضوء المكان نحن فداك فقال لهم وحق البيت الحرام وزمزم

Digitized by Google

وبكت اهل الايمان فلمارأى ضوء المكان اخاه مائلا على الجواد حتى كاد ان يقع ارسل نحوه الفرسان فتسابقت اليه الابطال واقوابه اليه وحملت الكفار على المسلمين والتقى الجيشان واختلط الصفان وعمل اليماني البتار وكان اسبق الناس الى شركان الوزير دندان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الملك ضوء المكان لمارأى اللعين قد ضرب اخاه شركان بالحربة ظن انه مات فارسل اليه الفرسان وكان اسبق النساس اليه الوزير دندان واميرالترك بهرام واميرالديلم فلحقوه وقد مال عن جواده فاسندوه ورجعوا به الى اخيه ضوء المكان ثم اوصوابه الغلمان وعادوا الى الحرب والطعان واشتد النزال وتقصفت النصال وبطل الغيل والقال فلا يرى الّادم سائل وعنق مائل ولم يزل السيف يعمل في الاعناق واشتد الشقاق الى ان ذهب اكثر الليل وكلّت الطائفتان عن القتال فنادوا بالانفصال ورجعت كل طائفة الى خيامها وتوجه جميع الكفار الى ملكهم افريدون وقبلوا الارض بين يديه وهنّأته القسوس والرهبان بظفره بشركان ثم ان الملك افريدون دخل القسطنطينية وجلس على كرسي مملكته واقبل عليه الملك حردوب وقال له قوّى المسيح ساعدك ولازال مساعدك واستجاب من الامّ الصالحة ذات الدواهي ماتد عو به لك واعلم ان المسلمين مابقي لهم اقامة بعد شركان فقال افريدون في غد يكون الانفصال اذا خرجت الى النزال وطلبت ضوء المكان وقتلته فان عسكرهم يولّون الادبار ويركنون الى الفرار

Digitized by Google

نادي افريدون وقال له ويلك يا ملعون اتظنني كمن لاقيت من الفرسان ولا يثبت معك في حومة الميدان ثم حمل كل منهما على صاحبه فصار الاثنان كانهما جبلان يصطدمان او بحران يلتطمان ثم تقاربا وتباعدا والتصقا وافترقا ولم يزالا في كرّ وفرّ وهزل وجدّ وضرب وطعن والجيشان ينظران اليهما وبعضهم يقول ان شركان غالب والبعض يقول ان افريدون غالب ولم يزل الفارسان على هذا الحال حتى بطل القيل والقال وعلا الغبار وولّى النهار ومالت الشمس الى الاصفرار وصاح الملك افريدون على شركان وقال له وحق دين المسيح والاعتقاد الصحيح ما انت الا فارس كرّار وبطل مغوار غير انك غدّار وطبعك ما هو طبع الاخيار لانّي ارى فعلك غير حميد وقتالك قتال الصناديد وقومك ينسبونك الى العبيد وهاهم اخرجوالك غير جوادك وتعود الى القتال واني وحق ديني قد اعياني قتالك واتعبني ضربك وطعانك فان كنت تريد قتالي في هذه الليلة فلا تغير شيأً من عدّتك ولا جوادك حتى يظهر للفرسان كرمك وقتالك فلما سمع شركان هذا الكلام اغتاظ من قول اصحابه في حقه حيث ينسبونه الى العبيد فالتفت اليهم شركان واراد ان يشير اليهم ويامرهم ان لا يغيّروا له جوادا ولا عدّة واذا بافريدون هزّ حربته وارسلها الى شركان فالتفت وراءه فلم يجد احدا فعلم انها حيلة من الملعون فرد وجهه بسرعة واذا بالحربة قد ادركته فمال عنها حتى ساوى براسه قربوس سرجه فجرت الحربة على صدره وكان شركان عالي الصدر فكشطت الحربة جلدة صدره فصاح صيحة واحدة وغاب عن الدنيا ففرح الملعون افريدون بذلك وعرف انه قد قتله فصاح على الكفار ونادى بالفرح فهاجت اهل الطغيان

Digitized by Google

اليوم وبعد الراحة لاعتب ولا لوم فرجع الراهب وهو مسرور حتى وصل الى الملك افريدون وملك الروم واخبرهما بذلك ففرح الملك افريدون غاية الفرح وزال عنه الهم والترح وقال في نفسه لا شك ان شركان هذا هو اضربهم بالسيف واطعنهم بالسنان فاذا قتلته انكسرت همتهم وضعفت قوتهم وقد كانت ذات الدواهي كاتبت الملك افريدون بذلك وقالت له ان شركان هو فارس الشجعان وشجاع الفرسان وحذّرت افريدون من شركان وكان افريدون فارسا عظيما لانه كان يقاتل انواع القتال ويرمي بالحجارة والنبال ويضرب بعمود الحديد ولا يخشى من البأس الشديد فلمّا سمع افريدون قول الراهب من ان شركان اجاب الى البراز كادان يطير من شدة الفرح لانه واثق بنفسه ويعلم انه لاطاقة لاحد به ثم بات الكفار تلك الليلة في فرح وسرور وشرب خمور فلما كان الصباح اقبلت الفوارس بسمر الرماح وبيض الصفاح واذا هم بفارس قد برز في الميدان وهو راكب على جواد من الخيل الجياد معدّ للحرب والجلاد وله قوائم شداد وعلى ذلك الفارس درع من الحديد معدّ للبأس الشديد وفي صدره مرآة من الجوهر وفي يده صارم ابتر وقنطارية خولنج من غريب عمل الافرنج ثم ان الفارس كشف عن وجهه وقال من عرفني فقد اكتفاني ومن لم يعرفني فسوف يراني انا افريدون المغمور ببركة شواهي ذات الدواهي فما تمّ كلامه حتى خرج في وجهه فارس المسلمين شركان وهو راكب على جواد اشقر يساوي الفا من الذهب الاحمر وعليه عدّة مزركشة بالدر والجوهر وهو متقلد بسيف هندي مجوهر يقدّ الرقاب ويهون الامور الصعاب ثم ساق جواده بين الصفين والفرسان تنظره بالعين ثم

Digitized by Google

في الجنـــاح الا يسر وانت ايهـا الملك العظيم تكون تحت الاعـلام والرايات لانك عمادنا وعليك بعد الله اعتمادنا ونحن كلّنانفديك من كلّ امر يؤذيك فشكره ضوء المكان على ذلك وارتفع الصياح وجرّدت الصفاح فبينما هم كذلك واذا بفارس قد ظهـر من عسكر الروم فلما قرب رأوه راكبا على بغلة قطوف تفرّ بصاحبها من وقع السيوف وبرذعتها من ابيض الحرير وعليها سجادة من شغل كشمير وعلى ظهرها شيخ عليه الشيبة ظاهر الهيبة عليه مدرعة من الصوف الابيض ولم يزل يسرع بها وينهض حتى قرب من عسكر المسلمين وقال اني رسول اليكم اجمعين وما على الرسول الّا البـلاغ فاعطوني الامان والاقاله حتى ابلّغكم الرسالـة فقال له شركان لك الامان فلا تخش حرب سيف ولا طعن سنـان فعند ذلك ترجل الشيخ وقلع الصليب من عنقه بين يدى السلطان وخضع له خضوع راجى الاحسان فقال له المسلمون ما معك من الاخبار فقال اني رسول من عند الملك افريدون فاني نصحته ليمتنع عن تلف هذه الصور الانسانية والهياكل الرحمـانية وبيّنت له ان الصواب حقن الدماء والاقتصـار على فارسين فى الهيجـاء فاجابني الى ذلك وهو يقول لكم انى فديت عسكري بروحي فليفعل ملك المسلمين مثلي ويفدي عسكره بروحه فان قتلني فلا يبقى لعسكر الكفـار ثبات وان قتلته فلا يبقى لعسكر الاسلام ثبات فلما سمع شركان هذا الكلام قال ياراهب انا اجبناه الى ذلك فان هذا هوالانصـاف فلا يكن منه خلاف وها انا ابرز اليـه واحمـل عليه فاني فارس المسلمين وهو فارس الكافرين فان قتلتني فاز بالظفر ولا يبقى لعسكر المسلمين غير المفرّ فارجع اليه ايها الراهب وقل له ان البرازيكون في غد لاننا اتينا من سفرنا على تعب في هذا

Digitized by Google

وثبت الشجاع وتقدّم وولّى الجبان وانهزم وقضى قاضي الموت وحكم حتى تطاوحت الابطال عن المروج وامتلأت بالاموات المروج وتأخرت المسلمون عن اماكنهم وملكت الروم بعض خيامهم ومساكنها وعزم المسلمون على الانكسار والهزيمة والفرار فبينماهم كذلك اذ وصل شركان بعساكر المسلمين ورايات الموحّدين فلمّا اقبل عليهم شركان حمل على الكفّار وتبعه ضوء المكان وحمل بعدهما الوزير دندان وكذلك امير الديلم بهرام ورستم واخوه تركاش فانهم لمّا راوا ذلك طارت عقولهم وغلب معقولهم وثار الغبار حتى ملأ الاقطار واجتمعت المسلمون الاخيار باصحابهم الابرار واجتمع شركان بالحاجب فشكره على صبره وهنّاه بتائيده ونصره وفرحت المسلمون وقويت قلوبهم وحملوا على اعدائهم واخلصوا للّه في جهادهم فلمّا نظر الكفّار الى الرايات المحمدية وعليها كلمة الاخلاص الاسلامية صاحوا بالويل والثبور واستغاثوا ببطارقة الديور ونادوا حنّى ومريم والصليب المسخم وانقبضت ايديهم عن القتال وقد قبل الملك افريدون على ملك الروم وصار احدهما في الميمنة والآخر في الميسرة وعندهم فارس مشهور يسمى لاويا فوقف وسطا واصطفوا للنزال وان كانوا في فزع وزلزال ثم صفت المسلمون عساكرهم فعند ذلك اقبل شركان على اخيه ضوء المكان وقال له يا ملك الزمان لا شك انهم يريدون البراز وهذا غاية مرادنا ولكن احبّ ان اقدم من العسكر من له عزم ثابت فان التدبير نصف المعيشة فقال السلطان ماذا تريد يا صاحب الرأى السديد فقال شركان اريد ان اكون في قلب عسكر الكفار وان يكون الوزير دندان في الميسرة وانت في الميمنة والامير بهرام في الجناح الايمن والامير رستم

Digitized by Google

افريدون فرح فرحا شديدا وارسل في الحال الى ملك الروم ابن ذات الدواهي واحضره وقرأ الكتاب عليه ففرح وقال انظر مكرامّي فانه يغنى عن السيوف وطلعتهـا تنوب عن هول اليـوم المخوف فقال الملك افريدون لاعدم المسيح طلعـة امك ثم انه امر البطـارقة ان ينادوا بالرحيل الى خارج المدينـة وشاع الخبر فى القسطنطينية وخرجت العسـاكر النصرانية و العصابة الصليبية وجرّدوا السيوف الحداد واعلنوا بكلمة الكفر والالحـاد وكفروا برب العباد فلما نظر الحاجب الى ذلك قال ان الروم قد وصلوا الينا وقد علموا ان سلطاننا غائب فربمـا هجموا علينـا واكثر عسكرنا قد توجّه الى الملك ضوء المكان و اغتاظ الحـاجب ونادى ياعسكر المسلمين وحُمـاة الدين المتين ان هربتم هلكتم وان صبرتم نصرتم فاعلموا ان الشجـاعة صبر ساعة وماضاق امر الّا اوجد الله اتساعه بارك الله فيكم ونظر اليكم بعين الرحمة فعند ذلك كبّرت المسلمون وصاحت الموحّدون ودارت رحاة الحرب بالطعن والضرب وعملت الصوارم والرماح و ملأ الدم الاودية والبطاح وتسست القسوس والرهبان وشد والزنانير ورفعوا الصلبان واعلن المسلمون بتكبير الملك الديان وصاحوا بتلاوة القرآن واصطدم حزب الرحمن بحزب الشيطان وطارت الرؤس عن الابدان وطافت الملائكة الاخيار على امة النبي المختار ولم يزل السيف يعمل الى ان ولّى النهار واقبل الليل بالاعتكار وقد احاطت الكفّار بالمسلمين وحسبوا ان يبخوا من العذاب المهين وطمع المشركون في اهل الايمان الى ان طلع الفجر وبان فركب الحاجب هو وعسكره ورجا ان الله ينصره واختلطت الامم بالامم وقامت الحرب على قدم وطارت القمم

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الثانية بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان شركان لما ادرك المسلمين وهم في حالة الانكسار و الحاجب قد اشرف على الهزيمة و الفرار والسيف يعمل بين الابرار والفجّار وكان السبب في خذل المسلمين ان اللعينة ذات الدواهي عدوّة الدين لما رأت بهرام ورستم قد سارا بعسكرهما نحو شركان واخيه ضوء المكان سارت هي نحو عسكر المسلمين وانفذت الامير تركاش كما تقدم ذكره وقصدها بذلك ان تفرق بين عسكر المسلمين لاجل ان يضعفوا ثم تركتهم و قصدت القسطنطينية و نادت بطارقة الروم باعلى صوتها و قالت ادلوا حبلا لِاَربط فيه هذا الكتاب واوصلوه الى ملككم افريدون ليقرأه هو وولدي ملك الروم ويعملا بما فيه من امره و نواهيه فادلوا اليها حبلا فربطت فيه الكتاب وكان مضمونه من عند الداهية العظمى والطامّة الكبرى ذات الدواهي الى الملك افريدون اما بعد فاني دبّرت لكم حيلة على هلاك المسلمين فكونوا مطمئنّين وقد اسرتهم واسرت سلطانهم ووزيرهم ثم توجّهت الى عسكرهم واخبرتهم بذلك فانكسرت شوكتهم وضعفت قوتهم وقد خدعت العسكر المحاصرين للقسطنطينية حتى ارسلت اثنا عشر الف فارس مع الامير تركاش خلاف المأسورين وما بقي منهم الا القليل فالمراد منكم انّكم تخرجون اليهم بجميع عسكركم في بقيّة هذا النهار وتهجمون عليهم في خيامهم ولكنّكم لا تخرجون الا سواء و اقتلوهم عن آخرهم فانّ المسيح قد نظر اليكم وا لعذراء تعطّفت عليكم وارجو من المسيح ان لاينسى فعلي الذي قد فعلته فلما وصل كتابها الى الملك

Digitized by Google

وكانوا في مكانهم آمنين فلما سمع شركان ذلك الكلام طار قلبه من شدة الخفقان وترجّل عن جواده وهو حيران ثم قبّل يد الزاهد ورجليه وكذلك اخوه ضوء المكان وبقية العسكر من الرجال والركبان الا الوزير دندان فانه لم يترجّل عن جواده وقال والله ان قلبي نافر من هذا الزاهد لاني ما عرفت للمتنطّعين في الدين غير المفاسد فاتركوه وادركوا اصحابكم المسلمين فان هذا من المطرودين عن باب رحمة رب العالمين فكم غزوت مع الملك عمر بن النعمان ودست اراضي هذا المكان فقال له شركان دع هذا الظن الفاسد امانظرت الى هذا العابد وهو يحرّض المؤمنين على القتال ولا يبالي بالسيوف والنبال فلا تغتبه لان الغيبة مذمومة ولحوم الصالحين مسمومة وانظر الى تحريضه لنا على قتال اعدائنا ولولا ان الله تعالى يحبه ما طوى له البعيد من الارض بعد ان اوقعه سابقا في العذاب الشديد ثم ان شركان امر ان يقدموا بغلة نوبية الى الزاهد ليركبها وقال له اركب ايها الزاهد الناسك العابد فلم يقبل ذلك وامتنع من الركوب واظهر الزهد لينل المطلوب وما دروا ان هذا الزاهد العاهر هو الذي قال في مثله الشاعر

صَلَّى وَصَامَ لِأَمْرٍ كَانَ يَطْلُبُهُ لَمَّا قَضَى الْأَمْرَ لَا صَلَّى وَلَا صَامَا

ثم ان ذلك الزاهد مازال ماشيا بين الخيل والرجال كانه الثعلب المحتال للاغتيال وصار رافعا صوته بتلاوة القرآن وتسبيح الرحمن وملازما للذكرين حتى اشرفوا على عسكر الاسلام فوجدهم شركان في حالة الانكسار والحاجب قد اشرف على الهزيمة والفرار وسيف الروم يعمل بين الابرار والفجار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

Digitized by Google

مكتوبا عليها لااله الاالله محمد رسول الله فصاح شركان كيف حال المسلمين قالوا بعافية و سلامة وما اتينا الاخوفا عليكم ترجل رئيس العسكر عن جواده و قبّل الارض بين يديه و قال يا مولانا كيف السلطان والوزير دندان ورستم و اخي بهرام آمّاهم الجميع سالمون فقال بخير ثم قال له و من الذي اخبركم بخبرنا قال الزاهد وقد ذكر انّه لقي اخي بهرام ورستم و ارسلهما اليكم و قال لنا ان الكفار قد احاطوا بهم وهم كثيرون وما ارى الامر الّا بخلاف ذلك و انتم منصورون فقالوا له وكيف وصول الزاهد اليكم فقالوا له كان سائرا على قدميه و قطع في يوم و ليلة مسيرة عشرة ايام للفارس المجدّ فقال شركان لا شك انه وليّ الله و اين هو قالوا له تركناه عند عسكرنا اهل الايمان يحرّضهم على قتال اهل الكفر والطغيان ففرح شركان بذلك و حمدوا الله على سلامتهم و سلامة الزاهد و ترحموا على من قُتل منهم و قالوا كان ذلك في الكتاب مسطورا ثم ساروا مجدّين في سيرهم فبينماهم كذلك و اذا بغبار قد طار حتى سدّ الانظار و اظلم منه النهار فنظر اليه شركان و قال اني اخاف ان يكون الكفار قد كسروا عسكر الاسلام لان هذا الغبار سدّ المشرقين وملأ الخافقين ثم لاح من تحت ذلك الغبار عمود من الظلام اشدّ سوادا من حالك الايام ولا زالت تقرب منهم تلك الدعامة وهي اشدّ من هول يوم القيامة فتسارعت اليها الخيل والرجال لينظروا ما سبب سوء هذا الحال فرأوه الزاهد المشار اليه فازدحموا على تقبيل يديه و هو ينادي يا امة خير الانام و مصباح الظلام ان الكفار غدروا بالمسلمين فادركوا عساكر الموحّدين و انقذوهم من ايدي الكفرة اللئام فانهم هجموا عليهم في الخيام و نزل بهم العذاب المهين

Digitized by Google

الى السرادق الذي فيه الحاجب فلما رأها نهض لها قائما و اشار اليها بالايماء و قال مرحبا بالعابد الزاهد ثم سألها عما جرى فاخبرته بخبرها المرجف و بهتانها المتلف و قالت اني اخاف على الامير رستم والامير بهرام لاني قد لاقيتهما مع عسكرهما في الطريق وارسلتهما الى الملك ومن معه وكانا في عشرين الف فارس والكفار اكثر منهم واني اردت في هذه الساعة ان ترسل جملة من عسكرك حتى يلحقوهم بسرعة لئلا يهلكوا عن آخرهم و قالت لهم العجل العجل فلما سمع الحاجب و المسلمون منها ذلك الكلام انحلت عزائمهم و بكوا فقالت لهم ذات الدواهي استعينوا بالله و اصبروا على هذه الرزية فلكم اسوة بمن سلف من الامة المحمدية فالجنة ذات القصور اعدها الله لمن يموت شهيدا ولابد من الموت لكل احد ولكنه في الجهاد احمد فلما سمع الحاجب كلام اللعينة ذات الدواهي دعا باغ الامير بهرام وكان فارسا يقال له تركاش وانتخب له عشرة آلاف فارس ابطال هوابس وامره بالسير فسار في ذلك اليوم وطول الليل حتى قرب من المسلمين فلما اصبح الصباح رأى شركان ذلك الغبار فخاف على المسلمين و قال ان هذه عساكر مقبلة علينا فاما ان يكونوا من عسكر المسلمين فهذا هو النصر المبين و اما ان يكونوا من عسكر الكفار فلا اعتراض على الاقدار ثم انه اتى الى اخيه ضوء المكان و قال له لا تخف ابدا فاني افديك بروحي من الردى فان كان هؤلاء من عسكر الاسلام فهذا من مزيد الانعام و ان كان هؤلاء اعداؤنا فلا بد من قتالهم لكن اشتهي ان اقابل العابد قبل موتي لاسأله ان يدعولي ان لا اموت الاشهيدا فبينما هم كذلك و اذا بالرايات قد لاحت

Digitized by Google

رَبَيْتَ غَرِيبًا فِي الْبِلَادِ وَكُنْتَ لِي ... كَفِيلًا وَقَدْ قَدَّرْتَ لِي نَصْرِي
وَ اَعْطَيْتَنِي مَالًا وَ مُلْكًا وَ نِعْمَةً ... وَقَلَّدْتَنِي سَيْفَ الشَّجَاعَةِ وَالنَّصْرِ
وَ خَوَّلْتَنِي ظِلَّ الْمَلِيكِ مُعَمَّرًا ... وَقَدْ جُدْتَ لِي مِنْ فَيْضِ جُودِكَ بِالْغَمْرِ
وَ سَلَّمْتَنِي مِنْ كُلِّ خَطْبٍ حَذِرْتُهُ ... بِمَشُورَةِ الصَّدْرِ الْوَزِيرِ فَتَى الدَّهْرِ
بِفَضْلِكَ قَدْ صُلْنَا عَلَى الرُّومِ صَوْلَةً ... وَقَدْ رَجَعُوا بِالضَّرْبِ فِي حُلَلِ حُمْرِ
وَ اَظْهَرْتُ اِنِّي قَدْ هُزِمْتُ هَزِيمَةً ... وَعُدْتُ عَلَيْهِمْ عَوْدَةَ الضَّيْغَمِ الْغَمْرِ
تَرَكْتُهُمُ فِي الْقَاعِ صَرْعَى كَاَنَّهُمْ ... نَشَاوَى بِكَأْسِ الْمَوْتِ لَا قَهْوَةِ الْخَمْرِ
وَ صَارَتْ بِاَيْدِينَا الْمَرَاكِبُ كُلُّهَا ... وَ صَارَ لَنَا السُّلْطَانُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
وَ جَاءَ اِلَيْنَا الزَّاهِدُ الْعَابِدُ الَّذِي ... كَرَامَتُهُ شَاعَتْ لَدَى الْهَدِّ وَالْحَضْرِ
اَتَيْنَا لِاَخْذِ الثَّارِ مِنْ كُلِّ كَافِرٍ ... وَقَدْ شَاعَ عِنْدَ النَّاسِ مَا كَانَ مِنْ اَمْرِي
وَ قَدْ قَتَلُوا مِنَّا رِجَالًا فَاَصْبَحُوا ... لَهُمْ غُرَفٌ فِي الْخُلْدِ تَعْلُو عَلَى نَهْرِ

فلما فرغ ضوء المكان من شعره هنّأه اخوه شركان بالسلامة و شكره على افعاله ثم انهم توجّهوا مجدّين المسير وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الحادية بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد انّ شركان هنّأ اخوه ضوء المكان بالسلامة و شكره على افعاله ثم انهم توجّهوا مجدين المسير طالبين عساكرهم هذا ما كان من امرهم و اما ما كان من امر العجوز ذات الدواهي فانها لما لاقت عسكر بهرام ورستم عادت الى الغابة و اخذت جوادها و ركبته واسرعت فى سيرها حتى اشرفت على عسكر المسلمين المحاصرين للقسطنطينية ثم انها نزلت واخذت جوادها و اتت به

Digitized by Google

الحال وشديد الا هوال فان اصحابنا لما اخذوا المال من ديز مطروحنى ارادوا ان يتوجهو الى القسطنطينية فعند ذلك خرج عليهم عسكر جرار ذو باس من الكفار ثم ان الملعونة اعادت اليهم الحديث ارجافا ووجلا وقالت ان اكثرهم هلك ولم يبق منهم الا خمسة وعشرون رجلا فقال بهرام ايها الزاهد متى فارقتهم فقال في ليلتي هذه فقال بهرام سبحان الذي طوى لك الارض البعيدة وانت ماش على قدميك متكئا على جريدة لكنك من الاولياء الطيّارة الملهمين وحي الاشارة ثم ركب على ظهر جواده وهو مدهوش حيران بما سمعه من ذات الافك والبهتان وقال لاحول ولاقوة الا بالله لقد ضاع تعبنا وضاقت صدورنا واُسر سلطاننا ومن معه ثم جعلوا يقطعون الارض طولا وعرضا ليلا ونهارا فلما كان وقت السحر اقبلوا على رأس الشعب فرأوا ضوء المكان واخاه شركان ينادیان بالتهليل والتكبير والصلوة والسلام على البشير النذير فحمل هو واصحابه واحاطوا بالكفار احاطة السيل بالقفار وصاحوا عليهم صياحا ضجت منه الابطال وتصدعت به الجبال فلما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح فاح لهم من ضوء المكان طيبه ونشره وتعارفوا ببعضهم كماتقدم ذكره فقبلوا الارض بين يدي ضوء المكان واخيه شركان واخبرهم شركان بما جرى لهم في المغارة فتعجبوا من ذلك ثم قالوا لبعضهم اسرعوا بنا الى القسطنطينية لاننا تركنا اصحابنا هناك وقلوبنا عندهم فعند ذلك اسرعوا في المسير وتوكّلوا على اللطيف الخبير وكان ضوء المكان يقوى المسلمين على الثبات وينشد هذه الابيات

لَكَ الْحَمْدُ يَا مُسْتَوْجِبَ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ فَمَا زِلْتَ لِي بِالْعَوْنِ يَا رَبِّ نِيَّ مَرِّي

Digitized by Google

عنهم ان كان الكفـــار قد ضيقوا عليهم و ان لم تطيعوني فلا لوم عليّ و اذا توجهتم ينبغي ان ترجعوا الينـا مسرعين فان من الحزم سوء الظن فعندها قبل الامير المذكور كلامه وانتخبا عشرين الف فارس و ساروا يقطعون الطرقات طـالبين المرج المذكور والدير المشـهور هذا ماكان من امر سبب مجيئهم و اما ماكان من امر العجوز ذات الدواهي فانها لما اوقعت السلطان ضوء المكان و اخاه شركان والوزير دندان في ايدي الكفار اخذت تلك العاهرة جوادا وركبته وقالت للكفار اني اريد ان الحق عسكر المسلمين واتحيل على هـلاكهم لانهم في القسطنطينية فاعلمهم ان اصحابهم هلكوا فاذا سمعوا ذلك مني تشتت شملهم وانصرم حبلهم وتفرق جمعهم ثم ادخل انا الى الملك افريدون ملك القسطنطينية وولدي الملك حردوب ملك الروم واخبرهما بهذا الخبر فيخرجان بعساكرهما الى المسلمين ويهلكونهم ولا يتركون احدا منهم ثم انها سارت تقطع الارض على ذلك الجواد طول الليل فلما اصبح الصباح لاح لها عسكر بهرام ورستم فدخلت بعض الغابات واخفت جوادها هناك ثم خرجت و تمشّت قليلا وهي تقول في نفسها لعل عساكر المسلمين قد رجعوا منهـزمين من حرب القسطنطينية فلمـــا قربت منهم نظرت اليهم و تحققت اعلامهم فراتها غير منكّسة فعلمت انهم اتوا غير منهزمين ولا خائفين على ملكهم واصحـــابهم فلمـا عاينت ذلك اسرعت نحوهم بالجري الشديد مثل الشيطـان المريد الى ان وصلت اليهم وقالت لهم العجل العجل يا جند الرحمن الى جهاد حزب الشيطـان فلما رآها بهرام اقبل عليها وترجّل وقبّل الارض بين يديها وقال لها يا ولي الله ماوراءك فقال لاتســـال عن سوء

Digitized by Google

يديه فقال لهم ضوء المكان ابشروا بنصر المسلمين وهلاك قوم الكافرين ثم هنّوا بعضهم بالسلامة و عظيم الاجر فى القيامة وكان السبب في مجيئهم الى هذا المكان ان الامير بهرام والامير رستم والحاجب الكبير لما ساروا بجيوش المسلمين والرايات على رؤسهم منشورة حتى وصلوا الى القسطنطينية رأوا الكفار قد طلعوا على الاسوار و ملكوا الابراج والقلاع و استعدوا في كل حصن منّاع حين علموا بقدوم العساكر الاسلامية والاعلام المحمّدية وقد سمعوا قعقعة السلاح وضجّة الصياح ونظروا فرأوا المسلمين وسمعوا حوافر خيولهم من تحت الغبار فاذاهم كالجراد المنتشر والسحاب المنهمر وسمعوا اصوات المسلمين بتلاوة القرآن وتسبيح الرحمن وكان السبب في اعلام الكفار بذلك ما دبّرته العجوز ذات الدواهي من زورها و عهرها و بهتانها ومكرها حتى قربت العساكر كالبحر الزاخر من كثرة الرجال والفرسان والنساء والصبيان فقال امير الترك لامير الديلم يا امير اننا بقينا على خطر من الاعداء الذين فوق الاسوار فانظر الى تلك الابراج والى هذا العالم الذي كالبحر العجاج المتلاطم بالامواج ان هؤلاء الكفار قدرنا مائة مرة ولا نأمن من جاسوس يخبرهم ان ما عندنا من سلطان و اننا على خطر من الاعداء الذين لا يحصى عددهم ولا ينقطع مددهم خصوصا مع غيبة الملك ضوء المكان و اخيه والوزير الاجلّ دندان فعند ذلك يطمعون فينا لغيبتهم عنّا فيمحقوننا بالسيف عن آخرنا ولا ينجو منا ناج و من الرأى ان تاخذ انت عشرة آلاف فارس من المواصلة والاتراك و تذهب بهم الى دير مطروحنى و مرج ملوخنا في طلب اخواننا واصحابنا فان اطعتموني كنتم سببا فى الفرج

Digitized by Google

من خشية الله فسمعه الكفار فصاحوا على بعضهم و لبسوا السلاح وقالوا قد هجمت علينا الاعداء و حق المسيح ثم قتلوا من بعضهم ما لا يعلم عدده الاالله تعالى فلما كان الصباح فتّشوا على الاسارى فلم يجدوا لهم اثرا فقال رؤساؤهم ان الذي فعل بكم هذه الفعال هم الاسارى الذين كانوا عندنا فدونكم والسعي خلفكم حتى تلحقوهم فتسقوهم كأس الوبال ولا يحصل لكم خوف ولا انذهال ثم انهم ركبوا خيولهم و سعوا خلفهم فما كان الا لحظة حتى لحقوهم و احاطوابهم فلما رأى ضوءالمكان ذلك ازداد به الفزع و قال لاخيه ان الذي خفت من حصوله قد حصل وما بقي لنا حيلة الاالجهاد فلزم شركان السكوت عن المقال ثم انحدر ضوء المكان من اعلا الجبل وكبّر وكبّرت معه الرجال و عوّلوا على الجهاد و باعوا انفسهم في طاعة رب العباد فبينماهم كذلك و اذا باصوات يصيحون بالتهليل والتكبير والصلوة والسلام على البشير النذير فالتفتوا الى جهة الصوت فرأوا جيوش المسلمين و عساكر الموحّدين مقبلين فلما رأوهم قويت قلوبهم و حمل شركان على الكافرين و هلّل وكبّر هو و من معه من الموحّدين فارتجّت الارض كالزلازل و تفرقت عساكر الكفار في عرض الجبال فتبعتهم المسلمون بالضرب والطعان و ازاحوا منهم الرؤس عن الابدان ولم يزل ضوءالمكان هو و من معه من المسلمين يضربون في اعناق الكافرين الى ان ولى النهار و اقبل الليل بالاعتكار ثم انحاز المسلمون الى بعضهم وباتوا مستبشرين طول ليلهم فلما اصبح الصباح و اشرق بنوره و لاح رأوا بهرام مقدم الديلم ورستم مقدم الاتراك و معهما عشرون الف فارس مقبلين عليهم كالليوث العوابس فلما رأوا ضوءالمكان ترجّل الفرسان و سلموا عليه و قبلوا الارض بين

Digitized by Google

في ظن الكفار انه لا يقدر احد على فكاك ضوء المكان واخيه ومن معها من العساكر وانهم لايقدرون على الهروب فلما خلصوا جميعا من الاسر وصاروا في امن من الكفار وصل شركان الى اصحابه فوجدهم في انتظاره واقفين على ناروهم من اجله في غاية الافتكار فالتفت اليهم شركان وقال لهم لا تخافوا حيث ستر نا الله ولكن عندي رأى ولعله صواب فقالوا وما هو قال اريدان تطلعوا فوق الجبل وتكبّروا كلكم تكبيرة واحدة وتقولوا لقد جاء تكم العساكر الاسلامية ونصيح كلنا صيحة واحدة بقول الله اكبر فيفترق الجمع من ذلك ولا يجدون لهم في هذا الوقت حيلة فانهم سكارى ويظنون ان عسكر المسلمين احاطوابهم من كل جانب واختلطوا بهم فيقعون ضربا بالسيوف في بعضهم من دهشة السكر والنوم فنقطعهم بسيوفهم ويدور السيف فيهم الى الصباح فقال ضوء المكان ان هذا الرأى غير صواب والصواب اننا نسير الى عسكرنا ولا ننطق بكلمة لاننا ان كبّرنا تنبهوا لنا ولحقونا فلم يسلم منا احد فقال شركان والله لوا نتبهوا لنا ما علينا بأس واشتهي ان توافقوني على هذا الرأى وهو لا يكون الاخيرا فاجابوه الى ذلك وطلعوا فوق الجبل وصاحوا بالتكبير فكبّرت معهم الجبال والاشجار والاحجار من خشية الله فسمع الكفار ذلك التكبير فصاح الكفار وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شركان قال اشتهي ان توافقوني على هذا الراي وهو لا يكون الاخيرا فاجابوه الى ذلك وطلعوا فوق الجبل وصاحوا بالتكبير فكبّرت معهم الجبال والاشجار والاحجار

Digitized by Google

بقتلهم فقال له لا يكون قتلهم الا عند الملك افريدون لاجل ان يشفي غليله فينبغي اننا نبقيهم عندنا اسارى وفي غد نسافر بهم الى القسطنطينية ونسلّمهم الى الملك افريدون فيفعل بهم ما يريد فقالوا هذا هو الرأى الصواب ثم امروا بتكتيفهم وجعلوا عليهم حرّاسا فلما جنّ الظلام اشتغل الكفار باللهو والطعام ودعوا بالشراب فشربوا حتى انقلب كل منهم على قفاه وكان شركان واخوه ضوء المكان مقيّدين وكذلك من معهم من الابطال فعند ذلك نظر شركان الى اخيه وقال له يا اخي كيف الخلاص فقال ضوء المكان والله لا ادري وقد صرنا كالطير فى الاقفاص فاغتاظ شركان وتنهّد من شدة غيظه وتمطّى فانقطع الكتاف فلما خلص من الوثاق قام الى رئيس الحرّاس واخذ مفاتيح القيود من جيبه وفكّ ضوء المكان وفكّ الوزير دندان وفكّ بقية العسكر ثم التفت الى اخيه ضوء المكان والوزير دندان وقال اني اريدان اقتل من الحرّاس ثلثة وناخذ ثيابهم ونلبسها نحن الثلثة حتى نصير في زيّ الروم ونسير بينهم حتى لا يعرفوا احدا منا ثم نتوجه الى عسكرنا فقال ضوء المكان ان هذا الرأي غير صواب لاننا اذا قتلناهم نخاف ان يسمع احد شخيرهم فتنتبه الينا الكفار فيقتلوننا والرأي السديدان نسير الى خارج الشعب فاجابوه الى ذلك فلما صاروا بعيدا عن الشعب بقليل راوا خيلا مربوطة واصحابها نائمون فقال شركان لاخيه ينبغي ان ياخذ كل واحد منا جوادا من هذه الخيول وكانوا خمسة وعشرين رجلا فاخذوا خمسة وعشرين جوادا وقد القى الله النوم على الكفار لحكمة يعلمها ثم ان شركان جعل يختلس من الكفار السلاح من السيوف والرماح حتى اكتفى ثم ركبوا الخيل التي اخذوها وساروا وكان

Digitized by Google

الذي عندى فيه الرشاد ان تجرّدوا سيوفكم وتخرجوا وتقفوا على باب تلك المغارة لاجل ان تدفعوا عن انفسكم من يدخل عليكم فلعل الزاهد ان يكون وصل الى عسكر المسلمين ويأتينا بعشرة آلاف فارس فيعينوننا على قتال الكفرة ولعل الكفار لم ينظروه هو ومن معه فقال له اصحابه ان هذا الرأى هو الصواب وما في سداده ارتياب ثم ان العسكر خرجوا وملكوا باب المغارة ووقفوا في طرفيه وكل من اراد ان يدخل عليهم من الكفار يقتلونه وصاروا يدفعون الكفار عن الباب وصبروا على قتال الكفار الى ان ذهب النهار واقبل الليل بالاعتكار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والتسعون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان عسكر المسلمين ملكوا باب المغارة ووقفوا في طرفيه وصاروا يدفعون الكفار عن الباب وكل من اراد ان يهجم عليهم قتلوه وصبروا على قتال الكفار الى ان ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار ولم يبق عند الملك شركان الاّ خمسة وعشرون رجلا لاغير فقال الكفار لبعضهم متى تنقضي هذه الايام فاننا قد تعبنا من قتال المسلمين فقال بعضهم قوموا نهجم عليهم فانه لم يبق منهم الا خمسة وعشرون رجلا فان لم نقدر عليهم نضرم عليهم النار فان انقادوا وسلموا انفسهم الينا اخذناهم اسارى وان ابوا تركناهم حطبا للنار حتى يصيروا عبرة لاولى الابصار فلا رحم المسيح اباهم ولا جعل مستقر النصارى مثواهم ثم انهم حملوا الحطب الى باب المغارة واضرموا فيه النار فايقن شركان ومن معه بالبوار فسلّموا نفوسهم فبينما هم كذلك واذا بالبطريق الرئيس عليهم التفت الى المشير

Digitized by Google

ثم ساروا الى ان وصلوا الى الكفار فلما رآهم الكفار من بعيد قالوا لهم يا مسلمون انا اسرنا سلطانكم و وزيره الذي به انتظام امركم وان لم ترجعوا عن قتا لنا قتلنـــاكم عن آخركم واذا سلمتم لنا انفسكم فاننا نروح بكم الى ملكنا فيصا لحكم على ان لا تخرجوا من بلادنا ولا تذهبوا الى بلاد كم ولا تضـرونا بشيء ولا نضـــركم بشيء فان طاب خاطركم كان الحظ لكم وان ابيتم فما يكون الاقتلكـــم و قد عرفناكم و هذا آخر كلامنا معكم فلما سمع شركان كلامهم و تحقق اسر اخيه والوزير دندان عظم عليه ذلك وبكى وضعفت قوته وايقن بالهلاك فقال في نفسه يا ترى ما سبب اسرهما هل حصل منهما اساءة ادب في حق الزاهد واعترضا عليه او ما شأنهما ثم نهضـوا الى قتال الكفار فقتلوا منهم خلقا كثيرا و تبين في ذلك اليوم الشجاع من الجبان واختضب السيف والسنان وتهافت عليهم الكفار تهافت الذباب على الشـراب من كل مكان وما زال شركان ومن معه يقاتلون قتال من لا يخـاف الموت ولا يعتريه في طلب الفرصة فوت حتى سال الوادي بالدماء وامتلأت الارض بالقتلى فلما اقبل الليل تفرقت الجيوش وكل من الفريقين ذهب الى مكانه وعاد المسلمون الى تلك المغارة وبانت منهم الغلبة والخسارة ولم يبق منهم الا القليل لم يكن منهم الا على الله والسيف تعويل وقد قتل منهم في هذا النهار خمسة وثلثون فارسا من الامراء الاعيان وان قتل بسيفهم من الكفار آلاف من الرجال والركبان فلما عاين شركان ذلك ضاق عليه الامر وقال لاصحابه كيف العمل فقال له اصحابه لايكون الا ما يريده الله تعالى فلمـــا كان ثاني يوم قال شركان لبقية العسكران خرجتم للقتـــال ما بقي منكم احد لانه لم يبق عندنا الا قليل من الماء والزاد والرأي

Digitized by Google

الى عساكر الكفار وعرفوا ان الكفار عاينوهم ولم يتعرضوالهم قال الوزير دندان والله ان هذه كرامة من الزاهد ولا شك انه من الخواص فقال ضوء المكان والله ما اظن الكفار الاعميانا لاننا نراهم وهم لا يرونا فبينما هما في الثناء على الزاهد وتعداد كراماته وزهده وعباداته واذا بالكفار قد هجموا عليهما واحاطوا بهما وقبضوا عليهما وقالوا هل معكما احد غيركما فنقبض عليه فقال الوزير دندان اما ترون هذا الرجل الآخر الذي بين ايدينا فقال لهم الكفار وحق المسيح والرهبان والجاثليق والمطران اننا لم نراحدا غيركما فقال ضوء المكان والله ان الذي حلّ بنا عقوبة لنا من الله تعالى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الثامنة والتسعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الكفار لما قبضوا على الملك ضوء المكان والوزير دندان قالوا لهما هل معكما غيركما فنقبض عليه فقال الوزير دندان اما ترون هذا الرجل الآخر الذي معنا قالوا وحق المسيح والرهبان والجاثليق والمطران اننا ما نرى احدا غيركما ثم ان الكفار قد وضعوا القيود في ارجلهما ووكلوا بهما من يحرسهما في المبيت وغابت العجوز ذات الدواهي عن اعينهما فصارا يتاسفان ويقولان لبعضهما ان الاعتراض على الصالحين يؤدي الى اكثر من ذلك وجزانا ما حل بنا من الضيق الذي نحن فيه هذا ما كان من امر ضوء المكان والوزير دندان واما ما كان من امر الملك شركان فانه بات تلك الليلة فلما اصبح الصباح قام وصلى صلوة الصبح ثم نهض هو ومن معه من العساكر وتاهبوا الى قتال الكفار وقوى قلبهم شركان ووعدهم بكل خير

Digitized by Google

وانظر حال الكفرة هل هم نيام او يقظانون فقالوا ما نخرج الا معك ونسلم امرنا لله فقالت اذا طاوعتكم لاتلوموني ولوموا انفسكم فالرأي عندي ان تمهلوني حتى اكشف خبرهم فقال شركان امض اليهم ولا تبطئ علينا لاننا ننتظرك فعند ذلك خرجت ذات الدواهي وكان شركان حدث اخاه بعد خروجها وقال لولا ان الزاهد صاحب كرامات ما كان قتل هذا البطريق الجبار وفي هذا القدر كفاية في كرامة هذا الزاهد وقد انكسرت شوكة الكفار بقتل هذا البطريق لانه كان جبارا عنيدا وشيطانا مريدا فبينما هم يتحدثون في كرامات الزاهد واذا بالعينة ذات الدواهي قد دخلت عليهم ووعدتهم بالنصر على الكفرة فشكروا الزاهد على ذلك ولم يعلموا ان هذه حيلة وخداع ثم قالت اللعينة اين ملك الزمان ضوء المكان فاجابها بالتلبية فقالت له خذ معك وزيرك وسر خلفي حتى نذهب الى القسطنطينية وكانت ذات الدواهي قد اعلمت الكفار بالحيلة التي عملتها ففرحوا بذلك غاية الفرح وقالوا ما يجبر خاطرنا الا قتل ملكهم في نظير قتل البطريق لانه لم يكن عندنا افرس منه وقالوا لعجوز النحس ذات الدواهي حين اخبرتهم بانها تذهب اليهم بملك المسلمين اذا اتيت به ناخذه الى الملك افريدون ثم ان العجوز ذات الدواهي توجهت وتوجه معها ضوء المكان والوزير دندان وهي سابقة عليهما وتقول لهما سيرا على بركة الله تعالى فاجاباها الى قولها ونفذ فيهما سهم القضاء والقدر ولم تزل سائرة بهما حتى توسطت بهما بين عسكر الروم ووصلوا الى الشعب المذكور الضيق وعساكر الكفار ينظرون اليهم ولا يتعرضون لهم بسوء لان الملعونة اوصتهم بذلك فلما نظر ضوء المكان والوزير دندان

Digitized by Google

فلما كانت الليلة السابعة والتسعون

قالت بلغني ايها الملك السعيدان اللعينة ذات الدواهي لما اخذت رأس البطريق رئيس العشرين الف كافر اتت بها والقتها بين يدي ضوء المكان واخيه شركان والوزير دندان وقالت لهم لما رايت حالكم اخذتني الغيرة عليكم وهجمت على البطريق الكبير وضربته بالسيف فاطحت راسه ولم يقدر احد من الكفار ان يدنو مني واتيت براسه اليكم لتقوى نفوسكم على الجهاد وترضوا بسيوفكم رب العباد واريدان اشغلكم في الجهاد واذهب الى عسكركم ولو كانوا على باب القسطنطينية وآتيكم من عندهم بعشرين الف فارس يهلكون هؤلاء الكفرة فقال شركان وكيف تمضي اليهم ايها الزاهد والوادي مسدود بالكفار من كل جانب فقالت الملعونة الله يسترني عن اعينهم فلا يروني ومن رآني لايجسران يقبل عليّ فاني في ذلك الوقت اكون فانيا في الله وهو يقاتل عني عداه فقال شركان صدقت ايها الزاهد لاني شاهدت ذلك واذا كنت تقدران تمضي اول الليل يكون ذلك اجود لنا فقال انا امضي في هذه الساعة وان كنت تريدان تجيء معي ولايراك احد فقم وان كان اخوك يذهب معنا اخذناه دون غيره فان قل الولي لايستر غير اثنين فقال شركان اما انا فلا اترك اصحابي ولكن اذا كان اخي يرضى بذلك فلا بأس حيث ذهب معك وخلص من هذا الضيق فانه هو حصن المسلمين وسيف رب العالمين وان شاء فليأخذ معه الوزير دندان او من يختار ثم يرسل الينا عشرة آلاف فارس اعانة على هؤلاء اللئام فاصطلحوا واتفقوا على هذا الحال ثم ان العجوز قالت امهلوني حتى اذهب قبلكم

Digitized by Google

بقتلهم فقال له لا يكون قتلهم الا عند الملك افريدون لاجل ان يشفي غليله فينبغي اننا نبقيهم عندنا اسارى وفي غد نسافر بهم الى القسطنطينية ونسلّمهم الى الملك افريدون فيفعل بهم ما يريد فقالوا هذا هو الرأي الصواب ثم امروا بتكتيفهم وجعلوا عليهم حرّاسا فلما جنّ الظلام اشتغل الكفار باللهو والطعام ودعوا بالشراب فشربوا حتى انقلب كل منهم على قفاه وكان شركان واخوه ضوء المكان مقيّدين وكذلك من معهم من الابطال فعند ذلك نظر شركان الى اخيه وقال له يا اخي كيف الخلاص فقال ضوء المكان والله لا ادري وقد صرنا كالطير في الاقفاص فاغتاظ شركان وتنهّد من شدة غيظه وتمطّى فانقطع الكتاف فلما خلص من الوثاق قام الى رئيس الحرّاس واخذ مفاتيح القيود من جيبه وفكّ ضوء المكان وفكّ الوزير دندان وفكّ بقية العسكر ثم التفت الى اخيه ضوء المكان والوزير دندان وقال اني اريد ان اقتل من الحرّاس ثلثة وناخذ ثيابهم ونلبسها نحن الثلثة حتى نصير في زيّ الروم ونسير بينهم حتى لا يعرفوا احدا منا ثم نتوجه الى عسكرنا فقال ضوء المكان ان هذا الرأي غير صواب لاننا اذا قتلناهم نخاف ان يسمع احد شخيرهم فتنتبه الينا الكفار فيقتلوننا والرأي السديد ان نسير الى خارج الشعب فاجابوه الى ذلك فلما صاروا بعيدا عن الشعب بقليل راوا خيلا مربوطة واصحابها نائمون فقال شركان لاخيه ينبغي ان ياخذ كل واحد منا جوادا من هذه الخيول وكانوا خمسة وعشرين رجلا فاخذوا خمسة وعشرين جوادا وقد القى الله النوم على الكفار لحكمة يعلمها ثم ان شركان جعل يختلس من الكفار السلاح من السيوف والرماح حتى اكتفى ثم ركبوا الخيل التي اخذوها وساروا وكان

Digitized by Google

الذي عندى فيه الرشاد ان تجرّدوا سيوفكم وتخرجوا وتقفوا على باب تلك المغارة لاجل ان تدفعوا عن انفسكم من يدخل عليكم فلعل الزاهد ان يكون وصل الى عسكر المسلمين ويأتينا بعشرة آلاف فارس فيعينوننا على قتال الكفرة ولعل الكفار لم ينظروه هو ومن معه فقال له اصحابه ان هذا الرأى هو الصواب وما في سداده ارتياب ثم ان العسكر خرجوا وملكوا باب المغارة ووقفوا في طرفيه وكل من اراد ان يدخل عليهم من الكفار يقتلونه وصاروا يدفعون الكفار عن الباب وصبروا على قتال الكفار الى ان ذهب النهار واقبل الليل بالاعتكار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والتسعون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان عسكر المسلمين ملكوا باب المغارة ووقفوا في طرفيه وصاروا يدفعون الكفار عن الباب وكل من اراد ان يهجم عليهم قتلوه وصبروا على قتال الكفار الى ان ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار ولم يبق عند الملك شركان الاّ خمسة وعشرون رجلا لاغير فقال الكفار لبعضهم متى تنقضي هذه الايام فاننا قد تعبنا من قتال المسلمين فقال بعضهم قوموا نهجم عليهم فانه لم يبق منهم الا خمسة وعشرون رجلا فان لم نقدر عليهم نضرم عليهم النار فان انقادوا وسلموا انفسهم الينا اخذنا هم اسارى وان ابوا تركناهم حطبا للنار حتى يصيروا عبرة لاولى الابصار فلا رحم المسيح اباهم ولا جعل مستقر النصارى مثواهم ثم انهم حملوا الحطب الى باب المغارة واضرموا فيه النار فايقن شركان ومن معه بالبوار فسلّموا نفوسهم فبينما هم كذلك واذا بالبطريق الرئيس عليهم التفت الى المشير

Digitized by Google

ثم ساروا الى ان وصلوا الى الكفار فلما رأهم الكفار من بعيد قالوا لهم يا مسلمون انا اسرنا سلطانكم و وزيره الذي به انتظام امركم وان لم ترجعوا عن قتالنا قتلناكم عن آخركم واذا سلمتم لنا انفسكم فاننا نروح بكم الى ملكنا فيصالحكم على ان لا تخرجوا من بلادنا ولا تذهبوا الى بلادكم ولا تضرونا بشيء ولا نضركم بشيء فان طاب خاطركم كان الحظ لكم وان ابيتم فما يكون الاقتلكم و قد عرفناكم و هذا آخر كلامنا معكم فلما سمع شركان كلامهم و تحقق اسر اخيه والوزير دندان عظم عليه ذلك وبكى وضعفت قوته وايقن بالهلاك فقال في نفسه يا ترى ما سبب اسرهما هل حصل منهما اساءة ادب في حق الزاهد واعترضا عليه او ما شأنهما ثم نهضوا الى قتال الكفار فقتلوا منهم خلقا كثيرا و تبين في ذلك اليوم الشجاع من الجبان واختضب السيف والسنان وتهافت عليهم الكفار تهافت الذباب على الشراب من كل مكان وما زال شركان ومن معه يقاتلون قتال من لا يخاف الموت ولا يعتريه في طلب الفرصة فوت حتى سال الوادي بالدماء وامتلأت الارض بالقتلى فلما اقبل الليل تفرقت الجيوش وكل من الفريقين ذهب الى مكانه وعاد المسلمون الى تلك المغارة وبانت منهم الغلبة والخسارة ولم يبق منهم الا القليل لم يكن منهم الا على الله والسيف تعويل وقد قتل منهم في هذا النهار خمسة و ثلثون فارسا من الامراء الاعيان وان قتل بسيفهم من الكفار آلاف من الرجال والركبان فلما عاين شركان ذلك ضاق عليه الامر وقال لاصحابه كيف العمل فقال له اصحابه لايكون الا ما يريده الله تعالى فلما كان ثاني يوم قال شركان لبقية العسكران خرجتم للقتال مابقي منكم احد لانه لم يبق عندنا الا قليل من الماء والزاد والرأي

Digitized by Google

الى عساكر الكفار وعرفوا ان الكفار عاينوهم ولم يتعرضوالهم قال الوزير دندان والله ان هذه كرامة من الزاهد ولا شك انه من الخواص فقال ضوء المكان والله ما اظن الكفار الاعميانا لاننا نراهم وهم لا يرونا فبينما هما في الثناء على الزاهد وتعداد كراماته وزهده وعباداته واذا بالكفار قد هجموا عليهما واحاطوا بهما وقبضوا عليهما وقالوا هل معكما احد غيركما فنقبض عليه فقال الوزير دندان اما ترون هذا الرجل الآخر الذي بين ايدينا فقال لهم الكفار وحق المسيح والرهبان والجاثليق والمطران اننا لم نراحدا غيركما فقال ضوء المكان والله ان الذي حلّ بنا عقوبة لنا من الله تعالى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والتسعون

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الكفار لما قبضوا على الملك ضوء المكان والوزير دندان قالوا لهما هل معكما غيركما فنقبض عليه فقال الوزير دندان اما ترون هذا الرجل الآخر الذي معنا قالوا وحق المسيح والرهبان والجاثليق والمطران اننا ما نرى احدا غيركما ثم ان الكفار قد وضعوا القيود في ارجلهما ووكلوا بهما من يحرسهما في المبيت وغابت العجوز ذات الدواهي عن اعينهما فصارا يتاسفان ويقولان لبعضهما ان الاعتراض على الصالحين يؤدي الى اكثر من ذلك وجزانا ما حل بنا من الضيق الذي نحن فيه هذا ما كان من امر ضوء المكان والوزير دندان واما ما كان من امر الملك شركان فانه بات تلك الليلة فلما اصبح الصباح قام وصلى صلوة الصبح ثم نهض هو ومن معه من العساكر وتاهبوا الى قتال الكفار وقوى قلبهم شركان ووعدهم بكل خير

Digitized by Google

وانظر حال الكفرة هل هم نيام او يقظانون فقالوا ما نخرج الا معك ونسلم امرنا لله فقالت اذا طاوعتكم لاتلوموني ولوموا انفسكم فالرأي عندي ان تمهلوني حتى اكشف خبرهم فقال شركان امض اليهم ولا تبطئ علينا لاننا ننتظرك فعند ذلك خرجت ذات الدواهي وكان شركان حدث اخاه بعد خروجها وقال لولا ان الزاهد صاحب كرامات ما كان قتل هذا البطريق الجبار وفي هذا القدر كفاية في كرامة هذا الزاهد وقد انكسرت شوكة الكفار بقتل هذا البطريق لانه كان جبارا عنيدا وشيطانا مريدا فبينما هم يتحدثون في كرامات الزاهد واذا بالعينة ذات الدواهي قد دخلت عليهم ووعدتهم بالنصر على الكفرة فشكروا الزاهد على ذلك ولم يعلموا ان هذه حيلة وخداع ثم قالت اللعينة اين ملك الزمان ضوء المكان فاجابها بالتلبية فقالت له خذ معك وزيرك وسر خلفي حتى نذهب الى القسطنطينية وكانت ذات الدواهي قد اعلمت الكفار بالحيلة التي عملتها ففرحوا بذلك غاية الفرح وقالوا ما يجبر خاطرنا الا قتل ملكهم في نظير قتل البطريق لانه لم يكن عندنا افرس منه وقالوا لعجوز النحس ذات الدواهي حين اخبرتهم بانها تذهب اليهم بملك المسلمين اذا اتيت به ناخذه الى الملك افريدون ثم ان العجوز ذات الدواهي توجهت وتوجه معها ضوء المكان والوزير دندان وهي سابقة عليهما وتقول لهما سيرا على بركة الله تعالى فاجاباها الى قولها ونفذ فيهما سهم القضاء والقدر ولم تزل سائرة بهما حتى توسطت بهما بين عسكر الروم ووصلوا الى الشعب المذكور الضيق وعساكر الكفار ينظرون اليهم ولا يتعرضون لهم بسوء لان الملعونة اوصتهم بذلك فلما نظر ضوء المكان والوزير دندان

Digitized by Google

فلما كانت الليلة السابعة والتسعون

قالت بلغني ايها الملك السعيدان اللعينة ذات الدواهي لما اخذت رأس البطريق رئيس العشرين الف كافر اتت بها والقتها بين يدي ضوء المكان واخيه شركان والوزير دندان وقالت لهم لما رايت حالكم اخذتني الغيرة عليكم وهجمت على البطريق الكبير وضربته بالسيف فاطحت راسه ولم يقدر احد من الكفار ان يدنو مني واتيت براسه اليكم لتقوى نفوسكم على الجهاد وترضوا بسيوفكم رب العباد واريدان اشغلكم في الجهاد واذهب الى عسكركم ولو كانوا على باب القسطنطينية وآتيكم من عندهم بعشرين الف فارس يهلكون هؤلاء الكفرة فقال شركان وكيف تمضي اليهم ايها الزاهد والوادي مسدود بالكفار من كل جانب فقالت الملعونة الله يسترني عن اعينهم فلا يروني ومن رآني لايجسران يقبل عليّ فاني في ذلك الوقت اكون فانيا في الله وهو يقاتل عني عداه فقال شركان صدقت ايها الزاهد لاني شاهدت ذلك واذا كنت تقدران تمضي اول الليل يكون ذلك اجود لنا فقال انا امضي في هذه الساعة وان كنت تريدان تجيء معي ولايراك احد فقم وان كان اخوك يذهب معنا اخذناه دون غيره فان قل الولي لايستر غير اثنين فقال شركان اما انا فلا اترك اصحابي ولكن اذا كان اخي يرضى بذلك فلا باس حيث ذهب معك وخلص من هذا الضيق فانه هو حصن المسلمين وسيف رب العالمين وان شاء فليأخذ معه الوزير دندان او من يختار ثم يرسل الينا عشرة آلاف فارس اعانة على هؤلاء اللئام فاصطلحوا واتفقوا على هذا الحال ثم ان العجوز قالت امهلوني حتى اذهب قبلكم

Digitized by Google

العابد وقال في نفسه ان هذا العابد قد نظر الله اليه بعين عنايته وقوي عزمي على الكفار بخالص نيته فاراهم يخافونني ولا يستطيعون الاقدام عليّ بل كلما حملوا عليّ يولون الادبار و يركنون الى الفرار ثم قاتلوا بقية يومهم الى آخر النهار ولما اقبل الليل نزلوا في مغارة من ذلك الشعب من كثرة ما حصل لهم من الوبال ورمي الحجارة و قتل منهم في ذلك اليوم خمسة واربعون رجلا و لما اجتمعوا مع بعضهم فتّشوا على ذلك الزاهد فلم يروا له اثرا فعظم عليهم ذلك وقالوا لعله استشهد فقال شركان انا رأيته يقوّى الفرسان بالاشارات الربانية ويعيدهم بالآيات الرحمانية فبينما هم فى الكلام واذا بالملعونة ذات الدواهي قد اقبلت وفي يدها راس البطريق الكبير الرئيس على العشرين الفا وكان جبارا عنيدا وشيطانا مريدا وقد قتله رجل من الاتراك بسهم فعجل الله بروحه الى النار فلما راى الكفار مافعل ذلك المسلم بصاحبهم مالوا بكلّيتهم عليه واوصلوا الاذية اليه وقطعوه بالسيوف فعجّل الله به الى الجنة ثم ان الملعونة قطعت رأس ذلك البطريق واتت بها والقتها بين يدي شركان والملك ضوء المكان والوزيردندان فلما رآها شركان وثب قائما على قدميه وقال الحمد لله على سلامتك ورؤيتك ايها العابد المجاهد الزاهد فقال يا ولدي اني قد طلبت الشهادة في هذا اليوم فصرت ارمي روحي بين عسكر الكفار وهم يهابونني فلما انفصلتم اخذتني الغيرة عليكم وهجمت على البطريق الكبير رئيسهم وكان يعدّ بالف فارس فضربته حتى اطحت رأسه عن بدنه ولم يقدر احد من الكفار ان يدنو منّي واتيت برأسه اليكم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

Digitized by Google

مائة الف فارس فقال ضوء المكان لو علمنا ذلك لاخذنا معنا خمسة آلاف فارس فقال الوزير دندان لوكان معنا عشرة آلاف فارس في هذا المكان الضيق لا تفيدنا شيأ ولكن الله يعيننا عليهم وانا اعرف هذا الشعب وضيقه واعرف ان فيه مفاوز كثيرة لاني قد غزوت فيه مع الملك عمر بن النعمان حيث حاصرنا القسطنطينية وكنا نقيم فيه وفيه ماء ابرد من الثلج فانهضوا بنا لنخرج من هذا الشعب قبل ان يكثر علينا عساكر الكفار ويسبقونا الى رأس الجبل فيرمو علينا الحجارة ولم نملك فيهم اربا فاخذوا فى الاسراع بالخروج من ذلك الشعب فنظر اليهم الزاهد وقال لهم ما هذا الخوف وانتم قد بعتم انفسكم لله تعالى في سبيله والله اني مكثت مسجونا تحت الارض خمسة عشر عاما ولم اعترض على الله فيما فعل بي فقاتلوا في سبيل الله فمن قُتل منكم فالجنة ماواه ومن قَتل فالى الشرف مشعاه فلما سمعوا من الزاهد هذا الكلام زال عنهم الهم والغم وثبتوا حتى هجمت عليهم الكفار من كل مكان ولعبت في اعناقهم السيوف ودارت بينهم كأس الحتوف وقاتل المسلمون في طاعة الله اشد القتال واعملوا في اعدائه الاسنة والنصال وصار ضوء المكان يضرب الرجال ويجندل الابطال ويرمي رؤسهم خمسة خمسة وعشرة عشرة حتى افنى منهم عددا لايحصى وجُملا لاتستقصى فبينما هو كذلك اذ نظر الملعونة وهي تشير بالسيف اليهم وتقويهم وكل من خاف يهرب اليها وصارت تومي اليهم بقتل شركان فيميلون الى قتله فرقة بعد فرقة وكل فرقة حملت عليه يحمل عليها ويهزمها وتأتي بعدها فرقة اخرى حاملة عليه فيردها بالسيف على اعقابها فظن ان نصره عليهم ببركة

Digitized by Google

فلمـــا وصلوا الى البرج المعـــروف كمنوا فيه هذا ما كان من امر هؤلاء واما ماكان من امر الملك ضوء المكان واخيه شركان والوزير دندان والعسكر فانهم لما وصلوا الى الدير دخلوه فرأوا الراهب مطروحنى قد اقبل لينظر حالهم فقال الزاهد اقتلوا هذا اللعين فضربوه بالسيف واسقوه كاس الحتوف ثم مضت بهم الملعونة الى موضع النذور فاخرجوا منه من التحف والذخائر اكثر مماو صفته لهم وبعدان جمعوا ذلك وضعوه فى الصناديق وحملوه على البغال واما تماثيل فانها لم تحضر لاهي ولا ابوها خوفا من المسلمين فاقام ضوء المكان فى انتظارهاذلك النهار وثاني يوم وثالث يوم فقال شركان والله قلبي مشغول بعسكر الاسلام ولا ادري ما حالهم فقال اخوه انا قد اخذنا هذا المال العظيم وما نظن ان تماثيل ولا غيرها يأتي الى هذا الدير بعدان جرى لعسكر الروم ماجرى فينبغي اننا نقنع بما يسره الله لنا ونتوجه لعل الله يعيننا على فتح القسطنطينية ثم نزلوا من الجبل فمـــا امكن ذات الدواهي ان تتعرض لهم خوفا من التفطن بخداعها ثم انهم ساروا الى ان وصلوا الى باب الشعب واذا بالعجوز قداكمنت لهم عشرة آلاف فارس فلما رأوهم احاطوا بهم من كل جانب واشرعوا نحوهم الرماح وجردوا عليهم بيض الصفاح ونادى الكفار بكلمة كفرهم وفوّقوا سهـــام شرهم فنظر ضوء المكان واخوه شركان والوزير دندان الى هذا الجيش فرأوه جيشا عظيما وقالوا من اعلم هذه العساكر بنا فقال شركان يا اخي ما هذا وقت كلام بل هذا وقت الضرب بالسيف والرمي بالسهام فشدوا عزمكم وقوّوا نفوسكم لان هذا الشعب مثل الدرب له بابان وحق سيد العرب والعجم لولا ان هذا المكان ضيق لكنت افنيتهم ولوكانوا

Digitized by Google

وهم يظنون ان شركان وضوء المكان والوزير دندان معهم ولم يعلموا انهم ذهبوا الى الدير هذا ماكان من امرهم واما ماكان من امر شركان واخيه ضوء المكان والوزير دندان فانهم اقاموا الى آخر النهار وكانت الكفار اصحاب ذات الدواهي رحلوا خفية بعد ان دخلوا عليها وقبلوا يديها ورجليها واستاذنوها في الرحيل فاذنت لهم وامرتهم بما شاءت من المكر فلما جن الظلام قامت العجوز وقالت لضوء المكان واصحابه قوموا معي الى الجبل وخذوا معكم قليلا من العسكر فاطاعوها وتركوا في سفح الجبل خمسة فوارس وصار الباقون بين يدي ذات الدواهي وصار عندها قوة من شدة فرحها وصار ضوء المكان يقول سبحان من قوى هذا الزاهد الذي ما رأينا مثله وكانت الكاهنة قد ارسلت كتابا على اجنحة الطير الى ملك القسطنطينية تخبره فيه بماجرى وقالت في آخر الكتاب اريدان تنفذلي عشرة آلاف فارس من شجعان الروم ويكون سيرهم في سفح الجبل خفية لئلا يراهم عسكر الاسلام ويأتون الى الدير ويكمنون فيه حتى احضر اليهم ومعي ملك المسلمين واخوه فاني خدعتهما وجئت بهما ومعهما الوزير ومائة فارس لا غير وسوف اسلم اليهم الصلبان التي في الدير وقد عزمت على قتل الراهب مطروحنى لان الحيلة لا تتم الا بقتله فاذا تمت الحيلة فلا يصل من المسلمين الى بلادهم لا ديار ولا نافخ نار ويكون مطروحنى فداء لاهل الملة النصرانية والعصابة الصليبية والشكر للمسيح اولا وآخرا فلما وصل الكتاب الى القسطنطينية جاء برّاج الحمام الى الملك افريدون بالورقة فلما قرأها نفذ الجيش من وقته وجهز كل واحد بفرس وهجين وبغل وزاد وامرهم ان يصلوا الى ذلك الدير

Digitized by Google

ابنته فخذوها فانها لا تصلح الا لملك الزمان شركان او للملك ضوء المكان ففرحوا بذلك حين سمعوا كلامها الا الوزير دندان فانه لم يصدقها وما دخل كلامها في عقله وخشي ان يتحدث معها لاجل خاطر الملك وصار باهتا من كلامها ويلوح على وجهه علامة الانكار عليها فقالت العجوز ذات الدواهي اني اخاف ان يقبل البطريق وينظر هذه العساكر في المرج فما يجسران يدخل الدير فامر السلطان العسكران يرحلوا صوب القسطنطينية وقال ضوء المكان ان قصدي ان نأخذ معنا مائة فارس وبغالا كثيرة ونتوجه الى ذلك الجبل لاجل ان نحملهم المال الذي في الدير ثم ارسل من وقته وساعته الى الحاجب الكبير فاحضره بين يديه واحضر المقدمين والاتراك والديلم وقال اذا كان وقت الصباح فارحلوا الى القسطنطينية وانت ايها الحاجب عوضا عني في الراي والتدبير وانت يا رستم تكون نائبا عن اخي في القتال ولا تعلموا احدا اننا لسنا معكم وبعد ثلثة ايام نلحقكم ثم انتخب مائة فارس من الابطال وانحاز هو واخوه شركان والوزير دندان والمائة فارس واخذوا معهم البغال والصناديق لاجل حمل المال وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والتسعون

قالت بلغني ايها الملك السعيدان شركان واخاه ضوء المكان والوزير دندان والمائة خيّال سافروا الى الدير الذي وصفته لهم اللعينة ذات الدواهي واخذوا معهم البغال والصناديق لاجل حمل المال فلما اصبح الصباح نادى الحاجب بين العسكر بالرحيل فرحلوا

Digitized by Google

الشعير وشربة ماء وكل شهر اوشهرين يأتى البطريق ويدخل ذلك الدير وقدكبرت ابنته تماثيل لانهاكانت بنت تسع سنين حين رأيتهـا ومضى لي فى الاسر خمس عشرة سنة فجملة عمرها اربعة وعشرون عاما وليس في بلادنا ولا فى بلاد الروم احسن منها وكان ابوها يخاف عليهـا من الملك ان يأخذها منه لانها وهبت نفسها للمسيح غيرانها تركب مع ابيها في زيّ الرجال الفرسان وليس لهـا مثيل فى الحسن ولم يعلم من رآها انها جارية وقد خزن ابوها اموالها في هذا الدير لان كل من كان عنده شيء من نفائس الذخائر يضعه في ذلك الدير وقد رايت فيـه من انواع الذهب والفضة والجواهر وسائر الاواني والتحف ما لايحصي عدده الا الله تعالى فانتم اولى به من هؤلاء الكفرة فخذوا ما في هذا الدير وانفقوه على المسلمين وخصوصا المجاهدين ولمـا وصل هؤلاء التجار الى القسطنطينية وباعوا بضاعتهم كلمتهم تلك الصورة التي فى الحائط لكرامة اكرمنى الله بها فجاؤا الى ذلك الدير وقتلوا البطريق مطروحنى بعد ان عاقبوه اشدّ العقاب وجرّوه من لحيته فدلّهم على موضعي فاخذوني ولم يكن لهم سبيل الا الهرب خوفا من العطب وفى ليلة غد تأتي تماثيل الى ذلك الدير على عادتها ويلحقها ابوها مع غلمانه لانه يخاف عليها فان شئتم ان تشاهدوا هذا الامر فخـذوني بين ايديكم وانا اسلم اليكم الاموال وخزانة البطريق دقيانوس التي في ذلك الجبل وقد رأيتهم يخرجون اوانى الذهب والفضة يشربون فيهـا ورأيت عندهم جارية تغني لهم بالعربي فوا حسرتاه لوكان ذلك الصوت الحسن في قراءة القـرآن وان شئتم فادخلوا ذلك الدير واكمنوا فيه الى ان يصل دقيانوس ومعه

Digitized by Google

من حيث لا ادري و قلت في نفسي من مثلي يمشي علي الماء فقسا قلبي من ذلك الوقت و ابتلاني الله بحب السفر فسافرت الى بلاد الروم و جلت في اقطارها سنة كاملة حتى لم اترك موضعا الا عبدت الله فيه فلما وصلت الى هذا المكان صعدت الى هذا الجبل و فيه دير راهب يقال له مطروحنى فلما رآني خرج اليّ وقبل يدي ورجلي فقال اني رأيتك منذ دخلت بلاد الروم و قد شوقتني الى بلاد الاسلام ثم انه اخذ بيدي و ادخلني ذلك الدير ثم دخل بي الى بيت مظلم فلما دخلت فيه غافلني و اغلق عليّ الباب وتركني فيه اربعين يوما من غير طعام ولا شراب وكان قصده بذلك قتلي صبرا فاتفق في بعض الايام انه دخل ذلك الدير بطريق يقال له دقيانوس ومعه عشرة من الغلمان و معه ابنة يقال لها تماثيل و لكنها في الحسن ليس لها مثيل فلما دخلوا الدير اخبرهم الراهب مطروحنى بخبري فقال البطريق اخرجوه لانه لم يبق من لحمه ما يأكله الطير ففتحوا باب ذلك البيت المظلم فوجدوني منتصبا في المحراب اصلي واقرأ و اسبح و اتضرع الى الله تعالى فلما رؤني على تلك الحالة قال مطروحنى ان هذا ساحر من السحرة فلما سمعوا كلامه قاموا جميعا و دخلوا عليّ و اقبل عليّ دقيانوس هو و جماعته و ضربوني ضربا عنيفا فعند ذلك تمنيت الموت و لمت نفسي و قلت هذا جزاء من يتكبر و يعجب بما انعم عليه ربه مما ليس في طاقته و انت يا نفسي قد داخلك العجب والكبر اما علمت ان الكبر يغضب الرب و يقسى القلب و يدخل الانسان النار ثم بعد ذلك قيدوني وردوني الى مكاني وكان سردابا في ذلك البيت تحت الارض وكل ثلثة ايام يرمون اليّ قرصة من

العابد ووكّل فراشا بخدمته وفي اليوم الرابع دعت بالطعام فقدموا لها من الالوان ما تشتهي الانفس و تلذ الاعين فلم تأكل من ذلك كله الا رغيفا واحدا بملح ثم نوت الصوم ولما جاء الليل قامت الى الصلوة فقال شركان لضوء المكان اما هذا الرجل فقد زهد الدنيا غاية الزهد و لولا هذا الجهاد لكنت لازمته و اعبد الله بخدمته حتى القاه و قد اشتهيت ان ادخل معه الخيمة و اتحدث معه ساعة فقال له ضوء المكان و انا كذلك و لكن نحن في غد ذاهبون الى غزو القسطنطينية و لم نجد لنا ساعة مثل هذه الساعة فقال الوزير دندان و انا الآخر اشتهي ان ارى هذا الزاهد لعله يدعولي بقضاء نحبي في الجهاد ولقاء ربي فاني زهدت الدنيا فلما جن عليهم الليل دخلوا على تلك الكاهنة ذات الدواهي في خيمتها فرأوها قائمة تصلي فدنوا منها و صاروا يبكون رحمة لها وهي لا تلتفت اليهم الى ان انتصف الليل فسلمت من صلوتها ثم اقبلت عليهم و حيتهم و قالت لهم لما ذا جئتم فقالوا لها ايها العابد اما سمعت بكائنا حولك فقالت ان الذي يقف بين يدي الله لا يكون له وجود في الكون حتى يسمع صوت احد او يراه ثم انهم قالوا اننا نشتهي ان تحدثنا بسبب اسرك و تدعو لنا في هذه الليلة فانها خير لنا من ملك القسطنطينية فلما سمعت كلامهم قالت والله لولا انكم امراء المسلمين ما احدثكم بشيء من ذلك ابدا فاني لا اشكو الا الى الله وها انا اخبركم بسبب اسري اعلموا انني كنت في القدس مع بعض الابدال و ارباب الاحوال وكنت لا اتكبر عليهم لان الله سبحانه و تعالى انعم عليّ بالتواضع و الزهد فاتفق انني توجهت الى البحر ليلة و مشيت على الماء فداخلني العجب

Digitized by Google

و اخوه بكاء شديدا ثم قاما اليها و قبلا يديها و رجليها و صارا ينتحبان فاشارت اليهما و قالت كُفّا عن هذا البكاء و اسمعا كلامي فتركا البكاء امتثالا لامرها فقالت اعلما اني قد رضيت بما صنعه بي مولاي لاني ارى ان البلاء الذي نزل بي امتحان منه عز و جل و من لم يصبر على البلاء و المحن فليس له وصول الى جنات النعيم وكنت اتمنى اني اعود الى بلادي لا جزعاً من البلاء الذي حلّ بي بل لاجل ان اموت تحت حوا فرخيل المجاهدين الذين هم بعد القتل احياء غير اموات ثم انشدت هذه الابيات

اَلْحِصْنُ طُوْرٌ وَنَارُ الْحَرْبِ مُوْقَدَةٌ ... وَاَنْتَ مُوْسَى وَهٰذَا الْوَقْتُ مِيْقَاتُ
اَلْقِ الْعَصَا تَتَلَقَّفْ كُلَّ مَا صَنَعُوْا ... وَلَا تَخَفْ بِحِبَالِ الْقَوْمِ حَيَّاتُ
فَاقْرَأْ سُطُوْرَ الْعِدٰى يَوْمَ الْوَغٰى سُوَرًا ... فَاِنَّ سَيْفَكَ فِى الْاَعْنَاقِ آيَاتُ

فلما فرغت العجوز من شعرها تناثرت من عينيها المدامع وجبينها بالدهان كالضوء اللامع فقام اليها شركان و قبّل يدها واحضرلها الطعام فامتنعت وقالت اني لم افطر من مدة خمسة عشرعاما فكيف افطر في هذه الساعة وقدجاد عليّ المولى بالخلاص من اسر الكفار ودفع عني ما هو اشق من عذاب النار فانا اصبر الى الغروب فلما جاء وقت العشاء اتيل شركان هو وضوء المكان و قدما اليها الاكل و قالا لها كل ايها الزاهد فقالت ما هذا وقت الاكل و انما هذا وقت عبادة الملك الديان ثم انتصبت في المحراب تصلي الى ان ذهب الليل و لم تزل على هذه الحالة ثلثة ايام بلياليها وهي لم تقعد الا وقت التحية فلما رأها ضوء المكان على تلك الحالة ملك قلبه حسن الاعتقاد فيها و قال لشركان اضرب خيمة من الاديم لذلك

Digitized by Google

عليكم ما أُخذ منكم ولكن كان الواجب ان لاتحملوا تجارة الى بلاد الكفار فقالوا يامولانا ان الله سيّرنا الى بلادهم لنظفر بمالم يظفر به احد من الغزاة ولا انتم في غزواتكم فقال لهم شركان وما الذي ظفرتم به فقالوا ما نذكر ذلك الا في الخلوة لان هذا الامر اذا شاع بين الناس ربما اطلع عليه احد فيكون ذلك سببا لهلاكنا وهلاك كل من يتوجه الى بلاد الروم من المسلمين وكانوا قد خبوّا الصندوق الذي فيه اللعينة ذات الدواهي فاخذهم ضوء المكان واخوه واختليا بهم فشرحوا لهمـــا حديث الزاهد وصاروا يبكون حتى ابكوهمـا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــــــباح

فلما كانت الليلة الخامسة والتسعون

قالت بلغني ايها الملك السعيدان النصارى الذين في هيئة التجار لما اختلى بهم ضوء المكان واخوه شركان شرحوا لهما حديث الزاهد وبكوا حتى ابكوهما واخبروهما كما علّمتهم الكاهنة ذات الدواهي فرقّ قلب شركان للزاهد واخذتـه الرأفة عليه وقامت به الحمـيّة لله تعالى وقال لهم هل خلصتم هذا الزاهد ام هو في الدير الى الآن فقالوا بل خلصناه وقتلنا صاحب الدير من خوفنا على انفسنا ثم اسرعنا في الهرب خوفا من العطب وقد اخبرنا بعض الثقات ان في هذا الدير قناطير من الذهب والفضة والجواهر ثم بعد ذلك اتوا بالصندوق واخرجوا منه تلك الملعونة كانها قرن خيار شنبر من شدة السواد والنحول وهي مكبّلة بتلك السلاسل والقيود فلما نظرها ضوء المكان هو والحاضرون ظنوا انه رجل من خيار العباد وافضل الزهاد خصوصا وجبينها يضيء من الدهان الذي دهنت به وجهها فبكى ضوء المكان

Digitized by Google

اغصانها من رحيق الطل فتمايلت و جمعت بين عذوبة التسنيم و اعتلال النسيم فتدهش العقل و الناظر كما قال الشاعر

انْظُرْ إِلَى الرَّوْضِ النَّضِيرِ كَأَنَّمَا نُشِرَتْ عَلَيْهِ مَلَاءَةٌ خَضْرَاءُ
إِنْ مَا سَنَحْتَ بِلَحْظِ عَيْنِكَ لَاتَرَى إِلَّا غَدِيرًا جَالَ فِيهِ الْمَاءُ
وَتَرَى بِنَفْسِكَ عِزَّةً فِي دَوْحِهِ إِذْ فَوْقَ رَأْسِكَ حَيْثُ سِرْتَ لِوَاءُ

وكما قال الآخر

اَلنَّهْرُ خَدٌّ بِالشُّعَاعِ مُوَرَّدٌ قَدْ دَبَّ فِيهِ عِذَارُ ظِلِّ الْبَانِ
وَالْمَاءُ فِي سُوقِ الْغُصُونِ خَلَاخِلٌ مِنْ فِضَّةٍ وَالزَّهْرُ كَالتِّيجَانِ

فلما نظر ضوء المكان الى ذلك المرج الذي التفت اشجاره وزهت ازهاره وترنّمت اطياره نادى اخاه شركان وقال له يا اخي ان دمشقا ما فيها مثل هذا المكان فلا نرحل منه الا بعد ثلثة ايام حتى ناخذ لنا راحة لاجل ان تنشط عساكر الاسلام وتقوى نفوسهم على لقاء الكفرة اللئام فاقاموا فيه فبينما هم كذلك اذ سمعوا اصواتا من بعيد فسأل عنهم ضوء المكان فقيل له انها قافلة تجار من بلاد الشام كانوا نازلين في هذا المكان للراحة لعل العساكر صادفوهم وربما اخذوا شيأ من بضائعهم التي معهم حيث كانوا في بلاد الكفار و بعد ساعة جاء التجار وهم صارخون يستغيثون بالملك فلما رأى ضوء المكان ذلك امر باحضارهم فحضروا بين يديه وقالوا ايها الملك انا كنا في بلاد الكفار ولم ينهبوا منا شيأ فكيف تنهب اموالنا اخواننا المسلمون ونحن في بلادهم فاننا لما رأينا عساكركم اقبلنا عليهم فاخذوا ما كان معنا وقد اخبرناك بما حصل لنا ثم اخرجوا له كتاب ملك القسطنطينية فاخذه شركان وقرأ ثم قال لهم سوف نرد

Digitized by Google

لولدي وتعطيني المواثيق والأيمان فقال شركان حبا وكرامة ومديده الى اخيه وقال ان جاءك ولداعطيته ابنتي قضى فكان ففرح بذلك وصار يهني بعضهم بعضا بالنصر على الاعداء وهنّى الوزير دندان شركان واخاه وقال لهما اعلما ايهـــا الملكان ان الله نصرنا حيث وهبنا انفسنا لله عزوجل وهجرنا الاهل والاوطـان والرأي عندي ان نرحل وراءهم ونحـاصرهم ونقاتلهم لعل الله ان يبلغنا مرادنا ونستأصل اعدائنـــا وان شئتم فانزلوا في هذه المراكب وسيروا في البحر ونحن نسير في البر ونصبر على القتـال والطعن في النزال ثم ان الوزير دندان ما زال يحرضهـــم على القتـــال وانشد قول من قـــال

أَطْيَبُ الطَّيِّبَاتِ قَتْلُ الْاَعَادِي ... وَاحْتِمَالِي عَلَى ظُهُورِ الْجِيَادِ
وَرَسُـــوْلٌ يَأْتِي بِوَعْدِ حَبِيْبٍ ... وَحَبِيْبٌ يَأْتِي بِـــلَا مِيْعَـــادِ

وقول الآخر

وَاِنْ عُمِرْتُ جَعَلْتُ الْحَرْبَ وَالِدَةً ... وَالسَّمْهَرِيَّ اَخًا وَالْمِشْرَفِيَّ اَبَا
بِكُلِّ اَشْعَثَ يَلْقَى الْمَوْتَ مُبْتَسِمًا ... حَتَّى كَاَنَّ لَهُ فِي قَتْلِهِ اَرَبَـا

فلما فرغ الوزير دندان من شعره قال سبحان من ايدنا بنصره العزيز وظفرنا بغنيمة الفضة والابريز ثم امر ضوء المكان العسكـــر بالرحيل فسافروا طالبين القسطنطينية وجدّوا في سيرهم حتى اشرفوا على مرج فسيح وفيه كل شيء مليح ما بين وحوش تمرح وغزلان تسنح وكانوا قد قطعوا مفاوز كثيرة وانقطع عنهم الماء ستة ايام فلما اشرفوا على ذلك المرج نظروا تلك العيون النابعة والاثمار اليانعة وتلك الارض كانها جنّة اخذت زخرفها وازّينت وسكرت

Digitized by Google

كَبِدِي اُكَابِدُهُ وَصَدْرِي ضَيِّقُ ... وَجَرَى بِقَلْبِي بَحْرُهُمْ مُغْرِقُ
اِنْ لَمْ يَكُنْ فَرَجٌ فَمَوْتٌ عَاجِلٌ ... اِنَّ الْحِمَامَ مِنَ الرَّزَايَا اَرْفَقُ
يَا بَرْقُ اِنْ جِئْتَ الدِّيَارَ وَاَهْلَهَا ... وَعَلَا عَلَيْكَ مِنَ الْبَشَائِرِ رَوْنَقُ
كَيْفَ السَّبِيْلُ اِلَى اللِّقَاءِ وَبَيْنَنَا ... تِلْكَ الْحُرُوْبُ وَبَابُ رَهْنٍ مُغْلَقُ
بَلِّغْ اَحِبَّتَنَا السَّلَامَ وَقُلْ لَهُمْ ... اِنِّي بِدَيْرِ الرُّوْمِ قَاسٍ مُوْثَقُ

ثم قالت اذا وصلتم بي الى عسكر المسلمين و صرت عندهم كيف ادبر حيلة في خديعتهم و قتلهم عن آخرهم فلما سمع النصارى كلام العجوز قبلوا يديها و وضعوها في الصندوق بعد ان ضربوها اشد الضربات الموجعات تعظيما لها لانهم يرون طاعتها من الواجبات ثم قصدوا بها عسكر المسلمين كما ذكرنا هذا ماكان من امر هذه اللعينة ذات الدواهي و من معها و اما ما كان من امر عسكر المسلمين فانهم لما نصرهم الله على اعدائهم و غنموا ما كان في المراكب من الاموال والذخائر قعدوا يتحدثون مع بعضهم فقال ضوء المكان لاخيه ان الله نصرنا بسبب عدلنا و انقيادنا لبعضنا فكن يا شركان ممتثلا لامري في طاعة الله عز وجل لاني نويت ان اقتل عشرة ملوك عوضا عن ابي و اذبح خمسين الفا من الروم و ادخل القسطنطينية فقال له اخوه شركان روحي فداؤك من الردى ولابد لي من الجهاد ولو اقيم في بلادهم سنين عديدة لكن يا اخي لي في دمشق ابنة واسمها قضى فكان وقلبي متعلق بحبها وهي من غرائب الزمان و سيكون لها شان فقال ضوء المكان و انا الآخر تركت جاريتي وهي حبلى على ميلاد و ما ادري مايرزقني الله به فيا اخي عاهدني ان رزقني الله و لدا ذكرا تسمح لي بابنتك قضى فكان ان تكون

Digitized by Google

رب العالمين فقلنا وكيف ذلك فقالت تلك الصورة ان الله انطقني لكم ليقوي يقينكم ويهمكم دينكم و تخرجوا من بلاد الكافرين و تقصدوا عسكر المسلمين فان فيهم سيف الرحمن و بطل الزمان الملك شركان و هو الذي يفتح القسطنطينية به ويهلك اهل الملة النصرانية فاذا قطعتم سفر ثلثة ايام تجدوا دبرا يعرف بدير مطروحنى و فيه صومعة فاقصدوها بصدق نيتكم وتحيلوا على الوصول اليها بقوة عزيمتكم لان فيها رجلا عابدا من بيت المقدس اسمه عبدالله و هو من ادين الناس و له كرامات تزيح الشك والالباس قد خدعه بعض الرهبان و سجنه في سرداب له فيه مدة مديدة من الزمان وفي انقاذه ارضاء رب العباد لان فكاكه من افضل الجهاد ثم ان العجوز لما اتفقت مع من معها على هذا الكلام قالت فاذا القى اليكم سمعه الملك شركان فقولوا له فلما سمعنا هذا الكلام من تلك الصورة علمنا ان ذلك العابد و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والتسعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العجوز ذات الدواهي لما اتفقت مع من معها على هذا الكلام قالت فاذا القى اليكم سمعه الملك شركان فقولوا له فلما سمعنا هذا الكلام من تلك الصورة علمنا ان ذلك العابد من اكابر الصالحين و عباد الله المخلصين فسافرنا مدة ثلثة ايام ثم رأينا ذلك الدير فعرجنا عليه و ملنا اليه و اقمنا هناك يوما في البيع والشراء على عادة التجار فلما ولى النهار و اقبل الليل بالاعتكار قصدنا تلك الصومعة التي فيها السرداب فسمعناه بعد تلاوة الآيات ينشد هذه الابيات

Digitized by Google

حتى صار له وسم عظيم ودهنته بدهان دبرته حتى صار له ضوء عظيم وكانت الملعونه نحيلة الجسم غائرة العينين فقيدت رجليها من فوق قدميها وسارت حتى وصلت الى عسكر المسلمين ثم حلت القيد من رجليها وقد اثر القيد في ساقيهـــا ثم دهنتها بدم الاخوين وامرت من معها ان يضربوها ضربا عنيفا وان يضعوها في صندوق واعلنوا في كلمة التوحيد وما عليكم في ذلك من باس شديد فقالوا لها كيف نضربك وانت سيدتنـــا ذات الدواهي ام الملك المبـــاهي فقالت لا لوم ولا تعنيف على من يأتي الكنيف ولاجل الضرورات تباح المحظورات وبعد ان تضعوني في الصندوق خذوه في جملة الاموال واحملوه على البغـــال ومروا بذلك بين عسكر الاسلام ولا تخشوا شيأ من الملام وان تعرض لكم احد من المسلمين فسلموا له البغال وما عليها من الاموال وانصـــرفوا الى ملكهـــم ضوء المكان واستغيثوا به وقولوا نحن كنا في بلاد الكفرة ولم يأخذوا منا شيأ بل كتبوا لنا توقيعا انه لا يتعرض لنا احد فكيف تأخذون انتم اموالنا وهذا كتاب ملك الروم الذي مضمونه ان لا يتعرض لنا احد بمكروه فاذا قال وما الذي ربحتموه من بلاد الروم في تجارتكم فقولوا له ربحنا خلاص رجل زاهد وقد كان في سرداب تحت الارض له فيه نحو خمسة عشر عاما وهو يستغيث فلا يغـــاث بل يعذبه الكفار ليلا ونهـــارا ولم يكن عندنا علم بذلك مع اننا اقمنـــا في القسطنطينية مدة من الزمان وبعنا بضائعنا واشترينا خلافها وجهزنا حالنـــا وعزمنـــا على الرحيل الى بلادنا وبتنا تلك الليلة نتحدث في امر السفر فلما اصبحنا رأينا صورة مصورة في الحائط فلما قربنا منها تأملناها فاذا هي تحركت وقالت يا مسلمون هل فيكم من يعامل

Digitized by Google

وَيَزِينُ شُنْعَتَهُ بِجَمْعِ دَرَاهِمٍ عَطْرُ الْقَبِيحَةِ لَايَفِي بِفَسَاهَا

ونرجع الى حديث مكرها ودواهي امرها ثم انها سارت وسار معها عظماء النصارى و عساكرهم و توجهوا الى عسكر الاسلام و بعدها دخل الملك حردوب على الملك افريدون وقال له ايها الملك مالنا حاجة بامر البطريق الكبير ولا بدعائه بل نعمل برأى امي ذات الدواهي و ننظر ما تعمل بخداعها غير المتناهي مع عسكر المسلمين فانهم بقوتهم و اصلون الينا و عن قريب يكونون لدينا و يحيطون بنا فلما سمع الملك افريدون ذلك الكلام عظم في قلبه الرعب فكتب من وقته و ساعته الى سائراقا ليم النصارى يقول لهم ينبغي انه لا يتخلف احد من اهل الملة النصرانية و العصابة الصليبية خصوصا اهل الحصون و القلاع بل يأتون الينا جميعا رجالا و ركبانا و نساء و صبيانا فان عسكر المسلمين قد وطئوا ارضنا فالعجل العجل قبل حلول الوجل هذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر العجوز ذات الدواهي فانها طلعت خارج البلد مع اصحابها والبستهم زي تجار المسلمين وكانت قد اخذت معها مائة بغل محملة من القماش الانطاكي ما بين اطلس معدني و ديباج ملكي وغير ذلك واخذت من الملك افريدون كتابا مضمونه ان هؤلاء التجار من ارض الشام وكانوا في ديارنا فلا ينبغي ان يتعرض لهم احد بسوء ولا ياخذ منهم عشرا حتى يصلوا الى بلادهم و محل امنهم لان التجار بهم عمار البلاد وليسوا من اهل الحرب والفساد ثم ان الملعونة ذات الدواهي قالت لمن معها اني اريدان ادبر حيلة على هلاك المسلمين فقالوا لها ايتها الملكة مُرينا بما شئت فنحن تحت طاعتك فلا احبط المسيح عملك فلبست ثيابا من الصوف الابيض الناعم وحكّت جبينها

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الثالثة والتسعون

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الملك افريدون لما سمع ذلك الكلام وقع مغشيا عليه وصار انفه تحت قدميه فلما افاق من غشيته نفض الخوف جراب معدته فشكا الى العجوز ذات الدواهي وكانت تلك اللعينة كاهنة من الكهان ومتقنة للسحر والبهتان عاهرة مكارة فاجرة غدارة ولهافم ابخر وجفن احمر وخدا صفر بوجه اغبش وطرف اعمش وجسم اجرب وشعر اشهب وظهر احدب ولون حائل ومخاط سائل لكنها قرأت كتب الاسلام وسافرت الى بيت الله الحرام كل ذلك لاجل ان تطلع على الاديان وتعرف آيات القرآن وتهودت في بيت المقدس سنتين لتحوز مكر الثقلين فهي آفة من الآفات وبلية من البليات فاسدة الاعتقاد ليست للدين تنقاد وكان اكثر اقامتها عند ولدها حردوب ملك الروم لاجل الجواري الابكار لانها كانت تحب السحاق وان تأخر عنها تكون في انمحاق وكل جارية اعجبتها تعلمها الحكمة وتسحق عليها الزعفران فتغشى عليها من فرط اللذة مدة من الزمان فمن طاوعتها احسنت اليها ورغبت ولدها فيها ومن لم تطاوعها تحيل على هلاكها وسبب ذلك علمت مرجانة وريحانة واترجة جواري ابريزة وكانت الملكة ابريزة تكره العجوز وتكره ان ترقد معها لان صُنانها يخرج من تحت ابطيها ورائحة فسائها انتن من الجيفة وجسدها اخشن من الليفة وكانت ترغب من يساحقها بالجواهر والتعليم وكانت ابريزة تبرأ منها الى الحكيم العليم ولله در القائل

يَا مَنْ تَسَفَّلَ لِلْغِنِيِّ مَذِلَّةً ... وَعَلَى الْفَقِيرِ لَقَدْ عَلَاتَيَّاهَا

Digitized by Google

اتت العجوز ذات الدواهي و قالت ايها الملك ان عسكر المسلمين كثير و نحن ما نصل اليهم الا بالحيلة و اني عولت ان اعمل حيلة و مكيدة و امضي الى هذه العساكر الاسلامية لعلي ابلغ غرضي من المقدم عليهم و اقتل فارسهم مثل ما قتلت اباه و اذا تمت حيلتي عليه فما يرجع احد من عساكره الى بلاده فانهم كلهم اتوياء بسببه ولكني اريد من النصارى القاطنين بالشام الذي يخرجون لبيع بضائعهم في كل شهر وعام ان يساعدوني فان بهم يتم غرضي فقال لها الملك باى وقت تريدين ذلك الامر يكون فامرت بان يحضر لها مائة رجل من نجران الشام فاحضروهم عند الملك فقال لهم الملك اما تعلمون ماتم على النصارى من المسلمين قالوا نعم فقال لهم الملك اعلموا ان هذه المرأة و هبت نفسها للمسيح و الآن عولت ان تذهب بكم في زي الموحدين لتدبير حيلة يعود نفعها علينا و تمنع المسلمين من الوصول الينا فهل انتم و اهبون انفسكم للمسيح و انا اعطيكم قنطارا من الذهب فمن سلم منكم فله المال و من مات فيجازيه المسيح فقالوا ايها الملك قد و هبنا انفسنا للمسيح و نحن فداؤك فعند ذلك اخذت العجوز جميع ما تحتاج اليه من العقاقير و وضعتهم في الماء و غلتهم على النار فانحل السواد و صبرت حتى بردت فارخت عليهم طرف منديل طويل و لبست فوق اثوابها ملوطة مطرزة بطراز وبيدها تسبيح وبعد ذلك دخلت على الملك فلم يعرفها ولا احد من الجالسين فكشفت لهم عن وجهها فما في المجلس احد الاشكرها على مكرها وفرح ابنها وقال لاعدم المسيح طلعتك فعند ذلك خرجت و معها النصارى الذين من نجران الشام و ساروا طالبين عسكر بغداد و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

Digitized by Google

وكان الخبر قدوصل الى اهلها اولا بان الملك افريدون هو الظافر بالمسلمين فقالت العجوز ذات الدواهي انا اعلم ان ولدي ملك الروم لايكون من المنهزمين ولا يخاف من الجيوش الاسلامية ويردّ اهل الارض الى الملة النصرانية ثم ان العجوز كانت امرت الملك الاكبر افريدون ان يزين البلد فاظهروا السرور وشربوا الخمور وماعلموا بالمقدور فبينما هم في وسط الافراح اذ نعق عليهم غراب الحزن والاتراح واقبلت عليهم العشرون مركبا الهاربة وفيها ملك الروم فقابلهم افريدون ملك القسطنطينية على الساحل واخبروه بما جرى لهم من المسلمين فزاد بكاؤهم وعلا نحيبهم وانقلبت بشارات الخير بالغم والضير واخبروه ان لوقا بن شملوط حلّت به النوائب وتمكن منه سهم المنية الصائب فقامت على الملك افريدون القيامة وعلم ان اعوجاجهم ليس له استقامة وقامت بينهم المآتم وانحلّت منهم العزائم وندبت النوادب وعلا النحيب والبكاء من كل جانب ولما دخل ملك الروم على الملك افريدون واخبره بحقيقة الحال وان همزيمة المسلمين كانت على وجه الخداع والمحال قال له لا تنتظر ان يصل من العسكر الّامن وصل اليك فلما سمع الملك افريدون ذلك الكلام وقع مغشيا عليه وصار انفه تحت قدميه وقال لعلّ المسيح غضب علينا حتى اوصل المسلمين الينا فاقبل البطريق الكبير على الملك مهموما فقال له الملك يا ابانا قد وقع في عسكرنا الفناء وجزانا المسيح فقال البطريق لا تغتموا ولا تحزنوا فانه لابدان احدكم فعل ذنبا في حق المسيح وعوقب الجميع بذنبه ولكن الآن نقرأكم الدعاء في البيع حتى تندفع عنكم هذه العساكر المحمدية ثم بعد ذلك

ASHMOLEAN OXFORD MUSEUM
Digitized by Google

و ذلك لامرين احد هما صغر سنه و صيانته من العين و الثاني ان بقاءه للمملكة اعظم الجناحين فقال له يا ملك انك لقد خاطرت بنفسك فالصق جوادك بجوادي فاني لا آمن عليك من الاعداء و المصلحة في ان لا تخرج من تلك العصائب لاجل ان نرمي الاعداء بسهمك الصائب فقال ضوء المكان اني اردت ان اساويك في النزال و لا ابخل بنفسي بين يديك في القتال ثم انطبقت عساكر الاسلام على الكفار واحاطوا بهم من جميع الاقطار وجاهدوهم حق الجهاد وكسروا شوكة الكفر والعناد و الفساد فتأسف الملك افريدون لما رأى ماحل بالروم من الامر المذموم و قد ولوا الادبار وركنوا الى الفرار يقصدون المراكب و اذا بالعساكر قد خرجت عليهم من ساحل البحر وفي اولهم الوزير دندان مجندل الشجعان و ضرب فيهم بالسيف و السنان وكذا الامير بهرام صاحب دوائر الشام وهو في عشرين الف ضرغام و احاطت بهم عساكر الاسلام من خلف و من امام و مالت فرقة من المسلمين على من كان في المراكب و اوقعوا فيهم المعاطب فرموا انفسهم في البحر و قتلوا منهم جمعا عظيما يزيد عن مائة الف بطريق ولم ينج من ابطالهم صغير ولاكبير و اخذوا مراكبهم بما فيها من الاموال و الذخائر و الاثقال الاعشرين مركبا وغنم المسلمون في ذلك اليوم غنيمة ما غنم احد مثلها في سالف الزمان و لاسمعت اذن بمثل هذا الحرب والطعان و من جملة ماغنموه خمسون الفامن الخيل غير الذخائر و الاسلاب بما لايحيط به حصر و لاحساب و فرحوا فرحا ما عليه مزيد بما من الله عليهم من النصر والتأييد هذا ماكان من امرهم واما ماكان من امر المنهزمين فانهم وصلوا الى القسطنطينية

Digitized by Google

اهل الكفر و الطغيان ببيض الصفاح و سمر الرماح فرجع المسلمون على الكفار و اعملوا فيهم الصارم البتار و صار ينادي منادى المسلمين و يقول عليكم باعداء الدين يا صحب النبى المختار هذا وقت ارضاء الكريم الغفار باراجي النجاة فى اليوم المخوف ان الجنة تحت ظلال السيوف و اذا بشركان قد حمل هوو من معه على الكفار و قطعوا عليهم طريق الفرار و جال بين الصفوف و طاف و اذا بفارس مليح الانعطاف قد فتح في عسكر الكفار ميدانا و جال في الكفرة حربا و طعانا و ملأ الارض رؤسا و ابدانا وقد خافت الكفار من حربه و مانت اعنا قهم لطعنه و ضربه قد تقلد بسيفين لحظ و حسام و اعتقل برمحين قناة و قوام بوفرة تغني عن وافر عدد العساكر كما قال فيه الشاعر

لَا تَحْسُنُ الْوَفْرَةُ اِلَّا وَهِيَ مَنْشُورَةُ الْفَرْعَيْنِ يَوْمَ النِّزَالِ
عَلَى فَتًى مُعْتَقِلٍ صَعْدَةً يُعِلُّهَا مِنْ كُلِّ وَافٍ فِي السِّبَالِ

و يقول الآخر

اَقُوْلُ لَهُ لَمَّا تَقَلَّدَ سَيْفَهُ كَفَتْكَ سُيُوْفُ اللَّحْظِ عَنْ ذٰلِكَ الْعَضْبِ
فَقَالَ لِحَاظِي سَيْفُهَا الذَّوِي الْهَوٰى وَسَيْفِي لِمَنْ لَمْ يَدْرِ مَا لَذَّةُ الْحُبِّ

فلما رآه شركان قال اعيذك بالقرآن وآيات الرحمن من انت ايها الفارس من الفرسان فلقد ارضيت بفعلك الملك الديان الذى لايشغله شأن من شأن حيث هزمت اهل الكفر والطغيان فناداه الفارس قائلا انت الذي بالامس عاهدتني فما اسرع مانسيتني ثم كشف اللثام عن وجهه حتى ظهر ماخفي من حسنه فاذا هو ضوء المكان فترح به شركان الا انه خاف عليه من ازدحام الاقران و انطباق الشجعان

Digitized by Google

و بالثناء على الرحمٰن بما اولى من الاحسان و صاحت عساكر الكفر بالثناء على الصليب والزنار والعصير والعصار والقسوس والرهبان والسعانين والمُطْران و تأخر ضوء المكان هو و شركان الى ورائهما و قهقرت الجيوش و اظهروا الانهزام للاعداء وزحفت عليهم عساكر الكفر لوهم الهزيمة و تهيئوا للطعن والضرب فاستهل اهل الاسلام بقراءة اول سورة البقر وصارت القتلى تحت ارجل الخيل مند ثره و صار منادى الروم يقول يا عبدة المسيح وذوى الدين الصحيح يا خدام الجاثليق قد لاح لكم التوفيق ان عساكر الاسلام قد جنحوا الى الفرار فلا تولوا عنهم الادبار فمكنـــوا السيوف من اقفيتهم ولا ترجعوا من ورائهم والّا برئتم من المسيح ابن مريم الذي فى المهد تكلم وظن افريدون ملك القسطنطينية ان عساكر الكفار منصـورة ولم يعلم ان ذلك من حسن تدبير المسلمين صورة فارسل الى ملك الـــروم يبشره بالظفر و يقول له ما نفعنـــا الا غائط البطريق الاكبر لمـــا فاحت رائحته من اللحى والشوارب بين عباد الصليب حاضر و غائب و اتسم بالمعجزات و ببنته ابريزة النصرانية المريمية والمياه المعمودية اني لا اترك على الارض مجاهدا بالكليّة و اني مصرّ على سوء هذه النية و توجه الرسول بهذا الخطاب ثم صاح الكفار على بعضهم قائلين خذوا بثار لوقا و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــاح

فلما كانت الليلة الثانية والتسعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الكفار صاحوا على بعضهم قائلين خذوا بثار لوقا و صار ملك الروم ينـادي يا لاخذ ثار ابريزة فعند ذلك صاح الملك ضوء المكان وقال يا عباد الملك الديّان اضربوا

Digitized by Google

الكبير والمقدام الخطير فاجابه بالتلبية فقال له خذ معك الوزير دندان وعشرين الف فارس وسربهم الى ناحية البحر مقدار سبعة فراسخ واسرعوا فى السير حتى تكونوا قريبا من الساحل بحيث يبقى بينكم وبين القوم قدر فرسخين واختفوا في وهدات الارض حتى تسمعوا ضجة الكفار اذا طلعوا من المراكب وتسمعوا الصياح من كل جانب وقد عملت بيننا وبينهم القواضب فاذا رايتم عسكرنا تقهقروا الى وراء كانهم منهزمون وجاءت الكفار زاحفة خلفهم من جميع الجهات حتى من جانب الساحل والخيام فكونوا لهم بالمرصاد واذا رأيت انت عَلَما عليه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فارفع العلم الاخضر وصح قائلا الله اكبر واحمل عليهم من ورائهم واجتهد في ان لايحول الكفار بين المنهزمين وبين البحر فقال له السمع والطاعة واتفقو على ذلك الامر في تلك الساعة ثم تجهزوا وساروا وقد اخذ الحاجب معه الوزير دندان وعشرين الفا كما امر الملك شركان فلما اصبح الصباح ركب القوم وهم مجردون الصفاح ومعتقلون الرماح وحاملون السلاح وانتشرت الخلائق فى الربا والبطاح وصاحت القسوس وكشفت الرؤس ورفعت الصلبان على قلوع المركب وقصدوا الساحل من كل جانب وانزلوا الخيل في البر وعزموا على الكرّ والفرّ ولمعت السيوف وتوجّهت الجموع وبرقت شهب الرماح على الدروع ودارت طاحون المنايا على رؤس الرجال والفرسان وطارت الرؤس عن الابدان وخرست الالسن وتغشت الاعين وانفطرت المرائر وعملت البواتر وطارت الجماجم وقطعت المعاصم وخاضت الخيل فى الدماء وتقابضوا في اللحى وصاحت عساكر الاسلام بالصلوة والسلام على سيد الانام

Digitized by Google

الى الحربة ليختطفها من الهوى فعاجله شركان بحربة ثانية وضربه بها فوقعت في وسط الصليب الذي في وجهه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فلما رأى الكفار لوقا ابن شلموط وقع مقتولا لطموا على وجوههم ونادوا بالويل والثبور واستغاثوا ببطارقة الديور وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والتسعون

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الكفار لما رأوا لوقا بن شملوط وقع مقتولا لطموا على وجوههم ونادوا بالويل والثبور واستغاثوا ببطارقة الديور وقالوا اين الصلبان وتزهد الرهبان ثم اجتمعوا جميعا عليه واعلموا الصوارم والرماح وهجموا للحرب والكفاح والتقت العساكر بالعساكر وصارت الصدور تحت وقع الحوافر وتحكمت الرماح والصوارم وضعفت السواعد والمعاصم وكان الخيل قدخلقت بلا قوائم ولازال منادي الحرب ينادي الى ان كلّت الايادي وذهب النهار واقبل الليل بالاعتكار وافترق الجيشان وصار كل شجاع كالسكران من شدة الضرب والطعان وقد امتلأت الارض بالقتلى وعظمت الجراحات ولايعرف الجريح ممن مات ثم ان شركان اجتمع باخيه ضوء المكان والحاجب والوزير دندان فقال شركان لاخيه ضوء المكان والحاجب ان الله قد فتح بابا لهلاك الكافرين والحمد الله رب العالمين فقال ضوء المكان لاخيه لم نزل نحمد الله لكشف الكرب عن العرب والعجم وسوف تتحدث الناس جيلا بعد جيل بما صنعت باللعين لوقا محرّف الانجيل واخذك الحربة من الهوى وضربك لعدو الله بين الورى ويبقى حديثك الى آخر الزمان ثم قال شركان ايها الحاجب

Digitized by Google

يريدونك فقال ان كان الامر كذلك فهو احبّ اليّ فلما تحققوا الامر وسمعوا هذا المنادي وهو يقول فى الميدان لا يبرزلي الّا شركان علموا ان هذا الملعون فارس بلاد الروم وكان قد حلف ان يخلى الارض من المسلمين والا فهو من اخسر الخاسرين لانه هو الذي حرق الاكباد وفزعت من شرّه الاجناد من الترك والديلم والاكراد فعند ذلك برز اليه شركان كانه اسد غضبان وكان راكبا على ظهر جواد يشبه شارد الغزلان فسانه نحو لوقا حتى صار عنده وهز الرمح في يده كانه افعى من الحيات وانشد هذه الابيات

لِيْ اَشْقَرُ سَمْحُ الْعِنَانِ دُغَائِرٌ يُعْطِيْكَ مَا يُرْضِيْكَ مِنْ مَجْهُوْدِهِ
وَ مُثَقَّفٌ لَدْنُ السِّنَانِ كَاَنَّمَا اُمُّ الْمَنَايَا رُكِّبَتْ فِيْ عُوْدِهِ
وَ مُهَنَّدٌ عَضْبٌ اِذَا جَرَّدْتُهُ خِلْتَ الْبُرُوْقَ تَمُوْجُ فِيْ تَجْرِيْدِهِ

فلم يفهم لوقا معنى هذا الكلام ولاحماس هذا النظام بل لطم وجهه بيده تعظيما للصليب المنقوش عليه ثم قبلها واشرع الرمح نحو شركان وكرّ عليه ثم طوّح الحربة باحدى يديه حتى خفيت عن اعين الناظرين وتلقاها باليد الاخرى كفعل الساحرين ثم رمى بها شركان فخرجت من يده كانها شهاب ثاقب فضجت الناس وخافوا على شركان فلما قربت الحربة من شركان اختطفها من الهوى فتحيرت عقول الورى ثم ان شركان [illegible] اني حتى كادان يقصفها ورماها [illegible] اها بيده [illegible] قال [illegible] في اقرب من [illegible] [illegible] السبع الطبا [illegible] رماه با [illegible] لوقا ان يقدر

Digitized by Google

وجوههم وبخّرهم بالبخور المتقدّم ذكره الذي هو خرء البطريق الاكبر والكاهن الاكبر فلما بخّرهم دعا بحضوره لوقا ابن شملوط الذي يسمونه سيف المسيح وبخّره بالرجيع وحنكه به بعد التبخير ونشقه ولطخ له عوارضه ومسح بالفضلة شواربه وكان ذلك الملعون لوقا ما في بلاد الروم اعظم منه ولا ارمى بالنبال ولا اضرب بالسيف ولا اطعن منه بالرمح يوم النزال وكان بشع المنظر كان وجهه وجه حمار وصورته صورة ترد وطلعته طلعة الرقيب وقربه اصعب من فراق الحبيب له من الليل ظلمته ومن الاسد نكهته ومن النمر وقاحته ومن الكفر سيمته وبعد ذلك اقبل على الملك افريدون وقبّل قدميه ثم وقف بين يديه فقال له الملك افريدون اني اريدان تبرز الى شركان ملك دمشق ابن عمر بن النعمان وقد انجلى عنا هذا الشروهان فقال سمعا وطاعة ثم ان الملك نقش في وجهه الصليب وزعم ان النصر يحصل له عن قريب ثم انصرف لوقا من عند الملك افريدون وركب الملعون لوقا جوادا اشقر وعليه ثوب احمر وزردية من الذهب المرصع بالجوهر وحمل رمحاله ثلث حراب كانه ابليس اللعين يوم الاحزاب وتوجه هو وحزبه الكفار كانهم يساقون الى النار وبينهم مناديناد بالعربي ويقول يا امة محمد صلى الله عليه وسلم لايخرج منكم الا فارسكم سيف الاسلام شركان صاحب دمشق الشام فما استتمّ كلامه الاّ وضجّة في الفلا سمع صوتها جميع العساكر وكضات فرقت الصفين واذكرت يوم حنين منهم وتقتوا الاعناق نحوها واذا هو الملك شركان ا
عم بن النعمان وكان لخوه ضوء المكان لمّا رأى ذلك
وسمع كلامه التفت لاخيه شركان وقال ل

Digitized by Google

امراء العسكر و قالوا لبعضهم انا كنا بلغنا المراد و شفينا الفؤاد ولكن اعجابنا بكثرتنا هو الذي خذلنا فقالت لهم العجوز ذات الدواهي انه لاينفعكم الا انكم تتقربوا للمسيح و تتمسكوا بالاعتقـــاد الصحيح فوحق المسيح ما قوى عسكر المسلمين الا هذا الشيطان الملك شركان فقال الملك افريدون اني قد عولت في غد على ان اصف لهم الصفوف واخرج لهم الفارس المعروف لوقا بن شملوط فانه اذا برز الى الملك شركان قتله وقتل غيره من الابطال حتى لم يبق منهم احد وقد عولت في هذه الليلـــة على تقديسكم بالبخور الاكبر فلما سمعوا كلامه قبلوا الارض وكان البخور الذي اراده خرء البطريق الكبير ذي الانكار والنكير فانهم كانوا يتنافسون فيه ويستحسنون مساويه حتى كانت اكابر بطارقة الروم يبعثونه الى سائر اقاليم بلادهم فيخرق من الحرير و يمزجونه بالمسك والعبير فاذا وصل خبره الى الملوك يأخذون منه كل درهم بالف دينار حتى كان الملوك يرسلون فى طلبه من اجل بخور العرائس وكانت البطارقة يخلطونه ببخرتهم فان خرء البطريق الكبير لايكفي عشرة اقاليم وكان خواص ملوكهم يجعلون قليلا منه في كحل العيون ويداوون به المريض والمبطون فلما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح وتبادرت الفرسان الى حمل الرماح وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــــــــــــباح

فلما كانت الليلة الموفية للتسعين

قالت بلغني ايها الملك السعيد انه لما اصبح الصبـاح واشرق بنوره ولاح وتبـــادرت الفرسان الى حمل الرماح دعا الملك افريدون بخواص بطارقته وارباب دولته وخلع عليهم ونقش الصليب في

Digitized by Google

احد و قد زال عنا العناء و دام لنا الهناء فاستصوب الملك افريدون كلام العجوز و قال نعم الرأي رأيك ياسيدة العجائز الماكرة و مرجع الكهان في الفتن الثائرة وحين هجم عليهم عسكر الاسلام في ذلك الوادي لم يشعروا الا والنار تلتهب في الخيام و السيوف تعمل في الاجسام ثم اقبلت جيوش بغداد و خراسان وهم في مائة وعشرين الف فارس وفي اوائلهم ضوء المكان فلما رآهم عسكر الكفار الذين كانوا في البحر طلعوا اليهم من البحر وتبعوا اثرهم فلما رآهم ضوء المكان قال ارجعوا الى الكفار ياحزب النبي المختار و قاتلوا اهل الكفر و العدوان في طاعة الرحيم الرحمن و اقبل شركان بطائفة اخرى من عساكر المسلمين نحو مائة الف و عشرين الفا و كانت عساكر الكفار نحو الف الف و ستمائة الف فلما اختلط المسلمون بعضهم ببعض قويت قلوبهم و نادوا قائلين ان الله وعدنا بالنصر واوعد الكفار بالخذلان ثم تصادموا بالسيف و السنان و اخترق شركان الصفوف وهاج في الالوف و قاتل قتالا تشيب منه الاطفال ولم يزل يجول في الكفار ويعمل فيهم الصارم البتار وينادي الله اكبر حتى رد القوم الى ساحل البحر و كلت منهم الاجسام و نصر الله دين الاسلام و الناس يقاتلون وهم سكارى بغير مدام و قد قتل من الكفار في هذه الوقعة خمسة واربعون الفا وقتل من المسلمين ثلثة آلاف وخمسمائة ثم ان اسد الدين الملك شركان لم ينم في تلك الليلة لاهو ولا اخوه ضوء المكان بل كانا يبشران الناس و يتفقدان الجرحى و يهنيانهم بالنصر و السلامة والثواب في القيامة هذا ماكان من امر المسلمين و اما ماكان من امر الملك افريدون ملك القسطنطينية و ملك الروم و امه العجوز ذات الدواهي فانهم جمعوا

Digitized by Google

والتطم البحران ووقعت العين في العين فاول من برز للقتال الوزير دندان هو وعساكر الشام وكانوا ثلثين الف عنان وكان مع الوزير مقدم الترك ومقدم الديلم رستم وبهرام في عشرين الف فارس وطلع من ورائهم رجال من صوب البحر المالح وهم لابسون زرد الحديد وقد صاروا فيه كالبد والسافرة في الليالي العاكرة وصارت عساكر النصارى ينادون يا عيسى ومريم والصليب المسخم ثم انطبقوا على الوزير دندان ومن معه من عساكر الشام وكان هذا كله بتدبير العجوز ذات الدواهي لان الملك اقبل عليها قبل خروجه وقال لها كيف العمل والتدبير وانت السبب في هذا الامر العسير فقالت اعلم ايها الملك الكبير والكاهن الخطيراني اشير عليك بامر يعجز عن تدبيره ابليس ولو استعان عليه بحزبه المتاعيس وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــبـــــاح

فلما كانت الليلة التاسعة والثمانون

قالت بلغني ايها الملك السعيدان هذا كله كان بتدبير العجوز لان الملك كان اقبل عليها قبل خروجه وقال لها كيف العمل والتدبير وانت السبب في هذا الامر العسير فقالت اعلم ايها الملك الكبير والكاهن الخطيراني اشير عليك بامر يعجز عن تدبيره ابليس ولو استعـــان عليه بحزبه المتاعيس وهو انك ترسل خمسين الفا من الرجال ينزلون في المراكب ويتوجهون في البحر الى ان يصلوا الى جبل الدخان ويقيمون هناك ولايرحلـون من ذلك المكان حتى تأتيكم اعلام الاسلام فدونكم واياهم ثم تخرج اليهم العساكر من البحر ويكونون خلفهم ونحن نقابلهم من البر فلاينجو منهم

Digitized by Google

احوالهم فلما جاءهم الخبر كانوا قدجهزوا حالهم وجمعوا الجيوش وسارت في اوائلهم ذات الدوهي فلما وصلوا القسطنطينية سمع الملك الاكبر ملكهـــا افريدون بقدوم حردوب ملك الروم فخرج لملاقاته فلما اجتمع افريدون بملك الروم سأله عن حاله وعن سبب قدومه فاخبره بما عملته امه ذات الدواهي من الحيل وانها قتلت ملك المسلمين واخذت من عنده الملكة صفية وقالت ان المسلمين جمعوا عساكرهم وجاؤا ونريدان نكون جميعنا يدا واحدة ونلقاهم ففرح الملك افريدون بقدوم ابنته وقتل عمر بن النعمان وارسل الى سائر الاقاليم يطلب منه النجدة ويذكر لهم سبب قتل الملك عمر بن النعمان فهرعت اليه جيوش النصارى فمامر ثلثة شهورحتى تكاملت جيوش الروم ثم اقبلت الافرنج من ســـائر اطرافهـــا كالفر نسيس والنمسا ودوبره وجورنه وبندقيه وجنويز وسائـــر عساكر بنى الاصفر فلما تكاملت العساكر وضاقت بهم الارض من كثرتهم امرهم الملك الاكبر افريدون ان يرحلوا عن القسطنطينية فرحلوا واستمر تتابع عساكرهم فى الرحيل عشرة ايام وساروا حتى نزلوا بوادي النعمان واسع الاطراف وكان ذلك الوادي قريبا من البحر المالح فاقاموا ثلثة ايام وفى اليوم الرابع ارادوا ان يرحلـــوا فاتتهم الاخبـــار بقدوم عساكر الاسلام وحُماة ملة خير الانام فاقاموا فيه ثلثة ايام اخرى وفى اليوم الرابع رأوا غبارا طارحتى سد الاقطـــار فلم تمض ساعة من النهار حتى انجلا ذلك الغبـــار وتمزق الى الجو وطار ومحت ظلمته كواكب الاسنة والرماح وبريق بيض الصفاح وبان من تحته رايات اسلامية واعلام محمدية واقبلت الفرسان كاندفاع البحـــار [illegible] تحسبها سحبا مزردة على اثمار فعند ذلك تقابل الجيشان

Digitized by Google

و السلامة فحمدت الله تعالى و شكرته ورجع شركان الى اخيه يشاوره في امر الرحيل فقال له يا اخي لما تتكامل العساكر و تأتى العربان من كل مكان ثم امر بتجهيز الميرة واحضار الذخيرة ودخل ضوء المكان الى زوجته وكان مضى لها خمسة اشهـــر و جعل ارباب الاقلام و اهل الحساب تحت طاعتها ورتب لهم الجرايات والجوامك وسافر في ثالث شهر من حين نزول عسكر الشام بعد ان قدمت العربان و جميع العساكر من كل مكان و سارت الجيوش و العساكر و تتابعت الجحافل و كان اسم رئيس عسكر الديلم رستم واسم رئيس عسكر الترك بهرمان وصار ضوء المكان في وسط الجيوش وعن يمينه اخوه شركان وعن يساره الحاجب صهره ولم يزالوا سائرين مدة شهر وكل جمعة ينزلون في مكان ويستريحون فيه ثلثة ايام لان الخلق كثير ولم يزلوا سائرين على هذه الحالة حتى وصلـــوا الى بلاد الروم فنثرت اهل القرى و الضياع و الصعا ليك وفروا الى القسطنطينية فلمـــا سمع افريدون ملكهم بخبرهـــم قام و توجه الى ذات الدواهي فانها هي التي دبرت الحيل و سافرت الى بغداد حتى قتلت الملك عمر بن النعمان ثم اخذت جواريها والملكة صفية و رجعت بالجميع الى بلادها فلما رجعت الى ولدها ملك الروم وأمنت على نفسها قالت لا بنها قرّ عينا فقد اخذت لك بثأر ابنتك ابريزة وقتلت الملك عمر بن النعمان و جئت بصفية فقم الآن و ارحل الى ملك القسطنطينية و رد عليه صفية ابنته واعلمه بما جرى حتى يكون جميعنا على حذر و نتجهز باهبة واسافرانا معك الى الملك افريدون ملك القسطنطينية واظن ان المسلمين لا يثبتون على قتالنا فقال لها امهلي الى ان يقربوا من بلادنا حتى نجهز احوالنا ثم اخذوا في جمع رجالهم وتجهيز

Digitized by Google

و ترجل شركان و مشى خطوات فلما صاريين يدي ضوءالمكان رمى ضوءالمكان نفسه عليه فاحتضنه شركان الى صدره وبكيا بكاءا شديدا و عزى بعضهما بعضا ثم ركب الاثنان و سارا و سارالعسكر معهما الى ان اشرفوا على بغداد و نزلوا ثم طلع ضوءالمكان هو و اخوه شركان الى قصر الملك و با تا تلك الليلة و عند الصباح خرج ضوءالمكان وامر ان يجمعوا العساكر من كل جانب و ينادوا بالغزو و الجهاد ثم اقاموا ينتظرون مجيء الجيوش من سائر البلدان وكل من حضر يكرمونه و يعدونه بالجميل الى ان مضى على ذلك الحال مدة شهر كامل والقوم ياتون افواجا متتابعة ثم قال شركان لاخيه يا اخي اعلمني بقضيتك فاعلمه بجمع ما وقع له من الاول الى الآخر و بما صنعه معه الوقاد من المعروف فقال شركان اما كافأته على معروفه فقال له يا اخي ما كافأته الى الآن ولكن اكافئه ان شاءالله تعالى لما ارجع من الغزوة و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــاح

فلما كانت الليلة الثامنة والثمانون

قالت بلغني ايها الملك السعيدان شركان قال لاخيه ضوءالمكان اما كافأت الوقاد على معروفه فقال له يا اخي ما كافئته الى الآن و لكن اكافئه ان شاءالله تعالى لما ارجع من الغزوة و اتفرغ له فعند ذلك عرف شركان ان اخته الملكة نزهة الزمان صادقة في جميع ما اخبرته به ثم كتم امره و امرها و ارسل اليها السلام مع الحاجب زوجها فبعثت له ايضا معه السلام ودعت له و سألت عن ابنتها قضى فكان فاخبرها انها في عافية و انها في غاية ما يكون من الصحة

Digitized by Google

وكان الخبر قدوصل الى اهلها اولا بأن الملك افريدون هو الظافر بالمسلمين فقالت العجوز ذات الدواهي انا اعلم ان ولدي ملك الروم لايكون من المنهزمين ولا يخاف من الجيوش الاسلامية ويردّ اهل الارض الى الملة النصرانية ثم ان العجوز كانت امرت الملك الاكبر افريدون ان يزين البلد فاظهروا السرور وشربوا الخمور وماعلموا بالمقدور فبينما هم في وسط الافراح اذ نعق عليهم غراب الحزن والاتراح واقبلت عليهم العشرون مركبا الهاربة وفيها ملك الروم فقابلهم افريدون ملك القسطنطينية على الساحل واخبروه بما جرى لهم من المسلمين فزاد بكاؤهم وعلا نحيبهم وانقلبت بشارات الخير بالغم والضير واخبروه ان لوقا بن شملوط حلّت به النوائب وتمكن منه سهم المنية الصائب فقامت على الملك افريدون القيامة وعلم ان اعوجاجهم ليس له استقامة وقامت بينهم المآتم وانحلّت منهم العزائم وندبت النوادب وعلا النحيب والبكاء من كل جانب واما دخل ملك الروم على الملك افريدون واخبره بحقيقة الحال وان همزيمة المسلمين كانت على وجه الخداع والمحال قال له لا تنتظر ان يصل من العسكر الّا من وصل اليك فلما سمع الملك افريدون ذلك الكلام وقع مغشيا عليه وصار انفه تحت قدميه وقال لعلّ المسيح غضب عليهم حتى اوصل المسلمين اليهم فاقبل البطريق الكبير على الملك مهموما فقال له الملك يا ابانا قد وقع في عسكرنا الفناء وجزانا المسيح فقال البطريق لا تغتموا ولا تحزنوا فانه لابدان احدكم فعل ذنبا في حق المسيح وعوقب الجميع بذنبه ولكن الآن نقرأكم الدعاء في البيع حتى تندفع عنكم هذه العساكر المحمدية ثم بعد ذلك

ASHMOLEAN OXFORD MUSEUM
Digitized by Google

و ذلك لامرين احد هما صغر سنه و صيانته من العين و الثاني ان بقاءه للمملكة اعظم الجناحين فقال له يا ملك انك لقد خاطرت بنفسك فالصق جوادك بجوادي فاني لا آمن عليك من الاعداء و المصلحة في ان لا تخرج من تلك العصائب لاجل ان نرمي الاعداء بسهمك الصائب فقال ضوء المكان اني اردت ان اساويك في النزال و لا ابخل بنفسي بين يديك في القتال ثم انطبقت عساكر الاسلام على الكفار واحاطوا بهم من جميع الاقطار وجاهدوهم حق الجهاد وكسروا شوكة الكفر والعناد و الفساد فتأسف الملك افريدون لما رأى ماحل بالروم من الامر المذموم و قد ولوا الادبار وركنوا الى الفرار يقصدون المراكب و اذا بالعساكر قد خرجت عليهم من ساحل البحر وفي اولهم الوزير دندان مجندل الشجعان و ضرب فيهم بالسيف و السنان وكذا الامير بهرام صاحب دوائر الشام وهو في عشرين الف ضرغام و احاطت بهم عساكر الاسلام من خلف و من امام و مالت فرقة من المسلمين على من كان في المراكب و اوقعوا فيهم المعاطب فرموا انفسهم في البحر و قتلوا منهم جمعا عظيما يزيد عن مائة الف بطريق ولم ينج من ابطالهم صغير ولاكبير و اخذوا مراكبهم بما فيها من الاموال و الذخائر و الاثقال الاعشرين مركبا وغنم المسلمون في ذلك اليوم غنيمة ما غنم احد مثلها في سالف الزمان و لاسمعت اذن بمثل هذا الحرب والطعان و من جملة ماغنموه خمسون الفا من الخيل غير الذخائر و الاسلاب بما لايحيط به حصر و لاحساب و فرحوا فرحا ما عليه مزيد بما من الله عليهم من النصر والتأييد هذا ماكان من امرهم واما ماكان من امر المنهزمين فانهم وصلوا الى القسطنطينية

Digitized by Google

اهل الكفر و الطغيان ببيض الصفاح و سمر الرماح فرجع المسلمون على الكفار و اعملوا فيهم الصارم البتار و صار ينادي منادى المسلمين و يقول عليكم باعداء الدين يا صحب النبى المختار هذا وقت ارضاء الكريم الغفار ياراجي النجاة فى اليوم المخوف ان الجنة تحت ظلال السيوف و اذا بشركان قد حمل هوو من معه على الكفار و قطعوا عليهم طريق الفرار و جال بين الصفوف و طاف و اذا بفارس مليح الانعطاف قد فتح في عسكر الكفار ميدانا و جال في الكفرة حربا و طعانا و ملأ الارض رؤسا و ابدانا وقد خافت الكفار من حربه و مانت اعنا قهم لطعنه و ضربه قد تقلد بسيفين لحظ و حسام و اعتقل برمحين قناة و قوام بوفرة تغني عن وافر عدد العساكر كما قال فيه الشاعر

لَا تَحْسُنُ الْوَفْرَةُ اِلَّا وَهِيَ ... مَنْشُوْرَةُ الْفَرْعَيْنِ يَوْمَ النِّزَالِ
عَلَى فَتًى مُعْتَقِلٍ صَعْدَةً ... يُعِلُّهَا مِنْ كُلِّ وَافٍ سِبَالِ

و يقول الآخر

اَقُوْلُ لَهُ لَمَّا تَقَلَّدَ سَيْفَهُ ... كَفَتْكَ سُيُوْفُ اللَّحْظِ عَنْ ذٰلِكَ الْعَضْبِ
فَقَالَ لِحَاظِيْ سَيْفُهَا لِذَوِى الْهَوٰى ... وَسَيْفِيْ لِمَنْ لَمْ يَدْرِ مَا لَذَّةُ الْحُبِّ

فلما رآه شركان قال اعيذك بالقرآن وآيات الرحمن من انت ايها الفارس من الفرسان فلقد ارضيت بفعلك الملك الديان الذى لايشغله شأن من شأن حيث هزمت اهل الكفر والطغيان فناداه الفارس قائلا انت الذي بالامس عاهدتني فما اسرع مانسيتني ثم كشف اللثام عن وجهه حتى ظهر ماخفي من حسنه فاذا هو ضوء المكان فترح به شركان الا انه خاف عليه من ازدحام الاقران و انطباق الشجعان

Digitized by Google

و بالثناء على الرحمن بما اولى من الاحسان و صاحت عساكر الكفر بالثناء على الصليب والزنار والعصير والعصار والقسوس والرهبان والسعانين والمطران و تأخر ضوء المكان هو و شركان الى ورائهما و قهقرت الجيوش و اظهروا الانهزام للاعداء وزحفت عليهم عساكر الكفر لوهم الهزيمة و تهيئوا للطعن والضرب فاستهل اهل الاسلام بقراءة اول سورة البقر وصارت القتلى تحت ارجل الخيل مندثرة و صار منادى الروم يقول يا عبدة المسيح وذوى الدين الصحيح يا خدام الجاثليق قد لاح لكم التوفيق ان عساكر الاسلام قد جنحوا الى الفرار فلا تولوا عنهم الادبار فمكنوا السيوف من اقفيتهم ولا ترجعوا من ورائهم والا برئتم من المسيح ابن مريم الذي فى المهد تكلم وظن افريدون ملك القسطنطينية ان عساكر الكفار منصورة ولم يعلم ان ذلك من حسن تدبير المسلمين صورة فارسل الى ملك الروم يبشره بالظفر و يقول له ما نفعنا الا غائط البطريق الاكبر لما فاحت رائحته من اللحى والشوارب بين عباد الصليب حاضر و غائب و اتسم بالمعجزات وببنته ابريزة النصرانية المريمية والمياه المعمودية اني لا اترك على الارض مجاهدا بالكلية و اني مصر على سوء هذه النية و توجه الرسول بهذا الخطاب ثم صاح الكفار على بعضهم قائلين خذوا بثار لوقا و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والتسعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الكفار صاحوا على بعضهم قائلين خذوا بثار لوقا و صار ملك الروم ينادي يا لاخذ ثار ابريزة فعند ذلك صاح الملك ضوء المكان وقال يا عباد الملك الديان اضربوا

Digitized by Google

وكان الخبر قدوصل الى اهلها اولا بأن الملك افريدون هو الظافر بالمسلمين فقالت العجوز ذات الدواهي انا اعلم ان ولدي ملك الروم لايكون من المنهزمين ولا يخاف من الجيوش الاسلامية ويردّ اهل الارض الى الملة النصرانية ثم ان العجوز كانت امرت الملك الاكبر افريدون ان يزين البلد فاظهروا السرور وشربوا الخمور وماعلموا بالمقدور فبينما هم في وسط الافراح اذ نعق عليهم غراب الحزن والاتراح واقبلت عليهم العشرون مركبا الهاربة وفيها ملك الروم فقابلهم افريدون ملك القسطنطينية على الساحل واخبروه بما جرى لهم من المسلمين فزاد بكاؤهم وعلا نحيبهم وانقلبت بشارات الخير بالغم والضير واخبروه ان لوقا بن شملوط حلّت به النوائب وتمكن منه سهم المنية الصائب فقامت على الملك افريدون القيامة وعلم ان اعوجاجهم ليس له استقامة وقامت بينهم المآتم وانحلّت منهم العزائم وندبت النوادب وعلا النحيب والبكاء من كل جانب واما دخل ملك الروم على الملك افريدون واخبره بحقيقة الحال وان هزيمة المسلمين كانت على وجه الخداع والمحال قال له لا تنتظر ان يصل من العسكر الّا من وصل اليك فلما سمع الملك افريدون ذلك الكلام وقع مغشيا عليه وصار انفه تحت قدميه وقال لعلّ المسيح غضب عليهم حتى اوصل المسلمين اليهم فاقبل البطريق الكبير على الملك مهموما فقال له الملك يا ابانا قد وقع في عسكرنا الفناء وجزانا المسيح فقال البطريق لا تغتموا ولا تحزنوا فانه لابدان احدكم فعل ذنبا في حق المسيح وعوقب الجميع بذنبه ولكن الآن نقرأكم الدعاء في البيع حتى تندفع عنكم هذه العساكر المحمدية ثم بعد ذلك

OXFORD MUSEUM
Digitized by Google

و ذلك لامرين احد هما صغر سنه و صيانته من العين و الثاني ان بقاءه للمملكة اعظم الجناحين فقال له يا ملك انك لقد خاطرت بنفسك فالصق جوادك بجوادي فاني لا آمن عليك من الاعداء و المصلحة في ان لا تخرج من تلك العصائب لاجل ان نرمي الاعداء بسهمك الصائب فقال ضوء المكان اني اردت ان اساويك في النزال و لا ابخل بنفسي بين يديك في القتال ثم انطبقت عساكر الاسلام على الكفار واحاطوا بهم من جميع الاقطار وجاهدوهم حق الجهاد وكسروا شوكة الكفر والعناد و الفساد فتأسف الملك افريدون لما رأى ماحل بالروم من الامر المذموم و قد ولوا الادبار وركنوا الى الفرار يقصدون المراكب و اذا بالعساكر قد خرجت عليهم من ساحل البحر وفي اولهم الوزير دندان مجندل الشجعان و ضرب فيهم بالسيف و السنان وكذا الامير بهرام صاحب دوائر الشام وهو في عشرين الف ضرغام و احاطت بهم عساكر الاسلام من خلف و من امام و مالت فرقة من المسلمين على من كان في المراكب و اوقعوا فيهم المعاطب فرموا انفسهم في البحر و قتلوا منهم جمعا عظيما يزيد عن مائة الف بطريق ولم ينج من ابطالهم صغير ولاكبير و اخذوا مراكبهم بما فيها من الاموال و الذخائر و الاثقال الاعشرين مركبا وغنم المسلمون في ذلك اليوم غنيمة ما غنم احد مثلها في سالف الزمان و لاسمعت اذن بمثل هذا الحرب والطعان و من جملة ما غنموه خمسون الفا من الخيل غير الذخائر و الاسلاب بما لايحيط به حصر و لاحساب و فرحوا فرحا ما عليه مزيد بما من الله عليهم من النصر والتأييد هذا ما كان من امرهم واما ما كان من امر المنهزمين فانهم وصلوا الى القسطنطينية

Digitized by Google

اهل الكفر و الطغيان ببيض الصفاح و سمر الرماح فرجع المسلمون على الكفار و اعملوا فيهم الصارم البتار وصار ينادي منادى المسلمين و يقول عليكم باعداء الدين يا صحب النبى المختار هذا وقت ارضاء الكريم الغفار باراجي النجاة فى اليوم المخوف ان الجنة تحت ظلال السيوف و اذا بشركان قد حمل هوو من معه على الكفار و قطعوا عليهم طريق الفرار و جال بين الصفوف و طاف و اذا بفارس مليح الانعطاف قد فتح في عسكر الكفار ميدانا و جال في الكفرة حربا و طعانا و ملأ الارض رؤسا و ابدانا وقد خافت الكفار من حربه و مانت اعنا تهم لطعنه و ضربه قد تقلد بسيفين لحظ و حسام و اعتقل برمحين قناة و قوام بوفرة تغني عن وافر عدد العساكر كما قال فيه الشاعر

لَا تَحْسُنُ الْوَفْرَةُ اِلَّا وَهِيَ ... مَنْشُوْرَةُ الْفَرْعَيْنِ يَوْمَ النِّزَالِ
عَلَى فَتًى مُعْتَقِلٍ صَعْدَةً ... يُعِلُّهَا مِنْ كُلِّ وَا فِى السِّبَالِ

و يقول الآخر

اَقُوْلُ لَهُ لَمَّا تَقَلَّدَ سَيْفَهُ ... كَفَتْكَ سُيُوْفُ اللَّحْظِ عَنْ ذٰلِكَ انْعَضْبِ
فَقَالَ لِحَاظِيْ سَيْفُهَا لِذَوِى الْهَوٰى ... وَسَيْفِيْ لِمَنْ لَمْ يَدْرِ مَا لَذَّةُ الْحُبِّ

فلما رآه شركان قال اعيذك بالقرآن وآيات الرحمن من انت ايها الفارس من الفرسان فلقد ارضيت بفعلك الملك الديان الذى لايشغله شأن من شأن حيث هزمت اهل الكفر والطغيان فناداه الفارس قائلا انت الذي بالامس عا هدتني فما اسرع مانسيتني ثم كشف اللثام عن وجهه حتى ظهر ماخفي من حسنه فاذا هو ضوء المكان فترح به شركان الا انه خاف عليه من ازدحام الاقران و انطباق الشجعان

Digitized by Google

و بالثناء على الرحمٰن بما اولى من الاحسان و صاحت عساكر الكفر بالثناء على الصليب والزنار والعصير والعصار والقسوس والرهبان والسعانين والمُطْران و تأخر ضوء المكان هو و شركان الى ورائهما و قهقرت الجيوش و اظهروا الانهزام للاعداء وزحفت عليهم عساكر الكفر لوهم الهزيمة و تهيئوا للطعن والضرب فاستهل اهل الاسلام بقرأة اول سورة البقر وصارت القتلى تحت ارجل الخيل مند ثره و صار منادى الروم يقول يا عبدة المسيح وذوى الدين الصحيح يا خدام الجاثليق قد لاح لكم التوفيق ان عساكر الاسلام قد جنحوا الى الفرار فلا تولوا عنهم الادبار فمكنـــوا السيوف من اقفيتهم ولا ترجعوا من ورائهم والّا برئتم من المسيح ابن مريم الذي فى المهد تكلم وظن افريدون ملك القسطنطينية ان عساكر الكفار منصـورة ولم يعلم ان ذلك من حسن تدبير المسلمين صورة فارسل الى ملك الـــروم يبشره بالظفر و يقول له ما نفعنـــا الا غائط البطريق الاكبر امـــا فاحت رائحته من اللحى والشوارب بين عباد الصليب حاضر و غائب و اقسم بالمعجزات وببنته ابريزة النصرانية المريمية والمياه المعمودية اني لا اترك على الارض مجاهدا بالكليّة و اني مصرّ على سوء هذه النية و توجه الرسول بهذا الخطاب ثم صاح الكفار على بعضهم قائلين خذوا بثار لوقا و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــاح

فلما كانت الليلة الثانية والتسعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الكفار صاحوا على بعضهم قائلين خذوا بثار لوقا و صار ملك الروم ينـادي يا لَاخذ ثار ابريزة فعند ذلك صاح الملك ضوء المكان وقال يا عباد الملك الديّان اضربوا

Digitized by Google

الكبير والمقدام الخطير فاجابه بالتلبية فقال له خذ معك الوزير دندان وعشرين الف فارس وسوبهم الى ناحية البحر مقدار سبعة فراسخ واسرعوا فى السير حتى تكونوا قريبا من الساحل بحيث يبقى بينكم وبين القوم قدر فرسخين واختفوا في وهدات الارض حتى تسمعوا ضجة الكفار اذا طلعوا من المراكب وتسمعوا الصياح من كل جانب وقد عملت بيننا وبينهم القواضب فاذا رايتم عسكرنا تقهقروا الى وراء كانهم منهزمون وجاءت الكفار زاحفة خلفهم من جميع الجهات حتى من جانب الساحل والخيام فكونوا لهم بالمرصاد واذا رأيت انت عَلَما عليه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فارفع العلم الاخضر وصح قائلا الله اكبر واحمل عليهم من ورائهم واجتهد في ان لايحول الكفار بين المنهزمين وبين البحر فقال له السمع والطاعة واتفقوا على ذلك الامر في تلك الساعة ثم تجهزوا وساروا وقد اخذ الحاجب معه الوزير دندان وعشرين الفا كما امر الملك شركان فلما اصبح الصباح ركب القوم وهم مجردون الصفاح ومعتقلون الرماح وحاملون السلاح وانتشرت الخلائق فى الربا والبطاح وصاحت القسوس وكشفت الرؤس ورفعت الصلبان على قلوع المركب وقصدوا الساحل من كل جانب وانزلوا الخيل في البر وهزموا على الكرّ والفرّ ولمعت السيوف وتوجّهت الجموع وبرقت شهب الرماح على الدروع ودارت طاحون المنايا على رؤس الرجال والفرسان وطارت الرؤس عن الابدان وخرست الالسن وتغشت الاعين وانفطرت المرائر وعملت البواتر وطارت الجماجم وقطعت المعاصم وخاضت الخيل فى الدماء وتقابضوا في اللحى وصاحت عساكر الاسلام بالصلوة والسلام على سيد الانام

Digitized by Google

الي الحربة ليختطفها من الهوى فعاجله شركان بحربة ثانية وضربه بها فوقعت في وسط الصليب الذي في وجهه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فلما رأى الكفار لوقا ابن شلموط وقع مقتولا لطموا على وجوههم ونادوا بالويل والثبور واستغاثوا ببطارقة الديور وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والتسعون

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الكفار لما رأوا لوقا بن شملوط وقع مقتولا لطموا على وجوههم ونادوا بالويل والثبور واستغاثوا ببطارقة الديور وقالوا اين الصلبان وتزهد الرهبان ثم اجتمعوا جميعا عليه واعلموا الصوارم والرماح وهجموا للحرب والكفاح والتقت العساكر بالعساكر وصارت الصدور تحت وقع الحوافر وتحكمت الرماح والصوارم وضعفت السواعد والمعاصم وكان الخيل قد خلقت بلا قوائم ولازال منادي الحرب ينادي الى ان كلّت الايادي وذهب النهار واقبل الليل بالاعتكار وافترق الجيشان وصار كل شجاع كالسكران من شدة الضرب والطعان وقد امتلأت الارض بالقتلى وعظمت الجراحات ولايعرف الجريح ممن مات ثم ان شركان اجتمع باخيه ضوء المكان والحاجب والوزير دندان فقال شركان لاخيه ضوء المكان والحاجب ان الله قد فتح بابا لهلاك الكافرين والحمد الله رب العالمين فقال ضوء المكان لاخيه لم نزل نحمد الله لكشف الكرب عن العرب والعجم وسوف تتحدث الناس جيلا بعد جيل بما صنعت باللعين لوقا محرّف الانجيل واخذك الحربة من الهوى وضربك لعدو الله بين الورى ويبقى حديثك الى آخر الزمان ثم قال شركان ايها الحاجب

Digitized by Google

يريدونك فقال ان كان الامر كذلك فهو احبّ اليّ فلما تحققوا الامر و سمعوا هذا المنادي وهو يقول فى الميدان لا يبرزلي الّا شركان علموا ان هذا الملعون فارس بلاد الروم وكان قد حلف ان يخلى الارض من المسلمين والا فهو من اخسر الخاسرين لانه هو الذي حرق الاكباد وفزعت من شرّه الاجناد من الترك والديلم والاكراد فعند ذلك برز اليه شركان كانه اسد غضبان وكان راكبا على ظهر جواد يشبه شارد الغزلان فساقه نحو لوقا حتى صار عنده و هز الرمح في يده كانه افعى من الحيات و انشد هذه الابـــــــيات

لِيْ اَشْقَرُ سَمْحُ الْعِنَانِ مُغَايِرٌ يُعْطِيْكَ مَا يُرْضِيْكَ مِنْ مَجْهُوْدِهِ
وَ مُثَقَّفٌ لَدْنُ السِّنَانِ كَاَنَّمَا اُمُّ الْمَنَـــايَا رُكِّبَتْ فِيْ عُوْدِهِ
وَ مُهَنَّدٌ عَضْبٌ اِذَا جَرَّدْتُـهُ خِلْتَ الْبُرُوْقَ تَمُوْجُ فِيْ تَجْرِيْدِهِ

فلم يفهم لوقا معنى هذا الكلام ولاحماس هذا النظام بل لطم وجهه بيده تعظيما للصليب المنقوش عليه ثم قبلها واشرع الرمح نحو شركان وكرّ عليه ثم طوّح الحربة باحدى يديه حتى خفيت عن اعين الناظرين و تلقاها باليد الاخرى كفعل الساحرين ثم رمى بها شركان فخرجت من يده كانها شهاب ثاقب فضجت الناس وخافوا على شركان فلما قربت الحربة من شركان اختطفها من الهوى فتحيرت عقول الورى ثم ان شركان هزها بيده التي اخذها بها من النصراني حتى كادان يقصفها ورماها فى الجـــوّ حتى خفيت عن النظر والتقـــاها بيده الثانية في اقرب من لمح البصر وصاح صيحة من صميم قلبه و قال وحق من خلق السبع الطباق لاجعلن هذا اللعين شهرة فى الآفاق ثم رماه بالحربة فاراد لوقا ان يفعل بالحربة كما فعل شركان ومدّ يده

Digitized by Google

وجوههم وبخّرهم بالبخور المتقدّم ذكره الذي هو خرء البطريق الاكبر والكاهن الاكبر فلما بخّرهم دعا بحضوره لوقا ابن شملوط الذي يسمونه سيف المسيح وبخّره بالرجيع وحنكه به بعد التبخير ونشقه ولطخ له عوارضه ومسح بالفضلة شواربه وكان ذلك الملعون لوقا ما في بلاد الروم اعظم منه ولا ارمى بالنبال ولا اضرب بالسيف ولا اطعن منه بالرمح يوم النزال وكان بشع المنظر كأن وجهه وجه حمار وصورته صورة ترد وطلعته طلعة الرقيب وقربه اصعب من فراق الحبيب له من الليل ظلمته ومن الاسد نكهته ومن النمر وقاحته ومن الكفر سيمته وبعد ذلك اقبل على الملك افريدون وقبّل قدميه ثم وقف بين يديه فقال له الملك افريدون اني اريدان تبرز الى شركان ملك دمشق ابن عمر بن النعمان وقد انجلى عنا هذا الشروهان فقال سمعا وطاعة ثم ان الملك نقش في وجهه الصليب وزعم ان النصر يحصل له عن قريب ثم انصرف لوقا من عند الملك افريدون وركب الملعون لوقا جوادا اشقر وعليه ثوب احمر وزردية من الذهب المرصع بالجوهر وحمل رمحاله ثلث حراب كانه ابليس اللعين يوم الاحزاب وتوجه هو وحزبه الكفار كانهم يساقون الى النار وبينهم مناديناد بالعربي ويقول يا امة محمد صلى الله عليه وسلم لايخرج منكم الا فارسكم سيف الاسلام شركان صاحب دمشق الشام فما استتمّ كلامه الاّ وضجّة في الفلا سمع صوتها جميع الملا وركضات فرقت الصفين واذكرت يوم حنين ففزع اللئام منها والفتوا الاعناق نحوها واذا هو الملك شركان ابن الملك عمر بن النعمان وكان اخوه ضوء المكان لمّا رأى ذلك الملعون في الميدان وسمع المنادي التفت لاخيه شركان وقال له انهم

Digitized by Google

امراء العسكر وقالوا لبعضهم انا كنا بلغنا المراد و شفينا الفؤاد ولكن اعجابنا بكثرتنا هو الذي خذلنا فقالت لهم العجوز ذات الدواهي انه لاينفعكم الا انكم تتقربوا للمسيح وتتمسكوا بالاعتقاد الصحيح فوحق المسيح ما قوى عسكر المسلمين الا هذا الشيطان الملك شركان فقال الملك افريدون اني قد عولت في غد على ان اصف لهم الصفوف واخرج لهم الفارس المعروف لوقا بن شملوط فانه اذا برز الى الملك شركان قتله وقتل غيره من الابطال حتى لم يبق منهم احد وقد عولت في هذه الليلة على تقديسكم بالبخور الاكبر فلما سمعوا كلامه قبلوا الارض وكان البخور الذي اراده خرء البطريق الكبير ذي الانكار والنكير فانهم كانوا يتنافسون فيه ويستحسنون مساويه حتى كانت اكابر بطارقة الروم يبعثونه الى سائر اقاليم بلادهم فيخرق من الحرير ويمزجونه بالمسك والعبير فاذا وصل خبره الى الملوك يأخذون منه كل درهم بالف دينار حتى كان الملوك يرسلون في طلبه من اجل بخور العرائس وكانت البطارقة يخلطونه ببخرتهم فان خرء البطريق الكبير لايكفي عشرة اقاليم وكان خواص ملوكهم يجعلون قليلا منه في كحل العيون ويداوون به المريض والمبطون فلما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح وتبادرت الفرسان الى حمل الرماح وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للتسعين

قالت بلغني ايها الملك السعيد انه لما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح وتبادرت الفرسان الى حمل الرماح دعا الملك افريدون بخواص بطارقته وارباب دولته وخلع عليهم ونقش الصليب في

Digitized by Google

احد و قد زال عنا العناء و دام لنا الهناء فاستصوب الملك افريدون كلام العجوز و قال نعم الرأي رأيك ياسيدة العجائز الماكرة و مرجع الكهان في الفتن الثائرة وحين هجم عليهم عسكر الاسلام في ذلك الوادي لم يشعروا الا والنار تلتهب في الخيام و السيوف تعمل في الاجسام ثم اقبلت جيوش بغداد وخراسان وهم في مائة وعشرين الف فارس وفي اوائلهم ضوء المكان فلما رآهم عسكر الكفار الذين كانوا في البحر طلعوا اليهم من البحر وتبعوا اثرهم فلما رآهم ضوء المكان قال ارجعوا الى الكفار ياحزب النبي المختار و قاتلوا اهل الكفر و العدوان في طاعة الرحيم الرحمن و اقبل شركان بطائفة اخرى من عساكر المسلمين نحو مائة الف و عشرين الفا و كانت عساكر الكفار نحو الف الف و ستمائة الف فلما اختلط المسلمون بعضهم ببعض قويت قلوبهم ونادوا قائلين ان الله وعدنا بالنصر واوعد الكفار بالخذلان ثم تصادموا بالسيف و السنان و اخترق شركان الصفوف وهاج في الالوف وقاتل قتالا تشيب منه الاطفال ولم يزل يجول في الكفار ويعمل فيهم الصارم البتار وينادي الله اكبر حتى رد القوم الى ساحل البحر وكلت منهم الاجسام ونصر الله دين الاسلام والناس يقاتلون وهم سكارى بغير مدام وقد قتل من الكفار في هذه الوقعة خمسة واربعون الفا وقتل من المسلمين ثلثة آلاف وخمسمائة ثم ان اسد الدين الملك شركان لم ينم في تلك الليلة لاهو ولا اخوه ضوء المكان بل كانا يبشران الناس و يتفقدان الجرحى و يهنيانهم بالنصر والسلامة والثواب في القيامة هذا ماكان من امر المسلمين واما ماكان من امر الملك افريدون ملك القسطنطينية و ملك الروم وامه العجوز ذات الدواهي فانهم جمعوا

Digitized by Google

والتطم البحران ووقعت العين فى العين فاول من برز للقتال الوزير دندان هو وعساكر الشام وكانوا ثلثين الف عنان وكان مع الوزير مقدم الترك ومقدم الديلم رستم وبهرام في عشرين الف فارس وطلع من ورائهم رجال من صوب البحر المالح وهم لابسون زرد الحديد وقد صاروا فيه كالبد والسافرة في الليالي العاكرة وصارت عساكر النصارى ينادون يا عيسى ومريم والصليب المسخم ثم انطبقوا على الوزير دندان ومن معه من عساكر الشام وكان هذا كله بتدبير العجوز ذات الدواهي لان الملك اقبل عليها قبل خروجه وقال لها كيف العمل والتدبير وانت السبب في هذا الامر العسير فقالت اعلم ايها الملك الكبير والكاهن الخطيراني اشير عليك بامر يعجز عن تدبيره ابليس ولو استعان عليه بحزبه المتاعيس وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــــبـــــــاح

فلما كانت الليلة التاسعة والثمانون

قالت بلغني ايها الملك السعيدان هذا كله كان بتدبير العجوز لان الملك كان اقبل عليها قبل خروجه وقال لها كيف العمل والتدبير وانت السبب في هذا الامر العسير فقالت اعلم ايها الملك الكبير والكاهن الخطيراني اشير عليك بامر يعجز عن تدبيره ابليس ولو استعـــان عليه بحزبه المتاعيس وهو انك ترسل خمسين الفا من الرجال ينزلون في المراكب ويتوجهون في البحر الى ان يصلوا الى جبل الدخان ويقيمون هناك ولاير حلـون من ذلك المكان حتى تأتيكم اعلام الاسلام فدونكم واياهم ثم تخرج اليهم العساكر من البحر ويكونون خلفهم ونحن نقابلهم من البر فلا ينجو منهم

Digitized by Google

احوالهم فلما جاءهم الخبر كانوا قد جهزوا حالهم وجمعوا الجيوش وسارت في اوائلهم ذات الدوهي فلما وصلوا القسطنطينية سمع الملك الاكبر ملكهـــا افريدون بقدوم حردوب ملك الروم فخرج لملاقاته فلما اجتمع افريدون بملك الروم سأله عن حاله وعن سبب قدومه فاخبره بما عملته امه ذات الدواهي من الحيل وانها قتلت ملك المسلمين واخذت من عنده الملكة صفية وقالت ان المسلمين جمعوا عساكرهم وجاؤا ونريدان نكون جميعنا يدا واحدة ونلقاهم ففرح الملك افريدون بقدوم ابنته وقتل عمر بن النعمان وارسل الى سائر الاقاليم يطلب منه النجدة ويذكر لهم سبب قتل الملك عمر بن النعمان فهرعت اليه جيوش النصارى فمامر ثلثة شهور حتى تكاملت جيوش الروم ثم اقبلت الافرنج من ســـائر اطرافهـــا كالفر نسيس والنمسا ودوبرة وجورنه وبندقيه وجنويز وسائـــر عساكر بنى الاصفر فلما تكاملت العساكر وضاقت بهم الارض من كثرتهم امرهم الملك الاكبر افريدون ان يرحلوا عن القسطنطينية فرحلوا واستمر تتابع عساكرهم فى الرحيل عشرة ايام وساروا حتى نزلوا بوادي النعمان واسع الاطراف وكان ذلك الوادي قريبا من البحر المالح فاقاموا ثلثة ايام وفى اليوم الرابع ارادوا ان يرحلـــوا فاتتهم الاخبـــار بقدوم عساكر الاسلام وحُماة ملة خير الانام فاقاموا فيه ثلثة ايام اخرى وفى اليوم الرابع رأوا غبارا طار حتى سد الاقطـــار فلم تمض ساعة من النهار حتى انجلا ذلك الغبـــار وتمزق الى الجو وطار ومحت ظلمته كواكب الاسنة والرماح وبريق بيض الصفاح وبان من تحته رايات اسلامية واعلام محمدية واقبلت الفرسان كاندفاع البحـــار في دروع تحسبها سحبا مزردة على اقمار فعند ذلك تقابل الجيشان

Digitized by Google

و السلامة فحمدت الله تعالى و شكرته ورجع شركان الى اخيه يشاوره في امر الرحيل فقال له يا اخي لما تتكامل العساكر و تأتى العربان من كل مكان ثم امر بتجهيز الميرة واحضار الذخيرة ودخل ضوء المكان الى زوجته وكان مضى لها خمسة اشهـــر و جعل ارباب الاقلام و اهل الحساب تحت طاعتها ورتب لهم الجرايات والجوامك وسافر في ثالث شهر من حين نزول عسكر الشام بعد ان قدمت العربان و جميع العساكر من كل مكان و سارت الجيوش و العساكر و تتابعت الجحافل و كان اسم رئيس عسكر الديلم رستم واسم رئيس عسكر الترك بهرمان وصار ضوء المكان في وسط الجيوش وعن يمينه اخوه شركان وعن يساره الحاجب صهره ولم يزالوا سائرين مدة شهر وكل جمعة ينزلون في مكان ويستريحون فيه ثلثة ايام لان الخلق كثير ولم يزلوا سائرين على هذه الحالة حتى وصلـــوا الى بلاد الروم فنفرت اهل القرى و الضياع و الصعاليك وفروا الى القسطنطينية فلمـــا سمع افريدون ملكهم بخبرهـــم قام و توجه الى ذات الدواهي فانها هي التي دبرت الحيل و سافرت الى بغداد حتى قتلت الملك عمر بن النعمان ثم اخذت جواريها والملكة صفية و رجعت بالجميع الى بلادها فلما رجعت الى ولدها ملك الروم وأمنت على نفسها قالت لا بنها قرّعينا فقد اخذت لك بثأر ابنتك ابريزة وقتلت الملك عمر بن النعمان و جئت بصفية فقم الآن و ارحل الى ملك القسطنطينية ورد عليه صفية ابنته واعلمه بما جرى حتى يكون جميعنا على حذر و نتجهز باهبة واسافرانا معك الى الملك افريدون ملك القسطنطينية واظن ان المسلمين لا يثبتون على قتالنا فقال لها امهلي الى ان يقربوا من بلادنا حتى نجهز احوالنا ثم اخذوا في جمع رجالهم وتجهيز

Digitized by Google

و ترجل شركان و مشى خطوات فلما صاريين يدي ضوءالمكان رمى ضوءالمكان نفسه عليه فاحتضنه شركان الى صدره وبكيا بكاءا شديدا و عزى بعضهما بعضا ثم ركب الاثنان و سارا و سارالعسكر معهما الى ان اشرفوا على بغداد و نزلوا ثم طلع ضوءالمكان هو و اخوه شركان الى قصر الملك و با تا تلك الليلة و عند الصباح خرج ضوءالمكان و امر ان يجمعوا العساكر من كل جانب و ينادوا بالغزو و الجهاد ثم اقاموا ينتظرون مجيء الجيوش من سائر البلدان وكل من حضر يكرمونه و يعدونه بالجميل الى ان مضى على ذلك الحال مدة شهر كامل والقوم ياتون افواجا متتابعة ثم قال شركان لاخيه يا اخي اعلمني بقضيتك فاعلمه بجمع ما وقع له من الاول الى الآخر و بما صنعه معه الوقاد من المعروف فقال شركان اما كافأته على معروفه فقال له يا اخي ما كافأته الى الآن ولكن اكافئه ان شاءالله تعالى لما ارجع من الغزوة و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــاح

فلما كانت الليلة الثامنة والثمانون

قالت بلغني ايها الملك السعيدان شركان قال لاخيه ضوءالمكان اما كافأت الوقاد على معروفه فقال له يا اخي ما كافئته الى الآن و لكن اكافئه ان شاءالله تعالى لما ارجع من الغزوة و اتفرغ له فعند ذلك عرف شركان ان اخته الملكة نزهة الزمان صادقة في جميع ما اخبرته به ثم كتم امره و امرها و ارسل اليها السلام مع الحاجب زوجها فبعثت له ايضا معه السلام ودعت له و سألت عن ابنتها قضى فكان فاخبرها انها في عافية و انها في غاية ما يكون من الصحة

Digitized by Google

و السلامة فحمدت الله تعالى و شكرته ورجع شركان الى اخيه يشاوره في امر الرحيل فقال له يا اخي لما تتكامل العساكر و تأتى العربان من كل مكان ثم امر بتجهيز الميرة واحضار الذخيرة ودخل ضوء المكان الى زوجته وكان مضى لها خمسة اشهـــر و جعل ارباب الاقلام و اهل الحساب تحت طاعتها ورتب لهم الجرايات والجوامك وسافر في ثالث شهر من حين نزول عسكر الشام بعد ان قدمت العربان و جميع العساكر من كل مكان و سارت الجيوش و العساكر و تتابعت القوافل و كان اسم رئيس عسكر الديلم رستم واسم رئيس عسكر الترك بهرمان وصار ضوء المكان في وسط الجيوش وعن يمينه اخوه شركان وعن يساره الحاجب صهره ولم يزالوا سائرين مدة شهر وكل جمعة ينزلون في مكان ويستريحون فيه ثلثة ايام لان الخلق كثير ولم يزلوا سائرين على هذه الحالة حتى و صلـــوا الى بلاد الروم فنشرت اهل القرى و الضياع و الصعا ليك وفروا الى القسطنطينية فلمـــا سمع افريدون ملكهم بخبرهـــم قام و توجه الى ذات الدواهي فانها هي التي دبرت الحيل و سافرت الى بغداد حتى قتلت الملك عمر بن النعمان ثم اخذت جواريها والملكة صفية ورجعت بالجميع الى بلادها فلما رجعت الى ولدها ملك الروم وأمنت على نفسها قالت لا بنها قرّعينا فقد اخذت لك بثأر ابنتك ابريزة وقتلت الملك عمر بن النعمان و جئت بصفية فقم الآن و ارحل الى ملك القسطنطينية و رد عليه صفية ابنته واعلمه بما جرى حتى يكون جميعنا على حذر و نتجهز باهبة و اسافرانا معك الى الملك افريدون ملك القسطنطينية واظن ان المسلمين لا يثبتون على قتالنا فقال لها امهلي الى ان يقربوا من بلادنا حتى نجهز احوالنا ثم اخذوا في جمع رجالهم وتجهيز

Digitized by Google

و ترجل شركان و مشى خطوات فلما صاريين يدي ضوءالمكان رمى ضوءالمكان نفسه عليه فاحتضنه شركان الى صدره وبكيا بكاء شديدا و عزى بعضهما بعضا ثم ركب الاثنان و سارا و سارالعسكر معهما الى ان اشرفوا على بغداد و نزلوا ثم طلع ضوءالمكان هو و اخوه شركان الى قصر الملك و با تا تلك الليلة و عند الصباح خرج ضوءالمكان و امر ان يجمعوا العساكر من كل جانب و ينادوا بالغزو و الجهاد ثم اقاموا ينتظرون مجيء الجيوش من سائر البلدان وكل من حضر يكرمونه و يعدونه بالجميل الى ان مضى على ذلك الحال مدة شهر كامل والقوم ياتون افواجا متتابعة ثم قال شركان لاخيه يا اخي اعلمني بقضيتك فاعلمه بجمع ما وقع له من الاول الى الآخر و بما صنعه معه الوقاد من المعروف فقال شركان اما كافأته على معروفه فقال له يا اخي ما كافأته الى الآن ولكن اكافئه ان شاءالله تعالى لما ارجع من الغزوة و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــاح

فلما كانت الليلة الثامنة والثمانون

قالت بلغني ايها الملك السعيدان شركان قال لاخيه ضوءالمكان اما كافأت الوقاد على معروفه فقال له يا اخي مـا كافئته الى الآن و لكن اكافئه ان شاءالله تعالى لمـا ارجع من الغزوة و اتفرغ له فعند ذلك عرف شركان ان اخته الملكة نزهة الزمان صادقة في جميع ما اخبرته به ثم كتم امره و امرها و ارسل اليها السلام مع الحاجب زوجها فبعثت له ايضـا معه السلام ودعت له و سألت عن ابنتها قضى فكان فاخبرها انها في عافية و انها في غاية ما يكون من الصحة

Digitized by Google

قصر ابيه و جلس على السرير و وقف امراء العسكر والوزير دندان و حاجب دمشق بين يديه فعند ذلك امر كاتب السرّان يكتب كتابا الى اخيه شركان و يذكر فيه ما جرى من الاول الى الآخر و يذكر في آخره و ساعة و توفك على هذا المكتوب تجهز امرك وتحضر بعسكرك حتى نتوجه الى غزو الكفار ونأخذ لوالدنا منهم الثأر ونكشف عنا العار ثم طوى الكتاب و ختمه وقال للوزير دندان ما يتوجه بهذا الكتاب الا انت ولكن ينبغي ان تتلطف به في الكلام و تقول له ان اردت ملك ابيك فهو لك و اخوك يكون نائبا عنك في دمشق كما اخبرنا بذلك فنزل الوزير دندان من عنده و تجهز للسفر ثم ان ضوء المكان امر ان يجعلوا للوقاد مكانا فاخرا و يفرشوه باحسن الفرش و ذلك الوقاد له حديث طويل ثم ان ضوء المكان خرج يوما الى الصيد والقنص و عاد الى بغداد فقدم له بعض الامراء من الخيول الجياد و من الجواري الحسان ما يعجز عن وصفه اللسان فاعجبته جارية منهن فاستخلى بها و دخل عليها في تلك الليلة فعلقت منه من ساعتها و بعد مدة رجع الوزير دندان من سفره واخبره بخبر اخيه شركان و انه قادم عليه و قال له ينبغي ان تخرج و تلاقيه فقال له ضوء المكان سمعا و طاعة فخرج اليه مع خواص دولته من بغداد مسيرة يوم ثم نصب خيامه هناك لانتظار اخيه و عند الصباح اقبل الملك شركان في عساكر الشام ما بين فارس مقدام و اسد ضرغام و بطل مصدام فلما اشرفت الكتائب و قدمت السحائب و اقبلت العصائب و خفقت اعلام المواكب توجه شركان هو ومن معه لملاقاتهم فلما عاين ضوء المكان اخاه اراد ان يترجل اليه فاقسم عليه شركان ان لا يفعل ذلك

Digitized by Google

هو واخته نزهة الزمان و بكى الحاجب ايضا ثم قال الحاجب لضوء المكان ايها الملك ان البكاء لايفيدك شيأً ولايفيدك الا انك تشد قلبك وتقوي عزمك وتؤيد مملكتك ومن خلف مثلك ما مات فعند ذلك سكت عن بكائه وامر بنصب السرير خارج الدهليز ثم امران يعرضوا عليه العساكر ووقف الحاجب بجانبه وجميع السلحدارية من ورائه و وقف الوزير دندان قدامه ووقف كلواحد من الامراء وارباب الدولة في مرتبته ثم ان الملك ضوء المكان قال للوزير دندان اخبرني بخزائن ابي فقال سمعا و طاعة واخبره بخزائن الاموال وبما فيها من الذخائر و الجواهر و عرض عليه ما في خزنته من الاموال فانفق على العساكر وخلع على الوزير دندان خلعة سنية و قال له انت في مكانك فقبل الارض بين يديه و دعا له بالبقاء ثم خلع على الامراء ثم انه قال للحاجب اعرض علَى الذي معك من خراج دمشق فعرض عليه صناديق المال والتحف والجواهر فاخذها و فرقها على العساكر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثمانون

قالت بلغني ايها الملك السعيدان ضوءالمكان امر الحاجب ان يعرض عليه ما اتى به من خراج دمشق فعرض عليه صناديق المال والتحف والجواهر فاخذها و فرقها علىالعساكر و لم يبق منها شيأً ابدا فقبل الامراء الارض بين يديه و دعوا له بطول البقاء و قالوا ما راينا ملكا يعطي مثل هذه العطايا ثم انهم مضوا الى خيامهم فلما اصبحوا امرهم بالسفر فسافروا ثلثة ايام و فىاليوم الرابع اشرفوا على بغداد ودخلوا المدينة فوجدوها قد تزينت و طلع السلطان ضوءالمكان

Digitized by Google

فلم يخرج من الخلوة فقلنا لعلّه تعبان من الحمام ومن سهر الليل وصيام النهار فبسبب ذلك نام فانتظرناه ثاني يوم فلم يخرج فوقفنا بباب الخلوة واعلنّا برفع الصوت لعلّه ينتبه ويسأل عن الخبر فلم يحصل منه ذلك فخلعنا الباب ودخلنا عليه فوجدناه قد تمزق وهرّأ لحمه وتفتت عظمه فلما رأيناه على هذه الحالة عظم علينا ذلك واخذنا الكأس فوجدنا في غطائه قطعة ورق مكتوبا فيها من اسماء لايستوحش منه وهذا جزاء من يتحيل على بنات الملوك ويفسدهن والذي نعلّم به كل من وقف على هذه الورقة ان شركان لما جاء الى بلادنا قد افسد علينا الملكة ابريزه وماكفاه ذلك حتى اخذها من عندنا وجاء بها اليكم ثم ارسلها مع عبد اسود فقتلها ووجدناها مقتولة فى الخلاء مطروحة على الارض فهذا ما هو فعل الملوك وما جزاء من يفعل هذا الفعل الا ماحلّ به وانتم لاتتهموا احدا بقتله فما قتله الا العاهرة الشاطرة التي اسمها ذات الدواهي وها انا اخذت زوجة الملك صفية ومضيت بها الى والدها افريدون ملك القسطنطينية ولا بدان نغزوكم ونقتلكم ونأخذ منكم الديار فتهلكون عن آخركم ولا يبقى منكم ديّار ولا من ينفخ النار الّا من يعبد الصليب والزنار فلما قرأنا هذه الورقة علمنا ان العجوز خدعتنا وتمت حيلتها علينا فعند ذلك صرخنا ولطمنا على وجوهنا وبكينا فلم يفدنا البكاء شيأ واختلفت العساكر فيمن يجعلونه سلطانا عليهم فمنهم من يريدك ومنهم من يريد اخاك شركان ولم نزل في هذا الاختلاف مدة شهر ثم جمعنا بعضنا واردنا ان نمضى الى اخيك شركان فسافرنا الى ان وجدناك وهذا سبب موت السلطان عمر بن النعمان فلما فرغ الوزير دندان من كلامه بكي ضوء المكان

Digitized by Google

لها عندي جارية رومية اسمها صفية ورزقت منها بولدين انثى وذكر ولكنهما فقدا من منذ سنين فخذيها معهن لاجل ان تحصل لها البركة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثمانون

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الوزير دندان قال لضوء المكان ان اباك قال للعجوز لما طلبت منه الجواري ان عندي جارية رومية اسمها صفية ورزقت منها بولدين انثى وذكر ولكنهما فقدا من منذ سنين فخذيها معك لاجل ان تحصل لها البركة ولعل رجال الغيب ان يدعوا الله لها بان يرد عليها ولديها ويجمع شملها بهما فقالت العجوز نعم ما قلت وكان ذلك اعظم غرضها ثم ان والدك اخذ في تمام صيامه فقالت له يا ولدي اني متوجهة الى رجال الغيب فاحضرلي صفية فدعابها فحضرت في ساعتها فسلمها الى العجوز فخلطتها بالجواري ثم دخلت العجوز مخدعها وخرجت للسلطان بكأس مختوم وناولته له وقالت له اذا كان يوم الثلثين فادخل الحمام ثم اخرج منه وادخل خلوة من الخلاوى التي في قصرك واشرب هذا الكأس ونم فقد نلت ما تطلب والسلام مني عليك فعند ذلك فرح الملك وشكرها وقبل يديها فقالت له استودعتك الله فقال لها ومتى اراك ايتها السيدة الصالحة فاني اودّ ان لا افارقك فدعت له وتوجهت ومعها الجواري والملكة صفية وقعد الملك بعد ها ثلثة ايام ثم هلّ الشهر فقام الملك ودخل الحمام وخرج من الحمام ودخل الخلوة التي في القصر وامران لايدخل عليه احد ورد الباب عليه ثم شرب الكأس ونام ونحن قاعدون في انتظاره الى آخر النهار

Digitized by Google

فوجد له في فؤاده فعلا جميلا وفى العشرة ايام الثانية من الشهر جاءت العجوز ومعها حلاوة في ورق اخضر لايشبه ورق الشجر فدخلت على والدك وسلمت عليه فلما رآها قام لها وقال لها مرحبا بالسيدة الصالحة فقالت له ايها الملك ان رجال الغيب يسلمون عليك لاني اخبرتهم عنك ففرحوا بك وارسلوا معي هذه الحلاوة وهي من حلاوة الآخرة فافطر عليها في آخر النهار ففرح والدك فرحا زائدا وقال الحمد لله الذي جعل لي اخوانا من رجال الغيب ثم شكر العجوز وقبل يديها واكرمها واكرم الجواري غاية الاكرام ثم مضت مدة عشرين يوما وابوك صائم وعند رأس العشرين يوما اقبلت عليه العجوز وقالت له ايها الملك اعلم اني اخبرت رجال الغيب بما بيني وبينك من المحبة واعلمتهم باني تركت الجواري عندك ففرحوا حيث كانت الجواري عند ملك مثلك لانهم كانوا اذا رأوهن يبالغون لهن فى الدعاء المستجاب فاريدان اذهب بهن الى رجال الغيب لتحصل نفحاتهم لهن وربما انهن لايرجعن اليك الا ومعهن كنز من كنوز الارض حتى انك بعد تمام صومك تشتغل بكسوتهن وتستعين بالمال الذي يأتينك به على اغراضك فلما سمع والدك كلامها شكرها على ذلك وقال لها لولا اني اخشى مخالفتي لك مارضيت بالكنز ولا غيره ولكن متى تخرجين بهن فقالت له فى الليلة السابعة والعشرين وارجع بهن اليك في رأس الشهر وتكون انت قداوفيت الصوم وحصل استبراؤهن وصرن لك وتحت امرك والله ان كل جارية منهن ثمنها اعظم من ملكك مرات فقال لها وانا اعرف ذلك ايتها السيدة الصالحة فقالت له بعد ذلك ولابدان ترسل معهن من يعزّ عليك من تصرك حتى يجد الانس ويلتمس البركة من رجال الغيب فقال

Digitized by Google

ايها الملك اعلم ان ثمن هذه الجواري فوق ما تتعامل به الناس فانّي لا اطلب فيهن ذهبا ولا فضة ولا جواهر قليلا كان ذلك اوكثيرا فلما سمع والدك كلامها تعجب و قال ايتها السيدة وما ثمنهن قالت ما ابيعهن لك الابصيام شهر كامل تصوم نهاره و تقوم ليله لوجه الله تعالى فان فعلت ذلك فهن ملك لك في تصرك تصنع بهن ما شئت فتعجب الملك من كمال صلاحها وزهدها و ورعها و عظمت في عينه و قال نفعنا الله بهذه المرأة الصالحة ثم اتفق معها على انه يصوم الشهر كما اشترطته عليه فقالت له و انا اعينك بدعوات ادعو بهن لك فاتتني بكوز ماء فاتاها بكوز ماء فاخذته و قرأت عليه و همهمت و قعدت ساعة تتكلم بكلام لا نفهمه ولا نعرف منه شيأ ثم غطته بخرقة وختمته و ناولته لوالدك و قالت له اذا صمت العشرة الاولى فافطر في الليلة الحادية عشر على ما في هذا الكوز فانه ينزع حب الدنيا من قلبك و يملاؤه نورا و ايمانا و في غد اخرج الى اخواني و هم رجال الغيب فاني اشتقت اليهم ثم اجيء اليك اذا مضت العشرة الاولى فاخذ والدك الكوز ثم نهض و انفرد له خلوة في القصر و وضع الكوز فيها واخذ مفتاح الخلوة في جيبه فلما كان النهار صام السلطان و خرجت العجوز الى حال سبيلها و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثمانون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان فلما كان النهار صام السلطان وخرجت العجوز الى حال سبيلها واتم الملك صوم العشرة ايام وفي اليوم الحادي عشر فتح الكوز وشربه

Digitized by Google

ومن كلام سفيان الثوري فيما اوصى به علي ابن الحسن السلمي عليك بالصدق و اياك و الكذب و الخيانة و الرياء و العجب فان العمل الصالح يحبطه الله بخصلة من هذه الخصال ولا تأخذ دينك الاعن من هو مشفق على دينه وليكن جليسك من يزهدك فى الدنيا و اكثر ذكر الموت و اكثر الاستغفار و اسأل الله السلامة فيما بقي من عمرك و انصح كل مؤمن اذا سألك عن امر دينه و اياك ان تخون مؤمنا فان من خان مؤمنا فقد خان الله ورسوله واياك والجدال و الخصام و دع ما يريبك الى مالا يريبك تكن سليما و أمر بالمعروف و انه عن المنكر تكن حبيب الله و احسن سريرتك يحسن الله علانيتك و اقبل المعذرة ممن اعتذر اليك ولا تبغض احدا من المسلمين وصل من قطعك و اعف عمن ظلمك تكن رفيق الانبياء و ليكن امرك مفوضا الى الله فى السر والعلانية و اخش الله خشية من قد علم انه ميت و مبعوث و صائر الى الحشر والوقوف بين يدى الجبار و اذكر مصيرك الى احدى الدارين اما جنة عالية و اما نار حامية ثم ان العجوز جلست الى جانب الجواري فلما سمع والدك المرحوم كلامهن علم انهن افضل اهل زمانهن و رأى حسنهن و جمالهن وزيادة ادبهن فأواهن اليه واقبل على العجوز فاكرمها و اخلى لها ولجواريها القصر الذي كانت فيه الملكة ابريزة بنت ملك الروم ونقل اليهن ما يحتجن اليه من الخيرات فاقمن عنده عشرة ايام والعجوز معهن وكلما دخل عليها يجدها معتكفة على صلوتها و قيامها في ليلها وصيامها في نهارها فوقع في قلبه محبتها و قال لي يا وزير ان هذه العجوز من الصالحات وقد عظمت في قلبي مهابتها فلما كان اليوم الحادي عشر اجتمع بها من جهة دفع ثمن الجواري اليها فقالت له

Digitized by Google

قلت بلى قال كن في الدنيا زاهدا وفي الآخرة راغبا واصدق في جميع امورك تنج مع الناجين ثم مضى فسألت عنه فقيل لي هذا الامام الشافعي وكان الامام الشافعي يقول وددت ان الناس ينتفعون بهذا العلم على ان لاينسب اليّ منه شيء وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثمانون

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الوزير دندان قال لضوء المكان قالت العجوز لوالدك كان الامام الشافعي يقول وددت ان الناس ينتفعون بهذا العلم على ان لا ينسب اليّ منه شيء وقال ما ناظرت احدا الا احببت ان يوفّقه الله تعالى للحق ويعينه على اظهاره وما ناظرت احدا قطّ الا لاجل اظهار الحق وما ابالي ان يبيّن الله الحق على لساني او على لسانه وقال رضي الله عنه اذا خفت على علمك العجب فاذكر رضى من تطلب وفي اي نعيم ترغب ومن اي عقاب ترهب وقيل لابي حنيفة ان امير المؤمنين ابا جعفر المنصور قد جعلك قاضيا ورسم لك بعشرة آلاف درهم فما رضي فلما كان اليوم الذي توقع ان يؤتى اليه فيه بالمال صلى الصبح ثم تغشى بثوبه فلم يتكلم ثم جاءه رسول امير المؤمنين بالمال فلما دخل عليه وخاطبه فلم يكلمه فقال له رسول الخليفة ان هذا المال حلال فقال اعلم انه حلال لي ولكن اكره ان يقع في قلبي مودة الجبابرة فقال له لو دخلت اليهم وتحفظت من ودهم قال هل أ امن ان الج البحر ولا تبتل ثيابي ومن كلام الشافعي رضي الله تعالى عنه

اَلَا يَانَفْسُ اَنْ تَرْضَى بِقَوْلِي ... فَاَنْتِ عَزِيزَةٌ اَبَدًا بِغَيْهِ
دَعِي عَنْكَ الْمَطَامِعَ وَالْاَمَانِي ... فَكَمْ اُمْنِيَّةٍ جَلَبَتْ مَنِيَّه

Digitized by Google

والثاني للنوم والثالث للتهجد وكان الامام ابو حنيفة يحيي نصف الليل فاشار اليه انسان وهو يمشي وقال لآخران هذا يحيي الليل كلّه فلما سمع ذلك قال اني استحي من الله ان اوصف بماليس فيّ فصار بعد ذلك يحيي الليل كلّه وقال الربيع كان الشافعي يختم القرآن في شهر رمضـــان سبعين مرة كل ذلك فى الصلوة وقال الشافعى رضي الله عنه ما شبعت من خبز الشعير عشـــرسنين لان الشبع يقسى القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن القيام وروي عن عبد الله بن محمد السكري انه قال كنت انا وعمر نتحدّث فقال لي ما رأيت اورع ولا افصح من محمد بن ادريس الشافعي واتفق انني خرجت انا والحارث بن لبيب الصفار وكان الحارث تلميذ المزني وكان صوته حسنا فقرأ قوله تعالى هذا يوم لاينطقون ولا يؤذن لهـــم فيعتذرون فرأيت الامام الشافعي تغير لونه واقشعر جلده واضطرب اضطرابا شديدا وخر مغشيا عليه فلما افاق قال اعوذ بالله من مقام الكذابين واعراض الغافلين اللهـــم لك خشعت قلوب العارفين اللهم هب لي غفران ذنوبي من جودك وجملني بسترك واعف عن تقصيري بكـــرم وجهك ثم قمت وانصرفت وقال بعض الثقاة فلما دخلت بغداد كان الشافعي بها فجلست على الشاطئ لاتوضأ للصلوة اذمربي انسان فقال لي ياغلام احسن وضوءك يحسن الله اليك فى الدنيا والآخرة فالتفت واذا برجل يتبعه جماعة فاسرعت في وضوئي وجعلت اقفو اثره فالتفت اليّ وقال هل لك من حاجة فقلت نعم تعلمني مما علمك الله تعالى فقال اعلم ان من صدق الله نجا ومن اشفق على دينه سلم من الردى ومن زهد فى الدنيا قرت عيناه غدا افلا ازيدك

ياشاب و لكن انت ضيفي و اكرام الضيف عادتي و عادة آبائي باطعام الطعام فجلس موسى فاكل ثم ان شعيبا استأجر موسى ثماني حِجَج اي سنين و جعل اجرته على ذلك تزويجة احدى بنتيه و كان عمل موسى لشعيب صداقا لها كما قال تعالى حكاية عنه إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ و قال رجل لبعض اصحابه و كان له مدة لم يره انك اوحشتني لانني ما رأيتك من منذ زمان قال اشتغلت عنك بابن شهاب اتعرفه قال نعم هو جاري من منذ ثلثين سنة الا انني لم اكلمه قال له انك نسيت الله فنسيت جارك و لو احببت الله لاحببت جارك اما علمت ان للجار على الجار حق كحق القرابة و قال حذيفة دخلنا مكة مع ابراهيم بن ادهم وكان شقيق البلخي قد حج في تلك السنة فاجتمعنا في الطواف فقال ابراهيم لشقيق ملشانكم في بلادكم فقال شقيق اننا اذا رزقنا اكلنا و اذا جعنا صبرنا فقال كذا تفعل كلاب بلخ ولكننا اذا رزقنا آثرنا و اذا جُعنا شكرنا فجلس شقيق بين يدي ابراهيم و قال له انت استاذي و قال محمد بن عمران سأل رجل حاتما الاصم فقال ما امرك في التوكل على الله تعالى قال على خصلتين علمت ان رزقي لا يأكله غيري فاطمأنت نفسي به و علمت اني لم اخلق من غير علم الله فاستحييت منه ثم تأخرت الجارية الخامسة و تقدمت العجوز و قبلت الارض بين يدي الملك تسع مرات وقالت قد سمعت ايها الملك ما تكلم به الجميع في باب الزهد و انا تابعة لهن فاذكر بعض ما بلغني عن اكابر المتقدمين قيل كان الامام الشافعي يقسم الليل ثلثة اقسام الثلث الاول للعلم

Digitized by Google

الجارية الخامسة وقالت وها انا اذكر بعض ما يحضرني من اخبار السلف الصالح كان مسلمة بن دينار يقول عند تصحيح الضمائر تغفر الصغائر والكبائر واذا عزم العبد على ترك الآثام اتاه الفتوح وقال كل نعمة لا تقرب الى الله فهي بلية وقليل الدنيا يشغل عن كثير الآخرة وكثيرها ينسيك قليلها وسئل ابو حازم من ابسر الناس فقال رجل اذهب عمره في طاعة الله قال فمن احمق الناس قال رجل باع آخرته بدنيا غيره وروي ان موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين قال رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ فسأل موسى ربه ولم يسأل الناس وجاءت الجاريتان فسقى لهما ولم تصدر الرعاء فلما رجعتا اخبرتا ابا هما شعيبا عليه السلام فقال لعله جائع ثم قال لاحدهما ارجعي اليه وادعيه فلما اتته غطت وجهها وقالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ماسقيت لنا فكره موسى ذلك وارادان لايتبعها وكانت امرأة ذات عجز فكانت الريح تضرب ثوبها فيظهر لموسى عجزها فيغض بصره ثم قال لها كوني خلفي وانا امامك فمشت خلفه حتى دخل على شعيب عليه السلام والعشاء مهيء وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الثالثة والثمانون

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الوزير دندان قال لضوء المكان وقالت الجارية الخامسة لوالدك فدخل موسى عليه السلام على شعيب والعشاء مهيء فقال شعيب لموسى ياموسى اني اريدان اعطيك اجرة ماسقيت لهما فقال موسى انا من اهل بيت لا نبيع شيأ من عمل الآخرة بما على الارض من ذهب وفضة فقال شعيب

Digitized by Google

احمد بن حنبل وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثمانون

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الوزير دندان قال لضوء المكان ان الجارية قالت لوالدك ان اخت بشر الحافي قصدت احمد بن حنبل فقالت له يا امام الدين انا قوم نغزل بالليل ونشتغل بمعاشنا في النهار ور بما تمر بنا مشاعل ولاة بغداد ونحن على السطح نغزل في ضوئها فهل يحرم علينا ذلك قال لها من انت قالت اخت بشر الحافي فقال يا اهل بشر لا ازال استشف الورع من قلوبكم وقال بعض العارفين اذا اراد الله بعبد خيرا فتح عليه باب العمل وكان مالك ابن دينار اذا مر في السوق ورأى ما يشتهيه يقول يا نفس صابري فلا اوافقك على ما تريدين وقال رضي الله عنه سلامة النفس في مخالفتها وبلاؤها في متابعتها وقال منصور بن عمار حججت حجة فقصدت مكة من طريق الكوفة وكانت ليلة مظلمة واذا بصارخ يصرخ في جوف الليل ويقول الهي وعزتك وجلالك ما اردت بمعصيتي مخالفتك وما انا جاهل بك ولكن خطيئة قضيتها عليّ في قديم ازلك فاغفرلي ما فرط مني فاني قد عصيتك بجهلي فلما فرغ من دعائه تلا هذه الآية يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة فسمعت سقطة لم اعرف لها حقيقة فمضيت فلما كان الغد مشينا الى مدرجنا واذا بجنازة خرجت ووراءها عجوز ذهبت توتها فسألتها عن الميت فقالت هذه جنازة رجل كان مربّنا البارحة وولدي قائم يصلّي فتلا آية من كتاب الله تعالى فانفطرت مرارة ذلك الرجل فوقع ميتا ثم تأخرت الجارية الرابعة وتقدمت

Digitized by Google

والثاني للنوم والثالث للتهجد وكان الامام ابو حنيفة يحيي نصف الليل فاشار اليه انسان وهو يمشي وقال لآخران هذا يحيي الليل كلّه فلما سمع ذلك قال اني استحي من الله ان اوصف بماليس فيّ فصار بعد ذلك يحيي الليل كلّه وقال الربيع كان الشافعي يختم القرآن في شهر رمضان سبعين مرة كل ذلك في الصلوة وقال الشافعي رضي الله عنه ما شبعت من خبز الشعير عشرسنين لان الشبع يقسى القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن القيام وروي عن عبد الله بن محمد السكري انه قال كنت انا وعمر نتحدّث فقال لي ما رأيت اورع ولا افصح من محمد بن ادريس الشافعي واتفق انني خرجت انا والحارث بن لبيب الصفار وكان الحارث تلميذ المزني وكان صوته حسنا فقرأ قوله تعالى هذا يوم لاينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فرأيت الامام الشافعي تغير لونه واقشعر جلده واضطرب اضطرابا شديدا وخر مغشيا عليه فلما افاق قال اعوذ بالله من مقام الكذابين واعراض الغافلين اللهم لك خشعت قلوب العارفين اللهم هب لي غفران ذنوبي من جودك وجملني بسترك واعف عن تقصيري بكرم وجهك ثم قمت وانصرفت وقال بعض الثقاة فلما دخلت بغداد كان الشافعي بها فجلست على الشاطئ لاتوضأ للصلوة اذمربي انسان فقال لي ياغلام احسن وضوءك يحسن الله اليك فيالدنيا والآخرة فالتفت واذا برجل يتبعه جماعة فاسرعت في وضوئي وجعلت اقفو اثره فالتفت اليّ وقال هل لك من حاجة فقلت نعم تعلمني مما علمك الله تعالى فقال اعلم ان من صدق الله نجا ومن اشفق على دينه سلم من الردى ومن زهد في الدنيا قرت عيناه غدا افلا ازيدك

Digitized by Google

ياشاب و لكن انت ضيفي و اكرام الضيف عادتي و عادة آبائي باطعام الطعام فجلس موسى فاكل ثم ان شعيبا استأجر موسى ثماني حِجَج اي سنين و جعل اجرته على ذلك تزويجة احدى بنتيه و كان عمل موسى لشعيب صداقا لها كما قال تعالى حكاية عنه إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ و قال رجل لبعض اصحابه و كان له مدة لم يره انك اوحشتني لانني ما رأيتك من منذ زمان قال اشتغلت عنك بابن شهاب اتعرفه قال نعم هو جاري من منذ ثلثين سنة الاانني لم اكلمه قال له انك نسيت الله فنسيت جارك ولو احببت الله لاحببت جارك اما علمت ان للجار على الجار حق كحق القرابة و قال حذيفة دخلنا مكة مع ابراهيم بن ادهم وكان شقيق البلخي قد حج في تلك السنة فاجتمعنا في الطواف فقال ابراهيم لشقيق ملشانكم في بلادكم فقال شقيق اننا اذا رزقنا اكلنا و اذا جعنا صبرنا فقال كذا تفعل كلاب بلخ ولكننا اذا رزقنا آثرنا و اذا جُعنا شكرنا فجلس شقيق بين يدي ابراهيم و قال له انت استاذي و قال محمد بن عمران سأل رجل حاتما الاصم فقال ما امرك في التوكل على الله تعالى قال على خصلتين علمت ان رزقي لايأكله غيري فاطمأنت نفسي به و علمت اني لم اخلق من غير علم الله فاستحيت منه ثم تأخرت الجارية الخامسة و تقدمت العجوز و قبلت الارض بين و الدك تسع مرات وقالت قد سمعت ايها الملك ما تكلم به الجميع في باب الزهد و انا تابعة لهن فاذكر بعض ما بلغني عن اكابر المتقدمين قيل كان الامام الشافعي يقسم الليل ثلثة اقسام الثلث الاول للعلم

Digitized by Google

الجارية الخامسة وقالت وها انا اذكر بعض ما يحضرني من اخبار السلف الصالح كان مسلمة بن دينار يقول عند تصحيح الضمائر تغفر الصغائر والكبائر واذا عزم العبد على ترك الآثام اتاه الفتوح وقال كل نعمة لا تقرب الى الله فهي بلية وقليل الدنيا يشغل عن كثير الآخرة وكثيرها ينسيك قليلها وسئل ابو حازم من ابسر الناس فقال رجل اذهب عمره في طاعة الله قال فمن احمق الناس قال رجل باع آخرته بدنيا غيره وروي ان موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين قال رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ فسأل موسى ربه ولم يسأل الناس وجاءت الجاريتان فسقى لهما ولم تصدر الرعاء فلما رجعتا اخبرتا ابا هما شعيبا عليه السلام فقال لعله جائع ثم قال لاحدهما ارجعي اليه وادعيه فلما اتته غطت وجهها وقالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ماسقيت لنا فكره موسى ذلك وارادان لايتبعها وكانت امرأة ذات عجز فكانت الريح تضرب ثوبها فيظهر لموسى عجزها فيغض بصره ثم قال لها كوني خلفي وانا امامك فمشت خلفه حتى دخل على شعيب عليه السلام والعشاء مهيء وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الثالثة والثمانون

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الوزير دندان قال لضوء المكان وقالت الجـــارية الخامسة لوالدك فدخل موسى عليه السلام على شعيب والعشاء مهيء فقال شعيب لموسى ياموســـى اني اريدان اعطيك اجرة مناسقيت لهما فقال موسى انا من اهل بيت لا نبيع شيأ من عمل الآخرة بما على الارض من ذهب وفضة فقال شعيب

Digitized by Google

احمد بن حنبل وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثمانون

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الوزير دندان قال لضوء المكان ان الجارية قالت لوالدك ان اخت بشر الحافي قصدت احمد بن حنبل فقالت له يا امام الدين انا قوم نغزل بالليل ونشتغل بمعاشنا في النهار وربما تمر بنا مشاعل ولاة بغداد ونحن على السطح نغزل في ضوئها فهل يحرم علينا ذلك قال لها من انت قالت اخت بشر الحافي فقال يا اهل بشر لا ازال استشف الورع من قلوبكم وقال بعض العارفين اذا اراد الله بعبد خيرا فتح عليه باب العمل وكان مالك ابن دينار اذا مر في السوق ورأى ما يشتهيه يقول يا نفس صابري فلا اوافقك على ما تريدين وقال رضي الله عنه سلامة النفس في مخالفتها وبلاؤها في متابعتها وقال منصور بن عمار حججت حجة فقصدت مكة من طريق الكوفة وكانت ليلة مظلمة واذا بصارخ يصرخ في جوف الليل ويقول الهي وعزتك وجلالك ما اردت بمعصيتي مخالفتك وما انا جاهل بك ولكن خطيئة قضيتها عليّ في قديم ازلك فاغفرلي ما فرط مني فاني قد عصيتك بجهلي فلما فرغ من دعائه تلا هذه الآية يا ايها الذين امنوا قُوْا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة فسمعت سقطة لم اعرف لها حقيقة فمضيت فلما كان الغد مشينا الى مدرجنا واذا بجنازة خرجت ووراءها عجوز ذهبت قوتها فسألتها عن الميت فقالت هذه جنازة رجل كان مربّنا البارحة وولدي قائم يصلّي فتلا آية من كتاب الله تعالى فانفطرت مرارة ذلك الرجل فوقع ميتا ثم تأخرت الجارية الرابعة وتقدمت

Digitized by Google

فقال اني اريدان اقبل على امر عظيم و هو الانتصاب بين يدى الله تعالى للعمل بمقتضى الوصية ولذلك كان عليّ زين العابدين ابن الحسين يرتعد اذا قام للصلوة فسئل عن ذلك فقال اتدرون لمن اقوم ولمن اخاطب و قيل كان بجانب سفيان الثوري رجل ضرير فاذا كان شهر رمضان يخرج ويصلى بالناس فيسكت ويبطىء وقال سفيان اذا كان يوم القيامة اتي باهل القرآن فيميزون بعلامة مزيد الكرامة عمن سواهم وقال سفيان لو ان النفس استقرت فى القلب كما ينبغي لطار فرحا وشوقا الى الجنة و حزنا و خوفا من النار وعن سفيان الثوري انه قال النظر الى وجه الظالم خطيئة ثم تاخرت الجارية الثالثة و تقدمت الجارية الرابعة وقالت وها انا اتكلم ببعض ما يحضرني من اخبار الصالحين روي ان بشرا الحافي قال سمعت خالدا يقول اياكم وسرائر الشرك فقلت له وما سرائر الشرك قال ان يصلى احدكم فيطيل ركوعه و سجوده حتى يلحقه الحدث و قال بعض العارفين فعل الحسنات يكفّر السيئات و قال ابراهيم التمست من بشر بن الحافي شيأ من اسرار الحقائق فقال يابنيّ هذا العلم لاينبغي ان نعلّمه كل احد فمن كل مائة خمسة مثل زكوة الدرهم قال ابراهيم بن ادهم فاستحليت كلامه واستحسنته فبينما انا اصلّي و اذا ببشر يصلي فقمت وراءه اركع الى ان يؤذن المؤذن فقام رجل رث الحالة وقال يا قوم احذروا الصدق الضار ولا باس بالكذب النافع و ليس مع الاضطرار اختيار ولاينفع الكلام عند العدم كما لايضر السكوت عند وجود الجود وقال ابراهيم رأيت بشرا سقط منه دانق فقمت اليه واعطيته درهما فقال لا آخذه فقلت انه من خالص الحلال فقال لي انا لست استبدل نعم الدنيا بنعم الآخرة ويروى ان اخت بشر الحافي قصدت

Digitized by Google

اسرائيل قال احدهما للآخر ما اخوف عمل عملته قال له اني مررت ببيت فرّاخ فاخذت منه واحدة و رميتها في ذلك البيت و لكن بين الفراخ التي لم آخذها منها فهذا اخوف عمل عملته فما اخوف ما عملته انت فقال اما انا فاخوف عمـــل اعمله اني اذا قمت الى الصلوة اخاف ان اكون لا اعملِ ذلك الا للجزاء وكان ابوهما يسمع كلامهما فقال اللهم ان كانا صادقين فاقبضهما اليك فقال بعض العقلاء ان هذين من افضل الاولاد و قال عبد بن جبير صحبت فضالة ابن عبيد فقلت له اوصني فقال احفظ عني هذين الخصلتين ان لاتشرك بالله شيـاً وان لاتؤذي من خلق الله احدا و انشـد هذين البيتـــــــــــــــــــــــــــــين

كُنْ كَيْفَ شِئْتَ فَإِنَّ اللّٰـهَ ذُوْكَرَمٍ وَانْفِ الْهُمُوْمَ فَمَا فِى الْاَمْرِ مِنْ بَاسِ
اِلَّا اثْنَتَيْنِ فَلَاتَقْرَبْهُمَـا اَبَدًا اَلشِّرْكُ بِاللّٰهِ وَالْاِضْرَارُ لِلنَّـاس

و ما احسن قول الشاعر

اِذَا اَنْتَ لَمْ يَصْحَبْكَ زَادٌ مِنَ التُّقٰى وَلَاقَيْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا
نَدِمْتَ عَلٰى اَنْ لَا تَكُوْنَ كَمِثْلِهِ وَاَنَّكَ لَمْ تَرْصُدْ كَمَا كَانَ اَرْصَدَا

ثم تقدمت الجـارية الثالثة بعد ان تأخرت الثانية و قالت ان باب الزهد و اسـع جدًّا ولكن اذكر بعض ما يحضرني فيه عن السـلف الصالح قال بعض العارفين انا استبشر بالموت ولا اتيقّن فيه راحة غير اني علمت ان الموت يحول بين المرء وبين الاعمال فارجو مضاعفة العمل الصالح وانقطاع العمل السيئ وكان عطاء السلمي اذا فرغ من وصيته انتفض وارتعد وبكى بكاء شديدا فقيل له لم ذلك

Digitized by Google

وَإِنِّي لَأَغْنَى النَّاسِ عَنْ مُتَكَلِّفٍ يَرَى النَّاسَ أَضْلَالًا وَمَا هُوَ مُهْتَدٍ
وَمَا الْمَالُ وَالْأَخْلَاقُ إِلَّا مَعَارَةٌ فَدُلَّ بِمَا يُخْفِيهِ فِي الصَّدْرِ مُرْتَدِ
إِذَا مَا أَتَيْتَ الْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ بَابِهِ ضَلَلْتَ وَإِنْ تَدْخُلْ مِنَ الْبَابِ تَهْتَدِ

ثم ان الجارية قالت واما اخبار الزاهدين فقد قال هشام بن بشر قلت لعمر بن عبيد ما حقيقة الزهد فقال لي قد بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله الزاهد من لم ينس القبر والبلاء وآثر مايبقى على ما يفنى ولم يعدّ غدا من ايامه وعدّ نفسه في الموتى وقيل ان اباذر كان يقول الفقر احب اليّ من الغنى والسقم احب اليّ من الصحة فقال بعض السامعين رحم الله اباذر اما انا فاقول من اتكل على حسن الاختيار من الله تعالى رضي بالحالة التي اختارها الله له وقال بعض الثقات صلى بنا ابن ابي اوفى صلاة الصبح فقرأ يا ايها المدّثر حتى بلغ قوله تعالى فاذا نُقر في الناقور فخرّ ميتا ويروى ان ثابتا البناني بكى حتى كادت ان تذهب عيناه فجاؤا برجل يعالجه قال اعالجه بشرط ان يطاوعني قال ثابت في اي شيء قال الطبيب في ان لا تبكي قال ثابت فما فضل عيناي ان لم تبكيا وقال رجل لمحمد بن عبد الله اوصني وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثمانون

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الوزير دندان قال لضوء المكان وقالت الجارية الثانية لوالدك المرحوم عمر بن النعمان وقال رجل لمحمد ابن عبد الله اوصني فقال اوصيك ان تكون في الدنيا مالكا زاهدا وفي الآخرة مملوكا طامعا قال وكيف ذلك قال الزاهد في الدنيا يملك الدنيا والآخرة وقال غوث بن عبد الله كان اخوان في بني

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الموفية للثمانين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان ثم تاخرت الجارية الاولى وتقدمت الثانية وقبّلت الارض بين يدي الملك والدك سبع مرات ثم قالت قال لقمان لابنه ثلثة لا تعرف الا في ثلثة مواطن لايعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا اخوك الا عند حاجتك اليه وقيل ان الظالم نادم وان مدحه الناس والمظلوم سليم وان ذمّه الناس وقال الله تعالى ولا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنّهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم وقال عليه الصلوة والسلام انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى وايضا قال عليه السلام ان في الجسد لمضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب واعجب ما في الانسان قلبه لان به زمام امره فان هاج به الطمع اهلكه الحرص وان ملكه الاسى قتله الاسف وان عظم عنده الغضب اشتد به العطب وان سعد بالرضا امن من السخط وان ناله الخوف شغله الحزن وان اصابته مصيبة ضمنه الجزع وان استفاد مالا ربما اشتغل به عن ذكر ربه وان غصته فاقة اشغله الهم وان اجهده الجزع اقعده الضعف فعلى كل حالة لاصلاح له الا بذكر الله واشتغاله بما فيه تحصيل معاشه وصلاح معاده وقيل لبعض العلماء من اسرّ الناس حالا قال من غلبت شهوته مروته وبعدت في المعالي همته فاتسعت معرفته وضاقت معذرته وما احسن ما قاله قيس

من آداب القضاة اعلم ايهـــا الملك انه لا ينفع حكم بحق الّا بعد التثبت و ينبغي للقاضي ان يجعل الناس في منزلة و احدة حتى لا يطمع شريف في الجور ولا ييـــأس ضعيف من العدل و ينبغي ايضا ان يجعل البينة على من ادعى واليمين على من انكر والصلح جائز بين المسلمين الاصلحا احلّ حراما او حرّم حلالا وما اشكلت فيه اليـــوم فراجع فيه عقلك و تبين به رشدك لترجع فيه الى الحق فالحق قرض والرجوع الى الحق خير من التمادي على الباطل ثم اعرف الامثال وافقه المقال و سوّ بين الاخصام في الوقوف و ليكن نظرك على الحق موقوفا وفوّض امرك الى الله عز وجل و اجعل البينة على من ادعى فان حضـــرت بينته اخذت له بحقه والافحلّف المدعى عليه و هذا حكم الله و اقبل شهادة عدول المسلمين بعضهم على بعض فان الله تعـــالى امر الحكام ان تحكم بالظـــاهر وهو يتولى السرائر و يجب على القاضي ان يجتنب القضاء عند شدة الالم والجوع و ان يقصد بقضائه بين الناس وجه الله تعالي فان من خلصت نيته واصلح ما بينه و بين نفسه كفاه الله ما بينه و بين النـــاس و قال الزهري ثلث اذا كن في قاض كان منعزلا اذا اكرم اللئام واحب المحامد وكره العزل وقد عزل عمر بن عبد العزيز قاضيا فقال له لِمَ عزلتني فقال عمر قد بلغني عنك ان مقالك اكبر من مقامك و حكي ان الاسكندر قال لقاضيه اني وليتك منزلة و استودعتك فيهـــا روحي وعرضي ومروءتي فاحفظ هذه المنزلة لنفسك وعقلك و قال لطبـــاخه انك مسلط على جسمي فارفق بنفسك فيه وقال لكاتبـــه انك متصرف في عقلي فاخفظني فيما تكتبه عني ثم تأخرت الجارية الاولى و تقدمت الثانية و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــــباح

Digitized by Google

من غير نظر فى العاقبة وان تبذل في سبيل الله نفسك و مالك واعلم ان العدو خصم تخصمه وتعرفه بالحجة وتحترز منه واما الصديق فليس بينك وبينه قاض يحكم غير حسن الخلق فاختر صديقك لنفسك بعد اختباره فان كان من اخوان الآخرة فليكن محافظا على اتباع ظاهر الشرع عارفا ببواطنه على حسب الامكان وان كان من اخوان الدنيا فليكن حرّا صادقا ليس بجاهل ولاشرير فان الجاهل اهل لان يهرب منه ابواه والكاذب لايكون صديقا لان الصديق مأخوذ من الصدق الذي يكون ناشأ عن صميم القلب فكيف به اذا اظهر الكذب على اللسان واعلم ان اتباع الشرع ينفع صاحبه فاحبب اخاك اذا كان بهذه الصفة ولا تقطعه وان ظهر لك منه ما تكره فانه ليس كالمرأة يمكن طلاقها ومراجعتها بل قلبه كالزجاج اذا انصدع لاينجبر ولله درالقائل

اِحْرِصْ عَلَى فَرْطِ الْقُلُوْبِ مِنَ الْاَذٰى فَرُجُوْعُهَا بَعْدَ النَّوٰى فُرَيَعْسُرُ
اِنَّ الْقُلُوْبَ اِذَا تَنَا فَرَوُدُّهَا مِثْلُ الزُّجَاجَةِ كَسْرُهَا لَايُجْبَرُ

ثم قالت الجارية في آخر كلامها وهي تشير الينا ان اصحاب العقول قالوا خير الاخوان اشدهم فى النصيحة وخير الاعمال اجملها عاقبة وخير الثناء ما كان على افواه الرجال وقد قيل لاينبغي للعبد ان يغفل عن شكر الله خصوصا على نعمتين العافية والعقل و قيل من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهوته و من عظم صغائر المصائب ابتلاه الله بكبارها و من اطاع الهوى ضيع الحقوق و من اطاع الواشي ضيع الصديق ومن ظن بك خيرا فصدق ظنه بك و من بالغ فى الخصومة اثم و من لم يحذر الحيف لم يأمن السيف وها انا اذكر لك شيأ

Digitized by Google

فاذن لها فدخلت عليه وقبّلت الارض بين يديه وكنت انا جالسا بجانب الملك فلما دخلت عليه قربها اليه لما راى عليها من آثار الزهد والعبادة فلما استقرت العجوز عنده اقبلت عليه وقالت له اعلم ايها الملك ان معي خمس جوار ما ملك احد من الملوك مثلهن لانهن ذوات عقل وجمال وحسن وكمال يقرأن القرآن بالروايات ويعرفن العلوم واخبار الامم السالفة وهنّ بين يديك واقفات في خدمتك يا ملك الزمان وعند الامتحان يكرم المرء اويهان فنظر المرحوم والدك الى الجواري فسرّته رويتهن وقال لهن كل واحدة منكن تسمعني شيأً تعرفه من اخبار الناس الماضين والامم السابقين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الوزير دندان قال للملك ضوء المكان فنظر المرحوم والدك الى الجواري فسرّته رؤيتهن وقال لهن كل واحدة منكن تسمعني شيأً مما تعرفه من اخبار الناس الماضين والامم السابقين فتقدمت واحدة منهن وقبّلت الارض بين يديه وقالت اعلم ايها الملك انه ينبغي لذي الادب ان يجتنب الفضول ويتحلى بالفضائل وان يؤدّي الفرائض ويجتنب الكبائر ويلازم على ذلك ملازمة من لو افرد عنه لهلك واساس الادب مكارم الاخلاق واعلم ان معظم اسباب المعيشة طلب الحياة والقصد من الحياة عبادة الله فينبغي ان تحسن خلقك مع الناس وان لا تعدل عن تلك السنة فان اعظم الناس خطرا احوجهم الى التدبير والملوك احوج اليه من السوقة لان السوقة قد تغيض في الامور

Digitized by Google

الخبير ثم امر للحاجب ان اخرج في تلك الساعة وأمر بمد السماط وأمر باحضار العسكر جميعا فحضروا واكلو وشربوا ثم ان الملك ضوء المكان قال للوزير دندان اء مر العسكر بالاقامة عشرة ايام حتى اختلي بك وتخبرني بسبب قتل ابي فامتثل الوزير قول السلطان وقال لابد من ذلك ثم خرج الى وسط الخيام وامر العسكر بالاقامة عشرة ايام فامتثلوا امره ثم ان الوزير اعطاهم اذنا انهم يتفرجون ولايدخل احد من ارباب الخدمة لاجل الخدمة عند الملك مدة ثلثة ايام فتضرع جميع الناس ودعوا لضوء المكان بدوام العز ثم اقبل عليه الوزير واعلمه بالذي كان فصبر الى الليل ودخل على اخته نزهة الزمان وقال لها اهل علمت بسبب قتل ابي ام لم تعلمي بسببه كيف كان فقالت له لم اعلم سبب قتله ثم انها ضربت لها ستارة من حرير وجلس ضوء المكان خارج الستارة وامر باحضار الوزير دندان فحضر بين يديه فقال له اريدان تخبرني تفصيلا بسبب قتل ابي الملك عمر بن النعمان فقال الوزير دندان اعلم ايها الملك ان الملك عمر بن النعمان لما اتى من سفرة من الصيد والقنص وجاء الى المدينة سأل عنكما فلم يجد كما فعلم انكما قد قصد تما الحج فاغتم لذلك فازداد به الغيظ وضاق صدره واقام نصف سنة وهو يستخبر عنكما كل شارد ووارد فلم يخبره احد عنكما فبينما نحن بين يديه يوما من الايام بعد ما مضى لكما سنة كاملة من تاريخ فقدكما و اذا بعجوز عليها آثار العبادة قد وردت علينا ومعها خمس جوار نهد ابكار كانهن الاقمار وقد حوين من الحسن والجمال ما يعجز عن وصفه اللسان ومع كمال حسنهن يقرأن القرآن و يعرفن الحكمة واخبار المتقدمين فاستأذنت تلك العجوز في الدخول على الملك

فلما كانت الليلة الثامنة والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الحاجب لما امر الفراشين ان ينصبوا خيمة واسعة لاجتماع الناس عند الملك نصبوا خيمة عظيمة على عادة الملوك فلما فرغوا من اشغالهم واذا بغبار قد طار ثم سحق الهوى ذلك الغبار وبان من تحته عسكر جرار وتبين ان ذلك العسكر عسكر بغداد وخراسان ومقدمه الوزير دندان وكلهم فرحون بسلطنة ضوء المكان وكان ضوء المكان لابساخلعة الملك متقلدا بسيف الموكب فقدم له الحاجب الفرس فركب وسار هو ومماليكه وجميع من في الخيام مشاة في خدمته حتى دخل القبة الكبيرة وجلس ووضع النمشة على فخذيه ووقف الحاجب في خدمته بين يديه ووقفت مماليكه في دهليز الخيمة وشهروا في ايديهم السيوف ثم اقبلت العساكر والجيوش وطلبوا الاذن فدخل الحاجب واستأذن لهم السلطان ضوء المكان فامران يدخلوا عليه عشرة عشرة فاعلمهم الحاجب بذلك فاجابوا بالسمع والطاعة ووقف الجميع على باب الدهليز فدخلت عشرة منهم فشق بهم الحاجب في الدهليز ودخل بهم على السلطان ضوء المكان فلما رأوه هابوه فتلقاهم احسن ملتقى ووعدهم بكل خير فهنوه بالسلامة ودعوا له وحلفوا له الايمان الصادقة انهم لايخالفون له امرا ثم قبّلوا الارض بين يديه وانصرفوا ودخلت عشرة اخرى ففعل بهم مثل مافعل بغيرهم ولم يزالوا يدخلون عشرة بعد عشرة حتى لم يبق غير الوزير دندان فدخل عليه وقبّل الارض بين يديه فقام اليه ضوء المكان واقبل عليه وقال له مرحبا بالوزير والوالد الكبير ان فعلك فعل المشير العزيز والتدبير بيد اللطيف

Digitized by Google

ضوء المكان بن الملك عمر بن النعمان ثم نزل من بعيد هو ومما ليكه و امر الخدام ان يستأذنوا السيدة نزهة الزمان في ان يدخل عليها فاستأذنوها في شان ذلك فاذنت له فدخل عليها و اجتمع بها و باخيها و اخبرهما بموت ابيهما وان ضوء المكان جعله الرؤساء ملكا عليهم عوضا عن ابيه عمر بن النعمان وهنّاهما بالملك فبكيا على فقد ابيهما و سألا عن سبب قتله فقال لهما الخبر مع الوزير دندان و في غد يكون هو والجيش كله في هذا المكان وما بقي في الامر ايها الملك الّا ان تفعل ما اشاروا به لانهم كلهم اختاروك سلطانا وان لم تفعل سلطنوا غيرك و انت لا تامن على نفسك من الذي يتسلطن غيرك فربما يقتلك او يقع الفشل بينكما ويخرج الملك من ايديكما فاطرق برأسه ساعة من الزمان ثم قال قبلت هذا الامر لانه لا يمكن التخلي عنه وتحقق ان الحاجب تكلم بما فيه الرشاد ثم قال للحاجب يا عم وكيف اعمل مع اخي شركان فقال يا ولدي اخوك يكون سلطان دمشق و انت سلطان بغداد فشد عزمك و جهز امرك فقبل منه ضوء المكان ذلك ثم ان الحاجب قدم اليه البدلة التي كانت مع الوزير دندان من ملابس الملوك وناوله النمشة و خرج من عنده و امر الفراشين ان يختاروا موضعا عاليا و ينصبوا فيه خيمة واسعة عظيمة للسلطان ليجلس فيها اذا قدم عليه الامراء ثم امر الطباخين ان يطبخوا طعاما فاخرا و يحضروه و امر السقائين ان ينصبوا حياض الماء و بعد ساعة طار الغبار حتى سدا لاقطار ثم انكشف ذلك الغبار و بان من تحته عسكر جرار مثل البحر الزخار و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام

المبـــاح

والوزراء واكابر الدولة واطلعهم على القصة ففرحوا بذلك فرحا شديدا و تعجبوا من هذ الاتفاق ثم اجتمعوا كلهم وجاؤا عند الحاجب ووقفوا في خدمته و قبلوا الارض بين يديه واقبل الوزير من ذلك الوقت على الحاجب و وقف بين يديه ثم ان الحاجب عمل فى ذلك اليوم ديوانا عظيما و جلس هو والوزير دندان على تخت وبين ايديهما جميع الامراء والكبراء و ارباب المناصب على حسب مراتبهم ثم بلوا السكر في ماء الورد و شربوا ثم قعد الامراء للمشورة و اعطوا بقية الجيش اذنا في ان يركبوا مع بعضهم ويتقدموا قليلا قليلا حتى يتّموا المشورة و يلحقوهم فقبلوا الارض بين يدى الحاجب وركبوا وقدّامهم رايات الحرب فلما فرغ الكبراء من مشورتهم ركبوا ولحقوا العساكر ثم اقبل الحاجب على الوزير دندان و قال له الرأي عندي ان اتقدم و اسبقكم لاجل ان اهيّئ للسلطان مكانا يناسبه و اعلمه بقدومكم و انكم اخترتموه على اخيه شركان سلطانا عليكم فقال الوزير نعم الرأي الذي رأيته ثم نهض و نهض الوزير دندان تعظيما له و قدم له التقادم واقسم عليه ان يقبلها وكذلك الامراء الكبار وارباب المناصب قدموا له التقادم و دعوا له و قالوا له لعلك تحدث السلطان ضوءالمكان في امرنا ليبقينا مستمرين في مناصبنا فاجابهم لما سألوه ثم امر غلمانه بالسير فارسل الوزير دندان الخيام مع الحاجب وامر الفراشين ان ينصبوها خارج المدينة بمسافة يوم فامتثلوا امره وركب الحاجب و هو في غاية الفرح و قال في نفسه ما ابرك هذه السفرة وعظمت زوجته في عينه وكذلك ضوءالمكان ثم جدّ في السفر الى ان وصل الى مكان بينه و بين المدينة مسافة يوم ثم امر بالنزول فيه لاجل الراحة وتهيئة مكان لجلوس السلطان

Digitized by Google

عن بعضهم الاكابر والاشراف والقضاة الاربعة واتفق جميع الناس على ان ما اشاربه القضاة الاربعة لايخالفهم فيه احد فوقع الاتفاق على اننا نسير الى دمشق ونقصد ولده الملك شركان ونأتي به ونسلطنّه على مملكة ابيه وفيهم جماعة يريدون ولده الثاني وقالوا انه يسمى ضوء المكان وله اخت تسمى نزهة الزمان وكانا قد توجها الى ارض الحجاز ومضى لهما خمس سنين ولم يقع لهما احد على خبر فلما سمع الحاجب ذلك علم ان القضية التي وقعت لزوجته صحيحة فاغتم لموت السلطان غما عظيما ولكنه فرح فرحا شديدا وخصوصا بمجيء ضوء المكان لانه يصير سلطانا ببغداد في مكان ابيه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حاجب شركان لما سمع من الوزير دندان ماذكره من خبر الملك عمر بن النعمان تأسف ولكنه فرح لزوجته واخيها ضوء المكان لانه يصير سلطانا ببغداد مكان ابيه ثم التفت الحاجب الى الوزير دندان وقال انّ قصتكم من اعجب العجائب اعلم ايها الوزير الكبير انكم حيث صاد فتموني الآن اراحكم الله من التعب وقد جاءكم الامر كما تشتهون على اهون سبب لان الله رد اليكم ضوء المكان هو واخته نزهة الزمان وانصلح الامر وهان فلما سمع الوزير هذا الكلام فرح فرحا شديدا ثم قال له ايها الحاجب اخبرني بقصتهما وبما جرى لهما وبسبب غيابهما فحدثه بحديث نزهة الزمان وانها صارت زوجته واخبره بحديث ضوء المكان من اوله الى آخره فلما فرغ الحاجب من حديثه ارسل الوزير دندان الى الامراء

Digitized by Google

فاذن لها فدخلت عليه وقبّلت الارض بين يديه وكنت انا جالسا بجانب الملك فلما دخلت عليه قربها اليه لما راى عليها من آثار الزهد والعبادة فلما استقرت العجوز عنده اقبلت عليه وقالت له اعلم ايها الملك ان معي خمس جوار ما ملك احد من الملوك مثلهن لانهن ذوات عقل وجمال وحسن وكمال يقرأن القرآن بالروايات ويعرفن العلوم واخبار الامم السالفة وهنّ بين يديك واقفات في خدمتك يا ملك الزمان وعند الامتحان يكرم المرء اويهان فنظر المرحوم والدك الى الجواري فسرّته رويتهن وقال لهن كل واحدة منكن تسمعني شيأً تعرفه من اخبار الناس الماضين والامم السابقين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الوزير دندان قال للملك ضوء المكان فنظر المرحوم والدك الى الجواري فسرّته رؤيتهن وقال لهن كل واحدة منكن تسمعني شيأً مما تعرفه من اخبار الناس الماضين والامم السابقين فتقدمت واحدة منهن وقبّلت الارض بين يديه وقالت اعلم ايها الملك انه ينبغي لذي الادب ان يجتنب الفضول ويتحلى بالفضائل وان يؤدّي الفرائض ويجتنب الكبائر ويلازم على ذلك ملازمة من لو افرد عنه لهلك واساس الادب مكارم الاخلاق واعلم ان معظم اسباب المعيشة طلب الحياة والقصد من الحياة عبادة الله فينبغي ان تحسن خلقك مع الناس وان لا تعدل عن تلك السنة فان اعظم الناس خطرا احوجهم الى التدبير والملوك احوج اليه من السوقة لان السوقة قد تغيض في الامور

Digitized by Google

الخبير ثم امر للحاجب ان اخرج في تلك الساعة وأمر بمد السماط وأمر باحضار العسكر جميعا فحضروا واكلو وشربوا ثم ان الملك ضوء المكان قال للوزير دندان اء مر العسكر بالاقامة عشرة ايام حتى اختلي بك وتخبرني بسبب قتل ابي فامتثل الوزير قول السلطان وقال لابد من ذلك ثم خرج الى وسط الخيام وامر العسكر بالاقامة عشرة ايام فامتثلوا امره ثم ان الوزير اعطاهم اذنا انهم يتفرجون ولايدخل احد من ارباب الخدمة لاجل الخدمة عند الملك مدة ثلثة ايام فتضرع جميع الناس ودعوا لضوء المكان بدوام العز ثم اقبل عليه الوزير واعلمه بالذي كان فصبر الى الليل ودخل على اخته نزهة الزمان وقال لها اهل علمت بسبب قتل ابي ام لم تعلمي بسببه كيف كان فقالت له لم اعلم سبب قتله ثم انها ضربت لها ستارة من حرير وجلس ضوء المكان خارج الستارة وامر باحضار الوزير دندان فحضر بين يديه فقال له اريدان تخبرني تفصيلا بسبب قتل ابي الملك عمر بن النعمان فقال الوزير دندان اعلم ايها الملك ان الملك عمر بن النعمان لما اتى من سفرة من الصيد والقنص وجاء الى المدينة سأل عنكما فلم يجدكما فعلم انكما قد قصدتما الحج فاغتم لذلك فازداد به الغيظ وضاق صدره واقام نصف سنة وهو يستخبر عنكما كل شارد ووارد فلم يخبره احد عنكما فبينما نحن بين يديه يوما من الايام بعد ما مضى لكما سنة كاملة من تاريخ فقدكما و اذا بعجوز عليها آثار العبادة قد وردت علينا ومعها خمس جوار نهد ابكار كانهن الاقمار وقد حوين من الحسن والجمال ما يعجز عن وصفه اللسان ومع كمال حسنهن يقرأن القرآن و يعرفن الحكمة واخبار المتقدمين فاستأذنت تلك العجوز في الدخول على الملك

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الثامنة والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الحاجب لما امر الفراشين ان ينصبوا خيمة واسعة لاجتماع الناس عند الملك نصبوا خيمة عظيمة على عادة الملوك فلما فرغوا من اشغالهم واذا بغبار قد طار ثم سحق الهوى ذلك الغبار وبان من تحته عسكر جرار وتبين ان ذلك العسكر عسكر بغداد وخراسان ومقدمه الوزير دندان وكلهم فرحون بسلطنة ضوء المكان وكان ضوء المكان لابساً خلعة الملك متقلداً بسيف الموكب فقدم له الحاجب الفرس فركب وسار هو ومماليكه وجميع من في الخيام مشاة في خدمته حتى دخل القبة الكبيرة وجلس ووضع النمشة على فخذيه ووقف الحاجب في خدمته بين يديه ووقفت مماليكه في دهليز الخيمة وشهروا في ايديهم السيوف ثم اقبلت العساكر والجيوش وطلبوا الاذن فدخل الحاجب واستأذن لهم السلطان ضوء المكان فامرهم ان يدخلوا عليه عشرة عشرة فاعلمهم الحاجب بذلك فاجابوا بالسمع والطاعة ووقف الجميع على باب الدهليز فدخلت عشرة منهم فشق بهم الحاجب في الدهليز ودخل بهم على السلطان ضوء المكان فلما رأوه هابوه فتلقاهم احسن ملتقى ووعدهم بكل خير فهنوه بالسلامة ودعوا له وحلفوا له الايمان الصادقة انهم لايخالفون له امراً ثم قبّلوا الارض بين يديه وانصرفوا ودخلت عشرة اخرى ففعل بهم مثل مافعل بغيرهم ولم يزالوا يدخلون عشرة بعد عشرة حتى لم يبق غير الوزير دندان فدخل عليه وقبّل الارض بين يديه فقام اليه ضوء المكان واقبل عليه وقال له مرحبا بالوزير والوالد الكبير ان فعلك فعل المشير العزيز والتدبير بيد اللطيف

Digitized by Google

ضوء المكان بن الملك عمر بن النعمان ثم نزل من بعيد هو ومما ليكه و امر الخدام ان يستأذنوا السيدة نزهة الزمان في ان يدخل عليها فاستأذنوها في شان ذلك فاذنت له فدخل عليها و اجتمع بها و باخيها و اخبرهما بموت ابيهما وان ضوء المكان جعله الروساء ملكا عليهم عوضا عن ابيه عمر بن النعمان وهنّاهما بالملك فبكيا على فقد ابيهما و سألا عن سبب قتله فقال لهما الخبر مع الوزير دندان و في غد يكون هو والجيش كله في هذا المكان وما بقي في الامر ايها الملك الّا ان تفعل ما اشاروا به لانهم كلهم اختاروك سلطانا وان لم تفعل سلطنوا غيرك و انت لا تامن على نفسك من الذي يتسلطن غيرك فربما يقتلك او يقع الفشل بينكما ويخرج الملك من ايديكما فاطرق برأسه ساعة من الزمان ثم قال قبلت هذا الامر لانه لا يمكن التخلي عنه وتحقق ان الحاجب تكلم بما فيه الرشاد ثم قال للحاجب يا عم وكيف اعمل مع اخي شركان فقال يا ولدي اخوك يكون سلطان دمشق و انت سلطان بغداد فشد عزمك و جهز امرك فقبل منه ضوء المكان ذلك ثم ان الحاجب قدم اليه البدلة التي كانت مع الوزير دندان من ملابس الملوك وناوله النمشة و خرج من عنده و امر الفراشين ان يختاروا موضعا عاليا و ينصبوا فيه خيمة واسعة عظيمة للسلطان ليجلس فيها اذا قدم عليه الامراء ثم امر الطباخين ان يطبخوا طعاما فاخرا و يحضروه و امر السقائين ان ينصبوا حياض الماء و بعد ساعة طار الغبار حتى سدا لاقطار ثم انكشف ذلك الغبار و بان من تحته عسكر جرار مثل البحر الزخار و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام

المبـــاح

والوزراء واكابر الدولة واطلعهم على القصة ففرحوا بذلك فرحا شديدا و تعجبوا من هذ الاتفاق ثم اجتمعوا كلهم وجاؤا عند الحاجب ووقفوا في خدمته و قبلوا الارض بين يديه واقبل الوزير من ذلك الوقت على الحاجب و وقف بين يديه ثم ان الحاجب عمل فى ذلك اليوم د يوانا عظيما و جلس هو والوزير دندان على تخت وبين ايديهما جميع الامراء والكبراء و ارباب المناصب على حسب مراتبهم ثم بلوا السكر في ماء الورد و شربوا ثم قعد الامراء للمشورة و اعطوا بقية الجيش اذنا في ان يركبوا مع بعضهم ويتقدموا قليلا قليلا حتى يتّموا المشورة و يلحقوهم فقبلوا الارض بين يدى الحاجب وركبوا وقدّامهم رايات الحرب فلما فرغ الكبراء من مشورتهم ركبوا ولحقوا العساكر ثم اقبل الحاجب على الوزير دندان و قال له الرأي عندي ان اتقدم و اسبقكم لاجل ان اهيّئ للسلطان مكانا يناسبه و اعلمه بقدومكم و انكم اخترتموه على اخيه شركان سلطانا عليكم فقال الوزير نعم الرأي الذي رأيته ثم نهض و نهض الوزير دندان تعظيما له و قدم له التقادم واقسم عليه ان يقبلها وكذلك الامراء الكبار وارباب المناصب قدموا له التقادم و دعوا له و قالوا له لعلك تحدث السلطان ضوءالمكان في امرنا ليبقينا مستمرين في مناصبنا فاجابهم لما سألوه ثم امر غلمانه بالسير فارسل الوزير دندان الخيام مع الحاجب وامر الفراشين ان ينصبوها خارج المدينة بمسافة يوم فامتثلوا امره وركب الحاجب و هو في غاية الفرح و قال في نفسه ما ابرك هذه السفرة و عظمت زوجته في عينه وكذلك ضوءالمكان ثم جدّ في السفر الى ان وصل الى مكان بينه و بين المدينة مسافة يوم ثم امر بالنزول فيه لاجل الراحة و تهيئة مكان لجلوس السلطان

Digitized by Google

عن بعضهم الاكابر والاشراف والقضاة الاربعة واتفق جميع الناس على ان ما اشاربه القضاة الاربعة لايخالفهم فيه احد فوقع الاتفاق على اننا نسير الى دمشق ونقصد ولده الملك شركان ونأتي به ونسلطنّه على مملكة ابيه وفيهم جماعة يريدون ولده الثاني وقالوا انه يسمى ضوء المكان وله اخت تسمى نزهة الزمان وكانا قد توجها الى ارض الحجاز ومضى لهما خمس سنين ولم يقع لهما احد على خبر فلما سمع الحاجب ذلك علم ان القضية التي وقعت لزوجته صحيحة فاغتم لموت السلطان غما عظيما ولكنه فرح فرحا شديدا وخصوصا بمجيء ضوء المكان لانه يصير سلطانا ببغداد في مكان ابيه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حاجب شركان لما سمع من الوزير دندان ماذكره من خبر الملك عمر بن النعمان تأسف ولكنه فرح لزوجته واخيها ضوء المكان لانه يصير سلطانا ببغداد مكان ابيه ثم التفت الحاجب الى الوزير دندان وقال انّ قصتكم من اعجب العجائب اعلم ايها الوزير الكبير انكم حيث صاد فتموني الآن اراحكم الله من التعب وقد جاءكم الامر كما تشتهون على الهون سبب لان الله رد اليكم ضوء المكان هو واخته نزهة الزمان وانصلح الامر وهان فلما سمع الوزير هذا الكلام فرح فرحا شديدا ثم قال له ايها الحاجب اخبرني بقصتهما وبما جرى لهما وبسبب غيابهما فحدثه بحديث نزهة الزمان وانها صارت زوجته واخبره بحديث ضوء المكان من اوله الى آخره فلما فرغ الحاجب من حديثه ارسل الوزير دندان الى الامراء

Digitized by Google

الى ان لاح الفجر فاستيقظوا وارادوا ان يحملوا واذا بغبار عظيم قد لاح لهم واظلم الجوّ منه حتى صاركا لليل الداجي فصاح الحاجب قائلا امهلوا ولا تحملوا وركب هو ومماليكه وساروا نحو ذلك الغبار فلما قربوا منه بان من تحته عسكر جرارکا لبحر الزخار وفيه رايات واعلام وطبول وفرسان وابطال فتعجب الحاجب من امرهم فلما رأهم العسكر افترقت منه فرقة قدر خمسمائة فارس واتوا الى الحاجب ومن معه واحاطوا بهم واحاطت كل خمسة بمملوك من مماليك الحاجب فقال لهم الحاجب اي شيء الخبر ومن اين هذه العساكر حتى تفعل معنا هذه الافعال فقالوا له من انت ومن اين اتيت والى اين تتوجه فقال لهم انا حاجب امير دمشق الملك شركان بن الملك عمر بن النعمان صاحب بغداد وارض خراسان واتيت من عنده بالخراج والهدية متوجها الى والده ببغداد فلما سمعوا كلامه ارخوا مناد يلهم على وجوههم وبكوا وقالوا له ان عمر بن النعمان قدمات وما مات الا مسموما فتوجه وما عليك بأس حتى تجتمع بوزيره الاكبر الوزير دندان فلما سمع الحاجب ذلك الكلام بكى بكاء شديدا وقال يا خيبتنا في هذه السفرة وصار يبكي هو ومن معه الى ان اختلطوا بالعسكر فاستأذنوا له من الوزير دندان فاذن له وامر الوزير بضرب خيامه وجلس على سرير في وسط الخيمة وامر الحاجب بالجلوس فلما جلس سأله عن خبره فاعلمه انه حاجب امير دمشق وقد جاء بالهدايا وخراج دمشق فلما سمع الوزير دندان ذلك بكى عند ذكر الملك عمر بن النعمان ثم قال له الوزير دندان ان الملك عمر بن النعمان قدمات مسموما وبسبب موته اختلف الناس في من يولّونه بعده حتى اوقعوا القتل في بعضهم ولكن منعهم

Digitized by Google

من هنا الى بغداد والذي يجري على رفيقك يجري عليك فلما سمع الوقاد كلامه قال في نفسه ما خفت منه وقعت فيه ثم انشد هذا البيت

كَانَ الَّذِي خِفْتُ انْ يَكُونَا اِنَّا اِلَى اللّٰهِ رَاجِعُونَا

ثم ان الخادم صاح على الغلمان وقال انزلوه عن الحمار فانزلوا الوقاد عن حماره واتوا له بحصان فركبه ومشى صحبة الركب والغلمان حوله محدقون به وقال لهم الخادم ان عدم منه شعرة كانت بواحد منكم وقال سرّا اكرموه ولا تهينوه فلما رأى الوقّاد الغلمان حوله يئس من الحيوة والتفت الى الخادم وقال له يا مقدم ما انا اخوه ولا قريبه وهذا الشاب لا يقرب لي ولا انا اقرب له وانما انا رجل وقاد في حمّام ووجدته ملقيا على المزبلة مريضا وسار الركب والوقاد يبكي ويحسب في نفسه الف حساب والخادم ماش بجانبه ولم يعرّفه بشيء بل يقول له قدا قلقت سيدتنا با نشاد ل الشعر انت وهذا الصبيي ولا تخاف على نفسك وصار الخادم يضحك عليه سرّا واذا نزلوا اتاهم الطعام فيأكل هو والوقاد في آنية واحدة فاذا اكلوا امر الخادم الغلمان ان يأتوا بقلّة سكر فيشرب منها ويعطيها للوقاد فيشرب لكنه لم تنشف له دمعة من الخوف على نفسه والحزن على فراق ضوء المكان وعلى ما وقع لهما في غربتهما وهما سائران والحاجب تارة يكون على باب المحفة لاجل خدمة ضوء المكان بن الملك عمر بن النعمان واخته نزهة الزمان وتارة يلاحظ الوقاد ونزهة الزمان واخوها ضوء المكان في حديث وشكوى ولم يزالا على تلك الحالة وهم سائرون حتى قربوا من البلاد ولم يبق بينهم وبين البلاد الا ثلثة ايام فنزلوا وقت المساء واستراحوا ولم يزالوا نازلين

Digitized by Google

و ارسل الى ضوءالمكان ثلث بدلات من افخر الثياب و تمشي الى ان جاء الىالمحفة و عرف مقدار نفسه فقالت له نزهة الزمان ارسل الىالخادم و امره ان يأتي بالوقاد و يهيئ له حصانا يركبه و يرتب له سفرة طعام فيالغداة والعشي و يأمره انه لايفارقنا فعند ذلك ارسل الحاجب الى الخادم وامره ان يفعل ذلك فقال سمعا وطاعة ثم ان الخادم اخذ غلمانه و ذهب يفتّش علىالوقاد الى ان وجده في آخر الركب وهو يشد حمارة و يريدان يهرب و دموعه تجري على خده منالخوف على نفسه و من حزنه على فراق ضوءالمكان و صار يقول قد نصحته في سبيل الله فلم يسمع مني ياترى كيف حاله فلم يتم كلامه الا والخادم واقف على رأسه و دارت حوله الغلمان فالتفت الوقاد فرأى الخادم واقفا فوق رأسه ورأى الغلمان حوله فاصفر لونه و خاف و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عنالكلام المبـــاح

فلما كانت الليلة السادسة والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الوقاد لما اراد انيشد حمارة و يهرب و صار يكلم نفسه و يقول يا ترى كيف حاله فماتم كلامه الا والخادم واقف على رأسه والغلمان حوله فالتفت الوقاد فرأى الخادم واقفا على رأسه فارتعدت فرائصه و خاف وقال وقد رفع صوته بالكلام انه ما عرف مقدار ما عملته معه من المعروف فلظن انه غمزالخادم و هؤلاء الغلمان عليّ وانه اشركني معه في الذنب و اذا بالخادم صاح عليه وقال له منالذي كان ينشد الاشعار يا كذّاب كيف تقول لي انا ما انشدت الاشعار ولااعرف من انشدها وهو رفيقك فانا لا افارقك

Digitized by Google

فاحكى لي انت ما وقع لك بعد ذهابي من عندك فحكى لها جميع ما وقع له من الاول الى الآخر وكيف منّ الله عليه بالوقاد وكيف سافر معه وانفق عليه ماله وانه كان يخدمه في الليل والنهار فشكرته على ذلك ثم قال لها يا اختي ان هذا الوقاد فعل معي من الاحسان فعلا لا يفعله احد في احد من احبابه ولا الوالد مع ولده حتى كان يجوع ويطعمني ويمشي ويركبني وكانت حياتي على يديه فقالت له نزهة الزمان ان شاء الله تعالى نكافئه بما نقدر عليه ثم ان نزهة الزمان صاحت على الخادم فحضر وقبّل يد ضوء المكان وقالت له نزهة الزمان خذ بشارتك يا وجه الخير لانه كان جمع شملي باخي على يديك فالكيس الذي معك وما فيه لك فاذهب وائتني بسيدك عاجلا ففرح الخادم وتوجه الى الحاجب ودخل عليه ودعاه الى سيدته فاتى به ودخل على زوجته نزهة الزمان فوجد عندها اخاها فسأل عنه فحكت له ما وقع لهما من اوله الى آخره ثم قالت اعلم ايها الحاجب انك ما اخذت جارية وانما اخذت بنت الملك عمر بن النعمان فانا نزهة الزمان وهذا اخي ضوء المكان فلما سمع الحاجب القصة منها تحقق ماقالته وبان له الحق الصريح وتيقن انه صار صهر الملك عمر بن النعمان فقال في نفسه مصيري ان آخذ نيابة على قطر من الاقطار ثم اقبل على ضوء المكان وهنّاه بسلامته وجمع شمله باخته ثم امر خدمه في الحال ان يهيئوا لضوء المكان خيمة ومركوبا من احسن الخيل فقالت له اخته انا قد قربنا من بلادنا فانا اختلي باخي ونستريح مع بعضنا ونشبع من بعضنا قبل ان نصل الى بلادنا فان لنا زمنا طويلا وفحن مفترقان فقال الحاجب الامر كما تريدان ثم ارسل اليهما الشموع وانواع الحلاوة وخرج من عندهما

Digitized by Google

مغشيا عليهما فلما رأ هما الخادم على تلك الحالة تعجب في امرهما و القى عليهما شيأ ستر هما به و صبر عليهما حتى افاقا فلما افاقا من غشيتهما فرحت نزهة الزمان غاية الفرح و زال عنها الهم و الترح و توالت عليها المسرّات و انشدت هذه الابيات

اَلدَّهْرُ اَقْسَمَ لَا يَزَالُ مُكَدِّرِي حَنَثَتْ يَمِينُكَ يَا زَمَانُ فَكَفِّرِي
اَلسَّعْدُ وَافَى وَالْحَبِيبُ مُسَاعِدِي فَانْهَضْ اِلَى دَاعِي السُّرُورِ وَشَمِّرِي
مَا كُنْتُ اَعْتَقِدُ السَّوَالِفَ جَنَّةً حَتَّى ظَفِرْتُ مِنَ اللَّمَى بِالْكَوْثَرِ

فلما سمع ذلك ضوء المكان ضمّ اخته الى صدره و فاضت لفرط سروره من اجفانه العبرات و انشد هذه الابيات

كِلَانَا سَوَاءٌ فِي الْهَوَى غَيْرَ اَنَّهَا تَجَلَّدُ اَحْيَانًا وَ مَا بِي تَجَلُّدُ
تَخَافُ وَعِيدَ الْكَاشِحِينَ وَاِنَّمَا جُنُونِي عَلَيْهَا حِينَ اُنْهَى وَاُوْعَدُ

و جلسا على باب المحفة ساعة ثم قالت قم بنا الى داخل المحفة و احك لي ماوقع لك و انا احكي لك على ما وقع لي فدخلا فقال ضوء المكان احكي لي انت اولا فحكت له جميع ما وقع لها منذ فارقته من الخان و ما وقع لها مع البدوي والتاجر وكيف اشتراها منه وكيف اخذها التاجر الى اخيها شركان و باعها له و ان شركان اعتقها من حين اشتراها وكتب كتابه عليها و دخل بها و ان الملك ابوها سمع بخبرها فارسل الى شركان يطلبها منه ثم قالت له الحمد لله الذي منّ عليّ بك و مثل ما خرجنا من عند والدنا سواء نرجع اليه سواء ثم قالت له ان اخي شركان زوجني بهذا الحاجب لاجل ان يوصلني الى والدي و هذا ما وقع لي من الاول الى الآخر

Digitized by Google

تحب مثل امك وابيك فسأله الخادم كما امرته نزهة الزمان فقال ضوء المكان نعم فارقت الجميع واعزهم عندي اختي التي فرق بيني وبينها الدهر فسكتت نزهة الزمان لما سمعته يقول هذا الكلام وقالت الله تعالى يجمع شمله بمن يحب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيدان نزهة الزمان لما سمعت كلامه قالت الله يجمع شمله بمن يحب ثم قالت للخادم قل له اسمعني شيأ من مفارقتك لا هلك ووطنك فقال له الخادم كما امرته سيدته فصعد الزفرات وانشد هذه الابيات

أَمَا وَهَوَاهَا حِلْفَةٌ عِنْدَ ذِي وَجْدِ ... لَأُكْرِمُ دَارًا قَدْ أَحَلَّتْ بِهَا هِنْدُ
هَوَاهَا هَوًى لَا يَعْرِفُ النَّاسُ غَيْرَهُ ... فَلَيْسَ لَهُ قَبْلٌ وَلَيْسَ لَهُ بَعْدُ
كَأَنَّ ثَرَى الْوَادِي مُمَسَّكُ عَنْبَرٍ ... إِذَا مَا جَرَتْ يَوْمًا بِسَاحَتِهِ هِنْدُ
سَلَامٌ عَلَى مَحْبُوبَةٍ بِرِبَا الْحِمَى ... عَزِيزَةِ قَوْمٍ كُلُّ مَنْ حَوْلَهَا عَبْدُ
خَلِيلَيَّ مَا بَعْدَ الْعَشِيَّةِ مَنْزِلٌ ... أَرِيحَا فَهَذَا الْبَانُ وَالْعَلَمُ الْفَرْدُ
فَلَا تَسْأَلَا مِنْ غَيْرِ قَلْبِي فَإِنَّهُ ... حَلِيفُ هَوًى لَا يُسْتَطَاعُ لَهُ رَدُّ
سَقَى اللَّهُ نُزْهَةَ الزَّمَانِ سَحَابًا ... مِسَحًّا فَلَا يَنْفَكُّ عَنْ مَتْنِهَا رَعْدُ

فلما فرغ من شعره وسمعته نزهة الزمان كشفت ذيل الستارة عن المحفة ونظرته فلما وقع بصرها على وجهه عرفته وحققته فصاحت قائلة يا اخي ياضوء المكان فنظر الآخر اليها فعرفها فصاح قائلا يا اختي يا نزهة الزمان فالقت نفسها عليه فتلقاها في حضنه ووقع الاثنان

Digitized by Google

لان الست اوصته انه لا يؤذيه ولا يحضره الا بمراده هو فان لم يأت معه يعطه المائة دينار فجعل الخادم يلين له الكلام ويقول له يا سيدي خذ هذه واذهب معي يا ولدي نحن ما اخطأنا معك ولا جرنا عليك فالقصدان تصل بخطواتك الكريمة معي الى سيدتي تاخذ منها جوابا وترجع في خير وسلامة ولك عندنا بشارة عظيمة فلما سمع ذلك الكلام قام ومشى بين الناس وتخطاهم والوقاد ماش خلفه وناظر اليه ويقول في نفسه يا خسارة شبابه في غد يشنقونه وما زال الوقاد ماشيا حتى قرب من مكانهم وهم لايرونه ووقف وقال ما اخسه ان كان يقول عليّ هو الذي قال لي انشد الاشعار هذا ماكان من امر الوقاد واما ماكان من امر ضوء المكان فانه ما زال ماشيا مع الخادم حتى وصل الى المكان ودخل الخادم على نزهة الزمان وقال لها يا سيدتي قد احضرت لك بمن تطلبينه وهو شاب حسن الصورة وعليه آثار النعمة فلما سمعت ذلك خفق قلبها وقالت دعه ينشد شيأ من الشعر حتى اسمعه من قرب وبعد ذلك فاسالة عن اسمه ومن اي البلاد هو فخرج الخادم اليه وقال له قل ما عندك من الشعر فان الست حاضرة بالقرب منك تسمعك وبعد ذلك اسالك عن اسمك وبلدك وحالك فقال حبا وكرامة ولكن اذا سالتني عن اسمي فانه محا ورسمي فني وجسمي بلي ولي حكاية لا اول لها يعرف ولا آخر لها يوصف وها انا في منزلة السكران الذي اكثر من الشراب وما تمحل على نفسه وحلت به الاوصاب وتاه عن نفسه واحتار في امره وغرق في بحر الافكار فلما سمعت نزهة الزمان هذا الكلام بكت وزادت في البكاء والانين وقالت للخادم قل له هل فارقت احدا ممن

Digitized by Google

لظنك على هذه الحالة اما علمت ان هذه الست زوجة الحاجب تريد زجرك لانك اقلقتها وكأنها مريضة او سهرانة من تعب السفر وبعد المسافة وهذه ثاني مرة وهي ترسل الخادم يفتش عليك فلم يلتفت ضوء المكان الى كلام الوقاد بل صاح ثالثا وانشد يقول هذه الابيات

تَرَكْتُ كُلَّ لَئِيمٍ ... مَلَامُهُ أَقْلَقَنِي
يَعْذِلُنِي وَمَا دَرَى ... بِأَنَّهُ حَرَّضَنِي
قَالَ الْوُشَاةُ قَدْ سَلَا ... قُلْتُ لِحُبِّ الْوَطَنِ
قَالُوا فَمَا أَحْسَنَهُ ... قُلْتُ فَمَا أَعْشَقَنِي
قَالُوا فَمَا أَعَزَّهُ ... قُلْتُ فَمَا أَذَلَّنِي
هَيْهَاتَ أَنْ أَتْرُكَهُ ... لَوْ جُرِّعْتُ كَأْسَ الشَّجَنِ
وَمَا أَطَعْتُ لَائِمًا ... فِي حُبِّهِ يَعْذِلُنِي

فلما فرغ من شعره كان الخادم يسمعه وهو مستخف فما فرغ من شعره وانتهى الا والخادم على رأسه فلما رآه الوقاد فر ووقف بعيدا ينظر ما يقع بينهما فقال له الخادم السلام عليكم يا سيدي فقال ضوء المكان وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقال الخادم يا سيدي وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخادم قال لضوء المكان يا سيدي اني اتيت اليك في هذه الليلة ثلث مرات لان سيدتي تدعوك عندها قال ومن اين هذه الكلبة التي تطلبني لعنها الله ولعن زوجها معها ونزل في الخادم شتما فما قدر الخادم ان يرد عليه جوابا

Digitized by Google

يضرب في الناس و يدوس في الخيم فلم يجد احدا مستيقظا و جميع الناس من التعب نائمون فجاء الى الوقاد فوجده قاعدا مكشوف الرأس فدنا منه و مسك يده و قال له انت الذي كنت تنشد الشعر فخاف على نفسه و قال لا والله يا مقدم القوم ما هو انا فقال له الخادم لا اتركك حتى تدلني على من كان ينشد الشعر لاني اخاف من سيدتي اذا انا رجعت لها بغيره فلما سمع الوقاد كلام الخادم خاف على ضوء المكان و بكى بكاء شديدا و قال للخادم والله ما هو انا ولا اعرفه و انما سمعت انسانا عابر سبيل ينشد فلا تدخل في خطيئتي فاني غريب و جئت من بلاد القدس والخليل معكم فقال له الخادم قم انت معي و احك لسيدتي بفمك فاني ما رأيت احدا مستقيظا غيرك فقال له الوقاد اَمَا جئت و رأيتني في هذا الموضع الذي انا فيه قاعد و عرفت مكاني وما احد يقدر ان ينفك عن موضعه الا امسكته الحرّاس فامض انت الى مكانك و ان عدت تسمع احدا من هذه الساعة ينشد شيأ من الشعر سواء كان بعيدا او قريبا فيكون انا او احد اعرفه ولا تعرفه الا مني ثم انه قبل رأس الخادم و اخذ بخاطره فتركه الخادم و دار دورة و جاء فاستتر و وقف من وراء الوقاد و خاف ان يرجع الى سيدته بلا فائدة فقام الوقاد الى ضوء المكان و نبّهه و قال له قم اجلس حتى احكي لك ما جرى فقام فحكى له ما وقع فقال له دعني فاني ما عدت افكر ولا ابالي باحد فان بلادي قريبة فقال الوقاد لضوء المكان لاي شيء انت مطاوع نفسك والشيطان و انت لا تخاف من احد و انا خائف عليك و على نفسي فبالله عليك ما بقيت تتكلم بشيء من الشعر حتى تدخل بلدك فاني ما كنت

Digitized by Google

ثم حركته الاشجان فباح بالكتمان وجعل ينشد هذه الابيات شعـــر

قِفْ بِالدِّيَارِ وَحَيِّ الْاَرْبُعَ الدُّرُسَا وَنَادِهَا فَعَسَاهَا اَنْ تُجِيْبَ عَسَى
فَاِنْ اَجَنَّكَ لَيْلٌ مِنْ تَوَحُّشِهَا اَوْقِدْ مِنَ الشَّوْقِ فِيْ ظَلْمَائِهَا قَبَسَا
اِنْ صَلَّ صُلَّ عِذَارَيْهِ فَلَا عَجَبٌ اِنْ يَجْنِنِيْ لَسَعًا اَنْ اَجْتَنِيْ لَعَسَا
يَا جَنَّةً فَارَقَتْهَا النَّفْسُ مُكْرَهَةً لَوْلَا التَّاَسِّيْ بِدَارِ الْخُلْدِ مُتُّ اَسَى

وانشد ايضا هذين البيتين

كُنَّا وَكَانَتْ لَنَا الْاَيَّامُ خَادِمَةً وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ فِيْ اَبْهَجِ الْوَطَنِ
مَنْ لِيْ بِدَارِ اَحِبَّائِيْ وَكَانَ بِهَا ضُوْءُ الْمَكَانِ وَفِيْهَا نُزْهَةُ الزَّمَنِ

فلما فرغ من شعره صاح ثلث صيحات ثم وقع على الارض مغشيا عليه فقام الوقاد وغطاه فلما سمعت نزهة الزمان الانشاد الاول تذكرت اباها وامها واخاها ولما سمعت الانشاد الثاني المتضمن لذكر اسمها واسم اخيها ومعا هدهما بكت وصاحت على الخادم وقالت له ويلك ان الذي انشد اولا انشد ثانيا وسمعته قريبا مني والله ان لم تأتني به لانبهّن عليك الحاجب فيضربك ويطردك ولكن خذ هذه المائة دينار واعطه اياها وائتني به برفق ولا تضره فان ابى ادفع له هذا الكيس الذي فيه الف دينار فان ابى فاتركه واعرف مكانه وصنعته ومن اي البلاد هو وارجع اليّ بسرعة ولا تغب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان ارسلت الخادم يفتّش عليه وقالت له اياك ان ترجع لي وتقول ما وجدته فخرج الخادم

Digitized by Google

فقال له الخادم اذا كنت تعرفه فدلني عليه وانا امسكه و اجيء به على باب المحفة التي فيها سيدتنا او امسكه انت بيدك فقال له اذهب انت حتى آتيك به فخلاه الخادم و انصرف و دخل على الست وا علمها بذلك و قال ما احد يعرفه وما هو الاعابر سبيل فسكتت واما ضوء المكان فانه لما افاق من غشيته رأى القمر وصل الى وسط السماء و هب عليه نسيم الاسحار فهيج في قلبه البلابل والاشجان فحسن صوته و اراد ان ينشد فقال له الوقاد ما ذا تريد ان تصنع فقال له اريد ان انشد شيأ من الشعر لاطفيء به نار قلبي قال له انت ما علمت بما جرى لي وما سلمت من القتل الا باخذي خاطر الخادم فقال له ضوء المكان و ماذا كان فاخبرني بما وقع فقال يا سيدي قد اتاني الخادم و انت مغشي عليك ومعه عصا طويلة من اللوز و جعل يتطلع في وجوه الناس وهم نائمون وهو يسأل على من كان ينشد الاشعار فلم يجد احدا مستيقظا غيري فسألني فقلت له انه كان عابر سبيل فانصرف وسلمني الله منه والا كان قتلني فقال لي اذا سمعته ثانيا فأت به عندنا فلما سمع ضوء المكان ذلك بكى و قال من يمنعني من النشيد فانا انشد و يجري علي ما يجري فانا قربت من بلادي وما ابالي من احد فقال له الوقاد انت ما مرادك الا هلاك نفسك فقال له ضوء المكان لا بد من انشادي فقال له الوقاد قد وقع الفراق بيني و بينك من هنا و انا كان نيتي اني لا افارقك حتى تدخل مدينتك و تجتمع بابيك و امك و قد مضى لك عندي سنة ونصف ما حصل لك مني ما يضرك فما الذي قام بك في النشيد ونحن في غاية التعب من المشي والسهر والناس قد هجعوا ليستريحوا من التعب و محتاجون الى النوم فقال ضوء المكان لا ارجع عما انا فيه

Digitized by Google

فلما فرغ من شعره صاح وخر مغشيا عليه هذا ما كان من امره واما ما كان من امر نزهة الزمان فانها كانت ساهرة في تلك الليلة لانها تذكرت اخاها في ذلك المكان فلما سمعت ذلك الصوت بالليل ارتاح فؤادها وقامت وتحببت ودعت الخادم فقال لها ما حاجتك فقالت له قم وائتني بهذا الذي ينشد هذه الاشعار فقال لها الخادم اني لم اسمعه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة الثانية والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان لما سمعت من اخيها الشعر دعت الخادم الكبير وقالت له اذهب وائتني بمن ينشد هذه الاشعار فقال لها اني لم اسمعه ولم اعرفه والناس كلهم نائمون فقالت له كل من رأيته مستيقظا فهو الذي ينشد الاشعار ففتش فلم ير مستيقظا سوى الرجل الوقاد وضوء المكان فانه كان في غشيته فلما رأى الوقاد الخادم واقفا على رأسه خاف منه فقال له الخادم هل انت الذي كنت تنشد الشعر وقد سمعتك سيدتنا فاعتقد الوقادان الست اغتاظت من انشاد الشعر فخاف وقال له والله ما هو انا فقال له الخادم ومن هو الذي كان ينشد فدلني عليه فانت تعرفه لانك يقظان فخاف الوقاد على ضوء المكان وقال في نفسه ربما ان الخادم يضره بشيء فقال والله لم اعرفه فقال له الخادم والله انك تكذب فان ما هنا جالس يقظان الا انت فانت تعرفه فقال له الوقاد والله انا اقول لك الحق ان الذي كان ينشد الشعر رجل عابر طريق وهو الذي ازعجني واقلقني فالله يجازيه

Digitized by Google

فقال له الوقاد اترك هذا البكاء و الانين فاننا قريب من خيمة الحاجب فقال ضوء المكان لابد من انشادي شيأ من الشعر لعل نار قلبي تنطفي فقال له الوقاد بالله عليك اترك الحزن حتى تصل الى بلادك وافعل بعد ذلك ما شئت وانا معك حيث ماكنت فقال ضوء المكان والله لا افتر عن ذلك ثم التفت بوجهه الى ناحية بغداد وكان القمر مضيأ مسبلا انواره ونزهة الزمان لم تنم تلك الليلة فقلقت وتذكرت اخاها ضوء المكان وبكت فبينما هي تبكى اذ سمعت اخاها ضوء المكان يبكي و هو ينشد هذه الابيات شعر

لَمَعَ الْبَرْقُ الْيَمَانِيْ ... فَشَجَانِيْ مَا شَجَانِيْ
مِنْ حَبِيْبٍ كَانَ عِنْدِيْ ... سَاقِيًا كَأْسَ التَّهَانِيْ
ذَكَّرَنِيْ مَنْ قَدْ رَمَانِيْ ... بِالْحِمَى لَمَّا رَمَانِيْ
يَا وَمِيْضَ الْبَرْقِ هَلْ ... تَرْجِعُ اَيَّامُ التَّدَانِيْ
يَا عَذُوْلِيْ لَا تَلُمْنِيْ ... اِنَّ رَبِّيْ قَدْ بَلَانِيْ
بِحَبِيْبٍ غَابَ عَنِّيْ ... وَ زَمَانٍ قَدْ دَهَانِيْ
قَدْ نَأَتْ نُزْهَةُ قَلْبِيْ ... عِنْدَ مَا وَلَّى زَمَانِيْ
وَ حَوَى لِيَ الْهَمَّ صِرْفًا ... وَ بِكَأْسٍ قَدْ سَقَانِيْ
وَ اَرَانِيْ يَا خَلِيْلِيْ ... مَيِّتًا قَبْلَ التَّدَانِيْ
يَا زَمَانِيْ بِالتَّصَابِيْ ... عُدْ قَرِيْبًا بِالتَّهَانِيْ
فِيْ سُرُوْرٍ مَعْ اَمَانٍ ... مِنْ سَهْمِ هَمٍّ قَدْ رَمَانِيْ
مَنْ لِمِسْكِيْنٍ غَرِيْبٍ ... بَاتَ مَرْعُوْبَ الْجَنَانِ
ظَلَّ فِى الْحُزْنِ فَرِيْدًا ... بَعْدَ نُزْهَةِ الزَّمَانِ
حَكَّمَتْ فِيْنَا بِرَغْمٍ ... كَفِّ اَوْلَادِ الزَّوَانِيْ

Digitized by Google

وجعل خرجه على حماره وجعل فيه شيأ من الزاد وشد وسطه وتأهب ووقف حتى جازت عليه الاحمال والحاجب راكب على هجين والمشاة حوله وركب ضوء المكان حمار الوقاد وقال للوقاد ركب معي فقال لا اركب ولكن اكون في خدمتك فقال ضوء المكان لابد ان تركب ساعة فقال له كذلك ان اتعب ثم ان ضوء المكان قال له سوف تنظر يا اخي ما افعل بك اذا وصلت الى اهلي وما زالوا مسافرين الى ان طلعت الشمس فلما جاء وقت القائلة امرهم الحاجب بالنزول فنزلوا واستراحوا واسقوجمالهم ثم امرهم بالمسير وبعد خمسة ايام وصلوا الى مدينة حماة ونزلوا فاقاموا بها ثلثة ايام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد انهم اقاموا في مدينة حماة ثلثة ايام ثم سافروا وما زالوا مسافرين حتى وصلوا الي مدينة اخرى فاقاموا بها ثلثة ايام ثم سافروا حتى دخلوا دياربكر وهب عليهم نسيم بغداد فتذكر ضوء المكان اخته نزهة الزمان واباه وامه ووطنه وكيف يرجع الي ابيه بغير اخته فبكى وانّ واشتكى واشتدت به الحسرات فانشد يقول هذه الابيات

خَلِيلَيَّ كَمْ هَذَا التَّأَنِّي وَاصْبِرُ ... وَلَمْ يَأْتِنِي مِنْكُمْ رَسُولٌ يُخَبِّرُ
أَلَا إِنَّ أَيَّامَ الْوِصَالِ قَصِيرَةٌ ... فَيَا لَيْتَ أَيَّامَ التَّفَرُّقِ تَقْصُرُ
خُذُوا بِيَدِي ثُمَّ اكْشِفُوا الثَّوْبَ تَنْظُرُوا ... ضَنَى جَسَدٍ لَكِنَّنِي أَتَسَتَّرُ
وَإِنْ قَالَ لِي أَسْلُوا هَوَاكُمْ أَقُلْ لَهُ ... فَوَاللهِ مَا أَسْلُوا لِحِينَ أُحْشَرُ

فلما حضرت اوقفها على الكتاب وقال لهـــا يا اختي ما عندك من الرأي في رد الجواب قالت له الرأي رأيك ثم قالت له وقد اشتاقت الى اهلها ووطنها ارسلني صحبة زوجي الحاجب لاحكي لابي حكايتي واخبره بماوقع لي مع البدوي الذي باعني للتاجر واخبره بان التاجر باعني لك وانت زوجتني للحاجب بعد عتقي فقال لها شركان وهوكذلك فاخذ شركان ابنته قضى فكان وسلمها للمراضع والخدم وشرع في تجهيز الخراج واعطاه للحاجب وامره بالسير مع الجارية والخراج الى بغدادورسم له بصحفة يجلس فيهـا والجارية بصحفة اخرى فاجابه الحاجب بالسمع والطاعة وجهّز شركان الجمال والبغال وكتب كتابا وسلمه للحاجب وودع اخته نزهة الزمان وكان اخذ منها الخرزة وجعلها في عنق ابنته في سلسلة من خالص الذهب وسافر الحاجب في تلك الليلة فاتفق انه خرج ضوء المكان وكان معه الوقاد يتفرجان تحت الطارمة فرأيا جمالا وبخاتي وبغالا محملة ومشاعل وفوانيس مضيئة فسال ضوء المكان عن هذه الاحمال وعن صاحبها فقالوا له هذا خراج دمشق مسافر الى الملك عمر بن النعمان صاحب مدينة بغداد فقال ومن هو رئيس هذه المحامل قيل هو الحاجب الكبير الذي تزوج الجارية التي تعلمت العلم والحكمة فعند ذلك بكى بـــكاء شديدا وافتكر وتذكر امه واباه واخته ووطنه وقال للوقادما بقي لي هنا قعود بل اسافرمع القافلة هذه وامشي قليلا قليلا حتى اصل الى بلادي فقال له الوقاد انا ما امنت عليك من القدس الي دمشق فكيف آمن عليك الى بغـــداد فانا اكون معك وصحبتك حتى تصل الى مقصدك فقال ضوء المكان حبا وكرامة فشرع الوقاد في تجهيز حاله وشد له حمارا

Digitized by Google

فاخذه وقرأه واذا فيه بعد البسملة اعلم ايها الملك العزيز اني حزين حزنا شديدا علي فراق الاولاد وعدمت الرقاد ولازمني السهاد وقد ارسلت هذا الكتاب اليك فحال وصول هذا الكتاب تجهّز لنا المال والخراج وترسل صحبته الجارية التي اشتريتها وتزوجت بها فاني احببت ان اراها واسمع كلامها لانه جاءنا من بلاد الروم عجوز من الصالحات وصحبتها خمس جوار نهد ابكار وقد حازوا من العلم والادب وفنون الحكمة ما يجب على الانسان معرفته ويعجز عن وصف هذه العجوز ومن معها اللسان فانهن حزن انواع العلم والفضيلة والحكمة فلما رأيتهن احببتهن وقد اشتهيت ان يكن في قصري وفي ملك يدي لانهن لم يوجد لهن نظير عند سائر الملوك فسألت المرأة العجوز عن ثمنهن فقالت لا ابيعهن الا بخراج دمشق وانا والله ما رأيت هذا كثيرا في ثمنهن فان الواحدة منهن تساوي الثمن جميعه فاجبتها الى ذلك ودخلت بهن الى قصري وبقين في حوزي فعجل لنا بالخراج لاجل ان تسافر المرأة الى بلادها وارسل الينا الجارية لاجل ان تناظرهن بين العلماء فاذا غلبتهن ارسلتها لك وصحبتها خراج بغداد وادرك شهر زادالصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الملك عمر بن النعمان قال في مكتوبه وارسل الينا الجارية لاجل ان تناظرهن بين العلماء فاذا غلبتهن ارسلتها اليك وصحبتها خراج بغداد فلما علم بذلك شركان اقبل على صهره وقال له هات الجارية التي زوجتك اياها

Digitized by Google

صار يتعجب ولكنه لم يعرّفهـا بنفسه فقال لها ياسيدتي هل انت بنت الملك عمر بن النعمان قالت نعم فقال لها احكي لي عن سبب فراقك لوالدك وبيعك فحكت له على ماحميع وقع لها من الاول الى الآخر و اخبرته انها تركت اخاها مريضـا في بيت المقدس واخبرته باختطاف البدوي لهـا وبيعـه اياها للتاجر فلمـا سمع شركان ذلك الكلام تحقق انها اخته من ابيه وقال في نفسه كيف اتزوج باختي ولكن و الله لابدان ازوجهـا لواحد من حجابي واذا ظهرامر ادعي انني طلقتها قبل الدخول وزوجتها بالحاجب الكبير ثم رفع رأسه وتأسف وقال يانزهة الزمان انت اختي حقيقة وانا اقول استغفر اللـه من هذا الذنب الذي وقعنـا فيه فاني انا شركان ابن الملك عمربن النعمان فنظرت اليه وحققته فلما عرفته غابت عن صوابها وبكت ولطمت وجهها وقالت لاحول ولاقوة الا باللـه قدوقعنا في ذنب عظيم ماذا يكون العمـل وما اقول لابي وامي اذا قالا لي من اين جاءتك هذه البنت فقال شركان الـرأي ان ازوجك بالحاجب وادعك تربي بنتي عنده في بيته بحيث لايعلم احد بانك إختي وهذا الذي قدره اللـه تعالى علينا لامراراده فما يسترنا الّا زواجك بهذا الحاجب قبل ان يدري احد ثم صارياً خذ بخـاطرها ويقبل رأسهـا فقالت له وما تسمى البنت قال تسميهـا قضى فكان ثم زوجها للحاجب الكبير ونقلها الى بيته هي وبنتها فربوها على اكتاف الجواري وواظبوا عليها بالاشربه وانواع السفـوف هذا كله واخوها ضوء المكان مع الوقاد بدمشق فلمـا كان يوما من الايام اتبل بريد من عند الملك عمر بن النعمان الى الملك شركان ومعه كتاب

Digitized by Google

ثم كتب من جملة المكتوب وبعد السلام عليك و على من عندك اعرفك انك لاتتهاون في كشف الاخبار فان هذا علينا عار فلما قرأ الكتاب حزن على ابيه و فرح لفقد اخته واخيه واخذ الكتاب ودخل به على زوجته نزهة الزمان ولم يعلم انها اخته و هي لا تعلم انه اخوها مع انه يتردد عليها ليلا ونهارا الى ان كملت اشهرها وجلست على كرسي الطلق فسهّل الله عليها الولادة فولدت بنتا فارسلت تطلب شركان فلما رأته قالت له هذه بنتك فسمّها ما تريد فقال عادة الناس ان يسموا اولادهم في سابع يوم ولادتهم ثم انحنى شركان على ابنته وقبلها فوجد في عنقها خرزة معلقة من الثلث خرزات التي جاءت بها الملك ابريزة من بلاد الروم فلما عاين الخرزة معلقة في عنق ابنته غاب عقله ولحقه الغيظ وحملق عينيه وعرف الخرزة حق معرفتها ثم نظر الى نزهة الزمان وقال لها من اين جاءتك هذه الخرزة ياجارية فلما سمعت من شركان ذلك الكلام قالت له انا سيدتك وسيدة كل من في قصرك اما تستحي وانت تقول يا جارية انا ملكة بنت ملك والآن زال الكتمان واشتهر الامر وبان انا نزهة الزمان بنت الملك عمر بن النعمان فلما سمع منها هذا الكلام لحقه الارتعاش واطرق برأسه الى الارض وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شركان لما سمع هذا الكلام ارتجف قلبه واصفر لونه ولحقه الارتعاش واطرق برأسه الى الارض وعرف انها اخته من ابيه فغاب عن الدنيا فلما افاق

Digitized by Google

فقال له الوقاد اترك هذا البكاء و الانين فاننا قريب من خيمة الحاجب فقال ضوء المكان لابد من انشادي شيأ من الشعر لعل نار قلبي تنطفي فقال له الوقاد بالله عليك اترك الحزن حتى تصل الى بلادك وافعل بعد ذلك ما شئت وانا معك حيث ماكنت فقال ضوء المكان والله لا افتر عن ذلك ثم التفت بوجهه الى ناحية بغداد وكان القمر مضيأ مسبلا انواره ونزهة الزمان لم تنم تلك الليلة فقلقت وتذكرت اخاها ضوء المكان وبكت فبينما هي تبكى اذ سمعت اخاها ضوء المكان يبكي و هو ينشد هذه الابيات شعر

لَمَعَ الْبَرْقُ الْيَمَانِيْ ... فَشَجَانِيْ مَا شَجَانِيْ
مِنْ حَبِيْبٍ كَانَ عِنْدِيْ ... سَاقِيًا كَأْسَ التَّهَانِيْ
ذَكَّرَنِيْ مَنْ قَدْ رَمَانِيْ ... بِالْحِمَى لَمَّا رَمَانِيْ
يَا وَمِيْضَ الْبَرْقِ هَلْ ... تَرْجِعُ اَيَّامُ التَّدَانِيْ
يَا عَذُوْلِيْ لَا تَلُمْنِيْ ... اِنَّ رَبِّيْ قَدْ بَلَانِيْ
بِحَبِيْبٍ غَابَ عَنِّيْ ... وَ زَمَانٍ قَدْ دَهَانِيْ
قَدْ نَأَتْ نُزْهَةُ قَلْبِيْ ... عِنْدَ مَا وَلّٰى زَمَانِيْ
وَ حَوٰى لِيَ الْهَمَّ صِرْفًا ... وَ بِكَأْسٍ قَدْ سَقَانِيْ
وَ اَرَانِيْ يَا خَلِيْلِيْ ... مَيِّتًا قَبْلَ التَّدَانِيْ
يَا زَمَانِيْ بِالتَّصَابِيْ ... عُدْ قَرِيْبًا بِالتَّهَانِيْ
فِيْ سُرُوْرٍ مَعْ اَمَانٍ ... مِنْ سَهْمِ هَمٍّ قَدْ رَمَانِيْ
مَنْ لِمِسْكِيْنٍ غَرِيْبٍ ... بَاتَ مَرْعُوْبَ الْجَنَانِ
ظَلَّ فِى الْحُزْنِ فَرِيْدًا ... بَعْدَ نُزْهَةِ الزَّمَانِ
حَكَّمَتْ فِيْنَا بِرَغْمٍ ... كَفِّ اَوْلَادِ الزَّوَانِيْ

Digitized by Google

وجعل خرجه على حماره وجعل فيه شيأ من الزاد وشد وسطه وتأهب ووقف حتى جازت عليه الاحمال والحاجب راكب على هجين والمشاة حوله وركب ضوء المكان حمار الوقاد وقال للوقاد ركب معي فقال لا اركب ولكن اكون في خدمتك فقال ضوء المكان لابد ان تركب ساعة فقال له كذلك ان اتعب ثم ان ضوء المكان قال له سوف تنظر يا اخي ما افعل بك اذا وصلت الى اهلي وما زالوا مسافرين الى ان طلعت الشمس فلما جاء وقت القائلة امرهم الحاجب بالنزول فنزلوا واستراحوا واسقوا جمالهم ثم امرهم بالمسير وبعد خمسة ايام وصلوا الى مدينة حماة ونزلوا فاقاموا بها ثلثة ايام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد انهم اقاموا في مدينة حماة ثلثة ايام ثم سافروا وما زالوا مسافرين حتى وصلوا الي مدينة اخرى فاقاموا بها ثلثة ايام ثم سافروا حتى دخلوا ديار بكر وهب عليهم نسيم بغداد فتذكر ضوء المكان اخته نزهة الزمان واباه وامه ووطنه وكيف يرجع الي ابيه بغير اخته فبكى وانّ واشتكى واشتدت به الحسرات فانشد يقول هذه الابيات

خَلِيلَيَّ كَمْ هَذَا التَّأَنِّي وَاصْبِرُ ... وَلَمْ يَأْتِنِي مِنْكُمْ رَسُولٌ يُخْبِرُ
أَلَا إِنَّ أَيَّامَ الْوِصَالِ قَصِيرَةٌ ... فَيَا لَيْتَ أَيَّامَ التَّفَرُّقِ تَقْصُرُ
خُذُوا بِيَدِي ثُمَّ اكْشِفُوا الثَّوْبَ تَنْظُرُوا ... ضَنًى جَسَدٌ لَكِنَّنِي أَتَسَتَّرُ
وَإِنْ قَالَ لِي أَسْلُوا هَوَاكُمْ أَقُلْ لَهُ ... فَوَاللهِ مَا أَسْلُوا لِمَ حِينَ أُحْشَرُ

فلما حضرت اوقفها على الكتاب وقال لهـــا يا اختي ما عندك من الرأي في رد الجواب قالت له الرأي رأيك ثم قالت له وقد اشتاقت الى اهلها ووطنها ارسلني صحبة زوجي الحاجب لاحكي لابي حكايتي واخبره بماوقع لي مع البدوي الذي باعني للتاجر واخبره بان التاجر باعني لك وانت زوجتني للحاجب بعد عتقي فقال لها شركان وهو كذلك فاخذ شركان ابنته قضى فكان وسلمها للمراضع والخدم وشرع في تجهيز الخراج واعطاه للحاجب وامره بالسير مع الجارية والخراج الى بغداد ورسم له بمحفة يجلس فيهـا والجارية بمحفة اخرى فاجابه الحاجب بالسمع والطاعة وجهز شركان الجمال والبغال وكتب كتابا وسلمه للحاجب وودع اخته نزهة الزمان وكان اخذ منها الخرزة وجعلها في عنق ابنته في سلسلة من خالص الذهب وسافر الحاجب في تلك الليلة فاتفق انه خرج ضوء المكان وكان معه الوقاد يتفرجان تحت الطارمة فرأيا جمالا وبخاتي وبغالا محملة ومشاعل وفوانيس مضيئة فسال ضوء المكان عن هذه الاحمال وعن صاحبها فقالوا له هذا خراج دمشق مسافر الى الملك عمر بن النعمان صاحب مدينة بغداد فقال ومن هو رئيس هذه المحامل قيل هو الحاجب الكبير الذي تزوج الجارية التي تعلمت العلم والحكمة فعند ذلك بكى بـــكاء شديدا وافتكر وتذكر امه واباه واخته ووطنه وقال للوقاد ما بقي لي هنا قعود بل اسافر مع القافلة هذه وامشي قليلا قليلا حتى اصل الى بلادي فقال له الوقاد انا ما امنت عليك من القدس الي دمشق فكيف آمن عليك الى بغـــداد فانا اكون معك وصحبتك حتى تصل الى مقصدك فقال ضوء المكان حبا وكرامة فشرع الوقاد في تجهيز حاله وشد له حمارا

Digitized by Google

فاخذه وقرأه واذا فيه بعد البسملة اعلم ايها الملك العزيز اني حزين حزنا شديدا علي فراق الاولاد وعدمت الرقاد ولازمني السهاد وقد ارسلت هذا الكتاب اليك فحال وصول هذا الكتاب تجهّز لنا المال والخراج وترسل صحبته الجارية التي اشتريتها وتزوجت بها فاني احببت ان اراها واسمع كلامها لانه جاءنا من بلاد الروم عجوز من الصالحات وصحبتها خمس جوار نهد ابكار وقد حازوا من العلم والادب وفنون الحكمة ما يجب على الانسان معرفته ويعجز عن وصف هذه العجوز ومن معها اللسان فانهن حزن انواع العلم والفضيلة والحكمة فلما رأيتهن احببتهن وقد اشتهيت ان يكن في قصري وفي ملك يدي لانهن لم يوجد لهن نظير عند سائر الملوك فسألت المرأة العجوز عن ثمنهن فقالت لا ابيعهن الا بخراج دمشق وانا والله ما رأيت هذا كثيرا في ثمنهن فان الواحدة منهن تساوي الثمن جميعه فاجبتها الى ذلك ودخلت بهن الى قصري وبقين في حوزي فعجل لنا بالخراج لاجل ان تسافر المرأة الى بلادها وارسل الينا الجارية لاجل ان تناظرهن بين العلماء فاذا غلبتهن ارسلتها لك وصحبتها خراج بغداد وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك عمر بن النعمان قال في مكتوبه وارسل الينا الجارية لاجل ان تناظرهن بين العلماء فاذا غلبتهن ارسلتها اليك وصحبتها خراج بغداد فلما علم بذلك شركان اقبل على صهره وقال له هات الجارية التي زوجتك اياها

Digitized by Google

صار يتعجب ولكنه لم يعرّفهـا بنفسه فقال لها ياسيدتي هل انت بنت الملك عمر بن النعمان قالت نعم فقال لها احكي لي عن سبب فراقك لوالدك وبيعك فحكت له على ماحميع وقع لها من الاول الى الآخر و اخبرته انها تركت اخاها مريضـا في بيت المقدس واخبرته باختطاف البدوي لهـا وبيعـه اياها للتاجر فلمـا سمع شركان ذلك الكلام تحقق انها اخته من ابيه وقال في نفسه كيف اتزوج باختي ولكن و الله لابدان ازوجهـا لواحد من حجابي واذا فهرامر ادعي انني طلقتها قبل الدخول وزوجتها بالحاجب الكبير ثم رفع رأسه وتأسف وقال يانزهة الزمان انت اختي حقيقة وانا اقول استغفر اللـه من هذا الذنب الذي وقعنـا فيه فاني انا شركان ابن الملك عمربن النعمان فنظرت اليه وحققته فلما عرفته غابت عن صوابها وبكت ولطمت وجهها وقالت لاحول ولاقوة الا باللـه قدوقعنا في ذنب عظيم ماذا يكون العمـل وما اقول لابي وامي اذا قالا لي من اين جاءتك هذه البنت فقال شركان الـرأي ان ازوجك بالحاجب وادعك تربي بنتي عنده في بيته بحيث لايعلم احد بانك إختي وهذا الذي قدره اللـه تعالى علينا لامراراده فما يسترنا الّا زواجك بهذا الحاجب قبل ان يدري احد ثم صارياً خذ بخـاطرها ويقبل رأسهـا فقالت له وما تسمى البنت قال تسميهـا قضى فكان ثم زوجها للحاجب الكبير ونقلها الى بيته هي وبنتها فربوها على اكتاف الجواري وواظبوا عليها بالاشربه وانواع السفـوف هذا كله واخوها ضوء المكان مع الوقاد بدمشق فلمـا كان يوما من الايام اقبل بريد من عند الملك عمر بن النعمان الى الملك شركان ومعه كتاب

ثم كتب من جملة المكتوب وبعد السلام عليك وعلى من عندك اعرفك انك لاتتهاون في كشف الاخبار فان هذا علينا عار فلما قرأ الكتاب حزن على ابيه وفرح لفقد اخته واخيه واخذ الكتاب ودخل به على زوجته نزهة الزمان ولم يعلم انها اخته وهي لا تعلم انه اخوها مع انه يتردد عليها ليلا ونهارا الى ان كملت اشهرها وجلست على كرسي الطلق فسهّل الله عليها الولادة فولدت بنتا فارسلت تطلب شركان فلما رأته قالت له هذه بنتك فسمّها ما تريد فقال عادة الناس ان يسموا اولادهم في سابع يوم ولادتهم ثم انحنى شركان على ابنته وقبلها فوجد في عنقها خرزة معلقة من الثلث خرزات التي جاءت بها الملك ابريزة من بلاد الروم فلما عاين الخرزة معلقة في عنق ابنته غاب عقله ولحقه الغيظ وحملق عينيه وعرف الخرزة حق معرفتها ثم نظر الى نزهة الزمان وقال لها من اين جاءتك هذه الخرزة ياجارية فلما سمعت من شركان ذلك الكلام قالت له انا سيد تك وسيدة كل من في قصرك اما تستحي وانت تقول يا جارية انا ملكة بنت ملك والآن زال الكتمان واشتهر الامر وبان انا نزهة الزمان بنت الملك عمر بن النعمان فلما سمع منها هذا الكلام لحقه الارتعاش واطرق برأسه الى الارض وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شركان لما سمع هذا الكلام ارتجف قلبه واصفر لونه ولحقه الارتعاش واطرق برأسه الى الارض وعرف انها اخته من ابيه فغاب عن الدنيا فلما افاق

Digitized by Google

عليها و دخل بهـا و حملت منه وشكر عقلها و يسلم على اخوتـه و وزيره دندان و على سائر الامراء وختم الكتاب وارسله الى ابيه صحبة بريد فغاب ذلك البريد شهرا كاملا ثم رجع له بالجواب وناوله اياه فاخذه وقرأه فاذا فيه بعد البسملة هذا من عند الحائر الولهان الذي فقد الولدان و هجـر الاوطان الملك عمر بن النعمـان الى ولده شركان اعلم انه بعد مسيرك من عندي ضاق عليّ المكان حتى لا استطيع صبرا و لا اقدر ان اكتم سرّا و سبب ذلك اني ذهبت الى الصيد و القنص وكان ضوء المكان قد طلب مني الذهـاب الى الحجاز فخفت عليه نوائب الزمان و منعته من السفر الى العام الثاني او الثالث فلما ذهبت الى الصيد و القنص غبت شهرا كاملا و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـباح

فلما كانت الليلة الثامنة والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الملك عمر بن النعمـان قال في مكتوبه فلما ذهبت الى الصيد والقنص غبت شهرا فلمـا اتيت وجدت اخاك واختك اخذا شيأ من المال و سافرا مـع الحجاج الى الحج خفية فلما علمت بذلك ضاق بي الفضـاء و انّي يا ولدي قد انتظرت مجيء الحجاج لعلّهما يجيئان معهم فلما جاء الحجـاج سألت عنهما فما اخبرني عنهما احد فلبست لاجلهما ثياب الحزن وانا مرهون الفؤاد عديم الرقاد غريق دمع العين و انشد يقـول

خَيَا لُهُمَا مَا لَيْسَ يَبْرَحُ سَاعَةً جَعَلْتُ لَهُ فِي الْقَلْبِ اَشْرَفَ مَوْضِعِ
وَلَوْلَا رَجَاءُ الْعَوْدِ مَا عِشْتُ سَاعَةً وَ لَوْلَا خَيَالُ الطَّيْفِ لَمْ اَتَهَجَّعِ

Digitized by Google

بجميع ما في هذا الباب في مجلس واحد ولكن على طول الايام يا ملك الزمان يكون خير فقال القضاة ايها الملك ان هذه الجارية اعجوبة الزمان ويتيمة العصر والاوان وما سمعنا بمثلها طول الزمان ولا طول عمرنا ثم انهم دعوا للملك وانصرفوا فعند ذلك التفت شركان الى خدامه وقال لهم اشرعوا في عمل العرس وهيئوا الطعام من جميع الالوان ففي الحال امتثلوا امره وهيئوا جميع الاطعمة وامر بنسـاء الامراء والوزراء وارباب الدولة ان لاينصرفن حتى يحضرن الجلاء والعرس فما جاء وقت العصر حتى مدت السفرة مما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين من مشوي واوز ودجاج واكل جميع الناس حتى اكتفوا ورسموا لكل مغنية في دمشق فحضرن وكذلك جواري الملك الكبار اللاتي يعرفن الغناء وطلع جميعهن الى القصر فلمـا اتى المسـاء واظلم الظلام اوقدوا الشموع من باب القلعة الى باب القصر يمينا وشمالا ومشى الامراء والوزراء والكبراء بين يدى الملك شركان واخذت المغاني والمواشط الصبيـة لتزينهـا وتلبسهـا فراقتهـا لاتحتـاج الى زينة وكان الملـك شركان قد دخل الحمـام فلمـا خرج جلس على المنصة وجليت عليه العروس سبع خلع ثم خففوا عنها ثيابها واوصوها بما توصى به البنات ليلة الزفاف ودخل عليها شركان فاخذ وجهها فعلقت منه في وقتها وساعتها واعلمته بذلك ففرح فرحا شديدا وامر الحكماء ان يكتبوا تاريخ الحمل فلما اصبح جلس على الكرسي وطلع له ارباب دولته وهنوه واحضر كاتب سره وامره ان يكتب كتابا لوالده عمر بن النعمان بانه اشترى جارية ذات علم وادب قد حوت فنون الحكمة وانه لابد من ارسالها الى بغداد لتزوراخاه ضوء المكان واخته نزهة الزمان وانه اعتقها وكتب كتابه

Digitized by Google

فاستوى جالسا وكان متكئا وقال هات ما عندك يا ابن صفوان فقال يا امير المؤمنين ان ملكا من الملوك خرج قبلك في عام قبل عامك هذا الى هذه الارض فقال لجلسائه هل رأيتم مثل ما انا فيه وهل اعطي احد مثل ما اعطيته وعنده رجل من بقايا حملة الحجة والمعينين على الحق السالكين في منهاجه فقال ايها الملك انك سألت عن امر عظيم اتاذن لي في الجواب عنه قال نعم قال ارأيت الذي انت فيه شيأ لم يزل ام شيأ زائلا فقال هو شيء زائل قال فمالي اراك قد اعجبت بشيء تكون فيه قليلا وتسأل عنه طويلا وتكون عند حسابه مرتهنا قال فاين المهرب واين المطلب قال ان تقيم في ملكك فتعمل على طاعة الله تعالى او تلبس اطمارك وتعبد ربك حتى يأتيك اجلك فاذا كان السحر فاني قادم عليك قال خالد بن صفوان ثم ان الرجل قرع عليه بابه عند السحر فاذا هو قد وضع تاجه وتهيأ للسياحة من عظم موعظته فبكى هشام بن عبد الملك بكاء كثيرا حتى بلّ لحيته وامر بنزع ما عليه ولزم قصره فاتت الموالي والخدم الى خالد بن صفوان وقالوا اهكذا فعلت يا مير المؤمنين افسدت لذته ونغصت حياته ثم ان نزهة الزمان قالت لشركان وكم في هذا الباب من النصائح اني لاعجز عن الاتيان بجميع ما في هذا الباب في مجلس واحد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت لشركان اعلم ايها الملك وكم في هذا الباب من النصائح اني لاعجز عن الاتيان

Digitized by Google

مظلوم الا و اي عامل من عمالي زاغ عن الحق و عمل بلا كتاب
و لا سنة فلا طاعة له عليكم حتى يرجع الى الحق و قال رضى الله عنه
ما احب ان يخفف عني الموت لانه آخر مايؤجر عليه المؤمن و قال
بعض الثقات قدمت على امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وهو
خليفة فرأيت بين يديه اثنى عشر درهما فامر بوضعها في بيت المال
قلت يا امير المؤمنين انك افقرت اولادك وجعلتهم عيالا لاشيء
لهم فلو اوصيت اليهم بشيء والى من هو فقير من اهل بيتك فقال
ادن مني فدنوت منه فقال اما قولك افقرت اولادك فاوص اليهم
او الى من هو فقير من اهل بيتك فغير سديد لان الله خليفتي
على اولادي و على من هو فقير من اهل بيتي وهو وكيل عليهم
و هم ما بين رجلين اما رجل يتقى الله فسيجعل الله له مخرجا
و اما رجل معتكف على المعاصي فاني لم اكن لاقوّيه على معصية
الله ثم بعث اليهم و احضرهم بين يديه وكانوا اثنى عشر ذكرا فلما
نظر اليهم ذرفت عيناه بالبكاء ثم قال ان اباكم ما بين امرين
اما ان تستغنوا فيدخل ابوكم النار و اما ان تفتقروا فيدخل ابوكم
الجنة و دخول ابيكم الجنة احب اليه من ان تستغنوا قوموا عصمكم
الله فقد وكلت امركم الى الله وقال خالد بن صفوان صحبني يوسف
بن عمر الى هشام بن عبد الملك فلما قدمت عليه وقد خرج
بقرابته و خدمه فنزل في ارض و ضربت له خيمة فلما اخذت
الناس مجالسهم خرجت من ناحية البساط فنظرت اليه فلما صارت
عيني في عينه قلت له اتم الله نعمته عليك يا امير المؤمنين وجعل
ما قلدك من هذه الامور رشدا ولا خالط سرورك اذى ولم اجدلك
نصيحة يا امير المؤمنين ابلغ من حديث من سلف قبلك من الملوك

Digitized by Google

دنياكم واعلموا ان الرجل ليس بينه وبين آدم رجل حيّ فى الموتى مات عبد الملك ومن قبله ويمـــوت عمر ومن بعده فقال له مسلمة يا امير المؤمنين لو عملنا لك متكئا لتعتمد عليه قليلا فقال اخاف ان يكون في عنقي منه اثم يوم القيامة ثم شهق شهقة فخر مغشيا عليه فقالت فاطمـــة يامريم يامزاحم يا فلان انظروا الى هذا الرجل فجاءت فاطمة تصب عليه الماء وتبكي حتى افاق من غشيته فرأها تبكي فقال ما يبكيك يا فاطمة قالت يا امير المؤمنين رأيت مصرعك بين ايدينا فتذكرت مصرعك بين يدى الله تعالى للموت وتخليك عن الدنيا وفراقك لنا فذاك الذي ابكاني فقال حسبك يا فاطمة فلقد ابلغت ثم قام فسقط فضمته فاطمة اليها وقالت بابي انت وامي يا امير المؤمنين ما نستطيـع ان نكلمك كلنا ثم ان نزهـة الزمان قالت لاخيها شركان وللقضاة الاربعة تتمة الفصل الثاني من الباب الاول وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــباح

فلما كانت الليلة السادسة والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيدان نزهة الزمان قالت لاخيها شركان وهي لم تعرفه بحضور القضاة الاربعة والتاجر تتمة الفصل الثاني من البـــاب الاول اتفق انـــه كتب عمر بن عبد العزيز الى اهل المـــوسم اما بعد فاني اشهد اللـــه فى الشهر الحرام والبلد الحـــرام ويـــوم الحج الاكبر اني امرق من ظلمكم وعدوان من اعتـــدى عليكم ان اكون امرت بذلك او تعمـــدته اويكون امر من امورة بلغني او احاط به علمي وارجو ان يكون لذلك موضعا عن الغفـران الا انه لا اذن مني بظلم احد فاني مسئول عن كل

Digitized by Google

ورجعت الى بني امية فقالت لهم ذوقوا عاقبة امركم بتز ويجكم الى عمر وقيل لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة جمع اولاده حوله فقال له مسلمة بن عبد الملك يا امير المومنين كيف تترك اولادك فقراء وانت راعيهم فما يمنعك احد في حيوتك من ان تعطيهم من بيت المال ما يغنيهم وهذا اولى من ان ترجعه الى الوالى بعدك فنظر الى مسلمة نظر مغضب متعجب ثم قال يا مسلمة منعتهم ايام حيوتي فكيف اشقى بهم بعد مماتي ان اولادي ما بين رجلين اما مطيع لله تعالى فالله يصلح شانه اوعاص فما كنت لان اعينه على معصية يا مسلمة اني حضرت واياك حين دفن بعض بني مروان فحملتني عيني عنده فرأيته فى المنام اقضي الى امر من امور الله عز وجل فهالني وراعني فعاهدت الله ان لا اعمل عمله ان وليت وقد اجتهدت في ذلك مدة حيوتي وارجوان اقضى الى عفو ربي قال مسلمة توفي رجل حضرت دفنه فلما فرغت من دفنه حملتني عيني فرأيته فيما يرى النائم في روضة فيها انهار جارية وعليه ثياب بيض فاقبل علي وقال يا مسلمة لمثل هذا فليعمل العاملون ونحو هذا كثير وقال بعض الثقات كنت احلب الغنم في خلافة عمر بن عبد العزيز فمررت براع فرأيت مع غنمه ذئبا اوذئبا فظننت انها كلا بها ولم اكن رأيت الذئاب قبل ذلك فقلت ما تصنع بهذه الكلاب فقال انها ليست كلابا بل هي ذئاب فقلت هل ذئاب في غنم لم تضرها فقال اذا صلح الرأس صلح الجسد وخطب عمر بن عبد العزيز على منبر من الطين فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم تكلم بثلث كلمات فقال ايها الناس اصلحوا اسراركم لتصلح علانيتكم لاخوانكم وتكفوا امر

Digitized by Google

وَتَقْوَى اللهِ خَيْرُ الزَّادِ حَقًّا وَعِنْدَ اللهِ لِلْأَتْقَى مَزِيدُ

ثم قالت نزهة الزمان ليسمع الملك هذه النكت من الفصل الثاني من الباب الاول قيل لها وماهي قالت لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة جاء لاهل بيته فاخذ ما بايديهم ووضعه في بيت المال ففزعت بنوا امية الى عمته فاطمة بنت مروان فارسلت اليه قائلة انه لا بد من لقائك ثم اتته ليلا فانزلها عن دابتها فلما اخذت مجلسها قال لها يا عمة انت اولى بالكلام لان الحاجة لك فاخبريني عن مرادك فقالت يا اميرالمؤمنين انت اولى بالكلام ورأيك يستشف ما يخفى عن الافهام فقال عمر بن عبد العزيز ان الله تعالى بعث محمدا رحمة لقوم وعذابا على آخرين ثم اختار له ما عنده فقبضه اليه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت فقال عمر بن عبد العزيز ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة لناس وعذابا على آخرين ثم اختار له ما عنده فقبضه اليه وترك لهم نهرا يشربون منه ثم قام ابو بكر الصديق خليفة بعده فترك النهر على حاله وعمل ما يرضى الله ثم قام عمر قائما فعمل عملا واجتهد اجتهادا ما يقدر احد على مثله فلما قام عثمان اشتق من النهر نهرا ثم ولي معوية فاشتق الانهار منه ثم لم يزل كذلك يشتق منه يزيد وبنو مروان كعبد الملك والوليد وسليمان ويبس النهر الاعظم حتى آل الامر الي فاحببت ان ارد النهر الى ما كان عليه فقالت قد اردت كلامك ومذاكرتك فقط فان كانت هذه مقالتك فلست بذاكرة لك شيئا

Digitized by Google

القصد فاشتراه ثم اعتقه فقال اللهم كما رزقتني العتق الاصغر فارزقني العتق الاكبر وقيل ان عمر بن الخطاب كان يطعم الحليب للخدم ويا كل الغليظ ويكسوهم الليّن ويلبس الخشن ويعطي الناس حقوقهم ويزيد في عطائهم واعطى رجلا اربعة آلاف درهم وزاده الفا فقيل له اما تزيد ابنك كما زدت هذا قال هذا ثبت والده يوم أُحد وقال الحسن اتي عمر بمال كثير فاتته حفصة فقالت له يا امير المؤمنين حق قرابتك فقال يا حفصة انما اوصى الله بحق قرابتي واما مال المسلمين فلا يا حفصة قد ارضيت قومك واغضبت اباك فقامت تجر ذيلها وقال ابن عمر تضرعت الي ربي سنة من السنين ان يريني ابي حتى رأيته يمسح العرق عن جبينه فقلت له ما حالك يا والدي فقال لولا رحمة ربي لهلك ابوك ثم قالت نزهة الزمان اسمع ايها الملك السعيد الفصل الثاني من الباب الاول من اخبار التابعين وسائر الصالحين قال الحسن البصري لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا الا وهو يتاسف على ثلثة اشياء عدم تمتعه بما جمع وعدم ادراكه لما امل وعدم استعداده بكثرة الزاد لما هو قادم عليه وقيل لسفيان ايكون الرجل زاهدا ويكون له مال قال نعم اذا كان متى ابتلي صبر واذا اعطي شكر وقيل لما حضرت عبدالله بن شداد الوفاة احضر ولده محمدا فاوصاه وقال له يا بني اني لارى داعي الموت قد دعالي فعليك بتقوى الله في السر والعلانية والشكر لله وصدق الحديث فالشكر يؤذن بازدياد النعم والتقوى خير زاد كما قال بعضهم شعر

وَلَسْتُ اَرَى السَّعَادَةَ جَمْعَ مَالٍ وَلٰكِنَّ التَّقِيَّ هُوَ السَّعِيْدُ

انه قال خرجت مع عمر ذات ليلة حتى اشرفنا على نار تضرم فقال يا اسلم اني احسب هؤلاء ركبا اضّربهم البرد فانطلق بنا اليهم فخرجنا حتى اتينا اليهم فاذا امرأة توقد نارا تحت قدر و معها صبيان يتضرعون فقال عمر السلام عليكم اصحاب الضوء وكره ان يقول اصحاب النار ما با لكم قالت اضّربنا البرد و الليل قال فما بال هؤلاء القوم يتضرعون قالت من الجوع قال فما هذه القدر قالت ما اسكتهم به و ان عمر بن الخطاب ليسأ له الله عنهم يوم القيامة به قال وما يدري عمر بحالهم قالت كيف يتولى امور الناس و يغفل عنهم قال اسلم فاقبل عمر عليّ وقال انطلق بنا فخرجنا نهرول حتى اتينا دار الصرف فاخرج عدلا فيه دقيق واناء فيه شحم ثم قال حمّلني هذا فقلت انا احمله عنك يا امير المؤمنين فقال اتحمل عني وزري يوم القيامة فحمّلته اياه و خرجنا نهرول حتى القينا ذلك العدل عندها ثم اخرج من الدقيق شيأ و جعل يقول للمرأة ترددي اليّ وكان ينفخ تحت القدر وكان ذو لحية عظيمة فرأيت الدخان يخرج من خلال لحيته حتى طبخ و اخذ مقدارا من الشحم فرماه فيه ثم قال اطعميهم و انا ابرد لهم ولم يزالوا حتى اكلوا و شبعوا وترك الباقي عندها ثم اقبل عليّ وقال يا اسلم اني رأيت الجوع ابكاهم فاحببت ان لا انصرف حتى يتبين لي سبب الضوء الذي رأيته و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــاح

فلما كانت الليلة الرابعة والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت قيل ان عمر مرّ براع مملوك فاستباعه شاة فقال له انها ليست لي فقال انت

Digitized by Google

فقل عن حاجتك فقال حاجتي ان تتقى الله فى الرعية وتعدل بينهم بالسوية ثم نهض قائما من مجلس معوية فلما ولى قالت ميسون لولم يكن بالعراق الا هذا لكفاه ثم ان نزهة الزمان قالت وهذه النبذة من جملة باب الادب واعلم ايها الملك انه كان معيقب عاملا على بيت المال في خلافة عمر بن الخطاب وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيدان نزهة الزمان قالت واعلم ايها الملك انه كان معيقب عاملا على بيت المال في خلافة عمر بن الخطاب فاتفق انه رأى ابن عمر فاعطاه درهما من بيت المال قال معيقب وبعد ان اعطيته الدرهم انصرفت الى بيتي فبينما انا جالس واذا رسول عمر جاءني فرهبت منه وتوجهت اليه فاذا الدرهم في يده فقال لي ويحك يا معيقب اني وجدت في نفسك شيأ قلت وما ذلك قال انك تخاصم امة محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الدرهم يوم القيامة وكتب عمر الى ابي موسى الاشعري كتابا مضمونه اذا جاءك كتابي هذا فاعط الناس الذي لهم واحمل الي ما بقي ففعل فلما ولي عثمان الخلافة كتب الى ابي موسى مثل ذلك ففعل وجاء زياد معه فلما وضع الخراج بين يدي عثمان جاء ولده فاخذ منه درهما فبكى زياد فقال عثمان ما يبكيك قال اتيت عمر بن الخطاب بمثل ذلك فاخذ ابنه درهما فامر بنزعه من يده وابنك اخذ فلم ار احدا قال له شيأ او ينزعه منه فقال عثمان واين تلقى مثل عمر وروى زيد بن اسلم عن ابيه

Digitized by Google

فقال يا ابا بحر كيف رأيك لي قال افرق الشعر و قص الشارب و قلّم الاظفار و انتف الابط واحلق العانة و ادم السواك فان فيه اثنين وسبعين فضيلة و غسل الجمعة كفارة لما بين الجمعتين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــــــــــباح

فلما كانت الليلة الثانية والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الاحنف بن قيس قال لمعوية لما سأله وادم السواك فان فيه اثنين وسبعين فضيلـــة و غسل الجمعة كفارة لما بين الجمعتين قال له معوية كيف رأيك لنفسك قال اطأ بقدمي على الارض وانقلها على تمهل واراعيها بعيني قال كيف رأيك اذا دخلت على نفـر من قومك دون الامرأ قال اطرق حياء وابدأ بالسلام وادع ما لايعنيني واقلّ الكلام قال كيف رأيك اذا دخلت على نظرائك قال استمـــع لهم اذا قالوا ولا اجول عليهم اذا جالوا فقال كيف رأيك اذا دخلت على امرائك قال اسلـم من غير اشارة و انتظـر الاجابة فان قربوني قربت و ان ابعدوني بعدت قال كيف رأيك مع زوجتك قال اعفني من هذا يا اميرالمؤمنين قال اقسمت عليك ان تخبرني قال احسن الخلق و اظهر العشرة و اوسع النفقة فان المرأة خلقت من ضلع اعوج قال فمارايك اذا اردت ان تجامعها قال الممهـا حتى تستطيب والثمهـا حتى تطـرب فانكان الذي تعلم طرحتهـا على ظهرها و ان استقـرت النطفة في قرارها قلت اللهم اجعلها مباركة ولا تجعلهـا شقية و صوّرها احسن تصـوير ثم اقوم عنهـا الى الوضوء فافيض المـاء على يدي ثم اصبه على جسدي ثم احمد الله على ما اعطاني من النعم فقال معوية احسنت في الجواب

Digitized by Google

نزل به الامر لايعرف عاقبته فيأتي ذوى الرأى فينزل عند آرائهم وآخر حائر لايعلم رشدا ولا يطيع مرشدا والعدل لابد منه في كل الاشياء حتى ان الجواري يحتجن الى العدل وضربوا لذلك مثلا في قطاع الطريق المقيمين على ظلم الناس فانهم لو لم يتنا صفوا فيما بينهم ويستعملوا الواجب فيما يقسمونه لاختل نظامهم وبالجملة فسيد مكارم الاخلاق الكرم وحسن الخلق وما احسن قول الشاعر

بِبَذْلٍ وَحِلْمٍ سَادَ فِي قَوْمِهِ الْفَتَى وَكَوْنُكَ اِيَّاهُ عَلَيْكَ يَسِيْرُ

وقال الآخر

فَفِي الْحِلْمِ اِتْقَانٌ وَفِي الْعَفْوِ هَيْبَةٌ وَفِي الصِّدْقِ مَنْجَاةٌ لِمَنْ كَانَ صَادِقًا
وَمَنْ يَلْتَمِسْ حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ يَكُنْ بِالنَّدَى فِي حَلْبَةِ الْمَجْدِ سَابِقًا

ثم ان نزهة الزمان تكلمت في سياسة الملوك حتى قال الحاضرون ما رأينا احدا تكلم في باب السياسة مثل هذه الجارية فلعلها تسمعنا شيأ من غير هذا الباب فسمعت نزهة الزمان ما قالوه وفهمته فقالت واما باب الادب فانه واسع المجال لانه مجمع الكمال فقد اتفق انه دخل رجل على معوية من ندمائه فذكر اهل العراق وحسن رأيهم وزوجته ميسون ام يزيد تسمع كلامهما فلما انصرف قالت يا امير المؤمنين احب ان تأذن للقوم من اهل العراق بالدخول عليك ليتحدثوا معك فاسمع حديثهم فقال معوية انظروا من بالباب فقالوا بنوا تميم قال ليدخلوا فدخلوا ومعهم الاحنف بن قيس فقال له معوية اقرب مني يا ابا بحر وضرب بينهما ستر بحيث تسمع كلامهما

Digitized by Google

و قال له اجعل كلبك يتبعك فغضب المنصور من الاعرابي لما سمع منه هذا الكلام فقال ابو العباس الطوسي اخشى ان يلوّح له غيرك برغيف فيتبعه ويتركك فسكن غيظ المنصور وعلم انها كلمة لاتخطئ وامر للاعرابي بعطية واعلم ايها الملك انه كتب عبد الملك ابن مروان لاخيه عبد العزيز حين وجّهه الى مصر تفقد كنّابك وحجّابك فان الثابت يخبرك عنه كتابك والترسيم تعرّفك به حجابك والخارج من عندك يعرفك بجيشك وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا استخدم خادما شرط عليه اربعة شروط ان لا يركب البراذين وان لا يلبس الثوب الرقيق و ان لا يأكل من الفيء وان لايؤخر الصلوة عن وقتها وقيل لا مال اجود من العقل ولا عقل كالتدبير والحزم ولا حزم كالتقوى ولا قربة كحسن الخلق ولا ميزان كالادب ولا فائدة كالتوفيق ولا تجارة كالعمل الصالح ولا ربح كثواب الله ولا ورع كالوقوف عند حدود السنة ولا علم كالتفكر ولا عبادة كاداء الفرائض ولا ايمان كالحياء ولا حسب كالتواضع ولا شرف كالعلم فاحفظ الرأس وما حوى والبطن وما وعى واذكر الموت والبلاء وقال علي كرم الله وجهه اتقوا اشرار النساء وكونوا منهن على حذر ولا تشاوروهن في امر ولا تضيقوا عليهن في معروف حتى لا يطمعن فى المكر وقال من ترك الاقتصاد حار عقله وله آداب نذكرها ان شاء الله وقال عمر رضي الله عنه النساء ثلثة امرأة مسلمة تقية ودود ولود تعين بعلها على الدهر ولا تعين الدهر على بعلها واخرى تراد للولد لا تزيد على ذلك واخرى غلّ يجعلها الله في عنق من يشاء والرجال ايضا ثلثة رجل عاقل اذا اقبل على رايه وآخر اعقل منه وهو من اذا

Digitized by Google

بامور الدين والدنيا و يلزم الناس باتباع الشرع والمحافظة على المروة و يكون جامعا بين القلم والسيف فمن زاغ عما سطر القلم زلت به القدم فيقوّم اعوجاجه بحد الحسام و ينشر العدل في جميع الانام و اما ملك الهوى فلا دين له الا اتباع هواه و لم يخش سطوة مولاه الذي ولاّه فمآل ملكه الى الدمار و نهاية عتوه الى دار البوار و قالت الحكماء الملك يحتاج الى كثير من الناس و هم محتاجون الى واحد ولاجل ذلك وجب ان يكون عارفا باخلاقهم ليردّ اختلافهم الى وفاقهم و يعمهم بعد له و يغمرهم بفضله و اعلم ايها الملك ان ازد شير يقال له جمر شديد و هو الثالث من ملوك الفرس قد ملك الاقاليم جميعها و قسّمها على اربعة اقسام و جعل له من اجل ذلك اربع خواتم لكل قسم خاتم الاول خاتم البحر والشرطة والمحاماة وكتب عليه النيابات والثاني خاتم الخراج وجباية الاموال وكتب عليه العمارة والثالث خاتم القوت وكتب عليه الرخاء والرابع خاتم المظالم وكتب عليه العدل فبقيت و استمرت هذه الرسوم في الفرس الى ان ظهر الاسلام وكتب كسرى لابنه و هو في جيشه لاتوسعنّ على جيشك فيستغنوا عنك و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان كسرى كتب لابنه لا توسعن على جيشك فيستغنوا عنك و لا تضيق عليهم فيضجروا منك و اعطهم عطاء قصدا وامنحهم منحا جميلا ووسع عليهم في الرخاء ولا تضيق عليهم في الشدة وروي ان اعرابيا جاء الى المنصور

Digitized by Google

الملك ان محاسن الخلق مجموعة فى الدين والدنيا فلا يتوصل احد الى الدين الا بالدنيا لانها نعم الطريق الى الآخرة و ليس ينتظم امر الدنيا الا باعمال اهلها و اعمال الناس تنقسم على اربعة اقسام الامارة والتجارة والزراعة والصناعة فالامارة ينبغي لها السياسة التامة والفراسة الصادقة لان الامارة مدار عمارة الدنيا التي هي طريق الى الآخرة لان الله تعالى جعل الدنيا للعباد كزاد المسافر الى تحصيل المراد فينبغي لكل انسان ان يتناول منها بقدر ما يوصله الى الله ولا يتبع في ذلك نفسه و هواه ولو تناولها الناس بالعدل لانقطعت الخصومات و لكنهم يتنا و لونها بالجور و متابعة الهوى فتسببت عن انهماكهم عليها الخصومات فاحتاجوا الى السلطان لاجل ان ينصف بينهم ويضبط امورهم ولولا ردع الملك الناس عن بعضهم لغلب قويهم على ضعيفهم و قد قال ازد شير ان الدين والملك توأمان فالدين كنز والملك حارس وقد دلت الشرائع والعقول على انه يجب على الناس ان يتخذوا سلطانا يدفع الظالم عن المظلوم و ينصف الضعيف من القوي و يكف باس العاتي والباغي و اعلم ايها الملك انه على قدر حسن اخلاق السلطان يكون الزمان فانه قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئان فى الناس ان صلحا صلح الناس وان فسدا فسد الناس العلماء والامراء وقد قال بعض الحكماء الملوك ثلثة ملك دين و ملك محافظة على الحرمات و ملك هوي فاما ملك الدين فانه يلزم رعيته باتباع دينهم و ينبغي ان يكون اديهم لانه هو الذي يقتدى به في امور الدين و يلزم الناس طاعته فيما امر به موافقا للاحكام الشرعية ولكنه ينزل الساخط منزلة الراضي بسبب التسليم الى الاقدار و اما ملك المحافظة على الحرمات فانه يقوم

Digitized by Google

فسمعت نساء الامراء والوزراء ان الملك شركان اشترى جارية ما مثلها في الجمال والعلم والحكمة والحساب وانها حوت جميع العلوم وقد وزن ثمنها ثلثمائة دينار وعشرين الف دينار واعتقها وكتب كتابه عليها واحضر القضاة الاربعة لاجل امتحانها حتى تجا وبهم على ما يسألونها ويناظرونها فطلب النساء الاذن من ازواجهن ومضين الي القصر الذي فيه نزهة الزمان فلما دخلن عليها وجدن الخدم وقوفا بين يديها فحين رأت نساء الامراء والوزراء وارباب الدولة داخلة عليها قامت لهن علي اقدامها وقابلتهن ووقفت الجواري خلفها وتلقت النساء بالترحيب وصارت تتبسم في وجوههن فاخذت بقلوبهن ثم اوعدتهن بكل خير وانزلتهن في مراتبهن كأنها تربت معهن فتعجبن من عقلها وادبها مع حسنها وجمالها وقلن بعضهن لبعض ما هذه جارية بل ملكة بنت ملك فجلسن يعظمن قدرها وقلن لها يا سيدتنا اضاءت بك بلدتنا وشرفت بلادنا واماكننا واوطاننا ومملكتنا فالمملكة مملكتك والقصر قصرك وكلنا جواريك فبالله لاتخلينا من احسانك والنظر الى حسنك فشكرتهن على ذلك هذا كله والستارة مرخاة بينها ومن عندها من النساء وبين الملك شركان والقضاة الاربعة والتاجر وهم جالسون بجانب الملك فعند ذلك ناداها الملك شركان وقال لها ايتها الملكة العزيزة في زمانها ان هذا التاجر قد وصفك بالعلم والادب وادّعى انك تعرفين في جميع العلوم حتى علم النجوم فاسمعينا شيأً مما ذكرته لذلك التاجر واذكري لنا من هذا الشيء بابا يسيرا فلما سمعت كلامه قالت سمعا وطاعة ايها الملك الباب الاول في السياسات والآداب الملكية وما ينبغي لولاة الامور الشرعية وما يلزم لهم من قبل الاخلاق المرضية اعلم ايها

Digitized by Google

هذا الكلام قال انا اعطيك في ثمنها اكثر من ذلك ثم دعا بخازن داره وقال له اعط لهذا التاجر ثلثمائة الف دينار وعشرين الف دينار فيكون له مائة وعشرون الف دينار فائدة ثم احضر السلطان شركان القضاة الاربعة وسلمه المال بحضرتهم وقال للقضاة اشهدكم اني اعتقت جاريتي هذه واريدان اتزوجها فكتب القضاة حجة بعتاقها ثم كتبوا كتابه عليها ونثر الملك على رؤس الحاضرين ذهبا كثيرا فصار الغلمان والخدم يلتقطون ما نثره عليهم الملك من المال ثم بعد ذلك امر الملك شركان بكتابة منشور للتاجر بعد ان سلمه المال وكتب التوقيع مخلدا بانه لا يدفع على تجارته عشرا ولا مكسا ابدا ولا يتعرض له احد بسوء في سائر مملكته وبعد ذلك امر له بخلعة سنية وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للستين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك شركان امر للتاجر بكتابة منشور بعد ما سلم له المال وكتب له التوقيع مخلدا انه لا يدفع على تجارته عشرا ولا يتعرض له احد بسوء في مملكته وامر له بخلعة سنية وانصرف جميع من عنده ولم يبق عنده غير القضاة والتاجر فقال للقضاة اريدان تسمعوا من الفاظ هذه الجارية ما يدل على علمها وادبها من كل ما ادعاه التاجر لتحقق صدق كلامه فقالوا لاباس بذلك فامر بارخاء ستارة بينه هو ومن معه وبين الجارية ومن معها وصار جميع النساء اللاتي مع الجارية خلف الستارة يهنئنها ويقبلن يديها ورجليها لما علموا انها صارت زوجة الملك ثم درن حولها وقلعن ثيابها وخففنها من ثقل الثياب وصرن ينظرن الى حسنها وجمالها

Digitized by Google

تضرب تحت نهديها فوق سرتها وتلك القلادة فيها عشراً كر وتسعة اهلّة كل هلال في وسطه فص من يا قوت وكل اكرة فيها فص من البلخش وثمن تلك القلادة ثلثة آلاف دينار وكل اكرة بعشرين الف درهم فصارت الكسوة التي كساها اياها بجملة بليغة من المال فلما لبسها امرها التاجران تتزين فتزينت باحسن الزينة وارخت على عينيها خاقونية ومشت ومشى التاجر قدامها فلما عاينها الناس بهتوا في حسنها وقالوا تبارك الله احسن الخالقين يا بخت من كانت هذه عنده وما زال التاجر يمشي وهي تمشي خلفه الى ان دخل على السلطان شركان فلما دخل على الملك قبل الارض بين يديه وقال ايها الملك السعيد اتيت اليك بهدية غريبة الاوصاف معدومة المثال في هذا الزمان حازت الحسن والاحسان فقال له الملك ارني اياها عيانا فخرج التاجر واتى بها وهي خلفه الى ان اوقفها قدام الملك شركان فلما رآها حن الدم الى الدم وكانت قد فارقته وهي صغيرة ولم ينظرها لانه بعد مضي مدة من ولادتها سمع ان له اختا تسمى نزهة الزمان واخا يسمى ضوء المكان فكان يبغضهما لاجل المملكة فهذا سبب قلة معرفته بهما فعند ذلك لما قدمها اليه التاجر قال له يا ملك الزمان انها مع كونها بديعة الحسن والجمال بحيث لا نظير لها في عصرها تعرف جميع العلوم الدينية والدنيوية والسياسية والرياضية فقال الملك للتاجر خذ ثمنها مثل ما اشتريتها ودعها ورح الى حال سبيلك فقال له سمعا وطاعة ولكن اكتب لي مرقوما على اني لا ادفع عُشرا ابدا على تجارتي فقال الملك اني اول ما افعل ذلك ولكن اخبرني كم وزنت ثمنها فقال وزنت ثمنها مائة الف دينار وكسوتها بمائة الف دينار فلمّا سمع الملك

Digitized by Google

كَفَى بِجِسْمِي نُحُولًا اِنَّنِي رَجُلٌ لَوْلَا مُخَاطَبَتِي اِيَّاكَ لَمْ تَرَنِي

ثم افاضت دموع العين وبعد ذلك كتبت في اسفل الدرج هذا من عند البعيدة عن الاهل والاوطان الحزينة القلب والجنان نزهة الزمان ثم لفت الدرج وناولته للتاجر فاخذه وقبله وعرف ما فيه ففرح وقال سبحان من صوّرك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة التاسعة والخمسون

قالت بلغني ايهـــا الملك السعيـدان نزهة الزمان كتبت الكتـــاب وناولته للتاجر فاخذه وقرأه وعلم ما فيه فقال سبحان من صوّرك وزاد في اكرامها وصار يلاطفها نهاره كله فلمـا اقبل الليل خرج الى السوق واتى بشيء فاطعمها اياه ثم ادخلها الحمام واتى لها ببلّانة وقال لها اذا فرغت من غسل رأسها فالبسيهـا الاثواب ثم ارسلي اعلميني بذلك فقالت سمعا وطاعة ثم احضر لها طعـــاما وفاكهة وشمعـــا وجعل ذلك على مصطبة الحمام فلمـــا فرغت البلانة من تنظيفها البستها ثيابها فخرجت من الحمام وجلست على مصطبته وارسلت البلانة اعلمته وخرجت فوجدت المائدة حاضرة فاكلت هي والبلانة من الطعام والفاكهة ودفعتا الباقي لصنّاع الحمام وحارسه ثم باتت الى الصباح وبات التاجر منعزلا عنها في مكان آخر فلما استيقظ من نومه ايقظ نزهة الزمان واحضر لها قميصا رفيعا واخذ كوفية بالف دينار وبدلة لباس تركية مزركشة وخفا مزركشا بالذهب الاحمر مرصّعا بالدر والجـوهر وجعل في اذنيها حلقـا من ذهب مرصّعا بلوء لوء بالف دينار ووضع في رقبتها طوقا من ذهب بين الرمانتين وقلادة من عنبر

Digitized by Google

سفرك الى البلاد و يغنيك عن مجلدات الاسفار فلما سمع التاجر ذلك منها صاح بخ بخ فيـــا سعد من تكونين في قصره ثم اتاها بدواة وقرطاس وقلم من نحاس فلما احضـر التاجر ذلك بين يديها باس الارض تعظيمـــا لهـا فاخذت نزهة الزمان الدرج وتناولت القلم وكتبت فيه شعـــــــــــــــــــــــــــــــرا

أَرَى النَّوْمَ مِنْ عَيْنَيَّ قَدْ نَفَرَا أَأَنْتَ عَلَّمْتَ طَرْفِي بَعْدَكَ السَّهَرَا
وَمَا لِذِكْرِكَ يُصْلِي النَّارَ فِي كَبِدِي أَهَكَذَا كُلُّ صَبٍّ لِلْهَوَى ذَكَرَا
سَقْيًا لِأَيَّامِنَا مَا كَانَ أَطْيَبَهَا وَلَّتْ وَلَمْ أَقْضِ مِنْ لَذَّاتِهَا وَطَرَا
أَسْتَعْطِفُ الرِّيحَ أَنَّ الرِّيحَ حَامِلَةٌ إِلَى الْمُتَيَّمِ مِنْ أَكْنَافِكُمْ خَبَرَا
يَشْكُو إِلَيْكَ مُحِبٌّ قَلَّ نَاصِرُهُ وَلِلْفِرَاقِ خُطُوبٌ تَصْدَعُ الْحَجَرَا

ثم انها لما فرغت من كتابة شعرها كتبت بعد ذلك هذا الكلام وهي تقول من اختر مها الفكر وانحلها السهر فظلمتها لا تجد لها من انوار ولا تعلم الليل من النهـــار وتتقلب على مراقد البين وتكتحـــل بمراود الارق وهي للنجوم رقيبة وللظلام نقيبة قد اذابها الكفر والنحول وشرح حالهـا يطول لا مساعد لهـــا غير العبرات وانشدت تقول هذه الابـــــــــــــــــــيـــــــــــات

مَا غَرَّدَتْ سَحَرًا وَرْقَاءُ فِي فَنَنٍ إِلَّا تَحَرَّكَ عِنْدِي قَاتِلُ الشَّجَنِ
وَلَا تَأَوَّهَ مُشْتَـــاقٌ بِهِ طَرَبٌ إِلَى الْأَحِبَّةِ إِلَّا زَادَنِي حَزَنِي
أَشْكُو الْغَرَامَ إِلَى مَنْ لَيْسَ يَرْحَمُنِي كَمْ فَرَّقَ الْوَجْدُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْبَدَنِ

ثم افاضت دموع العين وكتبت ايضا هذين البيتين

أَبْلَى الْهَوَى أَسَفًا يَوْمَ النَّوَى بَدَنِي وَفَرَّقَ الْهَجْرُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْوَسَنِ

Digitized by Google

بغداد تدمع عيناك الك فيها احد تحبينه فان كان تاجرا اوغيره فاخبر يني به فانا اعرف جميع من فيهـــا من التجـــار و غيرهم وان اردت رسالة انا او صلهـــا اليه فقالت و الله ما لي معرفة بتاجر ولاغيره وانمـــا لي معرفة بالملك عمـــر بن النعمان صاحب بغداد فلما سمع التاجر كلا مهـــا ضحك و فرح فرحا شديدا وقال في نفسه والله اني وصلت الى ما اريد ثم قال لها هل عرضت عليه سابقا فقالت لا بل تربيت انا وبنته فكنت عزيزة عنده ولي عنده حرمة كبيرة فانكان غرضك ان الملك عمر بن النعمـان يكتب لك ما تريد فأتني بدواة وقرطاس فالي اكتب لك كتابا فاذا دخلت الى مدينة بغداد فسلم الكتـاب من يدك الى يد الملك عمر بن النعمان وقل له ان جاريتك نزهة الزمان قد طرقتها صروف الليالي والايام حتى بيعت من مكان الى مكان وهي تقرئك السلام واذا سألك عني فاخبره اني عند نائب دمشق فتعجب التاجر من فصاحتها وازدادت عنده محبتها وقال ما اظن الا ان الرجال لعبوا بعقلك وباعوك بالمال فهل تحفظين القرآن قالت نعم واعرف الحكمة والطب ومقدمة المعرفة وشرح فصول بقراط لجالينوس الحكيم وشرحته ايضا وقرأت التذكرة وشرحت البرهان وطالعت مفردات ابن البيطار وتكلمت على القانون المكي لابن سينا وحليت الرموز ووضعت الاشكال وتحدثت في الهندسة واتقنت حكمة الابدان وقرأت كتب الشافعية وقرأت الحديث والنحو وناظرت العلماء وتكلمت في سائر العلوم والفت في علم المنطق والبيان والحساب والجداول واعرف الروحاني والميقات وفهمت هذه العلوم كلها ثم قالت للتاجر ائتني بدواة وقرطاس حتى اكتب لك كتابا ينفعك في

Digitized by Google

عمزت عليك نائب دمشق فياخذها منك قهرا فقال البدوي تكلم فقال بمائة الف دينار فقال البدوي بعتك اياها بهذا الثمن واقدر انني اشتريت بها ملحا فلما سمعه التاجر ضحك ومضى الى منزله واتى له بالمال و اقبضه اياه فاخذه البدوي فقال في نفسه لا بدان اذهب الى القدس لعلي اجد اخاها فاجيء به و ابيعه ثم ركب وسافر الى ان وصل الى بيت المقدس فذهب الى الخان وسأل عن اخيها فلم يجده هذا ما كان من امره واما ما كان من امر التاجر ونزهة الزمان. فانه لما اخذها القى عليها شيأ من قماشه ومضى بها الى منزله و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والخمسون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان التاجر لما تسلم نزهة الزمان من البدوي ومضى بها الى منزله و البسها افخر الملبوس اخذها ونزل بها الى السوق و اخذ لها مصاغا مما طلبته و وضعه في بقجة من الاطلس و وضعها بين يدي نزهة الزمان و قال لها هذا كله من اجلك ولا اريد منك الا اذا طلعت بك الى السلطان نائب دمشق ان تعلميه بالثمن الذي اشتريتك به و انكان قليلا في ظفرك فاذا وصلت اليه و اشتراك مني اذكري له ما فعلت معك واطلبي لي منه منشورا سلطانيا بالوصية عليّ لاذهب به الى والده صاحب بغداد عمر بن النعمان لاجل ان يمنع من يأخذ مني مكسا على قماش او غيره من جميع ما اتجر فيه فلما سمعت كلامه بكت و انتحبت فقال لها التاجر ياسيدتي اني اراك كلما ذكرت

Digitized by Google

دمعها عن خدها فاعتقد انها تمنعه من التقليب فقام اليها يجري وكان معه مِقْود جمل فشاله في يده وضربها به على اكتافها فجاءت الضربة بقوة فانكبت بوجهها على الارض فجاءت حصاة من الارض في حاجبها فشقته فسال دمها على وجهها فصرخت صرخة عظيمة وغشي عليها وبكت وبكى التاجر معها فقال التاجر لا بدان اشتري هذه الجارية ولو بثقلها ذهبا واريحها من هذا الظالم وصار التاجر يشتم البدوي وهي في غشيتها فلما افاقت مسحت الدموع والدم عن وجهها وعصبت رأسها ورفعت طرفها الى السماء وطلبت من مولاها بقلب حزين وانشدت تقول شعرا

وَارَحْمَتَا لِعَزِيزَةٍ ... بِالضَّيْمِ قَدْ صَارَتْ ذَلِيلَهْ
تَبْكِي بِدَمْعٍ هَاطِلٍ ... وَتَقُولُ مَا فِي الْوَعْدِ حِيلَهْ

فلما فرغت من شعرها التفتت الى التاجر وقالت له بصوت خفي بالله لا تدعني عند هذا الظالم الذي لا يعرف الله تعالى فاني ان بت هذه الليلة عنده قتلت نفسي بيدي فخلصني منه يخلصك الله من نار جهنم فقام التاجر وقال للبدوي يا شيخ العرب هذه ليست غرضك بعني اياها بما تريد فقال البدوي خذها وادفع ثمنها والا اروح بها الى النجع واخليها هناك تلمّ البَعر وترعى الجمال فقال التاجر اعطيك خمسين الف دينار فقال البدوي يفتح الله تعالى فقال التاجر سبعون الف دينار فقال البدوي يفتح الله هذا ما هو رأس مالها لانها اكلت عندي اقراص شعير بتسعين الف دينار فقال له التاجر انت واهلك وقبيلتك في طول زمانكم ما اكلتم بالف دينار شعيرا ولكن انا اقول لك كلمة واحدة فان لم ترض بها

خجلان من حسنها وجمالها وجلس الى جانبها وقال لها ياسيدتي ما اسمك فقالت له تسأل عن اسمي اليوم اوقبل ذلك اليوم فقال لها انت لك اسم اليوم وقبل ذلك اليوم قالت نعم اسمي قبل ذلك اليوم نزهة الزمان واسمي اليوم غصة الزمان فلما سمع التاجر هذا الكلام منها تغرغرت عيناه بالدموع وقال لها هل لك اخ ضعيف فقالت اي والله ياسيدي ولكن فرق الزمان بيني وبينه وهو مريض في بيت المقدس فتحير عقله من عذوبة منطقهـــا وقال في نفســه لقد صدق البدوي في مقالته ثم ان نزهة الزمان تذكرت اخاها ومرضه وغربته وفراقهـــا منـه وهو ضعيف ولا تعلم ما وقع له وتذكرت كيف ماجرى لها هذا الامر مع البدوي وبُعدهـا عن امها وابيها ومملكتها فجرت دموعها على خدها وارسلت العبرات وانشدت تقول هذه الابيـــــــــــــــــات

حَيْثُمَا كُنْتَ قَدْ وَقَاكَ إِلٰهِي ... أَيُّهَـا الرَّاحِلُ الْمُقِيمُ بِقَلْبِي
وَلَكَ اللّٰهُ حَيْثُ أَمْسَيْتَ جَارٌ ... حَافِظٌ مِنْ صُرُوفِ دَهْرٍ وَخَطْبِ
غِبْتَ فَاسْتَوْحَشَتْ لِقُرْبِكَ عَيْنِي ... وَاسْتَهَلَّتْ مَدَامِعِي أَيَّ سَكْبِ
لَيْتَ شِعْرِي بِأَيِّ رَبْعٍ وَأَرْضٍ ... أَنْتَ مُسْتَوْطِنٌ بِدَارٍ وَشِعْبِ
إِنْ تَكُنْ شَارِبًا لِمَـاءِ حَيَوٰةٍ ... خَضِرِ الْوِرْدِ فَالْمَدَامِعُ شِرْبِي
إِنْ شَهِدْتَ الرُّقَادَ يَوْمًا فَجُمِّرْ ... مِنْ سُهَادِي بَيْنَ الْفِرَاشِ وَجَنْبِي
كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا فِرَاقَكَ سَهْـلٌ ... عِنْدَ قَلْبِي وَغَيْرُهُ غَيْرُ صَعْبِ

فلما سمع التاجر ما قالته من الشعـــر بكى ومديده ليمسح دموعها عن خدها فغطت وجهها وقالت له حاشاك ياسيدي ثم ان البدوي قعد ينظر اليها وهي تغطي وجهها من التاجر حيث ارادان يمسح

Digitized by Google

ادفع لك فيها مائتي دينار سالمة ليدك خارجا عن الضمان وحق السلطان فلما سمع ذلك البدوي اغتاظ غيظا شديدا وصرخ على التاجر وقال له قم الى حال سبيلك والله ان اعطيتني مائتي دينار في هذه القطعة العباءة التي عليها ما بعتها لك وانا ما عدت ابيعها بل اخليها عندي ترعى الجمال وتطحن الطحين ثم صاح عليها وقال تعالي يامنتنة انا لا ابيعك ثم التفت الى التاجر وقال له كنت احسبك اهل معرفة وحق طرطوري ان لم تذهب عني لاسمعنك ما لايرضيك فقال التاجر في نفسه ان هذا البدوي مجنون ولا يعرف قيمتها ولا اقول له شيأً في ثمنها في هذا الوقت فانه لو كان صاحب عقل ما قال وحق طرطوري والله انها تساوي ملك كسرى وانا ما معي ثمنها ولكن ان طلب مني زيادة اعطيه ما يريد ولو اخذ جميع ما لي ثم التفت الى البدوي وقال له يا شيخ العرب طوّل بالك وريّض نفسك وقل لي ما لها من القماش عندك فقال له البدوي وما يصلح لهذه الكورة من القماش والله ان هذه العباءة التي هي ملفوفة فيها كثيرة عليها فقال له التاجر عن اذنك اكشف عن وجهها واقلبها كما يقلب الناس الجواري لاجل الاشتراء فقال له البدوي دونك وما تريد الله يحفظ شبابك فقلبها ظاهرا وباطنا وان شئت فعرّها الثياب ثم انظرها وهي عريانة فقال التاجر معاذ الله انا ما انظر الا وجهها ثم ان التاجر تقدم اليها وهو خجلان من حسنها وجمالها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والخمسون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان التاجر تقدم الى نزهة الزمان وهو

Digitized by Google

اليها بخلق حسن فرآها بديعة فى الحسن والجمال لا سيما انها كانت تعرف بلسان العرب فقال التاجران كانت كما وصفت لي فاني ابلغ بها عند السلطان ما اريد فقال لها التاجر السلام عليك يا بُنيّة كيف حالك فالتفتت اليه وقالت كان ذلك فى الكتاب مسطورا ونظرت اليه فاذا هو رجل محتشم ووجهه حسن فقالت في نفسها اظن ان هذا جاء يشتريني ثم قالت ان امتنعت منه ضربت عند هذا الظالم فيهلكني من الضرب فعلى كل حال هذا رجل وجهه حسن وهو ارجى لي للخير من هذا البدوي الجلف ولعله ما جاء الا ليسمع منطقي فاني اجاوبه جوابا حسنا كل ذلك وعينها فى الارض ثم رفعت بصرها اليه وقالت له بكلام عذب وعليك السلام ياسيدي ورحمة الله وبركاته بهذا امر النبي صلى الله عليه وسلم واما قولك كيف حالك فان شئت ان تعرفه فلا تتمناه الا لاعدائك ثم سكتت فلما سمع التاجر كلامها طار عقله فرحا بها ثم التفت الى البدوي وقال له كم ثمنها فانها جليلة فاغتاظ البدوي وقال له افسدت عليّ الجارية بهذا الكلام لاي شيء تقول انها جليلة مع انها من قطاعة الجواري ورعاع الناس ولا ابيعها لك فلما سمع التاجر كلامه عرف انه قليل العقل وقال له ريّض خلقك فانا اشتريها على هذه العيوب التي ذكرتها فقال البدوي وكم تدفع لي فيها فقال له التاجر مايسمي الولد الا ابوه فاطلب فيها غرضك فقال له البدوي ما يتكلم الا انت فقال التاجر في نفسه هذا البدوي مقرقع لا شف الرأس والله انا لا اعرف لها قيمة الا انها ملكت قلبي بفصاحتها وحسن منظرها وان كانت تكتب وتقرأ فهذا من تمام النعمة عليها وعلى من يشتريها لكن هذا البدوي لايعرف لها قيمة ثم التفت الى البدوي وقال له يا شيخ العرب

Digitized by Google

لهم عندي جارية اتيت بها معي واخوها ضعيف فارسلته الى اهلي لبلاد القدس لاجل ان يداووه الى ان يبرأ وقصدي ان ابيعها ومن يوم ضعف اخوها وهي تبكي وصعب عليها فراقه واريد ان الذي يحب ان يشتريها مني يلين لها الكلام ويقول لها ان اخاك عندي في القدس ضعيف وانا ارخص له ثمنها فنهض له رجل من التجار وقال له كم عمرها فقال هي بكر بالغة ذات عقل وادب وفطنة وحسن وجمال ومن حين ارسلت اخاها الى القدس اشتغل قلبها به وتغيرت محاسنها وانقلبت سيمتها فلما سمع التاجر ذلك تمشى مع البدوي وقال له اعلم ياشيخ العرب اني اروح معك واشتري منك الجارية التي تمدحها وتشكر فيها وفي عقلها واد بها وحسنها وجمالها واعطيك ثمنهـــا واشرط عليك شروطا ان قبلتها نقدت لك ثمنهـــا وان لم تقبلها رددتها عليك فقال له البدوي ان شئت فاطلع بها الى السلطان واشرط عليّ ما شئت من الشروط فانك اذا اوصلتها الى الملك شركان بن الملك عمر بن النعمان صاحب بغداد وارض خراسان فربما تليق بعقله يعطيك ثمنهـــا ويكثر لك الربح فيها فقال له التاجر وانا لي عنده حاجة وهوان يكتب لي تحليل في الديوان بان لايؤخذ مني مكسا ثم تكتب الى والده عمر بن النعمـــان بالوصية عليّ فان قبل الجـــارية مني وزنت لك ثمنها في الحـــال فقال البدوي قبلت منك هذا الشرط ومشيـــا الى ان اقبـــلا على المكان الذي فيـــه نزهة الزمـــان ووقف البـــدوي على باب المخـــزن وناداها يا ناجية وكان سماها بهذا الاسم فلما سمعته بكت ولم تجبه فالتفت البدوي الى التـــاجر وقال له هاهي قاعدة دونك واياها فاقبل عليها وانظرها ولاطفها مثل ما اوصيتك فتقدم التاجر

Digitized by Google

قَدْ خَابَ قَصْدِي وَآمَالِي بِهَا انْصَرَمَتْ وَقَدْ تَقَطَّعَ بِالتَّغْرِيبِ أَوْصَالُ
يَا مَنْ يَمُرُّ عَلَى دَارِيهَا سَكَنِي بَلِّغْهُ عَنِّي إِنَّ الدَّمْعَ هَطَّالُ

فلما فرغت من شعرها قام اليها البدوي و عطف عليها ورثى لها ومسح دموعها واعطاها قرص شعير وقال لها انا لا احب من يجا و بني في وقت الغيظ وانت بعد ذلك لاتجا وبيننى بشيء من هذا الكلام الفاحش و انا ابيعك لرجل طيب مثلي يفعل معك الخير مثل ما فعلت معك قالت نعم ما تفعل ثم انها لما طال عليها الليل و احرقها الجوع اكلت من ذلك القرص الشعير شيأ يسيرا فلما انتصف الليل امرهم البدوي ان يسافروا و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والخمسون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان البدوي لما اعطى نزهة الزمان القرص الشعير و وعدها ان يبيعها لرجل جيد مثله قالت له نعم ما فعلت فلما انتصف الليل و احرقها الجوع اكلت من القرص الشعير يسيرا ثم ان البدوي امر جماعته ان يسافروا فحملوا الجمال وركب البدوي جملا و اردف نزهة الزمان خلفه و ساروا وما زالوا سائرين مدة ثلثة ايام فبعد ثلثة ايام دخلوا مدينة دمشق ونزلوا في خان السلطان بجانب باب المغائب و نزهة الزمان قد تغير لونها من الحزن وتعب السفر فصارت تبكي من اجل ذلك فاقبل عليها البدوي و قال لها يا حضرية وحق طرطوري ان لم تتركي هذا البكاء لا ابيعك الا ليهودي ثم انه قام و اخذ بيدها و ادخلها في مكان و تمشى الى السوق و مر على التجار الذين يتجرون في الجواري و صار يكلمهم ويقول

Digitized by Google

ادفع لك فيها مائتي دينار سالمة ليدك خارجا عن الضمان وحق السلطان فلما سمع ذلك البدوي اغتاظ غيظا شديدا وصرخ على التاجر وقال له قم الى حال سبيلك والله ان اعطيتني مائتي دينار في هذه القطعة العباءة التي عليها ما بعتها لك وانا ما عدت ابيعها بل اخليها عندي ترعى الجمال وتطحن الطحين ثم صاح عليها وقال تعالي يامنتنة انالا ابيعك ثم التفت الى التاجر وقال له كنت احسبك اهل معرفة وحق طرطوري ان لم تذهب عني لاسمعنك مالايرضيك فقال التاجر في نفسه ان هذا البدوي مجنون ولا يعرف قيمتها ولا اقول له شيأً في ثمنها في هذا الوقت فانه لو كان صاحب عقل ما قال وحق طرطوري والله انها تساوي ملك كسرى وانا ما معي ثمنها ولكن ان طلب مني زيادة اعطيه ما يريد ولو اخذ جميع مالي ثم التفت الى البدوي وقال له يا شيخ العرب طوّل بالك وريّض نفسك وقل لي مالها من القماش عندك فقال له البدوي وما يصلح لهذه الكورة من القماش والله ان هذه العباءة التي هي ملفوفة فيها كثيرة عليها فقال له التاجر عن اذنك اكشف عن وجهها واقلبها كما يقلب الناس الجواري لاجل الاشتراء فقال له البدوي دونك وما تريد الله يحفظ شبابك فقلبها ظاهرا وباطنا وان شئت فعرّها الثياب ثم انظرها وهي عريانة فقال التاجر معاذ الله انا ما انظر الا وجهها ثم ان التاجر تقدم اليها وهو خجلان من حسنها وجمالها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والخمسون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان التاجر تقدم الى نزهة الزمان وهو

Digitized by Google

اليها بخلق حسن فرآها بديعة فى الحسن والجمال لا سيما انها كانت تعرف بلسان العرب فقال التاجران كانت كما وصفت لي فاني ابلغ بها عند السلطان ما اريد فقال لها التاجر السلام عليك يا بُنيّة كيف حالك فالتفتت اليه وقالت كان ذلك فى الكتاب مسطورا ونظرت اليه فاذا هو رجل محتشم ووجهه حسن فقالت في نفسها اظن ان هذا جاء يشتريني ثم قالت ان امتنعت منه صرت عند هذا الظالم فيهلكني من الضرب فعلى كل حال هذا رجل وجهه حسن وهو ارجى لي للخير من هذا البدوي الجلف ولعله ما جاء الا ليسمع منطقي فاني اجاوبه جوابا حسنا كل ذلك وعينها فى الارض ثم رفعت بصرها اليه وقالت له بكلام عذب وعليك السلام ياسيدي ورحمة الله وبركاته بهذا امر النبي صلى الله عليه وسلم واما قولك كيف حالك فان شئت ان تعرفه فلا تتمناه الا لاعدائك ثم سكتت فلما سمع التاجر كلامها طار عقله فرحا بها ثم التفت الى البدوي وقال له كم ثمنها فانها جليلة فاغتاظ البدوي وقال له افسدت عليّ الجارية بهذا الكلام لاي شيء تقول انها جليلة مع انها من قطاعة الجواري ورعاع الناس ولا ابيعها لك فلما سمع التاجر كلامه عرف انه قليل العقل وقال له ريّض خلقك فانا اشتريها على هذه العيوب التي ذكرتها فقال البدوي وكم تدفع لي فيها فقال له التاجر مايسمي الولد الا ابوه فاطلب فيها غرضك فقال له البدوي ما يتكلم الا انت فقال التاجر في نفسه هذا البدوي مقرقع فاشف الرأس والله انا لا اعرف لها قيمة الا انها ملكت قلبي بفصاحتها وحسن منظرها وان كانت تكتب وتقرأ فهذا من تمام النعمة عليها وعلى من يشتريها لكن هذا البدوي لايعرف لها قيمة ثم التفت الى البدوي وقال له يا شيخ العرب

Digitized by Google

لهم عندي جارية اتيت بها معي واخوها ضعيف فارسلته الى اهلي لبلاد القدس لاجل ان يداووه الى ان يبرأ وقصدي ان ابيعها ومن يوم ضعف اخوها وهي تبكي وصعب عليها فراقه واريدان الذي يحب ان يشتريها مني يلين لها الكلام ويقول لها ان اخاك عندي في القدس ضعيف وانا ارخص له ثمنها فنهض له رجل من التجار وقال له كم عمرها فقال هي بكر بالغة ذات عقل وادب وفطنة وحسن وجمال ومن حين ارسلت اخاها الى القدس اشتغل قلبها به وتغيرت محاسنها وانقلبت سيمتها فلما سمع التاجر ذلك تمشى مع البدوي وقال له اعلم ياشيخ العرب اني اروح معك واشتري منك الجارية التي تمدحها وتشكر فيها وفي عقلها وادبها وحسنها وجمالها واعطيك ثمنها واشرط عليك شروطا ان قبلتها نقدت لك ثمنها وان لم تقبلها رددتها عليك فقال له البدوي ان شئت فاطلع بها الى السلطان واشرط عليّ ما شئت من الشروط فانك اذا اوصلتها الى الملك شركان بن الملك عمر بن النعمان صاحب بغداد وارض خراسان فربما تليق بعقله يعطيك ثمنها ويكثر لك الربح فيها فقال له التاجر وانا لي عنده حاجة وهوان يكتب لي تحليل في الديوان بان لايؤخذ مني مكسا ثم تكتب الى والده عمر بن النعمان بالوصية عليّ فان قبل الجارية مني وزنت لك ثمنها في الحال فقال البدوي قبلت منك هذا الشرط ومشيا الى ان اقبلا على المكان الذي فيه نزهة الزمان ووقف البدوي على باب المخزن ونادها يا ناجية وكان سماها بهذا الاسم فلما سمعته بكت ولم تجبه فالتفت البدوي الى التاجر وقال له هاهي قاعدة دونك واياها فاقبل عليها وانظرها ولاطفها مثل ما اوصيتك فتقدم التاجر

Digitized by Google

قَدْ خَابَ قَصْدِي وَآمَالِي بِهَا انْصَرَمَتْ وَقَدْ تَقَطَّعَ بِالتَّغْرِيبِ أَوْصَالُ
يَا مَنْ يَمُرُّ عَلَى دَارٍ بِهَا سَكَنِي بَلِّغْهُ عَنِّي أَنَّ الدَّمْعَ هَطَّالُ

فلما فرغت من شعرها قام اليها البدوي و عطف عليها ورثى لها ومسح دموعها واعطاها قرص شعير وقال لها انا لا احب من يجا و بني في وقت الغيظ وانت بعد ذلك لاتجا وبيننى بشيء من هذا الكلام الفاحش و انا ابيعك لرجل طيب مثلي يفعل معك الخير مثل ما فعلت معك قالت نعم ما تفعل ثم انها لما طال عليها الليل و احرقها الجوع اكلت من ذلك القرص الشعير شيأ يسيرا فلما انتصف الليل امرهم البدوي ان يسافروا و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــاح

فلما كانت الليلة السادسة والخمسون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان البدوي لما اعطى نزهة الزمان القرص الشعير و وعدها ان يبيعها لرجل جيد مثله قالت له نعم ما فعلت فلما انتصف الليل و احرقها الجوع اكلت من القرص الشعير يسيرا ثم ان البدوي امر جماعته ان يسافروا فحملوا الجمال وركب البدوي جملا و اردف نزهة الزمان خلفه و ساروا وما زالوا سائرين مدة ثلثة ايام فبعد ثلثة ايام دخلوا مدينة دمشق ونزلوا في خان السلطان بجانب باب الغائب و نزهة الزمان قد تغير لونها من الحزن وتعب السفر فصارت تبكي من اجل ذلك فاقبل عليها البدوي و قال لها يا حضرية وحق طرطوري ان لم تتركي هذا البكاء لا ابيعك الا ليهودي ثم انه قام واخذ بيدها و ادخلها في مكان و تمشى الى السوق و مر على التجار الذين يتجرون في الجواري و صار يكلمهم ويقول

Digitized by Google

كَفَى بِجِسْمِي نُحُولًا اِنَّنِي رَجُلٌ لَوْلَا مُخَاطَبَتِي اِيَّاكَ لَمْ تَرَنِي

ثم افاضت دموع العين وبعد ذلك كتبت في اسفل الدرج هذا من عند البعيدة عن الاهل والاوطان الحزينة القلب والجنان نزهة الزمان ثم لفت الدرج وناولته للتاجر فاخذه وقبله وعرف ما فيه ففرح وقال سبحان من صوّرك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة التاسعة والخمسون

قالت بلغني ايهـــا الملك السعيـدان نزهة الزمان كتبت الكتـــاب وناولته للتاجر فاخذه وقرأه وعلم ما فيه فقال سبحان من صوّرك وزاد في اكرامها وصار يلاطفها نهاره كله فلمـا اقبل الليل خرج الى السوق واتى بشيء فاطعمها اياه ثم ادخلها الحمام واتى لها ببلّانة وقال لها اذا فرغت من غسل رأسها فالبسيهـا الاثواب ثم ارسلي اعلميني بذلك فقالت سمعا وطاعة ثم احضر لها طعـــاما وفاكهة وشمعـــا وجعل ذلك على مصطبة الحمام فلمـــا فرغت البلانة من تنظيفها البستها ثيابها فخرجت من الحمام وجلست على مصطبته وارسلت البلانة اعلمته وخرجت فوجدت المائدة حاضرة فاكلت هي والبلانة من الطعام والفاكهة ودفعتا الباقي لصنّاع الحمام وحارسه ثم باتت الى الصباح وبات التاجر منعزلا عنها في مكان آخر فلما استيقظ من نومه ايقظ نزهة الزمان واحضر لها قميصا رفيعا واخذ كوفية بالف دينار وبدلة لباس تركية مزركشة وخفا مزركشا بالذهب الاحمر مرصّعا بالدر والجـوهر وجعل في اذنيها حلقـا من ذهب مرصّعا بلوء بالف دينار ووضع في رقبتها طوقا من ذهب بين الرمانتين وقلادة من عنبر

Digitized by Google

سفرك الى البلاد و يغنيك عن مجلدات الاسفار فلما سمع التاجر ذلك منها صاح بخ بخ فيـــا سعد من تكونين في قصره ثم اتاها بدواة وقرطاس وقلم من نحاس فلما احضـر التاجر ذلك بين يديها باس الارض تعظيمـــا لهـا فاخذت نزهة الزمان الدرج وتناولت القلم وكتبت فيه شعـــــــــــــــــــــــــــرا

أَرَى النَّوْمَ مِنْ عَيْنَيَّ قَدْ نَفَرَا أَأَنْتَ عَلَّمْتَ طَرْفِي بَعْدَكَ السَّهَرَا
وَمَا لِذِكْرِكَ يُصْلِي النَّارَ فِي كَبِدِي أَهَكَذَا كُلُّ صَبٍّ لِلْهَوَى ذَكَرَا
سَقْيًا لِأَيَّامِنَا مَا كَانَ أَطْيَبَهَا وَلَّتْ وَلَمْ أَقْضِ مِنْ لَذَّاتِهَا وَطَرَا
أَسْتَعْطِفُ الرِّيحَ أَنَّ الرِّيحَ حَامِلَةٌ إِلَى الْمُتَيَّمِ مِنْ أَكْنَافِكُمْ خَبَرَا
يَشْكُو إِلَيْكَ مُحِبٌّ قَلَّ نَاصِرُهُ وَلِلْفِرَاقِ خُطُوبٌ تَصْدَعُ الْحَجَرَا

ثم انها لما فرغت من كتابة شعرها كتبت بعد ذلك هذا الكلام وهي تقول من اختر مها الفكر و انحلها السهر فظلمتها لا تجد لها من انوار و لا تعلم الليل من النهـــار و تتقلب على مراقد البين وتكتحـــل بمراود الارق و هي للنجوم رقيبة و للظلام نقيبة قد اذابها الكفر و النحول و شرح حالهـا يطول لا مساعد لهـــا غير العبرات و انشدت تقول هذه الابـــــــــــــــــــيـــــــــات

مَا غَرَّدَتْ سَحَرًا وَرْقَاءُ فِي فَنَنٍ إِلَّا تَحَرَّكَ عِنْدِي قَاتِلُ الشَّجَنِ
وَلَا تَأَوَّهَ مُشْتَاقٌ بِهِ طَرَبٌ إِلَى الْأَحِبَّةِ إِلَّا زَادَنِي حَزَنِي
اُهْكُمْ الْغَرَامَ إِلَى مَنْ لَيْسَ يَرْحَمُنِي كَمْ فَرَّقَ الْوَجْدُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْبَدَنِ

ثم افاضت دموع العين وكتبت ايضا هذين البيتين

أَبْلَى الْهَوَى أَسَفًا يَوْمَ النَّوَى بَدَنِي وَفَرَّقَ الْهَجْرُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْوَسَنِ

Digitized by Google

بغداد تدمع عيناك الك فيها احد تحبينه فان كان تاجرا اوغيره فاخبر يني به فانا اعرف جميع من فيهـا من التجـار و غيرهم و ان اردت رسالة انا او صلهـا اليه فقالت و الله ما لي معرفة بتاجر ولاغيره وانمـا لي معرفة بالملك عمـر بن النعمان صاحب بغداد فلما سمع التاجر كلا مهـا ضحك و فرح فرحا شديدا وقال في نفسه والله اني وصلت الى ما اريد ثم قال لها هل عرفت عليه سابقا فقالت لا بل تربيت انا وبنته فكنت عزيزة عنده ولي عنده حرمة كبيرة فانكان غرضك ان الملك عمر بن النعمـان يكتب لك ما تريد فأتني بدواة وقرطاس فاني اكتب لك كتابا فاذا دخلت الى مدينة بغداد فسلم الكتـاب من يدك الى يد الملك عمر بن النعمان وقل له ان جاريتك نزهة الزمان قد طرقتها صروف الليالي والايام حتى بيعت من مكان الى مكان وهي تقرئك السلام و اذا سألك عني فاخبره اني عند نائب دمشق فتعجب التاجر من فصاحتها وازدادت عنده محبتها وقال ما اظن الا ان الرجال لعبوا بعقلك وباعوك بالمال فهل تحفظين القرآن قالت نعم واعرف الحكمة والطب ومقدمة المعرفة وشرح فصول بقراط لجالينوس الحكيم وشرحته ايضا وقرأت التذكرة وشرحت البرهان وطالعت مفردات ابن البيطار وتكلمت على القانون المكي لابن سينا وحليت الرموز ووضعت الاشكال وتحدثت في الهندسة و اتقنت حكمة الابدان و قرأت كتب الشافعية وقرأت الحديث و النحو و ناظرت العلماء و تكلمت في سائر العلوم والفت في علم المنطق والبيان والحساب و الجداول و اعرف الروحاني و الميقات وفهمت هذه العلوم كلها ثم قالت للتاجر ائتني بدواة وقرطاس حتى اكتب لك كتابا ينفعك في

Digitized by Google

غمزت عليك نائب دمشق فياخذها منك قهرا فقال البدوي تكلم فقال بمائة الف دينار فقال البدوي بعتك اياها بهذا الثمن واقدر انني اشتريت بها ملحا فلما سمعه التاجر ضحك ومضى الى منزله واتى له بالمال و اقبضه اياه فاخذه البدوي فقال في نفسه لا بدان اذهب الى القدس لعلي اجد اخاها فاجيء به و ابيعه ثم ركب وسافر الى ان وصل الى بيت المقدس فذهب الى الخان وسأل عن اخيها فلم يجده هذا ما كان من امره واما ما كان من امر التاجر ونزهة الزمان. فانه لما اخذها القى عليها شيأ من قماشه ومضى بها الى منزله و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والخمسون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان التاجر لما تسلم نزهة الزمان من البدوي ومضى بها الى منزله و البسها افخر الملبوس اخذها ونزل بها الى السوق و اخذ لها مصاغا مما طلبته و وضعه في بقجة من الاطلس و وضعها بين يدي نزهة الزمان و قال لها هذا كله من اجلك ولا اريد منك الا اذا طلعت بك الى السلطان نائب دمشق ان تعلميه بالثمن الذي اشتريتك به و انكان قليلا في ظفرك فاذا وصلت اليه و اشتراك مني اذكري له ما فعلت معك واطلبي لي منه منشورا سلطانيا بالوصية عليّ لاذهب به الى والده صاحب بغداد عمر بن النعمان لاجل ان يمنع من يأخذ مني مكسا على قماش او غيره من جميع ما اتجر فيه فلما سمعت كلامه بكت و انتحبت فقال لها التاجر ياسيدتي اني اراك كلما ذكرت

Digitized by Google

دمعها عن خدها فاعتقد انها تمنعه من التقليب فقام اليها يجري وكان معه مِقْود جمل فشاله في يده وضربها به على اكتافها فجاءت الضربة بقوة فانكبت بوجهها على الارض فجاءت حصاة من الارض في حاجبها فشقته فسال دمها على وجهها فصرخت صرخة عظيمة وغشي عليها وبكت وبكى التاجر معها فقال التاجر لا بد ان اشتري هذه الجارية ولو بثقلها ذهبا واريحها من هذا الظالم وصار التاجر يشتم البدوي وهي في غشيتها فلما افاقت مسحت الدموع والدم عن وجهها وعصبت رأسها ورفعت طرفها الى السماء وطلبت من مولاها بقلب حزين وانشدت تقول شعرا

وَارَحْمَتَا لِعَزِيزَةٍ بِالضَّيْمِ قَدْ صَارَتْ ذَلِيلَهْ
تَبْكِي بِدَمْعٍ هَاطِلٍ وَتَقُولُ مَا فِي الْوَعْدِ حِيلَهْ

فلما فرغت من شعرها التفتت الى التاجر وقالت له بصوت خفي بالله لا تدعني عند هذا الظالم الذي لا يعرف الله تعالى فاني ان بت هذه الليلة عنده قتلت نفسي بيدي فخلصني منه يخلصك الله من نار جهنم فقام التاجر وقال للبدوي يا شيخ العرب هذه ليست عرضك بعني اياها بما تريد فقال البدوي خذها وادفع ثمنها والا اروح بها الى النجع واخليها هناك تلِّ البَعر وترعى الجمال فقال التاجر اعطيك خمسين الف دينار فقال البدوي يفتح الله تعالى فقال التاجر سبعون الف دينار فقال البدوي يفتح الله هذا ما هو رأس مالها لانها اكلت عندي اقراص شعير بتسعين الف دينار فقال له التاجر انت واهلك وقبيلتك في طول زمانكم ما اكلتم بالف دينار شعيرا ولكن انا اقول لك كلمة واحدة فان لم ترض بها

Digitized by Google

خجلان من حسنها وجمالها وجلس الى جانبها وقال لها ياسيدتي ما اسمك فقالت له تسأل عن اسمي اليوم اوقبل ذلك اليوم فقال لها انت لك اسم اليوم وقبل ذلك اليوم قالت نعم اسمي قبل ذلك اليوم نزهة الزمان واسمي اليوم غصة الزمان فلما سمع التاجر هذا الكلام منها تغرغرت عيناه بالدموع وقال لها هل لك اخ ضعيف فقالت اي والله ياسيدي ولكن فرق الزمان بيني وبينه وهو مريض في بيت المقدس فتحير عقله من عذوبة منطقهـــا وقال في نفســه لقد صدق البدوي في مقالته ثم ان نزهة الزمان تذكرت اخاها ومرضه وغربته وفراقهـــا منـــه وهو ضعيف ولا تعلم ما وقع له وتذكرت كيف ماجرى لها هذا الامر مع البدوي وبعدهـــا عن امها وابيها ومملكتها فجرت دموعها على خدها وارسلت العبرات وانشدت تقول هذه الابيـــــــــــــــــــــات

حَيْثُمَا كُنْتَ قَدْ وَفَاكَ إِلٰهِي ... أَيُّهَـا الرَّاحِلُ الْمُقِيمُ بِقَلْبِي
وَلَكَ اللّٰهُ حَيْثُ أَمْسَيْتَ جَارُ ... حَافِظٌ مِنْ صُرُوفِ دَهْرٍ وَخَطْبِ
غِبْتَ فَاسْتَوْحَشَتْ لِقُرْبِكَ عَيْنِي ... وَاسْتَهَلَّتْ مَدَامِعِي أَيَّ سَكْبِ
لَيْتَ شِعْرِي بِأَيِّ رَبْعٍ وَأَرْضٍ ... أَنْتَ مُسْتَوْطِنٌ بِدَارٍ وَشِعْبِ
إِنْ تَكُنْ شَارِبًا لِمَـاءِ حَيَوةٍ ... خَضِرِ الْوِرْدِ فَالْمَدَامِعُ شِرْبِي
إِنْ شَهِدْتَ الرُّقَادَ يَوْمًا فَجُمِّرْ ... مِنْ سُهَادِي بَيْنَ الْفِرَاشِ وَجَنْبِي
كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا فِرَاقَكَ سَهْـلٌ ... عِنْدَ قَلْبِي وَغَيْرُهُ غَيْرُ صَعْبِ

فلما سمع التاجر ما قالته من الشعـــر بكى ومديده ليمسح دموعها عن خدها فغطت وجهها وقالت له حاشاك ياسيدي ثم ان البدوي قعد ينظر اليها وهي تغطي وجهها من التاجر حيث ارادان يمسح

Digitized by Google

ادفع لك فيها مائتي دينار سالمة ليدك خارجا عن الضمان وحق السلطان فلما سمع ذلك البدوي اغتاظ غيظا شديدا وصرخ على التاجر وقال له قم الى حال سبيلك والله ان اعطيتني مائتي دينار في هذه القطعة العباءة التي عليها ما بعتها لك وانا ما عدت ابيعها بل اخليها عندي ترعى الجمال وتطحن الطحين ثم صاح عليها وقال تعالي يامنتنة انا لا ابيعك ثم التفت الى التاجر وقال له كنت احسبك اهل معرفة وحق طرطوري ان لم تذهب عني لاسمعنك مالايرضيك فقال التاجر في نفسه ان هذا البدوي مجنون ولا يعرف قيمتها ولا اقول له شيأً في ثمنها في هذا الوقت فانه لو كان صاحب عقل ما قال وحق طرطوري والله انها تساوي ملك كسرى وانا ما معي ثمنها ولكن ان طلب مني زيادة اعطيه ما يريد ولو اخذ جميع ما لي ثم التفت الى البدوي وقال له يا شيخ العرب طوّل بالك وريّض نفسك وقل لي ما لها من القماش عندك فقال له البدوي وما يصلح لهذه الكورة من القماش والله ان هذه العباءة التي هي ملفوفة فيها كثيرة عليها فقال له التاجر عن اذنك اكشف عن وجهها واقلبها كما يقلب الناس الجواري لاجل الاشتراء فقال له البدوي دونك وما تريد الله يحفظ شبابك فقلبها ظاهرا وباطنا وان شئت فعرّها الثياب ثم انظرها وهي عريانة فقال التاجر معاذ الله انا ما انظر الا وجهها ثم ان التاجر تقدم اليها وهو خجلان من حسنها وجمالها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والخمسون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان التاجر تقدم الى نزهة الزمان وهو

Digitized by Google

اليها بخلق حسن فرآها بديعة فى الحسن والجمال لا سيما انها كانت تعرف بلسان العرب فقال التاجران كانت كما وصفت لي فاني ابلغ بها عند السلطان ما اريد فقال لها التاجر السلام عليك يا بُنيّة كيف حالك فالتفتت اليه وقالت كان ذلك فى الكتاب مسطورا ونظرت اليه فاذا هو رجل محتشم ووجهه حسن فقالت في نفسها اظن ان هذا جاء يشتريني ثم قالت ان امتنعت منه صرت عند هذا الظالم فيهلكني من الضرب فعلى كل حال هذا رجل وجهه حسن وهو ارجى لي للخير من هذا البدوي الجلف ولعله ما جاء الا ليسمع منطقي فاني اجاوبه جوابا حسنا كل ذلك وعينها فى الارض ثم رفعت بصرها اليه وقالت له بكلام عذب وعليك السلام ياسيدي ورحمة الله وبركاته بهذا امر النبي صلى الله عليه وسلم واما قولك كيف حالك فان شئت ان تعرفه فلا تتمناه الا لاعدائك ثم سكتت فلما سمع التاجر كلامها طار عقله فرحا بها ثم التفت الى البدوي وقال له كم ثمنها فانها جليلة فاغتاظ البدوي وقال له افسدت عليّ الجارية بهذا الكلام لاي شيء تقول انها جليلة مع انها من قطاعة الجواري ورعاع الناس ولا ابيعها لك فلما سمع التاجر كلامه عرف انه قليل العقل وقال له ريّض خلقك فانا اشتريها على هذه العيوب التي ذكرتها فقال البدوي وكم تدفع لي فيها فقال له التاجر مايسمي الولد الا ابوه فاطلب فيها غرضك فقال له البدوي ما يتكلم الا انت فقال التاجر في نفسه هذا البدوي مقرقع نا شف الراس والله انا لا اعرف لها قيمة الا انها ملكت قلبي بفصاحتها وحسن منظرها وان كانت تكتب وتقرأ فهذا من تمام النعمة عليها وعلى من يشتريها لكن هذا البدوي لايعرف لها قيمة ثم التفت الى البدوي وقال له يا شيخ العرب

Digitized by Google

لهم عندي جارية اتيت بها معي واخوها ضعيف فارسلته الى اهلي لبلاد القدس لاجل ان يداووه الى ان يبرأ وقصدي ان ابيعها ومن يوم ضعف اخوها وهي تبكي وصعب عليها فراقه واريدان الذي يحب ان يشتريها مني يلين لها الكلام ويقول لها ان اخاك عندي في القدس ضعيف وانا ارخص له ثمنها فنهض له رجل من التجار وقال له كم عمرها فقال هي بكر بالغة ذات عقل وادب وفطنة وحسن وجمال ومن حين ارسلت اخاها الى القدس اشتغل قلبها به وتغيرت محاسنها وانقلبت سيمتها فلما سمع التاجر ذلك تمشى مع البدوي وقال له اعلم ياشيخ العرب اني اروح معك واشتري منك الجارية التي تمدحها وتشكر فيها وفي عقلها وادبها وحسنها وجمالها واعطيك ثمنها واشرط عليك شروطا ان قبلتها نقدت لك ثمنها وان لم تقبلها رددتها عليك فقال له البدوي ان شئت فاطلع بها الى السلطان واشرط عليّ ما شئت من الشروط فانك اذا اوصلتها الى الملك شركان بن الملك عمر بن النعمان صاحب بغداد وارض خراسان فربما تليق بعقله يعطيك ثمنها ويكثر لك الربح فيها فقال له التاجر وانا لي عنده حاجة وهوان يكتب لي تحليل في الديوان بان لايؤخذ مني مكسا ثم تكتب الى والده عمر بن النعمان بالوصية عليّ فان قبل الجارية مني وزنت لك ثمنها في الحال فقال البدوي قبلت منك هذا الشرط ومشيا الى ان اقبلا على المكان الذي فيه نزهة الزمان ووقف البدوي على باب المخزن وناداها يا ناجية وكان سماها بهذا الاسم فلما سمعته بكت ولم تجبه فالتفت البدوي الى التاجر وقال له هاهي قاعدة دونك واياها فاقبل عليها وانظرها ولاطفها مثل ما اوصيتك فتقدم التاجر

Digitized by Google

قَدْ خَابَ قَصْدِي وَآمَالِي بِهَا انْصَرَمَتْ وَقَدْ تَقَطَّعَ بِالتَّغْرِيبِ أَوْصَالُ
يَا مَنْ يَمُرُّ عَلَى دَارِيهَا سَكَنِي بَلِّغْهُ عَنِّي أَنَّ الدَّمْعَ هَطَّالُ

فلما فرغت من شعرها قام اليها البدوي و عطف عليها ورثى لها ومسح دموعها و اعطاها قرص شعير وقال لها انا لا احب من يجا و بني في وقت الغيظ و انت بعد ذلك لاتجا وبيننى بشيء من هذا الكلام الفاحش و انا ابيعك لرجل طيب مثلي يفعل معك الخير مثل ما فعلت معك قالت نعم ما تفعل ثم انها لما طال عليها الليل و احرقها الجوع اكلت من ذلك القرص الشعير شيأ يسيرا فلما انتصف الليل امرهم البدوي ان يسافروا و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والخمسون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان البدوي لما اعطى نزهة الزمان القرص الشعير و وعدها ان يبيعها لرجل جيد مثله قالت له نعم ما فعلت فلما انتصف الليل و احرقها الجوع اكلت من القرص الشعير يسيرا ثم ان البدوي امر جماعته ان يسافروا فحملوا الجمال و ركب البدوي جملا و اردف نزهة الزمان خلفه و ساروا وما زالوا سائرين مدة ثلثة ايام فبعد ثلثة ايام دخلوا مدينة دمشق ونزلوا في خان السلطان بجانب باب الغائب و نزهة الزمان قد تغير لونها من الحزن وتعب السفر فصارت تبكي من اجل ذلك فاقبل عليها البدوي و قال لها يا حضرية وحق طرطوري ان لم تتركي هذا البكاء لا ابيعك الا ليهودي ثم انه قام و اخذ بيدها و ادخلها في مكان و تمشى الى السوق و مر على التجار الذين يتجرون في الجواري و صار يكلمهم ويقول

Digitized by Google

الزمان وقال لها يا مدنية ما هذا البكاء والله ان لم تسكتي من البكاء ضربتك الى ان تهلكي يا كورة حضرية فلما سمعت نزهة الزمان كلامه كرهت الحياة وتمنت الموت فالتفتت اليه وقالت له يا شيخ النحس يا شيبة جهنم كيف استأمنتك وانت غدرتني وتريد تعذبني فلما سمع البدوي كلامها قال لها يا كورة الك لسان تجا وبيننى به وقام اليها ومعه سوط فضربها وقال ان لم تسكتي قتلتك فسكتت ساعة ثم تفكرت اخاها وما كانت فيه من النعمة فبكت سرًا ثم في ثاني يوم التفتت الى البدوي وقالت له كيف تعمل علّي هذه الحيلة حتى اتيت بي الى هذه الجبال القفرة وما قصدك مني فلما سمع كلامها قسا قلبه وقال لها يا كورة النحس الك لسان تجا وبيننى به واخذ السوط ونزل به على ظهرها الى ان غشي عليها فانكبت على رجليه وقبلتهما فكف عنها الضرب وصار يشتمها ويقول لها وحق طرطوري ان رأيتك اوسمعتك تبكين قطعت لسانك ودسّسته في كسك يا كورة حضرية فعند ذلك سكتت ولم ترد جوابا وألمها الضرب فقعدت على قرا فيصها وجعلت رأسها في طوتها ونظرت الى حالها وذلها بعد عزها وما حل بها من الضرب وتفكرت في حال اخيها وفي مرضه ووحدته واغتربهما وارسلت دموعها على وجناتها وبكت سرا وانشدت تقول

مِنْ عَادَةِ الدَّهْرِ إِدْبَارٌ وَإِقْبَالُ فَمَا يَدُومُ لَهُ بَيْنَ الْوَرَى حَالُ
وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا لَهُ أَجَلٌ وَتَنْقَضِي لِجَمِيعِ النَّاسِ آجَالُ
كَمْ أَحْمِلُ الضَّيْمَ وَالْأَهْوَالَ يَا أَسَفِي مِنْ عِيشَةٍ كُلُّهَا ضَيْمٌ وَأَهْوَالُ
لَا أَسْعَدَ اللَّهُ أَيَّامًا عُزِزْتُ بِهَا دَهْرًا وَفِي طَيِّ ذَاكَ الْعِزِّ إِذْلَالُ

Digitized by Google

الاحزان على اخواتها فان لم يكن لك احد جعلتك مثل و احدة منهن و تصيرين مثل اولادي فلما سمعت نزهة الزمان كلامه قالت في سرها عسى ان أؤمن على نفسي عند هذا الشيخ ثم اطرقت برأسها من الحياء فقالت يا عم انا بنت عرب غريبة ولي اخ ضعيف فانا امضي معك الى بنتك بشرط ان اكون عندها بالنهار و بالليل امضي الى اخي فان قبلت هذا الشرط مضيت معك لاني غريبة و كنت عزيزة في قومي فاصبحت ذليلة حقيرة و جئت انا واخي من بلاد الحجاز و اخاف ان اخي لايعرف لي مكانا فلما سمع البدوي كلامها قال في نفسه والله اني فزت بمطلوبي ثم التفت اليها و قال لها مابقي عندي اعز منك ولا اريدك الا لتؤانسي بنتي نهارا و تمضي الى اخيك من اول الليل و ان شئت فانقليه الى عندنا ولم يزل البدوي يطيب قلبها و يلين لها الكلام الى ان لانت له و وافقته على الخدمة و مشى قدامها وتبعته فغمز من معه فسبقوه و هيّأوا الهجان و حملوا عليها الاحمال و وضعوا فوقها الماء والزاد حتى اذا وصل اليهم سيروا بالجمال و سافروا و كان البدوي ابن زناء قاطع الطريق و خائن الرفيق و حراميا صاحب مكر و حيل لا عنده بنت ولا ولد و ما كان الاعابر طريق فوقع بهذه المسكينة لامر قدّره الله ولا زال البدوي يحدثها في الطريق الى ان خرج من مدينة القدس الى ظاهرها و اجتمع برفقته فوجدهم قد جهزوا الهجان فركب البدوي جملا و اردفها خلفه و ساروا الليل كله فعرفت نزهة الزمان ان كلامه حيلة عليها وان البدوي غرها فصارت تبكي و تصرخ طول الليل و هم مسافرون في الطريق قاصدين الجبال خوفا ان يراهم احد فلما صاروا قريب الفجر نزلوا عن الهجان و تقدم البدوي الى نزهة

Digitized by Google

والاوطان فصارت تتضرع الى الله تعالى في دفع هذه البليات وانشدت تقول شعرا

جَنَّ الظَّلَامُ وَهَاجَ الْوَجْدُ بِالسَّقَمِ ... وَالشَّوْقُ حَرَّكَ مَا عِنْدِي مِنَ الْأَلَمِ
وَلَوْعَةُ الْبَيْنِ فِي الْأَحْشَاءِ قَدْ سَكَنَتْ ... وَالْوَجْدُ صَيَّرَنِي فِي حَالَةِ الْعَدَمِ
وَالْوَجْدُ أَقْلَقَنِي وَالشَّوْقُ أَحْرَقَنِي ... وَالدَّمْعُ بَاحَ بِمَا قَدْ كَانَ مُكْتَتِمِ
وَلَيْسَ لِي حِيلَةٌ فِي الْوَصْلِ أَعْرِفُهَا ... حَتَّى تُزَحْزِحَ مِنْ ضَعْفِي وَمِنْ سَقَمِي
فَنَارُ قَلْبِيَ بِالْأَشْوَاقِ مُوقَدَةٌ ... وَمِنْ لَظَاهَا يَظَلُّ الصَّبُّ فِي نِقَمِ
يَا مَنْ يَلُومُ عَلَى مَا حَلَّ بِي وَكَفَى ... إِنِّي صَبَرْتُ عَلَى مَا خُطَّ بِالْقَلَمِ
أَقْسَمْتُ بِالْحُبِّ مَا لِي سُلْوَةٌ أَبَدًا ... يَمِينُ أَهْلِ الْهَوَى مَبْرُورَةُ الْقَسَمِ
يَا لَيْلُ بَلِّغْ رُوَاةَ الْحُبِّ عَنْ خَبَرِي ... وَاشْهَدْ بِعِلْمِكَ أَنِّي فِيكَ لَمْ أَنَمِ

ثم ان نزهة الزمان اخت ضوء المكان بكت وصارت تمشي و تلتفت يمينا ويسارا واذا بشيخ مسافر من البدو و معه خمسة نفر من العرب فالتفت ذلك الشيخ الى نزهة الزمان فرآها جميلة و على رأسها عباءة مقطعة فتعجب من حسنها وقال في نفسه ان هذه جميلة تدهش العقل ولكنها ذات قشف فان كانت من اهل هذه المدينة او كانت غريبة فلا بدلي منها ثم انه تبعها قليلا قليلا حتى تعرض لها في الطريق في مكان ضيق وناداها ليسألها عن حالها و قال لها يا بُنيّة هل انت حرة او مملوكة فلما سمعت كلامه نظرت اليه و قالت له بحياتك لا تجدد عليّ الاحزان فقال لها اني رزقت ست بنات مات لي منهن خمسة وبقيت واحدة و هي اصغرهن واتيت اليك لأسألك هل انت من اهل هذه المدينة او غريبة لاجل ان آخذك و اجعلك عندها لتؤانسها فتشتغل بك عن

Digitized by Google

ثم انشد هذه الابيـــــــــــــــــــــــــــــــات

تَزَوَّدْ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ رَاحِلُ وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْمَوْتَ لَا شَكَّ نَازِلُ
نَعِيمُكَ فِي الدُّنْيَا غُرُورٌ وَحَسْرَةٌ وَعَيْشُكَ فِي الدُّنْيَا مُحَالٌ وَبَاطِلُ
أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا كَمَنْزِلِ رَاكِبٍ أَنَاخَ عَشِيًّا وَهُوَ فِي الصُّبْحِ رَاحِلُ

ثم جعل ضوء المكان يبكي وينتحب على غربته والوقاد يبكي على فراق زوجته ولكنه مازال يتلطف بضوء المكان الى ان اصبح الصباح فلما طلعت الشمس قال له الوقاد كأنك تذكرت بلادك فقال له ضوء المكان نعم ولا استطيع ان اقيم هنا واستودعك الله فاني مسافر مع هؤلاء القوم وامشي معهم قليلا قليلا الى ان اصل الى بلادي فقال له الوقاد وانا معك فاني لا اقدر ان افارقك وانا عملت معك حسنة واريد ان اتممها بخدمتي لك فقال له ضوء المكان جزاك الله عني خيرا ففرح ضوء المكان بسفر الوقاد معه ثم ان الوقاد خرج من ساعته واشترى له حمارا آخر وباع الجمل وعبى زاده وقال لضوء المكان اركب هذا الحمار في السفر فاذا تعبت من الركوب انزل وامش فقال ضوء المكان بارك الله فيك واعانني على مكافأتك فانك فعلت معي من الخير ما لا يفعله احد مع اخيه ثم صبر الى ان جن الظلام فحملا زادهما وامتعتهما على ذلك الحمار وسافرا هذا ما كان من امر ضوء المكان والوقاد واما ما كان من امر اخته نزهة الزمان فانها لما فارقت اخاها ضوء المكان خرجت من الخان الذي كانا فيه في القدس بعد ان التفّت بالعباءة وخرجت لاجل ان تخدم احدا وتشتري لاخيها ما اشتهاه من اللحم المشوي فخرجت تبكي وهي لا تعلم اين تتوجه وكان خاطرها مشغولا عند اخيها وتفكرت الاهل

Digitized by Google

فعظم ذلك على ضوء المكان لانه كان قد اعتاد عليها وكانت تخدمه فلما ماتت حزن عليها الوقاد حزنا شديدا فالتفت ضوء المكان الى الوقاد فوجده حزينا فقال له لاتحزن فاننا كلنا داخلون من هذا الباب فالتفت الوقاد الى ضوء المكان وقال له جزاك الله خيرا يا ولدى فالله تعالى يعوض علينا بفضله و يزيل عنا الحزن فهل لك يا ولدي ان تخرج بنا و نتفرج في دمشق لينشرح خاطرك فقال له ضوء المكان الرأي رأيك فقام الوقاد ووضع يده في يد ضوء المكان و سارا الى ان اتيا تحت اصطبل والي دمشق فوجدا جمالا محملين صناديق و فرشا و قماشا من الدبباج و جنائب مسرجة و بغاتي و عبيدا و مماليك والناس في هرج ومرج فقال ضوء المكان ياترى لمن تكون هؤلاء المماليك والجمال والاقمشة و سأل من بعض الخدام وقال لمن هذه التقدمة فقال له المسئول هذه هدية من امير دمشق يريد ارسالها الى الملك عمر بن النعمان مع خراج الشام فلما سمع ضوء المكان هذا الكلام تغرغرت عيناه بالدموع و انشد يقول

أَيُّهَا الْغَائِبِيْنَ عَنْ جَفْنِ عَيْنِيْ وَهُمْ فِي الْفُؤَادِ مِنِّيْ حُلُوْلُ
غَابَ عَنِّيْ جَمْعًا لُكُمْ فَحَيَاتِيْ لَيْسَ تَحْلُوْ وَلَا اشْتِيَاقِيْ يَحُوْلُ
إِنْ قَضَى اللّٰهُ بِاجْتِمَاعِيْ عَلَيْكُمْ اَذْكُرُ الْوَجْدَ فِيْ حَدِيْثٍ يَطُوْلُ

فلما فرغ من شعره بكى فقال له الوقاد ياولدي نحن ما صدقنا انك جاء تك العافية فطب نفسا ولاتبك فاني اخاف عليك من النكسة و مازال يلاطفه ويمازحه و ضوء المكان يتنهد ويتحسر على غربته وعلى فراقه لاخته ومملكته ويرسل العبرات

Digitized by Google

وَلَا تَبْخَلُوا اَنْ تَسْمَحُوا لِيْ بِنَظْرَةٍ تُخَفِّفُ اَحْوَ الِيْ وَفَرْطَ صَبَابَتِيْ
مَاْ لْتُ فُؤَادِى الصَّبْرَ عَنْكُمْ فَقَالَ لِيْ اِلَيْكَ فَاِنَّ الصَّبْرَ مِنْ غَيْرِ عَادَتِيْ

ثم زاد في بكائه فقال له الوقاد لاتبك واحمد الله تعالى على السلامة والعافية فقال ضوء المكان كم بيننا وبين دمشق فقال ستة ايام فقال ضوء المكان هل لك ان ترسلني اليها فقال له الوقاد ياسيدى كيف ادعك تروح وحدك وانت شاب صغير وغريب فان شئت السفر الى دمشق فانا الذي اروح معك وان سمعت واطاعتني زوجتي مني وسافرت معي اقمت هناك فانه لايهون عليّ فراقك ثم قال الوقاد لزوجته هل لك ان تسافري معي الى دمشق الشام اوتكوني مقيمة هنا حتى اوصل سيدي هذا الى دمشق الشام واعود اليك فانه يطلب دمشق الشام فاني والله لايهون عليّ فراقه واخاف عليه من قطاع الطريق فقالت له زوجته اسافر معكما فقال الوقاد الحمد لله على الموافقة وتم الامر ثم ان الوقاد قام وباع امتعته وامتعة زوجته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــــــباح

فلما كانت الليلة الخامسة والخمسون

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الوقاد وزوجته اتفقا مع ضوء المكان على انهما يمضيان معه الى دمشق ثم ان الوقاد باع امتعته وامتعة زوجته واشترى جملا ثم اكترى حمارا واركب ضوء المكان اياه وسافروا ومازالوا مسافرين ستة ايام الى ان دخلوا دمشق فنزلوا هناك في آخر النهار وذهب الوقاد واشترى شيأ من الاكل والشرب على العادة وما زالوا على ذلك الحال خمسة ايام فبعد ذلك مرضت زوجة الوقاد اياما قلائل وانتقلت الى رحمة الله تعالى

Digitized by Google

له جسده بالسدر و الدقاق و اذا ببلّان قد ارسله معلم الحمام الى ضوء المكان فوجد الوقاد يغسله ويحكّ رجليه فتقدم اليه البلان وقال له هذا نقص في حق المعلم فقال الوقاد و الله ان المعلم غمرنا باحسانه فشرع البلان يحلق رأس ضوء المكان ثم اغتسل هو والوقاد وبعد ذلك اتى به الوقاد الى منزله والبسه قميصا رفيعا وثوبا من ثيابه و عمامة لطيفة و حزاما رفيعا ولف له شد على رقبته وكانت زوجة الوقاد ذبحت له فروجين وطبخهما فلما طلع ضوء المكان وجلس على الفراش قام الوقاد واذاب له السكر في ماء الخلاف و سقاه ثم قدم له السفرة وصار الوقاد يغسخ له من تلك الفراريج ويطعمه ويسقيه من المسلوقة الى ان اكتفى وغسل يديه وحمد الله تعالى على العافية وقال للوقاد انت الذي منّ الله تعالى عليّ بك و جعل سلامتي على يديك فقال له الوقاد دع عنك هذا الكلام وقل لنا ما سبب مجيئك الى هذه المدينة و من اين انت فاني ارى على وجهك آثار النعمة فقال له ضوء المكان قل لي انت كيف وقعت بي حتى اخبرك بحديثي فقال له الوقاد اما انا فاني لما توجهت الى اشغالي وجدتك مرميا على القمامة قريب الصبح على باب المستوقد ولم اعرف من رماك فاخذتك عندي وهذه حكايتي فقال ضوء المكان سبحان من يحيي العظام وهي رميم انك يا اخي ما فعلت الجميل الامع اهله وستجني ثمرة ذلك ثم انه قال للوقاد وانا الآن في اي البلاد فقال له انت في مدينة القدس فعندها ذلك تذكر ضوء المكان غربته وانتكر فراق اخته وبكى و باح بسره للوقاد وحكى له حكايته وانشد يقول

هُمْ حَمَّلُونِي فِي الْهَوَى غَيْرَ طَاقَتِي ... وَمِنْ اَجْلِهِمْ قَامَتْ عَلَيَّ قِيَامَتِي
اَلْاَفَارْفُقُوا يَاهَا جِرُونَ بِمُهْجَتِي ... فَقَدْ رَقَّ لِي مِنْ بَعْدِكُمْ كُلُّ شَامِتِ

Digitized by Google

عينيه فدخل الوقاد عليه فرآه جالسا و عليه آثار النشط فقال له ما حالك يا ولدي في هذا الوقت فقال الحمد لله فاني بخير و عافية ان شاء الله تعالى في هذا الوقت فحمد الوقاد المولى على ذلك و نهض الى السوق واشترى له عشرة فراريج واتى بهم الى زوجته وقال لها اذ بحي له في كل يوم اثنين باكر النهار و احدا و آخر النهار واحدا فقامت وذبحت له فروجا و سلقته واتت به اليه واطعمته اياه واسقته مرتته فلما فرغ من الاكل قدمت له ماء حارا فغسل يديه واتكأ على الوسادة و غطته بملاءة فنام الى العصر فقامت وسلقت له فروجا آخر واتت به له و فسخته وقالت له كل يا ولدي فبينما هو يأكل واذا بزوجها قد دخل فوجدها تطعمه ثم انه جلس عند رأسه وقال له ما حالك يا ولدي الآن فقال الحمد لله على العافية جزاك الله عني خيرا ففرح الوقاد بذلك ثم انه خرج واتى له بشراب البنفسج وماء الورد وسقاه وكان ذلك الوقاد يعمل في الحمام كل يوم بخمسة دراهم فيشتري له كل يوم بدرهم سكرا و ماء الورد و شراب البنفسج وماء الخلاف ويشتري له بدرهم فراريج وما زال يلاطفه الى ان مضى عليه شهر من الزمان حتى زالت عنه آثار المرض وقد توجهت له العافية ففرح الوقاد وزوجته بعافية ضوء المكان فقال له الوقاد يا ولدي هل لك ان تدخل معي الحمام قال نعم فمضى الى السوق واتى له بمكارى واركبه على حمار وجعل يسنده الى ان وصل معه الى الحمام فاجلسه و ادخل الحمار الى المستوقد ومضى الى السوق واشترى له سدرا ودقاقا وقال لضوء المكان ياسيدي بسم الله ادخل اغسل لك جسدك فدخل هو واياه الى داخل الحمام واخذ الوقاد يحكّ لضوء المكان رجليه وشرع يغسل

Digitized by Google

الى الليل ثم القاه على مزبلة مستوقد حمام ومضى الى حال سبيله فلما اصبح الصباح طلع وقّاد الحمام الى شغله فوجده ملقى على ظهره فقال في نفسه لاحول شيء مايرمون هذا الميت الاهنا ورفصه برجله فتحرك فقال له الوقّاد الواحد منكم يأكل قطعة حشيش ويرمي روحه في اي موضع كان ثم نظر في وجهه فرآه لانبات بعارضيه وهو ذوبهاء وجمال فاخذته الرأفة عليه وعرف انه مريض وغريب فقال لاحول ولاقوة الا بالله اني دخلت في خطيئة هذا الصبي وقد اوصى النبي صلى الله عليه وسلم باكرام الغريب لا سيما اذا كان الغريب مريضا فحمله واتى به الى منزله ودخل به على زوجته وامرها ان تخدمه وتفرش له بساطا ففرشت له وجعلت تحت رأسه وسادة وسخنت له ماء وغسلت له به يديه ورجليه ووجهه وخرج الوقاد الى السوق واتى له بشيء من ماء الورد والسكر ورشّ ماء الورد على وجهه وسقاه السكر واخرج له قميصا نظيفا والبسه اياه فشم نسيم الصحة وتوجهت اليه العافية واتكأ على المخدة ففرح الوقاد بذلك وقال الحمد لله على عافية هذا الصبي اللهم اني اسألك بسرّ المكنون ان تجعل سلامة هذا الشاب على يدي وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والخمسون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوقاد قال اللهم اني اسألك بسرّ المكنون ان تجعل حيوة هذا الصبي على يدي وما زال الوقاد يتعهده ثلثة ايام وهو يسقيه السكر وماء الخلاف وماء الورد ويتعطف عليه ويتلطف به حتى سرت الصحة في جسمه ففتح ضوء المكان

Digitized by Google

تصبحين ذليلة فلا حول ولا قوة الا بالله ثم بكى و بكت و قالت له يا اخي نحن غرباء و تعدنا هنا سنة كاملة ما دق علينا احد الباب فهل نموت من الجوع فليس عندي من الرأي الا اني اخرج و اخدم و آتيك بشيء نقتات به الى ان تبرأ من مرضك ثم نسافر الى بلادنا و مكثت تبكي ساعة و هو يبكي و هو متكئ ثم قامت نزهة الزمان و غطت رأسها بقطعة عباءة كانت من ثياب الجمالين و كان صاحبها نسيها عندهما و قبلت رأس اخيها و اعتنقته و خرجت من عنده وهي تبكي ولم تعلم اين تمضي و ما زالت سائرة و اخوها ينتظرها الى ان قرب وقت العشاء و لم تأت فمكث اخوها ينتظرها الى ان طلع النهار فلم تعد اليه ولم يزل على هذا الحال يومين فعظم ذلك عنده و ارتجف قلبه عليها و اشتد به الجوع فخرج من المخزن و صاح لصبي الخان وقال له اريدان تحملني الى السوق فحمله والقاه في السوق فاجتمع عليه اهل القدس و بكوا عليه لما رأوه على تلك الحالة فاشار اليهم يطلب شيأ يأكله فجاؤا له من بعض التجار الذين في السوق ببعض دراهم واشتروا له شيأ واطعموه اياه ثم حملوه ووضعوه على دكان وفرشوا له قطعة برش ووضعوا عند راسه ابريقا فلما اقبل الليل انصرف عنه كل الناس و حملوا همه فلما كان نصف الليل تذكر اخته فازداد به الضعف و امتنع من الاكل والشرب وغاب عن الوجود فقام اهل السوق واخذوا له من التجار ثلثين دراهم فضة و اكتروا له جملا وقالوا للجمال احمل هذا واوصله الى دمشق وادخله المارستان لعله يبرأ ويطيب فقال لهم على الرأس ثم قال الجمال في نفسه كيف امضي بهذا المريض وهو مشرف على الموت فخرج به الى مكان واختفى به

Digitized by Google

الحج ثم اتيا لزيارة قبر النبي صلى الله عليه و سلم فزاراه و بعد ذلك ارادا الرجوع مع الحجاج الى بلادهم فقال ضوء المكان لاخته يا اختي في خاطري زيارة بيت المقدس والخليل ابراهيم عليه السلام فقالت له و انا كذلك و اتفقا على ذلك فخرج و اكترى له و لها مع المقادسة و جهزا حالهما و توجها مع الركب ففي تلك الليلة حصلت لاخته حمى باردة فتشوشت ثم شفت و تشوش الآخر فصارت تلاطفه في ضعفه و لم يزالا سائرين الى ان دخلا بيت المقدس و اشتد المرض على ضوء المكان و زاد معه الضعف فنزلا في خان هناك و اكتريا لهما مخزنا فنزلا فيه و لم يزل المرض يتزايد على ضوء المكان حتى انحلّ وغاب عن الدنيا فاغتمت لذلك اخته نزهة الزمان و قالت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم هذا حكم الله فعند ذلك قعدت هي و اخوها في ذلك المكان و قد زاد به الضعف و هي تخدمه و تنفق عليه و على نفسها فنفد ما معها من المال و افتقرت حتى لم يبق معها ولا درهم فارسلت صبي الخان الى السوق بشيء من قماشها فباعه و انفقته على اخيها ثم باعت شيأ آخر و لم تزل تبيع من امتعتها شيأ فشيأ حتى لم يبق لها الا حصيرا مقطعة فبكت و قالت لله الامر من قبل ومن بعد فقال لها اخوها يا اختي اني قد حسست بالعافية و في خاطري شيء من اللحم المشوي فقالت له اخته والله يا اخي انا مالي وجه للشحاذة و لكن غدا ادخل بيت احد من الاكابر و اخدم فيه و اعمل بشيء نقتات به انا وانت ثم تفكرت ساعة و قالت له اني لا يهون عليّ ان افارقك و انت في هذه الحالة و لكن اروح قهرا عني فقال لها اخوها ابعد العز

Digitized by Google

و اما ما كان من امر والده عمر بن النعمان فانه بعد سفر ولده شر كان اقبل عليه الحكماء و قالوا له يا مولانا ان اولادك تعلموا العلم و كملوا الحكمة والادب والحشمة فعند ذلك فرح الملك فرحا شديدا وانعم على الحكماء حيث رأى ضوء المكان كبر وترعرع و ركب الخيل و صار له من العمر اربع عشرة سنة و طلع مشتغلا بالديانة والعبادة محبا للفقراء واهل العلم والقرآن وصار اهل بغداد يحبونه نساء ورجالا الى ان طاف ببغداد محمل العراق من اجل الحج و زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأى ضوء المكان موكب المحمل اشتاق الى الحج فدخل على والده و قال له اني اتيت اليك لا ستأذنك في ان احج فمنعه من ذلك و قال له اصبر الى العام القابل امضي انا وايا ك فلما رأى الامر يطول عليه دخل على اخته نزهة الزمان فوجدها قائمة تصلي فلما قضت الصلوة قال لها اني قد قتلني الشوق للحج الى بيت الله الحرام وزيارة قبر النبي عليه الصلوة والسلام و استأذنت والدي فمنعني من ذلك فالمقصود ان آخذ شيأ من المال و اخرج الى الحج سرّا ولم اعلّم ابي بذلك فقالت له اخته بالله عليك الا ما اصحبتني معك ولا تحرمني من زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها اذا جنّ الظلام فاخرجي من هذا المكان ولا تعلمي احدا بذلك فلما كان نصف الليل قامت نزهة الزمان و اخذت شيأ من المال و لبست لبس الرجال وكانت قد بلغت من العمر مثل عمر ضوء المكان ولا زالت ماشية الى باب القصر فوجدت اخاها ضوء المكان قد جهز الجمال فركب و اركبها وسارا في الليل واختلطا بالحج ومشيا الى ان صارا في وسط الحج العراقي وما زالا سائرين وكتب الله لهما السلامة الى ان دخلا مكة المشرفة و وقفا بعرفات و قضيا مناسك

هو كذلك واذا بولده شركان قد اتى من السفر فاعلمه والده بذلك واخبره انها هربت وهو في الصيد والقنص فاهتم شركان لذلك غما شديدا ثم ان الملك صار يتفقد اولاده كل يوم ويكرمهم وكان الملك عمر بن النعمان قد احضر العلماء والحكماء ليعلموا العلم لاولاده ورتب لهم الرواتب فلما رأى ذلك شركان غضب غضبا شديدا وحسد اخوته على ذلك الى ان ظهر اثر الغيظ في وجهه ولم يزل متمرضا بسبب هذا الامر فقال له والده يوما من الايام مالي اراك تزداد ضعفا في جسمك وصفارا في لونك فقال له شركان يا والدي كلما رأيتك تقرّب اخوتي وتحسن اليهم يحصل عندي حسد واخاف ان يزيد بي الحسد فاقتلهم وتقتلني انت بسببهم اذا انا قتلتهم فمرضُ جسمي وتغير لوني بسبب ذلك ولكن انا اشتهي من احسانك ان تعطيني قلعة في الخارج من القلاع اقيم بها بقية عمري فان صاحب المثل يقول بعدي عن حبيبي احسن لي واجمل عين لا تنظر وقلب لا يحزن واطرق براسه الى الارض فلما سمع الملك عمر بن النعمان كلامه عرف سبب ما هو فيه من التقصير فاخذ بخاطره وقال له يا ولدي اني اجيبك لذلك وانا ما في ملكي اكبر من قلعة دمشق فقد ملكتها لك من هذا الوقت واحضر الموقّعين في الوقت والساعة وامرهم بكتابة تقليد ولده شركان ولاية دمشق الشام فكتبوا له ذلك وجهزوه واخذ معه الوزير دندان واوصاه ابوه بالمملكة والسياسة وقلده اموره والاقامة عنده وودعه ابوه وودعته الامراء والاكابر الدولة ثم سار بالعسكر حتى وصل الى دمشق فلما وصل اليها دق له اهلها الكاسات وصاحوا بالبوقات وزينوا المدينة وقابلوه بموكب عظيم سار فيه اهل الميمنة ميمنة والميسرة ميسرة هذا ما كان من امر شركان

Digitized by Google

تلك الجواري بلغنا من عدونا ما نختار لانه ممتحن بحب الجواري وعنده ثلثمائة وست وستون جارية وازددن مائة جارية من خواص جواريك التي كن مع المرحومة بنتك فاذا تعلّمت الجواري ما قلت لك عليه اخذتهن بعد ذلك و اسافر بهن فلما سمع الملك حردوب كلام امه ذات الدواهي فرح وقام وقبل رأسها ثم ارسل من وقته و ساعته المسافرين والقصاد الى اطرف البلاد ليأتوا اليه بالحكماء من المسلمين فامتثلوا امره و سافروا الى بلاد بعيدة واتوه بما طلبه من الحكماء والعلماء فلما حضروا بين يديه اكرمهم غاية الاكرام وخلع عليهم الخلع ورتب لهم الرواتب والجرايات ووعدهم بالمال الجزيل اذا علموا الجواري ثم احضر لهم الجواري وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والخمسون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العلماء والحكماء لما حضروا عند الملك حردوب اكرمهم اكراما زائدا واحضر الجواري بين ايديهم واوصاهم بالتعليم والحكمة والادب فامتثلوا امره هذا ما كان من امر الملك حردوب واما ما كان من امر الملك عمر بن النعمان فانه لما عاد من الصيد و القنص و طلع القصر طلب الملكة ابريزة فلم يجدها ولم يخبره احد عنها ولم يعلمه احد بذلك فعظم عليه ذلك وقال كيف يكون ان جارية تخرج من القصر و لم يعلم بها احد فان كانت مملكتي على هذا الامر فانها ضائعة المصلحة ولا ضابط لها فما عدت اخرج الى الصيد و القنص حتى ارسل الى الابواب من يتوكل بها واشتد حزنه وضاق صدره لفراق الملكة ابريزة فبينما

Digitized by Google

سيدها عرفته وزادت في البكاء فلما افاق الملك من غشيته وسالها عن الخبر فاخبرته بالقصة وقالت له ان الذي قتل ابنتك عبد اسود من عبيد عمر بن النعمان واخبرته بما فعله الملك عمر بن النعمان بابنته فلما سمع الملك حردوب ذلك اسودت الدنيا في وجهه وبكى بكاء شديدا ثم امر باحضار محفة وحمل ابنته فيها ومضى الى قيسارية وادخلوها القصر ثم ان الملك حردوب دخل على امه ذات الدواهي وقال لها اهكذا تفعل المسلمون ببنتي فان الملك عمر بن النعمان يأخذ وجهها قهرا وبعد ذلك يقتلها عبد اسود من عبيده فوحق المسيح لابد من اخذنا ثأر بنتي منه وكشف العار عن عرضي والاقتلت نفسي بيدي ثم بكى بكاء شديدا فقالت له امه ذات الدواهي ماتقل ابنتك الا مرجانة لانها كانت تكرهها في الباطن ثم قالت لولدها لاتحزن من جهة اخذ ثأرها فوحق المسيح لا ارجع عن الملك عمر بن النعمان حتى اقتله واقتل اولاده ولا عملن معه عملا تعجز عنه الدهاة والابطال ويتحدث به المحدثون في جميع الاقطار وفي كل مكان ولكن ينبغي لك ان تمتثل امري في كل ما اقوله فمن نوى على ما يريد يبلغ ما يريد فقال لها وحق المسيح لا اخالفك ابدا فيما تقولينه قالت له ائتني بجوار نهد ابكار وائتني بحكماء الزمان ودعهم يعلمونهن الحكمة والادب مع الملوك والمنادمة والاشعار ويتكلمون معهن بالحكمة والمواعظ ويكون الحكماء مسلمين حتى يعلموهن اخبار العرب وتواريخ الخلفاء واخبار من سلف من ملوك الاسلام ولو اقمنا على ذلك اربعة اعوام لبلغنا المرام فطوّل روحك واصبر فان بعض الاعراب يقول ان اخذ الثأر بعد اربعين عاما قليل ونحن اذا علّمنا

Digitized by Google

وهل بلغ من قدرك ان تخاطبني بهذا الخطاب يا ولد الزنا وتربية الخنى اتحسب ان الناس كلهم سواء فلما سمع العبد النحس ذلك منها غضب واحمرت عيناه وتقدم اليها وضربها بالسيف في ورائدها فقتلها وساق جوادها بعد ان اخذ من المال ونجا بنفسه في الجبال هذا ماكان من امر الغضبان واما ما كان من امر الملكة ابريزة فانها ولدت ولدا ذكرا مثل القمر فاخذته مرجانة واصلحت شانه وجعلته الى جنب امه فاخذ ثديها وهي ميتة وصرخت صرخة عظيمة وشقت اثوابها وحثت التراب على راسها ولطمت على خديها حتى خرج الدم من وجهها وقالت واسيداه واخيبتاه قتلتِ من يد عبدا سود لاقيمة له بعد فروسيتكِ ولم تزل تبكي واذا بغبار قد طلع وسد الاقطار فانكشف ذلك الغبار وبان من تحته عسكر جرار وكان هذا العسكر عسكر الملك حردوب والد الملكة ابريزة وسبب ذلك انه لما سمع ان ابنته هربت هي وجواريها من بغداد وهي عند الملك عمر بن النعمان خرج بمن معه يتشمم الاخبار من بعض المسافرين ان كانوا رأوها عند الملك عمر بن النعمان فلما خرج وبعد عن بلدته مسيرة يوم واحد رأى ثلث فرسان من بعيد فقصدهم ليسألهم من اين اتوا ويعلم خبر ابنته وكان رأى على بعد هؤلاء الثلثة ابنته وجاريتها والعبد الغضبان فقصدهم ليسألهم فلما قصدهم خاف العبد على نفسه فقتلها ونجا بنفسه فلما اقبلوا عليهم رأوها ابوها انها قتلت وجاريتها تبكي عليها فرمى نفسه من فوق جواده ووقع في الارض مغشيا عليه فترجل كل من كان معه من الفرسان والامراء والوزراء وفي الحال ضربوا الخيام في الجبال ونصبوا قبة ومدورة للملك حردوب ووقف ارباب الدولة بظاهر تلك الخيمة فلما رأت مرجانة

Digitized by Google

الصناديد و اغتاظت منه و قالت له و يلك ما هذا الكلام الذي تقوله لي و يلك لا تتفوه بشيء من هذا في حضرتي و اعلم انني لا ارضى بشيء مما قلته ولو سقيت كاس الردى ولكن اصبر حتى اصلح شان الجنين و اصلح شاني و ارمي الخلاص ثم بعد ذلك ان قدرت عليّ افعل بي ما تريد وان لم تترك فاحش الكلام في هذا الوقت فاني اقتل نفسي بيدي وافارق الدنيا وارتاح من هذا كله وانشدت تقول

اَيَا غَضْبَانُ دَعْنِي قَدْ كَفَانِي ... مُكَابَدَةُ الْحَوَادِثِ وَالزَّمَانِ
عَنِ الْفَحْشَاءِ رَبِّي قَدْ نَهَانِي ... وَ قَالَ النَّارُ مَثْوَى مَنْ عَصَانِي
وَ اِنِّي لَا اَمِيلُ لِفِعْلِ سُوءٍ ... بِعَيْنِ النَّقْصِ دَعْنِي لَاتَرَانِي
وَ لَوْ لَمْ تَتْرُكِ الْفَحْشَاءَ عَنِّي ... وَ تَرْعَى حُرْمَتِي فِي مَنْ رَعَانِي
لَاَصْرُخُ طَائِفَتِي لِرِجَالِ قَوْمِي ... وَ اَجْلِبُ كُلَّ قَاصِيهَا وَ دَانِي
وَ لَوْ قُطِّعْتُ بِالسَّيْفِ الْيَمَانِي ... لَمَا خَلَّيْتُ فَحْشَا يَرَانِي
مِنَ الْاَحْرَارِ وَ الْكُبَرَاءِ طُرًّا ... فَكَيْفَ الْعَبْدُ مِنْ نَسْلِ الزَّوَانِي

فلما سمع الغضبان ذلك الشعر غضب غضبا شديدا و احمرت عيناه و اغبرت سجنته و انتفخت منا خره و استدلت مشافره وزادت به النفرات و انشد يقول هذه الابيات

اَيَا اَبْرِيزَةً لَا تَتْرُكِينِي ... قَتِيلُ هَوَاكِ بِاللَّحْظِ الْيَمَانِي
فَقَلْبِي قَدْ تَقَطَّعَ مِنْ جَفَاكِ ... وَ جِسْمِي نَاحِلٌ وَالصَّبْرُ فَانِ
وَ طَرْفُكِ قَدْ سَبَى الْاَلْبَابَ سِحْرًا ... وَ عَقْلِي نَازِحٌ وَالشَّوْقُ دَانِ
وَ لَوْ اَجْلَبْتِ مِلْأَ الْاَرْضِ جَيْشًا ... لَا بْلُغُ مَا رَبِي فِي ذَا الزَّمَانِ

فلما سمعت ابريزة كلامه بكت بكاء شديدا و قالت له و يلك ياغضبان

ASHMOLEAN OXFORD MUSEUM Digitized by Google

الرجوع الى بلاد ك زوجناك واعطيناك ماتحب الى بلادك بعدان تاخذ ما يكفيك من المال فلما سمع الغضبان ذلك الكلام فرح فرحا شديدا وقال ياسيدتي اني اخدمكما بعيوني وامضي معكما واشد لكما الخيل فمضى وهو فرحان وقال في نفسه قد بلغت ما اريد منهما وان لم تطا وعاني قتلتهما واخذت ما معهما من المال واضمر ذلك في سره ثم مضى وعاد ومعه راحلتان وثلث رؤس من الخيل وهو راكب على احدهم واقبل على الملكة ابريزة وقدم اليها فرسا فركبت واحدا واركبت مرجانة واحدا وهي متوجعة من الطلق ولا تملك نفسها من كثرة الوجع وما زال مسافرا بهما في عرصة الجبال ليلا ونهارا الى ان بقي بينها وبين بلادها يوم واحد فجاءها الطلق فما قدرت تمسكه فقالت للغضبان انزلني فقد حاشني الطلق وصاحت لمرجانة انزلي واقعدي تحتي وولديني فعند ذلك نزلت مرجانة من فوق فرسها ونزل الغضبان من فوق فرسه وشد لجام الفرسين ونزلت الملكة ابريزة من فوق الجواد وهي غائبة عن الدنيا من شدة الطلق وحين رأها الغضبان نزلت على الارض وقف الشيطان في وجه الغضبان فشهر حسامه في وجهها وقال يا سيدتي ارحميني بوصلك فلما سمعت مقالته التفتت اليه وقالت له ما بقي عليّ الا العبيد السودان بعد ما كنت لا ارضى بالملوك الصناديد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والخمسون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملكة ابريزة لما قالت للعبد الذي هو الغضبان ما بقي علي الا العبيد السودان بعد ما كنت لا ارضى بالملوك

Digitized by Google

الى القلاع ليقيم بها مدة من الزمان فاقبلت ابريزة على جاريتها مرجانة وقالت لها اريدان اسافر في هذ الليلة و لكن كيف اصنع فى المقادير وقد حسيت بالطلق و الولادة و ان قعدت خمسة ايام او اربعة وضعت هنا ولم اقدر ان اروح بلادي وهذا ما كان مكتوبا على جبيني ثم تفكرت ساعة وقالت لمرجانة الظري لنا رجلا نسافر واياه و يخدمنا في الطريق فاني ليس لي قوة على حمل السلاح فقالت مرجانة والله ياسيدتي ما اعرف غير عبد اسود اسمه الغضبان وهو من عبيد الملك عمر بن النعمان وهو شجاع ملازم لباب قصرنا وامره الملك ان يخدمنا وقد غمرناه باحساننا فها انا اخرج اليه و اكلّمه في هذا الامر و اَعِدُه بشيء من المال و اقول له اذا اردت المقام عندنا ازوّجك بمن شئت وكان قد ذكرني قبل اليوم انه كان يقطع الطريق فان هوطا وعنا بلغنا مرادنا و وصلنا الى بلادنا فقالت لها ناديه عندي حتى احدثه فخرجت له مرجانة و نادت يا غضبان قد اسعدك الله ان قبلت من سيدتي ماتقوله لك من الكلام و اخذت بيدة واقبلت به عليها فلما رآها قبل يديها فحين رأته نفر قلبها منه فقالت في نفسها ان الضرورة لهـا احكام واقبلت عليه تحـدثه وقلبها نافر منه وقالت له يا غضبان هل فيك مساعدة لنا على غدرات الزمان فاذا اظهرتك على امري تكون كاتما له فلما نظر العبد اليها ملكت قلبه و عشقها لوقته فلم يمكنه غيرانه قال ياسيدتي ان امرتني بشيء لا اخرج عنه فقالت له اريد منك الساعة ان تأخذني و تأخذ جاريتي هذه وتشدّلنا راحلتين وراسَي خيل من خيول الملك وتجعل على كل فرس خرجا من المال و شيأ من الزاد و ترحل معنا الى بلادنا وان اقمت عندنا زوجتك بمن تختارها من جواريّ وان طابت

Digitized by Google

عليها ذلك وما كان امرها فعرفت ان الملك عمر بن النعمان قد وقع بها و واصلها و تمت حيلته عليها فاغتمّت لذلك غما شديدا وحجبت نفسها و قالت لجواريها امنعوا كل من اراد ان يدخل عليّ وقولوا له انها ضعيفة حتى انظر ماذا يفعل الله بي فعند ذلك وصل الخبر الى الملك عمر بن النعمان ان الملكة ابريزة ضعيفة فارسل اليها الاشربة والسكّر والمعاجين و اقامت على ذلك شهورا و هي محجوبة ثم ان الملك قد بردت ناره و انطفأ شوقه منها و صبر عنها وكانت قد علقت منه فلما مرّت عليها اشهر الحمل ظهر حملها وكبرت بطنها و ضاقت الدنيا بها فقالت لجاريتها مرجانة اعلمي ان القوم ما ظلموني و انما انا الجانية على نفسي حيث فارقت ابي وامي ومملكتي وانا قد كرهت الحياة وانكسرت همتي وما بقي عندي من الهمة ولا من القوة شيء وكنت اذا ركبت جوادي اقدر عليه وانا الآن لا اقدر على الركوب و اني متى ولدت عندهم صرت معيرة عند جواري وكل من في القصر يعلم انه اخذ و جهي سفاحا وانا اذا رجعت لابي بأي وجه القاه وبأي وجه ارجع اليه وما احسن قول الشاعر

لِمَ التَّعَلُّلُ لَا اَهْلٌ وَلَا وَطَنٌ وَلَا نَدِيْمٌ وَلَا كَأْسٌ وَلَا سَكَنُ

فقالت لها مرجانة الامر امرك و انا في طوعك فقالت اريد الساعة ان اخرج سرّا بحيث لايعلم بي احد غيرك واسافر الى ابي وامي فان اللحم اذا انتن ما له الا اهله و الله يفعل بي مايريد فقالت لها نعم ما تفعلين ايتها الملكة ثم انها جهزت احوالها وكتمت سرّها وصبرت اياما حتى خرج الملك للصيد و القنص و خرج والده شركان

Digitized by Google

ابريزة في قصرها فلما رأته قامت له قائمة فامر لها بالجلوس فجلست و جلس عندها و صار يتحدث معها في امر الشراب فقدمت سفرة الشراب و صفّت له الاواني و اوقدت الشموع و امرت باحضار النقل والحلاوات والفاكهة وكل ما يحتاجون اليه و صارا يشربان والملك ينادمها الى ان دبّ السكر في رأس الملكة ابريزة فلما علم الملك ذلك اخرج قطعة البنج من جيبه و جعلها بين اصابعه و ملأ كاسا بيده و شربه و ملأه ثانيا و قال للملكة ابريزه اُلسَك و اسقط قطعة البنج في الكأس و هي لا تشعر بذلك فاخذته الملكة ابريزة و شربته فلما كان دون ساعة علم ان البنج قد تحكم معها وسلب ادراكها نقام اليها فوجدها ملقاة على ظهرها و قد كانت قلعت السراويل من رجليها و رفع الهواء ذيل قميصها عنها فلما رآها الملك على تلك الحالة و وجد عند راسها شمعة و عند رجليها شمعة تضيء على مابين فخذيها حيل بينه و بين عقله ووسوس له الشيطان فما تمالك نفسه حتى قلع سراويله و وقع عليها فازال بكارتها و قام من فوقها و دخل الى جارية من جواريها يقال لها مرجانة و قال لها ادخلي على سيدتك كلميها فدخلت الجارية على ستها فوجدت دمها يجري على سيقانها و هي ملقاة على ظهرها فمدت يدها الى منديل من مناديلها و اصلحت به شان سيدتها و مسحت عنها الدم و باتت عندها فلما اصبح الله تعالى بالصباح تقدمت الجارية مرجانة و غسلت وجه سيدتها و يديها و رجليها ثم جاءت بماء الورد وغسلت به وجهها و فمها فعند ذلك عطست الملكة ابريزة و تثاوبت وتقايت ذلك البنج فنزلت قطعة البنج من باطنها كالقرص ثم انها غسلت فمها ويديها و قالت لمرجانة اعلميني بما كان من امري فاعادت

Digitized by Google

فلما سمعت صفية ذلك قالت ايها الملك و ماذا اريد اكثر و اعلا من هذه المنزلة التي انا فيها و انا مغمورة بانعامك و خيرك و قد رزقني الله منك بولدين ذكر و انثى فاعجب الملك عمر بن النعمان كلامها ثم مضى من عندها و افرد لها و لاولادها قصرا عجيبا و رتب لهم الخدم والحشم والفقهاء والحكماء والفلكية والاطباء والجرا يحية و اوصاهم بهم و زاد في اكرامهم واحسن اليهم غاية الاحسان ثم رجع الى قصر المملكة والمحاكمة بين الناس هذا ماكان له مع صفية و اولادها و اما ماكان من امره مع الملكه ابريزة فان الملك عمر بن النعمان اشتغل بحبها و صار ليلا و نهارا مشغوفا بها و في كل ليلة يدخل اليها و يتحدث عندها و يلوح لها بالكلام فلم ترد له جوابا بل تقول يا ملك الزمان انا في هذا الوقت مالي غرض في الرجال فلما رأى تمنعها منه اشتد به الغرام و زاد عليه الوجد والهيام فلما اعياه ذلك احضر وزيره دندان واطلعه على ما في قلبه من محبة الملكة ابريزة ابنة الملك حردوب واخبره انها لا تدخل في طاعته و قد قتله حبها ولم ينل منها شيئا فلما سمع الوزير دندان ذلك قال للملك اذا جن الليل فخذ معك قطعة بنج مقدار مثقال و ادخل عليها و اشرب معها شيئا من الخمر فاذا كان وقت الفراغ من الشراب والمنادمة فاعطها القدح الاخير و اجعل فيه ذلك البنج و اسقيه لها فانها ما تصل الى مرقدها الاوقد تحكم عليها البنج فتدخل انت عليها و تتصل بها و تبلغ غرضك منها و هذا ما عندي من الرأي فقال له الملك نعم ما اشرت به علي ثم انه عمد الى خزانته و اخرج منها قطعة بنج مكرر لو شمه الفيل لرقد من السنة الى السنة و جعلها في جيبه و صبر الى ان مضى قليل من الليل و دخل على الملكة

Digitized by Google

فيك فما تقولين اذا اراد ذلك فقالت اعلم يا شركان ان اباك ماله حكم عليّ ولا يقدر ان يأخذني بغير رضائي و ان كان يأخذني غصبا قتلت نفسي واما ثلث خرزات فما كان على بالي ان ينعم على احد من اولاده بشيء منها وما ظننت الا انه يجعلها في خزائنه مع ذخائره ولكن اشتهي من احسانك ان تهبني الخرزة التي اعطاها لك و الدك ان قبلتها منه فقال لها سمعا و طاعة ثم انه اعطاها اياها فقالت له لا تخف وتحدثت معه ساعة وقالت له اني اخاف ان يسمع ابي اني عندكم فما يقعد عني و يسعى في طلبي ويتفق هو والملك افريدون لاجل ابنته صفية فيأتيان اليكم بعساكر و تكون ضجة عظيمة فلما سمع شركان ذلك قال لها يا مولاتي اذا كنت راضية بالاقامة عندنا لاتفكري فيهم ولو يجتمع علينا كل من في البر والبحر فقالت له ما يكون الا الخير وها انتم ان احسنتم اليّ تعدت عندكم و ان اسأتم اليّ رحلت من عندكم ثم انها امرت الجواري باحضار شيء من الاكل فقدمت المائدة فاكل شركان شيئا يسيرا و مضى الى داره مهموما مغموما هذا ما كان من امره و اما ما كان من امر والده عمر بن النعمان فانه بعد انصراف ولده شركان من عنده قام و دخل على جاريته صفية و معه تلك الخرزتين فلما رأته نهضت قائمة على قدميها الى ان جلس فاقبل عليه اولاده ضوء المكان و نزهة الزمان فلما رأهما قبلهما و علق على كل واحد منهما خرزة ففرحا بهما و قبلا يديه و اقبلا على امهما ففرحت بهما و دعت للملك بطول الدوام فقال لها الملك و انت هذه المدة كلها لاي شيء لم تعلميني انك ابنة الملك افريدون ملك القسطنطينية لاجل ان ازيد في اكرامك و اوسع لك و ارفع منزلتك

Digitized by Google

وفتحت واخرجت منه تلك الخرزات الثلث وباستها واعطتها للملك وانصرفت فاخذت قلبه معها وبعد انصرافها ارسل الى ولده شركان فحضر فاعطاه خرزة من ثلث خرزات فسأله عن الاثنين الاخريين فقال يا ولدي قد اعطيت منهما واحدة لاخيك ضوء المكان والاخرى لنزهة الزمان اختك فلما سمع شركان ان له اخا يسمى ضوء المكان وماكان يعرف الا اخته نزهة الزمان التفت الى والده وقال له ايها الملك اَلك ولد غيري قال نعم وعمره الآن ست سنين ثم اعلمه ان اسمه ضوء المكان واخته نزهة الزمان وانهما ولدا في بطن واحد فصعب عليه ذلك ولكنه كتم سرّه وقال لوالده على بركة الله تعالى ورمى الخرزة من يده ونفض اثوابه فقال له الملك مالي اراك قد تغيرت احوالك لما سمعت هذا الخبر مع انك صاحب المملكة من بعدي وقد حلفت لك الجيش وعاهدت امراء الدولة على ذلك وهذه خرزة لك من ثلث خرزات فاطرق شركان برأسه الى الارض واستحى ان يكافح والده ثم قبل الخرزة وقام وهو لايعلم كيف يصنع من شدة الغيظ وما زال ماشيا حتى دخل قصر الملكة ابريزة فلما اقبل عليها قامت قائمة له وشكرته على فعاله ودعت له ولوالده وجلست واجلسته في جانبها فلما استقر به الجلوس رأت في وجهه الغيظ فسألته فاخبرها ان والده رزق من صفية ولدا ذكرا وانثى وسمى الولد ضوء المكان والانثى نزهة الزمان وقال لها انه اعطاهما خرزتين ودفع لي واحدة فتركتها وانا الى الآن لم اعلم بذلك الافي هذا الوقت والحال ان لهما ستة سنين فلما علمت ذلك اخذني الغيظ وقد اخبرتك بسبب غيظي ولم اخف عنك شيئا وانا الآن نخاف عليك ان يتزوج بك فانه قد احبك ورأيت منه علامة الطمع

Digitized by Google

عن الخبر فاخبره بما قالته الملكة ابريزة وما اتفق له معها وكيف فارقت مملكتها و فارقت اباها و قال له انها اختارت الرحيل معنا و القعود عندنا و ان ملك القسطنطينية ارادان يعمل لنا حيلة من اجل ابنته صفية لان ملك الروم قد اخبره بحكايتها و سبب اهدائها اليك و ان ملك الروم ما كان يعرف انها ابنة الملك افريدون ملك القسطنطينية ولو كان يعرف ذلك ما كان اهداها اليك بل كان يردها الى والدها ثم قال شركان لوالده ولا كان خلاصنا من هذه الامور الا بسبب هذه الجارية ابريزة وما رأينا اشجع منها ثم انه شرع يحكي لابيه فيما وقع له منها من اول الامر الى آخره من امر المصارعة والمبارزة فلما سمع عمر بن النعمان من ولده شركان ذلك عظمت ابريزة عنده و صار يتمنى انه يراها ثم انه طلبها ان يسألها فعند ذلك ذهب شركان اليها و قال لها ان الملك يدعوك فاجابت بالسمع والطاعة فاخذها شركان و اتى بها الى والده وكان الملك قاعدا على كرسيّه و اخرج من كان عنده من اهل دولته ولم يبق عنده غير الخدم فدخلت الجارية ابريزة وقبلت الارض بين يدى الملك عمر بن النعمان و ترجمت بحسن الكلام فتعجب الملك من فصاحتها و شكرها على ما فعلت مع ولده شركان و امرها بالجلوس فجلست وكشفت عن وجهها فلما رآها الملك طار عقله من رأسه ثم انه قربها اليه و ادناها و افرد لها قصرا مختصا بها و بجواريها و رتب لها ولجواريها الرواتب ثم اخذ يسأ لها على تلك الخرزات الثلث التي تقدم ذكرها فقالت له هاهي معي يا ملك الزمان ثم انها قامت و مضت الى محلها و فتحت حوائجها و اخرجت منها علبة و اخرجت من العلبة حقّا من الذهب

Digitized by Google

بعد ان يطلقن العشرين اسيرا الذين كن اسرنهم من قوم شركان فامتثلت الجواري امرها ثم انهن قبلن الارض بين يديهما فقال لهن مثلكن من يكنّ عند الملوك مدخرا للشدائد ثم انه اشار الى اصحابه ان سلموا عليها فترجّلوا جميعا و قبّلوا الارض بين يدي الملكة ابريزة و قد عرفوا القضية ثم ركب مائتا فارس و ساروا في الليل والنهار الى مدة ستة ايام و بعد ذلك اقبلوا على الديار فامر شركان الملكة ابريزة وجواريها ان يتزعن ما عليهن من لباس الافرنج وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والخمسون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شركان امر الملكة ابريزة و جواريها ان ينزعن ما عليهن من الثياب و ان يلبسن لبس بنات الروم ففعلن ذلك ثم انه ارسل جماعة من اصحابه الى بغداد ليعلم والده عمر بن النعمان بقدومه ويخبره ان صحبته الملكة ابريزة ابنة الملك حردوب ملك الروم ليرسل لها من يلاقيها ثم انهم نزلوا من ساعتهم و وقتهم في المكان الذي وصلوا اليه و نزل شركان و باتوا الى الصباح فلما اصبح الله تعالى بالصباح ركب شركان هو و من معه و ركبت ايضا الملكة ابريزة و من معها من الجيش و استقبلوا المدينة واذا بالوزير دندان قد اقبل في الف فارس من اجل ملاقاة الملكة ابريزة هي و شركان و قد خرجوا باشارة الملك عمر بن النعمان الى ملاقاتهما فلما قربوا منهما توجهوا اليهما و قبلوا الارض بين يديهما ثم ركبا و ركبوا معهما و ساروا في خدمتهما حتى دخلا المدينة و طلعا القصر و دخل شركان على والده فقام اليه و اعتنقه و سأله

احد غيره و هوا نه اذا لاح له في خصمه مضرب قاتل يقلّب الرمح ويضربه بعقبه ولكن ما ادري ماذا يكون مني ومنه ومرادي ان يكون في عسكرنا مثله و مثل اصحابه و بات شركان فلما اصبح الصباح خرج له الافرنجي ونزل في وسط الميدان و اقبل عليه شركان ثم اخذا في القتال و اوسعا في الحرب و المجال و امتدت اليهما الاعناق ولم يزالا في حرب وكفاح و طعن بالرماح الى ان ولى النهار و اقبل الليل بالاعتكار ثم افترقا و رجعا الى قومهما وصار كل منهما يحكي لاصحابه ما لاقاه من صاحبه ثم ان الافرنجي قال لاصحابه في غد يكون الانفصال و باتوا تلك الليلة الى الصباح ثم ركب الاثنان و حملا على بعضهما ولم يزالا في الحرب الى نصف النهار و بعد ذلك عمل الافرنجي حيلة و لكز الجواد ثم جذ به باللجام فعثر به و رماه فانكبّ عليه شركان و اراد ان يضربه بالسيف خوفا ان يطول به المطال فصاح به الافرنجي و قال يا شركان ما هكذا تكون الفرسان انما هذا فعل المغلوب بالنسوان فلما سمع شركان من ذلك الفارس هذا الكلام رفع طرفه اليه و امعن النظر فيه فوجده الملكة ابريزة التي وقع له معها ما وقع في الدير فلما عرفها رمى السيف من يده و قبل الارض بين يديها وقال لها ما حملك على هذه الفعال قالت له اردت ان اختبرك في الميدان و انظر ثباتك في الحرب والطعان و هؤلاء الذين معي كلهم جواريّ و كلهن بنات ابكار و قد قهرن فرسانك في حومة الميدان ولولا ان جوادي قد عثر بي لكنتَ ترى قوتي و جلادي فتبسم شركان من قولها و قال لها الحمد لله على السلامة وعلى اجتماعي بك يا ملكة الزمان ثم ان الملكة ابريزة صاحت على جواريها و امرتهن ان يرجّلن

في غداة غد الى الميـــدان و اطلب بِراز المقدم عليهم و انظر من كان السبب في دخوله الى بلادنا و احذّره من قتالنـــا فان ابى قاتلنـــاه و ان صالحنا صالحناه و باتوا على هذا الحال الى ان اصبح الله تعالى بالصباح فركبت الطائفتان و اصطفّت الفريقان فاراد شركان ان يخرج الى الميدان و اذا بالافرنج قد ترجّل منهم اكثر من نصفهم قدّام فارس منهم و مشوا قدامه الى ان صاروا في وسط الميدان فتأمل شركان ذلك الفارس و اذا بالفارس المقدم عليهم لابس قباء ازرق من اطلس و وجهه فيه كالبدر اذا اشرق و من فوقه زرديـــة ضيقة العيون و بيده سيـــف مهنّد و هو راكب على جواد ادهم في وجهـــه غرة كالدرهـــم و ذلك الافرنجي لانبات بعا رضيه و لكز جواده حتى صار في وسط الميدان و اشار الى المسلمين و هو يقول بلسان عربي فصيح يا شركان يا ابن عمر بن النعمان يا من ملك الحصون و اخرب البلدان دونك و الحرب و القتال و ابرز الى من قد ناصفك في الميدان فانت سيد قومك و انا سيد قومي فمن غلب منا صاحبه قامت قومه تحت طاعته فما استتم كلامه حتى برزله شركان و قلبه من الغيظ ملآن و ساق جواده حتى دنا من الافرنجي في الميدان و طبق عليه كالاسد الغضبان فتلقى الافرنجي في الميدان بخبرة و امكان و صدمه صدمة الفرسان و اخذا في الطعن و الضرب و لم يزالا في كرّ و فرّ و اخذ و رد كانهما جبلان اصطدما او بحـــران التطمـــا و لم يزالا في قتـــال الى ان و لى النهـــار و اقبل الليل بالاعتكار و انفصل كل منهمـــا من صاحبه و عاد الى قومه فلمـــا اجتمع شركان باصحـــابه قال لهم ما رايت مثل هذا الفارس قط الا اني رأيت منه خصلة لم ارها من

Digitized by Google

النصر عليهم من رب السماء و باتوا تلك الليلة على ذلك الاتفاق و اما الافرنج فانهم اجتمعوا عند مقدمهم و قالوا له اننا ما بلغنا اليوم في هؤلاء اربا فقال لهم في غداة غد نصطف و نبارزهم و احدا بعد و احد فباتوا على ذلك الاتفاق و تحارس الفريقان الى ان اصبح الله تعالى بالصباح فركب الملك شركان وركبت معه المائة فارس واتوا الى الميدان كلهم فوجدوا الافرنج قد اصطفوا للقتال فقال شركان لاصحابه ان اعداءنا قد عزموا على ما كانوا فيه فدونكم و المبادرة اليهم فنادى مناد من الافرنج لايكون قتالنا في هذا اليوم الامناوبة بان يبرز بطل منكم الى بطل منا فعند ذلك برز فارس من اصحاب شركان وساق بين الصفين و قال هل من مبارز هل من مناجز لايبرز لي اليوم كسلان ولا عاجز فلم يتم كلامه حتى برز اليه فارس من الافرنج غريق في سلاحه وتماثه من ذهب وهو راكب على جواد اشهب وذلك الافرنجي لانبات بعارضيه فساق جواده حتى وقف في وسط الميدان واخذ معه في الضرب والطعان فلم يكن غير ساعة حتى طعنه الافرنجي بالرمح فنكسه عن جواده واخذه اسيرا وقاده حقيرا ففرح به قومه ومنعوه ان يخرج الى الميدان واخرجوا غيره وقدخرج اليه من المسلمين آخر وهو اخ الاسير ووقف معه في الميدان وحمل الاثنان على بعضهما ساعة يسيرة ثم كرّ الافرنجي على المسلم وغالطه وطعنه بعقب الرمح فنكّسه عن جواده واخذه اسيرا ولازالت المسلمين يخرج منهم واحدا بعد واحد والافرنجي يأسرهم الى ان ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار وقد اسروا من المسلمين عشرين فارسا فلما عاين شركان ذلك عظم عليه وجمع اصحابه وقال لهم ما هذا الامر الذي حل بنا انا اخرج

Digitized by Google

فلما ان قربوا من شركان ومن معه صاحوا عليهم و قالوا وحق يوحنّا و مريم نحن بلغنا ما املّناه و نحن خلفكم مجدّون السير ليلا و نهارا حتى سمقنا كم الى هذا المكان فانزلوا عن خيولكم و اعطونا اسلحتكم و سلموا لنا انفسكم حتى نجود عليكم بار و احكم فلما سمع شركان ذلك قامت عيناه في ام راسه و احمرّت وجنتاه و قال لِمَ يا كلاب النصارى جسرتم وجئتم الى بلادنا و مشيتم في ارضنا وما كفاكم ذلك حتى انكم تخاطرون بانفسكم و تخاطبون بهذا الخطاب اظننتم انكم تخلصون من ايدينا و تعودون الى بلادكم ثم صاح على مائة فارس الذين معه و قال لهم دونكم و هولاء الكلاب فانهم في عددكم ثم سلّ سيفه وحمل عليهم و حملت معه المائة فارس فاستقبلتهم الافرنج بقلوب اقوى من الصخر و اصطدمت الرجال بالرجال ووقعت الابطال في الابطال و التحم القتال واشتد النزال و عظمت الاهوال و قد بطل القيل والقال ولم يزالوا في الحرب والكفاح والضرب بالصفاح الى ان ولى النهار و اقبل الليل بالاعتكار فانفصلوا عن بعضهم البعض و اجتمع شركان باصحابه فلم يجد احدا انصدم منهم غير اربعة انفس بجراحات حصلت لهم لكن راًها سالمة فقال لهم شركان والله عمري اخوض بحر الحرب العجاج و اقاتل الرجال فما لقيت اصبر على الجلاد و ملاقاة الرجال مثل هؤلاء الابطال فقالوا له اعلم ايها الملك ان فيهم فارسا افرنجيا و هو المقدم عليهم له شجاعة و طعنات نافذات غير انه والله عفا عنا كبارا و صغارا وكل من وقع بين يديه يتغافل عنه ولا يقاتله فوالله لوا راد قتلنا لقتلنا جا جمعنا فتحير شركان لما راًى من فعله و سمع عنه ذلك المقال و قال في نفسه غدا نصطف و نبارزهم فها نحن مائة وهم مائة وانا نطلب

دندان ومعه اميران فلما رأوه وعرفوه ترجلوا له وسلموا عليه وسأله الوزير عن سبب غيابه فاخبرهم عن جميع ما جرى له مع الملكة ابريزة من اوله الى آخره فحمد الله تعالى على ذلك ثم قال شركان ارحلوا بنا من هذه البلاد لان الرسل الذين جاؤا معنا رحلوا من عندنا ليعلموا ملكهم بقدومنا فربما اسرعوا الينا وقبضوا علينا ثم نادى شركان في عسكره بالرحيل فرحلوا كلهم ولا زالوا سائرين مجدين في السير الى ان وصلوا الى سطح الوادي وكانت الرسل قد توجهوا الى ملكهم واخبروه بقدوم شركان فجهز اليه عسكرا ليقبضوا عليه وعلى من معه هذا ما كان من امر الرسل وملكهم واما ما كان من امر شركان ووزير دندان واميرين فانهم قد اشرف الاربعة على عسكرهم وصاحوا عليهم ارحلوا ارحلوا فرحلوا من ساعتهم وساروا اول يوم وثاني يوم وثالث يوم ولازالوا سائرين الى خمسة ايام ونزلوا في واد كثير الاشجار واسترا حوافيه مدة وبعد ذلك رحلوا منه ومازالوا سائرين مدة خمسة وعشرين يوما حتى اشرفوا على اوائل بلادهم فلما وصلوا الى هناك امنوا على انفسهم ونزلوا لأخذ الراحة فخرج اليهم اهل تلك البلاد بالضيافات وعليق البهائم والاقامات فاقاموا يومين ورحلوا طالبين ديارهم وتأخر شركان بعدهم في مائة فارس وامّر الوزير دندان فساروا ومعه الجيش فلما كان بعد مسيرهم بيوم عزّل شركان على السفر فركب وركبت مائة فارس وساروا مقدار فرسخين حتى وصلوا الى محل مضيق بين جبلين واذا امامهم غبرة وعجاج فمنعوا خيولهم من السير مقدار ساعة حتى انكشف الغبار وبان من تحته مائة فارس ليوث عوابس وفي الحديد والزرد غواطس

Digitized by Google

و وهبها لي وهي الآن عندي فاذهب انت الى عسكرك وردهم قبل ان يستغرقوا ويتوغلوا في بلاد الافرنج والروم فانكم اذا توغلتم في بلادهم يضيقون عليكم الطرق فلم تجدوا لكم خلاصا من ايديهم الى يوم الجزاء والقصاص وانا اعرف ان الجيوش مقيمون في مكانهم لانك رسمت لهم بالاقامة ثلثة ايام مع انهم فقدوك في هذه المدة ولم يعلموا ما ذا يفعلون فلما سمع شركان هذا الكلام غاب ساعة وهو متفكر ثم انه قبل يد الملكة ابريزة وقال الحمد لله الذي منّ علي بك وجعلك سببا لسلامتي وسلامة من معي ولكن يعز علي فراقك ولا اعلم ما يجري عليك بعدي فقالت له اذهب انت الآن الى عسكرك وردهم وان كانت الرسل عندهم فاقبض عليهم حتى يظهر لكم الخبر وانتم بالقرب من بلادكم وبعد ثلثة ايام انا الحقكم وما تدخلون بغداد الا وكلنا سواء ثم انه لما اراد الانصراف قالت له والعهد الذي بيني وبينك لاتنساه ثم انها نهضت قائمة معه لاجل التوديع والعناق واطفاء نار الاشواق وودعته وعانقته وبكت بكاء شديدا وانشدت تقول شعرا

وَدَّعْتُهَا وَيَدِي الْيَمِينُ لِأَدْمُعِي وَيَدِي الْيَسَارُ لِضَمَّةٍ وَعِنَاقِ
قَالَتْ أَمَا تَخْشَى الْفَضِيحَةَ قُلْتُ لَا يَوْمَ الْوَدَاعِ فَضِيحَةُ الْعُشَّاقِ

ثم فارقها شركان ونزل من الدير وقدموا له جواده فركب وخرج طالبا للجسر فوصل اليه ومر من فوقه ودخل بين تلك الاشجار فلما تخلص من تلك الاشجار وشق في ذلك المرج واذا هو بثلثة فوارس فاخذ لنفسه منهم الحذر وشهر سيفه وانحدر فلما قربوا منه ونظر بعضهم بعضا عرفوه ونظر اليهم فاذا هو احدهم الوزير

Digitized by Google

و ان اهملتم كتابي و عصيتم امري فلا بدان اكا فكم على قبيح افعالكم وسوء اعمالكم فلمـــا وصلت هذه المكاتبة الى ابي و قراها و فهم ما فيهـــا شق عليه ذلك و ندم حيث لم يعرف ان صفية بنت الملك افريدون في تلك الجواري ليردها الى والدها فتحير في امره ومابقي يمكنه بعد هذه المدة الكبيرة ان يرسل الى الملك عمـــر بن النعمان يطلبها منه ولاسيما اننا سمعنا من مدة يسيرة انه رزق من جاريته التي يقال لها صفية بنت الملك افريدون اولادا فلما تحققنا ذلك علمنا ان هذه الورقة هي المصيبة العظمى فما كان لابي حيلة غير انه كتب جوابا للملك افريدون ويعتذر اليه و يحلف له بالاقسام انه ما علم ان ابنته كانت من جملة الجـــواري التي كانت في تلك المركب ثم اظهره على انه ارسلها الى الملك عمر بن النعمان و انه رزق منهـــا الاولاد فلمـــا وصلت رسالة ابي الى افريـدون ملك القسطنطينية قام وقعدوا رغى و ازبد و قال كيف انه سبي ابنتي وصارت بصفة الجواري و تتدا و لها الا يدي و تصل الي الملـــوك و يطؤنها بلا عقد فقال و حق المسيح والدين الصحيح ما بقيت اقعد عن هذا الا ان آخذ الثأر و اكشف العـــار و اني لا فعلن فعـــلا يتحدثون به المحدثون من بعـــدي وما زال صابرا الى ان دبر الحيلة و نصب مكائد عظيمة و ارسل رسلا الى والد ك عمر بن النعمان و ذكر له ما سمعت من الاقوال حتى ان والدك جهزك بالعساكر التي معك مي اجلها و صيرك اليه حتى يقبض عليك و من معك من عسكرك و اما ثلث خرزات التي قال لوالدك عنها في سالته لم يكن لذلك صحـة و انما كانت مع صفية ابنته و اخذها ابي منها حين استولى عليها هي والجواري التي معها

Digitized by Google

فما كان دون ساعة حتى وصلوا الى تلك المركب ووضعوا فيها الكلاليب وجروها وحلوا قلوعهم وقصدوا جزيرتهم فما بعدوا غير قليل حتى انعكس الريح عليهم فلما انعكس الريح عليهم جذبهم الى شعب وخرق الريح قلوعهم وجرهم الينا غصبا فخرجنا اليهم فرأيناهم غنيمة قد انساقت الينا فاخذناهم وقتلناهم فوجدنا تلك الاموال والتحف واربعين جارية ومن جملتهم صفية بنت الملك فاخذناهم وقدمنا الجواري الى ابي ونحن ما نعرف ان فيهن ابنة الملك افريدون ملك القسطنطينية فاختار ابي منهن عشر جوار وفيهن ابنة الملك وفرق الباقي على حاشيته ثم عزل خمسة جوار فيهن ابنة الملك وارسلهن هدية الى والدك عمر بن النعمان مع شيء من الجوخ ومن ثياب الصوف ومن القماش الحرير الرومي وقبله ابوك فاختار من الخمس جوار صفية بنت الملك افريدون فلما كان اول هذا العام كتب ابوها كتابا الى والدي بكلام لاينبغي ذكره وصار يهدده ويوبخه ويقول له انتم ربحتم منا مركبا من منذ سنتين وكانت في يد لصوص من جماعة افرنج حرامية وكانت فيها بنتي صفية ومعها من الجواري نحو ستين جارية ولم تعلموني ولم ترسلوا الي احدا يخبرني بذلك وانا لم اقدر اظهر الخبر خوفا ان يكون في حقي عار عند الملوك من اجل هتك ابنتي فكتمت امري الى هذا العام فكاتبت بعض الحرامية من الافرنج وسألتهم خبر ابنتي عند من في الجزائر من الملوك فقالوا والله ما خرجنا بها من بلادك لكن سمعنا انها اخذها من يد بعض الحرامية ملك حردوب وحكوا له الحكاية ثم قال في المكتوب الذي كتبه لوالدي ان لم يكن مرادكم معاداتي وقصدكم فضيحتي وهتك ابنتي فساعة وصول كتابي اليكم ترسلوا الي ابنتي من عندكم

Digitized by Google

من اجلك فلا تترك من كلامي شيئا فان هذا كله ما وقع الا من شانك فلما سمع شركان هذا الكلام طار عقله من الفرح و اتسع صدره و انشرح و قال والله لا يصل اليك احد ما دام في صدري روح و لكن هل لك صبر على فراق والدك و اهلك قالت نعم فحلفها شركان و تعاهدا على ذلك فقالت الآن طاب قلبي و لكن بقي عليك شرط آخر فقال وما هو فقالت له انك ترجع بعسكرك الى بلادك فقال لها ياسيدتي ان ابي عمر بن النعمان ارسلني الى قتال و الدك بسبب المال الذي اخذه و من جملته ثلث خرزات الكبار الكثيرة البركات فقالت له طب نفسا و قرعينا فها انا احدثك بحديثها و سبب معاداتنا لملك القسطنطينية و ذلك ان لنا عيدا يقال له عيد الدير في كل سنة تجتمع فيه الملوك من جميع الاقطار و بنات الاكابر و التجار و نساؤهم و يقعدون فيه سبعة ايام و انا من جملتهم فلما وقعت بيننا المعاداة منعني ابي من حضور ذلك العيد مدة سبع سنين فاتفق في سنة من السنين ان بنات الاكابر من سائر الجهات قد جاءت من اماكنها الى الدير في ذلك العيد على العادة و من جملة من جاء اليه بنت ملك القسطنطينية و هي بنت جميلة يقال لها صفية فاقاموا في الدير ستة ايام و في اليوم السابع انصرفت الناس فقالت صفية انا ما ارجع الى القسطنطينية الا في البحر فجهزوا لها مركبا و نزلت هي و خواصها فلما حلوا القلوع و ساروا فبينما هم سائرون و اذا بريح قد خرج عليهم فاخرج المركب عن طريقه و كان هناك بالقضاء والقدر مركب نصارى من جزيرة الكافور و فيها خمسمائة افرنجي بالسلاح وكان لهم مدة في البحر فلما لاح لهم قلع المركب التي فيها صفية و من معها من البنات انقضوا عليها مسرعين

Digitized by Google

عشرون فلما نظرت الى ما صنع بالقوم قالت له بمثلك تفتخر الفرسان فلما درك ياشركان ثم انه قام بعد ذلك يمسح سيفه من دم القتلى و ينشد هذه الابيات

وَكَمْ فَرَّقْتُ فِي الْهَيْجَاءِ جَمْعًا تَرَكْتُ كُمَا تَهُمْ طَعْمَ السِّبَاعِ
سَلُوْا عَنِّي وَ عَنْهُمْ فِي نِزَالِي جَمِيْعَ الْخَلْقِ فِي يَوْمِ الْقِرَاعِ
تَرَكْتُ لُيُوْثَهُمْ فِي الْحَرْبِ صَرْعَى عَلَى الرَّمْضَاءِ فِي تِلْكَ الْبِقَاعِ

فلما فرغ من شعره انبلت عليه الجارية متبسمة و قبلت يده و قلعت الزرد الذي كان عليها فقال لها يا مولاتي لاي شيٍ لبست هذا الزرد و شهرت حسامك قالت حرصا عليك من هؤلاء اللئام ثم ان الجارية دعت البوابين وقالت لهم كيف تركتم اصحاب الملك يدخلون منزلي بغير اذني فقالوا لها ايتها الملكة ما جرت العادة اننا نحتاج الى استيذان منك على رسل الملك خصوصا البطريق الكبير فقالت لهم اظنكم ما اردتم الا هتكي و قتل ضيفي ثم امرت شركان ان يضرب رقابهم فضرب رقابهم و قالت لباقي خدامها انهم يستحقون اكثر من ذلك ثم التفتت الى شركان و قالت له الآن ظهر لك ما كان خافيا فها انا اعلمك بقصتي اعلم اني بنت ملك الروم جردوب و اسمي ابريزة والعجوز التي تسمى ذات الدواهي جدتي ام ابي وهي التي اعلمت ابي بك ولا بدانها تعمل حيلة على هلاكي سيما و قد قتلت بطارقة ابي وشاع اني قد انفردت و تخربت مع المسلمين فالرأي السديد انني اترك الاقامة هنا ما دامت ذات الدواهي خلفي و لكن اريد منك مثل ما فعلت معك من الجميل تفعل معي فان العداوة قد وقعت بيني و بين ابي

Digitized by Google

الشطارة ظلم و ان كل و احد لواحد فلما سمع ذلك الكلام و ثب على قدميه و سار الى ان اقبل عليهم و كان معه سيفه وآلة حربه فعند ذلك و ثب البطريق عليه و حمل عليه فقابله شركان كأنه الاسد و ضربه بالسيف على عاتقه فخرج السيف يلمع من ظهره وامعانه فلما نظرت الجارية ذلك عظم قدر شركان عندها و عرفت انها حين صرعته ما صرعته بقوتها بل بحسنها و جمالها ثم ان الجارية اقبلت على البطارقة و قالت لهم خذوا بثأر صاحبكم فخرج له اخ المقتول وكان جبارا عنيدا فحمل على شركان فلم يمهله دون ان ضربه بالسيف على عاتقه فخرج السيف يلمع من امعائه فعند ذلك نادت الجارية يا عباد المسيح خذوا بثأر صاحبكم فلم يزالوا يبرزون اليه واحدا بعد واحد و شركان يلعب فيهم بسيفه حتى قتل منهم خمسين بطريقا والجارية تنظر اليهم و قد قذف الله الرعب في قلوب من بقي منهم و قد تأخروا عن البراز فلم يجسروا على البروز اليه بل حملوا عليه باجمعهم و حمل هو عليهم بقلب اقوى من الحجر الى ان طحنهم طحن الدراس و سلب منهم العقول والنفوس فصاحت الجارية على جواريها و قالت لهن من بقي في الدير فقلن لها ما بقي احد الا البوابين ثم ان الملكة لاقته واخذته بالاحضان وطلع شركان معها الى القصر بعد فراغه من المعاركة وكان قد بقي منهم قليل كامن له في زوايا الدير فلما نظرت الجارية الى ذلك القليل قامت من عند شركان ثم عادت اليه و عليها زردية ضيقة العيون و بيدها صارم هندي و قالت و حق المسيح لم ابخل بنفسي عن ضيفي ولا اتخلى عنه ولو بقي بسبب ذلك معيرة في بلاد الروم فلما تأملت البطارقة وجدته قتل منهم ثمانين و انهزم منهم

Digitized by Google

و لكن لاامكنكم ان تتعرضوا له فان تعرضتم له لا يعـــود عنكـــم الا ان قتل جميع من كان في هذا المكان وهاهو عنـــدي وها انا احضره بين ايديكـــم و سيفه و حَجَفته معه فقال لها البطـــريق ما سورة انا اذا امنت من غضبك لم آمن من غضب ابيك و اني اذا رأيته اشيـــر الى البطارقة فياخذونه اسيرا و نمضي به الى الملك حقيرا فلمـــا سمعت منه هذا الكلام قالت له لا كان هذا الامر فانه عنوان السفه لان هذا رجل و احد وانتم مائة بطـــريق فاذا اردتم مصادمته فابرز وا له واحدا بعد واحد ليظهر عند الملك من هو البطل فيكم و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــاح

فلما كانت الليلة الموفية للخمسين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملكة ابريزة قالت للبطريق هذا رجل و احد و انتم مائة و لكن ان اردتم مصادمته فاظهروا له واحدا بعد و احد ليظهر عند الملك من هو البطل منكم فقال البطريق ما سورة و حق المسيح لقد قلتِ الحق و لكن ما يخرج له اولا غيري فقالت الجارية له اصبر حتى اذهب اليه و اعرفه بالخطـــاب و انظر ما عنده من الجـــواب فان اجاب فهو الصواب و ان ابى فلا سبيل لكم اليه و اكون انا ومن في الدير وجواريّ فداه ثم اقبلت على شركان و اخبرته بما كان فتبسم و علم انها لم تخبر احدا بأمره و انمـــا شاع خبره حتى وصل الى الملك بغير ارادتها فرجع باللوم على نفسه و قال كيف رميت روحي في بلاد الروم ثم انه لما سمع كلام الجارية قال لها ان بروزهم اليّ واحدا بعد و احد احجـــاف بهم فهلا يبرزون لي عشرة بعد عشرة فقالت له الجـــارية هذه

Digitized by Google

انت قد نصرت عسكر الروم باخذ هذا الاسد المشئوم فلما سمعت كلام البطريق نظرت اليه و قالت له ما اسمك قال لها اسمي ماسورة بن عبدك موسورة بن كاشرده بطريق البطارقة قالت له و كيف دخلت علي بغير اذني فقال لها يا مولاتي اني لما وصلت الى الباب مامنعني حاجب ولابواب بل قام جميع البوابين ومشوابين ايدينا كما جرت به العادة انه اذا جاء احد غيرنا يتركونه و اقفا على الباب حتى يستأذنوا عليه بالدخول و ليس هذا وقت اطالة الكلام والملك منتظر رجوعنا اليه بهذا الملك الذي هو شوكة عسكرالاسلام حتى انه يقتله و يرحل عسكره الى الموضع الذي جاؤا منه من غير ان يحصل لنا تعب في قتالهم فلما سمعت الجارية منه هذا الكلام قالت له ان هذا الكلام غير حسن و لكن قد كذبت الست ذات الدواهي فانها قد تكلمت بكلام باطل و هي لا تعلم حقيقته و انا و حق المسيح ان الذي عندي ما هو شركان ولا هو اسير ولكنه رجل اتى الينا و قدم علينا وطلب الضيافة فاضفناه فان تحققنا انه شركان بعينه و ثبت عندنا انه هو من غير شك فلا يليق بمروتي اني امكّنكم على من دخل تحت ذمامي فلا تخونوني في ضيفي ولا تفضحوني بين الانام بل ارجع انت الى الملك ابي و قبل الارض بين يديه و اخبره بان الامر بخلاف ما قالت الست ذات الدواهي فقال البطريق ما سورة يا ابريزة انا ما اقدر ان اعود الى الملك الا بغريمه فقالت له وقد اغتاظت و يلك عُدْ له بالجواب ولا عليك ملام فقال لها ما سورة لا اعود الا به فتغير لونها و قالت له لا تكن كثير الكلام والهذيان فان هذا الرجل ما دخل الينا الا و هو واثق من نفسه انه يحمل على مائة فارس و حده ولو قلت له انت شركان بن الملك عمر بن النعمان يقول نعم

Digitized by Google

ثم انهما لم يزالا على ذلك الى ان دخل الليل فكان في ذلك اليوم احسن من اليوم الاول فلما اقبل الليل مضت الجارية الى مرقدها ولم يبق عنده الا الجواري فالقى نفسه على الارض ونام الى الصباح فاقبلت عليه الجواري على عادتها بالدفوف وآلات الطرب فلما رآها نهض وجلس واخذنه ومشين به الى ان وصلوا الى الجارية فلما رأته نهضت قائمة واخذت بيده واجلسته الى جانبها وسألته عن مبيته فدعا لها بطول البقاء فاخذت العود وانشدت تقول شعر

لَا تَسْكُنَنَّ إِلَى الْفِرَاقِ فَإِنَّهُ مُرُّ الْمَذَاقِ
اَلشَّمْسُ عِنْدَ غُرُوبِهَا تَصْفَرُّ مِنْ اَلَمِ الْفِرَاقِ

فبينما هما على هذه الحالة واذا هما بضجة ورجال متزاحمين وبطارقة بايديهم السيوف مسلولة تلمع وهم يقولون بلسان الرومية وقعت عندنا يا شركان فايقن بالهلاك فلما سمع شركان هذا الكلام قال في نفسه والله لقد عملت هذه الجارية الحيلة وامهلتني الى ان جاءت رجالها وهم البطارقة الذين خوفتني بهم ولكن انا الذي قد القيت نفسي في هذا الهلاك ثم التفت الى الجارية ليعاتبها فوجد وجهها قد تغير بالاصفرار ثم وثبت على قدميها وهي تقول لهم من انتم فقال لها البطريق المقدم عليهم ايتها الملكة الكريمة والدرة اليتيمة اما تعرفين من هو الذي عندك قالت له لا اعرفه فمن يكون هذا فقال لها هذا مخرب البلدان وسيد الفرسان هذا شركان بن الملك عمر بن النعمان هذا الذي فتح القلاع وملك كل حصن مناع وقد وصل خبره الى الملك حردوب والدك من السيدة العجوز ذات الدواهي وتحقق ذلك والدك ملكنا نقلا عن العجوز وها

Digitized by Google

اَجْنى رَقِيبِي مِنْ ثِمَارِ قَلَائِدٍ دُرَّ النُّحُورِ مُنَضَّدًا بِالْعَسْجَدِ
وَعُيُونِ مَاءٍ مِنْ سَبَائِكِ فِضَّةٍ وَخُدُودِ وَرْدٍ فِي وُجُوهِ زَبَرْجَدِ
فَكَأَنَّمَا لَوْنُ الْبَنَفْسَجِ قَدْ حَكَى زُرْقَ الْعُيُونِ وَكُحِّلَتْ بِالْإِثْمِدِ

فلما رأت الجارية شركان قامت له و اخذت بيده واجلسته الى جانبها و قالت له اتحسن شيئا يا ابن الملك عمر بن النعمان في لعب الشطرنج قال نعم ولكن لا تكوني كما قال الشـــــــــاعر

اَقُولُ وَالْوَجْدُ يَطْوِينِي وَيَنْشُرُنِي وَنَهْلَةٌ مِنْ رُضَابِ الْحُبِّ تُرْوِينِي
حَضَرْتُ شِطْرَنْجَ مَنْ اَهْوَى فَلَاعَبَنِي بِالْبِيضِ وَالسُّودِ لَكِنْ لَيْسَ يُرْضِينِي
كَأَنَّمَا الشَّاهُ عِنْدَ الرُّخِّ مَوْضِعُهُ وَقَدْ تَفَقَّدَ دَسْتًا بِالْفَرَازِينِ
فَإِنْ نَظَرْتُ إِلَى مَعْنًى لِوَاحِظِهَا فَغُنْجُ الْحَاظِهَا يَا قَوْمِ يُرْدِينِي

ثم قدمت له الشطرنج و لعبت معه فصار شركان كلما اراد ان ينظر الى نقلها نظر الى وجهها فيضع الفرس موضع الفيل و يضع الفيل موضع الفرس فضحكت و قالت ان كان لعبك هكذا فانك لاتعرف شيئا فقال هذا اول دست لا تحسبيه فلما غلبته رجع و صف القطع و لعب معها فغلبته ثانيا وثالثا و رابعا و خامسا فالتفتت اليه و قالت له انت في كل شيء مغلـــوب فقال ياسيدتي على من لاعب مثلك كيف لايُغلب ثم امرت باحضار الطعام فاكلا وغسلا ايديهما وقدموا لهما الشراب فشربا و بعد ذلك اخذت القانون وكان لها يدفي ضرب القانون فانشدت تقول هذه الابـــــــيـــــــات

اَلدَّهْرُ مَابَيْنَ مَطْوِيٍّ وَمَبْسُوطٍ وَمِثْلُهُ مِثْلُ مَجْرُورٍ وَمَخْرُوطِ
فَاشْرَبْ عَلَى حُسْنِهِ اِنْكُنْتَ مُقْتَدِرًا اَنْ لَاتُفَارِقَنِي فِي وَجْهِ تَثْرِيطِ

Digitized by Google

ثم قالت وقيل ان عزة كانت في نهاية الحسن والجمال ثم قالت له يا ابن الملك ان كنت تعرف شيئا من كلام جميل بُثَيْنَةَ فانشدنا منه فقال نعم انا اعرف به من كل احد ثم انشد يقول من شعر جميل هذه الابيات

يَقُولُونَ جَاهِدْ يَا جَمِيلُ بِغَزْوَةٍ وَأَيُّ جِهَادٍ غَيْرُ هُنَّ أُرِيدُ
لِكُلِّ حَدِيثٍ بَيْنَهُنَّ بَشَاشَةٌ وَكُلُّ قَتِيلٍ بَيْنَهُنَّ شَهِيدُ
إِذَا قُلْتُ مَا بِي يَا بُثَيْنَةُ قَاتِلِي مِنَ الْحُبِّ قَالَتْ ثَابِتٌ وَيَزِيدُ
وَإِنْ قُلْتُ رُدِّي بَعْضَ عَقْلِي أَعِشْ بِهِ مَعَ النَّاسِ قَالَتْ ذَاكَ مِنْكَ بَعِيدُ
تُرِيدِينَ قَتْلِي لَا تُرِيدِينَ غَيْرَهُ وَلَسْتُ أَرَى قَصْدًا سِوَاكَ أُرِيدُ

فلما سمعت ذلك قالت له احسنت يا ابن الملك واحسن جميل ما الذي ارادته بثينة بجميل حتى قال هذا الشطر اي تريدين قتلي لاتريدين غيره فقال لها شركان يا سيدتي لقد ارادت به ما تريدين مني ولا يرضيك فضحكت لما قال لها شركان هذا الكلام ولم يزالا يشربان الى ان ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار فقامت الجارية وذهبت الى مرقدها ونامت ونام شركان في مقامه الى ان اصبح الصباح فلما افاق اقبلت عليه الجواري بالدفوف والآلات الطرب على العادة وقبلن الارض بين يديه وقلن له بسم الله تفضل ان سيدتنا تدعوك الى الحضور عندها فقام شركان ومشى والجواري حوله يضربن بالدفوف والآلات الى ان خرج من تلك الدار ودخل الى دار غيرها وهي اعظم من الدار الاولى وفيها من التماثيل وصور الطيور والوحوش مالا يوصف فتعجب شركان مما رأى من صنعة ذلك المكان فانشد يقول

Digitized by Google

غمال طربا ثم اقبلا على الشراب ولم يزالا في لعب ولهو الى ان ولى النهار بالرواح و ارخى الليل الجناح فقامت الى مرقدها فسأل شركان عنها فقالوا له انها مضت الى مرقدها فقال في وداعة الله و حفظه فلما اصبح الصباح اقبلت عليه الجارية و قالت له ان سيدتي تدعوك اليها فقام معها و سار خلفها فلما قرب من مكانها زفته الجواري بالدفوف و المواصل الى ان وصل الى باب كبير وهو من العاج مرصع بالدرر و الجواهر قد خلوا منه فوجدوا درا كبيرة ايضا و في صدرها ايوان كبير مفروش بانواع الحرير و بدائر ذلك الايوان شبابيك مفتحة مطلة على اشجار و انهار و في البيت صور مجسمة يدخل فيها الهواء فتتحرك في جوفها آلات فيتخيل للناظر انها تتكلم و الجارية جالسة تنظر اليهم فلما نظرته الجارية نهضت قائمة اليه و مسكت يده و اجلسته بجانبها و سألته عن مبيته فدعا لها ثم جلسا يتحدثان ثم قالت له اتعرف شيأ مما يتعلق بالعاشقين و المتيمين فقال نعم اعرف شيأ من الاشعار فقالت اسمعني فانشد يقول

هَنِيئًا مَرِيئًا غَيْرَدَاءٍ مُخَامِرٍ لِعَزَّةَ مِنْ اَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتِ
فَوَاللّٰهِ مَا قَارَبْتُ اِلَّاتَبَاعَدَتْ بِصَرْمٍ وَلَا اَكْثَرْتُ اِلَّا اَقَلَّتِ
اِنِّي وَ تَهْيَامِي بِعَزَّةَ بَعْدَ مَا تَخَلَّيْتُ مِمَّا بَيْنَنَا وَ تَخَلَّتِ
لَكَا لْمُرِ تَجْيِ ظِلَّ الْغَمَامَةِ كُلَّمَا تَبَوَّأَ مِنْهَا لِلْمَقِيلِ اضْمَحَلَّتِ

فلما سمعت منه ذلك قالت لقد كان كثير بيّن الفصاحة عفيف و بالغ في و صفه لعزة حيث قال و انشدت تقول

لَوْاَنَّ عَزَّةَ حَاكَمَتْ شَمْسَ الضُّحَى فِي الْحُسْنِ عِنْدَ مُوَفِّقٍ لَقَضَى لَهَا
وَ سَعَى اِلَيَّ بِعَيْبِ عَزَّةَ نِسْوَةٌ جَعَلَ الْاِلٰهُ خُدُوْدَهُنَّ نِعَالَهَا

Digitized by Google

الى ان غاب عن رشده من الشراب ومن سكر محبتها ثم انها قالت للجارية يا مرجانة هاتي لنا شيئا من آلة الطرب فقالت سمعا وطاعة وغابت لحظة و اتت بعود جلقي وجنك عجمي وناي تتري وقانون مصري فاخذت الجارية العود و اصلحته وشدته وغنت عليه بصوت رخيم ارق من النسيم واعذب من ماء التسنيم من قلب سليم وانشدت تقول هذه الابيات

عَفَا اللّٰهُ عَنْ عَيْنَيْكَ كَمْ سَفَكَتْ دَمًا ... وَكَمْ فَوَّقَتْ مِنْكَ اللَّوَاحِظُ اَسْهُمَا
اُجِلُّ حَبِيْبًا جَاْبِرًا فِيْ حَبِيْبِهِ ... حَرَامٌ عَلَيْهِ اَنْ يُرَقَّ وَيُرْحَمَا
هَنِيْئًا لِطَرْفٍ بَاتَ فِيْكَ مُسَهَّدًا ... وَطُوْبٰى لِقَلْبٍ ظَلَّ فِيْكَ مُتَيَّمًا
تَحَكَّمْتَ فِيْ قَتْلِيْ فَاِنَّكَ مَالِكِيْ ... بُرُوْحِيْ اَفْدِى الْحَاكِمَ الْمُتَحَكِّمَا

ثم قامت كل واحدة من الجواري و معها آلتها تنشد عليها ابياتا بلسان الرومية فطرب شركان ثم غنت الجارية سيدتهن ايضا وقالت له يا مسلم اما فهمت ما اقول قال لا و لكن ما طربت الا على حسن انا ملك فضحكت و قالت له ان غنيت لك بالعربية ماذا تصنع فقال ما كنت املك عقلي فاخذت آلة الطرب فغيرت الضرب وانشدت تقول شعرا

طَعْمُ التَّفَرُّقِ مُرٌّ فَهَلْ لِذٰلِكَ صَبْرُ
تَعَرَّضَتْ لِيْ ثَلْثٌ صَدٌّ وَبُعْدٌ وَهَجْرُ
اَهْوٰى ظَرِيْفًا سَبَانِيْ بِالْحُسْنِ وَالْهَجْرُ مُرُّ

فلما فرغت من شعرها نظرت الى شركان فوجدت شركان غاب عن وجوده و صار مطروحا بينهن ممدودا ساعة ثم افاق و تذكر الغناء

Digitized by Google

زمانا طويلا ثم التفتت اليه وقالت له طب نفسا وقر عينا فانك ضيفي وصار بيننا وبينك خبز وملح فانت في ذمتي وفي عهدي فكن آمنا وحق المسيح لواراد اهل الارض ان يؤ ذوك لما وصلوا اليك الا ان خرجت روحي من اجلك فانت في امان المسيح واماني وجلست الى جانبه وصارت تلاعبه الى ان زال ما عنده من الخوف وعلم انها لوكان لها ارب في قتله لفعلته من الليلة الماضية ثم انها كلمت جارية بلسان الرومية فغابت ساعة واتت اليها ومعها كاس ومائدة طعام فتوقف شركان عن الاكل وقال في نفسه ربما وضعت شيا في ذلك الطعام فعرفت ما في ضميره فالتفتت اليه وقالت له وحق المسيح ليس الامر كذلك وهذا الطعام ليس فيه شيء من الذي تتوهمه ولو كان خاطري في قتلك لقتلتك في هذا الوقت ثم تقدمت الى المائدة واكلت من كل لون لقمة فعند ذلك اكل شركان ففرحت الجارية واكلت معه الى ان اكتفيا وغسلا يديهما وبعد ان غسلا ايديهما قامت وامرت جارية ان تأتي بالرياحين وآلات الشراب من اوانى الذهب والفضة والبلور وان يكون الشراب من سائر الالوان المختلفة والصفات فاتتها بجميع ما طلبته ثم ان الجارية ملأت اول قدح وشربته قبله كما فعلت فى الطعام ثم ملأت ثانيا واعطته اياه فشرب فقالت له يا مسلم انظر كيف انت فى النّعيش ومسرّة ولم تزل تشرب معه وتسقيه الى ان غاب عن رشده وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والاربعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية مازالت تشرب وتسقي شركان

Digitized by Google

كالبدر بين الكواكب يحجبن تلك الجارية و عليها ديباج ملوكي وقد شدت في وسطها زنارا محبوكا مرصعا بانواع الجواهر وقدضم خصرها وابرز ردفاها فصارتا كأنهما كثيب بلور تحت قضيب من فضة و نهداها كفحلين من الرمان فلما نظر شركان ذلك كاد عقله ان يطير من الفرح ونسي عسكره ووزيره وتأمل رأسها فرأى عليها شبكة من اللؤلؤ مفصلة بانواع الجواهر والجواري عن يمينها ويسارها يرفعن اذيالها وهي تتمايل عجبا فعند ذلك وثب شركان قائما لمارأى حسنها وجمالها فصاح زنهارزنهار من هذا الزنار ثم انشد يقول هذه الابيات

ثَقِيلَةُ الْأَرْدَافِ مَائِلَةُ خُرْعُوبَةٌ نَاعِمَةُ النَّهْدِ
تَكَتَّمَتْ مَا عِنْدَهَا مِنْ جَوًى وَلَسْتُ أَكْتُمُ الَّذِي عِنْدِي
خَدَّاهَا يَمْشِيَنَ مِنْ خَلْفِهَا كَالْفَيْلِ فِي حَلٍّ وَفِي عَقْدِ

فجعلت الجارية تنظر اليه زمانا طويلا وتكرر فيه النظر الى ان تحققته وعرفته فقالت له بعدان اقبلت عليه قد اشرف واضاء بك المكان ياشركان كيف كانت ليلتك يا همام بعد ما مضينا وتركناك ثم قالت له ان الكذب عند الملوك منقصة وعار لاسيما عندالملوك الكبار وانت شركان بن الملك عمر بن النعمان فلا تكتم سرك وحالك ولا تسمعني بعد ذلك غير الصدق فان الكذب يورث البغض والعداوة فقد نفذ فيك سهم القضاء فعليك بالتسليم والرضاء فلما قالت ذلك لم يمكنه النكران فصدقها على ذلك فقال انا شركان بن عمر بن النعمان الذي عزّ بنيالزمان واوقعني في هذا المكان فمهما شئت فا فعليه الآن فاطرقت برأسها الى الارض

Digitized by Google

طويل مقبى على عشر قناطر معقودة وعلى كل قنطرة قنديل من البلور يشتعل كشعاع النار فتلقتها الجواري في آخرا لد هليز بالشموع المطيبة وعلى رؤسهن العصائب المزركشة بالفصوص التي هي من سائر اصناف الجواهر وسارت وهن امامها وشركان وراءها الى ان وصلوا الى الدير فوجد بدائر ذلك الدير اسرّة مُقابلة لبعضها وعليها ستور مكللة بالذهب وارض الدير مفروشة بانواع الرخام المجزع وفي وسطه بركة ماء عليها اربعة وعشرون فوارة من الذهب والماء يخرج منها كا للجين ورأى فى الصدر سريرا مفروشا بالحرير الملوكي فقالت له الجارية اصعد يامولاتي على هذا السرير فصعد شركان فوق السرير وذهبت الجارية وغابت ساعة من الزمان فسأل عنها من بعض الخدام فقالوا له انها ذهبت الى مرقدها ونحن نخدمك كما امرت ثم انهم قدموا له من غرائب الالوان فاكل حتى اكتفى ثم انهم قدموا له طشتا من الذهب وابريقا من الفضة فغسل يديه وخاطره عند عسكره لكونه لايعلم ماجرى لهم بعده ويتذكر ايضا كيف نسي وصية ابيه فصار متحيرا في امره نادما على ما فعل الى ان طلع الفجروبان النهار فتنهد وتحسر على مافعل وصار غريقا في بحار الفكر وانشد يقـــــــــــــــــــــــــول

لَمْ اَعْدِمِ الْحَزْمَ وَ لٰكِنَّنِيْ دُهِيْتُ فِي الْاَمْرِ فَمَا حِيلَتِيْ
لَوْكَانَ مَنْ يَكْشِفُ عَنِّي الْهَوىٰ بَرِئْتُ مِنْ حَوْلِيْ وَمِنْ قُوَّتِيْ
وَ اِنَّ قَلْبِيْ فِيْ ضَلَالِ الْهَوىٰ صَبٌّ وَ اَرْجُو اللّٰهَ فِيْ شِدَّتِيْ

فلما فرغ من شعره واذا ببهجة عظيمة قد اقبلت فنظر فاذا هو باكثر من عشرين جارية كالاقمار حول تلك الجارية وهي بينهن

Digitized by Google

مع انك رأيت مني العلامة والصناعة والقوة في الصراع والبراعة ولو حضر شركان مكانك في هذه الليلة وقيل له نطّ هذا النهر لم يقدر على ذلك واني اودّلوان المسيح يرميه بين يدي في هذا الدير حتى اخرج له في صفة الرجال وأسره واجعله في الاغلال وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــــــــــــــباح

فلما كانت الليلة الثامنة والاربعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الصبية النصرانية لما قالت هذا الكلام لشركان وهو يسمعه وانه ان وقع شركان في يدي فاني اخرج له في صفة الرجال واجعلـــه في القيود والاغلال بعدان أسره من بحر سرجه فلما سمع شركان هذا الكلام اخذته النخوة والحمية وغيرة الابطـال وارادان يظهر لها نفسه ويبطش بها ولكن رده عنهـــا جما لهـــا فانشد يقـــــــــــــــــــــــــول

وَإِذَا ٱلْمَلِيحُ أَتَى بِذَنْبٍ وَاحِدٍ جَاءَتْ مَحَاسِنُهُ بِأَلْفِ شَفِيعِ

ثم صعدت وهو في اثرها فنظر شركان الى ظهر الجارية فرأى اردافها تتلاطم كالامواج في البحر الرجراج فانشد يقول هذه الابيات

فِي وَجْهِهَا شَافِعٌ يَمْحُو إِسَاءَتَهَا مِنَ ٱلْقُلُوبِ وَجِيهٌ حَيْثُمَا شَفَعَا
إِذَا تَأَمَّلْتَهَا نَادَيْتَ مِنْ عَجَبٍ ٱلْبَدْرُ فِي لَيْلَةِ ٱلْإِكْمَالِ قَدْ طَلَعَا
لَوْ أَنَّ عِفْرِيتَ بِلْقِيسٍ يُصَارِعُهَا مَعَ وَصْفِ قُوَّتِهِ فِي سَاعَةٍ صُرِعَا

ولم يزالا سائرين الى ان وصلا الى باب مقنطر وكانت قنطرته من رخام ففتحت الجارية الباب ودخلت ومعها شركان وسارا الى دهليز

Digitized by Google

ذا عقل سديد ولكني اطلعت الآن على مافي قلبك من الفساد وكيف يجوز لك ان تتكلم بكلمة تنسب فيها الى الخداع كيف اصنع هذا وانا اعلم اني متى حصلت عند ملككم عمر بن النعمان لا اخلص منه لانه مافي صورة ولا في قصورة مثلي ولوكان صاحب بغداد وخراسان الذي له اثنى عشر قصرا في كل قصر جارية على عدد ايام السنة والقصور عدد شهور السنة فان حصلت عنده ما فزع مني لان اعتقادكم انا نحل لكم كما في كتبكم حيث قيل فيها أَوْمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فكيف تكلمني بهذا الكلام واما قولك وتتفرجين على شجعان المسلمين فوحق المسيح انك قلت قولا غير صحيح فاني رأيت عسكركم لما استقبلتم ارضنا وبلادنا منذ هذين اليومين فلما اقبلتم لم ار تربيتكم تربية ملوك وانما رأيتكم طوائف مجتمعين واما قولك تعرفين من انا فانا لا اصنع معك جميلا لاجل اجلا لك وانما افعل ذلك لاجل الفخر ومثلك لا يقول لمثلي ذلك ولوكنت شركان ابن الملك عمر بن النعمان الذي ظهر في هذا الزمان فقلتُ لها وانت تعرفين شركان قالت نعم وعرفت قدومه مع العساكر وعدتهم عشرة آلاف فارس وذلك ان والده عمر بن النعمان ارسل معه هذا الجيش لنصرة ملك القسطنطينية فقال شوكان يا سيدتي اقسمت عليك بما تعتقدين من دينك حدثيني عن سبب ذلك حتى يظهر لي الصدق من الكذب ومن يكون عليه وبال ذلك فقالت له وحق دينك لولا اني خفت ان يشيع خبري اني من بنات الروم لكنت خاطرت بنفسي وبارزت عشرة آلاف فارس وقتلت مقدمهم الوزير دندان وظفرت بفارسهم شركان وما كان عليّ في ذلك عار ولكنني قرأت الكتب وتعلمت الادب من كلام العرب ولست اصف لك نفسي با لشجاعة

Digitized by Google

لشركان و هي تضحك يعزّ عليّ فراقك يا مولاي اذهب الى اصحابك قبل الصباح لئلا تاتيك البطارقة و ياخذونك على اسنّة الرماح و انت ما فيك قوة لدفع النسوان فكيف تدفع الرجال الفرسان فتحير شركان في نفسه و قال لها و قد ولّت عنه معرضة طالبة للدير يا سيدتي اتذهبين و تتركين المتيم الغريب المسكين الكسير القلب فالتفتت اليه و هي تضحك ثم قالت له ما حاجتك فاني اجيب دعوتك فقال كيف اطأ ارضك واتحلى بحلاوة لطفك وارجع بلا اكل زادك وطعامك وقد صرت من بعض خدامك فقالت لاياباى الكرامة الالئيم تفضل بسم الله على الرأس والعين اركب جوادك و سر على جانب النهر مقابلي فانت في ضيافتي ففرح شركان و بادر الى جواده وركبه ولازال ماشيا في مقابلها وهي سائرة قبالة الى ان وصل الى جسر معمول باخشاب من الحور وفيه بكر بسلاسل من البولاد وعليها اقفال في كلاليب فنظر شركان الى ذلك الجسر و اذا بالجواري اللاتي كن معها في المصارعة قائمات ينتظرنها فلما اقبلت عليهن كلمت جارية منهن باسان الرومية ان قومي اليه و امسكي عنان جواده واعبري به الى الدير فسار شركان وهي قدامه الى ان عدى من الجسر وقد ندهش عقله مما رأى و قال في نفسه يا ليت شعري لوان الوزير دندان كان معي في هذا المكان و تنظر عيناه الى تلك الوجوه الحسان ثم التفت الى تلك الجارية و قال لها يا بديعة الجمال الآن قد صار لي عليك حرمتان حرمة الصحبة والاخرى بسيري الى منزلك و قبول ضيافتك و صرت تحت حكمك و زمامك فلوانك تنعمين عليّ بالمسير معي الى بلاد الاسلام وتتفرجين على كل سيد ضرغام وتعرفين من انا فلما سمعت كلامه اغتاظت منه وقالت له وحق المسيح لقد كنت عندي

وحداثة سنك وغربتك ولكن اوصيك ان كان في عسكرا لمسلمين الذين جاؤا من عند عمر بن النعمان الذين ارسلهم لاجل الملك القسطنطينية اقوى منك فارسله الي وقل له علي فان للصراع انواعا و مراتب و ضروبا مثل الوهم و منها المسابقة و المنازلة و اخذ الرجلين وعض الفخذ و العراك و الشباك فقال شركان و قد زاد غيظه منها و الله ياسيدتي اذا كان القيم الصفدي او القيم محمد قيمال او ابن السدي في زمانه ماحفظت هذه المواليف التي ذكرتهم لي ولكن ياسيدتي والله ما صرعتني بقوتك ولكن لمارا ودتني الى كفلك ونحن يا اهل العراق نحبّ الفخذ الكبير فما بقي لي عقل ولابصيرة فان شئت تصارعينني وفهمي معي فمابقي لي دست الا هذا بقانون هذه الصناعة لان نشاطي قد رجع لي في هذه الساعة فلما سمعت كلامه قلت له ما تريد بهذا الصراع يامغلوب تعال واعلم ان هذا الدست الكفاية ثم انها انحنت وطلبته للصراع فانحنى شركان عليها واخذ فى الجد وا حترز من الجذلان وتعاركا ساعة فوجدت الجارية فيه قوة لم تعهدها منه او لا فقالت له يامسلم اخذت لنفسك الحذر فقال لها نعم وانت تعلمين ان مابقي لي معك غير هذا الدست وبعد هذا يذهب كل منا في طريقه فضحكت وضحك الاخر في وجهها فلما وقع ذلك سبقت الى فخذه وقبضته على غفلة منه والقته على الارض فوقع على ظهره فضحكت عليه وقالت له انت تأكل نخالا والا كأنك طُرطور بدوي تقع من بطشة والا ابو رياح تقع من الهواء ويلك يا مشـــوم ثم قالت له اذ هب الى عسكر المسلمين وارسل لنا غيرك لانك قليل الجهد و ناد علينا فى العرب والعجم والترك والديلم كل من كان له قوة يأتي الينا ثم قفزت فصارت فى الجـــانب الآخر من النهر و قالت

Digitized by Google

الفارسية في الريح العاصف فرفعته و ضربت به الارض و جلست على صدره بكفل كأنه كثيب رمل فلم يملك نفسه عقلا فقالت له يا مسلم انتم عندكم قتل النصارى مباح فما قولك في قتلك فقال لها يا سيدتي اما قولك عن قتلي فما هو الاحرام فان نبينا محمدا صلى الله عليه و سلم نهى عن قتل النسوان والصبيان والشيوخ والرهبان فقالت له اذا كان نبيكم اوحي اليه بهذا فينبغي ان نكافئه على ذلك و لكن قم قد و هبتك نفسك فما يضيع عند الانسان الاحسان ثم قامت عن صدر شركان و قام ينفض التراب عن رأسه من ذوات الضلع الاعوج وما هي الامالت و قالت له لا تخجل فمن يدخل بلاد الروم يريد الغنيمة و يعين الملوك على الملوك كيف لا يكون فيه قوة حتى لا يقدر يدافع عن نفسه ذات الضلع الاعوج فقال لها ماهي لضعف قوتي ولاصرعتني بقوتك و لكن جمالك هو الذي صرعني فان انعمت الي بدست اخر كان من نوالك فضحكت و قالت اجبتك الى ذلك غير ان الجواري طال بهم الكتاف و قد كلّت منهم السواعد والاطراف والصواب اني احلّهم فلربما طال الصراع في هذا الدست معك ثم انها اقبلت على الجواري و حلّت اكتافهن وقالت لهن بلسان الروم اذهبن الى موضع تامنّ فيه على انفسكن حتى ينقطع طمع هذا المسلم منكن فذهبن الجواري و شركان ينظر اليهن و هن يتغر جن اليهما ثم دنا كل منهما بصاحبه و جعل بطنه على بطنها فلما صارت بطنه على بطنها و علمت الجارية منه ذلك رفعته على يديها اسرع من البرق الخاطف و رمته الى الارض فوقع على ظهره فقالت له قم فاني و هبتك روحك مرة ثانية فان في الوجه الاول اكرمتك فيه لاجل نبيك فانه ما احلّ قتل النسوان و في الوجه الثاني لاجل ضعفك

Digitized by Google

بما اردت و بما تثقين به اني لا اقربك بشيٍ حتى تاخذي اهبتك و تقولي ادن مني لاصارعك فحينئذ اتقرب اليك فان صرعتني فان لي من المال ما اشتري به نفسي و ان صرعتك انا فهي الغنيمة الكبرى فقالت الجارية انا رضيت بذلك فتحير شركان في ذلك و قال و حق النبي صلى الله عليه وسلم رضيت انا الآخر فقالت له احلف الآن بمن ركب الارواح في الاشباح و شرع الشرائع للانام انك لو تتعرض لي بسوء غير المصارعة تموت على غير دين الا سلام فقال شركان والله لو حلّفني قاضٍ ولو كان قاضي القضاة لم يحلّفني بهذه الايمان ثم انه حلف لها بجميع ما ذكرته و ربط جواده في الاشجار و هو غريق في بحر الافتكار و قال سبحان من صورها من ماء مهين ثم ان شركان اشتد واخذ اهبته للصراع و قال للجارية عدي النهر و اعبري فقالت له ليس لي اليك عبور فان كنت تريد فاعبر انت الى عندي فقال لها شركان انا لا اقدر على ذلك فقالت الجارية يافتى انا اجيٌ لك ثم انها شمرت اذ يا لها و قفزت فصارت عنده في الجانب الآخر من النهر فدنا منها و انحني و صفق بيديه وهو باهت في حسنها وجمالها فرأى صورة قد اغترفتها يد القدرة بورقة الجان وربّتها يد العناية و هبّت عليها نسمات السعود و قابلها عند خلقتها طالع مسعود ثم ان الجارية اتت وناديته يا مسلم تقدم الى الصراع قبل ان يطلع الفجر و شمرت عن ساعد كانه الجبّ الطريّ فاضاء ذلك المكان منه هذا و شركان قد تحير و انحنى و صفق بيديه و صفقت الاخرى بيديها و تعلقت به و تعلق بها و تعانقا و تماسكا و تعاركا فوضع يده على خصرها النحيل فغاصت انا مله في طبقات بطنها و استرخت اعضاؤه فوقف على مقام الحسرة فبان له بطن فيه الغترة و صار ير تعد مثل القصبة

Digitized by Google

و قامت على حيلها ونادت برفيع صوتها من انت ياهذا فقد كنت قاطعاسرورنا وحين شهرت حسامك كأنك قد حملت على عسكر من اين انت و الى اين تريد فاصدق في مقالك فان الصدق انفع لك ولا تكذب فان الكذب من اخلاق اللئام و لاشك انك تهت في هذه الليلة عن الطريق حتى جئت الى هذاالمكان الذي خلاصك فيه اكبر الغنيمـــات و انت الآن في مرج لو صرخنا فيه صرخة واحدة لجاء الينا اربعة آلاف بطريق فقل لنا ما الذي تريد فان اردت ان نهديك الى الطريق هديناك وان اردت الرفد ارفدناك فلما سمع شركان كلامها قال لها انارجل غريب من المسلمين و قد سرت في هذه الليلة منفردا بنفسي اطلب الغنيمة فلم اجد غنيمة احسن من هؤلاء الجوارى العشرة في هذه الليلة المقمرة فآخذهن والحق بهن الى اصحابي فقالت له الجارية اعلم ان الغنيمة ما وصلت اليهـــا و الجواري والله ما هن غنيمتك اما قلت لك ان الكذب شين فقال لها العاقل من يعتبر بغيره فقالت له وحق المسيح لولا اخاف ان يكون هلاكك على يدي لكنت صحت صيحة ملأت عليك المرج خيلا ورجالا ولكن انا اشفق على الغريب و ان اردت الغنيمة فانا اطلب منك ان تنزل عن جوادك و تحلف لي بدينك انك لاتتقرب اليّ بشيء من السلاح و اتصارع انا وايا ك فان صرعتني فضعني على جوادك وخذنا كا غنيمة و ان انا صرعتك اتحكم فيك فاحلف لي على ذلك فاني اخاف من غدرك فقد ورد فى الاخبار اذا كان الغدر طباعا فان الثقة بكل احد عجز فان حلفت لي عدت اليك و اتيتك وجئت عندك فقال شـركان وقد طمـــع في اخذهـــا وقال في نفسه انها لم تعرف اني بطل من الابطال ثم ناداها و قال لها حَلِّفيني

Digitized by Google

زمانا طويلا ثم التفتت اليه وقالت له طب نفسا وقر عينا فانك ضيفي وصار بيننا وبينك خبز وملح فانت في ذمتي وفي عهدي فكن آمنا وحق المسيح لواراد اهل الارض ان يؤ ذوك لما وصلوا اليك الا ان خرجت روحي من اجلك فانت في امان المسيح واماني وجلست الى جانبه وصارت تلاعبه الى ان زال ما عنده من الخوف وعلم انها لوكان لها ارب في قتله لفعلته من الليلة الماضية ثم انها كلمت جارية بلسان الرومية فغابت ساعة واتت اليها ومعها كاس ومائدة طعام فتوقف شركان عن الاكل وقال في نفسه ربما وضعت شيأ في ذلك الطعام فعرفت ما في ضميره فالتفتت اليه وقالت له وحق المسيح ليس الامر كذلك وهذا الطعام ليس فيه شيء من الذي تتوهمه ولو كان خاطري في قتلك لقتلتك في هذا الوقت ثم تقدمت الى المائدة واكلت من كل لون لقمة فعند ذلك اكل شركان ففرحت الجارية واكلت معه الى ان اكتفيا وغسلا يديهما وبعد ان غسلا ايديهما قامت وامرت جارية ان تأتي بالرياحين وآلات الشراب من اوانى الذهب والفضة والبلور وان يكون الشراب من سائر الالوان المختلفة والصفات فاتتها بجميع ما طلبته ثم ان الجارية ملأت اول قدح وشربته قبله كما فعلت فى الطعام ثم ملأت ثانيا واعطته اياه فشرب فقالت له يا مسلم انظر كيف انت فى النّعيش ومسرّة ولم تزل تشرب معه وتسقيه الى ان غاب عن رشده وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والاربعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية مازالت تشرب وتسقي شركان

Digitized by Google

كالبدر بين الكواكب يحجبن تلك الجارية و عليها ديباج ملوكي وقد شدت في وسطها زنارا محبوكا مرصعا با نواع الجواهر وقد ضم خصرها و ابرز ردفاها فصارتا كأنهما كثيب بلور تحت قضيب من فضة و نهداها كفحلين من الرمان فلما نظر شركان ذلك كاد عقله ان يطير من الفرح ونسي عسكره و وزيره وتأمل رأسها فرأى عليها شبكة من اللؤلؤ مفصلة بانواع الجواهر و الجواري عن يمينها و يسارها يرفعن اذ يالها وهي تتمايل عجبا فعند ذلك وثب شركان قائما لمارأى حسنها وجمالها فصاح زنهار زنهار من هذا الزنار ثم انشد يقول هذه الابيات

ثَقِيلَةُ الْأَرْدَافِ مَائِلَةُ الْخُرْمُوبَةْ نَاعِمَةُ النَّهْدِ
تَكَتَّمْتُ مَا عِنْدَهَا مِنْ جَوَى وَلَسْتُ أَكْتُمُ الَّذِي عِنْدِي
خُدَّ أُمَهَا يَمْشِينَ مِنْ خَلْفِهَا كَالْقَيْدِ فِي حَلٍّ وَفِي عَقْدِ

فجعلت الجارية تنظر اليه زمانا طويلا وتكرر فيه النظر الى ان تحققته وعرفته فقالت له بعدان اقبلت عليه قد اشرف و اضاء بك المكان ياشركان كيف كانت ليلتك يا همام بعد ما مضينا وتركناك ثم قالت له ان الكذب عند الملوك منقصة وعار لاسيما عند الملوك الكبار وانت شركان بن الملك عمر بن النعمان فلا تكتم سرك وحالك ولا تسمعني بعد ذلك غير الصدق فان الكذب يورث البغض و العداوة فقد نفذ فيك سهم القضاء فعليك بالتسليم والرضاء فلما قالت ذلك لم يمكنه النكران فصدقها على ذلك فقال انا شركان بن عمر بن النعمان الذي عدّ بني الزمان واوقعني في هذا المكان فمهما شئت فا فعليه الآن فاطرقت برأسها الى الارض

Digitized by Google

اَجْنَى رَقِيبِي مِنْ ثِمَارِ قَلَائِدٍ دُرَّ النُّحُورِ مُنَضَّدًا بِالْعَسْجَدِ
وَعُيُونِ مَاءٍ مِنْ سَبَائِكِ فِضَّةٍ وَخُدُودِ وَرْدٍ فِي وُجُوهِ زَبَرْجَدِ
فَكَأَنَّمَا لَوْنُ الْبَنَفْسَجِ قَدْ حَكَى زُرْقَ الْعُيُونِ وَكُحِّلَتْ بِالْإِثْمِدِ

فلما رأت الجارية شركان قامت له و اخذت بيده واجلسته الى جانبها و قالت له اتحسن شيئا يا ابن الملك عمر بن النعمان في لعب الشطرنج قال نعم ولكن لا تكوني كما قال الشـــــــــاعر

اَقُولُ وَالْوَجْدُ يَطْوِينِي وَيَنْشُرُنِي وَنَهْلَةٌ مِنْ رُضَابِ الْحُبِّ تَرْوِينِي
حَضَرْتُ شِطْرَنْجَ مَنْ اَهْوَى فَلَاعَبَنِي بِالْبِيضِ وَالسُّودِ لٰكِنْ لَيْسَ يُرْضِينِي
كَأَنَّمَا الشَّاهُ عِنْدَ الرُّخِّ مَوْضِعُهُ وَقَدْ تَفَقَّدَ دَسْتًا بِالْفَرَازِينِ
فَإِنْ نَظَرْتُ اِلَى مَعْنًى لِوَاحِظِهَا فَغُنْجُ اَلْحَاظِهَا يَا قَوْمِ يُرْدِينِي

ثم قدمت له الشطرنج و لعبت معه فصار شركان كلما اراد ان ينظر الى نقلها نظر الى وجهها فيضع الفرس موضع الفيل و يضع الفيل موضع الفرس فضحكت و قالت ان كان لعبك هكذا فانك لاتعرف شيئا فقال هذا اول دست لاتحسبيه فلما غلبته رجع و صف القطع و لعب معها فغلبته ثانيا وثالثا و رابعا و خامسا فالتفتت اليه و قالت له انت في كل شيء مغلـــوب فقال ياسيدتي على من لاعب مثلك كيف لايُغلب ثم امرت باحضار الطعام فاكلا وغسلا ايديهما وقدموا لهما الشراب فشربا وبعد ذلك اخذت القانون وكان لها يدفي ضرب القانون فانشدت تقول هذه الابـــــــيـــــــات

اَلدَّهْرُ مَابَيْنَ مَطْوِيٍّ وَمَبْسُوطٍ وَمِثْلُهُ مِثْلُ مَجْرُورٍ وَمَخْرُوطِ
فَاشْرَبْ عَلَى حُسْنِهِ اِنْكُنْتَ مُقْتَدِرًا اَنْ لَاتُغَـــارِ قَنِي فِي وَجْهِ تَثْرِيطِ

Digitized by Google

ثم قالت وقيل ان عزة كانت في نهاية الحسن والجمال ثم قالت له يا ابن الملك ان كنت تعرف شيئا من كلام جميل بثينة فانشدنا منه فقال نعم انا اعرف به من كل احد ثم انشد يقول من شعر جميل هذه الابيات

يَقُولُونَ جَاهِدْ يَا جَمِيلُ بِغَزْوَةٍ وَأَيُّ جِهَادٍ غَيْرُهُنَّ أُرِيدُ
لِكُلِّ حَدِيثٍ بَيْنَهُنَّ بَشَاشَةٌ وَكُلُّ قَتِيلٍ بَيْنَهُنَّ شَهِيدُ
إِذَا قُلْتُ مَا بِي يَا بُثَيْنَةُ قَاتِلِي مِنَ الْحُبِّ قَالَتْ ثَابِتٌ وَيَزِيدُ
وَإِنْ قُلْتُ رُدِّي بَعْضَ عَقْلِي أَعِشْ بِهِ مَعَ النَّاسِ قَالَتْ ذَاكَ مِنْكَ بَعِيدُ
تُرِيدِينَ قَتْلِي لَا تُرِيدِينَ غَيْرَهُ وَلَسْتُ أَرَى قَصْدًا سِوَاكِ أُرِيدُ

فلما سمعت ذلك قالت له احسنت يا ابن الملك واحسن جميل ما الذي ارادته بثينة بجميل حتى قال هذا الشطر اي تريدين قتلي لاتريدين غيره فقال لها شركان يا سيدتي لقد ارادت به ما تريدين مني ولا يرضيك فضحكت لما قال لها شركان هذا الكلام ولم يزالا يشربان الى ان ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار فقامت الجارية وذهبت الى مرقدها ونامت ونام شركان في مقامه الى ان اصبح الصباح فلما افاق اقبلت عليه الجواري بالدفوف والآلات الطرب على العادة وقبلن الارض بين يديه وقلن له بسم الله تفضل ان سيدتنا تدعوك الى الحضور عندها فقام شركان ومشى والجواري حوله يضربن بالدفوف والآلات الى ان خرج من تلك الدار ودخل الى دار غيرها وهي اعظم من الدار الاولى وفيها من التماثيل وصور الطيور والوحوش مالا يوصف فتعجب شركان مما رأى من صنعة ذلك المكان فانشد يقول

Digitized by Google

غمال طربا ثم اقبلا على الشراب ولم يزالا في لعب ولهو الى ان ولى النهار بالرواح و ارخى الليل الجناح فقامت الى مرقدها فسأل شركان عنها فقالوا له انها مضت الى مرقدها فقال في وداعة الله و حفظه فلما اصبح الصباح اقبلت عليه الجارية و قالت له ان سيدتي تدعوك اليها فقام معها و سار خلفها فلما قرب من مكانها زفته الجواري بالدفوف و المواصل الى ان وصل الى باب كبير وهو من العاج مرصع بالدرر و الجواهر قد خلوا منه فوجدوا درا كبيرة ايضا و في صدرها ايوان كبير مفروش بانواع الحرير و بدائر ذلك الايوان شبابيك مفتحة مطلة على اشجار و انهار و في البيت صور مجسمة يدخل فيها الهواء فتتحرك في جوفها آلات فيتخيل للناظر انها تتكلم و الجارية جالسة تنظر اليهم فلما نظرته الجارية نهضت قائمة اليه و مسكت يده و اجلسته بجانبها و سألته عن مبيته فدعا لها ثم جلسا يتحدثان ثم قالت له اتعرف شيأ مما يتعلق بالعاشقين و المتيمين فقال نعم اعرف شيأ من الاشعار فقالت اسمعني فانشد يقول

هَنِيئًا مَرِيئًا غَيْرَدَاءٍ مُخَامِرٍ لِعَزَّةَ مِنْ اَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتِ
فَوَاللّٰهِ مَا قَارَبْتُ اِلَّا تَبَاعَدَتْ بِصَرْمٍ وَلَا اَكْثَرْتُ اِلَّا اَقَلَّتِ
اِنِّي وَ تَهْيَامِي بِعَزَّةَ بَعْدَ مَا تَخَلَّيْتُ مِمَّا بَيْنَنَا وَ تَخَلَّتِ
لَكَا لْمُرِّ تَجْرِي ظِلَّ الْغَمَامَةِ كُلَّمَا تَبَوَّأَ مِنْهَا لِلْمَقِيلِ اضْمَحَلَّتِ

فلما سمعت منه ذلك قالت لقد كان كثير بيّن الفصاحة عفيف و بالغ في و صفه لعزة حيث قال و انشدت تقول

لَوْاَنَّ عَزَّةَ حَاكَمَتْ شَمْسَ الضُّحَى فِي الْحُسْنِ عِنْدَ مُوَفِّقٍ لَقَضَى لَهَا
وَ سَعَى اِلَيَّ بِعَيْبِ عَزَّةَ نِسْوَةٌ جَعَلَ الْاِلٰهُ خُدُودَهُنَّ نِعَالَهَا

Digitized by Google

الى ان غاب عن رشده من الشراب ومن سكر محبتها ثم انها قالت للجارية يا مرجانة هاتي لنا شيئا من آلة الطرب فقالت سمعا وطاعة وغابت لحظة و اتت بعود جلقي وجنك عجمي وناي تتري وقانون مصري فاخذت الجارية العود و اصلحته وشدته وغنت عليه بصوت رخيم ارق من النسيم واعذب من ماء التسنيم من قلب سليم وانشدت تقول هذه الابيات

عَفَا اللّٰهُ عَنْ عَيْنَيْكَ كَمْ سَفَكَتْ دَمًا ... وَكَمْ فَوَّقَتْ مِنْكَ اللَّوَاحِظُ اَسْهُمَا
اُجِلُّ حَبِيْبًا جَائِرًا فِيْ حَبِيْبِهِ ... حَرَامٌ عَلَيْهِ اَنْ يُرِقَّ وَيَرْحَمَا
هَنِيْئًا لِطَرْفٍ بَاتَ فِيْكَ مُسَهَّدًا ... وَطُوْبٰى لِقَلْبٍ ظَلَّ فِيْكَ مُتَيَّمًا
تَحَكَّمْتَ فِيْ قَتْلِيْ فَاِنَّكَ مَالِكِيْ ... بِرُوْحِيَ اَنْدِى الْحَاكِمِ الْمُتَحَكِّمَا

ثم قامت كل واحدة من الجواري و معها آلتها تنشد عليها ابياتا بلسان الرومية فطرب شركان ثم غنت الجارية سيدتهن ايضا وقالت له يا مسلم اما فهمت ما اقول قال لا و لكن ما طربت الا على حسن انا ملك فضحكت و قالت له ان غنيت لك بالعربية ماذا تصنع فقال ما كنت املك عقلي فاخذت آلة الطرب فغيرت الضرب وانشدت تقول شعرا

طَعْمُ التَّفَرُّقِ مُرٌّ فَهَلْ لِذٰلِكَ صَبْرُ
تَعَرَّضَتْ لِيْ ثَلْثٌ صَدٌّ وَبُعْدٌ وَهَجْرُ
اَهْوٰى ظَرِيْفًا سَبَانِيْ بِالْحُسْنِ وَالْهَجْرُ مُرُّ

فلما فرغت من شعرها نظرت الى شركان فوجدت شركان غاب عن وجوده و صار مطروحا بينهن ممدودا ساعة ثم افاق و تذكر الغناء

Digitized by Google

زمانا طويلا ثم التفتت اليه وقالت له طب نفسا وقر عينا فانك ضيفي وصار بيننا وبينك خبز وملح فانت في ذمتي وفي عهدي فكن آمنا وحق المسيح لواراد اهل الارض ان يؤ ذوك لما وصلوا اليك الا ان خرجت روحي من اجلك فانت في امان المسيح واماني وجلست الى جانبه وصارت تلاعبه الى ان زال ما عنده من الخوف وعلم انها لوكان لها ارب في قتله لفعلته من الليلة الماضية ثم انها كلمت جارية بلسان الرومية فغابت ساعة واتت اليها ومعها كاس ومائدة طعام فتوقف شركان عن الاكل وقال في نفسه ربما وضعت شيأ في ذلك الطعام فعرفت ما في ضميره فالتفتت اليه وقالت له وحق المسيح ليس الامر كذلك وهذا الطعام ليس فيه شيء من الذي تتوهمه ولو كان خاطري في قتلك لقتلتك في هذا الوقت ثم تقدمت الى المائدة واكلت من كل لون لقمة فعند ذلك اكل شركان ففرحت الجارية واكلت معه الى ان اكتفيا وغسلا يديهما وبعد ان غسلا ايديهما قامت وامرت جارية ان تأتي بالرياحين وآلات الشراب من اوانى الذهب والفضة والبلور وان يكون الشراب من سائر الالوان المختلفة والصفات فاتتها بجميع ما طلبته ثم ان الجارية ملأت اول قدح وشربته قبله كما فعلت فى الطعام ثم ملأت ثانيا واعطته اياه فشرب فقالت له يا مسلم انظر كيف انت فى اللّذ عيش ومسرّة ولم تزل تشرب معه وتسقيه الى ان غاب عن رشده وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والاربعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية مازالت تشرب وتسقي شركان

Digitized by Google

كالبدر بين الكواكب يحجبن تلك الجارية و عليها ديباج ملوكي وقد شدت في وسطها زنارا محبوكا مرصعا با نواع الجواهر وقد ضم خصرها و ابرز ردفاها فصارتا كأنهما كثيب بلور تحت قضيب من فضة و نهداها كفحلين من الرمان فلما نظر شركان ذلك كاد عقله ان يطير من الفرح ونسي عسكره و وزيره وتأمل رأسها فرأى عليها شبكة من اللؤلؤ مفصلة بانواع الجواهر والجواري عن يمينها و يسارها يرفعن اذ يا لها وهي تتمايل عجبا فعند ذلك وثب شركان قائما لمارأى حسنها وجمالها فصاح زنهار زنهار من هذا الزنار ثم انشد يقول هذه الابيات

ثَقِيلَةُ الْأَرْدَافِ مَائِلَةُ الْعُرْعُوبَةْ نَاعِمَةُ النَّهْدِ
تَكَتَّمْتُ مَا عِنْدَهَا مِنْ جَوًى وَلَسْتُ أَكْتُمُ الَّذِي عِنْدِي
خُدَّ أُمَهَا يَمْشِينَ مِنْ خَلْفِهَا كَالْقَيْدِ فِي حَلٍّ وَفِي عَقْدِ

فجعلت الجارية تنظر اليه زمانا طويلا وتكرر فيه النظر الى ان تحققته وعرفته فقالت له بعدان اقبلت عليه قد اشرف واضاء بك المكان ياشركان كيف كانت ليلتك يا همام بعد ما مضينا وتركناك ثم قالت له ان الكذب عند الملوك منقصة وعار لاسيما عند الملوك الكبار وانت شركان بن الملك عمر بن النعمان فلا تكتم سرك وحالك ولا تسمعني بعد ذلك غير الصدق فان الكذب يورث البغض و العداوة فقد نفذ فيك سهم القضاء فعليك بالتسليم والرضاء فلما قالت ذلك لم يمكنه النكران فصدقها على ذلك فقال انا شركان بن عمر بن النعمان الذي عذّ بني الزمان واوقعني في هذا المكان فمهما شئت فا فعليه الآن فاطرقت برأسها الى الارض

Digitized by Google

طويل مقبى على عشر قناطر معقودة وعلى كل قنطرة قنديل من البلور يشتعل كشعاع النار فتلقتها الجواري في آخرا لد هليز بالشموع المطيبة وعلى رؤسهن العصائب المزركشة بالفصوص التي هي من سائر اصناف الجواهر وسارت وهن امامها وشركان وراءها الى ان وصلوا الى الدير فوجد بدائر ذلك الدير اسرّة مقابلة لبعضها وعليها ستور مكللة بالذهب وارض الدير مفروشة بانواع الرخام المجزع وفي وسطه بركة ماء عليها اربعة وعشرون فوارة من الذهب والماء يخرج منها كا للجين ورأى فى الصدر سريرا مفروشا بالحرير الملوكي فقالت له الجارية اصعد يامولاتي على هذا السرير فصعد شركان فوق السرير وذهبت الجارية وغابت ساعة من الزمان فسأل عنها من بعض الخدام فقالوا له انها ذهبت الى مرقدها ونحن نخدمك كما امرت ثم انهم قدموا له من غرائب الالوان فاكل حتى اكتفى ثم انهم قدموا له طشتا من الذهب وابريقا من الفضة فغسل يديه وخاطره عند عسكره لكونه لايعلم ماجرى لهم بعده ويتذكر ايضا كيف نسي وصية ابيه فصار متحيرا في امره نادما على ما فعل الى ان طلع الفجروبان النهار فتنهد وتحسر على مافعل وصار غريقا في بحار الفكر وانشد يقـــــــــــــــــــــــــــــول

لَمْ اَعْدِمِ الْحَزْمَ وَلٰكِنَّنِي دُهِيْتُ فِي الْاَمْرِ فَمَا حِيْلَتِي
لَوْكَانَ مَنْ يَكْشِفُ عَنِّي الْهَوٰى بَرِئْتُ مِنْ حَوْلِي وَمِنْ قُوَّتِي
وَاِنَّ قَلْبِي فِي ضَلَالِ الْهَوٰى صَبٌّ وَاَرْجُو اللّٰهَ فِي شِدَّتِي

فلما فرغ من شعره واذا ببهجة عظيمة قد اقبلت فنظر فاذا هو باكثر من عشرين جارية كالاقمار حول تلك الجارية وهي بينهن

Digitized by Google

مع انك رأيت مني العلامة والصناعة والقوة في الصراع والبراعة ولو حضر شركان مكانك في هذه الليلة وقيل له نطّ هذا النهر لم يقدر على ذلك واني اودّلوان المسيح يرميه بين يدي في هذا الدير حتى اخرج له في صفة الرجال وأسره واجعله في الاغلال وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــــــــــــــباح

فلما كانت الليلة الثامنة والاربعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الصبية النصرانية لما قالت هذا الكلام لشركان وهو يسمعه وانه ان وقع شركان في يدي فاني اخرج له في صفة الرجال واجعلـــه في القيود والاغلال بعدان أسره من بحر سرجه فلما سمع شركان هذا الكلام اخذته النخوة والحمية وغيرة الابطـال وارادان يظهر لها نفسه ويبطش بها ولكن رده عنهـــا جما لهـــا فانشد يقـــــــــــــــــــــــــول

وَاِذَا الْمَلِيْحُ اَتَى بِذَنْبٍ وَاحِدٍ جَاءَتْ مَحَاسِنُهُ بِاَلْفِ شَفِيْعِ

ثم صعدت وهو في اثرها فنظر شركان الى ظهر الجارية فرأى اردافها تتلاطم كالامواج في البحر الرجراج فانشد يقول هذه الابيات

فِيْ وَجْهِهَا شَافِعٌ يَمْحُو اِسَاءَتَهَا مِنَ الْقُلُوْبِ وَجِيْهٌ حَيْثُمَا شَفَعَا
اِذَا تَأَمَّلْتُهَا نَادَيْتُ مِنْ عَجَبٍ اَلْبَدْرُ فِيْ لَيْلَةِ الْاِكْمَالِ قَدْ طَلَعَا
لَوْ اَنَّ عِفْرِيْتَ بِلْقِيْسٍ يُصَارِعُهَا مَعْ وَصْفِ قُوَّتِهِ فِيْ سَاعَةٍ صُرِعَا

ولم يزالا سائرين الى ان وصلا الى باب مقنطر وكانت قنطرته من رخام ففتحت الجارية الباب ودخلت ومعها شركان وسارا الى دهليز

Digitized by Google

ذا عقل سديد ولكني اطلعت الآن على مافي قلبك من الفساد وكيف يجوز لك ان تتكلم بكلمة تنسب فيها الى الخداع كيف اصنع هذا وانا اعلم اني متى حصلت عند ملككم عمر بن النعمان لا اخلص منه لانه مافي صورة ولا في قصورة مثلي ولوكان صاحب بغداد وخراسان الذي له اثنى عشر قصرا في كل قصر جارية على عدد ايام السنة والقصور عدد شهور السنة فان حصلت عنده ما فزع مني لان اعتقادكم انا نحل لكم كما في كتبكم حيث قيل فيها اَوْمَا مَلَكَتْ اَيْمَانُكُمْ فكيف تكلمني بهذا الكلام واما قولك وتتفرجين على شجعان المسلمين فوحق المسيح انك قلت قولا غير صحيح فاني رأيت عسكركم لما استقبلتم ارضنا وبلادنا منذ هذين اليومين فلما اقبلتم لم ار تربيتكم تربية ملوك وانما رأيتكم طوائف مجتمعين واما قولك تعرفين من انا فانا لا اصنع معك جميلا لاجل اجلا لك وانما افعل ذلك لاجل الفخر ومثلك لا يقول لمثلي ذلك ولو كنت شركان ابن الملك عمر بن النعمان الذي ظهر في هذا الزمان فقلتُ لها وانت تعرفين شركان قالت نعم وعرفت قدومه مع العساكر وعدتهم عشرة آلاف فارس وذلك ان والده عمر بن النعمان ارسل معه هذا الجيش لنصرة ملك القسطنطينية فقال شوكان يا سيدتي اقسمت عليك بما تعتقدين من دينك حدثيني عن سبب ذلك حتى يظهر لي الصدق من الكذب ومن يكون عليه وبال ذلك فقالت له وحق دينك لولا اني خفت ان يشيع خبري اني من بنات الروم لكنت خاطرت بنفسي وبارزت عشرة آلاف فارس وقتلت مقدمهم الوزير دندان وظفرت بفارسهم شركان وما كان عليّ في ذلك عار ولكنني قرأت الكتب وتعلمت الادب من كلام العرب ولست اصف لك نفسي بالشجاعة

Digitized by Google

لشركان و هي تضحك يعزّ عليّ فراقك يا مولاي اذهب الى اصحابك قبل الصباح لئلا تأتيك البطارقة و ياخذونك على اسنّة الرماح و انت ما فيك قوة لدفع النسوان فكيف تدفع الرجال الفرسان فتحير شركان في نفسه و قال لهـا و قد ولّت عنه معرضة طالبة للدير يا سيدتي اتذهبين و تتركين المتيم الغريب المسكين الكسير القلب فالتفتت اليه و هي تضحك ثم قالت له ما حاجتك فاني اجيب دعوتك فقال كيف اطأ ارضك واتحلى بحلاوة لطفك وارجع بلا اكل زادك وطعامك وقد صرت من بعض خدامك فقالت لايابى الكرامة الالئيم تفضل بسم الله على الرأس والعين اركب جوادك و سر على جانب النهر مقابلي فانت في ضيافتي ففرح شركان و بادر الى جواده وركبه ولازال ماشيا في مقابلها وهي سائرة قبالة الى ان وصل الى جسر معمول باخشاب من الحور وفيه بكر بسلاسل من البولاد وعليها اقفال في كلاليب فنظر شركان الى ذلك الجسر و اذا بالجوارى اللاتي كن معها في المصارعة قائمات ينتظرنها فلما اقبلت عليهن كلمت جارية منهن باسان الرومية ان قومي اليه و امسكي عنان جواده واعبري به الى الدير فسار شركان وهي قدامه الى ان عدى من الجسر وقد اندهش عقله مما رأى و قال في نفسه يا ليت شعري لوان الوزير دندان كان معي في هذا المكان و تنظر عيناه الى تلك الوجوه الحسان ثم التفت الى تلك الجارية و قال لها يا بديعة الجمال الآن قد صار لي عليك حرمتان حرمة الصحبة والاخرى بسيري الى منزلك و قبول ضيافتك و صرت تحت حكمك و زمامك فلوانك تنعمين عليّ بالمسير معي الى بلاد الاسلام وتتفرجين على كل سيد ضرغام وتعرفين من انا فلما سمعت كلامه اغتاظت منه وقالت له وحق المسيح لقد كنت عندي

وحداثة سنك وغربتك ولكن اوصيك ان كان في عسكرا لمسلمين الذين جاؤا من عند عمر بن النعمان الذين ارسلهم لاجل الملك القسطنطينية اقوى منك فارسله الي وقل له علي فان للصراع انواعا و مراتب و ضروبا مثل الوهم ومنها المسابقة و المنازلة و اخذ الرجلين وعض الفخذ و العراك و الشباك فقال شركان و قد زاد غيظه منها و الله ياسيدتي اذا كان القيم الصفدي او القيم محمد قيمال او ابن السدي في زمانه ماحفظت هذه المواليف التي ذكرتهم لي ولكن ياسيدتي والله ما صرعتني بقوتك ولكن لمارا ودتني الى كفلك ونحن يا اهل العراق نحبّ الفخذ الكبير فما بقي لي عقل ولابصيرة فان شئت تصارعيني وفهمي معي فمابقي لي دست الا هذا بقانون هذه الصناعة لان نشاطي قد رجع لي في هذه الساعة فلما سمعت كلامه قلت له ما تريد بهذا الصراع يامغلوب تعال واعلم ان هذا الدست الكفاية ثم انها انحنت وطلبته للصراع فانحنى شركان عليها واخذ فى الجد وا حترز من الجذلان وتعاركا ساعة فوجدت الجارية فيه قوة لم تعهدها منه او لا فقالت له يامسلم اخذت لنفسك الحذر فقال لها نعم وانت تعلمين ان مابقي لي معك غير هذا الدست وبعد هذا يذهب كل منا في طريقه فضحكت وضحك الاخر في وجهها فلما وقع ذلك سبقت الى فخذه وقبضته على غفلة منه والقته على الارض فوقع على ظهره فضحكت عليه وقلت له انت تأكل نخالا والا كأنك طُرطور بدوي تقع من بطشة والا ابو رياح تقع من الهواء ويلك يا مشـــوم ثم قالت له اذ هب الى عسكر المسلمين وارسل لنا غيرك لانك قليل الجهد و ناد علينا فى العرب والعجم والترك والديلم كل من كان له قوة يأتي الينا ثم تغزت فصارت فى الجـــانب الآخر من النهر و قالت

Digitized by Google

الفارسية في الريح العاصف فرفعته و ضربت به الارض و جلست على صدره بكفل كأنه كثيب رمل فلم يملك نفسه عقلا فقالت له يا مسلم انتم عندكم قتل النصارى مباح فما قولك في قتلك فقال لها يا سيدتي اما قولك عن قتلي فما هو الاحرام فان نبينا محمدا صلى الله عليه و سلم نهى عن قتل النسوان والصبيان والشيوخ والرهبان فقالت له اذا كان نبيكم اوحي اليه بهذا فينبغي ان نكافئه على ذلك و لكن قم قد وهبتك نفسك فما يضيع عند الانسان الاحسان ثم قامت عن صدر شركان و قام ينفض التراب عن رأسه من ذوات الضلع الاعوج وما هي الامالت و قالت له لا تخجل فمن يدخل بلاد الروم يريد الغنيمة و يعين الملوك على الملوك كيف لا يكون فيه قوة حتى لا يقدر يدافع عن نفسه ذات الضلع الاعوج فقال لها ماهي لضعف قوتي ولاصرعتني بقوتك و لكن جمالك هو الذي صرعني فان انعمت الي بدست اخر كان من نوالك فضحكت و قالت اجبتك الى ذلك فحيران الجواري طال بهم الكتاف و قد كلّت منهم السواعد والاطراف والصواب اني احلّهم فلربما طال الصراع في هذا الدست معك ثم انها اقبلت على الجواري و حلّت اكتافهن وقالت لهن بلسان الروم اذهبن الى موضع تامنّ فيه على انفسكن حتى ينقطع طمع هذا المسلم منكن فذهبن الجواري و شركان ينظر اليهن و هن يتفرجن اليهما ثم دنا كل منهما بصاحبه و جعل بطنه على بطنها فلما صارت بطنه على بطنها و علمت الجارية منه ذلك رفعته على يديها اسرع من البرق الخاطف و رمته الى الارض فوقع على ظهره فقالت له قم فاني وهبتك روحك مرة ثانية فان في الوجه الاول اكرمتك فيه لاجل نبيك فانه ما احلّ قتل النسوان و في الوجه الثاني لاجل ضعفك

Digitized by Google

بما اردت و بما تثقين به اني لا اقربك بشيٍ حتى تاخذي اهبتك و تقولي ادن مني لاعارعك فحينئذ اتقرب اليك فان صرعتني فان لي من المال ما اشتري به نفسي و ان صرعتك انا فهي الغنيمة الكبرى فقالت الجارية انا رضيت بذلك فتحير شركان في ذلك و قال وحق النبي صلى الله عليه وسلم رضيت انا الآخر فقالت له احلف الآن بمن ركب الارواح في الاشباح و شرع الشرائع للانام انك لو تتعرض لي بسوء غير المصارعة تموت على غير دين الاسلام فقال شركان والله لو حلّفني قاضٍ ولو كان قاضي القضاة لم يحلّفني بهذه الايمان ثم انه حلف لها بجميع ما ذكرته و ربط جواده في الاشجار و هو غريق في بحر الافتكار و قال سبحان من صورها من ماء مهين ثم ان شركان اشتد واخذ اهبته للصراع و قال للجارية عدي النهر و اعبري فقالت له ليس لي اليك عبور فان كنت تريد فاعبر انت الى عندي فقال لها شركان انا لا اقدر على ذلك فقالت الجارية يافتى انا اجيٌ لك ثم انها شمرت اذيالها و قفزت فصارت عنده في الجانب الآخر من النهر فدنا منها و انحني و صفق بيديه و هو باهت في حسنها و جمالها فرأى صورة قد اغترفتها يد القدرة بورقة الجان و ربّتها يد العناية و هبّت عليها نسمات السعود و قابلها عند خلقتها طالع مسعود ثم ان الجارية اتت و نادته يا مسلم تقدم الى الصراع قبل ان يطلع الفجر و شمرت عن ساعد كانه الجبّ الطريّ فاضاء ذلك المكان منه هذا و شركان قد تحير و انحنى و صفق بيديه و صفقت الاخرى بيديها و تعلقت به و تعلق بها و تعانقا و تماسكا و تعاركا فوضع يده على خصرها النحيل فغاصت انا مله في طبقات بطنها و استرخت اعضاؤه فوقف على مقام الحسرة فبان له بطن فيه الفترة و صار يرتعد مثل القصبة

Digitized by Google

و قامت على حيلها ونادت برفيع صوتها من انت ياهذا فقد كنت قاطعاسرورنا وحين شهرت حسامك كأنك قد حملت على عسكر من اين انت و الى اين تريد فاصدق في مقالك فان الصدق انفع لك ولا تكذب فان الكذب من اخلاق اللئام و لاشك انك تهت في هذه الليلة عن الطريق حتى جئت الى هذاالمكان الذي خلاصك فيه اكبر الغنيمـــات و انت الآن في مرج لو صرخنا فيه صرخة واحدة لجاء الينا اربعة آلاف بطريق فقل لنا ما الذي تريد فان اردت ان نهديك الى الطريق هديناك وان اردت الرفد ارفدناك فلما سمع شركان كلامها قال لها انارجل غريب من المسلمين و قد سرت في هذه الليلة منفردا بنفسي اطلب الغنيمة فلم اجد غنيمة احسن من هؤلاء الجوارى العشرة في هذه الليلة المقمرة فآخذهن والحق بهن الى اصحابي فقالت له الجارية اعلم ان الغنيمة ما وصلت اليهـــا و الجواري والله ما هن غنيمتك اما قلت لك ان الكذب شين فقال لها العاقل من يعتبر بغيره فقالت له وحق المسيح لولا اخاف ان يكون هلاكك على يدي لكنت صحت صيحة ملأت عليك المرج خيلا ورجالا ولكن انا اشفق على الغريب و ان اردت الغنيمة فانا اطلب منك ان تنزل عن جوادك و تحلف لي بدينك انك لاتتقرب اليّ بشيء من السلاح و اتصارع انا واياك فان صرعتني فضعني على جوادك وخذنا كلنا غنيمة و ان انا صرعتك اتحكم فيك فاحلف لي على ذلك فاني اخاف من غدرك فقد ورد فى الاخبار اذا كان الغدر طباعا فان الثقة بكل احد عجز فان حلفت لي عدت اليك واتيتك وجئت عندك فقال شركان وقد طمـــع في اخذهـــا وقال في نفسه انها لم تعرف اني بطل من الابطال ثم ناداها و قال لها حَلِّفيني

Digitized by Google

نا عم مربرب و بطن يفوح المسك من اعكانه كأنه مصفح بشقائق النعمان وصد رفيه نهدان كفحلي رمان ثم انحنت عليها العجوز و تماسكا ببعضهما فرفع شركان رأسه الى السماء و دعا الله ان الجارية تغلب العجوز فدخلت الجارية تحت العجوز و وضعت يدها الشمال في شقتها و يدها اليمنى في رقبتها مع حلقها و رفعتها على يديها فانفلتت العجوز من يديها و ارادت الخلاص فوقعت على ظهرها فارتفعت رجلاها الى فوق فبان فى القمر شعرتها فضرطت ضرطتين عفرت احدٰيهما فى الارض و دخنت الاخرى فى السماء فضحك شركان عليها حتى وقع على الارض ثم قام وسل حسامه والتفت يمينا و شمالا فلم ير احدا غير العجوز مرمية على ظهرها فقال شركان في نفسه ما كذب من سماك ذات الدواهي هذا وانت تعرف قوتها مع غيرك ثم تقرب منهما ليسمع ما يجري بينهما فاقبلت الجارية ورمت عليها مُلاءة من حرير رفيعة و البستها ثيابها واعتذرت لها و قالت لها ياستي ذات الدواهي ما اردت الاسرعك لاجميع ما حصل لك ولكن انك انفلتِّ من بين يدي فالحمد لله على السلامة فلم ترد عليها جوابا و قامت تمشي من خجلها ولم تزل ماشية الى ان غابت عن البصر وصار الجواري مكتفات مرميات و الجارية واقفة و حدها فقال شركان في نفسه لكل رزق سبب ما وقع عليّ النوم و ساربي الجواد الى هذا المكان الا لبختي فلعل هذه الجارية وما معها تكون غنيمة لي ثم انه عمد الى جواده وركبه ولكزه ففربه كالسهم اذا فر من القوس و بيده حسامه مجرد من قرابه وصاح الله اكبر فلما رأته الجارية نهضت قائمة و حطت قدميها على جانب النهر وكان عرضه ستة اذرع بذراع العمل و وثبت فصارت فى الجانب الآخر

Digitized by Google

حتى صرعت الجميع ثم التفتت الى الجارية عجوز كانت بين يديها وقالت لها العجوز وهي كالمغضبة عليها يافاجرة اتفرحين بصرعك للجواري فها انا عجوز و قد اصرعتهن اربعين مرة فكيف تعجبين بنفسك ولكن ان كان لك قوة على مصارعتي فصارعيني حتى اقوم اليك و اجعل رأسك بين رجليك فتبسمت الجارية ظاهرا و قد امتلأت غيظا منها باطنا و قامت اليها و قالت لهـــا يا ستي ذات الدواهي بحـــق المسيح اتصارعينني حقيقة ام تمزحين معي قالت لها نعم و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــــــــــــــــباح

فلما كانت الليلة السابعة والاربعون

قالت بلغني ايها الملك السعيدان الجارية لمـا قالت لذات الدواهي بحق المسيح اتصارعينني حقيقة ام تمزحين معي قالت لها بل اصارعك حقيقة و شركان ينظر اليهن قالت لها قومي للصراع ان كان لك قوة فلما سمعت العجوز منها ذلك اغتاظت غيظا شديدا وقام شعر بدنها كأنه شعر قُنفذ ثم و ثبت و قامت اليها الجارية فقالت لها العجوز وحق المسيح لم اصارعك الا وانا عريانة يا فاجرة ثم ان العجوز اخذت منديل حرير و فكت لباسها و ادخلت يديها تحت ثيابها و نزعتها من فوق جســـدها ولمت المنديل وشدته في و سطهـــا فصـــارت كأنها عفريتة معطاء اوحية رقطاء ثم انحنت على الجارية وقالت لها افعلي كفعلي كل هذا و شركان ينظـر اليهما ثم ان شركان صـــار يتامل في تشويه صورة العجوز ويضحك ثم ان العجوز لما فعلت ذلك قامت الجارية على مهل و اخذت فوطة يمانية و ثنّتها مرتين و شمرت سرا ويلها فبان لها ساقان من المر مرو فو قهما كثيب من البلور

Digitized by Google

فنظر شركان الى ذلك المكان فرأى فيه ديرا و من داخل الدير قلعة شاهقة فى الهواء في ضوء القمر وفي و سطها نهر يجري الماء منه الى تلك الرياض و هناك امرأة بين يديها عشر جوار كأنهن الاقمار و عليهن من انواع الحلي والحلل مايدهش الابصار وكلهن ابكار كما قيل فيهن هذه الابيـــــــــــــات

يُشْرِقُ الْمَرْجُ بِمَا فِيهِ مِنَ الْبِيضِ الْغَوَانِي
زَادَ حُسْنًا وَجَمَالاً مِنْ بَدِيعَاتِ الْخِلاَلِ
كُلُّ غَيْدَاءَ رَدَاحٍ ذَاتِ غُنْجٍ وَدَلاَلِ
رَاخِيَاتٍ لِشُعُورٍ كَعَنَاقِيدِ الدَّوَالِي
فَاتِنَاتٍ بِعُيُونٍ رَامِيَاتٍ بِالنِّبَالِ
مَائِسَاتٍ قَاتِلاَتٍ لِصَنَادِيدِ الرِّجَالِ

فنظر شركان الى هؤلاء العشرة جوار فوجد بينهن جارية كأنها البدر عند تمامه بشعر اجعد وجبين ابلج وطرف ادعج و صدغ معقرب كاملة فى الذات و الصفات كما قال فيها الشاعر هذه الابيات شعـــــــــــــــــــرا

تَزْهُو عَلَيَّ بِأَلْحَاظٍ بَدِيعَاتِ وَقَدُّهَا مُخْجِلٌ لِلسَّمْهَرِيَّاتِ
تَبْدُو إِلَيْنَا وَخَدَّاهَا مُوَرَّدَةٌ فِيهَا مِنَ الظَّرْفِ أَنْوَاعُ الْمَلاَحَاتِ
كَأَنَّ طُرَّتَهَا مِنْ فَوْقِ طَلْعَتِهَا لَيْلٌ يَلُوحُ عَلَى صُبْحِ الْمَسَرَّاتِ

فسمعها شركان و هي تقول للجواري تقدموا حتى اصارعكم قبل ان يغيب القمر و يأتى الصباح فصارت كل واحدة منهن تتقدم اليها فتصرعها في الحال وتكتفها بزنارها فلم تزل تصارعهن وتصرعهن

عنان جواده واراد ان يكشف ذلك الوادي ويتولى الحرس بنفسه لاجل وصية والده له فانهم في اول بلاد الروم وارض العدو فسار وحده بعدان امر مماليكه وخواصه بالنزول عند الوزير دندان ثم انه سار على ظهر جواده في جانب الوادي الى ان مضى من الليل ربعه فتعب وغلب عليه النوم فصار لايقدر ان يركض الجواد وكان له عادة انه ينـــام على ظهر جواده فلما هجم عليه النوم نام فمـا زال الجواد سائرا به الى نصف الليل فدخل به في بعض الغابات وكانت تلك الغابة كثيرة الاشجار فلم ينتبه شركان حتى دق الجواد بحافره فى الارض فاستيقظ فوجد نفسه بين الاشجار فطلع عليه القمر واضاء فى الخافقين فاندهش شركان لمارأى نفسه في ذلك المكان وقال كلمة لايخجل قائلها وهي لاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم فبينما هوكذلك وهو خائف من الوحش واذا بالقمر قد انبسط على مرج كأنه من مروج الجنة فسمع كلاما مليحا وحسا عاليا وضحكا يسبي عقول الرجال فنزل الملك شركان عن جواده وربطه فى الاشجار ومشى حتى اشرف على نهر ماء يجري وسمع كلام امرأة تتكلم بالعربي وهي تقول وحق المسيح ليس هذا منكن مليح ولكن كل من تكلمت بكلمة صرعتها وكتفتها بزنارها كل هذا وشركان يمشي الى جهة الصوت حتى انتهى الى طرف المكان فنظر فاذا هو بنهر يسبح وطير ترتمرح وغزلان تسرح ووحوش ترتع والطيور باختلاف لغاتها لمعانى الحظ تشرح وذلك المكان مزركش بانواع النبـــات كما قال فيـه بعـض واصفـيه هذين البيـــتين

مَا تَحْسُنُ الْاَرْضُ اِلَّا عِنْدَ زَهْرَتِهَا وَالْمَاءُ مِنْ فَوْقِهَا يَجْرِي بِاِرْسَالِ
صُنْعُ الْاِلٰهِ الْعَظِيْمِ الشَّانِ مُقْتَدِرًا مُعْطِى الْعَطَايَا وَمُعْطِي كُلَّ مِفْضَالِ

Digitized by Google

وانفق عليهم المال وقال لهم المهلة عليكم ثلثة ايام فقبلوا الارض بين يديه مطيعين لامره وخرجوا من عنده واخذوا في الاهبة واصلاح الشان ثم ان شركان دخل الى خزائن السلاح واخذ جميع مايحتاج اليه من العدد والسلاح ثم دخل الاصطبل واختار منه الخيل المسومة وغيرهم وبعد ذلك اقاموا ثلثة ايام ثم خرجت العساكر الى ظاهر مدينة بغداد وخرج عمر بن النعمان لوداع ولده شركان فقبل الارض بين يديه واهدى له سبع خزائن من المال واقبل على الوزير دندان واوصاه بعسكر ولده شركان فقبل الارض بين يديه واجابه بالسمع والطاعة واقبل الملك على ولده شركان واوصاه انه يشاور الوزير في جميع اموره فقبل ذلك ورجع والده الى ان دخل المدينة ثم ان شركان امر النقباء بالعرض فعرضوا العساكر وكانت عدتهم عشرة آلاف فارس غير ما يتبعهم ثم ان القوم حملوا ودقت الطبول وزعقت البوقات وانتشرت الاعلام والرايات وركب ابن الملك شركان والى جانبه وزيره دندان والاعلام تخفق على رؤسهم ولم يزالوا سائرين والرسل تقدمهم الى ان ولى النهار واقبل الليل فنزلوا واستراحوا وباتوا تلك الليلة فلما اصبح الله بالصباح ركبوا وساروا ولم يزالوا مجدين في السير والرسل يدلونهم على الطريق مدة عشرين يوما ثم اشرفوا في اليوم الحادي والعشرين على واد واسع الجهات كثير الاشجار والنبات فسيح النواحي وكان وصولهم الى ذلك الوادي ليلا فامرهم شركان بالنزول والاقامة فيه ثلثة ايام فنزل العساكر وضربوا الخيام وافترق العسكر يمينا وشمالا ونزل الوزير دندان وصحبته رسل افريدون صاحب القسطنطينية في وسط ذلك الوادي واما الملك شركان فانه كان في وقت وصول العسكر وقف بعدهم ساعة حتى نزلوا جميعهم وتفرقوا في جوانب الوادي فارخى

Digitized by Google

من خواص بلاد الروم وخمسين مملوكا عليهم اقبية من الديباج بمناطق من الذهب والفضة وكل مملوك في اذنه حلقة من الذهب فيها لؤلؤة تساوي الف مثقال من الذهب والجواري كذلك وعليهم من القماش ما يساوي مالا جزيلا فلما رآهم الملك قبلهم وفرح بهم وامر باكرام الرسل واقبل على وزرائه واستشارهم فيما يفعل فنهض من بينهم وزير وكان شيخا كبيرا يقال له دندان فقبل الارض بين يدي الملك عمر بن النعمان وقال ايها الملك مافي الامر احسن الا ان تجهز عسكرا جرارا وتقدم عليهم ولدك شركان ونحن بين يديه غلمان وهذا الرأي عندي احسن لوجهين الاول ان ملك الروم قد استجار بك وارسل اليك هدية فقبلتها والوجه الثاني ان العدو لايجسر على بلادنا فاذا منع عسكرك عن ملك الروم وانكسر عدوه ينسب هذا الامر اليك ويشيع ذلك في سائر الاقطار والبلاد ولاسيما اذا وصل الخبر الى جزائر البحر ويسمع ذلك اهل المغرب فيحملون اليك الهدايا والتحف والاموال فلما سمع الملك هذا اعجبه كلام وزيره واستصوبه وخلع عليه وقال له مثلك من تستشيره الملوك وينبغي ان تكون انت في مقدم العسكر وولدي شركان في ساقة العسكر ثم ان الملك امر باحضار ولده شركان فلما حضر قبل الارض بين يدي والده وجلس فقص عليه القصة واخبره بما قاله الرسل وبما قاله الوزير دندان واوصاه باخذ الاهبة والتجهيز للسفر وانه لا يخالف الوزير دندان فيما يفعل وامره ان ينتخب من عسكره عشرة آلاف فارس كاملين العدة صابرين على الحروب والشدة فامتثل شركان لما قال له ابوه عمر بن النعمان وقام في الوقت واختار من عسكره عشرة آلاف فارس ثم دخل قصره وعرض عسكره

Digitized by Google

رجال تحفظ تلك الهدايا ممن يتعرض لها في البحر وكان يعرف من نفسه ان ما احد يقدر يحبس مراكبه لكونه ملك العرب لاسيما و طريق المراكب التي فيها الهدايا في البحر الذي في مملكة ملك القسطنطينية و هي متوجهة اليه وليس في سواحل ذلك البحر الا رعايا الملك الاكبر افريدون فلما جهز المركبين سافرا الى ان قربا من بلادنا فخرج عليهما بعض قطاع الطريق من تلك الارض و فيهم عساكر من عند صاحب قيسارية فاخذ و اجميع ما في المركبين من التحف والمال والذخائر و ثلث خرزات و قتلوا الرجال فبلغ ذلك ملكنا فارسل اليهم عسكرا فكسروه وارسل لهم عسكرا ثانيا اقوى من الاول فهزموه ايضا فعند ذلك اغتاظ الملك و اقسم انه لا يخرج اليهم الا بنفسه في جميع عسكره وانه لا يعود عنهم حتى يترك قيسارية الارمن خرابا و يترك ارضها و جميع البلاد التي يحكم عليها ملكها خرابا والمراد من صاحب العصر والاوان الملك عمر بن النعمان ملك بغداد و خراسان ان يمدنا بعسكر من عنده حتى يصير له الفخر وقد ارسل اليك ملكنا معناشيئا من انواع الهدايا و يسأل من انعام الملك قبولها والتفضل عليه بالاسعاف ثم ان الرسل قبلوا الارض بين يديه و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة السادسة والاربعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العسكر والرسل الذين من عند ملك القسطنطينية لما قبلوا الارض بين يدي الملك عمر بن النعمان بعد ان حكوا له و اخرجوا له الهدية وكانت الهدية خمسين جارية

Digitized by Google

ان والده عمر بن النعمان رزق ولدا ذكرا ولم يعلم انه رزق سوى نزهه الزمان واخفوا عليه خبر ضوء المكان الى ان مضت اعوام وايام وهو مشغول بمقارعة الشجعان ومبارزة الفرسان فبينما الملك عمربن النعمان جالس يومامن الايام اذ دخلت عليه الحجاب وقبلوا الارض بين يديه وقالوا ايها الملك وصلت الينارسل من ملك الروم صاحب القسطنطينية العظمى وانهم يريدون الدخول عليك والتمثل بين يديك فان اذن لهم الملك بالدخول ندخلهم والا فلا مرد لامره فعند ذلك اذن لهم بالدخول فلما دخلوا عليه مال اليهم واقبل عليهم وسألهم عن حالهم وما سبب اقبالهم فقبلوا الارض بين يديه وقالوا ايها الملك الجليل صاحب الباع الطويل اعلم ان الذي ارسلنا اليك الملك افريدون صاحب البلاد اليونانية والعساكر النصرانية المقيم بمملكة القسطنطينية يعلمك انه اليوم في حرب شديد مع جبار عنيد وهو صاحب قيسارية والسبب في ذلك ان بعض ملوك العرب من قديم الزمان اتفق انه وجد في بعض فتوحاته كنزا من عهد الاسكندر فنقل منه اموالا لاتحصى ومن جملة ماوجد فيه ثلث خرزات مدورات على قدر بيض النعام وهم من معدن الجواهر الابيض الخالص الذي لايوجد له نظير وكل خرزة منقوش عليها بالقلم اليوناني امور من الاسرار ولهن منافع وخواص كثيرة ومن بعض خاصيتهن ان كل مولود علقت عليه خرزة منهن لم يصبه الم مادامت الخرزة معلقة عليه ولايأن ولايسخن فلما وضع يده عليها ووقع بها وعرف ماكان من اسرارها ارسل للملك افريدون هدايا من بعض التحف والمال ومن جملتهم ثلث خرزات وجهز ومركبين الواحدة فيها مال والاخرى فيها

بنتا بوجه ابهى من القمر فاعلمن بها الحاضرين و عاد رسول الملك واخبره وكذلك رسول شركان اخبره بذلك ففرح فرحا شديدا فلما انصرف الخدام قالت صفية للقوابل امهلوا علىّ ساعة فاني احس باحشائي ان فيها شيئا آخر ثم تاوّهت و جاءها الطلق ثانيا وسهل الله عليها ووضعت مولودا ثانيا فنظرت اليه القوابل فوجدنه ولدا ذكرا يشبه البدر بجبين ازهر وخد احمر مورد ففرحت به الجارية والخدم و الحشم وكل من حضر و رمت صفية الخلاص وقد اطلقوا الزغاريت فى القصر فسمع بقية الجواري بذلك فحسدنها وبلغ عمر بن النعمان الخبر ففرح و استبشر وقام وخرج و قبل رأسها و نظر الى المولود ثم انحنى اليه و قبله وضربت الجواري بالدفوف و لعبت بالآلات وامر الملك ان يسموا المولود ضوء المكان واختصه نزهة الزمان فامتثلوا امره واجابوا بالسمع والطاعة وافرد لهم الملك من يخدمهم من المراضع و الخدام والحشم والدايات ورتب لهم الرواتب من السكر والاشربة والادهان وغير ذلك مما يكل عن وصفه اللسان و سمعت اهل بغداد بما رزق الله الملك من الاولاد فزينت المدينة ودقت البشائر واقبلت الامراء والوزراء وارباب الدولة و هنوا الملك عمر بن النعمان بولده ضوء المكان وبنته نزهة الزمان فشكرهم الملك على ذلك وخلع عليهم وزاد في اكرامهم من الانعام واحسن الى الحاضرين من الخاص و العام ولم يزل على تلك الحالة الى ان مضى اربعة اعوام و هو بعد كل قليل من الايام يسأل عن صفية واولادها وبعد اربعة اعوام امران ينقل اليها من المصاغ والحلي و الحلل و الاموال شيء كثير واوصاها بتربيتهما وحسن ادبهما هذا كله وابن الملك شركان لايعلم

Digitized by Google

السنة وجعل في كل قصر ثلثين مقصورة فكانت جملة المقاصير ثلثمائة وستين مقصورة واسكن تلك الجواري في هذه المقاصير وفرض لكل سرية منهن ليلة يبيت عندها وما يأتيها الا بعد سنة كاملة فاقام على ذلك مدة من الزمان ثم ان ولده شركان اشتهر في سائر الآفاق ففرح به والده وازداد قوة فطغى وتجبر وفتح الحصون والبلاد وكان بالامر المقدر ان جارية من جواري عمر بن النعمان قد حملت واشتهر حملها وعلم الملك بذلك ففرح فرحا شديدا وقال لعل ان تكون ذريتي ونسلي كلها ذكورا فارغ يوم حملها وصار يحسن اليها فعلم شركان بذلك فاغتم وعظم عليه الامر وقال لقد جاءني من ينازعني في المملكة وقال في نفسه ان ولدت هذه الجارية ولدا ذكرا قتلته وكتم ذلك في نفسه فهذا ما كان من امر شركان واما ما كان من امر الجارية فانها كانت رومية وكان قد بعثها اليه هدية ملك الروم صاحب قيسارية وارسل معها تحفا كثيرة وكان اسمها صفية وكانت اجمل الجواري واحسنهن وجها واصونهن عرضا وكانت ذات عقل وافر وجمال باهر وكانت تخدم الملك ليلة مبيته عندها وتقول له ايها الملك كنت اشتهي من اله السماء ان يرزقك مني ولدا ذكرا حتى اني احسن تربيته وابالغ في ادبه وصيانته ففرح الملك ويعجبه ذلك الكلام فلا زالت كذلك حتى كملت اشهرها فجلست على كرسي الولادة وكانت في مدة حملها على صلاح تقوم وتحسن العبادة وتدعو الله بان يرزقها بولد صالح ويسهل عليها ولادته فتقبل الله منها دعاءها وكان الملك قد وكل بها خادما يخبره بما تضعه هل هو ذكر او انثى وكذلك ولده شركان ارسل من يعرفه بذلك فلما وضعت صفية ذلك المولود فتشته القوابل فوجدن له

Digitized by Google

قال الملك وما حكايتهم قلت بلغني ايها الملك السعيد انه كان بمدينة السلام قبل خلافة عبد الملك بن مروان ملك يقال له عمر بن النعمان وكان من الجبابرة الكبار وكان قد قهر الملوك الاكاسرة والقياصرة وكان لا يصطلى له بنار ولا يجاريه احد في مضمار وكان اذا غضب خرج من منخريه الشرار وكان قد ملك جميع الاقطار واطاع الله له جميع العباد وقد نفذ امره في سائر الامصار ووصلت عساكره الى اقصى البلاد ودخل في حكمه المشرق والمغرب وما بينهما من الهند والسند والصين وارض الحجاز وبلاد اليمن وجزائر الهند والصين وبلاد الشمال وديار بكر وارض السودان وجزائر البحار وما في الارض من مشاهير الانهار كسيحون وجيحون والنيل والفرات وارسل رسله الى اقصى المدائن ليأتوه بحقيقة الاخبار فعادوا له واخبروه بالعدل والطاعة والامان والدعاء للسلطان عمر بن النعمان هذا وعمر بن النعمان يا ملك الزمان له نسب عظيم الشان تحمل اليه الهدايا والتحف والخراج من كل مكان وكان له ولد قد سماه شركان وهو اشبه الناس به وقد طلع آفة من آفات الزمان وقهر الشجعان وابادالاقران فاحبه والده حبا شديدا ما عليه من مزيد واوصى له بالملك من بعده ثم ان شركان كبر حتى بلغ مبلغ الرجال وصار له من العمر عشرين سنة فاطاع الله له جميع العباد لما به من شدة الباس والجلاد وكان والده عمر بن النعمان له اربع نساء بالكتاب والسنة لكنه لم يرزق منهن ولد بغير شركان وهو من احدهن والباقي عواقر لم يرزق من واحدة منهن ولدا ومع ذلك كان له ثلثمائة وستون سرية على عدد ايام السنة القبطية وتلك السراري من سائر الاجناس وكان قد بنى لكل واحدة منهن مقصورة وكانت المقاصير من داخل القصر فانه بنى اثنى عشر قصرا على عدد شهور

Digitized by Google

فلما فرغ من شعره طرب الخليفة واعجبه فصاحة لسانه و عذوبة منطقه و ادرك شهر زادالصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــاح

فلما كانت الليلة الخامسة والاربعون

قالت بلغني ايهاالملك السعيدان غانم بن ايوب لما اعجب الخليفة فصاحته و نظمه و عذوبة منطقه قال له ادن مني فدنا منه ثم قال له اشرح لي قصتك و اطلعني على حكايتك فقعـــد و حدث الخليفة بماجرى له في بغداد و بنيامه في التربة واخذالصندوق من العبيد بعد ما ذهبوا و اخبره بماجرى له من المبتدأ الى المنتهى و ليس في الاعادة افادة فلمـــا علم الخليفة انه صادق خلع عليه و قربه اليه و قال له ابرئ ذمتي فابرأ ذمته وقال له يا مولانا السلطان ان العبد وما ملكت يداه لسيده ففـــرح الخليفة بذلك ثم امران يفرد له قصر ورتب له من الجوامك والجرايات والعطايات شيئا كثيرا ثم نقله و نقل اخته و امه و سمع الخليفة باخته فتنة انهـا في الحسن فتنة فخطبها الخليفة من غانم فقال له غانم انها جاريتك و انا مملوكك فشكره و اعطـــاه مائة الف دينـــار و اتى بالشهود والقاضي و كتبوا الكتابين في نهار واحد و هو كتاب الخليفة على فتنة وكتاب غانم بن ايوب على قوت القلوب ودخل هو وغانم في ليلة واحدة فلما اصبح الخليفة امران يؤرخ ما جرى لغانم من حديثه من اوله الى آخره و ان يخلف في الخزانة حتى يقرأه الذى يا تي من بعده فيتعجب من تصرفات الاقدار و يفوض الامر الى خالق الليل والنهـــــــار

وليس هذا باعجب من حكاية الملك عمر بن النعمان و ولده شركان و ولده ضوء المكان و ما جرى لهم من العجـــائب والغـــرائب

Digitized by Google

و خلتهم في بيت العريف و ذهبت الى القصر فاستاذنت الخليفة فاذن لها فدخلت و قبلت الارض بين يديه و اعلمته بالقصة و انه قد حضر سيدها غانم بن ايوب المتيم المسلوب و ان امه و اخته قد حضرتا فلما سمع الخليفة كلام قوت القلوب قال للخدام علي بغانم فنزل جعفر اليه و كانت قد سبقته قوت القلوب و دخلت على غانم واعلمته ان الخليفة ارسل اليك يطلبك بين يديه فاوصته بفصاحة لسانه وتثبيت جنانه و عذوبة كلامه والبسته حلة فاخرة و اعطته دنانير بكثرة وقالت له كفو البذل الى حاشية الخليفة و انت داخل عليه و اذا بجعفر قد اقبل عليه و هو على بغلته النوبية فقام غانم و قابله و حياه وباس الارض بين يديه و قد ظهر كوكب سعده واضاء فاخذه جعفر ومازالا سائرين هو و جعفر حتى دخلا على اميرالمؤمنين فلما حضر بين يديه نظر الى الوزراء والامراء والحجاب والنواب و ارباب الدولة و اصحاب الصولة فعند ذلك غانم اعذب كلامه و فصاحته ثم نظر الى الخليفة

و اطرق برأسه الى الارض و انشد يقول هذه الابيات

حُيِّيتَ مِنْ مَلِكٍ عَظِيمِ الشَّانِ ... مُتَتَابِعِ الْحَسَنَاتِ وَالْاِحْسَانِ
لَا يَلْهَجُونَ بِغَيْرِهِ مِنْ قَيْصَرٍ ... فِي ذَاالْمَقَامِ وَ صَاحِبِ الْاِيْوَانِ
تَضَعُ الْمُلُوكُ عَلَى ثَرَى اَعْتَابِهِ ... عِنْدَالسَّلَامِ جَوَاهِرَ التِّيْجَانِ
حَتَّى اِذَا بَصُرَتْ لَهُ اَبْصَارُهُمْ ... خَرُّوا لِهَيْبَتِهِ عَلَى الْاَذْقَانِ
وَ يُفِيْدُهُمْ ذَاكَ الْمَقَامُ مَعَ الرِّضَى ... رُتَبَ الْعُلَا وَجَلَالَةَ السُّلْطَانِ
ضَاقَتْ بِعَسْكَرِكَ الْفَيَا فِي وَالْوَرَى ... فَاضْرِبْ خِيَامَكَ فِي ذُرَى كِيْوَانِ
اَبْقَاكَ مَا لِيكَ الْمُلُوكِ بِعَنْوَةٍ ... لَكَ حُسْنُ تَدْبِيرٍ وَثَبْتُ جَنَانِ
وَ نَشَرْتَ عَدْلَكَ فِي الْبَسِيْطَةِ كُلِّهَا ... حَتَّى اسْتَوَى الْقَاصِي بِهَا وَالدَّانِي

Digitized by Google

فجلست تحادثهما ساعة ثم سألت زوجة العريف عن المريض الذي هو عندها فقالت هو بحاله فقالت قوموا بنا نطل عليه و نعوده فقامت هي و زوجة العريف وام غانم واخته ودخلن عليه وجلسن عنده فلما سمعهن غانم بن ايوب المتيم المسلوب يذكرن قوت القلوب وكان قد انتحل جسمه ورق عظمه ردت له روحه وشال رأسه من فوق المخدة ونادى ياقوت القلوب فنظرت اليه وتحققته فعرفته وصاحت بقولها نعم ياحبيبي فقال لها اقربي مني فقالت له لعلك غانم بن ايوب المتيم المسلوب فقال لها نعم انا اياه فعند ذلك وقعت مغشيا عليها فلما سمعت اخته فتنة وامه كلامهما صاحت بقولهما وافرحتاه و وقعتا مغشيا عليهما وبعد ذلك استفاقتا فقالت له قوت القلوب الحمد لله الذي جمع شملنا بك وبامك واختك فتقدمت اليه وحكت له على جميع ماجرى لها مع الخليفة وقالت له اني اظهرت لامير المؤمنين الحق فصدق كلامي و رضي عنك وهو اليوم يتمنى ان يراك ثم انها اخبرته انه وهبني لك ففرح بذلك غاية الفرح فقالت لهم قوت القلوب لاتبرحوا حتى احضر ثم انها قامت من وقتها و ساعتها وانطلقت الى قصرها و حملت الصندوق الذي اخذته من داره واخرجت منه دنانير و اعطت للعريف اياها و قالت له خذ هذه الدراهم واشتر لكل شخص منهم اربع بدلات كوامل من احسن القماش و عشرين منديلا و غير ذلك مما يحتاجون اليه ثم انها دخلت بهما و بغانم الحمام و امرت بغسلهم و عملت لهم المسالیق و ماء الخولنجان وماء التفاح بعدان خرجوا من الحمام ولبسوا الثياب و اقامت عندهم ثلثة ايام وهي تطعمهم لحم الدجاج والمساليق و تسقيهم السكر المكرر فبعد ثلثة ايام ردت ارواحهم لهم فادخلتهم الحمام ثانيا وخرجوا و غيرت عليهم الثياب

Digitized by Google

بهما الجنة فقالت والله ياسيدي لقد شوقتني اليهما واين هما فقالت للعريف عليّ بهما فامر الخادم ان يدخلهما على قوت القلوب فعند ذلك دخلت فتنة وامها على قوت القلوب فلما نظرتهما قوت القلوب وهما ذاتا جمال بكت عليهما وقالت والله انهما اولاد نعمة ويلوح عليهما اثر الغنى فقالت زوجة العريف ياستي نحن نحب الفقراء والمساكين لاجل الثواب وهؤلاء ربما جاروا عليهما الظلمة وسلبوا نعمتهما واخربوا ديارهما ثم انهما بكتا بكاء شديدا وافتكرتا مما كانتا فيه من النعم وما بقتا فيه من الفقر والحزن وتفكرتا غانم بن ايوب المتيم المسلوب فلما بكتا بكت قوت القلوب لبكائهما وقالتا نسأل الله ان يجمعنا بمن نريده وهو ولدي اسمه غانم ابن ايوب فلما سمعت قوت القلوب هذا الكلام علمت ان هذه المرأة ام معشوقها والاخرى اخته فبكت حتى غشي عليها فلما افاقت اقبلت عليهما وقالت لهما لا باس عليكما وهذا اليوم اول سعادتكما وآخر شقا وتكما فلاتحزنا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــباح

فلما كانت الليلة الرابعة والاربعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قوت القلوب لما قالت لهما لاتحزنا ثم انها امرت العريف ان ياخذ هما الى بيته ويخلي زوجته تدخلهما الحمام وتلبسهما ثيابا حسنة وتتوصي بهما وتكرمهما غاية الاكرام واعطته جملة من المال وفي ثاني يوم ركبت قوت القلوب وذهبت الى بيت العريف ودخلت عند زوجته فقامت اليها وقبلت يديها وشكرت احسانها ورأت ام غانم واخته وقد دخلتهما زوجة العريف الحمام وغيرت ما عليهما من الثياب فظهرت عليهما آثار النعمة

Digitized by Google

وقالت له تصدق بها على الغرباء فنظر اليها العريف وهو شيخ السوق وقال لها ياستي هل لك ان تذهبي الى داري وتنظري الى هذا الشاب الغريب ما اظرفه وما اكمله وكان هو غانم بن ايوب المتيم المسلوب ولكن العريف ليس له به معـــرفة وكان يظن انه رجل مسكين مديون سلبت نعمته اوعاشق فارق احبته فلما سمعت كلامه خفق قلبها وتقلقلت احشاؤها فقالت له ارسل معي من يوصلني الى دارك فارسل معها صبيا صغيرا فاوصلها الى الدار التي فيها الغريب للعريف فشكرته على ذلك فلما وصلت البيت ودخلت وسلمت على زوجة العريف قامت زوجة العريف فقبلت الارض بين يديها لانها عرفتها فقالت لها قوت القلوب اين الضعيف الذي عندك فبكت وقالت هاهو ياستي والله انه ابن ناس وعليه اثر النعمة وذلك هو على الفراش فالتفتت اليه ونظرته فرأته كانه هو بذاته ورأته قد اختفى وكثـــر نحو له ورق الى ان صار كالخلال وانبهم عليها امره فلم تتحقق انه هو ولكن اخذتها الشفقة عليه فبكت وقالت ان الغرباء مساكين وان كانوا امراء في بلادهم وقد تعنّت عليها ولم تعرف انه غانم ثم انها وجعها قلبها عليه ورتبت له الشراب والادوية ثم جلست عند رأسه ساعة ثم ركبت وطلعت الى قصرها وصارت تطلع كل سوق لاجل التفتيش على غانم ثم ان العريف قد اتى بامه واخته فتنة ودخل بهما على قوت القلوب وقال يا سيدة المحسنات قد دخل مدينتنا في هذا اليوم امرأة وبنتها وهما وجوه ملاح وعليهما اثر النعمة والسعادة عليهما لائحة لكنهما لابستان ثيابا من الشعر وكل واحدة منهما معلقة في رقبتها مخلاة وعيونهما باكية وقلوبهما حزينة وها انا اتيت بهما اليك لتأويهما وتصونيهما عن الشحاذة لانهما ليستا اهلا للشحاذة واننا ندخل ان شاء الله

Digitized by Google

رجال تحفظ تلك الهدايا ممن يتعرض لها في البحر وكان يعرف من نفسه ان ما احد يقدر يحبس مراكبه لكونه ملك العرب لاسيما و طريق المراكب التي فيها الهدايا في البحر الذي في مملكة ملك القسطنطينية و هي متوجهة اليه وليس في سواحل ذلك البحر الا رعايا الملك الاكبر افريدون فلما جهز المركبين سافرا الى ان قربا من بلادنا فخرج عليهما بعض قطاع الطريق من تلك الارض و فيهم عساكر من عند صاحب قيسارية فاخذ و اجميع ما في المركبين من التحف والمال والذخائر و ثلث خرزات و قتلوا الرجال فبلغ ذلك ملكنا فارسل اليهم عسكرا فكسروه و ارسل لهم عسكرا ثانيا اقوى من الاول فهزموه ايضا فعند ذلك اغتاظ الملك و اقسم انه لا يخرج اليهم الا بنفسه في جميع عسكره وانه لا يعود عنهم حتى يترك قيسارية الارمن خرابا و يترك ارضها و جميع البلاد التي يحكم عليها ملكها خرابا والمراد من صاحب العصر والاوان الملك عمر بن النعمان ملك بغداد و خراسان ان يمدنا بعسكر من عنده حتى يصير له الفخر وقد ارسل اليك ملكنا معنا شيئا من انواع الهدايا و يسأل من انعام الملك قبولها والتفضل عليه بالاسعاف ثم ان الرسل قبلوا الارض بين يديه و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة السادسة والاربعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العسكر والرسل الذين من عند ملك القسطنطينية لما قبلوا الارض بين يدي الملك عمر بن النعمان بعد ان حكوا له و اخرجوا له الهدية وكانت الهدية خمسين جارية

Digitized by Google

ان والده عمر بن النعمان رزق ولدا ذكرا ولم يعلم انه رزق سوى نزهه الزمان واخفوا عليه خبر ضوء المكان الى ان مضت اعوام وايام وهو مشغول بمقارعة الشجعان ومبارزة الفرسان فبينما الملك عمربن النعمان جالس يومامن الايام اذ دخلت عليه الحجاب وقبلوا الارض بين يديه وقالوا ايها الملك وصلت الينارسل من ملك الروم صاحب القسطنطينية العظمى وانهم يريدون الدخول عليك والتمثل بين يديك فان اذن لهم الملك بالدخول ندخلهم والا فلا مرد لامره فعند ذلك اذن لهم بالدخول فلما دخلوا عليه مال اليهم واقبل عليهم وسألهم عن حالهم وما سبب اقبالهم فقبلوا الارض بين يديه وقالوا ايها الملك الجليل صاحب الباع الطويل اعلم ان الذي ارسلنا اليك الملك افريدون صاحب البلاد اليونانية والعساكر النصرانية المقيم بمملكة القسطنطينية يعلمك انه اليوم في حرب شديد مع جبار عنيد وهو صاحب قيسارية والسبب في ذلك ان بعض ملوك العرب من قديم الزمان اتفق انه وجد في بعض فتوحاته كنزا من عهد الاسكندر فنقل منه اموالا لاتحصى ومن جملة ماوجد فيه ثلث خرزات مدورات على قدر بيض النعام وهم من معدن الجواهر الابيض الخالص الذي لايوجد له نظير وكل خرزة منقوش عليها بالقلم اليوناني امور من الاسرار ولهن منافع وخواص كثيرة ومن بعض خاصيتهن ان كل مولود علقت عليه خرزة منهن لم يصبه الم مادامت الخرزة معلقة عليه ولايأن ولايسخن فلما وضع يده عليها ووقع بها وعرف ماكان من اسرارها ارسل للملك افريدون هدايا من بعض التحف والمال ومن جملتهم ثلث خرزات وجهز ومركبين الواحدة فيها مال والاخرى فيها

بنتا بوجه ابهى من القمر فاعلمن بها الحاضرين و عاد رسول الملك واخبره وكذلك رسول شركان اخبره بذلك ففرح فرحا شديدا فلما انصرف الخدام قالت صفية للقوابل امهلوا عليّ ساعة فاني احس باحشائي ان فيها شيئا آخر ثم تاوّهت و جاءها الطلق ثانيا وسهل الله عليها ووضعت مولودا ثانيا فنظرت اليه القوابل فوجدنه ولدا ذكرا يشبه البدر بجبين ازهر وخد احمر مورد ففرحت به الجارية والخدم و الحشم وكل من حضر و رمت صفية الخلاص وقد اطلقوا الزغاريت فى القصر فسمع بقية الجواري بذلك فحسدنها وبلغ عمر بن النعمان الخبر ففرح و استبشر وقام و خرج و قبل رأسها و نظر الى المولود ثم انحنى اليه و قبله وضربت الجواري بالدفوف و لعبت بالآلات وامر الملك ان يسموا المولود ضوء المكان واختصه نزهة الزمان فامتثلوا امره واجابوا بالسمع والطاعة وافرد لهم الملك من يخدمهم من المراضع و الخدام والحشم والدايات ورتب لهم الرواتب من السكر والاشربة والادهان وغير ذلك مما يكل عن وصفه اللسان و سمعت اهل بغداد بما رزق الله الملك من الاولاد فزينت المدينة ودقت البشائر واقبلت الامراء والوزراء وارباب الدولة و هنوا الملك عمر بن النعمان بولده ضوء المكان وبنته نزهة الزمان فشكرهم الملك على ذلك وخلع عليهم وزاد في اكرامهم من الانعام واحسن الى الحاضرين من الخاص و العام ولم يزل على تلك الحالة الى ان مضى اربعة اعوام و هو بعد كل قليل من الايام يسأل عن صفية واولادها وبعد اربعة اعوام امران ينقل اليها من المصاغ والحلي و الحلل و الاموال شيء كثير واوصاها بتربيتهما وحسن ادبهما هذا كله وابن الملك شركان لايعلم

Digitized by Google

السنة وجعل في كل قصر ثلثين مقصورة فكانت جملة المقاصير ثلثمائة وستين مقصورة واسكن تلك الجواري في هذه المقاصير وفرض لكل سرية منهن ليلة يبيت عندها وما يأتيها الا بعد سنة كاملة فاقام على ذلك مدة من الزمان ثم ان ولده شركان اشتهر في سائر الآفاق ففرح به والده وازداد قوة فطغى وتجبر وفتح الحصون والبلاد وكان بالامر المقدر ان جارية من جواري عمر بن النعمان قد حملت واشتهر حملها وعلم الملك بذلك ففرح فرحا شديدا وقال لعل ان تكون ذريتي ونسلي كلها ذكورا فارخ يوم حملها وصار يحسن اليها فعلم شركان بذلك فاغتم وعظم عليه الامر وقال لقد جاءني من ينازعني في المملكة وقال في نفسه ان ولدت هذه الجارية ولدا ذكرا قتلته وكتم ذلك في نفسه فهذا ما كان من امر شركان واما ما كان من امر الجارية فانها كانت رومية وكان قد بعثها اليه هدية ملك الروم صاحب قيسارية وارسل معها تحفا كثيرة وكان اسمها صفية وكانت اجمل الجواري واحسنهن وجها واصونهن عرضا وكانت ذات عقل وافر وجمال باهر وكانت تخدم الملك ليلة مبيته عندها وتقول له ايها الملك كنت اشتهي من اله السماء ان يرزقك مني ولدا ذكرا حتى اني احسن تربيته وابالغ في ادبه وصيانته ففرح الملك ويعجبه ذلك الكلام فلا زالت كذلك حتى كملت اشهرها فجلست على كرسي الولادة وكانت في مدة حملها على صلاح تقوم وتحسن العبادة وتدعو الله بان يرزقها بولد صالح ويسهل عليها ولادته فتقبل الله منها دعاءها وكان الملك قد وكل بها خادما يخبره بما تضعه هل هو ذكر او انثى وكذلك ولده شركان ارسل من يعرفه بذلك فلما وضعت صفية ذلك المولود فتشته القوابل فوجدن فه

Digitized by Google

قال الملك وما حكايتهم قلت بلغني ايها الملك السعيد انه كان بمدينة السلام قبل خلافة عبد الملك بن مروان ملك يقال له عمر بن النعمان وكان من الجبابرة الكبار وكان قد قهر الملوك الاكاسرة والقياصرة وكان لا يصطلى له بنار ولا يجاريه احد في مضمار وكان اذا غضب خرج من منخريه الشرار وكان قد ملك جميع الاقطار واطاع الله له جميع العباد وقد نفذ امره في سائر الامصار ووصلت عساكره الى اقصى البلاد ودخل في حكمه المشرق والمغرب وما بينهما من الهند والسند والصين وارض الحجاز وبلاد اليمن وجزائر الهند والصين وبلاد الشمال ودیار بكر وارض السودان وجزائر البحار وما في الارض من مشاهير الانهار كسيحون وجيحون والنيل والفرات وارسل رسله الى اقصى المدائن ليأتوه بحقيقة الاخبار فعادوا له واخبروه بالعدل والطاعة والامان والدعاء للسلطان عمر بن النعمان هذا وعمر بن النعمان يا ملك الزمان له نسب عظيم الشان تحمل اليه الهدايا والتحف والخراج من كل مكان وكان له ولد قد سماه شركان وهو اشبه الناس به وقد طلع آفة من آفات الزمان وقهر الشجعان واباد الاقران فاحبه والده حبا شديدا ما عليه من مزيد واوصى له بالملك من بعده ثم ان شركان كبر حتى بلغ مبلغ الرجال وصار له من العمر عشرين سنة فاطاع الله له جميع العباد لما به من شدة الباس والجلاد وكان والده عمر بن النعمان له اربع نساء بالكتاب والسنة لكنه لم يرزق منهن ولد بغير شركان وهو من احدهن والباقي عواقر لم يرزق من واحدة منهن ولدا ومع ذلك كان له ثلثمائة وستون سرية على عدد ايام السنة القبطية وتلك السراري من سائر الاجناس وكان قد بنى لكل واحدة منهن مقصورة وكانت المقاصير من داخل القصر فانه بنى اثنى عشر قصرا على عدد شهور

Digitized by Google

فلما فرغ من شعره طرب الخليفة واعجبه فصاحة لسانه و عذوبة منطقه و ادرك شهر زادالصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــاح

فلما كانت الليلة الخامسة والاربعون

قالت بلغني ايهاالملك السعيدان غانم بن ايوب لما اعجب الخليفة فصاحته و نظمه و عذوبة منطقه قال له ادن مني فدنا منه ثم قال له اشرح لي قصتك و اطلعني على حكايتك فقعـــد و حدث الخليفة بماجرى له في بغداد و بنيامه فى التربة واخذ الصندوق من العبيد بعد ما ذهبوا و اخبـره بماجرى له من المبتدأ الى المنتهى و ليس فى الاعادة افادة فلمـــا علم الخليفة انه صادق خلع عليه و قربه اليه و قال له ابرئ ذمتي فابرأ ذمته وقال له يا مولانا السلطان ان العبد وما ملكت يداه لسيـده ففـــرح الخليفة بذلك ثم امران يفرد له قصرورتب له من الجوامك والجرايات والعطايات شيئا كثيرا ثم نقله و نقل اخته و امه و سمع الخليفة باخته فتنة انهـا فى الحسن فتنة فخطبها الخليفة من غانم فقال له غانم انها جاريتك و انا مملوكك فشكره و اعطـــاه مائة الف دينـــار و اتى بالشهود والقاضي و كتبوا الكتابين في نهار واحد و هو كتاب الخليفة على فتنة وكتاب غانم بن ايوب على قوت القلوب ودخل هو وغانم في ليلة واحدة فلما اصبح الخليفة امران يفرغ ما جرى لغانم من حديثه من اوله الى آخره و ان يخلد فى الخزانة حتى يقرأه الذى يا تي من بعده فيتعجب من تصرفات الاقدار و يفوض الامر الى خالق الليل والنهـــــــار

وليس هذا باعجب من حكاية الملك عمر بن النعمان و ولده شركان و ولده ضوء المكان و ما جرى لهم من العجـــائب والغـــرائب

Digitized by Google

و خلتهم في بيت العريف و ذهبت الى القصر فاستاذنت الخليفة فاذن لها فدخلت و قبلت الارض بين يديه و اعلمته بالقصة و انه قد حضر سيدها غانم بن ايوب المتيم المسلوب و ان امه و اخته قد حضرتا فلما سمع الخليفة كلام قوت القلوب قال للخدام علي بغانم فنزل جعفر اليه و كانت قد سبقته قوت القلوب و دخلت على غانم واعلمته ان الخليفة ارسل اليك يطلبك بين يديه فاوصته بفصاحة لسانه وتثبيت جنانه و عذوبة كلامه والبسته حلة فاخرة و اعطته دنانير بكثرة وقالت له كفو البذل الى حاشية الخليفة و انت داخل عليه و اذا بجعفر قد اقبل عليه و هو على بغلته النوبية فقام غانم و قابله و حياه وباس الارض بين يديه و قد ظهر كوكب سعده واضاء فاخذه جعفر ومازالا سائرين هو و جعفر حتى دخلا على اميرالمؤمنين فلما حضر بين يديه نظر الى الوزراء والامراء والحجاب والنواب و ارباب الدولة و اصحاب الصولة فعند ذلك غانم اعذب كلامه و فصاحته ثم نظر الى الخليفة

و اطرق برأسه الى الارض و انشد يقول هذه الابيات

حُيِّيتَ مِنْ مَلِكٍ عَظِيمِ الشَّانِ ... مُتَتَابِعِ الْحَسَنَاتِ وَالْاِحْسَانِ
لَا يَلْهَجُونَ بِغَيْرِهِ مِنْ قَيْصَرٍ ... فِي ذَاالْمَقَامِ وَ صَاحِبِ الْاِيْوَانِ
تَضَعُ الْمُلُوكُ عَلَى ثَرَى اَعْتَابِهِ ... عِنْدَالسَّلَامِ جَوَاهِرَ التِّيْجَانِ
حَتَّى اِذَا بَصُرَتْ لَهُ اَبْصَارُهُمْ ... خَرُّوا لِهَيْبَتِهِ عَلَى الْاَذْقَانِ
وَ يُفِيدُهُمْ ذَاكَ الْمَقَامُ مَعَ الرِّضَى ... رُتَبَ الْعُلَا وَجَلَالَةَ السُّلْطَانِ
ضَاقَتْ بِعَسْكَرِكَ الْفَيَا فِي وَالْوَرَى ... فَاضْرِبْ خِيَامَكَ فِي ذُرَى كِيْوَانِ
اَبْقَاكَ مَا لِيكَ الْمُلُوكِ بِعَنْوَةٍ ... لَكَ حُسْنُ تَدْبِيرٍ وَثَبْتُ جَنَانِ
وَ نَشَرْتَ عَدْلَكَ فِي الْبَسِيطَةِ كُلِّهَا ... حَتَّى اسْتَوَى الْقَاصِي بِهَا وَالدَّانِي

Digitized by Google

فجلست تحادثهما ساعة ثم سألت زوجة العريف عن المريض الذي هو عندها فقالت هو بحاله فقالت قوموا بنا نطل عليه و نعوده فقامت هي و زوجة العريف وام غانم واخته ودخلن عليه وجلسن عنده فلما سمعهن غانم بن ايوب المتيم المسلوب يذكرن قوت القلوب وكان قد انتحل جسمه ورق عظمه ردت له روحه وشال رأسه من فوق المخدة ونادى ياقوت القلوب فنظرت اليه وتحققته فعرفته وصاحت وقولها نعم ياحبيبي فقال لها اقربي مني فقالت له لعلك غانم بن ايوب المتيم المسلوب فقال لها نعم انا اياه فعند ذلك وقعت مغشيا عليها فلما سمعت اخته فتنة وامه كلامهما صاحتا بقولهما وافرحتاه ووقعتا مغشيا عليهما وبعد ذلك استفاقتا فقالت له قوت القلوب الحمد لله الذي جمع شملنا بك وبامك واختك فتقدمت اليه وحكت له على جميع ماجرى لها مع الخليفة وقالت له اني اظهرت لامير المؤمنين الحق فصدق كلامي ورضي عنك وهو اليوم يتمنى ان يراك ثم انها اخبرته انه وهبني لك ففرح بذلك غاية الفرح فقالت لهم قوت القلوب لاتبرحوا حتى احضر ثم انها قامت من وقتها وساعتها وانطلقت الى قصرها وحملت الصندوق الذي اخذته من داره واخرجت منه دنانير واعطت للعريف اياها وقالت له خذ هذه الدراهم واشتر لكل شخص منهم اربع بدلات كوامل من احسن القماش وعشر يى منديلا وغير ذلك مما يحتاجون اليه ثم انها دخلت بهما وبغانم الحمام وامرت بغسلهم وعملت لهم المساليق وماء الخولنجان وماء التفاح بعدان خرجوا من الحمام ولبسوا الثياب واقامت عندهم ثلثة ايام وهي تطعمهم لحم الدجاج والمساليق وتسقيهم السكر المكرر فبعد ثلثة ايام ردت ارواحهم لهم فادخلتهم الحمام ثانيا وخرجوا وغيرت عليهم الثياب

Digitized by Google

بهما الجنة فقالت والله ياسيدي لقد شوقتني اليهما واين هما فقالت للعريف عليّ بهما فامر الخادم ان يدخلهما على قوت القلوب فعند ذلك دخلت فتنة وامها على قوت القلوب فلما نظرتهما قوت القلوب وهما ذاتا جمال بكت عليهما وقالت والله انهما اولاد نعمة و يلوح عليهما اثر الغنى فقالت زوجة العريف ياستي نحن نحب الفقراء والمساكين لاجل الثواب وهؤلاء ربما جاروا عليهما الظلمة و سلبوا نعمتهما واخربوا ديارهما ثم انهما بكتا بكاء شديدا وافتكرتا مما كانتا فيه من النعم وما بقتا فيه من الفقر والحزن وتفكرتا غانم بن ايوب المتيم المسلوب فلما بكتا بكت قوت القلوب لبكائهما وقالتا نسأل الله ان يجمعنا بمن نريده وهو ولدي اسمه غانم ابن ايوب فلما سمعت قوت القلوب هذا الكلام علمت ان هذه المرأة ام معشوقها والاخرى اخته فبكت حتى غشي عليها فلما افاقت اقبلت عليهما وقالت لهما لا باس عليكما وهذا اليوم اولى سعادتكما وآخر شقا وتكما فلاتحزنا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــباح

فلما كانت الليلة الرابعة والاربعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قوت القلوب لما قالت لهما لاتحزنا ثم انها امرت العريف ان ياخذ هما الى بيته و يخلي زوجته تدخلهما الحمام وتلبسهما ثيابا حسنة و تتوصى بهما وتكرمهما غاية الاكرام واعطته جملة من المال وفي ثاني يوم ركبت قوت القلوب وذهبت الى بيت العريف ودخلت عند زوجته فقامت اليها وقبلت يديها وشكرت احسانها ورأت ام غانم واخته وقد دخلتهما زوجة العريف الحمام وغيرت ما عليهما من الثياب فظهرت عليهما آثار النعمة

Digitized by Google

وقالت له تصدق بها على الغرباء فنظر اليها العريف وهو شيخ السوق وقال لها ياستي هل لك ان تذهبي الى داري وتنظري الى هذا الشاب الغريب ما اظرفه وما اكمله وكان هو غانم بن ايوب المتيم المسلوب ولكن العريف ليس له به معـــرفة وكان يظن انه رجل مسكين مديون سلبت نعمته اوعاشق فارق احبته فلما سمعت كلامه خفق قلبها وتقلقلت احشاؤها فقالت له ارسل معي من يوصلني الى دارك فارسل معها صبيا صغيرا فاوصلها الى الدار التي فيها الغريب للعريف فشكرته على ذلك فلما وصلت البيت ودخلت وسلمت على زوجة العريف قامت زوجة العريف فقبلت الارض بين يديها لانها عرفتها فقالت لها قوت القلوب اين الضعيف الذي عندك فبكت وقالت هاهو ياستي والله انه ابن ناس وعليه اثر النعمة وذلك هو على الفراش فالتفتت اليه ونظرته فرأته كانه هو بذاته ورأته قد اختفى وكشـــر نحو له ورق الى ان صار كالخلال وانبهم عليها امره فلم تتحقق انه هو ولكن اخذتها الشفقة عليه فبكت وقالت ان الغرباء مساكين وان كانوا امراء في بلادهم وقد تعنّت عليها ولم تعرف انه غانم ثم انها وجعها قلبها عليه ورتبت له الشراب والادوية ثم جلست عند رأسه ساعة ثم ركبت وطلعت الى قصرها وصارت تطلع كل سوق لاجل التفتيش على غانم ثم ان العريف قد اتى بامه واخته فتنة ودخل بهما على قوت القلوب وقال يا سيدة المحسنات قد دخل مدينتنا في هذا اليوم امرأة وبنتها وهما وجوه ملاح وعليهما اثر النعمة والسعادة عليهما لائحة لكنهما لابستان ثيابا من الشعر وكل واحدة منهما معلقة في رقبتها مخلاة وعيونهما باكية وقلوبهما حزينة وها انا اتيت بهما اليك لتأويهما وتصونيهما عن الشحاذة لانهما ليستا اهلا للشحاذة واننا ندخل ان شاء الله

Digitized by Google

الخليفة و اسكنها في المكان المظلم وقمت على هذا الحال ثمانين يوما فاتفق ان الخليفة مر يوما من الايام على ذلك المكان فسمع قوت القلوب تنشد الاشعار فلما فرغت من شعرها قالت يا حبيبي يا غانم ما احسنك وما اعف نفسك احسنت لمن اساء عليك و حفظت حرمة من ضيع حرمتك و حفظت حريمه وهو سباك و سبى اهلك ولابد ان تقف انت و اميـــر المؤمنين بين يدي حاكم عادل و تنتصف انت عليه في يوم يكون فيه القاضي المولى جل وعز والشهود هم المـــلائكة فلمـــا سمع الخليفة كلامها و فهم شكـــواها علم انها مظلومة فدخل قصره و ارسل مسرور الخادم لهـــا فلما حضرت بين يديه اطرقت برأسها وهي باكية العين جريحة القلب فقال يا قوت القلوب اراك تتظلمين مني وتنسبينني الى الظلم و تزعمين اني اسأت لمن احسن الي فمن هو الذي حفظ حرمتي وانتهكت حرمته و ستر حريمي وسبيت حريمه فقالت له هو غانم بن ايوب فانه لم يقربني بفاحشة ولا سوء وحق نعمتك يا امير المؤمنين فقال الخليفة لاحول ولا قوة الا بالله يا قوت القلوب تمني علي تُعطى فقالت اتمنى عليك محبوبي غانم بن ايوب فعند ذلك امتثل امرها فقالت يا امير المؤمنين ان احضرته تهبني له فقال ان حضر وهبتك له هبة كريم لايرد في عطائه فقالت يا امير المؤمنين أتأذن لي ان ادور عليه لعل الله يجمعني به فقال لها افعلي مابدالك ففرحت وخرجت ومعها الف دينار ذهب فزارت المشائخ و تصدقت عنه و طلعت ثاني يوم الى سوق التجـــار واعلمت شيخ السوق واعطـــت له دراهم وقالت له تصدق بها على الغرباء وطلعت ثم جاءت ثاني جمعة السوق ومعها الف دينار ودخلت سوق الصاغة وسوق الجوهرية فنادت بالعريف فحضر فدفعت له الف دينار

Digitized by Google

فانك تحطه في باب المارستان لعله يتداوى و يتعافى و يبقى لك الاجر فقال لهم السمع والطاعة فبعد ذلك اخرجوا غانم بن ايوب من المسجد و حملوه بالبرش الذي هو نائم عليه فوق الجمل و جاءت امه و اخته يتفرجان عليه من جملة الناس ولم تعلما به ثم انهما نظرتا اليه وتاملتاه و قالتا انه شبيه لغانم ابننا فياترى هل هو هذا الضعيف اولا و اما غانم فانه ما افاق الا وهو محمول على الجمل مشدود بحبل فبكى و اشتكى واهل القرية ينظرون امه و اخته تبكيان عليه ولم تعرفاه ثم سافرت امه و اخته الى ان وصلتا الى بغداد و اما الجمال فمازال سائرا به حتى حطه على باب المارستان و اخذ جمله و ذهب فتم غانم راقدا هناك الى الصباح فلما اندرجت الناس في الطريق نظروا اليه وقد صار رق الخلال والناس يتفرجون عليه فجاء شيخ السوق و ازاح الناس عنه و قال انا اكسب الجنة بهذا المسكين فانهم متى ادخلوه المارستان قتلوه في يوم و احد ثم امر صبيانه بحمله فحملوه الى بيته وفرش له فرشا جديدا ووضع له مخدة جديدة و قال لزوجته اخدميه بنصح فقالت طيب على الراس ثم تشمرت و سخنت ماء و غسلت يديه ورجليه و بدنه والبسته ثوبا من لبس جواريها و اسقته قدح شراب ورشت عليه ماء ورد فافاق و اشتكى وافتكر محبوبته قوت القلوب فزادت به الكروب هذا ما كان من امره واما ماكان من امر قوت القلوب فانه لما غضب عليها الخليفة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والاربعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قوت القلوب لما غضب عليها

Digitized by Google

عنده تبكيان عليه فمسكوهما و نهبوا الدار ولم تعلما ما الخبر فلما احضروهما عند السلطان سألهما عن غانم والدهما فقالتا له من مدة سنة او اكثر ما وقفنا له على خبر فرد وهما الى مكانهما هذا اما كان من امرهما واما ماكان من امر غانم بن ايوب المتيم المسلوب فانه لما سلبت نعمته ونظر الى حاله فبكى على نفسه حتى انفطر قلبه وهاج على وجهه وسار الى آخر النهار وقد ازداد به الجوع واضربه المشي فلما وصل الى بلد دخلها وذهب الى مسجد وجلس على برش واسند ظهره الى حائط المسجد وارتمى وهو في غاية الجوع والتعب ولم يزل مقيما هناك الى الصباح وقد خفق قلبه من الجوع وركب على جلده القمل من العرق وصارت رائحته زفرة و تغيرت احواله فاتى اهل تلك البلدة يصلون الصبح فوجدوه مطروحا ضعيفا هزيلا من الجوع وعليه آثار النعمة لا ثحة فلما صلوا واقبلوا عليه وجدوه بردانا جائعا فاعطوه ثوبا عتيقا قد بليت اكمامه وقالوا له ياغريب من اين تكون وما سبب ضعفك ففتح عينيه فيهم وبكى ولم يرد عليهم جوابا فذهب احدهم وقد عرف انه جيعان فاتى له بسكرجة عسل ورغيفين فاكل يسيرا وقعدوا عنده حتى طلعت الشمس وانصرفوا لاشغا لهم ولم يزل على هذا الحال شهرا وهو عندهم وقد تزايد به الضعف والمرض فبكوا عليه وتعطفوا وتشاوروا مع بعضهم في امره فاتفقوا في انهم ان يوصلوه الى المارستان الذي ببغداد فبينما هم كذلك واذا بامرأتين شحاذتين دخلتا عليه وكانتا هؤلاء امه واخته فلما رآهما اعطاهما الخبز الذي عند رأسه ونامتا عنده تلك الليلة ولم يعرفهما فلما كان ثاني يوم اتاه اهل القرية واحضروا له جملا وقالوا للجمال احمل هذا المريض فوق الجمل فاذا وصلت الى بغداد

Digitized by Google

كسرة خبز وزبدية طعام و و ضعتهم في مقطف وقلت له اخرج بهذه الحياة ولا عليك مني فانا اعرف اي شيء في يدي من الخليفة فلما سمع غانم كلام قوت القلوب وما اشارت به عليه خرج من بينهم وهو حامل المقطف بمافيه وستر عليه الستار ونجامن المكائد والاضرار ببركة نيته فلما وصل الوزير جعفر الى ناحية الدار ترجل عن حصانه ودخل البيت ونظر الى قوت القلوب و قد تزينت وتبهرجت وعبت صندوقا من الذهب والمصاغ والجواهر والتحف مماخف حمله وغلا ثمنه فلما دخل عليها جعفر ورآها قامت على قدميها وقبلت الارض بين يديه و قلت له يا سيدي جرى القلم من القدم بما حكم الله فلما رأى ذلك جعفر قال لها والله ياستي انه ما اوصاني الا بقبض غانم بن ايوب فقالت يا سيدي انه عبى تجارات وذهب بها الى دمشق ولا علم لي بخبره واريدان تحفظ لي هذا الصندوق واحمله الى ان تسلمه لي في قصر امير المؤمنين فقال جعفر السمع والطاعة ثم اخذ الصندوق وامربحمله و قوت القلوب معهم الى دار الخلافة وهي مكرمة معززة وكان هذا بعد ان نهبوا دار غانم ثم توجهوا الى الخليفة وحكى جعفر للخليفة جميع ماجرى فامر الخليفة لقوت القلوب بمكان مظلم واسكنها فيه و الزم بها عجوزا لقضاء حاجتها لانه ظن ان غانمـــا قد فسق بها وراقدها ثم انه كتب مرسوما للامير محمد بن سليمان الزيني وكان نائبا في دمشق ومضمونه ان ساعة وصول المرسوم تقبض على غانم بن ايوب وترسله الي فلما وصل المرسوم اليه قبله ووضعه على رأسه ونادى في الاسواق من ارادان ينهب فعليه بدار غانم بن ايوب فجاءوا الى الدار فوجدوا ام غانم واخته قد صنعتا له قبرا في وسط الدار وقعدتا

Digitized by Google

انا سمعت الست زبيدة تقـــول ان قوت القلوب عند شاب تاجر اسمه غانم بن ايوب الدمشقي وان لها عنده بهذا اليوم اربع شهور وسيدنا هذا يبكي ويسهر الليالي على قبر لم يكن فيه ميت وصارتا تتحدثان بهذا الحديث والخليفة يسمع كلامهما فلما فرغ الجاريتان من الحديث وعرف القضية وان هذا القبر زور ومحال وان قوت القلوب عند غانم بن ايوب مدة اربعة اشهر غضب الخليفة غضبا شديدا وقام ودخل على امراء دولته فعنـــد ذلك اقبـل الوزير جعفر البـــر مكي وقبل الارض بيـــن يديه فقال له الخليفـــة بغيظ انزل ياجعفر بجماعة واسأل عن بيت غانم بن ايوب واكبسوا داره وايتوني بجاريتي قوت القلوب ولا بدلي ان اعذبه فاجابه جعفر بالسمع والطاعة فعند ذلك نزل جعفر والخلق والعالم والوالي صحبته ولم يزالوا سائرين الى ان اتوا الى دار غانم وكان غانم بن ايوب خرج في ذلك الوقت وجاء بقدرة لحم واراد ان يمديده ليأكل منها هو وقوت القلوب فلاحت منها التفاتة فوجدت البلاء احاط بالدار من كل جانب والوزير والوالي والظلمة والمماليك بسيـــوف مسلولة مجردة وقد داروا به كما يدور بياض العين بالسواد فعند ذلك عرفت ان خبرها وصل الى الخليفة سيدها فايقنت بالهلاك واصفر لونها وتغيرت محاسنها فعند ذلك نظرت الى غانم وقالت له يا حبيبي فز بنفسك فقال لها كيف اعمل والى اين اذهب وما لي ورزقي في هذه الدار فقالت له لاتمكث لئلا تهلك ويذهب مالك فقال لها ياحبيبتي ونور عيني كيف اصنع في الخروج وقد احاطوا بالدار فقالت له لاتخف وقلعته من ثيابه والبسته ثيابا بالية وجاءت بالقدرة التي كان فيها اللحم ووضعتها على رأسه وحطت في حوالَيها

Digitized by Google

دفنتها في قصري فدخل الخليفة بثياب السفر الى قبر قوت القلوب ليزورها فوجد البسط مفروشة والشموع والقناديل موقودة فلما رآى ذلك شكرها على فعلها فبقي حائرا في امره و هو ما بين مصدق و مكذب فلما غلب عليه الوسواس امر بحفر القبر و اخرجها منه فلما رآى الكفن و اراد ان يزيله عنها ليراها خاف من الله تعالى فقالت العجوز ردوها الى مكانها ثم ان الخليفة امر في الحال باحضار الفقهاء والمقرئين و عمل الختومات على قبرها و جلس بجانب القبر يبكي الى ان غشي عليه ولم يزل قاعدا على قبرها شهرا كاملا وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والاربعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخليفة لم يزل يتردد على قبرها مدة شهر فاتفق ان الخليفة دخل الحريم بعد انصراف الامراء والوزراء الى بيوتهم فنام ساعة فجلست عند رأسه جارية تروّحه بالمروحة و عند رجليه جارية تكبسه فلما نام وانتبه و فتح عينيه و غمضهما فسمع الجارية التي عند رأسه تقول للتي عند رجليه و يلك ياخيزران قالت لها نعم يا قضيب البان قالت لها ان سيدنا ليس عنده علم بما جرى و انه يسهر على قبر لم يكن فيه الاخشبة منجرة صنعة النجار فقالت لها الاخرى وقوت القلوب اى شيء اصابها فقالت اعلمي ان الست زبيدة ارسلت مع جارية قرص بنج و بنجتها فلما تحكم البنج منها جعلتها في صندوق و ارسلتها مع صواب و كافور وامرتهما ان يرمياها في التربة فقالت خيزران و يلك يا قضيب البان هل الست قوت القلوب ما ماتت فقالت لا والله سلامة شبابها من الموت ولكن

Digitized by Google

و امر ي جواريک والخدام اذا علمـــوا ان الخليفة اتى من السفـــر ان ينشـروا التبن فى الدها ليز فاذا دخل الخليفة و سأل عن الخبر يقولون له ان قوت القلوب ماتت و عظم الله اجرک فيها و من معزتها عند سيدتنا دفنتهـــا في قصرها فاذا سمع ذلک يبكي و يعز عليه فانه يعمل لها الختومات و يسهر على قبرها فان قال في نفسه ان بنت عمي زبيدة من غيرتها سعت في هلاک قوت القلوب او غلب عليه الهيام فيأمر باخراجها من القبر فلا تفزعي من ذلک فلما يحفرون و يطلعون على تلک الصـــورة التي كبني آدم فيـراها وهي مكفنة بالاكفان المفتخرة فان اراد الخليفة ازالة الاكفان عنها لينظرها فامنعيه انت من ذلک والاخرى تمنعه وتقول له رؤية عورتها حرام فيصدق حينئذ انها ماتت فيعيدها الى مكانها ويشكرک على فعلک و تخلصين انت ان شاء الله تعالى من هذه الورطة فلما سمعت الست زبيدة كلامها رأته صوابا فخلعت عليها خلعة و امرتها ان تفعل ذلک بعد ما اعطتها جملة من المال فشرعت العجوز في الحال و امرت النجار ان يعمل لها صورة كما ذكرنا وبعد تمام الصورة جاءت بها الى الست زبيدة فكفنتها و دفنتها و اوقدت الشموع والقناديل و فرشت البسط حول القبر ولبست السواد و امرت الجواري ان يلبسن السـواد و اشتهر الامر فى القصر ان قوت القلوب ماتت فبعد مدة اقبل الخليفة من غيبته و طلع الى قصره ولكن ماله شغل الا قوت القلـــوب فرأى الغلمان والخدام والجواري كلهم لابسين السواد فرجف فواد الخليفة فلما دخل القصر على الست زبيدة رآها لابسة للسواد فسـأل الخليفة عن ذلک فاخبروه بموت قوت القلوب فوقع مغشيا عليه فلما افاق سأل عن قبرها فقالت الست زبيدة اعلم يا امير المؤمنين انني من معزتها عندي

Digitized by Google

علي العبد حرام فلما طال بها المطـــال مع غانم بن ايوب المتيم المسلوب و زادت بها الشجون والكروب انشدت من فؤاد متعوب تقول هذه الابـــــــــــــــيـــــــــــــــات

بَدِيعَ ٱلْحُسْنِ كَمْ هَذَا التَّجَنِّي ... وَ مَنْ اَغْرَاكَ بِالْاِعْرَاضِ عَنِّي
حَوَيْتَ مِنَ الرَّشَاقَةِ كُلَّ مَعْنًى ... وَ حُزْتَ مِنَ الْمَلَاحَةِ كُلَّ فَنِّ
وَ اَجْرَيْتَ الْغَرَامَ لِكُلِّ قَلْبٍ ... وَ وَكَّلْتَ السُّهَـــادَ بِكُلِّ جَفْنِ
وَ اَعْرِفُ قَبْلَكَ الْاَغْصَانُ تُجْنَى ... فَيَا غُصْنَ الْاَرَاكِ اَرَاكَ تَجْنِي
وَ عَهْدِي بِالظِّبَـا صَيْدًا فَمَالِي ... اَرَاكَ تَصِيـدُ اَرْبَابَ الْمَجَنِّ
وَ اَعْجَبُ مَا اُحَدِّثُ عَنْكَ اَنِّي ... فُتِنْتُ وَ اَنْتَ لَمْ تَعْلَـــمْ بِاَنِّي
فَلَا تَسْمَحْ بِوَصْلِـــكَ لِي فَاِنِّي ... اَغَارُ عَلَيْكَ مِنْكَ فَكَيْفَ مِنِّي
وَ لَسْتُ بِقَائِلٍ مَا دُمْتُ حَيًّـــا ... بَدِيعَ الْحُسْنِ كَمْ هَذَا التَّجَنِّي

و اقاموا على هذا الحال مدة والخوف يمنع غانما عنها هذا ما كان من امر غانم بن ايوب المتيم المسلوب و اما ماكان من امر الست زبيدة فانها في غيبة الخليفة لما فعلت بقوت القلوب ذلك الامر بقيت حائرة تقول في نفسها ماذا اقول للخليفة اذا جاء وسأل عنها وما يكون جوابي له فدعت بعجـــوز كانت عندها و اطلعتها على سرها و قالت لها كيف افعل و قوت القلوب قد فرط فيها الفرط فقالت لها العجوز لما فهمت الحال اعلمي يا ستي ان مجيء الخليفة قرب و لكن ارسلي الى نجار و أمريه ان يعمل لك صورة ميت من خشب ونحفرلها قبرا في وسط القصر و ندفنها فيه و تعملي له مقصـــورة و نوقد فيه الشموع والقنـاديل وتأمري كل من في القصـــران يلبسوا الاسود

Digitized by Google

جميع ما يحتاج اليه الامر وجاء الى البيت فوجد قوت القلوب تبكي فلما ان رأته بطلت البكاء و تبسمت و قالت له او حشتني يا محبوب قلبي والله ان هذه الساعة التي غبتها عني كسنة من اجل فراقك وها انا قد بينت لك حالي من شدة ولعي بك فقم بنا الآن و دع ما كان و اقض اربك مني قال اعوذ بالله ان هذا شيء لا يكون كيف يجلس الكلب في موضع السبع والذي للمولى فهو على العبد حرام ثم جذب نفسه منها و جلس في ناحية على الحصيرة وزادت هي محبة فيه با متناعه عنها ثم جلست الى جانبه و نادمته ولا عبته فسكرا وهامت بالافتضاح به فغنت هي و انشدت تقول

قَلْبُ الْمُتَيَّمِ كَادَ أَنْ يَتَفَتَّتَا فَإِلَى مَتَى هَذَا الصُّدُودُ إِلَى مَتَى
يَا مُعْرِضًا عَنِّي بِغَيْرِ جِنَايَةٍ فَعَوَائِدُ الْغِزْلَانِ أَنْ تَتَلَفَّتَا
صَدٌّ وَ إِبْعَادٌ وَ هَجْرٌ دَائِمٌ مَا كُلُّ هَذَا الْأَمْرِ يَحْمِلُهُ الْفَتَى

فبكى غانم بن ايوب وبكت هي لبكائه ولم يزالا يشربان الى الليل فقام غانم و فرش فرشين كل فرش في مكان و جده فقالت له قوت القلوب لمن هذا الفرش الثاني فقال لها هذا لي والآخر لك ومن هذه الليلة نحن لا ننام الا على هذا النمط وكل شيء كان للسيد فهو على العبد حرام فقالت له يا سيدي دعنا من هذا وكل شيء يجري بقضاء و قدر فابى من ذلك فانطلقت النار في قلبها وزاد غرامها و تعلقت هي فيه و قالت له والله ما ننام الاسواء فقال معاذالله و غلب هو عليها و نام وحده الى الصباح فزاد بها العشق و الغرام و اشتد بها الوجد و الهيام و اقاما على ذلك ثلثة اشهر طوال وهي كلما تقربت منه يمتنع عنها ويقول لها كلما يكون للسيد فهو

Digitized by Google

فى الاصل كانت جاريتها فجاءت الي ووضعت لي البنج في شرابي فلما كان الليل شربت فلما استقر البنج في جوفي وقعت الى الارض وصارت راسي عند رجلي فما عرفت بروحي الا وانا في دنيا اخرى وانها لما تمت حيلتها حطتني في ذلك الصندوق واحضرت العبيد سرا وبر طلتهم وكذلك البوابين وارسلتني مع العبيد فى الليلة التي انت كنت نائما فيها فوق النخلة وفعلوا معي مارأيت وكانت نجاتي على يديك وانت اتيت بي الى هذا المكان واحسنت الي غاية الاحسان وهذه قصتي وحكايتي وما اعرف ايش جرى للخليفة في غيبتي فاعرف قدري ولا تشهر امري فلما سمع غانم بن ايوب كلام قوت القلوب وتحقق انها محظية الخليفة تأخر الى ورائه والحقته هيبة الخلافة وجلس وحده في ناحية من نواحى المكان يعاتب نفسه ويتفكر في امره ويصبر قلبه وبقي حائرا في عشق التي فيمـــا ليس له اليها وصول فبكى من شدة الغـــرام وشكا من تحامل الزمان وماله من العدوان فسبحان من اشغل القلوب بالمحبة والمحبوب وانشد يـــــــــــقـــــــــول

قَلْبُ الْمُحِبِّ عَلَى الْاَحْبَابِ مَتْعُوبُ وَعَقْلُهُ مَعْ بَدِيعِ الْحُسْنِ مَنْهُوبُ
قَدْ قِيلَ لِي كَيْفَ طَعْمُ الْحُبِّ قُلْتُ لَهُ اَلْحُبُّ عَذْبٌ وَلَكِنْ فِيهِ تَعْذِيبُ

فعند ذلك قامت اليه قوت القلـــوب واحتضنته وقبلته وتمكن حبه في قلبهـــا وباحت له بسرها وما عندها من المحبـــة وطوقت على رقبة غانم بيديها وقبلته وهو يتمنع عنهـــا خوفا من الخليفة ثم تحدثا ساعة زمانية وهما غريقان في بحر محبتهما الى ان طلع النهار فقام غانم ولبس اثوابه وخرج الى السوق كعـــادته واخذ

Digitized by Google

واحد منهما من قلب الآخر ولا بقي لهما صبر عن بعضهما الى ان كانت ليلة من بعض الليالي وهورا قد واياها والاثنان سكرانان فمد يده على جسدها وملس ثم مرّ بيده على بطنها ونزل بها الى سرتها فانتبهت وقعدت على حيلها وتعهدت اللباس فوجدت اللباس مربوطا فنامت ثانيا فملس عليها بيده ونزل بها الى سر والها و دكتها وجذبها فانتبهت وقعدت على حيلها وقعد غانم الى جانبها فقالت له ما الذي تريد فقال لها مرادي انام معك و اتصافي انا وانت فعند ذلك قالت له انا الآن اوضح لك امري حتى انك تعرف قدري وينكشف لك سري ويظهر لك عذري قال لها نعم فعند ذلك شقت ذيل قميصها ومدت يدها الى تكة لباسها وقالت له ياسيدي اقرأ الذي على طرف هذه التكّة فاخذها غانم في يده ونظرها فوجدها مرقوما عليها بالذهب انالك وانت لي يا ابن عم النبي فلما قرأها نثر يده وقال لها اكشفي لي عن خبرك قالت نعم اعلم انني محظية اميرالمؤمنين واسمي قوت القلوب وان اميرالمؤمنين لما ان رباني في قصره وكبرت ونظر الخليفة الى صفاتي وما اعطاني ربي من الحسن والجمال فاحبني محبة زائدة واخذني واسكنني في مقصورة ورسم لي بعشرة جواري يخدمنني ثم انه اعطاني ذلك المصاغ الذي تراه معي ففي يوم من بعض الايام سافر الخليفة الى بعض البلاد فجاءت الست زبيدة الى بعض الجواري التي في خدمتي وقالت لها عندك حاجة فقالت لها وما هي ياستي قالت اذا نامت ستك قوت القلوب فحطي هذه القطعة البنج في منا خيرها او في شرابها ولك علي من المال ما يكفيك فقالت لها الجارية حبا وكرامة ثم ان الجارية اخذت البنج منها وهي فرحانة لاجل الدراهم ولانها

Digitized by Google

سَأَلْتُ مَنْ أَمْرَضَنِي فِي قُبْلَةٍ تَشْفِي الْأَلَمْ
فَقَالَ لَا لَا أَبَدًا قُلْتُ لَهُ نَعَمْ نَعَمْ
فَقَالَ خُذْهَا بِالرِّضَى مِنِّي حَلَالًا وَابْتَسَمْ
فَقُلْتُ غَصْبًا قَالَ لَا إِلَّا سَمَاحًا وَكَرَمْ
فَلَا تَسَلْ هَمَّا جَرَى وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ وَتَمْ
فَظُنَّ مَا شِئْتَ بِنَا فَالْحُبُّ يَحْلُو بِالتُّهَمْ
وَلَا أُبَالِي بَعْدَ ذَا إِنْ بَاحَ ضِدٌّ أَوْ كَتَمْ

ثم انه زادت محبته وانطلقت النيران في مهجته هذا وهي تتمنع منه وتقول له ما لك وصول الي ولم يزالا في عشقهما ومناد متهما وغانم بن ايوب غريق في بحر الهيام واما هي فقد ازدادت قسوة واحتشاما الى ان دخل الليل بالظلام وارخى عليهما ذيل المنام فقام غانم واشعل القناديل واوقد الشموع وجدد المقام والحضرة واخذ رجليها وقبلهما فوجد هما مثل الزبد الطري فمرغ وجهه عليهما وقال يا ستي ارحمي اسير هواك وقتيل عينيك وكنت سليم القلب لولاك ثم انه بكى قليلا فقالت له يا سيدي ونور عيني انا والله لك عاشقة وبك واثقة ولكن انا اعرف انك ما تصل الي فقال لها وما المانع فقالت له انا في هذه الليلة احكي لك قصتي حتى انك تقبل معذرتي ثم انها ترامت عليه وطوقت على رقبته بيدها وقبلته وقد اخذت بخاطره واوعدته بالوصال ولم يزالا يلعبان ويضحكان حتى تمكن حب بعضهما من بعض ولم يزالا على ذلك الحال وهما في كل ليلة ينامان على فراش واحد وكلما طلب منها الوصال تتعزز منه مدة شهر كامل وقد تمكن حب كل

Digitized by Google

من آلة المشروب والمشموم واتى الى البيت ودخل بالحوائج فلما رأته الجارية ضحكت وقبلته واعتنقته واخذت تلاطفه فازدادت عنده المحبة واحتوت على قلبه ثم انهما اكلا وشربا الى ان اقبل الليل وقد احب كل منهما صاحبه لانهما كانا في سن واحد وحسن واحد فلما اقبل الليل قام غانم بن ايوب المتيم المسلوب واوقد الشموع والقناديل فاضاء المكان واحضر آلة المدام ثم نصب الحضرة وجلس هو واياها وصار يملأ ويسقيها وهي تملأ وتسقيه وهما يلعبان ويضحكان وينشدان الاشعار وزادبهما الفرح وتعلقا بحب بعضهما البعض فسبحان مؤلف القلوب ولم يزالا كذلك الى قريب الصبح فغلب عليهما النوم فنام كل واحد منهما في موضعه الى ان اصبح الصباح فقام غانم بن ايوب وخرج الى السوق واشترى ما يحتاج اليه من اكل وشرب وخضرة ولحم وخمر وغيره واتى به الى الدار وجلس هو واياها يأكلان فاكلا حتى اكتفيا وبعد ذلك احضرا الشراب وشربا ولعبا مع بعضهما حتى احمرت وجناتهما واسودت عيونهما واشتاقت نفس غانم بن ايوب الى تقبيل الجارية والنوم معها فقال لها ياستي ائذني لي بقبلة من فيك لعلها تبرد نار قلبي فقالت يا غانم اصبر حتى اسكر واغيب وخذلك مني قبلة سرا بحيث اني لم اشعر انك قبلتني ثم انها قامت علي قدميها وخلعت بعض ثيابها وتعدت في قميص رفيع وكوفية حرير فعند ذلك تحركت الشهوة عند غانم وقال لها ياستي اما تسمحين لي بما قلت لك عليه فقالت والله لا يصح لك ذلك لانه مكتوب على دكة لباسي قول صعب فانكسر خاطر غانم بن ايوب وزاد عنده الغرام لما عز المطلوب فقال شعرا

Digitized by Google

فيها انا قد اقف فقال ياستي ثلثة عبيد خصيون اتوا وهم حاملون هذا الصندوق ثم حكى لها جميع ما جرى له وكيف امسى عليه المساء حتى كان سبب سلامتها والا كانت ماتت بغصتها ثم انه اسألها عن حكايتها وخبرها فقالت له ايها الشاب الحمد لله الذي رماني عند مثلك فقم الآن وحطني في الصندوق واخرج الى الطريق فاذا وجدت مكاريا او بغالا فاكتره لحمل هذا الصندوق ووصلني الى بيتك فاذا بقيت انافي دارك يكون خيرا واحكي لك حكايتي واخبرك بقصتي ويحصل لك الخير من جهتي ففرح وخرج الى ظاهر التربة وقد شعشع النهار ولاح الجو بالانوار وخرجت الناس ومشوا فاكترى رجلا ببغل واتى به الى التربة وشال الصندوق بعد ما حط فيه الصبية ووقعت محبتها في قلبه وساربها وهو فرحان لانها جارية تساوي عشرة آلاف دينار وعليها حلي وحلل تساوي مالا جزيلا وما صدّق انه يصل الى داره وانزل الصندوق وفتحه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والاربعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان غانم بن ايوب لما وصل با لصندوق الى داره فتحه واخرج الصبية منه فنظرت فرأت هذا المكان محلا مليحا مفروشا بالبسط والالوان المفرحة وغير ذلك ورأت قماشا محزوما واحمالا وغير ذلك فعلمت انه تاجر كبير صاحب اموال كثيرة فكشفت وجهها ونظرت اليه فاذا هو شاب مليح فلما رأته احبته وقالت له ياسيدي هات لنا شيئا نأكله فقال لها غانم على الرأس والعين ثم انه نزل السوق واشترى خروفا مشويا وصحن حلاوة واخذ معه نقلا وشمعا واخذ معه نبيذا وما يحتاج اليه الامر

Digitized by Google

يا ترى ايش في هذا الصندوق ثم صبر حتى برق الفجـــر و لاح وبان ضياؤه فنزل من على النخلة وازال التراب بيده حتى كشف الصندوق وخلصه ثم اخذ حجرا كبيرا وضرب به القفل فكسره وكشف الغطاء ونظر فيه فاذا فيه صبية نائمة مبنجة ونفسها طالع نازل الا انها ذات حسن وجمال وعليها حلي و مصاغ ذهب وقلائد من الجواهر تساوي ملك السلطان ما يفي بثمنها مال فلما رآها غانم بن ايوب عرف انهم تغامزوا عليها وبنجوها فلما تحقق ذلك الامر عالج فيها حتى اخرجها من الصندوق وارقدها على قفاها فلما استنشقت الارياح و دخل الهواء في انفهـا و منافسها عطست ثم شرقت و سعلت فوقع من حلقها قرص بنج اقريطشي لوشمه الفيل لرقد من الليل الى الليل ففتحت عينيها و ادارت طرفها وقالت بكلام عذب فصيح ويلك ياريح ما فيك ري للعطشان ولا انس للـريان اين زهر البستان فلم يجاوبها احد فالتفتت وقالت ياصبيحة شجرة الدر نور الهدى نجمة الصبح انت في شهـر نزهة حلـوة ظـريفة تكلموا فلم يجبها احد فجالت بطرفهـا فقالت ويلي تقبر يني فى القبور يا من يعلم مافى الصدور ويجازي يوم البعث والنشور من جاء بي من بين الستور والخدور ووضعني بين اربعة قبور هذا كله و غانم واقف على حيله فقال لها يا ستي لاخدور ولا قصور ولا قبور ما هنا الا عبدك المسلوب غانم بن ايوب وقد ساقه لك علام الغيوب حتى ينجيك من هذه الكروب ويحصل لك غاية المطلوب وسكت فلما تحققت الامر قالت اشهد ان لا آله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله ثم التفتت الى غانم وقد وضعت يديها على وجهها وقالت له بكلام عذب ايها الشاب المبـــارك من جاء بي الى هذا المكان

Digitized by Google

عمري ما رأيت ولد زنا مثل هذا العبد ويقول انهـــا نصف كذبة فكيف لو كانت كذبة كاملـــة كان اخرب مدينة او مدينتين ثم انه من شدة غيظه ذهب الى الوالي واطعمني علقة نظيفة حتى غبت عن الدنيا وغشي علي فخلاني في غشيتي واتاني بالمـزين فخصاني وكواني فمـا افقت الاوجدت نفسي طواشيـــا وقال لي سيدي مثل ما احرقت قلبي على اعز الاشياء عندي احرقت قلبك على اعـــز الاعضاء عندك ثم اخذني وباعني باغلى ثمن لاني صرت طواشيا وما زلت القى الفتن في الاماكن التي اباع فيها وانتقل من اميرالى اميرومن كبير الى كبير اُباع واُشرى حتى دخلت قصر اميرالمؤمنين وقد انكسرت نفسي وابت حيلي وعدمت خصاي فلما سمع العبدان كلامه ضحكا عليه وقالا له انك خرؤ ابن خرء تكذب كذبا شنيعـا ثم قالوا للعبد الثالث احك لنا حكايتك قال لهم يا اولاد عمي كلما قلتموه بطال فانا احكي لكم على سبب قطع خصاي وقد كنت استاهل اكثر من ذلك لاني كنت نِكت ستي وابن سيدي والحكاية معي طويلة وما هذا وقت حكايتها لان الصباح يا اولاد عمي قريب وربما يطلع علينا الصباح ومعنا هذا الصندوق فنبقى مفضوحين وتروح ارواحنـــا فدونكم فتح الباب فاذا فتحناه ورحنا الى قصرنا قلت لكم على سبب قطع خصاي ثم تعلق ونزل من الحائط وفتح الباب فدخلوا وحطوا الشمع وحفروا حفرة بطول الصندوق وعرضه بين اربعة قبور وصار كافور يحفر وصواب ينقل التراب بالقفف الى ان حفروا نصف قامة ثم حطوا الصندوق في الحفرة وردوا عليه التـــراب وخرجوا من التربة وردوا البـــاب وغـــابوا عن عين غـــانم بن ايوب فلما استقر وخلا لغانم المكان وعلم انه وحده اشتغل سرة بما في الصندوق وقال في نفسه

Digitized by Google

فرآني و عماتي مخروقة في رأسي و انا اصيح و ابكي بكاء شديدا و احثوا التراب على رأسي فصرخ علي فاقبلت عليه فقال لي و يلك يا عبد النحس يا ابن الزانية يا ملعون الجنس ما هذه الوقائع التي عملتها و لكن والله لا سلخن جلدك من لحمك و اقطعن لحمك من عظمك فقلت له والله ما تقدر تعمل معي شيئا لانك قد اشتريتني على عيبي بهذا الشرط والشهود يشهدون عليك حين اشتريتني على عيبي وانت عالم به وهو اني اكذب في كل سنة كذبة واحدة و هذه نصف كذبة فاذا كملت السنة كذبت نصفها الآخر فتبقى كذبة كاملة فصاح علي يا كلب بن الكلب يا العن العبيد هل هذه كلها نصف كذبة و انما هي داهية كبيرة اذهب عني فانت حر لوجه الله فقلت و الله ان اعتقتني انت ما اعتقك انا حتى تكمل السنة و اكذب نصف الكذبة الباقية و بعد ان اتممها فانزل بي السوق و بعني بما اشتريتني به على عيبي ولا تعتقني لان ما معي صنعة اقتات منها و هذه المسئلة التي ذكر تهالك شرعية ذكرها الفقهاء في باب العتق فبينما نحن في الكلام واذا بالخلائق والناس واهل الحارة من نساء ورجال قد جاؤا يعملون العزاء وجاء الوالي وجماعته فراح سيدي والتجار الى الوالي و اعلموه بالقضية و ان هذه نصف كذبة فلما سمعوا ذلك منه استعظموا تلك الكذبة و تعجبوا غاية العجب فلعنوني وشتموني فبقيت واقفا اضحك و اقول كيف يقتلني سيدي و قد اشتراني على هذا العيب فلما مضى سيدي الى البيت و جده خرابا و انا الذي اخربت معظمه و اكثره وكسرت فيه شيئا يساوي جملة من المال وكذلك زوجته فقالت له زوجته ان كافورا هو الذي كسر الاواني والصيني فازداد غيظه و ضرب يدا على يد و قال والله

Digitized by Google

فى وجهه ظلاما ولم يقدر يتمالك نفسه ولا عقله ولم يقدران يقف على قدميه بل جاءه الكساح وانكسر ظهره وخرق اثوابه و نتف ذقنه ورمى عمامته من فوق راسه ولازال يلطم على وجهه حتى سال منه الدم و صاح آه وا اولاداه آه وازوجتاه آه وامصيبتاه من جرى له مثل ما جرى لي فصاحت التجار رفقاؤه لصياحه وبكوا معه ورثوالحاله و شقوا اثوابهم و خرج سيدي من ذلك البستان وهو يلطم من شدة ما جرى له ومن شدة اللطم على وجهه صار كانه سكران فبينما هو و التجار خارجون من باب البستان و اذا هم بغبرة عظيمة وصياح وعياط فنظروا الى هؤلاء المقبلين فاذا هو الوالى و المقدمين والخلق والعالم الذين يتفرجون واهل التاجر وراءهم يصرخون ويصيحون وهم في بكاء شديد زائد قاول من لاقى سيدي زوجته و اولاده فلما راآهم بهت وضحك و ثبت و قال لهم ما حالكم انتم وما حصل لكم فى الدار وما جرى لكم فلما راوه قالوا الحمد لله على سلامتك ورموا انفسهم عليه و تعلقت اولاده به وصاحوا ابتاه الحمدلله على سلامتك يا ابانا وقالت له زوجته انت طيب الحمدلله الذي ارانا وجهك بسلامة و قد اندهشت وطار عقلها لماراته و قالت له يا سيدى كيف كانت سلامتك انت و اصحابك التجار فقال لها وكيف كان حالكم فى الدار فقالوا نحن طيبون بخير و عافية وما اصاب دارنا شيء من الشر غير ان عبدك كافور جاء الينا و هو مكشوف الرأس مخرق الاثواب وهو يصيح واسيداه واسيداه فقلنا له ما الخبر يا كافور فقال ان سيدي واصحابه التجار وقعت عليهم حائط فى البستان وماتوا جميعا فقال لهم و الله انه اتاني في هذه الساعة وهو يصيح واستاه واولاد ستاه وقال ان سيدتي واولاد هاماتوا جميعا ثم نظر الى جانبه

Digitized by Google

فلما وصلوا الى الوالي واخبروه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــاح

فلما كانت الليلة الموفية للاربعين

قالت بلغني ايها الملك السعيد انهم لما وصلوا الى الوالي واخبروه قام الوالي وركب واخذ معـــه الفعلة بالمساحي والقفف ومشوا تابعين اثري ومعهم كثير من النـــاس وانا قدامهـــم الطم على وجهي واصيح وستي واولادها خلفي يعيطـــون فجريت انا قدامهم وسبقتهـــم وانا اصيح واحثـــو التراب علي راسي والطم على وجهي فلما دخلت البستان ورآني سيدي وانا الطم واقول واستاه اواه اواه اواه من بقي لي يحن علي بعد سيدتي يا ليتني كنت فداء عنها فلما رآني سيدي بهت واصفر لونه وقال مالك يا كافور وما الخبر فقلت له انك لما ارسلتني الى البيت ودخلت فرايت الحائط التي في القاعة وقعت وانطبقت كلهـــا على ستي واولادها فقال لي وهل ستك ما سلمت فقلت له لا والله يا سيدي ما سلم منهم احد واول من مات منهم ستي الكبيرة فقال وهل سلمت بنتي الصغيرة فقلت له لا فقال لي وماحال البغلة التي اركبها هل هي سالمة فقلت له لا والله يا سيدي فان حيطان البيت وحيطان الاصطبل انطبقت على جميع ما في البيت حتى على الغنم والاوَزّ والدجاج وصاروا كلهم كوم لحم واكلهم الكلاب ولم يبق منهم احد فقال لي ولا سيدك الكبير سلم فقلت له لا والله لم يسلم منهم احد وفي هذه الساعة لا بقي دار ولا سكان ولا بقي لهم اثر واما الغنم والاوز والدجاج فاكلهم القطط والكلاب فلما سمع سيدي كلامي صار الضياء

Digitized by Google

بسرعة فامتثلت امره ورحت الى المنزل فلما قربت من المنزل صرخت وارخيت الدموع فاجتمع عليّ اهل الحارة كبارا وصغارا و سمعت حسي زوجة سيدي و بناته ففتحوالي الباب و سألوني عن الخبر فقلت لهم ان سيدي كان جالسا تحت حائط قديمة هو واصحابه فوقعت عليهم فلما رايت ما جرى لهم ركبت البغلة وجئت مسرعا لاخبركم فلما سمع بناته وزوجته ذلك صرخوا وشقوا ثيابهم ولطموا على وجوههم فاتت اليهم الجيران واما زوجة سيدي فانها قلبت متاع البيت بعضه على بعض واخربت رفوفه وكسرت طيقانه و شبابيكه وسخمت حيطانه بطين و نيلة و قالت لي ويلك يا كافور تعال ساعدني و اخرب هذه الدواليب وكسر هذه الاواني والصيني وغيره فجئت اليها واخربت معها رفوف البيت بكل ما عليها ودرت على السقوف و على كل محل اخربه و ما كان في البيت من الصيني وغير ذلك حتى اخربت الجميع وانا اصيح واسيداه ثم خرجت ستي مكشوفة الوجه بغطاء راسها لاغير و خرجت معها البنات و الاولاد وقالوا يا كافور امش قدامنا وارنا مكان سيدك الذي هو فيه تحت الحائط ميت حتى نخرجه من تحت الردم ونحمله في تابوت ونجيء به الى البيت فنخرجه خرجة مليحة فمشيت قدامهم و انا اصيح وا سيداه و هم خلفي مكشوفون الوجوه والروس يصيحون اواه اواه على الرجل فلم يبق احد في الحارة لا من الرجال ولا من النساء ولا من الصبيان ولا عجوز الا جاء معنا و صاروا كلهم يلطمون معنا ساعة و هم في شدة البكاء فشقيت لهم المدينة فسال الناس عن الخبر فاخبروهم بما سمعوا مني فقال الناس لاحول ولا قوة الا بالله فقال بعض الناس ما هو الا رجل كبير امضي للوالي ونخبره

Digitized by Google

يجتهدون في تحصيل جهازها ثم انهم امسكوني على غفلة و طوّشوني و لما زفوها للعريس جعلوني طوّاشيا لها امشي قد امها اينما راحت سواء كان رواحها الى الحمام او بيت ابيها و قد ستروا امرها و ليلة الدخلة ذبحوا علي قميصها فرخ حمامة و مكثت انا عندها مدة طويلة و انا اتملى بحسنهـــا و جمالها من بوس و عناق و رقاد الى ان ماتت هي وزوجها و امها وابوها ثم اخذوني لبيت المال و صرت في هذا المكان و قد ارتفقت بكم و هذا يا اخوتي سبب قطع احليلي والسلام فقال العبد الثـــاني اعلموا يا اخوتي اني كنت في ابتداء امري و انا ابن ثمان سنين اكذب على الجلابة كل سنة كذبة حتى يقعوا في بعضهم فقلق مني الجلاب وانزلني في يد الدلال و امره ان ينادي من يشتر هذا العبد على عيبه فقيل له و ما عيبه قال يكـذب كل سنة كذبة واحدة فتقدم رجل تاجر الى الـــدلال و قال للدلال كم اعطوا فيه من الثمن على عيبه قال اعطوا ستمائة درهم فقال ولك عشرون درهما فجمع بينه وبين الجلاب و قبض منه الدراهم و اوصلني الدلال الى منزل ذلك التاجر و اخذ دلالته وانصرف فكساني هذا التاجر مما ينا سبني من القماش وصرت عنده اخدمه باقي سنتي الى ان هلت السنة الجديدة بالخير وكانت سنة مباركة مخصبة بالنبات فصـــار التجار يعملـــون كل يوم عزومة و في كل يوم على واحد منهم الى ان جاءت العزومة على سيدي في غيط برالبلد فراح هو والتجار الى البستان و اخذ لهم جميع ما يحتـــاجون اليه من اكل و غيره فجلسوا يا كلون و يشـربون ويتنـادمون الى وقت الظهر فاحتـاج سيدي الى مصلحـة من البيت فقال لي يا عبد اركب البغلة ورح الى المنزل و هات من ستك الحـــاجة الفلانية و ارجع

Digitized by Google

لنا على سبب تطويشه و جميع ما وقع له من المبتدأ الى المنتهى لاجل فوات هذه الليلة وناخذ لنا راحة فقال الاول الذي كان حامل الفانوس واسمه بخيت انا احكي لكم حكايتي فقالوا له تكلم قال لهم يا اخوتي اعلموا اني لما كنت صغير اجاء بي الجلاب من بلدي وكان عمري خمس سنين فباعني لواحد جاويش وكان له بنت عمرها ثلث سنين فتر بيت معها وهم يضحكون علي وانا الاعب البنت وارقص لها واغني لها الى ان صار عمري اثنى عشر سنة وهي بنت عشر سنين ولا يمنعونني عنها ففي يوم من الايام دخلت عليها وهي جالسة في محل خلوة وهي كأنها خرجت من الحمام الذي في البيت لانها كانت معطرة مبخرة و وجهها مثل دور القمر في ليلة اربعة عشر فلا عبتني ولا عبتها وكنت في ذلك الوقت تحت ادراك فنفر إحليلي حتى صار مثل المفتاح الكبير فدفعتني على الارض فوقعت على ظهري وركبت هي على صدري و صارت تتمرغ علي فانكشف احليلي فلما رأته و هو نافر مسكته بيدها و صارت تحك به على شفائر فرجها من فوق لباسها فتحركت الحرارة عندي و حضنتها فشبكت يديها في عنقي وقرطت علي بجهدها فما اشعر الا و احليلي فتق لباسها و دخل فرجها فازال بكارتها فلما عاينت ذلك هربت عند بعض اصحابي فدخلت عليها امها فلما رأت حالها غابت عن الدنيا ثم انها تداركت امرها و اخفت حالها عن ابيها وكتمته وصبرت عليها مدة شهرين كل هذا وهم ينادونني ويلا طفونني حتى اخذوني من المكان الذي كنت فيه ولم يذكروا شيئا من هذا الامر لابيها لمحبتهم لي ثم ان امها خطبت لها شابا مزينا كان يزين اباها و امهرتها من عندها وجهزتها له كل هذا وابوها لا يعلم بحالها وصاروا

Digitized by Google

خوفا من السودان الذين هم مثلنا ان ياخذ وهم ويشو و هم ويا كلو هم فقالوا له صدقت و الله ما فينا اقل عقلا منك فقال لهم انكم لم تصدقوني حتى ندخل التربة ونجد فيها احدا و انا اظن انه لمارأى النور ورأانا هرب فوق النخلة خوفا منا فلما سمع غانم كلام العبد قال في نفسه يا لعن العبد لا ستر الله عليك و لابهذا العقل و لابهذه المعرفة كلها لاحول و لاقوة الا بالله العلي العظيم ايش بقي يخلصني من هؤلاء العبيد ثم ان الذين حاملين الصندوق قالا للذي معه الفاس تعلق على الحائط وافتح لنا الباب يا بخيت لاننا تعبنا من شيل الصندوق على رقابنا فاذا فتحت لنا الباب لك علينا واحد من الذين نمسكهم و نقليه لك بيدي بصنعة جيدة بحيث لايضيع من دهنه نقطة فقال بخيت انا خائف من شيء افتكرته من قلة عقلي وهو اننا نرمي الصندوق من وراء الباب لانه ذخيرتنا فقالا له ان رمينا ينكسر فقال لهما انا خائف ان يكون جوالتربة الحرامية الذين يقتلون الناس و يسرقون الاشياء لانهم اذا امسى عليهم الوقت يدخلون في هذه الاماكن و يقسمون مايكون معهم فقال له الاثنان الحاملان للصندوق يا قليل العقل هل يقدرون ان يدخلوا هنا ثم انهما حملا الصندوق و تعلقا على الحائط و نزلا و فتحا الباب و العبد الثالث الذي هو بخيت واقف لهما بالفانوس و الفاس والمقطف الذي فيه بعض من اليهس ثم انهم جلسوا و قفلوا الباب فقال واحد منهم يا اخوتي نحن تعبنا من المشي و الشيل و الحط وفتح الباب و قفله وهذا الوقت نصف الليل و لابقي فينا نفس نفتح التربة وندفن الصندوق ولكن حتى نرتاح ثلث ساعات ثم نقوم ونقضي حاجتنا وكل واحد منا يحكي

Digitized by Google

اللصوص ما فيه من المال و الاحمال وخاف على متاعه فقام و خرج من بين الجماعة و استاذنهم على انه يقضي حاجة فصار يمشي و يتبع آثار الطريق حتى جاء الى باب المدينة وكان ذلك الوقت نصف الليل فوجد باب المدينة مغلوقا ولم ير احد غاديا ولا رائحا و لم يسمع صوتا سوى الكلاب ينبحون والذياب يصيحون فرجع و قال لاحول و لاقوة الا بالله كنت خائفا على مالي و جئت لا جله فوجدت الباب مغلوقا وبقيت الآن خائفا على روحي ثم انه رجع وراءه ينظر له محلا ينام فيه الى الصباح فوجد تربة محوطة باربع حيطان و فيها نخلة و لها باب من الصوّان مفتوح فدخلها و اراد ان ينام فيهما فلم يجئه نوم و اخذته رجفة و وحشة وهو بين القبور فقام واقفا على قدميه وفتح باب المكان و نظر فاذا هو بنور على بعد في ناحية باب المدينة فمشى قليلا فراى النور في الطريق التي تؤدي الى التربة التي هو فيها فخاف غانم على نفسه واسرع برد الباب وتعلق حتى طلع فوق النخلة وتدارى في قلبها فصار النور يتقرب من التربة شيئا فشيئا حتى قرب من التربة فتامل النور فرأى ثلثة عبيد اثنان شائلان صندوقا وواحد في يده فانوس و فاس فحين قربوا من التربة قال احد العبدين الذين شائلين الصندوق مالك ياصواب فقال العبد الآخر منهما مالك يا كافور فقال له اما كنا هنا وقت العشاء و خلينا الباب مفتوحا فقال نعم هذا الكلام صحيح فقال هاهو مغلوق متربس فقال لهما الثالث و هو حامل الفاس و النور وكان اسمه بختيتا ما اقل عقلكما اما تعرفان ان اصحاب الغيطان يخرجون من بغداد ويرعون هنا فيمسي عليهم المساء فيدخلون هنا و يغلقون عليهم الباب

Digitized by Google

عليها الستور و انزل فيها تلك الاحمال و البغال و الجمال و جلس حتى استراح و سلمت عليه التجار و اكابر بغداد ثم انه اخذ بقجة فيها عشر تفاصيل من القماش النفيس مكتوب عليها ثمنها و نزل بها الى سوق التجار فتلقوه بالترحيب وسلموا عليه واكرموه وانزلوه واجلسوه على دكان شيخ السوق ثم انه ناوله البقشة ففتحها و اخرج منها تفاصيل فباع له شيخ السوق التفاصيل فربح في كل دينار دينارين مثله ففرح غانم و صار يبيع القماش والتفاصيل اولا باول و لم يزل كذلك الى مدة سنة كاملة وفي اول السنة الثانية جاء الى القيصرية التي فى السوق فراى بابها مغلوقا فسال عن سبب ذلك فقيل له ان واحدا من التجار توفي و ذهب التجار كلهم يمشون في جنازته فهل لك ان تكسب اجرا وتمشي معهم قال نعم ثم سال عن محل الجنازة فدلوه على المحل فتوضأ ثم مشى مع التجار الى ان وصلوا الى المصلى وصلوا على الميت ثم مشى التجار جميعهم قدام الجنازة الى المقبرة فتبعهم غانم من حياه وقد خرجوا بالجنازة من بغداد الى خارج المدينة و شقوا بين المقابر الى ان وصلوا الى المدفن فوجدوا اهل الميت قد نصبوا الخيمة على القبر و احضروا الشموع و القناديل ثم دفنوا الميت وجلس القراء يقرءون القرآن على ذلك القبر فجلس تلك التجار فجلس معهم غانم بن ايوب و هو غالب عليه الحياء فقال في نفسه انا لم اقدر ان افارقهم حتى انصرف معهم ثم انهم جلسوا يسمعون القرآن الى وقت العشاء فقدموا لهم العشاء و الحلوى فاكلوا حتى اكتفوا و غسلوا ايديهم ثم جلسوا مكانهم فاشتغل خاطر غانم بمكانه وبضاعته وخاف من اللصوص فقال في نفسه انا رجل غريب و متهم بالمال فان بت الليلة بعيدا عن منزلي يسرق

Digitized by Google

فقال له الخليفة اتركه انت وقال لمسرور يا مسرور قم انت واضرب رقبته فقام مسرور ورمى رقبته فعند ذلك قال الخليفة لعلي بن خاقان تمنّ عليّ فقال ياسيدي انا مالي حاجة بملك البصرة وما اريد الا ان اتشرف بخدمتك واشاهد طلعتك فقال الخليفة حبا وكرامة ثم ان الخليفة دعى بالجارية فحضرت بين يديه فانعم عليهما واعطاهما قصرا من قصور بغداد ورتب لهما مرتبات وجعله من ندمائه ولم يزل مقيما عنده في اللذ عيش الى ان ادركه الممات

وليس هذا باعجب من حكاية التاجر واولاده قال وكيف كان ذلك قالت بلغني ايها الملك السعيد انه كان في قديم الزمان وسالف العصر والاوان تاجر من بعض التجار له مال وله ولد كأنه البدر ليلة تمامه فصيح اللسان يسمى غانم بن ايوب المتيم المسلوب وله اخت اسمها فتنة فريدة في حسنها وجمالها فتوفي والدهما وخلف لهما مالا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثلثون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ذلك التاجر خلف لهما مالا جزيلا ومن جملة ذلك مائة حمل من الخز والديباج ونوافج المسك ومكتوب على الاحمال هذا مما عُمل برسم بغداد وكانت نيته السفر الى بغداد فلما توفاه الله تعالى ومضت مدة اخذ ولده هذه الاحمال وسافر بها الى بغداد وكان ذلك في زمن الخليفة هارون الرشيد وودع امه واقاربه واهل بلده قبل سيره وخرج متوكلا على الله تعالى وكتب الله له السلامة حتى وصل الى بغداد وكان صحبته جماعة من التجار فاكترى له دارا حسنه وفرشها بالبسط والوسائد وارخى

Digitized by Google

عليها الستور و انزل فيها تلك الاحمال و البغال و الجمال و جلس حتى استراح و سلمت عليه التجار و اكابر بغداد ثم انه اخذ بقجة فيها عشر تفاصيل من القماش النفيس مكتوب عليها ثمنها و نزل بها الى سوق التجار فتلقوه بالترحيب وسلموا عليه واكرموه وانزلوه واجلسوه على دكان شيخ السوق ثم انه ناوله البقشة ففتحها و اخرج منها تفاصيل فباع له شيخ السوق التفاصيل فربح في كل دينار دينارين مثله ففرح غانم و صار يبيع القماش و التفاصيل اولا باول و لم يزل كذلك الى مدة سنة كاملة وفي اول السنة الثانية جاء الى القيصرية التي في السوق فراى بابها مغلوقا فسال عن سبب ذلك فقيل له ان واحدا من التجار توفي و ذهب التجار كلهم يمشون في جنازته فهل لك ان تكسب اجرا وتمشي معهم قال نعم ثم سال عن محل الجنازة فدلوه على المحل فتوضأ ثم مشى مع التجار الى ان وصلوا الى المصلى وصلوا على الميت ثم مشى التجار جميعهم قدام الجنازة الى المقبرة فتبعهم غانم من حياه وقد خرجوا بالجنازة من بغداد الى خارج المدينة و شقوا بين المقابر الى ان وصلوا الى المدفن فوجدوا اهل الميت قد نصبوا الخيمة على القبر و احضروا الشموع و القناديل ثم دفنوا الميت و جلس القراء يقرءون القرآن على ذلك القبر فجلس تلك التجار فجلس معهم غانم بن ايوب و هو غالب عليه الحياء فقال في نفسه انا لم اقدر ان افارقهم حتى انصرف معهم ثم انهم جلسوا يسمعون القرآن الى وقت العشاء فقدموا لهم العشاء و الحلوى فاكلوا حتى اكتفوا و غسلوا ايديهم ثم جلسوا مكانهم فاشتغل خاطر غانم بمكانه وبضاعته وخاف من اللصوص فقال في نفسه انا رجل غريب و متهم بالمال فان بت الليلة بعيدا عن منزلي يسرق

Digitized by Google

فقال له الخليفة اتركه انت وقال لمسرور يا مسرور قم انت واضرب رقبته فقام مسرور ورمى رقبته فعند ذلك قال الخليفة لعلي بن خاقان تمنّ عليّ فقال ياسيدي انا مالي حاجة بملك البصرة وما اريد الا ان اتشرف بخدمتك واشاهد طلعتك فقال الخليفة حبا وكرامة ثم ان الخليفة دعى بالجارية فحضرت بين يديه فانعم عليهما واعطاهما قصرا من قصور بغداد ورتب لهما مرتبات وجعله من ندمائه ولم يزل مقيما عنده في اللذعيش الى ان ادركه الممات

وليس هذا باعجب من حكاية التاجر و اولاده قال وكيف كان ذلك قالت بلغني ايها الملك السعيد انه كان في قديم الزمان وسالف العصر والاوان تاجر من بعض التجار له مال وله ولد كأنه البدر ليلة تمامه فصيح اللسان يسمى غانم بن ايوب المتيم المسلوب وله اخت اسمها فتنة فريدة في حسنها وجمالها فتوفي والداهما وخلف لهما مالا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثلثون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ذلك التاجر خلف لهما مالا جزيلا ومن جملة ذلك مائة حمل من الخز والديباج ونوافج المسك ومكتوب على الاحمال هذا مما عُمل برسم بغداد وكانت نيته السفر الى بغداد فلما توفاه الله تعالى ومضت مدة اخذ ولده هذه الاحمال و سافر بها الى بغداد وكان ذلك في زمن الخليفة هارون الرشيد وودع امه واقاربه واهل بلده قبل سيره وخرج متوكلا على الله تعالى وكتب الله له السلامة حتى وصل الى بغداد وكان صحبته جماعة من التجار فاكترى له دارا حسنه وفرشها بالبسط و الوسائد وارخى

Digitized by Google

جعفر تجهز من وقته وسافر الى ان وصل الى البصرة وقد تسابقت الاخبار الى الملك محمد بن سليمان الزيني بحضور جعفر البرمكي فلما اقبل جعفر ونظر ذلك الهرج والمرج والزحام فقال الوزير جعفر ما هذا الازدحام فذكروا له ماهم فيه من امر نورالدين علي بن خاقان فلما سمع جعفر كلامهم اسرع بالطلوع الى السلطان وسلم عليه واعلمه بما جاء فيه وانه اذا كان وقع لعلي ابن خاقان امر مكروه فان السلطان يهلك من كان السبب في ذلك ثم انه قبض على السلطان والوزير المعين بن ساوى واحبسهما وامر باطلاق نورالدين علي بن خاقان واجلسه سلطانا في مكان السلطان محمد بن سليمان الزيني وقعد ثلثة ايام في البصرة مدة الضيافة فلما كان صبح اليوم الرابع التفت علي بن خاقان الى جعفر وقال له اني اشتقت الي رؤية اميرالمؤمنين فقال جعفر للملك محمد بن سليمان الزيني تجهز للسفر فاننا نصلي الصبح ونركب الى بغداد فقال السمع والطاعة ثم انهم صلوا الصبح وركبوا جميعهم ومعهم الوزير المعين بن ساوى وصار يتندم على ما فعله واما نورالدين علي بن خاقان فانه ركب بجانب جعفر وما زالوا سائرين الى ان وصلوا الى بغداد دار السلام وبعد ذلك دخلوا على الخليفة فلما دخلوا عليه حكوا له قصة نورالدين وكيف وجدوه وهو مشرف على الهلاك فعند ذلك اقبل الخليفة على علي بن خاقان وقال له خذ هذا السيف واضربه رقبة عدوك فاخذه وتقدم الى المعين بن ساوى فنظر اليه وقال له انا عملت بلبني فاعمل انت بلبنك فرمى السيف من يده ونظر الى الخليفة وقال يا امير المؤمنين انه خذ عني بكلامه وانشد يقول

فَخَذَّ عَنْهُ بِخَدِيعَةٍ لَمَّا اَتَى وَالْحُرُّ يُخْدَعُ بِالْكَلَامِ الطَّيِّبِ

Digitized by Google

قصة علي بن خاقان ولم يذكرها له احد الى ان جاء ليلة من بعض الليالي الى مقصورة انيس الجليس فسمع بكاءها وهي تنشد بصوت حسن ظريف قول الشـــــــــــــــــــــــــــــاعر

خَيَالُكَ فِى التَّبَاعُدِ وَالتَّدَانِيْ وَذِكْرُكَ لَا يُفَارِقُهُ لِسَانِيْ

ثم تزايد بكاؤها واذا بالخليفة قد فتح الباب ودخل المقصورة فراى انيس الجليس وهي تبكي فلما رات الخليفةَ وقعت الى الارض فقبلت رجليه ثلث مرات ثم انها انشدت تقول شعـــــــــــــــــــــــر

اَيَا مَنْ زَكَى اَصْلًا وَطَابَ وِلَادَةً وَاثْمَرَ غُصْنًا يَانِعًا وَزَكَى غَرْسًا
اُذَكِّرُكَ الْوَعْدَ الَّذِيْ سَمَحَتْ بِهِ مَحَاسِنُكَ الْحُسْنَى وَحَاشَاكَ اَنْ تُنْسِى

فقال الخليفـــة من انت فقالت انا هديـــة علي ابن خاقان اليك واريدا نجاز الوعد الذي وعدتني به من انك ترسلني اليه مع التشريف والآن لي هنا ثلثون يوما لم اذق طعم النوم فعند ذلك طلب الخليفة جعفر البرمكي وقال له ياجعفر من منذ ثلثين يوما لم اسمع خبرا عن علي بن خاقان وما اظن الا ان السلطـــان قتله ولكن وحيوة راسي وتربة آبائي واجدادي ان جرى له امر مكروه لا هلكن من كان السبب فيه ولوكان اعز الناس عندي واريدان تسافر في هذه الساعة الى البصرة وتاتي باخبار الملك محمد بن سليمان الزيني مع علي بن خاقان وقال له ان غبت اكثر من مسافة الطريق ضربت رقبتك وانت تعلم ابن عمي بقضية نورالدين علي بن خاقان واني ارسلته بكتابي وان وجدت يا بن عمي عمل الملك بغير ما ارسلت به اليه فاحمله واحمل الوزير المعين بن ساوى على الهيئة التي تجدهم عليها ولاتغيب اكثر من مسافة الطريق فقال جعفر السمع والطاعة ثم ان

Digitized by Google

لَا بُدَّ لِي مِنْ مُدَّةٍ مَحْتُومَةٍ فَإِذَا انْقَضَتْ أَيَّامُهَا مُتُّ
لَوْ أَدْخَلَتْنِي الْأُسْدُ فِي غَابَاتِهَا لَمْ تَغْنِهَا مَا دَامَ لِي وَقْتُ

ثم انهم نادوا على نورالدين هذا اقل جزاء من يزور على الملوك بالباطل ولا زالوا يطوفون به فى البصرة الى ان اوقفوه تحت شباك القصر و علقوه في نطع الدم و تقدم اليه السياف وقال له يا سيدي انا عبد مامور في هذا الامر ان كان لك حاجة فاخبرني بها حتى اقضيها لك فانه ما بقي من عمرك الا قدر ما يخرج السلطان وجهه من الشباك فعند ذلك نظر يمينا و شمالا و خلفا و اما ما و انشد يقول

أَرَى السَّيْفَ وَالسَّيَّافَ وَالنِّطْعَ أَحْضَرُوا فَنَادَيْتُ يَا ذُلِّي وَعِظْمَ مَصَائِبِي
مَالِي أَرَى خِلًّا شَفُوقًا يُعِينُنِي سَأَلْتُكُمُوا رُدُّوا عَلَيَّ جَوَابِي
مَضَى الْوَقْتُ مِنْ عُمْرِي وَحَانَتْ مَنِيَّتِي فَهَلْ رَاحِمٌ لِي كَيْ يَنَالُ ثَوَابِي
وَيَنْظُرُ فِي حَالِي وَيَكْشِفُ بَلْوَتِي بِشَرْبَةِ مَاءٍ كَيْ يَهُونُ عَذَابِي

فتباكت الناس عليه و قام السياف و اخذ شربة ماء و قدمها له فنهض الوزير من مكانه و ضرب قُلَّة الماء بيده فكسرها و صاح على السياف و امره بضرب رقبته فعند ذلك عصب عيني نورالدين فزعقت الناس على الوزير وقام العياط وكثر سؤال بعضهم من بعض فبينما هم كذلك اذا بغبار قد علا وعجاج ملأ الجو والخلا فلما نظر اليه السلطان و هو قاعد فى القصر قال لهم انظروا ما الخبر فقال الوزير حتى نضرب عنق هذا قبلُ فقال له السلطان اصبر انت حتى ننظر الخبر وكان ذلك الغبار غبار جعفر البرمكي وزير الخليفة ومن معه وكان السبب في مجيئهم ان الخليفة مكث ثلثين يوما لم يتذكر

Digitized by Google

وَالْهَجْرُ اَضْنَى مُهْجَتِي وَحُشَاشَتِي ... وَالدَّهْرُ رَدَّ اَحِبَّتِي اَعْدَائِي
يَا قَوْمِ هَلْ فِيكُمْ رَفِيقٌ مُشْفِقٌ ... يَرْثِي لِحَالِي اَوْ يُجِيبُ نِدَائِي
فَالْمَوْتُ هَانَ عَلَيَّ مَعْ سَكَرَاتِهِ ... وَقَطَعْتُ مِنْ طِيبِ الْحَيٰوةِ رَجَائِي
يَا رَبِّ بِالْهَادِي الْبَشِيرِ الْمُصْطَفَى ... بَحْرِ الْعُلُومِ وَسَيِّدِ الشُّفَعَاءِ
اَدْعُوكَ تُنْقِذُنِي وَتَغْفِرُ زَلَّتِي ... وَتُزِيلُ عَنِّي شَقْوَتِي وَعَنَائِي

فعند ذلك نزع عنه السجان الثياب النظيفة والبسه ثوبين وسخين ونزل به الى الوزير فنظره نورالدين فاذا هو بعدوه الذي هو طالب قتله فلما رآه بكى وقال له هل امنت الدهر اما سمعت قول الشاعر

اَيْنَ الْاَكَاسِرَةُ الْجَبَابِرَةُ الْاُلٰى ... كَنَزُوا الْكُنُوزَ فَمَا بَقِينَ وَلَا بَقُوا

ثم قال له يا وزير اعلم ان الله سبحانه وتعالى هو الفعال لما يريد فقال له يا علي اتخوفني بهذا الكلام فانا في هذا اليوم اضرب رقبتك على رغم انف اهل البصرة ولم افكر ودع الايام تفعل ما تريد ولا التفت الى نصحك وانما التفت الى قول الشاعر

دَعِ الْاَيَّامَ تَفْعَلُ مَا تَشَاءُ ... وَطِبْ نَفْسًا بِمَا فَعَلَ الْقَضَاءُ

وما احسن قول الآخر

مَنْ عَاشَ بَعْدَ عَدُوِّهِ يَوْمًا فَقَدْ بَلَغَ الْمُنَا

ثم ان الوزير امر غلمانه ان يحملوه على ظهر بغل فقال الغلمان لنورالدين وقد صعب عليهم دعنا نرجمه ونقطعه ولو كانت تروح ارواحنا فقال لهم نورالدين علي لا تفعلوا ذلك ابدا اما سمعتم قول الشاعر يقول

Digitized by Google

يا قطيط اريدان تاخذ هذا وترميه في مطمورة من المطامير التي عندك في السجن وتعاقبه بالليل والنهار فقال السجان سمعا وطاعة ثم ان السجان ادخل نورالدين السجن وقفل عليه الباب ثم امر بكنس مصطبة وراء الباب وفرشها بمقعد ونطع واجلس نورالدين عليها وفك قيده واحسن اليه وكان الوزير كل يوم يرسل يوصي السجان بضربه والسجان يدافع عنه الى مدة اربعين يوما فلما كان اليوم الحادي والاربعون جاءت هدية من عند الخليفة فلما رآها السلطان اعجبته فشاور الوزراء في امرها فقال بعض لعل هذه الهدية كانت للسلطان الجديد فقال الوزير المعين بن ساوى انما كان المناسب قتله وقت قدومه فقال السلطان والله لقد ذكرتني به انزل هاته واضرب عنقه فقال الوزير سمعا وطاعة فقام وقال له ان قصدي ان انادي في المدينة من اراد ان يتفرج على ضرب رقبة نورالدين علي بن خاقان فليات الى القصر فياتي التابع والمتبوع ليتفرج عليه واشفي فؤادي واكمد حسادي فقال له السلطان افعل ما تريد فنزل الوزير وهو فرحان مسرور واقبل على الوالي وامره ان ينادي بما ذكرناه فلما سمع الناس المنادي حزنوا وبكوا جميعا حتى الصغار في المكاتب والسوقة في الدكاكين وتسابق الناس يا خذون لهم اماكن ليتفرجوا فيها وذهب بعض الناس الى السجن حتى ياتي معه ونزل الوزير ومعه عشرة مماليك الى السجن فقال قطيط السجان ماتطلب يا مولانا الوزير فقال احضرلي هذا العلق فقال السجان انه في ايشم حال من كثرة ما ضربته ثم دخل السجان فوجده ينشد هذه الابيات

مَنْ لِّي يُسَاعِدُنِي عَلَى بَلْوَائِي فَقَدْ زَادَ بِي دَائِي وَعَزَّ دَوَائِي

و نر ملك له هذا ما جرى لهؤلاء واما ماجرى لنورالدين علي ابن خاقان فانه لم يزل مسافرا حتى طلع الى البصرة وطلع قصر السلطان ثم صرخ صرخة عظيمة فسمعه السلطان فطلبه فلما حضر بين يديه قبل الارض بين يديه ثم اخرج الورقة وقدمها له فلما راى عنوان الكتاب بخط اميرالمؤمنين قام و وقف على قدميه وقبلها ثلث مرات وقال السمع والطاعة لله تعالى ولاميرالمؤمنين ثم انه احضر القضاة الاربعة والامراء واراد ان يخلع نفسه من الملك واذا بالوزير الذي هو المعين بن ساوى قد حضر فاعطاه السلطان الورقة فلما قرأها قطعها عن آخرها واخذها في فمه و مضغها ورماها فقال له السلطان و قد غضب ويلك ما الذي حملك على هذه الفعال فقال له و حياتك يا مولانا السلطان هذا ما اجتمع بالخليفة ولا بوزيره وانما هو علق شيطان مكار وقع بورقة بخط الخليفة بطالة فحمل غرضه فيها و ان الخليفة لم يرسل ياخذه منك السلطنة ولا معه خط شريف ولا تعليق ولاجاء من عند الخليفة ابدا ابدا ابدا ولوكان هذا الامر وقع لارسل معه حاجبا او وزيرا لكنه جاء وحده فقال له وكيف العمل قال له ارسل معي هذا الشاب وانا آخذه واتسلمه منك و ارسله صحبة حاجب الى مدينة بغداد فان كان كلامه صحيحا ياتينا بخط شريف وتقليد فان لم يات به انا آخذ حقي من غريمي هذا فلما سمع السلطان كلام الوزير المعين بن ساوى قال له دونك واياه فتسلمه الوزير من السلطان و نزل به الى داره وزعق على الغلمان فمدوه وضربوه الى ان اغمي عليه وجعل في رجليه قيدا ثقيلا وجاء به الى السجن وزعق على السجّان فلما حضر باس الارض بين يديه وكان هذا السجّان يقال له قطيط فقال له

Digitized by Google

بن المهدي الى حضرة محمد بن سليمان الزيني المشمول بنعمتي الذي جعلته نائبا عني في بعض مملكتي ان الواصل اليك هذا الكتاب صحبة نورالدين علي ابن خاقان ابن الوزير فساعة وصوله الى عندكم انزع نفسك من الملك و وَلِّهِ ولا تخالف امري والسلام ثم اعطى الكتاب لنورالدين علي بن خاقان فاخذ الكتاب نورالدين وباسه وحطه في عمامته ونزل في الوقت مسافرا هذا ماجرى له واما ما كان من امر الخليفة فان الشيخ ابراهيم نظر اليه و هو في صورة الصيادين وقال له يا احقر الصيادين قد جئت لنا سمكتين تساويان عشرين نصفا اخذت ثلثة دنانير وتريد تاخذ الجارية اخرى فلما سمع الخليفة كلامه صاح عليه واومى الى مسرور فاشهر نفسه وهجم عليه وكان جعفر ارسل مع رجل من صبيان الغيط لبواب القصر يطلب منه بدلة الملك فذهب الرجل وطلع بالبدلة و باس الارض بين يدى الخليفة فخلع عليه الخليفة ما كان عليه ولبس تلك البدلة وكان الشيخ ابراهيم جالسا على كرسي والخليفة واقف ينظر ما يجري فعند ذلك بهت الشيخ ابراهيم وبقي ساهيا وهو يعض انامله ويقول يا ترى انا نائم ام يقظان فنظر اليه الخليفة وقال يا شيخ ابراهيم ما هذا الحال الذي انت فيه فعند ذلك افاق من سكرة ورمى نفسه الى الارض وانشد يقول شعر

هَبْ لِي جِنَايَةَ مَازَلَّتْ بِهِ الْقَدَمُ فَالْعَبْدُ يَطْلُبُ مِنْ سَادَاتِهِ الْكَرَمُ
فَعَلْتُ مَا يَقْتَضِيهِ الذَّنْبُ مُعْتَرِفًا فَأَيْنَ مَا يَقْتَضِيهِ الْعَفْوُ وَالْكَرَمُ

فعفى عنه الخليفة وامر بالجارية ان تحمل الى القصر فلما وصلت الى القصر افرد لها الخليفة منزلا وحدها ووكل بها من يخدمها وقال لها اعلمي اني ارسلت سيدك سلطانا على البصرة فان شاء الله تعالى نرسل اليه خلعة

Digitized by Google

رَامِزًا لِي إِنِّي أَسِيرُ بَعِيدًا وَأَغِيبُ عَنْهُمْ وَأَكْمَدُ الْحُسَّادِي
فَظَلَمْنَا مِنْ دَارِنَا جِنْحَ لَيْلٍ طَالِبِينَا الْمَقَامَ فِي بَغْدَادِ
لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الذَّخَائِرِ عِنْدِي أُعْطِيكَ غَيْرَ مَا وَهَبْتُ يَا صَيَّادِ
غَيْرَ أَنِّي أُعْطِيكَ مَحْبُوبَ قَلْبِي فَتَيَقَّنْ إِنِّي وَهَبْتُ فُؤَادِي

فلما فرغ من شعره قال له الخليفة يا سيدي نورالدين اشرح لي امرك فاخبره نورالدين بخبره من مبتدأ الامر الى منتهاه فلما فهم الخليفة هذا الحال قال له اين تقصد في هذه الساعة قال له بلادالله فسيحة فقال له الخليفة اذا كتبت لك ورقة توديها الى السلطان محمد بن سليمان الزيني فاذا قرأها لم يضرك بشيٌ ولا يؤذيك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثلثون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخليفة لما قال لنورالدين علي انا اكتب لك ورقة تؤديها للسلطان محمد بن سليمان الزيني فاذا قرأها لا يضرك بشيٌ فقال له نورالدين علي وهل في الدنيا صياد يكاتب الملوك ان هذا شيٌ لا يكون ابدا فقال له الخليفة صدقت ولكن اقول لك على السبب اعلم اني قرأت انا واياه في مكتب واحد عند فقيه واحد وكنت انا عريفه ثم بعد ذلك ادركته السعادة وصار سلطانا وانا نقلني الله وجعلني صيادا وانا لم ارسل له في حاجة الاقضاها ولو ارسلت له كل يوم الف حاجة لقضاها فلما سمع نورالدين كلامه قال له طيب اكتب حتى انظر فاخذ دواة وقلما وكتب بعد البسملة اما بعد فان هذا الكتاب من هارون الرشيد

Digitized by Google

ثم انه لما سمع الخليفة قولها في شعرها وهبتني لكريم ازداد فيها رغبته وصعب عليه التفريق بينهما وعزّ عليه وقال للصبي ياسيدي ان هذه الجارية قد ذكرت في شعرها انك عاديت لسيدها و مَن ملكها فاخبرني انت لمن عاديتَ و لِمَن له عليك طلب فقال نورالدين والله ياصياد جرى لي ولهذه الجارية حديث عجيب و امر غريب لو كتب بالابر على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر فقال الخليفة اما تحدثنا بما جرى لك من حديثك و تعرفنا بخبرك عسى ان يكون لك فيه فرج فان فرج الله قريب فقال نورالدين يا صياد هل تسمع حديثنا نظما او نثرا فقال الخليفة النثر كلام والشعر نظام فعند ذلك اطرق نورالدين رأسه الى الارض و انشد يقول هذه الابيات شعر

يَاخَلِيلِي إِنِّي هَجَرْتُ رُقَادِي ... وَتَزَايَدَ هَمِّي لِبُعْدِ بِلَادِي
وَالِدٌ كَانَ لِي عَلَيَّ عَطُوفًا ... غَابَ عَنِّي وَجَاوَرَ الْأَلْحَادِ
فَأَتَتْ بَعْدَهُ عَلَيَّ أُمُورٌ ... صِرْتُ مِنْهَا مُفَتِّتَ الْأَكْبَادِ
اِشْتَرَى لِي مِنَ الْجَوَارِي خُودًا ... يَخْجَلُ الْغُصْنَ قَدُّهَا الْمَيَّادِ
فَصَرَفْتُ النَّيْ وَرِثْتُ عَلَيْهَا ... وَتَكَرَّمْتُ بِهِ عَلَى الْأَجْوَادِ
سِمْتُهَا الْبَيْعَ إِذْ تَزَايَدَ هَمِّي ... وَجَوَى الْبَيْنِ لَمْ يَكُنْ بِمُرَادِي
وَإِذَا مَادَ عَا إِلَيْهَا مُنَادٍ ... زَادَ فِيهَا شَيْخٌ كَثِيرُ الْفَسَادِ
فَلِهَذَا اِغْتَظْتُ غَيْظًا شَدِيدًا ... وَنَتَرْتُ يَدَهَا مِنْ يَدِ الْأَوْغَادِ
فَلَكَمَنِي هٰذَا اللَّئِيمُ بِغَيْظٍ ... ثُمَّ قَادَتْ فِيهِ لَظَى الْإِلْحَادِ
فَلَكَمْتُهُ مِنْ حُرْقَتِي بِيَمِينِي ... وَشِمَالِي حَتَّى شَفَيْتُ فُؤَادِي
وَمِنَ الْخَوْفِ قَدْ أَتَيْتُ لِدَارِي ... وَتَغَيَّبْتُ خِيفَةَ الْأَضْدَادِ
فَأَمَرَ حَاكِمُ الْبِلَادِ بِمَسْكِي ... فَأَتَى الْحَاجِبُ الْكَثِيرُ السَّدَادِ

Digitized by Google

وَلَقَدْ شُرِفْنَا اِذْ نَزَلْتُمْ اَرْضَنَا وَمَحَا سَنَاكُمْ ظُلْمَةَ الدَّيْجُورِ
فَيَحِقُّ لِي اِنِّي اُخَلِّقُ مَنْزِلِي بِالْمِسْكِ وَالْمَاوَرْدِ وَالْكَافُورِ

فعند ذلك اضطرب الخليفة و غلب عليه الوجد فلم يتمالك نفسه من شدة الطرب الى ان قال والله طيب والله طيب والله طيب فقال نور الدين يا صياد هل اعجبتك الجارية فقال الخليفة اي والله فقال نور الدين هي هبة مني اليك هبة كريم لايرد في عطائه ولا يرجع في هبته ثم ان نور الدين نهض قائما على قدميه واخذ ملوطة ورماها على الصياد وامره ان يخرج ويروح بالجارية فنظرت الجارية اليه و قالت له يا سيدي انت رائح بلا وداع ان كان ولابد فقف حتى اودعك واشرح حالي ثم انشدت وجعلت تقول هذه الابيات شعر

عِنْدِي مِنَ الشَّوْقِ وَالتِّذْكَارِ وَالْبُرَحَا مَاصَيَّرَ الْجِسْمَ مِنْ فَرْطِ الضَّنَى شَبَحَا
اَحْمَا بَنَا لَا تَقُولُوا لِي سَلَوْتُكُمُ وَالْحَالُ بِالْحَالِ وَالتَّبْرِيحُ مَابَرِحَا
لَوْكَانَ يَسْبَحُ حَيٌّ فِي مَدَامِعِهِ لَكُنْتُ اَوَّلَ مَنْ فِي دَمْعِهِ سَبَحَا
يَا مَنْ تَحَكَّمَ فِي قَلْبِي مَحَبَّتُكُمْ كَمَا تَحَكَّمَ مَزْجُ الْخَمْرِ بِالْقَدَحَا
هَذَا الْفِرَاقُ الَّذِي قَدْ كُنْتُ اَحْذَرُهُ يَا مَنْ هَوَاهُ بِقَلْبِي وَالْحَشَا مَزَحَا
يَابْنَ خَاقَانَ يَا سُؤْلِي وَيَا اَمَلِي يَا مَنْ هَوَاهُ بِقَلْبِي قَطُّ مَابَرِحَا
قَدْ كُنْتَ عَادَيْتَ مَوْلَانَا وَسَيِّدَنَا لِاَجْلِي وَعُدْتَ عَنِ الْاَوْطَانِ مُنْتَزِحَا
لَااَوْحَشَ اللّٰهُ مِنْ سَيْدِي عَلِيٍّ فَقَدِي وَهَبْتَنِي لِكَرِيمٍ ظَلُّ مُمْتَدِحَا

فلما فرغت من شعرها اجابها نور الدين وهو يقول شعرا

وَدَّعْتَنِي يَوْمَ الْفِرَاقِ وَقُلْتَ وَهْيَ تَبْكِي مِنْ لَوْعَةِ الْاِشْتِيَاقِ
مَا الَّذِي اَنْتَ صَانِعٌ بَعْدَ بُعْدِي قُلْتُ قُولِي هَذَا لِمَنْ هُوَ بَاقِ

Digitized by Google

هاته وانا اقليه لهم فقال الخليفة وتربة آبائي واجدادي ما يقليه الا انا بيدي ثم ان الخليفة اتى الى خص الخولي وفتش فيه فوجد كل ما يحتاجه فيه حتى الملح والزعفران والصعتر وغير ذلك فتقدم للكانون وعلق الطاجن وقلاه قليا مليحا فلما استوى جعله على ورق الموز واخذ من البستان نفيا وليمونا وطلع بالسمك ووضعه بين ايديهم فتقدم الصبي والصبية والشيخ ابراهيم واكلوا فلما فرغوا من الاكل غسلوا ايديهم فقال نور الدين والله ياصياد اتيتنا بفضيلة مليحة في هذه الليلة ثم وضع يده في جيبه واخرج له ثلثة دنانير من الدنانير التي اعطاهم له سنجر وقت خروجه للسفر وقال له يا صياد اعذرني فوالله لو عرفتني قبل الذي حصل لي لكنت نزعت مرارة الفقر من قلبك لكن خذ هذا على حسب البركة ثم رماهم للخليفة فاخذهم الخليفة وباسهم وشالهم وما كان مراد الخليفة بذلك الا السماع من الجارية وهي تغني فقال له الخليفة احسنت وتفضلت لكن مرادي من تفضلاتك العميمة ان هذه الجارية تغني لنا صوتا حتى اسمعها فقال نور الدين علي يا انيس الجليس قلت نعم قال لها بحياتي غني لنا شيأ من شان خاطر هذا الصياد لانه يريد ان يسمعك فلما سمعت الجارية كلام سيدها اخذت العود وحركته بعد ان اصلحت اوتاره وانشدت تقول

وَغَادَةٍ مَسَكَتْ لِلْعُودِ اَنْمُلُهَا فَعَادَتِ النَّفْسُ عِنْدَ الْجَسِّ تَخْتَلِسُ
غَنَّتْ فَأَبْرَتْ غِنَاهَا مَنْ بِهِ صَمَمٌ وَقَالَ اَحْسَنْتَ حَقًّا مَنْ بِهِ خَرَسُ

ثم انها ضربت ضربا بديعا الى ان اذهلت العقول وانشدت تقول هذه الابيات شعر

فضحك الخليفة من كلام الصياد ثم ولى الصياد الى حال سبيله ثم ان الخليفة اخذ مقطف السمك ووضع فوقه قليلا من الخضرة واتى به الى جعفر ووقف بين يديه فاعتقد جعفر انه كريم الصياد فخاف عليه وقال له ياكريم ايش جاء بك هنا انج بنفسك فان الخليفة هذه الليلة فى البستان ومتي رأك راحت رقبتك فلما سمع الخليفة كلام جعفر ضحك فلما ضحك عرفه جعفر فقال له لعلك مولانا السلطان فقال الخليفة نعم ياجعفر وانت وزيري وجئت انا واياك هنا وما عرفتني فكيف يعرفني الشيخ ابراهيم وهو سكران فكن مكانك حتى ارجع اليك فقال جعفر سمعا وطاعة ثم ان الخليفة تقدم الى باب القصر وطرقه طرقا خفيفا فقال نورالدين ياشيخ ابراهيم باب القصر يدق فقال الشيخ ابراهيم من بالباب فقال له انا ياشيخ ابراهيم فقال له من انت قال انا كريم الصياد وسمعت ان عندك اضيافا فجئت اليك بشيء من السمك فانه مليح فلما سمع نورالدين سيرة السمك فرح هو وجاريته وقالا ياسيدي افتح له ودعه يدخل لنا بالسمك الذي معه ففتح الشيخ ابراهيم الباب فدخل الخليفة وهو في صورة الصياد وابتدأ بالسلام فقال له الشيخ ابراهيم اهلا باللص السارق المقامرتعال اَرِنا السمك الذي معك فاراهم اياه فلما نظروه فاذا هو بالحيوة يتحرك فقالت الجارية والله يا سيدي ان هذا السمك مليح يا ليته مقلي فقال الشيخ ابراهيم والله ياستي صدقتِ ثم انه قال للخليفة ياصياد لايش ما جئت بهذا السمك مقليا قم الآن واقله لنا وهاته لنا فقال الخليفة حاضر اقليه لكم واجيئه فقالوا له هيّا فقام الخليفة يجري حتى وصل الى جعفر وقال له ياجعفر فقال نعم يا امير المؤمنين خيرا فقال له طلبوا السمك مني مقليا فقال جعفر يا امير المؤمنين

Digitized by Google

فلما رأى الخليفة ارتعدت فرائصه وقال والله يا امير المؤمنين ما فعلته استهزاء بالمرسوم ولكن الفقر والعيلة قد حملاني على ما ترى فقال الخليفة اصطد على اسمي فتقدم الصياد وقد فرح وطرح الشبكة وصبر حتى اخذت حدها وثبتت في القرار ثم جذبها اليه فطلع فيها من انواع السمك ففرح بذلك الخليفة فقال يا كريم اقلع ثيابك فقلع ثيابه وكانت عليه جبة فيها مائة رقعة من الصوف الخشن وفيها من القمل المذنب وقلع من على رأسه عمامة وكان لها ثلث سنين ما حلها الا كل ما رأى خرقة خيطها عليها فلما قلع الجبة والعمامة خلع الخليفة من فوق جسمه ثوبين سكندري وبعلبكي من حرير وملوطة وفرجية ثم قال للصياد خذهم والبسهم ولبس الخليفة جبة الصياد وعمامته وضرب له لثام ثم قال للصياد رح انت الى شغلك فقبل رجل الخليفة وشكره وجعل يقول شعـــــــــــــرا

أَوْ لَيْتَنِي نِعَمًى أَبُوحُ بِشُكْرِهَا ‏ وَكَفَيْتَنِي كُلَّ الأُمُورِ بِأَسْرِهَا

فَلأَشْكُرَنَّكَ مَا حَيِيتُ وَإِنْ أَمُتْ ‏ شَكَرَتْكَ مِنِّي أَعْظُمِي فِي قَبْرِهَا

فما فرغ الصياد من شعره حتى دب القمل على جلد الخليفة فصار يقبض بيده اليمين والشمال من على رقبته ويرميه ثم قال يا صياد ويلك ما هذا الا قمل كثير في هذه الجبة فقال يا سيدي هذه الساعة يؤلمك فاذا مضت عليك جمعة لا تحس به ولا تفكر فيه فضحك الخليفة وقال له ويلك انا اخلي هذه الجبة على جسدي فقال الصياد اني اشتهي اقول لك كلاما فقال له قل ما عندك فقال له خطر ببالي يا امير المؤمنين لما اردت ان تتعلم الصيد لاجل ما يبقى في يدك صنعة تنفعك فينا سبك هذه الجبة

Digitized by Google

و اصلحت او تارة و ضربت ضربا فتشوقت القلوب اليها ثم انشدت و جعلت تقول هذه

يَا نَاصِرِيْنَ مَسَاكِيْنَا مُحِبِّيْنَا نَارُ الْمَحَبَّةِ وَ الْاَشْوَاقِ تَكْوِيْنَا
مَهْمَا فَعَلْتُمْ فَكُنَّا مُسْتَحِقِّيْنَا نَحْنُ اسْتَجَرْنَا بِكُمْ لَا تُشْمِتُوْا فِيْنَا
فَاِنَّنَا اَهْلُ ذُلٍّ ثُمَّ مَسْكَنَةٍ مَهْمَا تَشَاءُوْهُ فِيْنَا فَافْعَلُوْا فِيْنَا
مَا الْفَخْرُ اَنْ تَقْتُلُوْنَا فِيْ مَنَازِلِكُمْ وَ اِنَّمَا خَوْفُنَا اَنْ تَا ثَمُوْا فِيْنَا

فقال الخليفة و الله طيب يا جعفر عمري ماسمعت صوتا مطربا مثل هذا فقال جعفر لعل الخليفة ذهب ما عنده من الغيظ قال نعم ذهب ثم نزل من فوق الشجرة هو و جعفر ثم التفت الى جعفر و قال اريد ان اطلع واجلس عندهم واسمع الصبية تغني قدامي فقال يا امير المؤمنين اذا طلعت عليهم ربما تكدروا واما الشيخ ابراهيم فيموت من الخوف فقال الخليفة يا جعفر لا بد ان تعرفني ان اتحيل عليهم بحيلة وادخل عليهم من غير ان يشعروا بي ثم ان الخليفة وجعفر ذهبا الى ناحية الدجلة و هما متفكر ان في هذا الامر واذا بصياد واقف يصطاد تحت شبابيك القصر وكان الخليفة سابقا زعق على الشيخ ابراهيم وقال له ما هذا الصخص الذي سمعته تحت شبابيك القصر فقال له الشيخ ابراهيم صوت صيادين السمك فقال انزل وامنعهم من ذلك الموضع فامتنعت الصيادون من ذلك الموضع فلما كانت تلك الليلة جاء صياد سمك يسمى كريما وراى باب البستان مفتوحا فقال في نفسه هذا وقت غفلة اغتنم في هذا الوقت صيد السمك ثم اخذ شبكته و طرحها في البحر واذا بالخليفة و حده واقف على رأسه فعرفه الخليفة فقال له يا كريم فالتفت اليه لما سمعه يسميه باسمه

بين عينيه و نزل و قال يا جعفر انا ما رايت الصالحين على هذا الحال ابدا فاطلع انت الآخر على هذه الشجرة و انظر لئلا تفوتك بركات الصالحين فلما سمع جعفر كلام امير المؤمنين صار متحيرا في امره و صعد الى اعلا الشجرة و اذا به نظر فراى نورالدين و الشيخ ابراهيم و الجارية و كان الشيخ ابراهيم في يده القدح فلما عاين جعفر تلك الحالة ايقن بالهلاك ونزل و وقف بين يدي امير المؤمنين فقال له الخليفة يا جعفر الحمد لله الذي جعلنا من المتبعين لظاهر الشريعة فلم يقدر جعفر يتكلم من شدة الخجل ثم نظر الخليفة الى جعفر وقال يا تري من او صل هؤلاء الى هذا المكان ومن اد خلهم قصري و لكن مثل حسن هذا الصبي و هذه الصبية مارأت عيني قط فقال جعفر وقد استرجى رضاء الخليفة هرون الرشيد صدقت يا مولانا السلطان فقال يا جعفر اطلع بنا الى هذا الفرع الذى هو معا بلهم لنتفرج عليهم فطلع الاثنان على الشجرة و نظرا هما فسمعا الشيخ ابراهيم يقول يا سادتي قدتركت الوقار بشرب العقار ولايلذ ذلك الابنغمات الاوتار فقالت له انيس الجليس يا شيخ ابراهيم والله لو كان عندنا شيء من آلات الطرب لكان مرورنا كاملا فلما سمع الشيخ ابراهيم كلام الجارية نهض قائما على قدميه فقال الخليفة لجعفر يا ترى ايش رائح يعمل فقال جعفر لا ادري فغاب الشيخ ابراهيم و عاد ومعه عود فتامله الخليفة فاذا هو عود ابي اسحاق الفديم فقال الخليفة والله ان غنت هذه الجارية وحشا لا صلبنكم كلكم و ان غنت مليحا فاني عفوت عنهم و اصلبك انت فقال جعفر اللهم اجعلها تغني وحشا فقال الخليفة لاي شيء فقال لاجل ان تصلبنا كلنا نؤنس بعضنا البعض فضحك الخليفة من كلامه ثم ان الجارية اخذت العود وافتقدته

Digitized by Google

يحصل لنا بها خيرا فى الدنيا و الآخرة و في هذا الامر مصالح له بحضورى عنده و يفرح الشيخ ابراهيم فقال جعفر يا امير المؤمنين الوقت امسى و هم الساعة على فروغ فقال الخليفة لابد من الرواح عندهم فسكت جعفر و تحير و بقي لايدرى مايفعل فنهض الخليفة على قدميه وبقي جعفر بين يديه ومعهما مسرور الخادم و مشوا الثلثة متنكرين و نزلوا من قصر الخلافة و جعلوا يشقون فى الازقات و هم في زي التجار الى ان و صلوا الى باب البستان المذكور فتقدم الخليفة فراى باب البستان مفتوحا فتعجب و قال انظر يا جعفر الشيخ ابراهيم كيف خلى الباب مفتوحا الى هذا الوقت وما هي عادته ثم انهم دخلوا الى ان انتهوا الى آخر البستان و وقفوا تحت القصر فقال الخليفة يا جعفر اريد ان اتسلل عليهم قبل ان اطلع لهم حتى انظر اىّ شئ هم فيه و انظر الى المشائخ فاني الى الآن لم اسمع لهم حسا ولا فقيرا يذكرالله ثم ان الخليفة نظر فراى شجرة جوز عالية فقال يا جعفر اريد ان اطلع على هذه الشجرة فان فروعها قريبة من الشبابيك و انظر اليهم ثم ان الخليفة طلع فوق الشجرة ولم يزل يتعلق من فرع الى فرع الى ان طلع على الفرع الذي يقابل الشبّاك و قعد فوقه و نظر من شباك القصر فراى صبية وصبيا كانهما قمران سبحان من خلقهما وصوّرهما وراى الشيخ ابراهيم قاعدا وفي يده قدح وهو يقول يا ست الملاح الشرب بلا طرب ما هو فلاح فاني سمعت الشاعر يقول شعرا

اَدِرْهَا بِالْكَبِيْرِ وَ بِالصَّغِيْرِ وَ خُذْهَا مِنْ يَدِ الْقَمَرِ الْمُنِيْرِ
وَ لَا تَشْرَبْ بِلَا طَرَبٍ فَاِنِّيْ رَاَيْتُ الْخَيْلَ تَشْرَبُ بِالصَّفِيْرِ

فلما عاين الخليفة من الشيخ ابراهيم هذه الفعال قام عرق الغضب

Digitized by Google

فراى قصر البستان يرهج من تلك الشموع والقناديل فقال عليّ لجعفر البرمكي فما كان الاوقد حضر بين يدي اميرالمؤمنين فقال له يا كلب الوزراء اتاخذ مني مدينة بغداد ولا تعلمني فقال له جعفر ايش هذا الكلام فقال له لولا ان مدينة بغداد اخذت مني ما كان قصرالتماثيل يتوقد بالقناديل والشموع وانفتحت شبابيكه ويلك من الذي يستجري يفعل هذه الفعال الا ان تكون اخذتَ الخلافة مني فقال جعفر وقد ارتعدت فرائصه ومن اخبرك بان قصرالتماثيل موقود وفتحت شبابيكه فقال له تقدم عندي وانظر فتقدم جعفر عند الخليفة ونظرنا حية البستان فوجدالقصر يشتعل بالمصابيح في حندس الظلام فاراد جعفر ان يعتذرعن الشيخ ابراهيم الخولي ربما يكون هذا الامر باذنه لماراى فيه من المصلحة فقال يا اميرالمؤمنين كان الشيخ ابراهيم في الجمعة التي مضت قال لي ياسيدي جعفر اني اشتهي ان افرح اولادي في حياة اميرالمؤمنين وحياتك فقلت له وايش تحتاج فقال لي تاخذ لي مرسوما من الخليفة باني اطاهر اولادي في القصر فقلت له رح طاهرهم وانا اجتمع بالخليفة واعلمه بذلك فراح من عندي على هذا الحال ونسيت ان اعلمك فقال الخليفة يا جعفر كان لك عندي ذنب واحد فصار لك عندي ذنبان لانك اخطأت من وجهين الوجه الاول انك ما اعلمتني بذلك والوجه الثاني انك ما بلغت الشيخ ابراهيم مقصوده فانه ما جاء اليك وقال لك هذا الكلام الا تعريضا لطلب شيء من المال يستعين به فلا اعطيته شيأ ولا اعلمتني فقال جعفر يا اميرالمؤمنين نسيت فقال الخليفة وحق آبائي واجدادي ما اتم بقية ليلتي الا عنده فانه رجل صالح يقوم بالمشائخ والفقراء ويعزمهم ويكونون مجتمعين عنده عسى دعوة واحد منهم

Digitized by Google

حيله فقال له يا شيخ ابراهيم ايش هذا انا ما حلفت عليك من ساعة فابيت و قلت انا لي ثلثة عشر سنة ما فعلته فقال الشيخ ابراهيم و قد استحيى و الله مالي ذنب الا هي قالت لي فضحك نورالدين و قعدوا للمنادمه فالتفتت الجارية و قالت لسيدها سرا فيما بينهما يا سيدي اشرب ولا تحلف على الشيخ ابراهيم حتى افرجك عليه فجعلت الجارية تملأ وتسقي سيدها و سيدها يملأ ويسقيها ولم يزالا كذلك مرة بعد مرة فنظر لهما الشيخ ابراهيم و قال لهما ايش هذه المعاشرة لعن الله من فيها بطنا في دورنا ما تسقيني يا اخي ايش هذا الحال يا مبارك فضحكا من كلامه حتى استلقيا على ظهورهما ثم شربا وسقياه ولا زالوا في المنادمة الى ثلث الليل فعند ذلك قالت الجارية يا شيخ ابراهيم عن اذنك هل اقوم واوقد شمعة من هذا الشمع المصفوف فقال لها قومي ولا توقدي الا شمعة و احدة فنهضت على قدميها و ابتدأت من اول الشمع الى ان اوقدت الثمانين شمعة ثم قعدت و بعد ذلك قال نورالدين يا شيخ ابراهيم و انا ايش تسمي عندك اما تخليني اوقد قنديلا من هذه القناديل فقال له الشيخ ابراهيم قم و اوقد قنديلا و احدا ولا تتثاقل انت الآخر فقام و ابتدأ من اولها الى ان اوقد الثمانين قنديلا فعند ذلك رقص المكان فقال لهما الشيخ ابراهيم و قد غلب عليه السكر انتما اجرع مني ثم انه نهض على قدميه و فتح الشبابيك جميعا و جلس و ايا هما يتنا دمون ويتناشدون الاشعار و قد ارهج بهم المكان فقدر الله القادر على كل شيء وجعل لكل شيء له سببا ان الخليفة في تلك الساعة تفقد و نظر الى الشبابيك التي في ناحية الدجلة في ضوء القمر فنظر ضوء القنديل والشموع في البحر ساطعا فلاحت من الخليفة التفاتة

Digitized by Google

فقال الشيخ ابراهيم مالي انا قاعد بعيدا ومالي لا اقعد عندهما واي وقت التقي في حضرتي مثل هذين الاثنين اللذين كانهما قمران ثم ان الشيخ ابراهيم تقدم وقعد في طرف الايوان فقال له نورالدين علي يا سيدي بحياتي عليك تقدم عندنا فتقدم الشيخ ابراهيم اليهما فملأ نورالدين قدحا ونظر الى الشيخ ابراهيم وقال له اشرب حتى تنظر ايش طعمه فقال الشيخ ابراهيم اعوذ بالله ان لي ثلثة عشر سنة ما نعلت شيئا من ذلك فتغافل عنه نورالدين وشرب القدح ورمى روحه على الارض واظهر انه غلب عليه السكر فعند ذلك نظرت اليه انيس الجليس وقالت له يا شيخ ابراهيم انظر هذا كيف عمل معي قال لها يا ستي ما له قلت دائما يعمل معي هكذا فيشرب ساعة وينام وابقى انا وحدي ما التقي لي نديما ينادمني على قد حي ولا من اغني له على قدحه فقال لها الشيخ ابراهيم وقد حنت اعضاؤه ومالت نفسه من كلامها اليها وقال والله ما هذا طيب ثم ان الجارية ملأت قدحا ونظرت الى الشيخ ابراهيم وقالت له بحياتي الا ما اخذته وشربته ولا تردده واجبر قلبي فمد الشيخ ابراهيم يده واخذ القدح وشربه وملأت له ثانيا وجعلـــه على الشمعة وقالت له يا سيدي بقي لك هذا فقال لها والله لا اقدر ان اشربه يكفيني الذي شربته فقالت له والله لا بد منه فاخذ القدح وشربه ثم اعطتـــه الثالث فاخذه واراد ان يشربه واذا بنورالدين همّ وقعد على حيله وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة السابعة والثلثون

قالت بلغني ايها الملـك السعيد ان نورالدين علي قام وقعد على

Digitized by Google

الاشجار وقد حملت سائر الاثمار ثم التفت نورالدين الى الشيخ ابراهيم وقال له يا شيخ ابراهيم ما عندك شيٌ من الشراب لان الناس يشربون بعد ان يا كلوا فاتاه الشيخ ابراهيم بماء حلو بارد عذب فقال له ياشيخ ابراهيم ما هذا الشراب الذي اريده فقال له لعلك تريد الخمرة فقال له نورالدين نعم فقال اعوذ بالله منها ان لي ثلثة عشر سنة ما فعلت ذلك لان النبي صلى الله عليه و سلم لعن شاربه وعاصره و بائعه و مبتاعه فقال له نورالدين اسمع مني كلمتين قال له قل فقال هذا الحمار الملعون اذا لعن هل يصيبك من لعنته شيٌ قال لا قال خذ هذا الدينار و هذين الدرهمين و اركب هذا الحمار وقف الى بعيد وايّ من وجدته يشترى فناد عليه و قل له خذ هذين الدرهمين و اشتر لي بهذا الدينار خمرا و احمله على الحمار ولا تكن انت حملته ولا اشتريته ولا اصابك منه شيٌ فقال الشيخ ابراهيم و قد ضحك من كلامه و الله يا ولدي ما رايت اظرف منك ولا احلى من كلامك ثم ان الشيخ ابراهيم فعل ما قاله نورالدين فشكره على ذلك و قال له نحن صرنا محسوبين عليك و ما عليك الا الموافقه تحضر لناما نحتاج اليه فقال الشيخ ابراهيم يا ولدي هذا كراري قد امك و هو الحاصل المعد لامير المؤمنين فادخله وخذ منه ما شئت فان فيه فوق ما تريد فدخل نورالدين الحاصل فراى فيه اواني من الذهب و الفضة و البلور مرصعة با صناف الجواهر فاخرجها و رصّها و سكب الخمرة في البواطي و القناني و فرح بماراى و اندهش و اتى لهما الشيخ ابراهيم بالفاكهة و المشموم ثم ان الشيخ راح و قعد بعيد اعنهما فشربا و انبسطا و قد تحكم معهما الشرابُ و احمرت خدودهما وتغازلت عيونهما و اسبلت شعورهما و تبدلت الوانهما

Digitized by Google

هذا البستان لمن قال يا ولدي هذا البستان ورثته من اهلي وما كان قصد الشيخ ابراهيم بهذا الكلام الا ان يطمئنا و يعبرا البستان فلما سمع نورالدين كلامه شكره و قام هو و جاريته والشيخ ابراهيم قدامهما فدخلوا البستان فاذا هو بستان واي بستان بابه مقنطر كانه ايوان عليه كروم و اعنابه مختلفة الالوان الاحمر كانه يا قوت والاسود كانه آبنوس فدخلوا تحت عريشة فوجدوا فيها الاثمار صنوانا و غير صنوان و الاطيار على الاغصان تغرد بالالحان و الهزار يرجع الافنان والقمري قد ملأ بصوته المكان والشحرور في تغريده كانه انسان والفاخت كانه شارب نشوان والاشجار قد كملت الاثمار من كل مأكول و من كل فاكهة زوجان والمشمش ما بين كافوري ولوزي و خراسان والبرقوق كانه لون الحسان والقراصية تقمع صغر الاسنان والتين قد فرق احمره و ابيضه لونان و الزهر كانه اللؤلؤ و المرجان والورد يفضح بحمرته خدود الحسان والبنفسج كانه كبريت علق عليه بالليل النيران والآس والمنثور والحدام مع شقائق النعمان وتكللت تلك الاوراق بمدامع الغمام و ضحك ثغر الاقحوان وصار النرجس ناظرا الى الورد بعيون السودان والاترج كانه اكواب و الليمون كبنادق من ذهب و فرشت الارض بالزهر من سائر الالوان و اقبل الربيع فاشرق بهجته المكان والنهر في خرير والطير في هدير والريح في صفير لاعتدال الزمان ثم دخل بهما الشيخ ابراهيم القاعة المعلقة فنظروا الى حسن تلك القاعة و تلك الشموع المذكورة التي في تلك الشبابيك فتذكر نورالدين المقامات التي مضت له فقال والله ان هذا مقام مليح ثم انهما جلسا فقدم لهما الشيخ ابراهيم اكلا فاكلا كفايتهما ثم غسلا ايديهما وتقدم نورالدين الى شباك من تلك الشبابيك و زعق على جاريته فاتت اليه فصارا ينظران الى

ASHMOLEAN OXFORD Digitized by Google

وسطه شمعدان كبير من الذهب فاذا دخله الخليفة امر الجواري ان تفتح الشبابيك وامر باسحاق بن ابراهيم النديم والجواري ان يغنوا فينشرح صدره ويزول همه وكان للبستان خولي شيخ كبير يقال له الشيخ ابراهيم وكان اذا خرج يقضي حاجته يجد المتفرجين معهم القحاب فيغضب غضبا شديدا فصبر الشيخ ابراهيم حتى جاء عنده الخليفة في بعض الايام فاعلمه بذلك فقال الخليفة اي من اصبته على باب البستان افعل معه ما اردت فلما كان ذلك اليوم خرج الشيخ ابراهيم الخولي لقضاء حاجة عرضت له فوجد الاثنين نائمين على باب البستان مغطيين بازار واحد فقال والله طيب هؤلاء ما عرفا ان الخليفة اعطاني اذن ومرسوم ان كل من لقيته هنا اقتله ولكن انا اضرب هذين ضربا شنيعا حتى لا يتقرب احد من باب البستان وقطع جريدة خضراء وخرج الى عندهما وشال يده حتى بان عن بياض ابطه واراد ضربهما فتفكر في نفسه وقال يا ابراهيم كيف تضربهما ولم تعرف حالهما وقد يكونان غريبين او من ابناء السبيل ورمتهما المقادير هنا فانا اكشف وجوههما وانظر اليهما فشال الازار عن وجوههما وقال هذان حسنان لا ينبغي ان اضربهما فغطى وجوههما وتقدم لرجل نورالدين علي وجعل يكبسها ففتح عينه فوجد عند رجليه شيخا كبيرا عليه هيبة ووقار فاستحى نورالدين علي ولم رجليه وقعد على حيله واخذ يد الشيخ ابراهيم وباسها فقال الشيخ له يا ولدي انت من اين فقال يا سيدي نحن غرباء وفرت الدمعة من عينيه فقال الشيخ ابراهيم يا ولدي اعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم اوصى على اكرام الغريب ثم قال له يا ولدي ما تقوم تعبر الى البستان وتتفرج فيه وينشرح صدرك فقال له نورالدين ياسيدي

Digitized by Google

فلما راى الخليفة ارتعدت فرائصه وقال و الله يا اميرالمومنين ما فعلته استهزاء بالمرسوم و لكن الفقر و العيلة قد حملاني على ما ترى فقال الخليفة اسطك على اسمي فتقدم الصياد و قد فرح و طرح الشبكة و صبر حتى اخذت حدها و ثبتت في القرار ثم جذبها اليه فطلع فيها من انواع السمك ففرح بذلك الخليفة فقال يا كريم اقلع ثيابك فقلع ثيابه وكانت عليه جبة فيها مائة رقعة من الصوف الخشن و فيها من القمل المذنّب و قلع من على راسه عمامة وكان لها ثلث سنين ما حلها الاكل ما راى خرقة خيطها عليها فلما قلع الجبة و العمامة خلع الخليفة من فوق جسمه ثوبين سكندري و بعلبكي من حرير و ملوطة و فرجية ثم قال للصياد خذهم و البسهم ولبس الخليفة جبة الصياد وعمامته و ضرب له لثام ثم قال للصياد رح انت الى شغلك فقبل رجل الخليفة و شكره وجعل يقول شعرا

اوليتني نعمى ابوح بشكرها وكفيتني كل الامور باسرها
فلاشكرنك ما حييت وان امت شكرتك مني اعظمي في قبرها

فما فرغ الصياد من شعره حتى دب القمل على جلد الخليفة فصار يقبض بيده اليمين والشمال من على رقبته ويرميه ثم قال يا صياد ويلك ما هذا الا قمل كثير في هذه الجبة فقال يا سيدي هذه الساعة يؤلمك فاذا مضت عليك جمعة لا تحس به و لا تفكر فيه فضحك الخليفة وقال له ويلك انا اخلي هذه الجبة على جسدي فقال الصياد اني اشتهي اقول لك كلاما فقال له قل ما عندك فقال له خطر ببالي يا اميرالمومنين لما اردت ان تتعلم الصيد لاجل ما يبقى في يدك صنعة تنفعك فينا سبك هذه الجبة

Digitized by Google

و اضحكت اوتارة و ضربت ضربا فتشوقت القلوب اليها ثم انشدت وجعلت تقول شعرا

يَا نَاصِرِينَ مَسَاكِينًا مُحِبِّينَا   نَارُ المَحَبَّةِ وَ الاَشْوَاقِ تَكْوِينَا
مَهْمَا فَعَلْتُمْ فَكُنَّا مُسْتَحِقِّينَا   نَحْنُ اسْتَجَرْنَا بِكُمْ لَا تُشْمِتُوا فِينَا
فَاِنَّنَا اَهْلُ ذُلٍّ ثُمَّ مَسْكَنَةٍ   مَهْمَا تَشَاءُوهُ فِيهَا فَافْعَلُوا فِينَا
مَا الفَخْرُ اَنْ تَقْتُلُونَا فِي مَنَازِلِكُمْ   وَ اِنَّمَا خَوْفُنَا اَنْ تَأْثَمُوا فِينَا

فقال الخليفة و الله طيب يا جعفر عمري ماسمعت صوتا مطربا مثل هذا فقال جعفر لعل الخليفة ذهب ما عنده من الغيظ قال نعم ذهب ثم نزل من فوق الشجرة هو و جعفر ثم التفت الى جعفر و قال اريد ان اطلع واجلس عندهم واسمع الصبية تغني قدامي فقال يا اميرالمؤمنين اذا طلعت عليهم ربما تكدروا واما الشيخ ابراهيم فيموت من الخوف فقال الخليفة يا جعفر لا بد ان تعرفني ان اتحيل عليهم بحيلة وادخل عليهم من غيران يشعروا بي ثم ان الخليفة وجعفر ذهبا الى ناحية الدجلة و هما متفكران في هذا الامر واذا بصياد و اقف يصطاد تحت شبابيك القصر وكان الخليفة سابقا زعق على الشيخ ابراهيم وقال له ما هذا الحس الذي سمعته تحت شبابيك القصر فقال له الشيخ ابراهيم صوت صيادين السمك فقال انزل وامنعهم من ذلك الموضع فامتنعت الصيادون من ذلك الموضع فلما كانت تلك الليلة جاء صياد سمك يسمى كريما وراى باب البستان مفتوحا فقال في نفسه هذا وقت غفلة الخليفة في هذا الوقت صيد السمك ثم اخذ شبكته و طرحها في البحر واذا بالخليفة وحده واقف على راسه فعرفه الخليفة فقال له يا كريم فالتفت اليه لما سمعه يسميه باسمه

Digitized by Google

بين عينيه و نزل و قال يا جعفر انا ما رايت الصالحين على هذا الحال ابدا فاطلع انت الآخر على هذه الشجرة و انظر لئلا تفوتك بركات الصالحين فلما سمع جعفر كلام امير المؤمنين صار متحيرا في امره و صعد الى اعلا الشجرة و اذا به نظر فراى نورالدين و الشيخ ابراهيم و الجارية وكان الشيخ ابراهيم في يده القدح فلما عاين جعفر تلك الحالة ايقن بالهلاك ونزل و وقف بين يدي امير المؤمنين فقال له الخليفة يا جعفر الحمد لله الذي جعلنا من المتبعين لظاهر الشريعة فلم يقدر جعفر يتكلم من شدة الخجل ثم نظر الخليفة الى جعفر وقال يا ترى من او صل هؤلاء الى هذا المكان ومن اد خلهم قصري و لكن مثل حسن هذا الصبي و هذه الصبية ما رأت عيني قط فقال جعفر وقد استرجى رضاء الخليفة هرون الرشيد صدقت يا مولانا السلطان فقال يا جعفر اطلع بنا الى هذا الفرع الذي هو معنا بلهم لنتفرج عليهم فطلع الاثنان على الشجرة و نظرا هما فسمعا الشيخ ابراهيم يقول يا سادتي قد تركت الوقار بشرب العقار ولايلذ ذلك الابنغمات الاوتار فقالت له انيس الجليس يا شيخ ابراهيم والله لو كان عندنا شيء من آلات الطرب لكان سرورنا كاملا فلما سمع الشيخ ابراهيم كلام الجارية نهض قائما على قدميه فقال الخليفة لجعفر يا ترى ايش رائح يعمل فقال جعفر لا ادري فغاب الشيخ ابراهيم و عاد ومعه عود فتامله الخليفة فاذا هو عود ابي اسحاق الفديم فقال الخليفة والله ان غنت هذه الجارية وحشا لا صلبنكم كلكم و ان غنت مليحا فاني عفوت عنهم و اصلبك انت فقال جعفر اللهم اجعلها تغني وحشا فقال الخليفة لاي شيء فقال لاجل ان تصلبنا كلنا نؤنس بعضنا البعض فضحك الخليفة من كلامه ثم ان الجارية اخذت العود وافتتحته

Digitized by Google

يحصل لنا بها خيرا فى الدنيا و الآخرة و في هذا الامر مصالح له بحضورى عنده و يفرح الشيخ ابراهيم فقال جعفر يا امير المؤمنين الوقت امسى و هم الساعة على فروغ فقال الخليفة لابد من الرواح عندهم فسكت جعفر و تحير و بقي لايدرى مايفعل فنهض الخليفة على قدميه وبقي جعفر بين يديه ومعهما مسرور الخادم و مشوا الثلثة متنكرين و نزلوا من قصر الخلافة و جعلوا يشقون فى الازقات و هم في زي التجار الى ان و صلوا الى باب البستان المذكور فتقدم الخليفة فراى باب البستان مفتوحا فتعجب و قال انظر يا جعفر الشيخ ابراهيم كيف خلى الباب مفتوحا الى هذا الوقت وما هي عادته ثم انهم دخلوا الى ان انتهوا الى آخر البستان و وقفوا تحت القصر فقال الخليفة يا جعفر اريد ان اتسلل عليهم قبل ان اطلع لهم حتى انظر اىّ شئ هم فيه و انظر الى المشائخ فاني الى الآن لم اسمع لهم حسا ولا نفيرا يذكرالله ثم ان الخليفة نظر فراى شجرة جوز عالية فقال يا جعفر اريد ان اطلع على هذه الشجرة فان فروعها قريبة من الشبابيك و انظر اليهم ثم ان الخليفة طلع فوق الشجرة ولم يزل يتعلق من فرع الى فرع الى ان طلع على الفرع الذي يقابل الشبّاك و قعد فوقه و نظر من شباك القصر فراى صبية وصبيا كانهما قمران سبحان من خلقهما وصوّرهما وراى الشيخ ابراهيم قاعدا وفي يده قدح وهو يقول يا ست الملاح الشرب بلا طرب ما هو فلاح فاني سمعت الشاعر يقول شعرا

اَدِرْهَا بِالْكَبِيْرِ وَ بِالصَّغِيْرِ وَ خُذْهَا مِنْ يَدِ الْقَمَرِ الْمُنِيْرِ
وَ لَا تَشْرَبْ بِلَا طَرَبٍ فَاِنِّي رَاَيْتُ الْخَيْلَ تَشْرَبُ بِالصَّفِيْرِ

فلما عاين الخليفة من الشيخ ابراهيم هذه الفعال قام عرق الغضب

Digitized by Google

فراى قصر البستان يرهج من تلك الشموع والقناديل فقال عليّ بجعفر البرمكي فما كان الاوقد حضر بين يدي اميرالمؤمنين فقال له يا كلب الوزراء اتاخذ مني مدينة بغداد ولا تعلمني فقال له جعفر ايش هذا الكلام فقال له لولا ان مدينة بغداد اخذت مني ما كان قصرالتماثيل يتوقد بالقناديل والشموع وانفتحت شبابيكه ويلك من الذي يستجري يفعل هذه الفعال الا ان تكون اخذتَ الخلافة مني فقال جعفر وقد ارتعدت فرائصه ومن اخبرك بان قصرالتماثيل موقود و فتحت شبابيكه فقال له تقدم عندي وانظر فتقدم جعفر عند الخليفة ونظرنا حية البستان فوجدالقصر يشتعل بالمصابيح في حندس الظلام فاراد جعفر ان يعتذرعن الشيخ ابراهيم الخولي ربما يكون هذا الامر باذنه لماراى فيه من المصلحة فقال يا اميرالمؤمنين كان الشيخ ابراهيم في الجمعة التي مضت قال لي ياسيدي جعفر اني اشتهي ان افرح اولادي في حياة اميرالمؤمنين وحياتك فقلت له وايش تحتاج فقال لي تاخذ لي مرسوما من الخليفة باني اطاهر اولادي في القصر فقلت له رح طاهرهم وانا اجتمع بالخليفة واعلمه بذلك فراح من عندي على هذا الحال ونسيت ان اعلمك فقال الخليفة يا جعفر كان لك عندي ذنب واحد فصار لك عندي ذنبان لانك اخطأت من وجهين الوجه الاول انك ما اعلمتني بذلك والوجه الثاني انك ما بلغت الشيخ ابراهيم مقصوده فانه ما جاء اليك وقال لك هذا الكلام الا تعريضا لطلب شيء من المال يستعين به فلا اعطيته شيأ ولا اعلمتني فقال جعفر يا اميرالمؤمنين نسيت فقال الخليفة وحق آبائي واجدادي ما اتم بقية ليلتي الا عنده فانه رجل صالح يقوم بالمشائخ والفقراء ويعزمهم ويكونون مجتمعين عنده عسى دعوة واحد منهم

Digitized by Google

حيله فقال له يا شيخ ابراهيم ايش هذا انا ما حلفت عليك من ساعة فابيت و قلت انا لي ثلثة عشر سنة ما فعلته فقال الشيخ ابراهيم و قد استحيى و الله مالي ذنب الا هي قالت لي فضحك نورالدين و قعدوا للمنادمه فالتفتت الجارية و قالت لسيدها سرا فيما بينهما يا سيدي اشرب ولا تحلف على الشيخ ابراهيم حتى افرجك عليه فجعلت الجارية تملأ وتسقي سيدها و سيدها يملأ ويسقيها ولم يزالا كذلك مرة بعد مرة فنظر لهما الشيخ ابراهيم و قال لهما ايش هذه المعاشرة لعن الله من فيها بطنا في دورنا ما تسقيني يا اخي ايش هذا الحال يا مبارك فضحكا من كلامه حتى استلقيا على ظهورهما ثم شربا وسقياه ولا زالوا في المنادمة الى ثلث الليل فعند ذلك قالت الجارية يا شيخ ابراهيم عن اذنك هل اقوم واوقد شمعة من هذا الشمع المصفوف فقال لها قومي ولا توقدي الا شمعة و احدة فنهضت على قدميها و ابتدأت من اول الشمع الى ان اوقدت الثمانين شمعة ثم قعدت و بعد ذلك قال نورالدين يا شيخ ابراهيم و انا ايش تسمي عندك اما تخليني اوقد قنديلا من هذه القناديل فقال له الشيخ ابراهيم قم و اوقد قنديلا و احدا ولا تتثاقل انت الآخر فقام و ابتدأ من اولها الى ان اوقد الثمانين قنديلا فعند ذلك رقص المكان فقال لهما الشيخ ابراهيم و قد غلب عليه السكر انتما اجرع مني ثم انه نهض على قدميه و فتح الشبابيك جميعا و جلس و ايا هما يتنا دمون ويتناشدون الاشعار و قد ارهج بهم المكان فقدر الله القادر على كل شيء وجعل لكل شيء له سببا ان الخليفة في تلك الساعة تفقد و نظر الى الشبابيك التي في ناحية الدجلة في ضوء القمر فنظر ضوء القنديل والشموع في البحر ساطعا فلاحت من الخليفة التفاتة

Digitized by Google

فقال الشيخ ابراهيم مالي انا قاعد بعيدا و مالي لا اقعد عندهما و ايّ وقت التقي في حضرتي مثل هذين الاثنين اللذين كانهما قمران ثم ان الشيخ ابراهيم تقدم وقعد في طرف الايوان فقال له نورالدين علي يا سيدي بحياتي عليك تقدم عندنا فتقدم الشيخ ابراهيم اليهما فملأ نورالدين قدحا و نظر الى الشيخ ابراهيم و قال له اشرب حتى تنظر ايش طعمه فقال الشيخ ابراهيم اعوذ بالله ان لي ثلثة عشر سنة ما فعلت شيئا من ذلك فتغافل عنه نورالدين و شرب القدح و رمى روحه على الارض و اظهر انه غلب عليه السكر فعند ذلك نظرت اليه انيس الجليس و قالت له يا شيخ ابراهيم انظر هذا كيف عمل معي قال لها يا ستي ما له قالت دائما يعمل معي هكذا فيشرب ساعة وينام و ابقى انا وحدي ما التقي لي نديما ينادمني على قد حي ولا من اغني له على قدحه فقال لها الشيخ ابراهيم وقد حنت اعضاؤه و مالت نفسه من كلامها اليها وقال و الله ما هذا طيب ثم ان الجارية ملأت قدحا و نظرت الى الشيخ ابراهيم وقالت له بحياتي الا ما اخذته و شربته ولا ترده و اجبر قلبي فمد الشيخ ابراهيم يده و اخذ القدح و شربه و ملأت له ثانيا وجعلـــه على الشمعة و قالت له يا سيدي بقي لك هذا فقال لها والله لا اقدر ان اشربه يكفيني الذي شربته فقالت له و الله لا بد منه فاخذ القدح و شربه ثم اعطتـــه الثالث فاخذه و اراد ان يشربه واذا بنورالدين همّ و قعد على حيله و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة السابعة والثلثون

قالت بلغني ايها الملـك السعيد ان نورالدين علي قام وقعد على

Digitized by Google

الاشجار وقد حملت سائر الاثمار ثم التفت نورالدين الى الشيخ ابراهيم وقال له يا شيخ ابراهيم ما عندك شيٌ من الشراب لان الناس يشربون بعد ان يأكلوا فاتاه الشيخ ابراهيم بماء حلو بارد عذب فقال له ياشيخ ابراهيم ما هذا الشراب الذي اريده فقال له لعلك تريد الخمرة فقال له نورالدين نعم فقال اعوذ بالله منها ان لي ثلثة عشر سنة ما فعلت ذلك لان النبي صلى الله عليه و سلم لعن شاربه وعاصره و بائعه و مبتاعه فقال له نورالدين اسمع مني كلمتين قال له قل فقال هذا الحمار الملعون اذا لعن هل يصيبك من لعنته شيٌ قال لا قال خذ هذا الدينار و هذين الدرهمين و اركب هذا الحمار وقف الى بعيد وايّ من وجدته يشترى فناد عليه و قل له خذ هذين الدرهمين و اشتر لي بهذا الدينار خمرا و احمله على الحمار ولا تكن انت حملته ولا اشتريته ولا اصابك منه شيٌ فقال الشيخ ابراهيم و قد ضحك من كلامه و الله يا ولدي ما رايت اظرف منك ولا احلى من كلامك ثم ان الشيخ ابراهيم فعل ما قاله نورالدين فشكره على ذلك و قال له نحن صرنا محسوبين عليك و ما عليك الا الموافقه تحضر لنا ما نحتاج اليه فقال الشيخ ابراهيم يا ولدي هذا كراري قدامك و هو الحاصل المعد لامير المؤمنين فادخله وخذ منه ما شئت فان فيه فوق ما تريد فدخل نورالدين الحاصل فراى فيه اواني من الذهب و الفضة و البلور مرصعة با صناف الجواهر فاخرجها و رصّها و سكب الخمرة فى البواطي و القناني و فرح بما راى و اندهش و اتى لهما الشيخ ابراهيم بالفاكهة و المشموم ثم ان الشيخ راح و قعد بعيد اعنهما فشربا و انبسطا و قد تحكم معهما الشرابُ و احمرت خدودهما وتغازلت عيونهما و اسبلت شعورهما و تبدلت الوانهما

Digitized by Google

هذا البستان لمن قال يا ولدي هذا البستان ورثته من اهلي وما كان قصد الشيخ ابراهيم بهذا الكلام الا ان يطمئنا و يعبرا البستان فلما سمع نورالدين كلامه شكره و قام هو و جاريته والشيخ ابراهيم قدامهما فدخلوا البستان فاذا هو بستان وايّ بستان بابه مقنطر كانه ايوان عليه كروم و اعنابه مختلفة الالوان الاحمر كانه يا قوت والاسود كانه آبنوس فدخلوا تحت عريشة فوجدوا فيها الاثمار صنوانا و غير صنوان و الاطيار على الاغصان تغرد بالالحان و الهزار يرجع الافنان والقمري قد ملأ بصوته المكان والشحرور في تغريده كانه انسان والفاخت كانه شارب نشوان والاشجار قد كملت الاثمار من كل مأكول و من كل فاكهة زوجان والمشمش ما بين كافوري ولوزي و خراسان والبرقوق كانه لون الحسان والقراصية تقمع صغر الاسنان والتين قد فرق احمرة و ابيضه لونان و الزهر كانه اللؤلؤ و المرجان والورد يفضح بحمرته خدود الحسان والبنفسج كانه كبريت علق عليه بالليل النيران والآس والمنثور والحدام مع شقائق النعمان وتكللت تلك الاوراق بمدامع الغمام و ضحك ثغر الاقحوان وصار النرجس ناظرا الى الورد بعيون السودان والاترج كانه اكواب و الليمون كبنادق من ذهب و فرشت الارض بالزهر من سائر الالوان و اقبل الربيع فاشرق بهجته المكان والنهر في خرير والطير في هدير والريح في صفير لاعتدال الزمان ثم دخل بهما الشيخ ابراهيم القاعة المعلقة فنظروا الى حسن تلك القاعة و تلك الشموع المذكورة التي في تلك الشبابيك فتذكر نورالدين المقامات التي مضت له فقال والله ان هذا مقام مليح ثم انهما جلسا فقدم لهما الشيخ ابراهيم اكلا فاكلا كفايتهما ثم غسلا ايديهما وتقدم نورالدين الى شبّاك من تلك الشبابيك و زعق على جاريته فاتت اليه فصارا ينظران الى

ASHMOLEAN OXFORD
Digitized by Google

وسطه شمعدان كبير من الذهب فاذا دخله الخليفة امر الجواري ان تفتح الشبابيك وامر باسحاق بن ابراهيم النديم والجواري ان يغنوا فينشرح صدره ويزول همه وكان للبستان خولي شيخ كبير يقال له الشيخ ابراهيم وكان اذا خرج يقضي حاجته يجد المتفرجين معهم القحاب فيغضب غضبا شديدا فصبر الشيخ ابراهيم حتى جاء عنده الخليفة في بعض الايام فاعلمه بذلك فقال الخليفة اي من اصبته على باب البستان افعل معه ما اردت فلما كان ذلك اليوم خرج الشيخ ابراهيم الخولي لقضاء حاجة عرضت له فوجد الاثنين نائمين على باب البستان مغطيين بازار واحد فقال والله طيب هؤلاء ما عرفا ان الخليفة اعطاني اذن ومرسوم ان كل من لقيته هنا اقتله ولكن انا اضرب هذين ضربا شنيعا حتى لا يتقرب احد من باب البستان وقطع جريدة خضراء وخرج الى عندهما وشال يده حتى بان عن بياض ابطه واراد ضربهما فتفكر في نفسه وقال يا ابراهيم كيف تضربهما ولم تعرف حالهما وقد يكونان غريبين او من ابناء السبيل ورمتهما المقادير هنا فانا اكشف وجوههما وانظر اليهما فشال الازار عن وجوههما وقال هذان حسنان لا ينبغي ان اضربهما فغطى وجوههما وتقدم لرجل نورالدين علي وجعل يكبسها ففتح عينه فوجد عند رجليه شيخا كبيرا عليه هيبة ووقار فاستحى نورالدين علي ولم رجليه وتعد على حيله واخذ يد الشيخ ابراهيم وباسها فقال الشيخ له يا ولدي انت من اين فقال يا سيدي نحن غرباء وفرت الدمعة من عينيه فقال الشيخ ابراهيم يا ولدي اعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم اوصى على اكرام الغريب ثم قال له يا ولدي ما تقوم تعبر الى البستان وتتفرج فيه وينشرح صدرك فقال له نورالدين ياسيدي

Digitized by Google

من اي مكان كانا فيه فقالوا السمع و الطاعة ثم نزل الوزير المعين بن ساوى الى بيته وكان خلع عليه السلطان خلعة و اطمأن قلبه وقال له السلطان ما ياخذ بثارك الا انا فدعى له بطول العمر والبقاء ثم ان السلطان امر ان ينادي فى المدينة يا معاشر الناس كافة قد امر مولانا السلطان ان من عثر بعلي نورالدين ابن خاقان وجاء به الى السلطان خلع عليه خلعة و اعطاه الف دينار ومن اخفاه اوعرف مكانه و لم يخبر به فانه يستحق ما يجري له من النكال فوقع الطلب على نورالدين علي فما وجد له حس ولا خبر فهذا ما كان من امرهؤلاء و اما ما كان من امر نورالدين و جاريته فانهما و صلا بالسلامة الى بغداد فقال الرئيس هذه بغداد وهي مدينة امينة قد ولى عنها الشتاء ببرده و اقبل عليها فصل الربيع بورده و ازهرت اشجارها و جرت انهارها فعند ذلك طلع نورالدين علي و جاريته من المركب واعطى للرئيس خمسة دنانير وطلعا من المركب و ساروا قليلا فرمتهما المقادير بين البساتين فجاءا الى مكان فوجداه مكنوسا مرشوشا بمساطب طولانية و قناديل معلقة ملآنة بالماء وفوقه مكعب من القصب بطول الزقاق و في صدر الزقاق باب بستان الا انه مغلوق فقال نورالدين على للجارية و الله ان هذا محل مليح فقالت ياسيدي اقعد بنا ساعة على هذه المساطب ناخذ لنا راحة فطلعا و جلسا على المساطب ثم غسلا وجوههما و ايديهما وضربهما الهواء فناما جلّ من لا ينام وكان هذا البستان يسمى بستان النزهة و فيه قصر يقال له قصر الفرجة والتماثيل و هو للخليفة هارون الرشيد وكان الخليفة اذا ضاق صدره يا تي الى هذا البستان والقصر ويقعد فيه وكان القصر له ثمانون شُبّاكا ومعلق فيها ثمانون قنديلا وفي

Digitized by Google

فيه اربعين دينارا فاخذهم واعطاهم الى نور الدين وقال له يا سيدي خل هذه وسافر بهم ولو كان معي اكثر من ذلك لاعطيتك اياه لكن ما هذا وقت معاتبة فعند ذلك دخل نور الدين على الجارية واعلمها بذلك فتحيلت يديها ثم خرج الاثنان في الوقت الى ظاهر المدينة واسبل الله عليهما ستره ومشيا الى ساحل البحر فوجدا مركبا تجهزت للسفر والرئيس واقف في وسط المركب يقول من بقي له حاجة من زاده او من وداع اهله او من نسي حاجة فليات بها فاننا متوجهون فقال كلهم لم يبق لنا شغل يا رئيس فعند ذلك قال الرئيس لجماعته هيا حلوا الاطراف واقلعوا الاوتاد فقال نور الدين علي الى اين يا رئيس فقال الى دار السلام بغداد وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثلثون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الرئيس لما قال لعلي نور الدين الى دار السلام مدينة بغداد فطلع نور الدين علي وطلعت الجارية معه وعوموا وارخوا القلوع فخرجت المركب كأنها طير بجناحيه كما قال فيها بعضهم واحسن شعر

اُنْظُرْ اِلى مَرْكَبٍ يُسْبِيْكَ مَنْظَرُهُ تُسَابِقُ الرِّيْحَ فِيْ سَيْرٍ وَمَجْرَاءِ
كَاَنَّهُ طَائِرٌ قَدْ مَدَّ اَجْنِحَةً اَتَى مِنَ الْجَوِّ مُنْقَضًّا عَلَى الْمَاءِ

قال فسارت بهم المركب وطاب لهم الريح هذا ماجرى لهؤلاء واما ما جرى للمماليك فانهم جاؤا على بيت الوزير نور الدين علي فكسروا الابواب ودخلوا وطافوا الاماكن فلم يقعوا لهما على خبر فهدموا الدار ورجعوا واعلموا السلطان فقال السلطان اطلبوهما

Digitized by Google

و رماني عـــن الجواد و انا شيخ كبير و ضربني بيده ولكمني حتى تركني كما تراني و انا ما او قعني في هذا كله الا اني جئت اشتري هذه الجارية لك ثم ان الوزير ارمى نفسه على الارض وجعل يبكي ويـ تعد فلما نظر السلطان الى حالته و سمع مقالته قام عرق الغضب بين عينيه ثم التفت الى ارباب الدولة واذا بار بعين رجل ضاربين سيوفا و قفوا بين يديه فقال لهم السلطان انزلوا الساعة الى دار علي بن خاقان و انهبوها و اهدموها و ائتوني به و بالجـارية مكتفين و اسحبوهما على وجوههما و اتوا بهما بين يدي فقالوا له السمع والطاعة ثم انهم لبسوا العدد ونزلوا و هولو على المسير الى دار علي نورالدين وكان عند السلطان حاجب يقال له علم الدين سنجر وكان اولا من مماليك الفضل بن خاقان والد علي نورالدين ثم انتقلت منزلته الى ان عملـــه السلطان حاجبا عنده فلما سمع مرسوم السلطان وراى الاعداء تجهزوا الى قتل ابن سيده ما هان عليه فغاب من قدام السلطان وركب جواده وسار الى ان جاء الى بيت نورالدين علي فطرق الباب فخرج له نورالدين فلما رآه عرفه فقال ياسيدي ما هذا وقت سلام ولا كلام و اسمع ما قال الشـــــــــــــاعر

وَنَفْسَكَ فُزْ بِهَا إِنْ صِبْتَ ضَيْمًا ... وَخَلِّ الدَّارَ تَنْعَى مَنْ بَنَـــاهَا
فَإِنَّكَ وَاجِدٌ أَرْضًـــا بِأَرْضٍ ... وَنَفْسَكَ لَمْ تَجِدْ نَفْسًا سِوَاهَا

فقال نورالدين يا علم الدين ما الخبر فقال له انهض وفز بنفسك انت و الجارية فان المعين بن ساوى نصب لكما شركا ومتى وقعتما في يده قتلكما وقد سير لكما السلطان اربعين ضاربا بالسيف والراي عندي ان تهربا قبل ان يحل الضرر بكما ثم ان سنجر مديده الى صولقه فوجد

Digitized by Google

السلطان و صاح يا ملك الزمان مظلوم مظلوم فاحضروه بين يديه فتامله و اذا به الوزير الكبير فقال له يا وزير من فعل بك هذه الفعال فبكى و انتحب و انشد يقول شعر

اَيَظْلِمُنِي الزَّمَانُ وَاَنْتَ فِيهِ وَتَاْكُلُنِي الذِّيَابُ وَاَنْتَ لَيْثُ
وَيُرْوَى مِنْ حِيَاضِكَ كُلُّ ظَامٍ وَاَظْمَأُ فِي حِمَاكَ وَاَنْتَ غَيْثُ

ثم قال يا سيدي كل من كان يحبك و يخدمك يجري عليه هكذا قال له السلطان ولك عجل و قل لي كيف جرى لك هذا و من فعل بك هذه الفعال و انت حرمتك من حرمتي فقال الوزير اعلم يا سيدي اني خرجت اليوم الى سوق الجواري على اني اشتري جارية طباخة فرايت فى السوق جارية ما رايت احسن طول عمري مثلها فاردت اشتريها لمولانا السلطان فسالت عنها الدلال وعن سيدها فقال الدلال انها لعلي بن الفضل بن خاقان و كان مولانا السلطان اعطى سابقا لابيه عشرة آلاف دينار ليشتري بها جارية مليحة فاشترى تلك الجارية فاعجبته فبخل بها على مولانا السلطان فاعطاها لولده فلما مات ابوه باع ابنه جميع ما عنده من الا ملاك و البساتين و الاواني حتى افلس فنزل بالجارية الى السوق على ان يبيعها و سلمها للدلال فنادى عليها و تزايدت التجار فيها حتى وصلت ثمنها اربعة آلاف دينار فقلت لعقلي اشتري هذه لمولانا السلطان فان ثمنها فى الاصل كان من عنده فقلت يا ولدي خذ ثمنها مني اربعة آلاف دينار فلما سمع كلامي نظر الي و قال يا شيخ النحس انا ابيعها لليهود و النصارى ولا ابيعها لك فقلت انا ما اشتريها لنفسي و انما اشتريها لمولانا السلطان الذي هوولي نعمتنا فلما سمع مني هذا الكلام اغتاظ وجذبني

Digitized by Google

قد اقبل ثم جاء نورالدين الى الدلال ونزع الجارية من يده ولكمها وقال لها ويلك ياكورة نزلت بك السوق لاجل فداء يميني روحي الى البيت ولا تعودي تخالفيني ويلك انا محتاج الى ثمنك حتى ابيعك انا لو بعت اثاث البيت جاء قدر ثمنك مرارا عديدة فلما نظر المعين ابن ساوى الى نورالدين قال له ويلك هل بقي عندك شيء يباع اويشترى ثم ان المعين بن ساوى اراد ان يبطش به فعند ذلك نظر التجار الى نورالدين وكانوا كلهم يحبونه فقال لهم ها انا بين ايديكم وقد عرفتم ظلمه فقال الوزير والله لولا انتم لقتلته ثم اشاروا كلهم الي نورالدين بعين الاشارة افتصل منه وقالوا ما احد منا يدخل بينك وبينه فعند ذلك تقدم نورالدين الى الوزير ابن ساوى وكان نورالدين شجاعا وجذب الوزير من فوق سرجه ورماه على الارض وكان هناك معجنة طين فوقع الوزير في وسطها وجعل يلطمه ويلكمه فجاءت لكمة على اسنانه فاختضبت لحية الوزير بدمه وكان مع الوزير عشرة مماليك فلما راوا سيدهم فعل به هذه الفعال وضعوا ايديهم على مقابض سيوفهم واردوا ان يجردوها ويهجموا على نورالدين علي ليقطعوه واذا بالناس قالوا للمماليك هذا وزير وهذا ابن وزير وربما اصطلحا وقتا آخر فتصيرون مبغوضين عند كل منهما وربما جاءت فيه ضربة فتموتون جميعا اقبح الموتات ومن الراى ان لا تدخلوا بينهما فلما فرغ نورالدين علي من ضرب الوزير اخذ جاريته ومضى الى داره واما الوزير فمضى من ساعته وبقي قماشه ثلثة الوان طين اسود ودم احمر ورماد فلما راى نفسه على هذه الحالة اخذ برشا وجعله في رقبته واخذ في يده عقد تين من خلفه سار الى ان وقف تحت القصر الذي فيه

Digitized by Google

آلاف وخمسمائة دينار فلما سمع التجار ذلك ما قدر واحد منهم ان يزود درهما بل تاخروا لما يعلمون من ظلم الوزير ثم نظر المعين بن ساوى الى الدلال وقال له ايش وقوفك رح وشاور عليّ باربعة آلاف دينار ولك خمسمائة دينار فتقدم الدلال الي نورالدين وقال له يا سيدي راحت الجارية عليك بلا شيٍ فقال له وكيف قال له نحن فتحنا با بها اربعة آلاف دينار وخمسمائة فجاء هذا الظالم المعين بن ساوى وعبر السوق فلما نظر الى الجارية اعجبته وقال لي شاور على اربعة آلاف ولك خمسمائة وما اظنه الا عرف ان الجارية لك وان كان في هذه الساعة يعطيك ثمنها يكون مليحا وانا اعرف من ظلمه انه يكتب لك ورقة حوالة على بعض عماله ثم يرسل خلفك احدا ويقول لهم لاتعطوه شيأ فكلما رحت تطالبهم يقولون الساعة نعطيك ويعملون هذا الامر معك يوما بعد يوم وانت عزيز النفس وبعد ان يضجوا من طلبك لهم يقولون ارنا الورقة فاذا اخذوا الورقة منك قطعوها ويروح منك ثمن الجارية فلما سمع نورالدين علي من الدلال هذا الكلام نظر اليه وقال له كيف يكون هذا العمل فقال له انا اشور عليك بمشورة فان قبلت مني كان لك الحظ الاوفر قال وما هي قال تجيٌ هذه الساعة الى عندي وانا واقف وسط السوق وتاخذ الجارية من يدي وتلطمها وتقول لها ياكورة فديت يميني الذي حلفته ونزلت بك السوق حيث حلفت عليك انه لابد من اخراجك الى السوق ومناداة الدلال عليك فان فعلتَ ذلك ربما تنطلق عليه الحيلة وعلى الناس ويعتقدون انك ما نزلت بها الى السوق الا لاجل ابرار اليمين فقال هذا هو الصواب ثم ان الدلال فارقه وجاء وسط السوق ومسك يد الجارية واشار الى الوزير المعين بن ساوى وقال يامولاى هذا ما لكها

Digitized by Google

فَإِنْ كُنْتُمُو تَلْقَوْنَ فِي ذَاكَ كُلْفَةً دَعُونِي أَمُتْ وَجْدًا وَلَا تَتَكَلَّفُ

ثم مضى ونزل بها الى السوق وسلمها للدلال وقال له يا حاج حسن اعرف قدر ما تنادى عليه فقال الدلال يا سيدي نور الدين الا صول محفوظة ثم قال له هذه ما هي انيس الجليس التي كانت اشتراها والدك مني بعشرة آلاف دينار قال نعم فعند ذلك طلع الدلال الى التجار فوجدهم ما اجتمعوا كلهم فصبر حتى اجتمع سائر التجار و احتبك السوق بسائر اجناس الجواري من تركية و افرنجية و شركسية وحبشية و نوبية و تكرورية و رومية وتترية وجرجية وغير ذلك فلما نظرا لدلال الى السوق قد احتبك تقدم ونهض قائما وقال ياتجاريا ارباب الاموال ما كل مدورة جوزة ولا كل مستطيلة موزة ولا كل حمراء لحمة ولا كل بيضاء شحمة يا تجار معي هذه الدرة اليتيمة التي ما لها قيمة كم انادي عليها فقال واحد من التجار ناد باربعة آلاف دينار و خمسمائة ففتح بابها المنادي اربعة آلاف دينار و خمسمائة و هو يقول هذا الكلام و اذا بالوزير المعين ابن ساوى في السوق عابر فنظر الى نور الدين علي و اقفا في طرف السوق فقال في نفسه مابال ابن خاقان واقفا ههنا لعله مع هذا العلق شيء يشتري به الجواري ثم نظر بعينه فسمع المنادي و هو واقف ينادي في السوق والتجار حوله فقال الوزير في نفسه ما اظنه الا افلس و نزل بالجارية انيس الجليس ليبيعها ثم قال في نفسه يا بَرْدَها على قلبي ثم دعا المنادي فاقبل عليه و قبل الارض بين يديه فقال اني اريد هذه الجارية التي تنادي عليها فما امكنه المخالفة فقال له يا سيدي بسم الله ثم تقدم الجارية و اعرضها عليه فاعجبته فقال له يا حسن كم معك في هذه الجارية فقال له اربعة آلاف و خمسمائة دينار فتح الباب قال المعين عليّ اربعة

فلما فرغ من شعره قال و الله لا بدان امتحنهم كلهم لعل يكون فيهم واحد يقوم مقام الجميع فدار على العشرة فما منهم من فتح الباب ولا راه نفسه ولاكسر في وجهه رغيفا فانشد يقـــــول

اَلْمَرْءُ فِيْ زَمَنِ الْاِقْبَالِ كَالشَّجَرَةْ وَالنَّاسُ مِنْ حَوْلِهَا مَادَامَتِ الثَّمَرَةْ
حَتَّى اِذَا رَاحَ عَنْهَا حِمْلُهَا رَحَلُوْا وَ خَلَّفُوْهَا تُقَاسِي الْحَرَّ وَ الْغُبَرَةْ
تَبًّا لِاَبْنَاءِ هٰذَا الدَّهْرِ كُلِّـهِـــمِ حَتَّى وَلَا وَاحِدٌ يَصْفُوْ مِنَ الْعُشَرَةْ

ثم انه رجع الى جاريته وقد تزايد همه فقالت له ياسيدي انا ما قلت لك انهم لا ينفعونك بنافعة فقال و الله ما فيهم من اراني وجهه ولا فيهم احد يعرف بي فقالت له يا سيدي بع من اثاث البيت وآنيته الى ان يدبر الله تعالى وانفق اولا باول فباع الى ان باع جميع ما فى البيت وما بقي عنده شيء فعند ذلك نظر الى انيس الجليس وقال لها ما نفعل الآن فقالت له ياسيدي عندي من الراي ان تقوم الساعة وتنزل بي الى السوق و تبيعني و انت تعلم ان و الدك كان اشتراني بعشرة آلاف دينار فلعل الله ان يفتح عليك بقريب من هذا الثمن واذا قدر الله باجتماعنا نجتمع فقال لها يا انيس الجليس و الله ما يهون عليّ فراقك ساعة و احدة فقالت له والله يا سيدي ولا انا لكن للضرورة احكام كما قال الشـــــــــــــــــــــــــــــاعر

تُلْجِي الضَّرُوْرَاتُ فِي الْاُمُوْرِ اِلَى سُلُوْكِ مَا لَا يَلِيْقُ بِالْاَدَبِ
مَا حَامِلٌ نَفْسَهُ عَلَى سَبَبٍ اِلَّا لِاَمْرٍ يَلِيْقُ بِالسَّبَبِ

فعند ذلك نهض على قدميه و اخذ انيس الجليس و دموعه تسيل على خده كالمطر ثم انشد بلسان الحال و قال شعـــــــــــــرا

قِفُوْا زَوِّدُوْنِيْ نَظْرَةً قَبْلَ بَيْنِكُمْ اُعَلِّلُ قَلْبًا كَادَ بِالْبَيْنِ يَتْلِـفُ

Digitized by Google

سبيله حتى انصرفوا كلهم و بقي نورالدين علي وحده فعند ذلك دعى جاريته و قال لها يا انيس الجليس ما تنظرين ما حل بي وحكى لها ما قال له الوكيل فقالت ياسيدي من منذ ليالي هممت ان اقول لك على هذا الحال فسمعتك تنشد و تقول شعر

إِذَا جَادَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكَ فَجُدْ بِهَا ... عَلَى النَّاسِ طُرًّا قَبْلَ أَنْ تَتَفَلَّتِ
فَلَا الْجُودُ يُفْنِيهَا إِذَا هِيَ أَقْبَلَتْ ... وَلَا الشُّحُّ يُبْقِيهَا إِذَا هِيَ وَلَّتِ

فلما سمعتك تنشد هذه الابيات سكتُّ ولم ابدلك خطابا فقال لها نورالدين على يا انيس الجليس انت تعرفين اني ما اوهبت مالي الا على اصحابي وهم خلوني بلاشيٌ واظنهم لايتركونني من غير مواساة فقالت له انيس الجليس والله ما ينفعونك بنافعة فقال نورالدين فانا في هذه الساعة اقوم واروح لهم واطرق ابوابهم لعل ان يحصل لي منهم شيٌ فاجعله في يدي رأس مال واتاجر فيه واترك اللهو واللعب ثم انه نهض من وقته وساعته ولا زال سائر احتى اقبل على الزقاق الذي فيه اصحابه العشرة وكانوا كلهم ساكنين في ذلك الزقاق فتقدم الى اول باب وطرقه فخرجت له جارية وقالت له من انت فقال لها قولي لسيدك نورالدين علي و اقف على الباب ويقول لك مملوكك يقبل يديك ومنتظر فضلك فدخلت الجارية واعلمت سيدها فزعق عليها و قال لها ارجعي وقولي له ماهو هنا فرجعت الجارية الى نورالدين و قالت له يا سيدي ان سيدي ما هو هنا فتوجه نورالدين و قال في نفسه ان كان هذا ولدزنا وانكر نفسه فغيره ما هو ولدزنا ثم تقدم الى باب الثاني وقال كما قال اولا فانكر نفسه الآخر فعند ذلك انشد يقول شعر

ذَهَبَ الَّذِينَ إِذَا وَقَفْتَ بِبَابِهِمْ ... مُنُّوا عَلَيْكَ بِأَنْعُمٍ وَ شِوَاءِ

Digitized by Google

يقول له من ندمائه هذا الشي مليح يقول هو لك هبة ويقول الآخر يا سيدي الدار الفلانية مليحة يقول هي هبة لك ولم يزل نورالدين يعمل لهم اول النهار مقاما وفي آخر النهار مقاما الى ان مكث سنة على هذا الحال وبعد السنة فبينما هو قاعد واذا بالجارية انيس الجليس تنشد شعر

اَحْسَنْتَ ظَنَّكَ بِالْاَيَّامِ اِذْ حَسُنَتْ ... وَلَمْ تَخَفْ سُوْءَ مَا يَأْتِي بِهِ الْقَدَرُ
وَ سَالَمَتْكَ اللَّيَالِي فَاغْتَرَرْتَ بِهَا ... وَعِنْدَ صَفْوِ اللَّيَالِي يَحْدُثُ الْكَدَرُ

فلما فرغت من شعرها واذا بالباب يطرق فقام نورالدين فتبعه بعض جلسائه من غير ان يعلم به فلما فتح الباب وجد وكيله فقال له نورالدين علي ما الخبر فقال له يا سيدي الذي كنت اخاف عليك منه قد وقع قال وكيف ذلك قال اعلم انه ما بقي تحت يدي شيء يساوي درهما ولا اقل ولا اكثر وهذه الدفاتر موجودة بالمصروف الذي صرفته ودفاتر اصل مالك فلما سمع نورالدين علي هذا الكلام اطرق براسه الى الارض وقال لاحول ولا قوة الا بالله فلما سمع الرجل الذي تبعه خفية خرج ليتسلل عليه ما قاله له الوكيل رجع الى اصحابه وقال لهم انظروا ايش تعملون فان نورالدين علي افلس فلما رجع اليهم علي نورالدين تبين لهم الغم في وجهه فعند ذلك نهض واحد من الندماء على قدميه ونظر الى نورالدين علي وقال له ياسيدي عسى ان تاذن لي بالانصراف فقال نورالدين علي لماذا الانصراف اليوم فقال ان زوجتي تلد ولايمكنني ان اتخلف عنها واريد ان اذهب اليها وانظرها فاذن له ونهض آخر وقال له يا سيدي نورالدين اريد اليوم ان احضر عند اخي فانه يطاهر ولده وكل واحد صار يستأذنه بحيلة ويذهب الى حال

الحزن فعند ذلك نهض نور الدين الى القاعة التي للجلوس و نقل اليها ما يحتاجه واجتمع عليه اصحابه و اخذ جاريته واجتمع عليه عشرة من اولاد التجار ثم انه اكل الطعام وشرب الشراب وجدد مقاما بعد مقام وصار يعطي ويتكرم فعند ذلك جاء له وكيله وقال له ياسيدي نور الدين اما سمعت قول بعضهم من ينفق و لم يحسب افتقر ولم يشعر والشاعر يقول

اَصُوْنُ دَرَاهِمِيْ وَ اَذُبُّ عَنْهَا لِعِلْمِيْ اَنَّهَا سَيْفِيْ وَ تُرْسِيْ
اُبَذِّلُهَا اِلَى اَعْدَى الْاَعَادِيْ وَاَبْذِلُ فِى الْوَرَى سَعْدِيْ بِنَحْسِيْ
فَآكُلُهَا وَ اَشْرِبُهَا هَنِيْئاً وَ لَا اَسْخُوْ اِلَى اَحَدٍ بِفَلْسِ
وَ اَحْفَظُ دِرْهَمِيْ عَنْ كُلِّ شَخْصٍ لِئِيْمِ الطَّبْعِ لَا يَصْفُوْ لِاُنْسِيْ
اَحَبُّ اِلَىَّ مِنْ قَوْلِيْ لِنَذْلٍ اَنِلْنِيْ دِرْهَمًا لِغَدٍ بِخَمْسِ
فَيُعْرِضُ وَجْهَهُ وَ يَصُدُّ عَنِّيْ فَتَبْقَى مِثْلَ نَفْسِ الْكَلْبِ نَفْسِيْ
فَيَاذُلَّ الرِّجَالِ بِغَيْرِ مَالٍ وَ لَوْ كَانَتْ فَضَائِلُهُمْ كَشَمْسِ

ثم قال ياسيدي هذه النفقة الجزيلة والمواهب العظيمة تفنى المال فلما سمع نور الدين علي من وكيله هذا الكلام نظر اليه وقال له جميع ما قلته لا اسمع منه ولا كلمة فاني سمعت الشاعر يقول شعر

اِذَا مَا مَلَكْتِ الْمَالَ كَفِّيْ وَلَمْ اَجُدْ فَلَا سَلِمَتْ كَفِّيْ وَلَا نَهَضَتْ رِجْلِيْ
فَهَا تُوْا بِبَخِيْلاً نَالَ مَجْدًا بِبُخْلِهِ وَهَاتُوْا اَرُوْنِيْ بَاذِلاً مَاتَ بِالْبَذْلِ

ثم قال اعلم ايها الوكيل اني اريد اذا فضل عندك قدر غدائي ان لاتحملني همّ عشائي فولى من عنده الوكيل الى حال سبيله واقبل نورالدين علي على اللذات في اطيب عيش و ماهو فيه وكل من

Digitized by Google

من الله تعالى القبول ثم نطق بالشهادتين فكُتِبَ من اهل السعادة فعند ذلك انقلب القصر بالعياط و اتصل الخبر بالسلطان و سمعت اهل المدينة بوفاة الفضل بن خاقان فبكى عليه الصبيان في مكاتبها و نهض ولده نورالدين علي و جهزه و حضرت الامراء و الوزراء و ارباب الدولة و اهل المدينة و كان فيمن حضر الجنازة الوزير المعين ابن ساوى وانشد بعضهم عند خروج جنازته من الدار شعر

يَوْمَ الْخَمِيسِ لَقَدْ فَارَقْتُ اَحْبَابِي ... وَغَسَّلُونِي عَلَى لَوْحٍ مِنَ الْبَابِ
وَجَرَّدُونِي ثِيَابًا كُنْتُ لَا بِسَهَا ... وَالْبَسُونِي ثِيَابًا غَيْرَ اَثْوَابِي
وَحَمَّلُونِي عَلَى اَعْنَاقِ اَرْبَعَةٍ ... اِلَى الْمُصَلَّى وَبَعْضُ النَّاسِ صَلَّى بِي
صَلَّوْا عَلَيَّ صَلٰوةً لَا سُجُودَ لَهَا ... صَلَّى عَلَيَّ جَمِيعُ النَّاسِ اَصْحَابِي
وَشَيَّعُونِي اِلَى دَارٍ مُقَنْطَرَةٍ ... يَفْنَى الزَّمَانُ وَلَا يُفْتَحُ لَهَا بَابِي

ولما و اراه التراب و رجعت الاهل والاصحاب رجع نورالدين و قد انتحب من البكاء و لسان الحال يقول هذه الابيات

هُمْ رَحَّلُوا يَوْمَ الْخَمِيسِ عَشِيَّةً ... فَوَدَّعْتُهُمْ لَمَّا اسْتَقَلُّوا وَوَدَّعُوا
فَلَمَّا تَوَلَّوْا رَاحَتِ النَّفْسُ مَعَهُمْ ... فَقُلْتُ ارْجِعِي قَالَتْ اِلَى اَيْنَ اَرْجِعُ
اِلَى جَسَدٍ مَا فِيهِ رُوحٌ وَلَا دَمٌ ... وَمَا فِيهِ اِلَّا عَظْمَةٌ تَتَقَعْقَعُ
وَعَيْنَايَ قَدْ اَعْمَا هُمَا شِدَّةُ الْبُكَا ... وَاُذْنِي غَدَتْ صَمَّاءَ مَا لَيْسَ تَسْمَعُ

قال ثم مكث شديد الحزن على والده مدة مديدة فبينما هو ذات يوم من الايام جالس في بيت والده اذ طرق الباب طارق فنهض نور الدين علي و فتح الباب و اذا برجل من ندماء والده و اصحابه قد دخل فقبل يد نور الدين و قال ياسيدي من خلف مثلك ما مات وهذا مصير سيد الاولين و الآخرين ياسيدي طب نفسا و دع

Digitized by Google

عليك فتغرغرت عيناه بالدموع وقال له ياولدي كيف هان عليك ذهاب مالي وروحي فقال الصبي اسمع ياوالدي ما قال الشاعر

هَبْنِي جَنَيْتُ فَلَمْ يَزَلْ أَهْلُ النُّهَى ... يَهَبُونَ لِلْجَانِي سَمَاحًا شَامِلَا
مَا ذَا عَسَى يَرْجُو عَدُوُّكَ وَهْوَ فِي ... دَرَكِ الْحَضِيضِ وَأَنْتَ أَعْلَى مَنْزِلَا

قال فعند ذلك قام الوزير من على صدر ولده فقال ياولدي عفوت عنك وحن قلبه وقام الصبي وقبل يد والده فقال يا ولدي لو علمت انك تنصف انيس الجليس كنت وهبتها لك فقال يا والدي كيف لا انصفها قال له اوصيك يا ولدي انك لا تتزوج عليها ولا تضارها ولا تبعها فقال له يا والدي انا احلف لك اني لا اتزوج عليها ولا ابيعها فحلف على ذلك ودخل على الجارية فاقام معها سنة وانسى الله تعالى الملك قصة الجارية واما المعين بن ساوى فبلغه الخبر لكنه لم يقدر يتكلم لمنزلة الوزير عند السلطان فلما مضت السنة عمر الوزير فضل الدين بن خاقان الحمام وخرج وهو عرقان فضر به الهواء فلزم الوساد وطال به السهاد وتسلسل به الضعف فعند ذلك نادى ولده نور الدين علي فحضر فقال له ياولدي اعلم ان الرزق مقسوم والاجل محتوم ولا بد لكل نسمة من شرب كاس الممات ثم انه انشد يقول شعر

أَنَا مَيِّتٌ فَجِلَّ مَنْ لَا يَمُوتُ ... وَتَحَقَّقْتُ أَنَّنِي سَا مُوتُ
لَيْسَ مَلِكًا يَمُوتُ بِيَدِهِ مُلْكٌ ... إِنَّمَا الْمُلْكُ مُلْكُ مَنْ لَا يَمُوتُ

ثم قال ياولدي مالي عندك وصية الا تقوى الله وانظر في العواقب والوصية بالجارية انيس الجليس فقال له يا ابت ومن مثلك وقد كنت معروفا بفعل الخير والدعاء على المنابر فقال له ياولدي ارجو

Digitized by Google

عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثلثون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير قال لزوجته اما تعلمين ان وراءنا هذا العدو الذي يقال له المعين ابن ساوى ومتي سمع بهذا الامر تقدم الى السلطان وقال له وزيرك الذي تزعم انه يحبك اخذ منك عشرة آلاف دينار واشترى بها جارية ما راى احد مثلها فلما اعجبته قال لابنه خذها انت احق بها من السلطان فأخذها وازال بكارتها وها هي الجارية عنده فيقول الملك تكذب فيقول هو للملك عن اذنك اهجم عليه وآتيك بها فير سم له بذلك فيكبس الدار ويأخذ الجارية ويحضرها للسلطان ثم يسا لها فما تقدر تنكر فيقول له ياسيدي تعلم اني ناصح لك ولكن مالي عندكم حظ فيمثل بي السلطان والناس كلهم يتفرجون علي فتروح روحي فقالت له زوجته لاتعلم احدا وهذا الامر حصل خفية وسلم امرك الى الله في هذه القضية فعند ذلك سكن قلب الوزير هذا ما كان من امر الوزير واما ما كان من امر نور الدين علي فخاف عاقبة الامر فبقي طول نهاره في البساتين ويأتي آخر الليل لامه فينام عندها ويقوم قبل الصبح ويروح الى البستان ولم يزل كذلك شهرا لايُري وجهه لابيه فقالت امه لابيه يا سيدي هل نعدم الجارية ونعدم الولد فان طال هذا الامر على الولد هجّ منا قال لها وكيف العمل قالت له اسهر هذه الليلة فاذا جاء امسكه واصطلح انت واياه واعطه الجارية فهي تحبه وهو يحبها وانا اعطيك ثمنها فصبر الوزير الى الليل فلما اتى ولده امسكه واراد نحره فادركته امه وقالت له ايش تريد تفعل معه فقال لها اذبحه فقال الولد لابيه هل اهون

Digitized by Google

ومصت لسانه وازال بكارتها فلما راى الجاريتان سيد هما الصغير دخل على الجارية انيس الجليس صرختا وعيطتا وكان قد قضى الصبي حاجته وخرج هاربا وللنجاة طالبا وفرّمن الخوف عقب الفعل الذي فعله فلما سمعت الست عياط الجاريتين نهضت وخرجت من الحمام والعرق يقطر منها وقالت ايش هذا العياط الذي فى الدار فلما قربت من الجاريتين اللتين كانت اقعدتهما على باب المقصورة قالت لهما ويلكما ما الخبر فلما رأتاها قالتا ان سيدي نورالدين جاء الينا وضربنا فهربنا منه فدخل على انيس الجليس وعانقها وما ندري ايش عمل بعد ذلك فلما صيحنا عليك هرب فعند ذلك تقدمت الست الى انيس الجليس وقالت لهـــا ما الخبـــر فقالت يا سيدتي انا قاعدة واذا بصبي جميل دخل علي وقال لي انت اللذي اشتـراك ابي لي فقلت نعم واللـــه ياسيدتي اعتقدت ان كلامه صحيح فعند ذلك اتى عندي وعانقنـــي فقالت الست كلمك شيئـــا بشيٍ غير ذلك قالت نعم واخذ مني ثلث بوسات فقالت ما تركك من غيـر افتضاض ثم بكت ولطمت وجهها هي والجواري خوفا على نورالدين ان يذبحه ابوه فبيناهم كذلك واذا بالوزير دخل وسال عن الخبر فقالت له زوجته احلف ان ما قلته لك تسمعه قال نعم فاعادت عليه ما فعله ولده فحزن وخرق ثيابه ولطم وجهه ونتف لحيته فقالت له زوجته لا تقتل نفسك انا اعطيك من مالي عشرة آلاف دينـار ثمنها فعند ذلك رفع رأسه اليهـا وقال لها ويلك انا ما لي حاجة بثمنها ولكن خوفي ان تروح روحي ومالي فقالت له ياسيدي وكيف ذلك قال لها اما تعلمين ان وراء نا هذا العدو اللذي يقال له المعين بن ساوى ومتى سمع بهذا الامر تقدم الى السلطان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت

Digitized by Google

فقالت له الجارية السمع والطاعة ثم تركها وانصرف فاتفق با لامر المقدر ان الجارية في يوم من الايام دخلت الحمام الذي في المنزل وقد غسلها بعض الجواري ولبست الثياب الفاخرة فتزايد حسنها وجمالها ودخلت على الست زوجة الوزير فباست يدها فقالت لها نعيم يا انيس الجليس ايش حسن هذا الحمام فقالت يا ستي ما كنت محتاجة الا لحضورك فيه فعند ذلك قالت الست للجواري قوموا بنا الى الحمام قالوا سمعا وطاعة ونهضن والست بينهن وقد وكلت بباب المقصورة التي فيها انيس الجليس جاريتين صغيرتين وقالت لهما لا تمكّنا احدا يدخل للجارية فقالتا السمع والطاعة فبينما انيس الجليس قاعدة بالمقصورة واذا بابن الوزير الذي هو نور الدين علي قد دخل وسال عن امه وعن العائلة فقالت له الجاريتان دخلن الحمام وقد سمعت الجارية انيس الجليس كلام نور الدين علي ابن الوزير وهي من داخل المقصورة فقالت في نفسها يا ترى ماشان هذا الصبي الذي قال لى الوزير عنه انه ما خلّى بصبية فى الحارة الا فعل بها والله اني اشتهي ان انظره ثم انها نهضت على قدميها وهي من اثر الحمام وتقدمت جهة باب المقصورة ونظرت الى نور الدين علي فاذا هو صبي كالبدر في تمامه فاورثتها النظرة الف حسرة ولاحت من الصبي التفاتة فنظر الصبي اليها نظرة اورثته الف حسرة ووقع كل منهما في شرك هوى الآخر فتقدم الصبي الى الجاريتين وعيط عليهما فهربتا من بين يديه ووقفتا من بعيد تنظر انه وتنظر ان ما يفعل واذا به تقدم الى باب المقصورة وفتحه ودخل على الجارية وقال لها انت التي اشتراك ابي لي فقالت له نعم فعند ذلك تقدم الصبي اليها وكان في حال السكر واخذ رجليها وعملها في وسطه وهي شبكت يديها في عنقه واستقبلته ببوس وشهيق وغنج ومص لسانها

Digitized by Google

قد متها للسلطان بلا شيٍ كان واحبا عليّ فعند ذلك امر الوزير باحضار الاموال فاحضرت فوزنت للعجمي واقبل النخاس على الوزير وقال من اذن مولانا الوزير اتكلم فقال الوزير هات ما عندك فقال ان الراي عندي ان لاتطلع بهذه الجارية للسلطان في هذا اليوم فانها قادمة من السفر و اختلف عليها الهوى و دعكها السفر و لكن خلها عندك في القصر عشرة ايام لتّاترد الى حالها ثم ادخلها الحمام والبسها احسن الثياب و اطلع بها الى السلطان فيكون لك في ذلك الحظ الاوفر فتامل الوزير كلام النخاس فوجده صوابا فاتى بها الى قصره و اخلى لها مقصورة ورتب لها كل يوم ما تحتاج اليه من طعام و شراب و غيره فمكثت مدة على ذلك وكان للوزير الفضل بن خاقان ولد كانه البدر اذا بدر بوجه اقمر و خد احمر عليه خال كنقطة عنبر بعذار اخضر كما قال فيه الشاعر ولاقصر شعر

قَمَرٌ يُفَتِّكُ بِاللَّوَاحِظِ اِنْ رَنَا غُصْنٌ يُفَتِّتُ بِالْقَوَامِ اِذَا انْثَنَى
زَنْجِيُّ الذَّوَائِبِ عَسْجَدِيُّ لَوْنُهُ حُلْوُ الشَّمَائِلِ قَدُّهُ يَحْكِي الْقَنَا
يَا قَبْلَهُ الْقَاسِيْ وَرِقَّةَ خَصْرِهِ هَلَّا نَقِلْتَ اِلَى هُنَا مِنْ هُهُنَا
لَوْ كَانَ رِقَّةُ خَصْرِهِ فِيْ قَلْبِهِ مَا جَارَ قَطُّ عَلَى الْمُحِبِّ وَلَا جَنَا
يَا عَاذِلِيْ فِيْ حُبِّهِ كُنْ عَاذِرِيْ مَنْ لِيْ بِجِسْمٍ قَدْ تَمَلَّكَهُ الضَّنَى
مَا الذَّنْبُ اِلَّا لِلْفُؤَادِ وَنَاظِرِيْ فَدَعِ الْمَلَامَ وَخَلِّنِيْ فِيْ ذَا الْعَنَا

وكان الصبي ما عرف قضية هذه الجارية وكان والده اوصاها وقال لها يا بنتي اعلمي اني ما اشتريتك الا سُرِّيَّةً للملك محمد بن سليمان الزيني وان لي ولدا ما خلى بصبية في الحارة الا فعل بها فاجعلي بالك منه واحذري ان تريه وجهك او تسمعيه كلامك

Digitized by Google

ثم قال يا سيدي ان الذي سبق به المرسوم الكريم بطلبه قد حضر فقال له الوزير علي بها فغاب ساعة وحضر ومعه جارية رشيقة القد بارزة النهد بطرف كحيل وخد اسيل وخصر نحيل وردف ثقيل و ثياب احسن ما يكون من الثياب و رضاب احلى من الجلاب وقوام اعدل من الغصون المائلة وكلام ارق من نسيم الاسحار كما قال فيها بعض واصفيها شعر

عَجِيبَةُ حُسْنٍ وَجْهُهَا بَدْرُ كَوْكَبٍ   عَزِيزَةُ قَوْمٍ مِنْ زَبِيبٍ وَرَبْرَبِ
عَطَاهَا الٰهُ الْعَرْشِ عِزاً وَرِفْعَةً   وَظَرْفاً وَمَعْنًى ثُمَّ قَدّاً مُقَضَّبِ
لَهَا فِي سَمَاءِ الْوَجْهِ سَبْعُ كَوَاكِبٍ   عَلَى الْخَدِّ حُرَّاسٌ عَلَى كُلِّ مَرْقَبِ
اِذَا رَامَ اِنْسَانٌ يُسَارِقُ نَظْرَةً   شَيَاطِينُ لَفْظٍ اَحْرَقَتْهُ بِكَوْكَبِ

فلما راها الوزير اعجبته غاية العجب ثم التفت الى السمسار و قال له كم ثمن هذه الجارية فقال وقف سعرها على عشرة آلاف دينار وحلف صاحبها ان العشرة آلاف دينار لم تجيء ثمن الفراريج التي اكلتها و لا الشرب ولا الخلع التي خلعتها على معلميها فانها تعلمت الخط و النحو و اللغة و التفسير واصول الفقه والدين و الطب و التقويم والضرب بالآلات المطربة فقال الوزير علي بسيدها فاحضره في الوقت والساعة فاذا هو رجل عجمي قد ابقى ما ابقى و عاركه الدهر و استبقى كما قال الشاعر شعر

اَرْعَشَنِي الدَّهْرُ اَيَّ رَعْشٍ   وَ الدَّهْرُ ذُو قُوَّةٍ وَ بَطْشِ
قَدْ كُنْتُ اَمْشِي وَلَسْتُ اَعْيَى   وَالْيَوْمَ اَعْيَى وَلَسْتُ اَمْشِي

فقال له الوزير رضيت ان تاخذ في هذه الجارية عشرة آلاف دينار من السلطان محمد بن سليمان الزيني فقال العجمي و الله لقد

Digitized by Google

بطول مدته لانه محض خير مزيل الشر والضير وكان الوزير المعين بن ساوي يكره الناس ولا يحب الخير وكان محض سوء كما قيل فيه شعر

لُذْ بِالْكِرَامِ بَنِى الْكِرَامِ فَإِنَّمَا تَلِدُ الْكِرَامُ بَنُوا الْكِرَامِ كِرَامَا
وَدَعِ اللِّئَامَ بَنِي اللِّئَامِ فَإِنَّمَا تَلِدُ اللِّئَامُ بَنُوا اللِّئَامِ لِئَامَا

قال وكان الناس على قدر محبتهم للفضل بن خاقان على قدر بغضهم للمعين بن ساوى وبقدرة القادر ان الملك محمد بن سليمان الزيني يوما من الايام قاعد على كرسي مملكته وحوله ارباب دولته اذنادى وزيره الفضل بن خاقان وقال له الملك اريد جارية لا يكون في زمنها احسن منها تكون كاملة فى الجمال فائقة فى الاعتدال حميدة الخصال فقالت ارباب الدولة هذه لاتوجد الا بعشرة آلاف دينار فعند ذلك زعق السلطان على خازندار وقال احمل عشرة آلاف دينار الى دار الفضل بن خاقان فامتثل الخازندار امر السلطان ونزل الوزير بعد ما رسم له السلطان ان يعمد الى السوق كل يوم ويوصى السماسرة على ما ذكرناه وان لاتباع جارية ثمنها فوق الالف دينار حتى تعرض على الوزير فلم تبع السماسرة جارية حتى يعرضونها وكل جارية وقعت لهم لم يعجبها الوزير ففي يوم من الايام واذا بالسمسار اقبل الى دار الوزير الفضل بن خاقان فوجده راكبا طالب المسير لقصر الملك فدق في ركابه

وانشد يقول

يَا مَنْ أَعَادَ رُسُومَ الْمُلْكِ مَنْشُورَا أَنْتَ الْوَزِيرُ الَّذِي لَازِلْتَ مَنْصُورَا
أَحْيَيْتَ مَا مَاتَ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ كَرَمٍ لَا زَالَ سَعْيُكَ عِنْدَ اللّٰهِ مَشْكُورَا

Digitized by Google

وقال السلطان والله ان هذه قصة عجيبة ما رايت اغرب منها ثم ان السلطان قال يا مسلمين يا جماعة العسكر عمركم رايتم احدا يموت ثم يحيى ولولا رزقه الله بهذا المزين فانه كان سببا لحياة لكان يموت فقالوا والله ان هذا عجب عجيب ثم ان ملك الصين امران تورخ هذه القصة فارخوها ثم جعلوها في خزانة الملك ثم خلع على اليهودي والنصراني والشاهد كل واحد خلعة سنية وامرهم بالانصراف فانصرفوا ثم اقبل السلطان على الخيـــاط وخلع عليه خلعة سنية وجعله خياطه ورتب له الرواتب واصلح بينه وبين الاحدب وخلع على الاحدب خلعة سنية مليحة ورتب له الرواتب وجعله نديمه وانعم على المزين وخلع عليه خلعة وجعل له جامكية وجعله مزين المملكة ونديمه ولم يزلوا فى الذعيش واهنـــاه الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات وليس هذا باعجب من قصة الوزيرين وانيس الجليس قلت لها وكيف ذلك قالت بلغني ايها الملك السعيد انه كان بالبصرة ملك من الملوك يحب الفقراء والصعاليك ويحب الرعية ويهب من ماله لمن يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وهو كما قال فيه بعض واصفيه شعـــــــــر

مَلِكٌ اِذَا جَالَتْ عَلَيْهِ مَوَاكِبٌ اَرَبَ الْعِدَاةَ بِكُلِّ عَضْبٍ اَنْتَرِى
وَيَخُطُّ خَطًّا فِى الصُّدُوْرِ اِذَا سَطَا يَوْمًا تَرَاهُ عَلَى الْفَوَارِسِ مُفْتَرِي

وكان يقال له الملك محمد بن سليمان الزيني وكان له وزيرين احدهما يقال له المعين بن ساوى والثاني يقال له الفضل بن خاقان وكان الفضل بن خاقان اكرم اهل زمانه حسن السيرة اجمعت القلوب على محبتـه واجمعت الناس على مشورته والكل يدعون له

Digitized by Google

تحكي لي شيأ من حكايتك فقال المزين يا ملك الزمان و ما قصة هذا النصراني و هذا اليهودي و هذا المسلم و هذا الاحدب الميت بينكم وما سبب هذا الجمع فقال له ملك الصين و ما سوا لك عن هذا فقال سوالي عنهم حتى يعلم الملك اني ما انا فضولي و انا بريء مما اتهموني به من كثرة الكلام و انا الذي اسمي الصامت و ان لي نصيبا من اسمي كما قال الشاعر

وَقَلَّمَا اَبْصَرَتْ عَيْنَاكَ ذَا لَقَبٍ اِلَّا وَمَعْنَاهُ اِنْ فَتَّشْتَ فِيْ لَقَبِهْ

فقال الملك اشرجوا للمزين حال هذا الاحدب و ما جرى له وقت العشاء وما حكى النصراني و ما حكى اليهودي و ما حكى الشاهد و ما حكى الخياط وليس فى الا عادة افادة فحرك المزين راسه وقال والله ان هذا لعجب عجيب اكشفوا لي عن هذا لاحدب فكشفوا له عنه فجلس عند رأسه و اخذ رأسه على حجره و نظر في وجهه و ضحك حتى انقلب على قفاه و قال لكل موتة عجب و موتة هذا الاحدب يجب ان تورخ بماء الذهب فبهتت الجماعة من كلام المزين و تعجب الملك من كلامه و قال مالك يا صامت احك لنا فقال المزين يا ملك الزمان وحق نعمتك الاحدب الاكذب فيه الروح ثم ان المزين اخرج من وسطه حرمدان وفتحه واخرج منه مكحلة فيها دهن و دهن به رقبة الاحدب و عروقها ثم اخرج كلبتين من حديد و نزل بهما في حلقه فطلع قطعة السمك بعظمها فلما طلع بها واذا هي مغموسة دما والاحدب عطس عطسة ثم نط ووقف على حيله وملس على وجهه وقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فتعجب الملك والحاضرون من الذي رأوه و عاينوه فضحك ملك الصين حتى غشي عليه وكذلك الحاضرون

Digitized by Google

منك فاخذ تها و خرجت بها و تفرجنا الى العشاء ثم رجعنا فلقينا هذا الاحدب و السكر طافح منه و هو ينشد هذين البيتين

رَقَّ الزُّجَاجُ وَرَقَّتِ الْخَمْرُ فَتَشَابَهَا فَتَشَاكَلَ الْأَمْرُ
فَكَأَنَّمَا خَمْرٌ وَلَا قَدَحٌ وَكَأَنَّمَا قَدَحٌ وَلَا خَمْرٌ

فعزمت عليه و خرجت اشتري سمكا مقليا و جلسنا ناكل ثم ان زوجتي اعطته لقمة و قطعة سمك و ادخلتهما فمه وسدته فمات فحملته و تحايلت و رميته في بيت هذا الطبيب اليهودي و تحايل الطبيب و رماه في بيت الشاهد و تحايل الشاهد و رماه في طريق النصراني السمسار و هذه قصتي وما لاقيت البارحة فما هي با عجب من قصة الاحدب فلما سمع ملك الصين هذه القصة هز رأسه طربا وابدى عجبا وقال هذه القصة التي جرت بين هذا الشاب و المزين الفضولي انها لا طرب و احسن من قصة الاحدب الاكذب ثم ان الملك امر بعض حجابه ان امضوا مع الخياط و احضروا المزين من الحبس واسمع كلامه ويكون سبب خلاصكم انتم الجميع و ندفن هذا الاحدب و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثلثون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ملك الصين قال ايتوني با لمزين و يكون سبب خلاصكم و ندفن هذا الاحدب فان له من امس ميت و نعمل له ضريحا فما كان الا ساعة و الحاجب و الخياط مضوا الى الحبس و اخرجوا منه المزين و سار وابه الى ان وقفوا بين يدي هذا الملك فلما رآه و تامله فاذا هو شيخ كبير جاوز التسعين اسود الوجه ابيض اللحية و الحواجب مقرطم الاذان طويل الانف في نفسه بلهان فضحك من رؤيته الملك و قال له يا صامت اريد ان

Digitized by Google

قطع شفتي اخي وشدد عليه في المطالبة وكان له زوجة حسناء وكانت اذا خرج البدوي تتعرض لاخي وتراوده وهو يمتنع منها فلما كان يوما من الايام راودت اخي فقام ولاعبها واجلسها في حجره فبينما هو كذلك واذا بزوجها دخل عليها فلما نظر الى اخي قال له ويلك يا ملعون الآن تريد تفسد عليّ زوجتي واخرج سكينا وقطع ذكره وحمله على جمل وطرحه فوق جبل وتركه فجاز عليه المسافرون فعرفوه فاطعموه واسقوه واعلموني بخبره فجئت اليه وحملته ودخلت به المدينة ورتبت له ما يكفيهوها انا جئت عندك يا امير المؤمنين وخفت ان ارجع قبل اخبارك فيكون ذلك غلطا ووراءي ستة اخوة وانا اقوم بهم فلما سمع امير المؤمنين قصتي وما اخبرت به عن اخوتي ضحك وقال صدقت يا صامت انت قليل الكلام ما عندك فضول ولكن الآن اخرج من هذه البلدة واسكن غيرها ثم نفاني بالترسيم علي حتى دخلت البلاد وطفت الاقاليم الى ان سمعت بموته وخلافة غيره اتيت المدينة فوجدت اخوتي قد ماتوا ووقعت عند هذا الشاب وفعلت معه احسن الفعال ولولا انا لقتل وقد اتهمني بشيء ما هو فيّ وهذا يا جماعة ما نقل عني من الفضول باطل وانا لاجل هذا الشاب طفت بلد انا كثير حتى وصلت الى هذه الارض وحصلته عندكم فهذا يا جماعة الخبر ماهو من مروتي فقال الخياط لملك الصين فلما سمعنا قصة المزين وكثرة كلامه وان المزين ظلم مع هذا الشاب اخذنا المزين وقبضنا عليه وحبسناه وجلسنا نحن آمنين فاكلنا وشربنا وتممت الوليمة الى ان اذن العصر فخرجت وجئت منزلي فحبست زوجتي فقالت انت في حظك وانسك وانا محزونة ان لم تخرجني وتفرجني بقية النهار قطعت حبلي ويصير سبب فراقي

Digitized by Google

هذا الباب فانك لا تقدر تشرب منه شيأ فقال يا سيدي من احسانك و اومى اخي بيده كانه يشربه فقال له هنيئا و صحة ثم ان صاحب البيت اومى وشرب ثم ناول اخي قدحا ثانيا فشربه واظهر انه سكر وغافله اخي و رفع يده حتى بان بياض ابطه وصفعه فى رقبته صفعة رن لها المكان ثم ثنّى عليه بصفعة ثانية ثم قال الرجل ما هذا يا سفلة فقال يا سيدى عبدك انعمت عليه و ادخلته منزلك و اطعمته الزاد و اسقيته الخمر العتيق فسكر وعربد عليك و انت اعلا من حمل جهله وعفوذنبه فلما سمع كلام اخي ضحك ضحكا عاليا ثم قال له ان لي زمانا طويلا اسخر بالناس و اتماجن على الاصحاب فما رايت منهم من له طاقة و فطنة دخل معي في جميع اموري غيرك و الآن فقد عفوت عنك فكن نديمى على الحقيقة و لا تفارقني ابدا ثم امر باخراج عدة الوان الطعام المذكورة اولا فاكل هو و اخي حتى اكتفيا ثم انتقلا الى مجلس الشراب فاذا فيه جوارى كانهن الا قمار فغنين بجميع الالحان وجميع الملاهى ثم قاما و شربا حتى غلب عليهما السكر و استانس الرجل باخي حتى صار كانه اخوه و احبه محبة عظيمة و خلع عليه فلما اصبح الصباح عادا لما كانا عليه من الاكل و الشرب و لم يزالا كذلك مدة عشرين سنة ثم ان الرجل مات و قبض السلطان علي ما له و ما احتوى عليه اخي وصادره السلطان حتى خلاه فقيرا لايقدر على شيء فخرج اخي هاربا علي وجهه فلما توسط الطريق خرج عليه العرب فاسروه و اتوابه الى حيهم و صار الذى امره يعذبه و يقول له اشتر روحك مني بالاموال و الا قتلتك فجعل اخي يبكى و يقول و الله لا املك شيئا و انا اسيرك فافعل ما شئت فاخرج البدوي سكينا و

Digitized by Google

فبحياتي كل ولا تستحي ثم قال يا غلام قدم لنا السكباج الذي فيه القطا المسمن ثم قال لاخي قم كل يا ضيفي فانك جائع ومحتاج للاكل فصار يدور حنكه ويمضغ واقبل الرجل يستدعي لونا بعد لون ولا يحضر شيء الا هو يامر اخي بالاكل ثم صاح يا غلام قدم لنا الفراريج المحشوة بالفستق وقال لاخي وحياتك يا ضيفي هذه الفراريج قد سمنت بالفستق فكل مالا اكلت مثله قط فقال له اخي يا سيدي هذا طيب واقبل يومي بيده الى فم اخي كانه يلقمه وكان يعدد هذه الالوان ويصفها لاخي وهو جائع فاشتد جوعه وهو بشهوة رغيف شعير ثم قال له هل رايت اطيب من ابازير هذه الا طعمة فقال اخي لا يا سيدي فقال جود الاكل ولا تستحي فقال قد اكتفيت من الطعام فصاح الرجل شيلوا هذا وقد موا الحلاوات وقال له كل من هذا فانه جيد وكل من هذه القطائف بحياتي خذ هذه القطيفة قبل ان ينزل منها الجلاب فقال اخي لاعدمتك يا سيدي واقبل اخي يساله عن كثرة المسك الذي في القطائف فقال هذه عادتي يصنعون لي في كل قطيفة مثقالا من المسك ونصف مثقال من العنبر هذا كله واخي يحرك راسه وفمه ويلعب باشداقه فقال لاخي كل من هذا اللوز ولا تستحي فقال له اخي ياسيدي قد اكتفيت ولم يبق لي قدرة اكل شيأ فقال يا ضيفي ان اردت ان تاكل وتتفرج فالله الله لاتكن جائعا فقال له اخي يا سيدي من ياكل من هذه الالوان كلها كيف يكون جائعا ثم افتكر اخي في نفسه وقال لاعملن عملا اتوبه عن هذه الفعال ثم قال الرجل قدموا لنا الشراب فحركوا ايديهم في الهواء حتى كانهم قدموا الشراب ثم ناوله القدح وقال خذ هذا القدح فان اعجبك فعرفني فقال له ياسيدي انه طيب الرائحة لكنني تعودت بشرب النبيذ العتيق الذي له عشرون سنة فقال له الهجل دق

Digitized by Google

بعض الطرق اذرأى دارا حسنة و لها دهليز و اسع مرتفع و على الباب خدم و امر و نهي فسأل بعض من كان واقفا هناك فقال هي لانسان من اولاد البرامكة فتقدم اخي الى البوابين و سالهم شيئا فقالوا ادخل باب الدار تجد ما تحب من صاحبنا فدخل الدهليز و مشى فيه ساعة فوصل الى دار في غاية ما يكون من الملاحة و الظرف وفي و سطها بستان مارأى مثلها و ارضها مفروشة بالرخام و ستورها معلقة فبقي اخي متحيرا لا يدري اين يقصد فمضى نحو صدر المكان فراى انسانا حسن الوجه و اللحية فلما راى اخي قام له ورحب به و سا له عن حاله فاخبره انه محتاج فلما سمع كلام اخي اظهر له غما شديدا و مديده الى ثيابه فخرقها وقال اكون انا ببلد و انت بها جائع لاصبر لي على ذلك ووعده بكل خير فقال له لا بد ان تما لحني فقال اخي يا سيدي ليس لي صبر و اني لشديد الجوع فصاح يا غلام هات الطشت و الا بريق فقال له ياضيفي تقدم و اغسل يدك فقام اخي ليغسل يده فمارأى طشتا ولاابريقا ثم انه اومى كانه يغسل يده ثم صاح قدموا المائدة فلم يراخي شيئا ثم قال لاخي تفضل كل من هذا الطعام و لا تستحي و اومى بيده كانه يا كل و صار الرجل يقول لاخي عجبا لقلة اكلك لاتقصر فى الا كل فاني اعلم ما انت عليه من الجوع فجعل اخي يومي كانه يا كل و يقول لا خي كل وانظر الى حسن هذا الخبز و بياضه واخي لايرى شيئا ثم ان اخي قال في نفسه هذا رجل يحب ان يهزؤ بالناس فقال له اخي يا سيدي عمري ما رايت احسن من بياضه ولا الذ منه فقال هذا خبزته جارية لي اشتريتها بخمسمائة دينار ثم صاح صاحب الدار يا غلام قدم الهريسة اول الطعام واكثر عليها الدهن ثم قال لاخي يا ضيفي بالله عليك هل رايت اطيب من هذه الهريسة

Digitized by Google

الى الباب فوجد مفتوحا ولا راى الجارية ولا الاكياس الا شيئا يسيرا غير القماش فعلم ان الجارية خدعته فعند ذلك اخذ المال الذي بقي وفتح الخزائن واخذ مافيها ولم يترك في الدار شيأ وبات مسرورا فلما اصبح الصباح وجد بالباب عشرين جنديا تعلقوا به وقالوا له ان الوالى يطلبك فاخذوه فتدخل اخي عليهم ليعبر الى بيته فلم يمهلوه بان يرجع الى بيته فوعدهم بجملة من الدراهم فابوا ثم ربطوه بحبل ربطا شديدا وراحوا به فوجد هم في الطريق واحد من اصحابه فتعلق اخي بذيله وتدخل عليه لكي يقف معه ويساعده على خلاصه من ايديهم فوقف الرجل وسالهم عن قصته فقالوا له ان الوالي قد حكم علينا بان نحضره بين يديه وها نحن ذاهبون به فالتمس لهم صاحب اخي بان يخلصوه ويعطيهم خمس مائة دينار وقال لهم اذا رجعتم الى الوالي فقولوا له ما لقيناه فاعرضوا عن كلامه واخذوه مسحوبا على وجهه حتى احضروه بين يدي الوالي فلما راى الوالي اخي قال له من اين لك هذا القماش والمال فقال اخي اريد الامان فاعطاه منديل الامان فحدثه بماجرى وماوقع له مع العجوز من الاول الى الآخر وهروب الجارية ثم قال للوالي والذي اخذته خذ منه ماشئت ودع لي ما اتقوت به فاخذ الوالى القماش والمال كله وخشي ان يبلغ الخبر الى السلطان فاحضر اخي وقال له اخرج من هذه المدينة والا اشنقك فقال السمع والطاعة فخرج الى بعض البلدان فخرجت عليه اللصوص فعروه وضربوه وقطعوا اذنيه فسمعت بخبره فخرجت اليه واخذت اليه ثيابا وجئت به الى المدينة سرا ورتبت له ما يا كل وما يشرب واما اخي السادس يا اميرالمؤمنين وهو مقطوع الشفتين فكان افتقر فخرج يوما يطلب شيئا يسد به رمقه فبينما هو في

Digitized by Google

اخي فيه سابقا و قعدت عنده ساعة و قامت و قالت لاخي لا تبرح حتى ارجع اليك و راحت فلم يشعر اخي الا و العبد الملعون اقبل و معه السيف المجرد و قال لاخي قم يا ملعون فقام اخي و تقدم العبد امامه و اخي و راءه و مد يده الى سيفه الذي تحت ثيابه وضربه العبد فاطاح رأسه عن بدنه و سحبه من رجله الى السرداب و نادى اين المملحة فجاءت الجارية و معها الطبق الذي فيه الملح فلما رات اخي و السيف بيده ولت هاربة فتبعها و ضربها اطاح راسها ثم نادى اين العجوز فجاءت فقال لها اتعرفينني يا عجوز النحس فقالت لا يامولاي فقال لها انا صاحب الدراهم التي جئت عندي و توضأت عندي و صليت فيها و اوقعتني هنا فقالت اتق الله و تراجع في امري فلم يلتفت اليها و ضربها حتى قطعها اربع قطع ثم خرج في طلب الجارية فلما راته طار عقلها و قالت الامان فامنها فقال لها ما الذي اوقعك عند هذا الاسود فقالت اني كنت جارية لبعض التجار و كانت هذه العجوز تتردد علي فانست بها فقالت لي يوما من الايام ان عندنا فرح مارأى احد مثله وقد اشتهيت ان تنظري اليه فقلت لها سمعا و طاعة ثم قمت و لبست احسن ثيابي و مضيت معها حتى ادخلتني هذه الدار فلما دخلت ما شعرت الاوهذا الاسود اخذني وانا على هذا الحال ثلث سنين بحيلة العجوز الملعونة فقال لها اخي هل له في هذه الدار شيء فقالت عنده شيء كثير فان كنت تقدر على نقله فانقله و استعن بالله فقام اخي ومشى معها وفتحت له صناديق فيها اكياس فبقي اخي متحيرا فقالت له الجارية اتعب الآن وعني هنا وهات من ينقل المال فخرج واكرى عشرة رجال وجاء

اخي يقول اين المملحة فا قبلت اليه جارية في يدها طبق كبير وفيه ملح كثير و لم يزل العبد يحثو جراحات اخي و هو لا يتحرك خيفة ان يعلم انه حي فيقتله و يروح روحه قال الراوي ثم ان الجارية مضت وصاح العبد و قال ابن المسردية فجاءت العجوز الى اخي و جرته من رجله الى سرداب فرمته فيه على جماعة قتلى فاقام مقامه يومين كاملين و كان الله جعل الملح سبب حياته لانه قطع الدم فراى اخي في نفسه القوة على الحركة فقام اخي من السرداب و فتح طابقه و هو خائف و خرج الى بر و اعطاه الله الستر فمشى فى الظلام و اختفى في ذلك الدهليز الى الصبح فلما كان وقت الصباح خرجت تلك العجوز الملعونة فى طلب صيد آخر فخرج اخي في اثرها و هي لا تعلم حتى اتى الى منزله و لم يزل يعالج نفسه حتى برئ و هو يتعهد العجوز و ينظر اليها كل وقت وهي تاخذ الناس واحدا واحدا وتؤديهم الى تلك الدار و اخي لا ينطق بشئ ثم لما رجعت اليه روحه وقوته عمد الى خرقة وعمل منها كيسا وملاه زجاجا و شده في وسطه وتنكر حتى لا يعرفه احد ولبس ثياب العجم و اخذ سيفا و جعله تحت ثيابه فلما راى العجوز قال لها بلسان العجم يا عجوز انا رجل غريب وصلت اليوم الى هذا البلد ولا اعرف احدا فهل عندك ميزان يسع تسعمائة دينار و انا اهبك شيأ منه فقالت له العجوز لي ولد صيرفي و عنده سائر الموازين فامض معي قبل ان يخرج من مكانه حتى يزن ذهبك فقال اخي امشي قدامي فسارت و اخي خلفها حتى اتت الباب فدقته فخرجت الجارية بعينها وفتحت الباب فضحكت العجوز في وجهها فقالت العجوز قد اتيتكم اليوم بلحمة سمينة فاخذت الجارية بيد اخي و اد خلته المنزل الذي دخل

Digitized by Google

الصعاليك خذ ما لك مالي به حاجة و اردده الى قلبك فان كنت تريد الاجتماع من الذي اعطتك المال اجتمع لك معها و هي صاحبتي فقال اخي يا امي كيف الحيلة اليها قالت يا ولدي انها تميل الى رجل موسر فخذ جميع مالك معك و اتبعني لا دلك على المراد فاذا اجتمعت بها فلا تخلي شيأ من الملاطفة و الكلام الحسن الا و تفعله معها فانك تنال من جمالها و من ما لها جميع ما تريد فاخذ اخي جميع الذهب وقام و مشى معها و هولا يصدق فلم تزل هي تمشي و اخي تا بعها الى باب كبير فدقته فخرجت جارية رومية ففتحت الباب فدخلت العجوز و امرت اخي بالدخول معها فدخل الى دار كبيرة و مجلس كبير مفروش ارضه بالزوالى العجيبة و ستور معلقة فجلس اخي و وضع الذهب بين يديه و وضع عمامته على ركبته فلم يشعر الا و جارية اقبلت ما رات الراون احسن منها وهي لا بسة افخر الملابس فقام اخي على قدميه فلما رانه ضحكت في وجهه و فرحت به و اشارت اليه بالجلوس ثم انها امرت بالباب فاغلق ثم اقبلت علي اخي و اخذت يده و مضوا جميعا الى ان اتوا الى حجرة منفردة فدخلاها و اذا هي مفروشة با نواع الديباج فجلس اخي وجلست بجانبه ولا عبته ساعة ثم قامت وقالت له لا تبرح من مكانك حتى اجيء و غابت عن اخي ساعة فبينما هو كذلك اذ دخل عليه عبد اسود عظيم الخلقة و معه سيف مجرد فقال له و يلك ومن جاء بك الى هذا المكان و ما الذى تصنع ههنا فلما راه لم يقدر اخي ان يرد عليه جوابا و انعقد لسانه عن رد الجواب فاخذه و عراه من اثوابه و لم يزل يضربه بالسيف سطحا الى ان سقط الى الارض مغشيا عليه من شدة الضرب و اعتقد العبد النحس انه قضي عليه فسمعه

Digitized by Google

لابد من شربه و تقدمه الي فمي فانغص يدي في وجهها وارفسها برجلي و اعمل هكذا ثم رفس برجله فوقع الزجاج والقفص وكان في مكان مرتفع فنزل الى الارض فتكسر كل ما فيه فصاح اخي و قال هذا كله من كبر نفسي فعند ذلك يا اميرالمؤمنين لطم اخي على وجهه و خرق ثيابه و جعل يبكي و يلطم و الناس ينظرون اليه وهم رائحون الى صلوة الجمعة فمنهم من نظره ورحمه و منهم من لم يفكر فيه و اخي على تلك الحالة راح منه المال و الربح فاقام ساعة يبكي و اذا بامرأة حسنة ومعها عدة خدام وهي راكبة على بغلة بسرج ذهب يفوح المسك منها وهي ماشية الى صلوة الجمعة فلما نظرت الى الزجاجات وحال اخي و بكائه اخذ ها الحزن عليه ورق قلبها و سألت عن حاله فقيل انه كان معه طبق زجاج يتعيش منه فانكسر منه فاصابه ماترين فنادت بعض الخدام و قالت له ادفع الذي معك لهذا المسكين فدفع له صرة و جد فيها خمسمائة دينار فلما وقعت في يده كاد ان يموت من شدة الفرح و اقبل اخي بالدعاء لها و عاد الى منزله غنيا و قعد متفكرا واذا بالباب يدق فقام و فتح و اذا بعجوز لا يعرفها فقالت له يا ولدي اعلم ان الصلوة قد قربت و انا بغير وضوء و احب ان توسع لي منزلك حتى اتوضأ فقال سمعا و طاعة ثم دخل اخي وامرها بالدخول فدخلت و دفع لها ابريقا تتوضأ به و جلس اخي و هو طائر من الفرح بالدنانير ثم صرها في الهميان فلما فرغ من هذا و فرغت العجوز من الوضوء اقبلت الى الموضع الذي هو جالس فيه اخي و صلت ركعتين ثم دعت لاخي دعاء حسنا فشكرها على ذلك و مد يده الى الدنانير و دفع لها دينارين و قال في نفسه هذه صدقة عني فلما رات الدنانير قالت يا سبحان الله لِمَ نظرت الي من حبك بسمة

Digitized by Google

امرأتي قائمة قد امي كالبدر و هي في حليها وحللها و انا انظر اليها عُجبا وتيهـا حتى يقول جميع من حضر يا سيدي امرأتك و جاريتك قائمة بين يديك فانعم عليها بالنظر فقد اضرّ بها القيام ثم يبوسون الارض قدامي مرارا فعند ذلك ارفع راسي و انظر اليها نظرة واحدة ثم اطرق براسي الى الارض فيمضون بها الى مجلس المنام واقوم انا واغير قماشي والبس احسن مما كان علي فاذا جاؤا بالعروسة المرة الثانية لا انظر اليها حتى يسألوني مرارا وانظر اليها ثم اطرق الى الارض ولم ازل كذلك حتى يتم جلاؤها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثلثة و الثلثون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الحمزين قال ثم اطرق الى الارض ولم ازل كذلك حتى يتم جلاؤها ثم اني آمر بعض الخدم ان يرمي كيسا فيه خمسمائة دينار فلما تحضرا دفعه للمواشط وآمرهم ان يدخلوني عليها فاذا دخلوا بها فلا انظر اليها ولا اكلمهـا احتقارالان يقال اني هزيز النفس و تجيء امها فتقبل راسي و يدي و تقول لي ياسيدي انظر جاريتك فانها تشتهي قربك فاجبر بخاطرها فلا ارد عليها جوابا فاذا رات ذلك مني قامت و باست رجلي مرارا ثم تقـول ياسيدي ان بنتي صبية مليحة مارات رجلا فاذا رات منك هذا الانقبـاض انكسر خاطرها فمل اليها و كلمها ثم انها تقوم و تحضر لي قدحا فيه شراب ثم ان بنتها تاخذ القدح فاذا جاءتني تركتها قائمة بين يدي و انا على مدورة مزركش متكئ لا انظر اليها من كبر نفسي حتى تقول لي اني سلطان عظيم الشان فتقول لي يا سيدي بحق الله عليك لا ترد القدح من يد جاريتك فاني جاريتك فلا اكلمها فتلح علي و تقول

Digitized by Google

المتجر و الجواهر والعطر فاربح ربحا عظيما فبعد ذلك اشتري دارا حسنة واشتري المماليك والخيل و سروج الذهب و اكل واشرب و لا اخلي مغنيا ولا مغنية في المدينة حتى اجيبها عندي و اعمل ان شاء الله تعالى رأس مالي مائة الف درهم هذا كله هو يحسب في نفسه و قفص الزجاج مطروح قدامه ثم قال واذا صار مالي مائة الف درهم ابعث الدلالات في خطبة بنات الملوك والوزراء واخطب بنت الوزير فقد بلغني انها كاملة في الحسن بديعة في الجمال وامهرها بالف دينار فان رضي ابوها كان وان لم يرض اخذتها قهرا عن رغم انفه فان حصلت في داري اشتري عشرة خدام صغار ثم اشتري لي كسوة من كساوي الملوك و السلاطين و اصنع لي سرج ذهب و ارصعه بالجواهر المثمنة ثم اركب و معي المماليك يمشون حولي وقد امي و ادور المدينة و الناس يسلمون علي و يدعون لي ثم ادخل على الوزير الذي هو ابو البنت والمماليك خلفي و قدامي و عن يميني و عن شمالي فاذا رآني قام الوزير الي قائما واقعدني مكانه و يقعد هو دوني لانه صهري ويكون معي خادمين بكيسين في كل كيس الف دينار فاعطيه الالف مهر بنة و اهدي له الف دينار اخرى حتى يعلم مروتي وكرمي وكبر نفسي وصغر الدنيا في عيني واذا خاطبني بعشر كلمات اجبته بكلمتين ثم انصرف الى داري فاذا جاء احد من جهة امراتي و هبت له دراهم وخلعت عليه خلعة وان جاءني بهدية رديتها عليه ولم اقبلها منه حتى يعلموا اني عزيز النفس ولا اخلي نفسي الا في موضعها ثم اقدم اليهم باصلاح شاني فاذا فعلوا ذلك امرتهم بزفها و اصلح داري اصلاحا بينا فاذا جاء وقت الجلاء لبست افخر ثيابي و قعدت في بدلة من الديباج متكئا لا التفت يمينا ولا شمالا لكبر عقلي و رزانة فهمي و تكون

Digitized by Google

الضرب بالمقارع على اجنا به فقالوا له يا ملعون هذا اثر الضرب ثم احضروا اخي بين يدي الوالي فقال في نفسه قد وقعت بذنوبي و ما يخلصني الا الله تعالى فقال الوالي لاخي يا فاجر ما حملك على هذا الامر تدخل دارهم بالقتل فقال له اخي سألتك بالله ايها الامير اسمع كلامي ولا تعجل علي فقال الوالي نسمع كلام لص قد افقر الناس و عليه اثر الضرب في ظهره و قال له ما فعلوا بك هذا الامر الا عن جرم عظيم فامر بضرب مائة سوط ثم ضرب اخي مائة سوط ثم حملوه على جمل ونادوا عليه هذا جزاء واقل من اجزي من يهجم بيوت الناس وامر باخراجه من المدينة وهاج اخي على و جهه فلما سمعت به انا خرجت اليه واستخبرته فاخبرني بحديثه وما جرى له ولا زلت معه دائرا وهم ينادون عليه حتى سيبوه فاتيت اليه و اخذته و ادخلته المدينة سرا و رتبت له مايا كل وما يشرب و اما اخى الخامس فانه كان مقطوع الاذنين يا امير المؤمنين و كان رجلا فقيرا وكان يسأل الناس ليلا و ينفق به نهارا و كان والدنا شيخ كبير طاعن فى السن فاعتل و مات فخلف لنا سبعمائة درهم فاخذ كل و احد منا مائة درهم و اما اخي الخامس فانه لما اخذ حصته تحير و لم يدر ما يصنع بها فبينما هو كذلك اذ و قع فى خاطره انه ياخذ بها زجاجا من كل نوع و ينتفع بثمنه فاشترى با لمائة الدرهم زجاجا وجعله فى طبق كبير وقعد فى موضع يبيع فيه وبجانبه حائط فاسند ظهره اليه و قعد متفكرا فى نفسه و قال ان رأس ما لي في هذا الزجاج مائة درهم و انا ابيعه بما ئتين درهم ثم اشتري بمائتين درهم زجاجا و ابيعه باربعمائة درهم ولا ازال ابيع و اشتري الى ان يبقى معي مال كثير فاشتري به من جميع

Digitized by Google

خيل فسأل عن ذلك فقيل له ان الملك خارج في الصيد والقنص فجعل اخي ينظر الى حسن الملك فوقعت عين الملك في عين اخي فاطرق الملك برأسه وقال اعوذ بالله من شر هذا اليوم واثنى عنان فرسه ورجع فرجع جميع الغلمان ثم امر الغلمان فلحقوا اخي فضربوه ضربا وجيعا حتى كاد ان يموت ولم يدر اخي ما السبب فرجع الى موضعه وهو في حالة العدم ثم مضى الى انسان من حاشية الملك وقص عليه ما وقع له فضحك حتى استلقى على قفاه وقال له يا اخي اعلم ان الملك لا يطيق ان ينظر الى اعور لا سيما انكان اعور باليمنى فانه لا يعتقه دون قتله فلما سمع اخي ذلك الكلام عزم على الهروب من تلك المدينة ثم قام وخرج منها وتحول الى ناحية اخرى لم يكن بها احد يعرفه واقام بها زمنا طويلا ثم بعد ذلك تفكر اخي في امره وخرج يوما يتفرج فسمع حس خيل خلفه فقال جاء امر الله فطلب موضعا يستتر فيه فلم يجد ثم نظر فاذا بباب مغلوق فدفع ذلك الباب فوقع فدخل فراى دهليزا طويلا فدخل اخي فيه فلم يشعر الا ورجلان قد تعلقا به وقالا لاخي الحمد لله الذي امكننا منك يا عدو الله هذه ثلث ليال ما خليتنا ننام ولا نهدي وقد اذ قتنا الموت فقال اخي يا قوم ما امركم فقالوا انت تغير علينا وتريد تفضحنا وتدبر الحيلة وتريد تذبح صاحب البيت ما يكفيك انك افقرته واصحابك ولكن اخرج لنا السكين التي تهددنا بها كل ليلة وفتشوه فوجدوا في وسطه سكينا فقال يا قوم اتقوا الله في امري واعلموا ان حديثي عجيب فقالوا وما حديثك فحدثهم بحديثه طمعا ان يطلقوه فما سمعوا من اخي ما قال ولا التفتوا اليه وضربوه وخرقوا اثوابه فوجدوا عليه اثر

Digitized by Google

الشيخ يتردد عليه خمسة اشهر و اخي يطرح دراهمه في صندوق و حدها ثم اراد ان يخرجها ويشتري غنما ففتح الصندوق فراى جميع ما فيه و رق ابيض مقصص فلطم وجهه و صاح فاجتمع الناس عليه فحدثهم بحديثه فتعجبوا منه و قام اخي على عادته فذبح كبشا و علقه داخل الدكان و قطع لحما و علقه خارج الدكان و صار اخي يقول يا الله يجيء الشيخ النحس فما كانت ساعة الا وقد اقبل الشيخ و معه الفضة فقام اخي و تعلق به و صار يزعق يا مسلمين الحقوني و اسمعوا صوتي مع هذا الفاجر فلما سمع الشيخ كلامه قال له الشيخ ايما احب اليك تتنحى عني او افضحك بين الناس فقال له اخي باي شيء تفضحني قال بانك تبيع لحم الناس بانه لحم غنم فقال له اخي كذبت يا ملعون فقال الشيخ ما ملعون الا الذي عنده رجل في الدكان معلق فقال له اخي ان كان الامر كما ذكرت فمالي ودمي حلال لك فقال الشيخ يا معاشر الناس ان اردتم تحقيق قولي و صدقي ادخلوا دكانه فهجم الناس على دكان اخي فراوا ذلك الكبش صار انسانا معلقا فلما راوا ذلك تعلقوا باخي و صاحوا عليه يا كافر يا فاجر وصارا عز الناس اليه يضربه و يلطمه و يقول له انت تطعمنا لحم بني آدم و لطمه الشيخ على عينه قلعها و حملت الناس ذلك المذبوح الى صاحب الشرطة فقال له الشيخ ايها الامير هذا الرجل يذبح الناس و يبيع لحمهم على انه لحم غنم و قد اتيناك به فقم و اقض حق الله عزوجل فدافع اخي عن نفسه فلم يسمع منه و امر بضربه خمسمائة عصا و اخذوا جميع ماله و لولا المال لقتلوه فقام اخي هاجا على رأسه حتى دخل مدينة كبيرة وكان احسن له ان يعمل اسكافيا ففتح دكانا و قعد يعمل شيأ يتقوت به فخرج ذات يوم في حاجة فسمع حس

Digitized by Google

وضربوني و اخذوا مالي و انا مستجير بالله و بك و انا احق بقسمي وانااشتهي ان تعرف صدق قولي فاضرب كل واحد اكثر مما ضربتني فانه يفتح عينيه فعند ذلك امرالوالي بعقوبتهم و اول مابدأ باخي فشدوه على سلم و قال لهم الوالي يا فسقة تجحدون نعمة الله وتدعون انكم عميان فقال اخي الله الله و الله ما فينا بصير فضربوه حتى غشي عليه فقال الوالي دعوه حتى يفيق و اعيدوا عليه الضرب ثاني مرة ثم امر بضرب اصحابه كل واحد اكثر من ثلثمائة عصا و البصير يقول لهم افتحوا عيونكم والاجدد عليكم الضرب ثم قال الرجل للوالي ابعث معي من يا تيك بالمال فان هؤلاء ما يفتحون عيونهم ويخافون من فضيحة الناس فبعث الوالي اخذ المال واعطى للرجل منه ثلثة آلاف درهم قسمه على مازعم عنهم و اخذ الباقي و نفى الوالي الثلثة و خرجت انا يا اميرالمؤمنين و لحقت اخي و سألته عن حاله فاخبرني بما ذكرته لك و ادخلته المدينة سرا ورتبت له ما ياكل و ما يشرب في الخفية فضحك الخليفة من حكايتي وقال اعطوه جائزة ودعوه ينصرف فقلت له و الله ما آخذ شيأ حتى ابين لاميرالمؤمنين ما جرى لاخوتي فاني قليل الكلام ثم قال و اما اخي الرابع يا امير المؤمنين وهو الاعور فانه كان جزارا ببغداد يبيع اللحم ويربي الكباش وكان يقصدونه الكبار واصحاب الاموال يشترون منه اللحم فكسب من ذلك مالا عظيما و اقتنى الدواب والدور واقام على ذلك زمنا طويلا فبينما هو ذات يوم من بعض الايام عند دكانه اذوقف عليه شيخ كبير اللحية فدفع له دراهم وقال اعطني بها لحما و دفع له الدراهم و انصرف و اعطاه اللحم فتامل اخي في فضة الشيخ فرآى دراهمه بياضها ساطع فعزلها في ناحية و حدها و اقام

Digitized by Google

و دخل و دخل الرجل خلفه و اخي لايشعربه و تعد اخي ينتظر رفقاءه فلما دخلوا قال لهم اغلقوا الباب و فتشوا البيت كيلا يكون تبعنا احد غريب فلمـــا سمع الرجل كلام اخي قام و تعلق بحبل كان فى السقف فطافوا البيت جميعه فلم يجدوا و احدا ثم رجعوا و جلســـوا الى جانب اخي ثم اخرجوا الدراهم التى معهم و عدوها فاذا هي اثنى عشر الف درهم فتركوها في زاوية البيت و اخذ كل و احد ما يحتاج اليـــه و طرحوا بقية الدراهم فى التراب ثم قدموا بين ايديهم شيأ من الاكل وقعدوا ياكلون فسمع اخي الى جانبه مضغا غريبا فقال لاصحابه معنـــا غريب ثم مد يده فتعلق بيده يدالرجل صاحب الدار فوقعوا فيه ضربا فلما طال عليهم ذلك صاحوا يا مسلمين دخل علينا لص يريدان ياخذ مالنا فاجتمع عليهم خلق كثير فاقبل الرجل وتعلق بهم و ادعى عليهم مثلما ادعوا عليه و غمض عينيه حتى كانه صار مثلهم لا يشك فيها احد و صاح يا مسلمين انا بالله و بالسلطان انا بالله و الوالي مع نصيحة فما شعر الا و قد احاطوا بالجميع و اخى معهم وساقوا الى بيت الوالي فاحضرهم قدامه و قال ما خبركم فقال الرجل انظر ولا يبان لك شئ الا بالعقوبة و اول ما تبدأ ابدأبي وعاقبنى ثم لهذا قائدي و اومى بيده الى اخي فمدوا ذلك الرجل وضربوه اربعمائة عصا على ثقبه فاوجعه الضرب ففتح عينه الواحدة فلما زادوا عليه بالضرب فتح عينه الاخرى فقال له الوالي ما هذه الفعال يا ملعون فقال اعطنى خاتم الامان نحن اربعة نعمل ارواحنا عميان ونغير على الناس و ندخل البيـوت وننظر النسـاء و نعمل في خسارتهم فاجتمع لنا مكسب عظيم و هو اثنى عشر الـف درهم فقلت لرفقتى اعطـــوني حقي ثلثـــة آلاف فقاموا

Digitized by Google

حمار حتى ودوه الى الوالي فقال لهم الوالي ما هذا قالوا وقع لنا من بيت الوزير وهو على هذه الحالة فصفعه مائة درة ثم نفاه من بغداد وخرجت انا خلفه وادخلته المدينة سرا ثم رتبت له ما يقتات به فلولا مروتي ماكنت احتمل مثله واما اخي الثالث فاسمه فقيق وكان اعمى فساقه القضاء والقدر الى دار كبيرة فدق الباب طمعا ان يكلمه صاحبها فيسأله شيأ فقال صاحب الدار من بالباب فلم يكلمه احد فسمعه اخي يقول بصوت عالى من هذا فلم يكلمه اخي وسمع مشيه حتى وصل الى الباب وفتحه فقال له ما تريد فقال اخي شيأ لله تعالى فقال له انت ضرير قال له اخي نعم فقال له ناولني يدك فنا ولة يده وهو يعتقد انه يعطيه شيأ فاخذ بيده فادخله الدار ولم يزل يصعد به من سلم الى سلم حتى وصل الى اعلا سطوح واخي يقول انه يطعمه شيأ او يعطيه شيأ فلما انتهى قال لاخي ما تريد يا ضرير قال اريد شيأ لله تعالى فقال له يفتح الله عليك فقال له اخي ياهذا ما كنت تقول لي كذا وكذا وانا اسفل فقال له يا سفلة لم لا تكلمني من اول مرة فقال له اخي والساعة ما تريد تصنع بي فقال له ما عندي شيء اعطيه لك قال له انزل بي الى السلا لم فقال الطريق بين يديك فقام اخي واقبل وما زال نازلا حتى بقي بينه وبين الباب عشرون درجة فزلقت رجله فوقع الى الباب فانفتح رأسه فخرج وهو لا يدري اين يذهب فلحقه بعض رفقته العميان فقالوا له ايش حصل لك اليوم فحدثهم بما وقع له ثم قال لهم يا اخوتي اريدان اخرج شيأ من الدراهم التي بقيت معي وانفق على نفسي وكان صاحب الدار تابعه وسامع كلامه واخي لايدري بالرجل ورفيقه فجاء اخي الى منزله

Digitized by Google

ضربته بها وكذلك الجوار كلهم صاروا يضربونه بمثل نارنجة وليمونة وترنجة الى ان سقط مغشيا عليه من الضرب والصفع على قفاه والرجم فقالت له العجوز الآن بلغت مرادك واعلم ان ما بقي عليك من الضرب شيء وما بقي الا شيًا واحدا وذلك ان من عادتها اذا سكرت لاتمكّن احدا من نفسها حتى تقلع ثيابها وسراويلها وتبقى عريانة زلطـا ثم تامرك بقلع ثيابك وتجري وهي تجري قدامك كانها هاربة منك وانت تابعها من مكان الى مكان حتى يقوم ايرك فتمكّنك من نفسها ثم قالت له اقلع ثيابك فقام وهو غائب عن الوجود وقلع ثيابه جميعا وبقي عريانا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثلثون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان اخ المزين لما قالت له العجوز اقلع ثيابك فقام وهو غائب عن الوجود فقلع ثيابه وبقي عريانا فقالت الجارية لاخي قم الآن واجر واجري انا ايضا ثم تعرت هي ايضا قالت له ان اردت شيًا اتبعني فجرت قدامه فتبعها ثم جعلت تدخل من محل الى محل وتخرج الى الآخر واخي وراءها وقد غلب عليه الشوق وزبّه قائم كانه مجنون ودخلت هي قدامه في مكان مظلم فدخل اخي ايضا وهو يجري وراءها فداس موضعا رقيقا فانخسف به فلا دري بنفسه الا وهو في وسط الزقاق وهو في سوق الجلادين وهم ينادون على الجلود ويشترون ويبيعون فلما راوه على تلك الحالة وهو عريان قائم الاير محلوق الذقن والحواجب محمر الوجه صاحوا عليه وصفقوا عليه بايديهم وجعلوا يضربونه بالجلود وهو عريان حتى غشي عليه وحملوه على

Digitized by Google

و ان يرشوا على وجهه الما ورد ففعلن ذلك وقالت له الصبية اعزك الله قد دخلت منزلي وصبرت على شرطي واي من خالفني طردته ومن صبر بلغ مراده فقال لها اخي يا سيدتي انا عبدك وفي طبقة يدك فقالت له اعلم ان الله اشغفني بحب الطرب فمن اطاعني نال مايريد ثم امرت الجواران يغنين باصوات عالية حتى طرب المجلس ثم قالت لبعض الجوار خذي سيدك واقضي حاجته وائتيني به في الحال فاخذت الجارية اخي وهو لايدري ما تصنع به فلحقته العجوز و قالت له اصبر ما بقي الا القليل فراق و جهه فاقبل اخي على الصبية والعجوز تقول اصبر فقد بلغت ماتريد فقال لها اعلميني ما ذا تريد تعمل هذه الجارية فقالت العجوز ما تَمَّ الا خيرا فديتك تريد تصبغ حواجبك و تقص سبالك فقال اخي اما صبغ الحواجب فيزول بالغسل واما نتف السبال فهو مما يُولم فقالت العجوز احذر تخالفها فهي قد تعلق قلبها بك فصبر اخي حتى صبغت حواجبه ونتفت سبالله و مضت الجارية الى سيدتها و اخبرتها فقالت لها بقي شيٌ آخر وهو ان تحلقي ذقنه حتى يصير امردا فجاءت الجارية و اخبرته بما امرت سيدتها به فقال لها اخي الا حمق و كيف اعمل في فضيحتي من الناس فقالت له العجوز انها ما ارادت تفعل ذلك معك الا لتبقى امردا بلا ذقن ولا يبقى في وجهك شيٌ يشكها فانها صار لها في قلبها منك محبة عظيمة فاصبر فقد بلغت المنا فصبر اخي و طاوع الجارية و حلق ذقنه و اخرجته الصبية و اذا هو مخضوب الحاجبين مقصوص الشاربين محلوق الذقن محمر الوجه ففزعت منه ثم ضحكت حتى استلقت على قفاها ثم قالت يا سيدي لقد ملكتني بهذه الاخلاق الحسنة قلبي ثم حلفته بحياتها ان يقوم ويرقص فقام ورقص فلم تدع في البيت مخدة حتى

Digitized by Google

اليه ثم انها مشت به الى غرفة مزينة لم تر العيون احسن منهـا فلما دخلوا الغرفة قامت النسوان ورحبن به واجلسنه بجنبهم فلم يلبث اذ سمع جلبـة عظيمة و اذا بجوار قد اقبلن و في وسطهـن جارية كالبدر في ليلة تمامه فمد اخي نظره اليهـا و قام قائما و خدمهـا فرحبت به و امرته بالجلوس فجلس فاقبلت عليه و قالت له اعزك الله هل فيك خير فقال اخي يا سيدتي الخير كله فيّ ثم امرت باحضار الطعام فقدموا لها طعاما حسنا فجلست تاكل والجارية مع ذلك لاتهتدي من الضحك واذا نظر اليها اخي تغيب الى جوارها كانها تضحك منهم وتظهر لاخي المودة وتمزح معه واخى الحمار لا يفهم شيأ ومن كثرة ما غلب عليه الشوق يعتقدان الجارية عاشقة عليه وانها تبلغه الى مناه فلما فرغوا من الطعام قدموا المدام ثم حضرن عشر جوار كانهن اقمار و بايد يهن العيدان ذوات الاوتار فجعلن يغنين بكل صوت شجي فغلب الطرب على اخى وتناول قد حامن يدها فشربه فقام لها قائما ثم ان الصبية شربت قدحا فقال لها اخي صحة وخدمها ثم اسقته قدحا فشرب و صفعته على رقبته فكلما راى اخي ذلك منها خرج في اثر خروج فتبعته العجوز وجعلت تغمزه بعينها يعنى ارجع فرجع فامرته الجارية بالجلوس فجلس وجلس ولم ينطق فعادت الصفع على قفاه وما كفاها ذلك حتى امرت جوارها كلها ان يصفعوه وهو يقول للعجوز ما رايت شيأ احسن من هذا فتقول العجوز اي وحقك يا مولاتي فصفعته الجوار الى ان اغمي عليه ثم قام اخى لقضاء حاجته فلحقته العجوز ثم قالت له اصبر قليلا تبلغ ما تريد فقال لها اخى الى كم اصبر وقد اغمي علي من الصفع فقالت له اذا سكرت بلغت مرادك فرجع اخى الى مكانه وجلس فقامت الجوار عن آخرهن فامرتهم ان يبخروه

Digitized by Google

مشتاقة اليك كثيرا فقال بالله عجلي بقبلة قبل كل شيٍ فلم يتم كلامه الاوحضر زوج الصبية من بيت هناك و قال لاخي و الله لا افارقك الا عند صاحب الشرطة فتضرع اليه اخي فلم يسمعه بل حمله الى الوالي فضربه بالسياط و ركبه جملا و دورة المدينة والناس ينادون عليه هذا جزاء من يهجم على حريم الناس ونفي من المدينة فخرج لا يدري اين يقصد فخفت انا فلحقته والتزمت به و رددته واجلسته عندي الى الآن فضحك الخليفة من كلامي وقال احسنت يا صامت يا قليل الكلام و امر لي بجائزة و انصراف فقلت لا اقبل شيأ منك دون ان احكي لك ما وقع لبقية اخوتي ولا تحسب اني كثير الكلام اعلم يا امير المؤمنين ان اخي الثاني كان اسمه بقباقه و هو المفلوج وقد وقع له في بعض الايام انه كان ما شيا الى حاجة له و اذا هو بعجوز قد استقبلته و قالت له ايها الرجل قف قليلا حتى اعرض عليك امرا فان اعجبك فاقضه لي واستخر الله فوقف اخي فقالت اقول لك على شيٍ و ارشدك اليه ولا يكون كلامك كثيرا فقال لها اخي هاتي كلامك قالت له ما قولك في دار حسنة و روضة طيبة ماؤها يجري و فاكهة و مدام و وجه مليح تعانقه من العشاء الى الصباح فان فعلت ما اشير لك عليه رأيت الخير فلما سمع اخي كلامها قال لها ياستي وكيف قصدتني بهذا الامر دون الخلق اجمعين فايش الذي اعجبك مني فقالت لاخي ما قلت لك لاتكن كثير الكلام واسكت وامض معي ثم ولت العجوز و اخي تابعها طمعا فيما و صفت له حتى دخلوا دارا فسيحة كثيرة الخدم و صعدت به من ادنى الى اعلا فراى قصرا ظريفا فلما رآه اهل البيت قالوا له من الذي اوصلك الى هنا فقالت لهم العجوز اسكتوا عنه ولا تكدروا قلبه فانه صانع و نحن محتاجون

Digitized by Google

اليه باكر النهار و قالت له يعز علي ماجرى لك انا و ستي قد حملنا همك فلم يكن له لسان يرد جوابا من شدة الضرب و التعب ثم ان اخي اتى الى منزله واذا بالمعلم الذي كتب الكتاب قد جاء و سلم عليه و قال له حياك الله هذا وجه النعيم و الدلال و العناق من العشاء الي الصباح فقال له اخي لا سلم الله الكاذب يا الف قرنان و الله ما جئت الا اطعن موضع الثور الى الصباح فقال له حدثني بحديثك فحدثه اخي بما وقع له فقال له ما وافق نجمك نجمها و لكن اذا شئت اعيرلك ذلك الكتاب فقال له انظر ان بقي لك حيلة اخرى ثم تركه واتى الى مكانه ينظر احدا ياتي اليه بشغل يتقوت منه و اذا هو بالجارية قد اتت اليه و قالت له كلم ستي فقال لها روحي بابنت الحلال ما بيني و بين ستك معاملة فراحت الجارية واعلمت ستها بذلك فما درى اخي الا وهي قد طلعت له من الروشن وهي تبكي و تقول لايش يا حبيبي ما بقي بيني و بينك معاملة فلم يرد عليها جوابا فحلفت له ان جميع ما وقع له في الطاحون لم يكن باختيارها وانها بريئة من ذلك الامر فلما نظر اخي الى حسنها وجمالها و سمع لذيذ كلامها ذهب عنه ما حصل له و قبل عذرها و فرح برؤيتها ثم سلم عليها و تحدث معها و جلس في خياطته مدة فلما كان بعد ذلك جاءت له الجارية و قالت له تسلم عليك ستي و تقول لك ان زوجها قد عزم انه يبيت عند اصدقائه الليلة فاذا مضى هو عندهم تكون انت عندنا و تبيت مع ستي في الذعيش الى الصباح و كان زوجها قد قال لها ما يكون العمل في رجوعه عنك فقالت دعني احتال عليه بحيلة اخرى و اشهّر في هذه المدينة واخي لا يعلم شيأ من كيد النساء فلما كان المساء جاءته الجارية و اخذت اخي رجعت به فلما رات الصبية باخي قالت له والله يا سيدي اني

Digitized by Google

القليل من اجتهاده في تلك الخياطة التي لهم فاتت الجارية وقالت له ايش عملت فقال فرغوا فاخذهم واتي اليهم بها وسلم الى زوجها الثياب وانصرف من ساعته وكانت الصبية قد عرفت زوجها بحال اخي واخي لا يعلم ذلك واتفقت هي وزوجها على استعمال اخي في الخياطة بلا شي ويضحكون عليه فلما اصبح الصباح اتى الى الدكان فاتت اليه الجارية وقالت له كلم سيدي فذهب معها فلما وصل اليه قال له اريد منك ان تفصل لي خمس فرجيات ففصل له واخذ الثياب معه وانصرف ثم انه خيط تلك الفرجيات ومضى بها اليه فاستحسن خياطته وادعى بكيس فيه دراهم ومديده فاشارت اليه الصبية من خلف زوجها ان لاتاخذ شيئا فقال للرجل يا سيدي لاتعجل فالزمان موافي وخرج من عنده وهو اذل من حمار وقد اجتمع عليه خمسة اشياء عشق وافلاس وجوع وعرى وتعب وانما هو يشجع نفسه فلما فرغ اخي من جميع اشغالهم فبعد ذلك عملوا عليه حيلة وزوجوه بجاريتهم وفي الليلة التي اراد ان يدخل عليها قالوا له بت الليلة في الطاحون الى غد يكون خيرا فاعتقد اخي انه صحيح فبات في الطاحون وحده وراح زوج الصبية غمز الطحّان عليه حتى انه يدوره في الطاحون فدخل عليه الطحّان نصف الليل وجعل يقول هذا الثور بطل ووقف ولابقي يدور في هذه الليلة والقمح عندنا كثير ونزل على الطاحون ملأ القادوس قمحا وقصد اخي وكان في يده حبل فربط رقبته وقال هيّا دُر على القمح ما مرادك الا تاكل تخراً وتبول ثم اخذ سوطا في يده وضربه به واخي يبكي ويصيح فلم يجد له مغيثا والقمح ينطحن الى قريب الصبح فجاء صاحب الدار فراى اخي معلقا على الخشبة ومضى وجاءت الجارية

Digitized by Google

واتم خياطته في ذلك اليوم فلما كان من الغد باكرته الجارية وقالت له ستي تسلم عليك وتقول لك كيف كان مبيتك البارحة فانها ماذا قت النوم من شغل قلبها لك ثم قدمت بين يديه طاقة اطلس اصفر وقالت له تقول لك ستي فصل لها من هذه الطاقة سروالين وخيطهما اليوم هذا فقال لها سمعا وطاعة سلمي عليها السلام الكثير وقولي لها عبدك منقاد لامرك فاحكمي عليها بما شئت ثم انه شرع في التفصيل واجتهد في خياطة السروالين وبعد ساعة تطلعت له من الشباك وسلمت عليه بالايماء وهي تارة تغض طرفها وتارة تتبسم في وجهه وهو يظن انه سيظفر بها ثم انها غابت عنه وجاءت الجارية اليه فسلم اليها السروالين فاخذتهما وانصرفت ولما اقبل الليل انطرح على فراشه وبات يتقلب الى الصباح فلما اصبح قام وجلس في مكانه فجاءت الجارية اليه وقالت له ان مولاي يدعوك فلما سمع ذلك خاف خوفا عظيما فلما شعرت الجارية بخوفه قالت له لاباس عليك ما هناك الاالخير فقد جعلت ستي بينك وبين سيدي معرفة ففرح الرجل فرحا عظيما ثم ذهب معها فلما دخل على سيدها زوج ستها قبل الارض فرد عليه السلام ثم ناوله ثيابا كثيرة وقال له فصل لي من هذا وخيطه قميصا فقال اخي سمعا وطاعة ولم يزل يفصل حتى فصل عشرين قميصا الى وقت العشاء فلم يذق طعاما ثم قال له كم يكون لذلك اجرة فقال له عشرون درهما فزعق زوجها على الجارية وقال هاتي عشرين درهما فلم يتكلم اخي فاشارت اليه الصبية يعني لا تاخذ منه شيأ فقال والله ما آخذ منك شيأ واخذ الخياطة وخرج الى برّ وكان اخي محتاجا الى فلس وبقي له ثلثة ايام لايا كل ولا يشرب الا

Digitized by Google

ضحك ضحكا شديدا حتى استلقى على قفاه فقال الخليفة لي ياصامت و اخوتك الستة مثلك فيهم الحكمة و العلم و قلة الكلام قلت لاعاشوا و لابقوا ان كانوا مثلي و لكن ذميتني يا امير المؤمنين ولاينبغي لك ان تقارن اخوتي بي لانهم من كثرة كلامهم و قلة مروتهم صار كل واحد منهم بعاهة فمنهم واحد اعور وواحد فلج و واحد مقطوع الاذن و المنخر و واحد مقطوع الشفتين و واحد احدب و لاتحسب يا امير المؤمنين اني كثير الكلام ولا بدان ابين لك و اني اعظم مروة منهم ولكل واحد منهم حكاية اتفقت له حتى صار فيه عاهة و انا احكي لك اعلم يا امير المؤمنين ان الاول و هو الاحدب كان صنعته الخياطة ببغداد فكان يخيط في دكان استاجرها من رجل كثير المال وكان ذلك الرجل ساكنا على الدكان و كان في اسفل دار الرجل طاحونا فبينما اخي الاحدب جالس في الدكان في بعض الايام يخيط فرفع رأسه فراى امراة كالبدر الطالع في روشن الدار و هي تنظر الى الناس فلما رآها اخي تعلق قلبه بحبها و صار يومه ذلك ينظر اليها فبطل اخي خياطته الى وقت المساء فلما كان اليوم الثاني وقت الصباح فتح دكانه و قعد يخيط و هو كلما غرز غرزة ينظر الى الروشن فرآها على تلك الحالة فازداد حبه لها و هيامه فيها و لما كان اليوم الثالث جلس في مكانه وهو ينظر اليها فراته الامرأة وعلمت انه قد صار اسيرا لحبها فضحكت في وجهه وضحك في وجهها ثم انها غابت عليه و ارسلت جاريتها اليه ومعها بقشة فيها طاقة مشجر احمر فجاءت الجارية اليه و قالت له ستي تقرئك السلام وتقول لك فصل لها بيد الفضل قميصا من هذه الطاقة و خيط خياطة حسنة فقال لها سمعا و طاعة ثم انه فصل لها ثوبا

جملتهم فهذا يا جماعة ما هو من مروتى و قلة كلامى الذي سكتُّ وما رضيت اتكلم فاخذونا بالجنازير وقد مونا بين يدي المستنصر بالله امير المؤمنين فامر بضرب رقاب العشرة فتقدم السياف بعد ان اجلسنا بين يديه في نطع الدم و جرد سيفه و ضرب رقبة واحد بعد واحد الى ان ضرب رقبة العشرة فبقيت انا فنظر الخليفة فقال للسياف ما بالك ضربت رقاب تسعة فقال السياف معاذالله ان تامر بضرب رقاب عشرة فاضرب انا رقاب تسعة فقال له ما اظنك ضربت رقاب غير تسعة و هذا الذي بين يديك هوالعاشر فقال السياف وحق نعمتك انهم عشرة قال فعد وهم فاذا هم عشرة فنظر الي الخليفة و قال ما حملك على سكوتك في مثل هذا الوقت و كيف صرت مع اصحاب الدم وما سبب هذا وانت شيخ كبير و عقلك قليل فلما سمعت خطاب اميرالمؤمنين قلت له اعلم يا اميرالمؤمنين اني انا الشيخ الصامت و عندي من الحمكة شيٌ كثير واما رزانة عقلي و جودة فهمي و قلة كلامي لا نهاية لها و صنعتي مزين فلما كان نهار امس من بأكر النهار نظرت هؤلاء العشرة قاصدين الزورق فاختلطت بهم و نزلت معهم وظننت انهم في وليمة فما كان غير ساعة الا حضرت اليهم الاعوان و جعلوا في رقابهم الجنازير و جعلوا في رقبتي جنزيرا من جملتهم فمن كثرة مروتي سكتُّ ولم اتكلم فما هي الامروة فساروا بنا حتى اوقفونا بين يديك فامرت بضرب رقاب العشرة وبقيت انا بين يدي السياف ولم اعرفكم بنفسي فما هي الا مروة عظيمة التى شاركتهم فيها فى القتل ولكن طول دهري هكذا افعل الجميل مع الناس وهم يكافئونني باوحش مكافات فلما سمع الخليفة كلامي وعلم اني كثير المروة قليل الكلام ما عندي فضول كما يزعم هذا الشاب الذي خلصته من الاهوال

Digitized by Google

خلفته فارسلت في الوقت احضرت الشهود و كتبت و صية لاهلي و فرقت مالي و عملت عليهم ناظرا و امرته ان يبيع الدار و العقارات و وصيته بالكبار و الصغار و خرجت مسافرا من ذلك الوقت حتى اتخلص من هذا القواد و جئت سكنت في بلدكم ولي فيها مدة فلما عزمتم عليّ فيها انا جئت لكم فرايت هذا الملعون القواد عندكم في صدر المكان فكيف يطيب قلبي و مقامي عندكم مع هذا و قد فعل بي هذه الفعال و انكسرت رجلي بسببه ثم ان الشاب امتنع من الجلوس فلما سمعنا حكايته مع المزين قلنا للمزين احق ما قاله هذا الشاب عنك فقال و الله انا فعلت معه ذلك بمعرفتي و عقلي و مروتي ولولا انا لهلك و ما سبب نجاته الا انا و صار مليحا الذى اصاب في رجله ولا اصاب فى روحه و لوكنت كثير الكلام ما فعلت معه الجميل وها انا اقول لكم حديثا جرى لى حتى تصدقوا اني قليل الكلام وما عندي فضـــول من دون اخوتي الستـــة وذلك اني كنت ببغداد على زمن المستنصر باللـــه ابن المستضئ باللـــه وكان هو الخليفة يومئذ ببغداد وكان يحب الفقراء والمساكين و يجالس العلمـــاء والصالحين فاتفق له يوما انه غضب على عشـــر نفر فامر المتولي ببغداد ان ياتيه بهم يوم عيد وكانوا لصوصا قطـــاعين للطريق فخرج متولي البلد فاخذهم و نزل بهم في زورق فنظرتهم انا فقلت لما اجتمعوا هؤلاء الا لوليمة و اظنهم يقطعون نهارهم في هذا الزورق في اكل و شرب و ما يكون نديمهم غيري فقمت يا جماعة من جملة مروتي ورزانة عقلي نزلت معهم في الزورق واختلطت بهم فعبروا وقعدوا الى الجانب الآخر فجاءت له شرطية و اعوان بالجنازير و رموهم في رقا بهم و رموا في رقبتي جنزيرا من

Digitized by Google

و دخل الدار فلما رايت المزين دخل طلبت طريقا للخروج والهروب فلم اجد بدون اني رايت في الطبقة التي انا فيها صندوقا كبيرا فدخلت فيه و رديت الغطاء علي و قطعت نفسي فدخل القاعة فلم يدخلها الا ان رجع علي و اطلع على الموضع الذي انا فيه والتفت يمينا و شمالا و تقدم للصندوق الذي انا فيه و حمله على راسه فغاب رشدي ثم مر مسرعا فلما علمت انه ما يتركني جذبت نفسي و فتحت الصندوق و رميت نفسي الى ارض فانكسرت رجلي و انفتح الباب فشاهدت على الباب خلقا كثيرا وكان في كمي ذهبا كثيرا اعددته لمثل هذا اليوم و مثل هذا الامر فجعلت انثر الذهب على الناس ليشتغلوا به فاخذوه واشتغلوا به و صرت اجري في ازقة بغداد يمينا و شمالا و هذا المزين الملعون خلفي واي مكان دخلت فيه يدخل هذا المزين خلفي و هو يقول ارادوا يفجعوني في سيدي الحمد لله الذي نصرني عليهم و خلص سيدي من ايديهم فما زلت يسوني تدبيرك حتى فعلت بنفسك هذه الفعال فلولا منّ الله عليك بي ما كنت خلصت من هذه المصيبة التي و قعت فيها و كانوا يرمونك في مصيبة لا تخلص ابدا وكم تريد انا اعيش لك حتى اخلصك والله لقد اهلكتني بسوء تدبيرك وكنت تريد انك تروح وحدك و لكن ما نوّاخذك على جهلك لانك قليل العقل عجول فقلت له ما كفاك ما جرى منك حتى تجري ورآي وتتكلم معي بمثل هذا الكلام في الاسواق وكادت روحي تذهق مني من شدة غيظي منه فدخلت دكانا في وسط السوق واستجرت بالحائك فمنعه عني و جلست في مخزن و قلت في نفسي ما علت اقدر افترق من هذا المزين الملعون وهو يقيم عندي ليلا ونهارا ولا بقي فيّ رمق انظر الى

Digitized by Google

خلقته فارسلت في الوقت احضرت الشهود و كتبت و صية لاهلي و فرقت مالي و عملت عليهم ناظرا و امرته ان يبيع الدار و العقارات و وصيته بالكبار و الصغار و خرجت مسافرا من ذلك الوقت حتى اتخلص من هذا القواد و جئت سكنت في بلدكم ولي فيها مدة فلما عزمتم عليّ فها انا جئت لكم فرايت هذا الملعون القواد عندكم في صدر المكان فكيف يطيب قلبي و مقامي عندكم مع هذا و قد فعل بي هذه الفعال و انكسرت رجلي بسببه ثم ان الشاب امتنع من الجلوس فلما سمعنا حكايته مع المزين قلنا للمزين احق ما قاله هذا الشاب عنك فقال و الله انا فعلت معه ذلك بمعرفتي و عقلي و مروتي ولولا انا لهلك و ما سبب نجاته الا انا و صار مليحا الذى اصاب في رجله ولا اصاب فى روحه و لو كنت كثير الكلام ما فعلت معه الجميل وها انا اقول لكم حديثا جرى لى حتى تصدقوا اني قليل الكلام وما عندي فضول من دون اخوتي الستة وذلك اني كنت ببغداد على زمن المستنصر بالله ابن المستضئ بالله وكان هو الخليفة يومئذ ببغداد وكان يحب الفقراء والمساكين و يجالس العلماء والصالحين فاتفق له يوما انه غضب على عشر نفر فامر المتولي ببغداد ان ياتيه بهم يوم عيد وكانوا لصوصا قطاعين للطريق فخرج متولي البلد فاخذهم و نزل بهم في زورق فنظرتهم انا فقلت ما اجتمعوا هؤلاء الا لوليمة و اظنهم يقطعون نهارهم في هذا الزورق في اكل و شرب و ما يكون نديمهم غيري فقمت يا جماعة من جملة مروتي ورزانة عقلي نزلت معهم في الزورق واختلطت بهم فعبروا وقعدوا الى الجانب الآخر فجاءت له شرطية و اعوان بالجنازير و رموهم في رقابهم و رموا في رقبتي جنزيرا من

Digitized by Google

و دخل الدار فلما رايت المزين دخل طلبت طريقا للخروج والهروب فلم اجد دون اني رايت في الطبقة التي انا فيها صندوقا كبيرا فدخلت فيه و رديت الغطاء علي و قطعت نفسي فدخل القاعة فلم يد خلها الا ان رجع علي و اطلع على الموضع الذي انا فيه و التفت يمينا و شمالا و تقدم للصندوق الذي انا فيه و حمله على راسه فغاب رشدي ثم مر مسرعا فلما علمت انه ما يتركني جذبت نفسي و فتحت الصندوق و رميت نفسي الى ارض فانكسرت رجلي و انفتح الباب فشاهدت على الباب خلقا كثيرا وكان في كمي ذهبا كثيرا اعددته لمثل هذا اليوم و مثل هذا الامر فجعلت انثر الذهب على الناس ليشتغلوا به فاخذوه واشتغلوا به و صرت اجري في ازقة بغداد يمينا و شمالا و هذا المزين الملعون خلفي واي مكان دخلت فيه يدخل هذا المزين خلفي و هو يقول ارادوا يفجعوني في سيدي الحمد لله الذي نصرني عليهم و خلص سيدي من ايديهم فما زلت يسوّني تدبيرك حتى فعلت بنفسك هذه الفعال فلولا منّ الله عليك بي ما كنت خلصت من هذه المصيبة التي و قعت فيها و كانوا يرمونك في مصيبة لا تخلص ابدا وكم تريد انا اعيش لك حتى اخلصك و الله لقد اهلكتني بسوء تدبيرك وكنت تريد انك تروح وحدك و لكن ما نوّاخذك على جهلك لانك قليل العقل عجول فقلت له ما كفاك ما جرى منك حتى تجري ورآي و تتكلم معي بمثل هذا الكلام في الاسواق وكادت روحي تذهق مني من شدة غيظي منه فدخلت دكانا في وسط السوق و استجرت بالحائك فمنعه عني و جلست في مخزن و قلت في نفسي ما علت اقدر افترق من هذا المزين الملعون وهو يقيم عندي ليلا ونهارا ولا بقي فيّ رمق انظر الى

Digitized by Google

شعورهم يصيحون و اسيداه و هذا المزين قد امهم مخرق الثياب و هو يصيح والنـــاس معه قال ولم يزالوا اهلى يصرخون و هو في اوائلهم يصرخ وهم يقولون و اقتيلاه و اقتيلاه وهموا نحو الدار الذي انا فيهـــا فسمع صاحب الدار الضجة و الصراخ على بابه فقال لبعض غلمانه انظر ما الخبر فخرج الغلام و عاد الى سيده و قال يا سيدي على الباب ازيد من عشرة آلاف نفس ما بين رجل و امرأة و هم يصيحون و اقتيلاه و يشيرون الى دارنا فلما سمع القـــاضي ذلك عظم عليه الامر فغضب و قام وخرج وفتح الباب فراى جمعا عظيما فبهت و قال يا قوم ما القصة فقالوا له الغلمان يا ملعون يا كلب يا خنزير انك قتلت سيدنا فقال يا قوم و ما الذي فعله سيدكم حتى اقتله و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكـــلام المبـــاح

فلما كانت الليلة الحادية والثلثون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان القاضي قال للغلمان ما الذي فعله سيدكم حتى اقتله و هذه داري بين ايديكم فقال له المزين انت ضربته في هذه الساعة بالمقارع و انا اسمع عياطه فقال القـاضي و ما الذي فعله حتى اقتله و من ادخله داري و من اين الى اين فقال له المزين لاتكن شيخا نحسا و انا اعلم الحكاية و الحـال كله بنتك تعشقـه و هو يعشقهـا فلمـا علمت انه قد دخل دارك امرت غلمانك فضربوه و الله ما بيننا و بينك الا الخليفة او تخرج لنا سيدنا يا خذه اهله من قبل ان ادخل و اخرجه من عندكم و تخجل انت فقال له القاضي و قد التجم عن الكلام و تغمم بالحياء من الناس ان كنت صادقا فادخل انت و اخرجه فهمـــز المزين

Digitized by Google

يا بارد تقول لي ما استحيى وتخفي عني وانا علمت هذا وتحققته وانما اطلب اساعدك اليوم بنفسي قال فخشيت ان تسمع اهلي وجيراني بمقالة المزين فسكتُّ سكوتا طويلا وادركنا وقت الصلوة وجاء وقت الخطبة وقد فرغ حلق راسي فقلت له امض الى اصحابك بهذا الطعام والشراب وانا انتظرك حتى تعود وتمضي معي ولم ازل لهذا الملعون اداهنه واخادعه لعله يمضي عني فقال لي انك تخادعني وتمضي وحدك وترمي نفسك في مصيبة لاخلاص لك منها فالله الله لاترح حتى اعود اليك وامضي معك حتى اعلم ما يتم من امرك فقلت له نعم لا تبطئ علي فاخذ جميع ما اعطيته له من الطعام والشراب وغيره وخرج من عندي وسلمه هذا الملعون الى حمال ودّاه الى منزله واخفى نفسه في بعض الازقات ثم قمت من ساعتي وقد سلم المؤذنون فلبست ثيابي وخرجت وحدي واتيت الى الزقاق ووقفت على البيت الذي رايت فيه الصبية فوجدت العجوز واقفة تنتظرني فطلعت معها الى الطبقة التي فيها الجارية فلما دخلتها واذا بصاحب الدار عاد الى منزله من الصلوة ودخل القاعة واغلق الباب فاشرفت انا من الطاق فرايت هذا المزين لعنة الله عليه قاعدا على الباب فقلت من اين علم هذا الشيطان بي فاتفق في هذه الساعة لامر يريده الله من هتك ستري ان جارية صاحب الدار اذ نبت عنده فضربها فصاحت فدخل عبده ليخلصها فضربه فصاح الآخر فاعتقد المزين الملعون انه يضربني فصاح وخرق الثوابه وحثا التراب على رأسه وبقي يصرخ ويستغيث والناس حوله وهو يقول قُتل سيدي في بيت القاضي ثم مضى الى داري وهو يصيح والناس خلفه واعلم اهل بيتي وغلماني فما دريت الا وهم اقبلوا مخرقين الثياب وحالين

Digitized by Google

ذلك في غير هذا اليوم و ضحكت من قلب الغيظ و قلت له اقض شغلي و اسير انا في امان الله تعالى و تمضي انت الى اصحابك فانهم ينتظرون قدومك فقال يامولاي ما طلبت الا ان اعاشرك بهؤلاء الاكياس اولاد الناس الذين ما فيهم فضولي ولا كثير الكلام فاني مذ نشأت ما اقدر اعاشر من يسال عمن لا يعنيه ولا اعاشر الا من اكون مثلي قليل الكلام فانك لو عاشرتهم و رايتهم مرة واحدة تترك جميع اصحابك فقلت له تم الله بهم سرورك ولا بدلي ان احضر عندهم يوما من الايام فقال اردت ذلك في هذا اليوم فان كنت قد عولت ان تمضي معي الى اصدقائي فدعني امضي بما تفضلت به اليهم و ان كنت لا بد لك الرواح الى اصدقائك في هذا اليوم فانا امضي بهذا الاكرام الذي اكرمتني به و ادعه عندا صحاب يا كلون و يشربون ولا ينتظروني ثم اعود اليك و امضي معك الى اصدقائك فليس بيني و بين اصدقائي حشمة تمنعني عن تركهم و اعود اليك عاجلا امضي معك اينما توجهت فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم امض انت الى اصدقائك وانشرح معهم و دعني امضي الى اصدقائي و اكون معهم في هذا اليوم فانهم ينتظروني فقال المزين لا ادعك تمضي وحدك فقلت له ان الموضع الذي امضي انا اليه لا يقدر احد ان يدخل فيه غيري فقال اظنك اليوم في ميعاد و احدة و الا كنت تاخذني معك و انا احق من جميع الناس و اساعدك على ما تريد فاني اخاف ان تدخل على امراة اجنبية فتروح روحك فان هذه مدينة بغداد لا يقدر احد يعمل فيها شيأ من هذه الاشياء لا سيما في مثل هذا اليوم و هذا و الي بغداد صار عظيم فقلت ويلك ياشيخ السوء إنقلع لايش هذا الكلام الذي تقابلني به فقال لي

دعوتي اليوم كلها من بعض فضلك و احسانك و ليس عندي من يستحق ذلك وانما عندي سادة محترمون مثل زنتوت الحمامي و صليع الفامي و سيلت الفوال و عكرشة البقال و حميد الزبال وسعيد الجمال وسويد العتال وابو مكارش البلان و قسيم الحارس وكريم السائس كل هؤلاء ما فيهم ثقيل و لا معربد ولا فضولي و لا منكد و لكل واحد من هؤلاء رقصة يرقصها وابيات ينشدها و احسن ما فيهم انهم مثل خادمك المملوك لا يعرفون كثرة الكلام ولا الفضول اما الحمامي فانه يغني على الدربلة شيأ مثل السحر و يقوم يرقص و يقول انا رائح امي املى جرتي واما الفامي فانه يجئ بالمعرفة احسن من غيره و يرقص و يقول يا نائحة ياستي ماقصرتِ فما يخلي لاحد نوادا من الضحك عليه و اما الزبال فانه يغني فيوقف الاطيار و يرقص و يقول الخبر عند زوجتي صار في صندوق وله مقدار و هو كيس خليع و في حسنه اقول

رُوحِي الْفِدَاءُ لِزَبَّالٍ شَغَفْتُ بِهِ ... حُلْوُ الشَّمَائِلِ يَحْكِي الْغُصْنَ مَيَّادَا
جَادَ الزَّمَانُ بِهِ لَيْلًا فَقُلْتُ لَهُ ... وَالشَّوْقُ يَنْقُصُ مِنِّي كُلَّمَا زَادَا
أَضْرَمْتَ نَارَكَ فِي قَلْبِي فَجَاوَبَنِي ... لَا غَرْوَ إِنْ أَصْبَحَ الزَّبَّالُ وَقَّادَا

و قد كمل في كل واحد من هؤلاء ما يلهي العقول من اللهو والمضحكة ثم قال و ليس الخبر كالعيان فان اخترت ان تحضر عندنا فان ذلك اجب اليك و الينا و اترك رواحك الى اصدقائك الذين عوّلت عليهم فان عليك اثر المرض وربما تمضي الى اقوام كثيرين الكلام يتكلمون فيما لا يعنيهم او يكون فيهم واحد فضولي يصدع رأسك و انت صغرت روحك من المرض فقلت له يكون

وقت الصلوة واريدان امضي قبل ان تخرج الناس من الصلوة فان تاخرت ساعة لاادري اين السبيل الى الدخول اليها فقلت اوجزودع عنك هذا الكلام والفضول فاني اريدان امضي الى دعوة عند بعض اصحابي فلما سمع ذكر الدعوة قال يومك يوم مبارك علي لقد كنت البارحة حلفت على جماعة من اصدقائي ونسيت ان اهتم لهم في شيء ياكلونه والساعة افتكرت وافضيحتاه منهم فقلت له لاتهتم بهذا الامر بعد تعريفك انني اليوم في دعوة فكل ما في داري من طعام وشراب فهولك ان انجزت امري وعجلت حلاقة راسي فقال جزاك الله خيرا صف لي ما عندك لاضيافي حتى اعرفه فقلت عندي خمسة الوان طعام وعشر دجاجات محمرات وخروف مشوي فقال احضرهم لي حتى انظر فاحضرت له ذلك جميعه فلما عاينه قال بقي الشراب فقلت له عندي فقال احضره فاحضرته له قال لله درك ما اكرم نفسك لكن بقي البخور والطيب فاحضرت له درجانية ند وعود وعنبر ومسك يساوي خمسين دينارا وكان الوقت قد ضاق وضاق صدري فقلت له خذ هذا واحلق لي جميع راسي بحياة محمد صلى الله عليه وسلم فقال المزين والله ما آخذه حتى ارى جميع ما فيه فامرت الغلام ففتح له الدرج فرمى المزين الاصطرلاب من يده وجلس على الارض يقلب الطيب والبخور والعود الذي في الدرج حتى ضاق صدري ثم تقدم واخذ الموسى وحلق من راسي شيئا يسيرا وانشد يقول

يَنْشُو الصَّغِيرُ عَلَى مَا كَانَ وَالِدُهُ ۝ إِنَّ الْأُصُولَ عَلَيْهَا يَنْبُتُ الشَّجَرُ

وقال والله يا ولدي ما ادري اشكرك ام اشكر والدك لان

Digitized by Google

العجلة من الشيطان والتأني من الرحمن ثم انه انشد يقـــول

تَأَنَّ وَلَا تَعْجَـــلْ لِأَمْرٍ تُرِيْدُهُ وَكُنْ رَاحِمًا لِلنَّاسِ تُبْلَى بِرَاحِمِ
وَمَا مِنْ يَدٍ إِلَّا يَدُ اللّٰهِ فَوْقَهَا وَلَا ظَالِمٍ إِلَّا سَيُبْلَى بِظَالِـــمِ

ثم قال يا مولاي ما اظنك تعرف بمنزلتي فان يدي تقع على رؤس الملوك والامراء والوزراء والحكماء والفضلاء وفي قال الشاعر شعـــر

جَمِيْعُ الصَّنَائِعِ مِثْـلُ الْعُقُوْدِ وَهٰذَا الْمُزَيِّنُ دَا رُالسُّـــلُوْكِ
فَيَعْـلُوْ عَلَى كُلِّ ذِيْ حِكْمَـــةٍ وَتَحْـتَ يَدَيْهِ رُؤُسُ الْمُلُـوْكِ

فقلت له دع مالا يعنيك فقد ضيقت صدري واشغلت خاطري فقال اظنك مستعجلا فقلت له نعم نعم فقال تمهل على نفسك فان العجلة من الشيطان وهي تورث الندامة والحرمان وقد قال عليه الصلوة والسلام خير الامر ماكان فيه تانى وانا والله رابني امرك فاشتهي ان تعرفني ما قصدت عليه فاني اخشي ان يكون شيأ غير ذلك وقد بقي لوقت الصلوة ثلث ساعات ثم قال ما اريد ان اكون في شك من ذلك بل اريد اعرف الوقت على التحقيق لان الكلام اذا كان رجما بالغيب كان فيه عيب لاسيما لمثلي وقد ظهر واشتهر عند الناس فضلي فماينبغي لي ان اتكلم حدسا كما تتكلم عامة المنجمين ثم رمى الموسى من يده واخذ الاسطرلاب ومضى تحت الشمس ووقف مدة مديدة وعاد وقال قد بقي لوقت الصلوة ثلث ساعات لاتزيد ولا تنقص فقلت له بالله عليك اسكت عني فقد فتت كبدي فاخذ الموسى وسنه كما فعل اولا وحلق بعض راسي وقال انا مهموم من عجلتك فلو اطلعتني على سببها لكان خيرالك لانك تعلم ان اباك وجدك ماكانا يفعلان شيئا الا بمشورتي فلما علمت ان مالي منه خلاص وقلت في نفسي جاء

Digitized by Google

ما اوجب قولك للغلام اعطه مائة و ثلث دنانير فقال دينار حق النجامة و دينار حق المسامرة و دينار حق الحجامة والمائة دينار والخلعة حق مدحك لي فقلت له لا رحم الله ابي الذي عرف مثلك فضحك هذا المزين وقال لا اله الا الله محمد رسول الله سبحان من يغير ولا يتغير ما كنت اظنك الا عاقلا لكنك خرفت من المرض وقال الله في كتابه العزيز و الكاظمين الغيظ و العافين عن الناس و انت معذور على كل حال و ما ادري سبب عجلتك و انت تعلم ان اباك وجدك ما كانا يفعلان شيأ الا بمشورتي و قد قيل ان المستشار مؤتمن وماخاب من استشار و قد قيل في بعض الامثال من لم يكن له كبير فليس هو بكبير و قد قال الشـــــــــــــــاعر

إِذَا مَا عَـزَمْتَ عَلَى حَاجَـةٍ فَشَـاوِرْ خَبِيرًا وَلَا تَعْصِـهِ

و ما تجد احدا اعرف مني في الامور وانا واقف على اقدامي اخدمك و ما ضجرت منك فكيف ضجرت انت مني و انا اصبر عليك لاجل ما لابيك علي من الفضل فقلت له و الله يا ذَنَب الحمار لقد اطلت علي الخطاب وزدت علي في المقال و انا قصدي ان تحلق رامي و تنصرف عني ثم انه قد بل رامي وقال لي قد علمت انه دخلك الضجر مني لكن لا اؤاخذك لان عقلك ضعيف و انت صبي و متى كنت بالامس كنت احملك على كتفي و امضي بك الى المكتب فقلت له ياأخي بحق الله عليك اصبر علي حتى اقضي شغلي و قم الى حال سبيلك ثم شققت اثو ابي فلما رآني فعلت ذلك اخذ الموسى و سنّه ولا زال يسنه حتى كاد عقلي يفارقني ثم تقدم الى رامي و حلق منها بعضا ثم رفع يده و قال يا مولاي

Digitized by Google

الهدار و الثالث فقيق و الرابع اسمه الكوزالا سواني والخامس اسمه النشار و السادس اسمه شقاشق و السابع اسمه الصامت و هو انا فلما زاد علي هذا المزين بالكلام حسيت ان مرارتي انفطرت وقلت للغلام اعطه ربع دينار و دعه ينصرف عني لوجه الله فلا حاجة لي بحلاقة راسي فقال هذا المزين حين سمع كلامي للغلام ايش هذا المقال يا مولاي والله لاآخذ منك اجرة حتى اخد مك ولا بد من خدمتك فانه واجب علي خدمتك و قضاء حاجتك ولا ابالي اذا لم آخذ منك دراهم فان كنت لاتعرف قدري انا اعرف قدرك وكان والدك رحمه الله تعالى له علينا من الا حسان لانه كان كريما والله لقد ارسل و الدك خلفي يوما بمثل هذا اليوم المبارك فد خلت عليه و كان عنده جماعة من اصحابه فقال لى اخرج لي دما فاخذت الا صطرلاب و اخذت له الا رتفاع فوجدت الطالع له نحسا و اخراج الدم فيه صعب فاعلمته بذلك فامتثل امري وصبر فانشدت في مدحه

اَتَيْتُ اِلَى الْمَوْلٰى لِاِنْقَاصِ الدَّمِ ... فَلَمْ اَرَ وَقْتًا يَقْتَضِي صِحَّةَ الْجِسْمِ
جَلَسْتُ اُحَدِّثُهُ بِكُلِّ عَجِيْبَةٍ ... وَبَيْنَ يَدَيْهِ اَنْشُرُ الْعِلْمَ مِنْ فَهْمِي
فَاَعْجَبَهُ مِنِّي السِّمَاعُ وَ قَالَ لِي ... تَجَاوَزْتَ حَدَّ الْفَهْمِ يَامَعْدِنَ الْعِلْمِ
فَقُلْتُ لَهُ لَوْلَاكَ يَاسَيِّدَ الْوَرٰى ... اَفَضْتَ عَلَيَّ الْفَهْمَ مَا زَادَنِي فَهْمِي
كَاَنَّكَ رَبُّ الْفَضْلِ وَالْجُوْدِ وَالْعَطَا ... وَكَنْزُ الْوَرٰى فِي الْعِلْمِ وَالْفَهْمِ وَالْحِلْمِ

فاطرب و الدك و صاح للغلام و قال اعطه مائة و ثلث دينار وخلعة فاعطاني جميع ذلك الى ان اتت ساعة حميدة واخرجت له فيها الدم ولا خالفني وشكرني وشكروني الجماعة الحاضرون فبعد خروج الدم ما امكنني السكوت حتى قلت له بالله يا مولاي

Digitized by Google

و خَوَّلَت علي بفال غير ميلح و انا ما طلبتك الا لتحلق راسي فقم واحلق راسي ولا تطول معى الكلام فقال والله لو علمت بالذي رائح يجري لك لم تعمل في هذا النهار شيئا و انا اشير عليك انك تعمل بالذي اقول لك عليه في حساب الكواكب فقلت له والله اني ما رايت مزينا له مهارة في علم النجوم سواك لكنى ادرى و اعلم انك كثير الخُرْ عُبْـلَاتِ و انا ما دعوتك الا لتـزين راسي فجئتنى بهذا الكلام الفاسد فقال المزين اتريد ازيد من هذا فقد مَنَّ الله عليك بمزين منجم عالم بصنعة الكيمياء و السيمياء و النحو و الصرف و اللغة و علم المعاني والبيان و علم المنطق والحساب و الهيئة والهندسة والفقه والحديث و التفسير و قد قرأت الكتب و درستها و مارست الامور و عرفتهـا و حفظت العلوم و اتقنتهـا و علمت الصنعة و احكمتهـا و دبرت جميع الاشياء و ركبتها وكان والدك يحبنى لقلة فضولي و لهذا خدمتى عليك فرض و انا قليل الفضول لا كمازعمت ولاجل هذا أُدعى بالصامت الرزين وكان سبيلك ان تحمد الله ولا تخالفني فاني ناصح لك و شفقان عليك و اودان اكون في خدمتك سنة كاملة و تقوم بحقي ولا اريد منك اجرة على ذلك فلما سمعت ذلك منه قلت له انك قا تلي لا محالة في هذا اليوم و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــــــــبـــــــــــاح

فلما كانت الليلة الموفية للثلثين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب قال له انك قاتلي في هذا اليوم فقال يا سيدي انا الذي يسمونني الناس الصامت لقلة كلامي دون اخوتي الستة لان اخي الكبير اسمه البقبوق و الثاني

Digitized by Google

امضي اليهـــا فقالت العجوز ان معك فى الوقت فسحة فلو مضيت الى الحمام و ازلت شعـــرك لاسيما من اشد المرض لكان في ذلك صلاحلا فقلت هو الصواب لكن احلق راسي و اعود ادخل الحمـام ثم ارسلت خلف المزين يحلق راسي و قلت للغلام امض الى السوق و أتني بمزين يكون عاقلا و قليل الفضول لا يصدع راسى بكثرة كلامه فمضى الغلام و اتى بهذا الشيخ السوء فلما دخل سلم علي فرددت عليه السلام فقال اني اراك ناحل الجسم فقلت له اني كنت مريضا فقال اذهب الله همك و غمك والباس و الاحزان عنك فقلت تقبل الله منك فقال ابشر يا سيدي فقد جاءتك العافية تريد تقصير شعرك او تخرج دما فانه ورد عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال من قصر شعرة يوم الجمعة صرف عنه سبعين داء و روي عنه ايضا انه قال من احتجم يوم الجمعة امن من ذهاب البصر وكثرة المرض فقلت له دع عنك هذا الكلام وقم الساعة احلق لي راسي فاني رجل ضعيف فقام ومد يده واخرج منديلا و فتحه واذا فيه اصطرلاب و هو سبع صفائح مطعم بالفضة فاخذه ومضى الى وسـط الدار و رفع راسه الى شعاع الشمس و نظر مَلِيًا و قال لي اعلم انه مضى من يومناهذا الذي هو يوم الجمعة وهو يوم جمعة عاشر صفر سنـة ثلث و خمسين و ستمائة من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلوة والسلام و سبع آلاف و ثلثماية وعشـــرين من تا ريخ الا سكندر والطالع في يومنا هذا على ما اوجب علم الحساب من المريخ ثمان درج و ست دقايق و اتفق انه قارنه عطارد و ذلك يدل على ان حلق الشعر طيب ودل عندي انك تريد الاتصال بشخص و هو مسعود لكن بعده كلام يقع و شي لا اذكره لك فقلت له والله لقد اضجرتني و صغرت روحي

Digitized by Google

متغير فقالت يا ولدي لا تسأل ما جرى لي منها لما قلت لها ذلك و قالت لي ان لم تسكتي يا عجوز النحس عن هذا الكلام لا فعلن بك ما تستحقين و لكن لابد ان ارجع لها ثاني مرة فلما سمعت ذلك منها ازددت مرضا على مرضي فلما كان بعد ايام اتت العجوز و قالت يا ولدي اريد منك البشارة فلما سمعت ذلك منها ردت روحي و قلت لها لك كل خير فقالت لما كان امس مضيت الى الصبية فنظرتني و انا منكسرة الخاطر باكية العين فقالت يا خالتي مالي اراك ضيقة الصدر فلما قالت لي ذلك بكيت و قلت لها ياستي اتيتك من عند فتى يهواك و هو مشرف على الموت من اجلك فقالت و قد رق قلبها و من اين يكون هذا الفتى الذي ذكرتِه قلت هو ولدي و ثمرة فؤادي و رآك في الطاقة من ايام مضت و انت تسقي زرعك و راى وجهك فهام بك عشقا و انا اول مرة اعلمته بما جرى لي معك فزاد مرضه و لزم الوسادة و ما هو الا ميت لا محالة فقالت و قد اصفر لونها هذا كله من اجلي قلت اِيْ والله فماذا تريدين قلت امضي اليه و اقرئيه مني السلام و قولي ان عندي اضعاف ماعنده فاذا كان يوم الجمعة قبل الصلوة ياتي الى الدار فاذا جاء انا انزل و افتح الباب و اطلعه عندي و اجتمع و اياه ساعة و يرجع قبل ان ياتي ابي من الصلوة فلما سمعت كلام العجوز زال ما كنت اجده من الالم فطاب قلبي و رفعت لها ما كان علي من الثياب و انصرفت وقالت لي طب قلبك فقلت لها لم يبق في شيء من الالم و تباشر اهل بيتي و اصحابي لعافيتي و لم ازل كذلك الى يوم الجمعة و اذا بالعجوز دخلت علي و سالتني عن حالي فاخبرتها اني بخير و عافية ثم لبست ثيابي و تعطرت و بقيت انتظر الناس يدخلون الى الصلوة حتى

Digitized by Google

المدينة و انا الليلة لا ابات الا مسافرا فقلنا له بالله عليك احك لنا حكايتك فقال الشاب و قد اصفر لون المزين يا جماعة اعلموا ان والدي كان من اكابر تجار بغداد ولم يرزقه الله تعالى بولد غيري فلما كبرت و بلغت مبلغ الرجال توفي والدي الى رحمه الله تعالى وخلف لي مالا و خدما وحشما فصرت البس مليحا و آكل مليحا و كان الله ابغضني في النساء ففي يوم من الايام انا ما شي في ازقة بغداد و اذا بجماعة النسوة تعرضن لي في الطريق فهربت و دخلت زقاقا لا ينفذ و ارتكنت في آخره على مِصْطَبَةٍ فلم اتعد غير ساعة و اذا بطاقة قصر المكان الذي انا فيه فتحت و طلعت منها صبية كالبدر في تمامه لم ار عمري مثلها و لها زلع تسقيه وهو على الطاقة فالتفتت يمينا و شمالا و قفلت الطاقة و مضت فانطلقت في قلبي النار و اشتعل خاطري بها و انقلبت البغضة محبة فلا زلت جالسا الى المغرب و انا غائب عن الدنيا و اذا بقاضي المدينة راكب وقد امه عبيدو وراءه خدم فنزل و دخل البيت الذي طلعت منه الصبية فعرفت انه ابوها ثم اني جئت الى منزلي و انا مكروب و وقعت علي الفراش مهموما فدخل علي جواري و قعدن حولي و لم يعرفن ما بي و انا لم ابْدِ لهم خطا با فبكين علي و تاسفن فدخلت علي عجوز فراتني فما خفي عليها حالي فقعدت عند راسي ولا طفتني و قالت يا ولدي قل لي خبرك و انا اكون سبب وصلتك فقلت لها حكايتي فقالت يا ولدي هذه بنت قاضي بغداد وعليها الحجر والموضع الذي رايتها فيه طبقتها و ابوها له قاعة كبيرة اسفل وهي جالسة وحدها و انا كثيرا ما ادخل لهم و لكن لم تعرف وصالها الامني فشد حيلك فشددت نفسي لما سمعت حديثها و فرحوا اهلي في ذلك اليوم و اصبحت طيبا فمضت العجوز و رجعت و وجهها

Digitized by Google

والدي وانا اليوم في ارغد عيش فهذا سبب قطع يدي اليمين فتعجبت منه واقمت عنده ثلثة ايام واعطاني مالا كثيرا وسافرت من عنده فوصلت الى بلدكم هذا فطابت لي المعيشة وجرى لي مع الاحدب ما جرى فقال ملك الصين ما هذا باعجب من حديث الاحدب ولكن لابد لي من شنقكم ولكن بقي الخياط الذي هو رأس كل خطيئة ثم قال يا خياط ان حدثتني بشيء اعجب من حديث الاحدب وهتكم ذنوبكم فعند ذلك تقدم الخياط وقال اعلم يا ملك الزمان ان اعجب ما جرى لي واتفق لي بالامس انا كنت قبل ان اجتمع بالاحدب اول النهار في وليمة لبعض اصحابي وجمع عنده نحو عشرين نفرا من اهل هذه المدينة وفينا اصحاب صنايع خياطين وقزازين ونجارين وغير ذلك فلما طلعت الشمس مدلنا الطعام لنأكل واذا بصاحب الدار قد دخل علينا ومعه شاب غريب مليح من اهل بغداد وعلى ذلك الشاب احسن ما يكون من الثياب والجمال غير انه اعرج فدخل علينا وسلم فقمنا له فجاء يجلس فراى فينا انسانا مزيّنا فامتنع من الجلوس واراد ان يخرج من عندنا فمسكناه ومسك فيه صاحب المنزل وحلف عليه وقال له ما سبب دخولك وخروجك فقال بالله يا مولاي لاتتعرض لي بشيء فان سبب رجوعي هذا المزيّن النحس الذي قاعد فلما سمع منه صاحب الدعوة هذا الكلام تعجب غاية العجب وقال كيف هذا الشاب من بغداد وتشوش خاطره من هذا المزين ثم نظرنا له وقلنا له احك لنا ما سبب غيظك من هذا المزين فقال الشاب يا جماعة جرى لي مع هذا المزين مجرى في بغداد الذي هو بلدي وكان هو سبب عرجي وكسر رجلي وحلفت اني ما بقيت اجالسه في مكان ولا في بلد هو قاطن فيها وقد سافرت من بغداد ورحلت منها وسكنت في هذه

Digitized by Google

عَلَيْكَ بِالصِّدْقِ وَلَوْ أَنَّهُ . أَحْرَقَكَ الصِّدْقُ بِنَارِ الْوَعِيدِ

فقلت يا مولاي اقول لك الحق ثم حدثته على ماجرى لي مع الصبية الاولى وكيف جاء تني بالثانية وكيف ذبحتها من الغيرة و ذكرت له الحديث بتمامه فلما سمع كلامي هز راسه و ضرب يده اليمنى على اليسرى وحط منديله على وجهه و بكى ساعة وانشاء يقول شعر

أَرَى عِلَلَ الدُّنْيَا عَلَيَّ كَثِيرَةً وَصَاحِبُهَا حَتَّى الْمَمَاتِ عَلِيلُ
لِكُلِّ اجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيلَيْنِ فُرْقَةٌ وَكُلُّ الَّذِي دُونَ الْفِرَاقِ قَلِيلُ

ثم اقبل علي وقال اعلم يا ولدي ان الصبية الكبيرة بنتي و كنت احجر عليها حجرا عظيما فلما بلغت ارسلتها مصر و تزوجت لولد عمها فمات فجاءتني وقد تعلمت القبح من اولاد مصر وجاءتك اربع مرات ثم جاءتك باختها الصغيرة و الاثنان شقيقتان وكانتا تحبان لبعضهما بعضا فلما جرى للكبيرة ماجرى اخرجت سرها على اختها فطلبت الذهاب معها ثم رجعت وحدها فسالتها عنها فوجدتها تبكي عليها و قالت لامها سرا بحضرتي على ماجرى من ذبحها لاختها و لم تزل تبكي و تقول و الله لا ازال ابكي عليها حتى اموت وكان الامر كذلك فانظر يا ولدي ما جرى و انا اشتهي منك ان لا تخالفني فيما اقوله لك و هو اني ازوجك ابنتي الصغيرة فانها ليست شقيقة لهما و هي بكر ولم آخذ منك مهرا واجعل لكما راتبا من عندي و تبقى عندي بمنزلة ولدي فقلت نعم و من اين كنا حتى نصل الى ذلك فارسل في الحال للقاضي و الشهود و كتب كتابي و دخلت بها و اخذلي من كبير السوق ما لا كثيرا وصرت عنده في اعز مكان و في هذا العام مات والدي فارسل الصاحب من عنده بريدا و اتاني بمالي الذي خلفه

Digitized by Google

بالحرام فقلت له سيدي اصبر علي يومين او ثلثة حتى انظرلي موضعا
قال نعم و مضى و تركني فبقيت قاعدا ابكي و اقول كيف ارجع الى
اهلي و انا مقطوع اليد و لم يعلموا اني بريٌ فلعل الله يحدث
بعد ذلك امرا و بكيت بكاء شديدا فلما مضى صاحب القاعة عني
لحقني غم شديد فتشوشت يومين وفي اليوم الثالث ما ادري الا
وصاحب القاعة جاءني و معه بعض الظلمة و كبير السوق فادعى اني
سرقت العقد فخرجت لهم وقلت لهم ما الخبر فلم يمهلوني دون ان
كتفوني ورموافي رقبتي جنزيرا وقالوا لى العقد الذي كان معك طلع لصاحب
دمشق و وزيرها و حاكمها وقالوا ان هذا العقد عدم من عنده من
مدة ثلث سنين مع ابنته فلما سمعت هذا الكلام منهم غطس قلبي
و قلت راحت روحك لامحالة و الله لابد ان احكى للصاحب حكايتي
فان شاء قتلني وان شاء عفا عني فلما وصلنا للصاحب اوقفني بين
يديه فلما رآني نظر الي بطرف عينه و قال للحاضرين لم قطعتم يده
لان هذا الرجل مسكين وليس له ذنب وقد ظلمتموه بقطعكم يده
فلما سمعت هذا الكلام قوي قلبى و طابت نفسي وقلت و الله ياسيدي
لست بسارق و قد اتهمونى بهـــذه التهمة العظيمـــة و ضربوني
بالمقارع في بطن السوق و حكموا علي بان اقر فكذبت على نفسى
و اعترفت بالسرقة و انا بريئ منها فقال الصاحب لاباس عليك ثم
رسم على كبيرالسوق وقال له اعط لهذا دية يده والا اشنقك و آخذ
جميع مالك ثم صاح على المقدمين فاخذوه و جروه و بقيت انا
و الصاحب ثم شالوا الجنزير من عنقي باذنه وحلوا كتافى فنظر الصاحب
الي وقال يا ولدي اصدقني وحدثني كيف وصل اليك هذا العقد
وقال شـــ

Digitized by Google

دخلت الحمام وغيرت اثوابي وانا ما معي من الدراهم شيء فجئت يوما الى السوق فوسوس لي الشيطان لاجل انفاذ القدر فاخذت عقد الجوهر وتوجهت به الى السوق وناولته للدلال فقام واجلسني بجانب صاحب الدار وصبر حتى عمر السوق واخذه الدلال ونادى عليه خفية وانا لا اعلم واذا العقد مثمن جاب الغين دينارا فجاءني الدلال وقال هذا العقد عقد نحاس مصنوع صنعة الافرنج وقد وصل ثمنه الف درهم فقلت له نعم هذا كنا صغناه لواحدة نضحك عليها به وورثته زوجتي فاردنا بيعه فرح اقبض الالف درهم وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون

قالت بلغني ايها الملك السعيد انه لما قال للدلال اقبض الالف درهم فلما سمع الدلال ذلك عرف ان قضيته مشكلة فمضى بالعقد الى كبير السوق واعطاه له فاخذ وتوجه الى الوالي وقال له ان هذا العقد سرق من عندي ووجدنا الحرامي لابس لبس اولاد التجار فما اشعر الا والظلمة احاطوا بي واخذوني ودوني للوالي فسالني الوالي عن ذلك العقد فقلت له ما قلته للدلال فضحك الوالي وقال ما هذا كلام الحق فلم ادر الا وانا تعريت من ثيابي وضربت بالمقارع على اجنابي فحرقني الضرب فقلت انا سرقته وقلت في نفسي الا حسن انك تقول انا سرقته ولا اقول ان صاحبته مقتولة عندي فيقتلوني فيها فكتبوا اني سرقته فقطعوا يدي وقلوها في الزيت فغشي علي فسقوني الشراب حتى افقت فاخذت يدي وجئت الى القاعة فقال صاحب القاعة حيث ما جرى لك هذا خَلِّ القاعة وانظر لك موضعا آخر لانك متهم

Digitized by Google

من علا الوسادة فطار عقلي وصرخت وقلت يا جميل الستر بستركَ فوجدتها مذبوحة فنهضت على حيلي وقد اسودت الدنيا في عيني وطلبت صاحبتي القديمة فلم اجدها فعلمت انها هي التي ذبحت الصبية من غيرتها منها فقلت لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم كيف يكون عملي فتفكرت ساعة وقمت قلعت ثيابي وحفرت في وسط القاعة حفرة واخذت الصبية مع مصاغها وجعلتها في الحفرة ورديت عليها التراب والرخام وغسلت ولبست ثيابا نظيفة واخذت بقية مالي وخرجت من البيت وقفلته وجئت لصاحب القاعة وشجعت نفسي ودفعت له اجرة سنة وقلت له انا مسافر الى اعمامي بمصر ثم سافرت الى مصر واجتمعت باعمامي ففرحوا بي ووجدتهم قد فرغوا من بيع متجرهم ثم قالوا لي ما سبب مجيئك فقلت لهم اشتقت لكم ولم اعلمهم ان معي شيئا من مالي فاقمت عندهم سنة وانا اتفرج على مصر ونيلها وحطيت يدي في بقية مالي وصرت اصرف منه وآكل واشرب حتى قرب سفر اعمامي فهربت واختفيت منهم ففتشوا علي فلم يسمعولي خبرا فقالوا يكون رجع الى دمشق فسافروا وخرجت انا فاقمت بمصر ثلث سنين حتى لم يبق معي من المال شيء وانا في كل سنة ارسل لصاحب القاعة الى دمشق اجرتها وبعد الثلث سنين ضاق صدري ولم يبق معي الا اجرة السنة فقط ثم سافرت الى ان وصلت الى دمشق ونزلت القاعة ففرح بي صاحبها ووجدت المخازن مقفلة كما كانت ففتحتها واخرجت الحوائج التي فيها فوجدت تحت الفراش الذي كنت نائما عليه تلك الليلة مع الصبية التي ذبحت طرق ذهب مرصعا بجواهر فاخذته ومسحته من دم الصبية المذبوحة وتاملته وبكيت ساعة ثم اقمت يومين وفي اليوم الثالث

Digitized by Google

فقالت هل تأذن لي ان اجيب معي صبية احسن مني واصغر سنا مني حتى تلعب معنا و تضحك و ايا ها و تنشرح قلبهـــا لانها محزونة من زمان و قد سألتني ان تخرج معي وتبات معي فلما سمعت كلامها قلت اي والله ثم اننا سكرنا و نمنا الى الصباح فاخرجت لي خمسة عشرة دنانير و قالت زد لنـا المقام لاجل الصبية التي تأتي معي ثم انها انصرفت فلمـــا كان اليوم الرابع جهزت لها المقـام على العـــادة فلما كان بعد المغرب و اذا بها اتت و معهـا و احدة ملفوفة بازار فدخلوا و جلسوا فلما رايتها انشدت شـــعـــــر

مَـــا اَطْيَبَ وَقْتَنَـــا وَاهْنى وَالْعَـــاذِلُ غَـائِبٌ وَ غَـــافِل
عِشْقٌ وَ مَسَـــرَّةٌ وَ سُكْـــرٌ اَلْعَقْلُ بِبَعْـــضِ ذَاكَ زَائِـــلْ
وَالْبَـــدْرُ يَلُـــوْحُ فِيْ قِنَـــاعٍ وَالْغُصْـــنُ يَمِيْـــلُ فِيْ غَلَائِل
وَالْوَرْدُ عَلَى الْخُـــدُوْدِ غَـــضٌّ وَالنَّرْجِسُ فِي الْعُيُـوْنِ ذابِـــل
وَالْعَـيْـشُ كَمَـــا اُحِبُّ صَافٍ وَالْاُنْسُ بِمَـنْ اُحِبُّ كَامِـــل

ففرحت و اوقدت الشمع والتقيتهم بالفرح و السرور فقاموا وخففوا ما عليهم من القماش وكشفت الصبية الجديدة عن وجهها فرايتها كالبدر في تمامه فلم اراحسن منها فقمت وقدمت لهم الاكل والشرب فاكلنا و شربنا و صرت اقم الصبية الجديدة واملاء لها القدح و اشرب معها فغـارت الصبية الاولى فى البـــاطن ثم قالت بالله هذه الصبية ما هي اظرف مني قلت اي والله قالت خاطري ان تنام معها قلت على راسي و عيني ثم قامت و فرشت لنا فقمت رحت للصبية و نمت الى وقت الصبح فتحركت فوجدت روحي اني عرق عظيم فحسبت اني عرقان فقعدت انبه الصبية و هزيت اكتافها فتدحرجت راسها

Digitized by Google

من كل فاكهة فنزلنا في بعض الخانات ووقفوا اعمامي يا عوا و اشتروا وبا عوا ايضا بضاعتي فربح الدرهم خمسة دراهم ففرحت بالربح وخلوني اعمامي وتوجهوا الى مصر فقعدت بعدهم ومكثت في قاعة مليحة البنيان يعجز عن وصفها اللسان آجرتها كل شهر دينارين فاقمت آكل و اشرب حتى صرفت المال الذي معي ففي يوم من بعض الايام انا قاعد على باب القاعة و اذا بصبية اقبلت وهي لابسة افخر الملابس ما رأت عيني افخر منها فغمزت عليها فما قصرت حتى صارت داخل الباب فلما دخلت دخلتُ انا معها فرددت الباب علي وعليها و كشفت نقابها عن وجهها و قلعت ازارها فوجدتها بديعة في الجمال فتمكن حبها من قلبي فقمت و جبت خونخه من اطيب الماكول و الفاكهة وما يحتاج اليه المقام و اتيت به و اكلنا ولعبنا و بعد اللعب شربنا حتى سكرنا فقمت و نمت معها في اطيب ليلة الى الصباح و اعطيت لها عشرة دنانير فعبست وجهها وقطبت حاجبيها وزعلت و قالت أُفٍّ لكم يامواصلة كانك تظن اني طامعة في مالك ثم اخرجت من جيب قميصها خمسة عشر دينارا و خلت قدامي و قالت والله ان لم تاخذها لم اعد اليك فقبلتها منها ثم قالت يا حبيبي انتظرني بعد ثلثة ايام بين المغرب والعشاء اكون عندك وعَبِّ لنا بهذه الدنانير مثل هذا و ودعتني و انصرفت فغاب عقلي معها فلما مضت الايام الثلثة اتت و عليها من المزركش والحلي والحلل اعظم مما كان عليها اولا وكنت عبيت لها المقام قبل ان تحضر ثم اكلنا و شربنا و نمنا مثل العادة الى الصباح اعطتني خمسه عشر دنانير و و اعدتني بعد ثلثة ايام تحضر عندي ثم عبيت لها المقام و بعد ايام حضرت في قماش اعظم من الاول والثاني ثم قالت يا سيدي ما انا مليحة فقلت اِيْ والله

Digitized by Google

ان ما على وجه الارض احسن من مصر و نيلها فلما سمعت هذا الكلام تشوقت الى مصر ثم قال و الدي من لا راى المصر ما راى الدنيا ترابها ذهب ونيلها عجب و نساوها حور وبيوتها قصور وهوا وها معتدل يفوق عرفه الكبا ويخجل وكيف لا تكون كذلك وهي الدنيا و لله در من قال شعر

أَأَرْحَلُ عَنْ مِصْرٍ وَطِيبِ نَعِيمِهَا وَأَيُّ مَكَانٍ بَعْدَ هَالِيَ شَائِقُ
وَأَتْرُكُ أَوْطَانًا تَرَاهَا لِنَا شَيِّقٍ هُوَ الطِّيبُ لَامَا ضَمَّنَتْهُ الْمَفَارِقُ
وَكَيْفَ وَقَدْ اَضْحَتْ مِنَ الْحُسْنِ جَنَّةً زَرَابِيُّهَا مَبْثُوثَةٌ وَ النَّمَارِقُ
بِلَادٌ تَشُوقُ الْعَيْنَ وَالْقَلْبَ بَهْجَةً وَتَجْمَعُ مَا يَهْوَى تَقِيٌّ وَفَاسِقُ
وَإِخْوَانُ صِدْقٍ يَجْمَعُ الْفَضْلُ شَمْلَهُمْ مَجَالِسُهُمْ مِمَّا حَوَوْهُ حَدَائِقُ
أَسُكَّانُ مِصْرَانْ قَضَى اللّهُ بِالنَّوَى فَثَمَّ عُهُودٌ بَيْنَنَا وَمَوَاثِقُ
فَلَا تَذْكُرُوهَا لِلنَّسِيمِ فَإِنَّهُ لِأَمْثَالِهَا مِنْ نَفْحَةِ الرَّوْضِ سَارِقُ

ثم قال والدي و لو رايتم رياضها بالا صائل و الظل عليها مائل لشاهدتم عجبا وملتم لها طربا قال و اخذوا يوصفون مصر ونيلها فلما فرغوا و سمعت انا هذه الاوصاف التي في مصر بقي خاطري فيها فلما فرغوا وقام كل واحد توجه الى منزله نمت تلك الليلة لم ياتني نوم من شغفي بها و ما بقي يهنئ لي اكل ولا شرب فلما كان بعد ايام قلائل تجهز اعمامي الى مصر فبكيت على والدي حتى جهز لي متجرا ومضيت معهم و قال لهم لا تدعوه يدخل مصر و دعوه يبيع متجره بدمشق ثم سافرنا و ودعت والدي و خرجنا من الموصل و ما زلنا مسافرين حتى و صلنا حلب فاقمنا بها اياما ثم سافرنا الى ان و صلنا دمشق فرايناها مدينة ذات اشجار و انهار واثمار واطيار كانها جنة فيها

Digitized by Google

يا الله العجب هذا شاب مليح ومن بيت كبير و ناقص ادب هذا هو العجب ثم جسيت مفاصله وكتبت له ورقة و قعدت اتردد عليه مدة عشرة ايام حتى تعافى و دخل الحمام واغتسل و خرج فخلع علي الصاحب خلعة مليحة و جعلني مباشرا عنده في المارستان الذي بد مشق فلما دخلت معه الحمام وخليت له الحمام جميعها و دخلت الخدم بالشاب و اخذوا ثيابه من داخل الحمام فلما تعرى رايت يده اليمين قُطِعَتْ قريب العهد وهو سبب ضعفه فلما رايته اخذت اتعجب و حزنت عليه و نظرت الى جسده فوجدت عليه آثار ضرب مقارع واستعمل الادهان لاجل ذلك فتوسوست لذلك و بان في وجهي فنظر الي الشاب و فهم عني الامر و قال لى يا حكيم الزمان لاتعجب من امري فسوف احدثك بحديثي حتى تخرج من الحمام فلما خرجنا من الحمام واتينا الى الدار و اكلنا الطعام و استرحنا فقال الشاب هل لك ان تتفرج في الغرفة فقلت نعم فامر العبيد ان يطلعوا الفرش الى فوق وامرهم ان يشوا واخروفا و ان يا توا الينا بفاكهة فاتوا العبيد بالفاكهة فاكلنا و اكل هو بيده الشمال فقلت له حدثني بحديثك فقال لي يا حكيم الزمان اسمع ما جرى لي اعلم انني من اولاد الموصل وكان لي والد توفي والده و خلف عشرة اولاد ذكور من جملتهم والدي يا حكيم وكان اكبرهم فكبر الجميع و تزوجوا و رزق والدي بي واما اخوته التسعة فلم يرزقوا باولاد فكبرت انا و صرت بين اعمامي و هم فرحين بي فرحا شديدا فلما كبرت وبلغت مبلغ الرجال كنت ذات يوم في جامع الموصل و كان يوم جمعة و والدي معنا و صلينا الجمعة و خرج الناس جميعا و اما والدي و اعمامي فانهم قعدوا يتحدثون في عجائب البلاد و غرائب المدن الى ان ذكروا مصر فقال اعمامي يقول المسافرون

Digitized by Google

بالاشنان و اربعين مرة بالسُعد و اربعين مرة بالصابون فاخذت علي ميثاقا اني لا آكل الزيرباجة حتى اغسل يدي كما ذكرت لكم فلما جبتم بهذه الزيرباجة تغير لوني و قلت في نفسي هذه سبب قطع ابها ماتي فلما غصبتم علي قلت لابدان اوفي بما حلفت قال الحاضرون فما الذي حصل لك بعد ذلك قال فلما حلفت لها طاب قلبها و نمت و اياها و قعدنا مدة و بعد المدة قالت ان دار الخلافة لا يحسن مقامنا فيها وما دخل فيها غيرك وماد خلت فيها الا بعناية الست زبيدة وهي اعطتني خمسين الف دينار و قالت لي خذ هذه الدراهم واخرج و اشتر لنا دارا فسيحة فخرجت و اشتريت دارا مليحة فسيحة و نقلت جميع ما عندها في الدار من النعم وما ادخرته من الاموال و القماش و التحف فهذا سبب قطع ابها ماتي فاكلنا وانصرفنا وبعد ذلك جرى مع الاحدب ماجرى و هذا سبب حديثي و السلام فقال الملك ما هذا باعذب من حديث الاحدب بل حديث الاحدب اعذب من ذلك ولا بد من شنقكم انتم الجميع ثم ان اليهودي تقدم و قبل الارض و قال يا ملك الزمان انا احدثك بحديث اعجب من حديث الاحدب فقال ملك الصين هات ماعندك فقال اعجب ماجرى لي في شبابي اني كنت في دمشق الشام و تعلمت فيها فبينما انا جالس في يوم من الايام اذا تاني مملوك من بيت الصاحب بدمشق وقال كلم سيدي فخرجت له و توجهت معه الى منزل الصاحب فد خلت فرايت في صدر الايوان سريرا من العرعر مصفحا بصفائح الذهب وعليه آدمي مريض راقد وهو شاب لم ير احسن منه في الشباب فقعدت عند راسه و دعوت له بالشفاء فاشار الي بعينه فقلت له ياسيدي ناولني يدك بسلامتك فاخرج لي يده اليسرى فتعجبت من ذلك و قلت له

Digitized by Google

صدور الدجاج المحمرة و بقية الالوان مما يدهش العقول فوالله ما امهلت دون ان بركت على الزيرباجة و اكلت منها بحسب الكفاية و مسحت يدي و نسيت ان اغسلهما و تميت جالسا الى ان دخل الظلام و اوقدت الشموع و اقبلت المغاني بالدفوف ولم يزالوا يجلون العروسة و ينقطون بالذهب حتى طافت القصر كله و بعد ذلك اقبلوا بها و خففوا ما عليها من الملبوس فلما خلوت معها في الفراش و عانقتها و انا لم اصدق بوصالها ثم انها شمت في يدي رائحة الزيرباجة فلما شمت الرائحة صرخت صرخة عظيمة فنزلت لها الجوار من كل جانب فارتجفت و لم اعلم ما الخبر فقالت الجوار مالك يا اختنا فقالت لهن اخرجوا هذا المجنون عني فانا احسب انه عاقل قلت لها و ما الذي ظهر لك من جنوني فقالت يا مجنون لايش اكلت من الزيرباجة و لم تغسل يدك فوالله لاجازيك على فعلك امثلك يدخل على مثلي ثم تناولت من جانبها سوطا مضفورا و نزلت به على ظهري ثم على مقاعدي حتى غبت انا من الدنيا من كثرة الضرب ثم انها قالت للجوار خذوه و امضوا به الى متولي المدينة يقطع يده التي اكل بها الزيرباجة ولم يغسلها فلما سمعت ذلك قلت لاحول ولا قوة الا بالله تقطع يدي من اجل اكل الزيرباجة ولاغسلتها فدخلن عليها الجوار و قلن لها يا اختنا لا تواخذيه بفعله هذه المرة فقالت و الله لا بدان اقطع شيئا من اطرافه ثم راحت و غابت عشرة ايام و لم ارها و بعد العشرة ايام اقبلت علي و قالت لي يا اسود الوجه انا اصلح لك كيف تاكل الزيرباجة ولم تغسل يدك ثم صرخت على الجوار فكتفوني و اخذت موسى ما ضيا وقطعت ابها ماتي كما ترون يا جماعة فغشي علي ثم ذرت عليه بالذرور فانقطع الدم و جعلت اقول ما بقيت آكل الزيرباجة حتى اغسل يدي اربعين مرة

Digitized by Google

ايديهم ليفتحوه فاسرعت الجارية واتت للخليفة وقالت هذا الذي تراه قدامك فهو قدام الست زبيدة وهو الذي فيه سرها فلما سمع كلامها امر بادخال الصناديق فاتوا الخدام وحملوني بالصندوق الذي انا فيه ووضعوني في وسط القاعة بين الصناديق وكان نشف ريقي فاخرجتني صاحبتي وقالت ما عليك بأس ولاخوف فاشرح صدرك وطيب قلبك واجلس حتى تاتي الست زبيدة لعل ان يكون لك نصيب فيّ فجلست ساعة واذا بعشرة جوار ابكار كانهن الا قمار قدا قيلن واصطفين خمسة مقابلين لخمسة واذا بعشرين جارية اخرى وهن نهد ابكار وبينهم الست زبيدة وهي لم تقدر تمشي مما عليها من الحلي والحلل فلما اقبلت تفرقت الجوار من حوليها فاتيت انا اليها وقبلت الارض بين يديها فاشارت لي بالجلوس فجلست بين يديها ثم شرعت تسالني وتسال عن نسبي فاجبتها عما سالتني عنه ففرحت وقالت ما خابت تربيتنا فيك ايها الجارية ثم قالت اعلم ان هذه الجارية عندنا بمنزلة الولد وهي وديعة الله عندك فقبلت الارض قدامها ورضيت بزواجي ثم امرتني ان اقيم عندهم عشرة ايام فاقمت عندهم هذه المدة وانا لارى الجارية الا ان بعض الوصائف تاتيني بالغداء والعشاء وبعد هذه المدة شاورت الست زبيدة الخليفة في زواج جاريتها فاذن لها وامر لها بعشرة آلاف دينار فارسلت الست زبيدة خلف الشهود والقاضي وكتبوا كتابي عليها وبعد ذلك عملوا الحلويات والاطعمة الفاخرة وفرقوا على سائر البيوت ومكثوا على هذا الحال عشرة ايام اُخر وبعد العشرين يوما دخلت الجارية الحمام ثم انهم قدموا خونجه فيها طعام ومن جملته خافقية زيرباجة محشية بالسكر وعليها الماورد الممسك وفيها

Digitized by Google

في هذا الصندوق ثياب ملونات و اربعة امنان من ماء زمزم و هذه الساعة انفكت و جرت على الثياب التي في الصندوق و الساعة تنفسخ الو انها فقال لها الطوا شي خذي صناديقك و اذ هبى الى لعنة الله فحملت الخدام صندوقي و اسرعوا وتلا حقت الصناديق بصندوقي فبينما هم ذاهبين واذا جاء في اذني قائلا يقول ويلاه و يلاه الخليفة الخليفة فلما سمعت ذلك مت في جلدي وقلت كلمة لا يخجل قائلها لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم هذه مصيبة عملتها بنفسي فسمعت الخليفة يقول للجارية صاحبتي ويلك ايش في صناديقك هذه فقالت في صناديقي ثياب الست زبيدة فقال افتحي لي ايا هم فلما سمعت ذلك مت الموتة الكاملة وقلت في نفسي و الله ان هذا اليوم آخر ايامي من الدنيا و ان سلمت من هذه فانا اتزوج بها ولا كلام وان انكشف امري ضربت رقبتي وجعلت اقول اشهدان لا اله الا الله و ان محمد ارسول الله و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والعشرون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب لما قال اشهد ان لا اله الا الله قال و سمعت الجارية تقول هذه الصناديق فيها وداعة وشيء من الثياب للست زبيدة و تريدان لا يطلع عليها احد فقال الخليفة لا بد من فتحهم و انظر ما فيهم ثم صرخ على الخدام وقال قدموا الصناديق عندي فايقنت بالهلاك ولا محالة وغبت عن الدنيا فجعلت الخدام يقدمون واحدا بعد واحد وهو يرى فيهم العطر والقماش والثياب الفاخرة ولا زالوا يفتحون الصناديق و هو يرى ما فيهم من الاثواب وغيرها حتى لم يبق الا الصندوق الذي انا فيه ومدوا

Digitized by Google

على الامر الذي حدثتني به فقال له الخادم اذا كان هذه الليلة فامض الى المسجد وصل فيه و بت فيه وهذا المسجد الذي بنته الست زبيدة على الدجلة فقلت حبا و كرامة فلما كان العشاء مضيت الى المسجد و صليت فيه و بت فلما كان وقت السحر و اذا بخادمين اقبلا في زورق و معهما صناديق فارغة فادخلوها المسجد و انصرفوا و تاخر واحد منهم فتا ملته فاذا هو الذي كان واسطة بيني و بينها فبعد ساعة صعدت الينا الجارية صاحبتي فلما اقبلت قمت اليها و عانقتها فقبلتني و بكت و تحدثنا ساعة فادخلتني و وضعتني في صندوق و اغلقته علي و اقبلت بعد ذلك على الخادم ومعه شيء كثير من الامتعة و جعلت تادخل و تعبي في هذه الصناديق و تغلق واحدا بعد واحد حتى عبت الجميع ثم وضعوهم في الزورق و اخذوا طالبين منزل الست زبيدة فلحقني الفكر وقلت في نفسي لقد هلكت من اجل شهوتي و هل تحصل او لا و جعلت ابكي و انا في الصندوق و ادعو الله ان يخلصني مما انا فيه ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا بالصناديق على باب الخليفة و حملوا الصندوق الذي انا فيه من جملتهم فاجتازت طائفة من الخدام الموكلين بالحريم واصحاب الستائر الى ان اتوا الى خادم كبير فانتبه من النوم وصاح عليهما وقال لهما ايش في هذه الصناديق قالت ملأنين امتعة للست زبيدة قال لهما افتحي واحدا واحدا حتى انظر ايش فيهم فقالت لاي شيء تفتحهم فصاح عليها وقال لاتطيلي لا بد من فتح هذه الصناديق وقام قائما فاول ما بدأ بفتح الصندوق الذي انا فيه فقد موالي له فعند ذلك زال عقلي و بلت على نفسي من خوفي و خرج بولي من خارج الصندوق فقالت للمقدم يا مقدم اهلكتني و اهلكت نفسك و افسدت شيئا يساوي عشرة آلاف دينار فان

Digitized by Google

للميح واصمرت على الهلاك ثم تعدت وانا متفكر فلم اشعر الا وهي نازلة على باب السوق ودخلت علي فلما رايتها زالت الفكرة ونسيت ما كنت فيه واقبلت تحدثني بحديثها الحسن ثم قالت هات الصيرفي واوزن مالك فاعطتني ثمن ما اخذته بزيادة ثم انبسطت معي في الكلام فكدت اموت فرحا وسرورا حتى قالت لي انت لك زوجة فقلت لا اني لا اعرف امرأة قط ثم بكيت فقالت لي مالك تبكي فقلت خير ثم اني اخذت بعض الدنانير وا عطيتها للخادم وسالته ان يتوسط في الامر فضحك وقال هي عاشقة لك اكثر منك وما لها بالقماش الذي اشتريته منك حاجة وانما فعلت هذا لاجل محبتها لك فخاطبها بما تريد فانها لا تخالفك فيما تقول فراتني وانا اعطي الخادم الدنانير فرجعت وجلست ثم قلت لها تصدقي على مملوكك واسمحي له فيما يقول ثم حدثتها بما في خاطري فاجابت قولي وقالت للخادم انت تأتي برسالتي وقال لي اعمل بما يقول لك الخادم عليه ثم قامت ومضت وقمت سلمت التجار اموا لهم وحصل لهم الربح الا انا حصل لي الندم من انقطاع خبرها عني ولم انم طول ليلتي فما كان الا اياما قلائل وجاءني خادمها فاكرمته وسالته عنها فقال انها مريضة. فقلت للخادم اشرح لي امرها قال هذه الصبيه وبتها الست زُبَيْدَة زوجة الخليفة هارون الرشيد وهي من جوارها وقد اشتهت على سيدتها الخروج والدخول فوصلت حتى صارت قهر مانة ثم انها حدثت الست بك وسالتها ان تزوجها بك فقالت الست لا افعل حتى انظر هذا الشاب فان كان يشبهك زوّجتك به ونحن نريد الساعة فدخل بك الدار فان دخلت الدار وصلت تزويجك اياها وان كشف امرك ضربت رقبتك فما ذا تقول قلت لهم اروح معك واصبر

Digitized by Google

فلما فرغت من شعرها قالت يافتى عندك تفاصيل ملاح فقلت ياستي مملوكك فقير و لكن اصبري حتى تفتح التجار دكاكينهم و اجيب لك ما تريدينه ثم تحدثت انا و اياها و انا غارق في بحر محبتها تائه في عشقها حتى فتحت التجار دكاكينهم فقمت و اخذت لها جميع ما طلبته وكان ثمن ذلك خمسة آلاف درهم ونا ولتهم للخادم فاخذهم الخادم و خرجوا الى برالقيصرية فقدموا لها البغلة فركبت ولم تذكرلي هي من اين و استحييت اني اذكر لها ذلك و التزمت التجار لي بالثمن و استلمت الغرامة بخمسة آلاف درهم وجئت البيت و انا سكران من محبتها فقد موالي العشا فاكلت لقمة و تذكرت حسنها و جمالها و اردت ان انام فلم يجئني نوم و لم ازل على هذه الحالة جمعة فطالبوني التجار باموالهم فصبرتهم جمعة اخرى فبعد الجمعة الا وهي اقبلت راكبة البغلة و معها خادم و عبدين فسلمت علي و قالت يا سيدي ابطأنا عليك بثمن القماش فهات الصير في و اقبض الثمن فجاء الصيرفي و اخرج له الطواشي الثمن فقبضته و صرت اتحدث انا و اياها الى ان فتح السوق فقالت خذلي كذا وكذا فاخذت لها من التجار ما ارادت و اخذته و مضت ولم تخاطبني في ثمنه فلما مضت ندمت على ذلك و كنت اخذت الذي طلبته بالف دينار فلما غابت عن عيني قلت في نفسي ايش هذه المحبة اعطتني خمسة الاف درهم واخذت شيئا بالف دينار فحسبت بالفقر من مال التجار و قلت ان التجار لم يعرفوا الا انا فما كانت هذه المرأة الامحتالة خدعتني بحسنها و جمالها و راتني صغيرا فضحكت علي ولم اسالها عن منزلها ولم ازل في وسواس و طالت غيبتها اكثر من شهر فطالبوني التجار و شددوا علي فقدمت عقاري

Digitized by Google

خواطرهم و صرت ابيع و اشتري من الجمعة الى الجمعة و اعطي اصحاب الديون ولا زلت على هذه الحالة مدة الى ان وفيت الديون و زدت على رأس مالي اياما و ليالي فبينما انا في يوم من الايام جالس فما ادري الاوصبية لم ترعيني احسن منها عليها حلي وحلل راكبة بغلة و قد امها عبد وو راءها عبد فا وقفت البغلة على راس القيصرية ودخلت و دخل خادم خلفها وقال يا ستي اخرجي ولا تعلمي احدا فتطلقي فينا النار ثم حجبها الخادم حتى نظرت الى دكاكين التجار فلم تجد احدا فتح دكانه غيري فتمشت والخادم خلفها وجلست على دكاني و سلمت علي فما سمعت احسن من حديثها ولا اعذب من كلامها ثم كشفت عن وجهها فرايتها مثل القمر فنظرت لها نظرة اعقبتني الف حسرة و تعلق قلبي بمحبتها و جعلت اكرر النظر الى وجهها و انشدت اقول شعر

قُلْ لِلمَلِيحَةِ فِي الخِمَارِ الفَاخِتِي ... اَلْمَوْتُ حَقًّا مِنْ عَذَابِكِ رَاحَتِي
جُودِي بِوَصْلٍ عَلَّنِي اُحْيَى بِهِ ... هَا قَدْ مَدَدْتُ اِلَى نَوَالِكِ رَاحَتِي

فلما سمعت مني هذا الشعر احابتني و هي تقول

عَدِمْتُ اصْطِبَارِي فِي الْهَوَى اَسْلَاكُمُ ... وَ اِنَّ فُؤَادِي لَا يُحِبُّ سِوَاكُمُ
وَاِنْ نَظَرَتْ عَيْنِي اِلَى غَيْرِ حُسْنِكُمْ ... فَلَا سَرَّهَا بَعْدَ الْبِعَادِ لِقَاكُمُ
حَلَفْتُ يَمِينًا لَسْتُ اَسْلَا هَوَاكُمُ ... وَ قَلْبِي حَزِينٌ مُعْجِبٌ بِلِقَاكُمُ
سَقَانِي الْهَوَى كَاسًا مِنَ الْحُبِّ مُتْرَعًا ... فَيَالَيْتَهُ لَمَّا سَقَانِي سَقَاكُمُ
خُذُوا الْجِسْمَ مِنِّي مَعْكُمُ اَيْنَ سِرْتُمُ ... وَ اَيْنَ حَلَلْتُمْ فَادْفِنُونِي حِذَاكُمُ
وَ نَادُوا بِاسْمِي عِنْدَ قَبْرِي يُجِيبُكُمْ ... اَنِينُ عِظَامِي عِنْدَ وَقْعِ نِدَاكُمُ
فَلَوْ قِيلَ لِي مَاذَا عَلَى اللهِ تَشْتَهِي ... لَقُلْتُ رِضَى الرَّحْمٰنِ ثُمَّ رِضَاكُمُ

Digitized by Google

من الاكل منها فحلفنا عليه فانسم هو ان لايا كل منها فالزمناه فقال لا تغصبوني فكفاني ماجرى لي من اكلها ثم انشد يقـــــــول

خُذْ مِلْيَكًا فَوْقَ كَتِفَكَ وَ ارْتَحِـلْ وَإِنْ يَطِبْ لَكَ ذٰلِكَ ٱلْكُحْلَ ٱكْتَحِلْ

فلما فرغ قلنا له بالله عليك ما سبب امتناعك من الاكل من الزير باجه فقال انكان ولابدان آكل من هذه الزير باجة فلا آكل منها الان اغسل يدي اربعين مرة بالصابون واربعين مرة بالاشنان واربعين مرة بالسُعد جملتهم مائة وعشرون مرة فعند ذلك امر صاحب الدعوة غلمانه فاتوا بالماء و بالذي طلبه فغسل يديه كما ذكرنا و جاء الشاب و هو متكره و جلس و مد يده و هو مثل الخـــائف و غمس يده في الزير باجة و صار ياكل و هو متغصب و نحن نتعجب منه غاية العجب ويده تر تعد فنصب ابهام يده فاذا هو مقطوع وهو ياكل باربع اصـــابع فقلنا له بالله عليك مالابها مك هكذا هو خلقة الله ام اصابه حادث فقال يا اخواني و ما هو هذا الابهام و حده و لكن ابهامي الاخرى ورجلاي الاثنين و لكن حتى تر واثم كشف ابهام يده الاخرى فوجدناه مثل اليمين وكذلك رجلاه بلا ابهامين فلما راينا كذلك ازددنا عجبا و قلنا له ما بقي لنا صبر على حديثك و سبب قطع ابها ميك و سبب غسل يديك مائة وعشرين مرة فقال اعلموا ان والدي كان تاجرا من التجار الكبار و كان اكبر تجار مدينة بغداد على ايام الخليفة هارون الرشيد وكان مولعا بشرب الخمر و سماع العود و آلات الملاهي فلما مات لم يترك شيئا نهيانه و قد عملت له ختمات و حزنت عليه اياما وليالي ثم فتحت دكانه فما وجدته خلف الايسيرا و وجدت عليه ديونا فصبّرت اصحـــاب الديون و طيبت

Digitized by Google

جزيلا و املاكا و عقارات و من جملة تلك المخازن مخزن السمسم الذي بعت لك منه و ما كان اشتغالي عنك هذه المدة حتى بعت بقية الحواصل و جميع ما فى المخازن والى الآن لم افرغ من قبض الثمن و انك لا تخالفني فيما اقول لك عليه لاني اكلت زادك و قد وهبتك ثمن السمسم الذي عندك فهذا اسبب قطع يميني و اكلي بيدي الشمال فقلت له لقد احسنت و تفضلت فقال لي هل لك ان تسافر معى الى بلادي فاني اشتريت متجرا مصريا و اسكندرانيا فهل لك ان تصاحبني فقلت نعم و اوعدته على راس الشهر ثم بعت جميع ما املك و اشتريت به متجرا آخر و سافرت انا والشاب الى هذه البلاد التي هي بلادكم فباع الشاب متجره و اشترى عوضه من بلادكم و مضى الى ديار المصرية فكان تسمي انا في تعادي هذه الليلة حتى حصل ما حصل لي في غربتي فهذا يا ملك الزمان ما هو اعجب من حديث الاحدب فقال الملك لابد من شنقكم كلكم و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المبـــــــــــــاح

فلما كانت الليلة السابعة والعشرون

قالت بلغني ايهـــا الملك السعيد ان ملك الصين لمـــا قال لابد من شنقكم فعند ذلك تقدم الشاهد لملك الصين و قال ان اذنت لى حكيت لك حكاية اتفقت لى في تلك المدة قبل ان اجد هذا الاحدب و ان كانت اعجب من حديثه تهب لنا ارواحنا فقال الملك نعم فقال اعلم اني كنت فى الليلة الماضية عند جماعة عملوا ختمة و جمعوا الفقهاء فلما قرأ المقرئون و فرغوا مد السماط فمن جملة ما قدموا زيرباجة فتقدمنا ناكل من الزيرباجة فتاخر واحد منا و امتنع

Digitized by Google

رائح فقلت الى مكان اذهب اليه فقالت لا ترح اجلس فجلست فقالت و بلغت محبتك ان صرفت جميع مالك وعدمت كفك اشهدك علي والشاهد الله اني لا افارقك و سَتَرى صحة قولي و ارسلت خلف الشهود فحضروا فقالت لهم اكتبو اكتابي على هذا الشاب و اشهدوا اني قبضت المهر فكتبوا كتابي عليها ثم قالت اشهدوا ان جميع مالي الذي في هذا الصندوق و جميع ما عندي من العبيد والجوار لهذا الشاب فشهدوا عليها و قبلت انا التمليك و انصرفوا بعد ما اخذوا الاجرة و اخذتني من يدي و اوقفتني على خزانة وفتحت صندوقا كبيرا وقالت لي انظر الى الذي في الصندوق فنظرت فاذا هو ملآن منا ديل فقالت هذا مالك الذي اخذته منك فكلما اعطيتني منديلا فيه خمسين دينارا أولغه و ارميه في هذا الصندوق فخذ مالك فقد رجع اليك و انت اليوم عزيز فقد جرى عليك القضاء بسببي حتى عدمت يمينك و انا لا اقدر كافئك ولو بذلت روحي لكان قليلا ولك الفضل ثم قالت لي تسلم مالك فنقلت صندوقها الى صندوقي و جعلت مالي الى مالها الذي كنت اعطيته لها و فرح قلبي و زال همي فقمت قبلتها و شكرت لها فقالت لقد بذلت يدك في محبتي فكيف اقدر على مكافاتك والله لو بذلت روحي في محبتك لكان قليلا وما اقوم بواجب حقك علي ثم انها كتبت لي جميع ما تملك من ثياب بدنها و صيغتها و اسبا بها بحجة و ما نامت تلك الليلة الا مهمومة من همي حتى حكيت لها جميع ما وقع لي و بت معها و اقمنا اقل من شهر و قوي بها الضعف و زاد بها المرض ولا مكثت غير خمسين يوما الا وهي من اهل الآخرة فجهزتها و واريتها التراب و عملت لها ختمات و تصدقت عليها بجملة من المال و نزلت من التربة فرايت لها مالا

Digitized by Google

فاني اراك بخلاف العادة فسكتُّ و صارت تحدثني و انا لا اجيبها حتى اقبل الليل فقدمت لي الطعام فامتنعت منه و خشيت ان تراني آكل بيدي الشمال فقلت لا اشتهي ان آكل في هذه الساعة فقالت حدثني بما تم لك اليوم و مالك مهموم و مكسور الخاطر و القلب فقلت الساعة احدثك على مهلي فقدمت لي الشراب وقالت دونك فانه يزيل همك فلا بد ان تشرب و تحدثني بخبرك فقلت لها لا بد ان احدثك قلت نعم فقلت ان كان ولابد فاسقيني بيدك فملأت القدح و شربته و ملأته و نا ولتني اياه فتنا ولته منها بيدي الشمال و فرت الدموع من جفني فانشدت اقـــول

اَذَا اَرَادَ اللّٰـهُ اَمْرًا لِامِـــرِءٍ ۝ وَكَانَ ذَاعَقْلٍ وَسَمْعٍ وَبَصَـرْ

اَصَمَّ اُذْنَاهُ وَاَعمى قَـلْبَـــهُ ۝ وَسَلَّ مِنْهُ عَقْلَهُ سَلَّ الشَّعَــرْ

حَتَّى اِذَا اَنفَذَ فِيهِ حُكْمَـــهُ ۝ رَدَّ اِلَيْهِ عَقْلَهُ لِيَعْـتَـبِـــرْ

فلما فرغت من شعري تناولت القدح بيدي الشمال و بكيت و صرخت هي صرخة قوية و قالت ما سبب بكاءك احرقت قلبي و مالك تناولت القدح بيدك الشـمال فقلت لها ان في يدي حبة فقالت اخرجهـا افقعها لك فقلت ما هو وقت فقعها فلا تطيلي علي فما اخرج يدي في تلك السـاعة ثم شربت القدح و لم تزل تسقيني حتى غلب علي السكر فنمت مكاني فابصرت يدي بـلا كف ففتشتني فرأت معي الكيس بالذهب فدخل عليها من الحزن مالا يدخل على احد ولا زالت تتا لم بسببي الى الصباح فلما افقت من النوم وجدتهـا هيات لي مسلوقة و قدمتها فاذا هي اربعة اطيار دجاج و سقتني قدح شراب فاكلت و شربت وحطيت الكيس واردت الخروج فقالت لي الى اين

Digitized by Google

فلما عروني و جدوا الكيس في ثيابي فلما و جدوا الكيس اخذه الوالي و فتحه وعدّه فرأى فيه عشرين دينارا كما قال الجندي فغضب الوالي و عيط على المقدمين فقد موني بين يديه فقال لي يا صبي قل الحق انت سرقت هذا الكيس فاطرقت برأسي الى الارض و قلت انا ان قلت ما سرقت اخرجته و ان قلت سرقته وقعت في العناء فشلت رأسي فقلت نعم اخذته فلما سمع مني الوالي هذا الكلام تعجب و دعا بالشهود فحضروا و شهدوا على منطقي هذا كله في باب رويلة فامر الوالي المشاعلى فقطع يدهاليمين فرق قلب الجندي فشفع في و تركني الوالي و مضى و بقيت الناس حولي و سقوني قدح شراب و اما الجندي فانه اعطاني الكيس و قال انت شاب مليح ولا ينبغي ان تكون لصًّا ثم اني انشدت شعرا

و اللّٰهِ مَاكُنْتُ لِصًّا يَا اَخَائِقَةٍ وَلَا اَنَا سَارِقٌ يَا اَحْسَنَ النَّاسِ
لٰكِنْ رَمَتْنِي صُرُوفُ الدَّهْرِ عَنْ عَجَلٍ فَزَادَ هَمِّي وَوَسْوَاسِي وَاِفْلَاسِي
وَمَا رَمَيْتَ وَلٰكِنَّ الْاِلٰهَ رَمَى سَهْمًا فَطَيَّرَ تَاجَ الْمُلْكِ عَنْ رَاْسِي

فتركني الجندي و انصرف بعد ان اعطاني الكيس و انصرفت انا و لففت يدي في خرقة و ادخلتها عبي و قد تغيرت حالتي و اصفر لوني مما جرى علي فتمشيت الى القاعة و انا على غير استواء و رميت روحي على الفراش فنظرتني الصبية متغيرا للون فقالت لي ما وجعك و مالي ارى حالتك تغيرت فقلت لها رأسي يوجعني و ما انا طيب فعند ذلك اغتاظت و تشوشت لاجلي و قالت لا تحرق قلبي يا سيدي اقعد و شل رأسك و حدثني بما قدتم لك اليوم فقد بان لي في وجهك كلام فقلت دعيني من الكلام فبكت و قالت كأنك قد فرغ غرضك مني

Digitized by Google

و انشدت اقول هذه الابـــــــــــــــيـــــــــــــــات

فَقْرُ الْغَنِيِّ يُذْهِبُ أَنْوَارَهُ كَمَا اصْفِرَارُ الشَّمْسِ عِنْدَ الْمَغِيْبْ
إِنْ غَابَ لَا يُذْكَرُ بَيْنَ الْوَرَى وَإِنْ حَضَرَ فِي الْحَيِّ مَالَهُ نَصِيْبْ
يَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ مُسْتَخْفِيًا وَفِي الْفَلَا يَبْكِي بِدَمْعٍ صَبِيْبْ
وَاللهِ مَا الْإِنْسَانُ بَيْنَ أَهْلِهِ إِذَا بُلِي بِالْفَقْرِ إِلَّا غَرِيْبْ

فخرجت من الخان و مشيت بين القصرين و لا زلت امشي الى باب زويلة فوجدت الخلق في ازدحام و الباب مسدود من كثرة الخلق فرأيت بالامر المقدر جندى فزاحمته بغير اختيارى فجاءت يدي على جيبه فحسيت فوجدت صرة من داخل الجيب الذي يدي عليه فعلمت انها متصلة بتلك الصرة فاخذ تها من جيبه فحس الجندي بان جيبه خف فحط يده في جيبه فلم يجد شيئا والتفت نحوي وشال يده بالد بوس و ضربني على رأسي فسقطت الى الارض فاحاطوا بنا الناس و مسكوا لجام فرس الجندي و قالوا لاجل الزحمة تضرب هذا الشاب هذه الضربة فصرخ عليهم الجندي و قال هذا حرامي ملعون فعند ذلك استفقت و رأيت الناس يقولون هذا شاب مليح لم يأخذ شيئا فبعضهم يصدق وبعضهم يكذب وكثر القال و القيل و جذبوني الناس و ارادواخلاصي منه فبا لامر المقدر واذا بالو الي والمقدم و الظلمة دخلوا من الباب فوجدوا الخلق مجتمعين علي وعلى الجندي فقال الو الي ما الخبر فقال الجندي و الله يا خوند هذا حرامي وكان في جيبي كيس ازرق فيه عشرون دينارا فاخذه وانا فى الزحام فقال الو الي للجندي هل كان معك احد فقال الجندي لافصرخ الوالي على المقدم فمسكني و قد زال الستر عني فقال له الو الي هرة

Digitized by Google

فمارأيت عمري مثل هذه الليلة فلما اصبح الصباح قمت ورميت لها تحت الفرش المنديل الذي فيه الدنانير و ودعتها و خرجت فبكت و قالت يا سيدي متى ارى هذا الوجه الحسن فقلت لها اكون عندك العشاء فلما خرجت اصبت الحمّار الذي جابني بالامس على الباب ينتظرني فركبت معه حتى وصلت خان مسرور فنزلت و اعطيت الحمّار نصف دينار و قلت له تعـــال وقت الغروب قال نعم فقطرت و خرجت اطالب بثمن القمـاش ثم رجعت و قد عملت لها خروفا مشويا و اخذت حلاوة ثم دعوت الحمّـال و وضعته له في المحمل و اعطيته اجرته و رجعت في اشغالي الى الغروب فجاءني المكاري وقت المغرب فاخذت خمسين دينارا و جعلتهم في منديل و دخلت عندهم فوجدتهم مسحوا الرخام و جلوا النحاس و عمروا القناديل واوقدوا الشموع و غرفوا الطعـام و روقوا الشراب فلما رأتني رمت يديها على رقبتي و قالت اوحشتني ثم قدمت الموائد فاكلنا حتى اكتفينا وشالت الجوار المائدة و قدمن المدام فلم نزل نشرب الى نصف الليل فقمنا الى مجلس النوم فنمنا الى الصباح فقمت وناولتها الخمسين دينارا على العادة و خرجت من عندها فوجدت الحمّار فركبت الى خان فنمت ساعة ثم قمت جهزت العشاء فعملت جوزا ولوزا و تحتهم رز مفلفل و عملت قُلقاسا مقليا و اخذت فاكهة و نقلا و مشموما و ارسلتهم و سرت الى البيت و اخذت خمسين دينارا في منديل و خرجت ركبت مع الحمّار على العادة الى القاعة فدخلت فاكلنا و شربنا و نمنا الى الصباح و قمت رميت لها المنديل و ركبت الى الخان على العادة و لم ازل على تلك الحالة مدة الى ان بت و اصبحت لا املك درهما ولا دينارا فقلت في نفسي كل هذا من فعل الشيطان

Digitized by Google

اوكان تلك الفسقية طيور بالدروا لجوهر مفروشة بالبسط و الحرير الملون و المراتب فلما دخلت جلست و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام الـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــاح

فلما كانت الليلة السادسة والعشرون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب التاجر قال للنصراني فلما دخلت و جلست لم اشعر الا والصبية قد اقبلت و عليها تاج مكلل بالدر والجوهر و هي منقشة مكتبة فلما رأتني تبسمت في وجهي وحضنتني و وضعتني على صدرها وجعلت فيها على فمي وجعلت تمص لساني و انا كذلك و قالت صحيح اتيت عندي فقلت لها انا عبدك فقالت اهلا و مرحبا والله من يوم رأيتك ما لذلي نوم ولا هنى لي طعام فقلت و انا كذلك ثم جلسنا نتحدث وانا مطرق برأسي الى الارض حياء فما لبثت الا قدمت لي سفرة من افخر الوان الاطعمة من سكباجه و قربوس مقلي منزل في عسل نحل و دجاج محشي فاكلت واياها و اكتفينا فقد موالي الطشت والابريق فغسلت يدي ثم تطيبنا بالماورد الممسك ثم جلسنا نتحدث فانشدت تقول هذه الابـــــــــــــــــــــــــــــــــــــيـــــــــــــــــــــــــــــــات

لَوْ عَلِمْنَـــــا قُدُومَكُمْ لَنَشَرْنَا مُهْجَةَ الْقَلْبِ مَعَ سَوَادِ الْعُيُونْ
وَ فَرَشْنَا خُدُودَنَا لِلِقَـــــاكُمْ لِيَكُونَ الْمَسِيرُ فَوْقَ الْجُفُونْ

و هي تشكو الي ما لاقت و انا اشكولها مالا قيت و تمكن حبها عندي و هان علي جميع المال ثم اخذنا نلعب و نتهارش و نتباوس الى ان اقبل الليل فقدموا لنا الجوار الطعام والمدام فاذا هي حضرة كاملة فشربنا الى نصف الليل ثم اضطجعنا و نمنا فنمت معها الى الصباح

Digitized by Google

فمشيت معها الى الصيرفي فلما راتني ازورتني لجانبها و قالت يا حبيبي وقعت بخاطري و تمكن حبك من قلبي ومن ساعة اني رايتك ماهنيني لي نوم ولا اكل ولاشرب فقلت لها عندي اضعاف ذلك والحال يغني عن الشكوى فقالت ياحبيبي عندك والا عندي فقلت لها انا رجل غريب و مالي مكان يأ ويني الا الخان فان تصدقت فيكون عندك قالت نعم لكن الليلة ليلة الجمعة ما فيها شيٌ الا ان كان في غد بعد الصلوٰة صل و اركب حمارك واسأل عن الجبانية فان وصلت فاسال عن قاعة بركات النقيب المعروف بابي شامة فاني ساكنة هناك و لاتبطئ فاني في انتظارك ففرحت فرحا زائدا ثم افترقنا و جئت للخان الذي انا فيه و مضيت الليل سهران فما صدقت ان الفجر لاح فقمت و غيرت ملبوسي و تعطرت و تطيبت و اخذت معي خمسين دينارا في منديل و مشيت من خان مسرور الى باب زويلة فركبت حمارا وقلت لصاحبه امض بي الى الجبانية فمضى في لحظة فما اسرع ما وقف على درب يقال له درب المنقري فقلت له ادخل الدرب و اسأل عن قاعة النقيب فغاب قليلا و قال انزل فقلت له امش قدامي الى القاعة و قلت له باكر تجيئني هنا و تودني فقال المكاري بسم الله فناولته ربع دينار ذهب فاخذه و انصرف فطرقت الباب فخرجتا لي صبيتين صغارا نهدا ابكارا كأنهن الا قمار فقالوا لي ادخل سيدتنا في انتظارك لم تنم الليلة لفرحها بك فدخلت الى قاعة معلقة بسبعة ابواب و دائرها شبابيك مطلة على بستان فيه من الفواكه الوان و به انهار دافقة و طيورها ناطقة و هي مبيضة ببياض سلطاني يرى الانسان وجهه فيها و سقفها مقربص بذهب و طرازات مكتوبة باللازورد قد حوت اوصافا حسنة و اضاءت للناظرين و ارضها مفروشة بالرخام المجزع و في وسطها فسقية و في

Digitized by Google

فيها ثمنها فاخذت التفصيلة منه وكتبت له ورقة بخطي واعطيتها التفصيلة وقلت لها خذي انت روحي وان شئت هاتي ثمنها بالسوق الآتي وان شئت هي ضيافتك مني فقالت جزاك الله خيرا ورزقك حالي وجعلك بعلي فتقبل الله دعاءها ثم قلت لها يا سيدتي اجعلي هذه التفصيلة لك ولك ايضا مثلها ودعيني انظر وجهك فلما رأيت وجهها نظرة اعقبتني الف حسرة وتعلق قلبي بمحبتها فصرت لا املك عقلي ثم ارخت الشعرية واخذت التفصيلة وقالت ياسيدي لاتوحشني وقدولت وقعدت انا في القيصرية الى بعد العصر وانا غائب العقل وقد تحكم الحب عندي فمن شدة ماحصل لي من الحب قمت وسألت التاجر عنها فقال هذه صاحبة مال وهي بنت واحد امير مات والدها وخلف مالا كثيرا فودعته وانصرفت وجئت للخان فقدم لي العشاء فافتكرتها فلم آكل شيئا ونمت فلم يجئني نوم فسهرت الى الصباح فقمت لبست بدلة غير التي كانت علي وشربت قدح شراب وفطرت على شيء قليل وجئت دكان التاجر فسلمت عليه وجلست عنده فجاءت الصبية على عادتها وعليها بدلة افخر من الاولى ومعها جارية وسلمت علي دون بدرالدين وقالت بلسان فصيح ما سمعت اعذب ولا احلا منه ارسل معي من يقبض الالف والمائتين درهم ثمن التفصيلة فقلت لها وايش العجلة فقالت لاعد متاك وناولتني الثمن وقعدت اتحدث واياها فاومأت لها بالاشارة ففهمت اني اريد وصالها فقامت على عجل منها واستوحشت مني وقلبي متعلق بها وخرجت انا خارج السوق في اثرها واذا بجارية اتتني وقالت ياسيدي كلم ستي فتعجبت وقلت مايعرفني هنا احد فقالت الجارية يا سيدي ما اسرع مانسيتها ستي التي كانت اليوم على دكان التاجر فلان

Digitized by Google

شهرا ودخل الشهر الذي استحقيت فيه الحباية فبقيت كل يوم خميس و اثنين ادخل القيصرية و اقعد على دكاكين التجار و يمضي الصيرفي و الكاتب يجيبون الدراهم من التجار الى بعد العصر فاحسبها واختمها و آخذها و انصرف الى الخان ففي يوم من الايام و كان يوم الاثنين دخلت الحمام و خرجت الى الخان و دخلت موضعي و فطرت على قدح الشراب و نمت و انتبهت فاكلت دجاجة و تعطرت و ذهبت لدكان تاجر يقول له بدرالدين البستاني فلما رآني رحب بي وتحدث معي ساعة حتى قام السوق و اذا بامراة مياسة القوام و هي تتبختر في مشيها جاءت بعصبة هائلة وروائح فائحة و رفعت الشعرية فنظرت الى احداق سود فسلمت على بدرالدين فرد عليها السلام و وقف وتحدث معها فلما سمعت كلامها تمكن حبها من قلبي فقالت لبدرالدين هل عندك تفصيلة طرد وحش مقصب طرش فاخرج لها تفصيلة من التفاصيل التي اشتراها مني فبايعته عليها بالف وما ئتين درهم فقالت التاجر آخذ التفصيلة و اذهب ارسل لك ثمنها فقال لها التاجر لايمكن ياستي لان هذا صاحب القماش وله عليّ قسط فقالت ويلك اني معودة آخذ منك كل قطعة قماش بجملة من الدراهم واقيدك فيها فوق ماتريد و ارسل لك ثمنها فقال نعم ولكني مضطر الى الثمن في هذا اليوم فاخذت التفصيلة و رمت بها في صدره وقالت طالفتكم لا تعرف لاحد قيمة و قامت مولية فحسيت بروحي راحت معها فقمت و اوقفتها و قلت لها ياسيدتي تصدقي علي و ارجعي بخطواتك الكريمة الي فرجعت و تبسمت و قالت لا جلك رجعت و تعلقت قصادي على الدكان فقلت لبدرالدين هذه التفصيلة كم شراؤها عليك قال الف و مائة درهم فقلت له ولك مائة درهم فائدة فهات ورقة اكتب لك

Digitized by Google

اموالا كثيرة و عبيت متجرا من قماش بغدادي وموصلي وسريت الكل و سافرت من بغداد وكتب الله لي السلامة حتى دخلت مدينتكم هذه ثم بكى و انشد يقول

قد يسلم المطمس من حفرة ويقع فيها الباصر الناظر
ويسلم الجاهل من لفظة ويهلك فيها العالم الماهر
ويعسر المومن في رزقه ويرزق الكافر والفاجر
ما حيلة المرء وما فعله هذا الذي قدره القادر

فلما فرغ من شعره قال فدخلت مصرو نزلت القماش في خان مسرور و فكيت احمالي و دخلتها و اعطيت الخادم دراهم يشتري لنا شيا ناكله و نمت قليلا فلما قمت ذهبت بين القصرين و رجعت بت ليلتي فلما اصبحت فتحت فردة من القماش و قلت في نفسي اقوم اشق بعض الاسواق و انظر الحال و اخذت بعض القماش و حملته لبعض غلماني و سرت حتى وصلت قيصرية جرجس فاستقبلني السماسرة وكانوا علموا بمجيّي فاخذوا مني القماش و نادوا عليه فلم يجب راس ماله فاغتميت لذلك فقال لي شيخ الدلالين ياسيدي اعرف لك شيا تستفيد منه تعمل ما يعمل التجا وتبيع متجرك الى اشهر معلومة بكاتب وشاهد و صيرفي وتاخذ مالك كل يوم خميس و اثنين فتكسب الدراهم كل درهم اثنين وزيادة على ذلك تتفرج على مصرو نيلها فقلت هذا راي سديد فاخذت معي الدلالين و ذهبت الى الخان فاخذوا القماش الى القيصرية و بعته وكتبت عليهم الثمن ورفعت الورقة للصيرفي و اخذت ورقة ورجعت الخان و اقمت اياما كل يوم افطر على قدح شراب و احضراللحم الضاني و الحلويات

Digitized by Google

بِالْحُسْنِ وَالظَّرْفِ قَدْ تَمَّتْ مَحَاسِنُهُ وَزَانَهَا الْعَقْلُ وَالْمَحْيَاءُ قَدْ بَرَعَا
تَبَارَكَ اللّٰهُ مَخْلُوقًا لَهُ عَجَبٌ مَا شَاءَ رَبُّ الْعُلَا فِي خَلْقِهِ صَنَعَا

فلما رأيته قبلت يديه وقمت له ودعوت له و قلت له يا سيدي ما تقبض دراهمك فقال وايش العجلة حتى افرغ من مصالحي و آخذها منك ثم ولى فقلت والله اذا جاء هذه المرة لابد ان اعزم عليه لكوني اتجرت في دراهمه و حصلت منها مالا كثيرا فلما كان آخر السنة جاء وعليه بدلة افخر من الاولى فحلفت عليه ان ينزل عندي و يأكل ضيافتي فقال لي بشرط ان ما تنفقه عليّ يكون من مالي الذي عندك قلت نعم وا جلسته و نزلت هيأت ما ينبغي من الا طعمة والاشربة و غير ذلك و جبت بين يديه و قلت بسم الله فتقدم للمائدة و مديده الشمال واكل معي فتعجبت منه فلما فرغنا غسلت يده و ناولته ما يمسح به يده و جلسنا للحديث بعد ما قدمت له شيأ من الحلوى فقلت يا سيدي فرج عني كربة لِمَ اكلت بيدك الشمال لعل في يدك شيأ يؤلمك فلما سمع كلامي انشد يقول شعر

خَلِيلَيَّ لَا تَسْأَلْ عَلَى مَا بِمُهْجَتِي مِنَ اللَّوْعَةِ الْحَرَّا فَتُظْهِرَ اسْقَامِي
وَمَا عَنْ رِضًى صَاحَبْتُ سَلْمَى بِدِيلَةً بِلَيْلَى وَ لَكِنْ لِلضَّرُورَةِ أَحْكَامِ

و اخرج يده من كمه و اذا هي مقطوعة زند بلا كف فتعجبت من ذلك فقال لي لا تعجب ولا تقل في بالك اني اكلت معك بيدي الشمال عُجْبا ولكن لقطع اليمين سبب من العجب فقلت له وماسبب ذلك فقال اعلم اني من اولاد بغداد و والدي من اكابرها فلما بلغت مبلغ الرجال سمعت السياحين والمسافرين والتجار يتحدثون عن الديار المصرية فبقي ذلك في خاطري حتى مات والدي فاخذت

Digitized by Google

له مائة درهم فقال لي خذ التراسين والكيالين و اعمدا لي باب النصر الى خان الجوالي تجدني فيه و تركني ومضى واعطاني السمسم بمنديله الذي فيه العينة قدرت على المشترين فجاب كل اردب مائة و عشرون درهما فاخذت معي اربع تراسين و مضيت اليه فوجدته في انتظاري فلما رآني قام الى المخزن و فتحه حتى فرغ المخزن فكيلناه فجاء خمسين ارد با بخمسة آلاف درهم فقال الشاب لك في سمسرتك في كل اردب عشرة و اقبض الثمن وخل لي عندك اربعة آلاف و خمسمائة درهم فاذا افرغ انا من بيع حواصلي اجيء لك آخذ المبلغ من عندك فقلت له نعم فقبلت يديه و مضيت من عنده فحصل لي في ذلك اليوم الف درهم فغاب عني شهرا وجاء و قال لي اين الدراهم فقمت و سلمت عليه و قلت له هل لك ان تأكل عندنا شيأ فابى و قال احضر لي الدراهم حتى امضي و اجيء آخذهم منك ثم ولى فقمت و احضرت له الدراهم وقعدت انتظره فغاب عني شهرا و جاء و قال لي اين الدراهم فقمت و سلمت عليه و قلت له هل لك ان تاكل عندنا شيأ فابى و قال لي احضرلي الدراهم حتى امضي و اجيء آخذهم منك ثم ولى فقمت و احضرت له الدراهم و قعدت انتظره فغاب عني شهرا فقلت هذا الشاب كامل السماحة ثم بعد الشهر جاء راكبا على بغلة وعليه ثياب فاخرة و هو كالقمر ليلة البدر في تمامه و كانه قد خرج من الحمام و وجهه كالقمر و هو بخد احمر و جبين از هر و شامة كانها قرص عنبر كما قيل فيه شعر

اَلْبَدْرُ وَالشَّمْسُ فِي بُرْجٍ قَدِ اجْتَمَعَا ... فِي غَايَةِ الْحُسْنِ وَالْاِقْبَالِ قَدْ طَلَعَا
وَقَدْ اَظْهَرَا حُسْنَهُمْ غَيْرَ الْغُيُوْمِ بِهِمْ ... فَيَا لَهُمْ عِنْدَمَا دَاعِي السُّرُوْرِ دَعَا

Digitized by Google

رقبة الخياط فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر الاحدب فقيل انه كان مسخرة للسلطـــان وكان لا يقدر يفارقه فلما سكر الاحدب و غاب عنه تلك الليلة و ثاني يوم الى نصف النهار سأل عنـــه بعض الحاضرين فقالوا له يا مولانا طلع به الوالي و هو ميت و امر بشنق قاتله فنزل الوالي يشنق القاتل فحضر ثاني و ثالث وكل واحد يقول ما قتله الا انا وكل واحد يذكر الموالي سبب قتله فلما سمع الملك هذا الكلام صرخ على الحاجب و قال انزل الى الوالي وائتني بهم جميعا فنزل الحاجب فوجد المشاعلي رائح يشنق الخياط فصرخ عليه الحـــاجب و قال لاتفعل و اعلم الوالي بقصة الملك فاخذه و اخذ الاحدب معه محمولا والخياط و اليهودي والنصراني والشاهد و طلعوا بالجميع فلما تمثل الوالي بين يديه قبل الارض و حكى له على ما جرى من الجميع وليس في الاعادة افادة فلما سمع الملك الحكاية تعجب و اخذه الطرب و امران يرصع ذلك بماء الذهب و قال للحاضرين هل سمعتم باعجب من قصة هذا الاحدب فعند ذلك تقدم النصراني و قال يـــا ملك الزمان ان اذنت لي حدثتك بشيء جرى لي وهو اعجب واغرب واطرب من قصة الاحدب فقال الملك حدثنا بما عندك فقال يا ملك الزمان اني لما دخلت تلك الديار اتيت بمتجر واوقعني المقدور عندكم و اصل مولدي بمصر و انا من قبطها و تربيـــت بها و كان والدي سِمْسَارا فلما بلغت مبلغ الرجال توفي والدي فعملت سِمْسَارا مكانه فبينما انا في يوم من الايام قاعد واذا بشاب احسن ما يكون و عليه الفخر ملبوس و هو راكب حمارا فلما رآني سلـــم علي فقمت تعظيما له فاخرج منديلا و فيه قدر سمسم و قال كم يســـاوي الاردب من هذا فقلت

Digitized by Google

فاعلمتني و اعطتني اياه و اما الرجل و المراة فادخلاه في البيت و وضعاه علي السلم و ذهبا فنزلت لا نظره و انا في الظلام فعثرت فيه فوقع من فوق السلم لا سفل فمات من وقته فحملته انا وزوجتي ثم طلعنا به الى السطح و دا راالشاهد هذا بجوار داري فارخينا هذا الاحدب في الباد هنج بتاع الشاهد و هو ميت فلما طلع هذا الشاهد و جده في بيته فاعتقد انه حرامي فضربه بمطرقة فوقع علي الارض فاعتقد انه قتله فما كفاني قتلت مسلما بغير علمي و آخذ في ذمتي مسلما آخر بعلمي فلما سمع الو الي كلام اليهودي قال للمشا علي اطلق الشاهد و اشنق اليهودي فاخذه المشاعلي و حط الحبل في رقبته و اذا بالخياط شق الناس و قال للمشا على لاتفعل ما قتله الا انا و ذلك اني كنت بالنهار اتفرج وجئت العشاء فلقيت هذا الاحدب سكرانا ومعه دف وهويغني بعزمه عليه فعزمت عليه وجبته الى بيتي و اشتريت سمكا وقعدنا ناكل فاخذت زوجتي قطعة سمك و لقمة ودستها في حنكه فَازْوَرَّ بعضه في حنكه فمات لوقته فاخذته انا وزوجتي و جئنا به لبيت اليهودي فنزلت الجارية و فتحت لنا الباب فقلت لها قولي لسيدك ان بالباب امراة و رجل و معهما ضعيف تعال انظره و اعطيت لها ربع دينار فطلعت لسيدها وحملت انا الاحدب لرأس السلم و اسندته ومضيت انا و زوجتي فنزل اليهودي فعثر فيه فظن انه قتله ثم قال الخياط لليهودي صحيح قال نعم والتفت الخياط للوالي و قال له اطلق اليهودي و اشنقني فلما سمع الوالي كلامه تعجب من امر هذا الاحدب و قال ان هذا امر يؤرخ فى الكتب ثم قال للمشاعلي اطلق اليهودي و اشنق الخياط باعترافه فقدمه المشاعلي و قال تعبنا نقدم هذا ونؤخر هذا ولايشنق واحد ثم وضع الحبل في

Digitized by Google

رقبته فوقع على الارض و صرخ النصراني على خفير السوق و نزل على الاحدب من شدة سكرة و بقي يلكمه و يخنقه خنقا فجاء الخفير فوجد النصراني بارك على المسلم و هو يلكمه فقال له الخفير مالهذا فقال له النصراني هذا ارادان يخطف عما متي فقال له الخفير قم عنه فقام فتقدم اليه فوجده ميتا فقال الخفير و الله طيب نصراني يقتل مسلما ثم مسك الخفير النصراني وكتفه و جاء به الى بيت الوالي و النصراني يقول في نفسه يا مسيح يا عذراء كيف قتلت هذا و ما اسرع ما مات من لكمة و احدة فراحت السكرة وجاءت الفكرة ثم ان السمسار و الاحدب و النصراني باتوا في بيت الوالي الى الصباح واصبح الوالي طلع فامر بشنق القاتل و امر المشاعلي ان ينادي عليه و نصب للنصراني خشبة وا وقفه تحتها وجاء المشاعلي رمى في رقبة النصراني الحبل و ارادان يعلقه و اذا بالشاهد قد شق بين الناس فراى النصراني و هو رائح يشنق ففسح الناس وقال للمشا علي لا تفعل انا الذي قتلته فقال له الوالي لاي شيٍ قتلته قال اني طلعت الليلة بيتي فرايته نزل من الباد هنج و سرق رحلي فضربته بمطرقة على صدره فمات فحملته وجئت الى السوق واوقفته في موضع كذا في عطفة كذا ثم قال الشاهد ما كفاني اني قتلت مسلما حتى اقتل نصرانيا فلا تشنق غيري فلما سمع الوالي كلام الشاهد اطلق النصراني السمسار وقال للمشا علي اشنق هذا باعترافه فاخذ الحبل من رقبة النصراني و وضعه في رقبة الشاهد و اوقفه تحت الخشبة و ارادان يعلقه واذا باليهودي الطبيب قد شق الناس و صرخ علي الناس و على المشاعلي وقال له لا تفعل ما قتله الا انا في هذه الليلة كنت في بيتي و اذا برجل و امراة دقوا البـاب و معهم هذا الاحدب ضعيف قد فعوا للجارية ربع دينار

Digitized by Google

فطلع به السطح ورمى به في بيت جارنا المسلم وكان جاره رجلا شاهدا مشرفا على مطبخ السلطان وهو كثيرا ما يأتي بالدهن الى بيته وتاكل القطط والفيران وان طاب طرف ليلة تنزل عليه الكلاب من السطوح ويجرونه وقد آذوه كثيرا في جميع ما يأتي به فطلع اليهودي وزوجته وهم حاملين الاحدب وانزلوه بيديه ورجليه الى الارض وخلوه ملاصق الحائط وانزلوه وانصرفوا ومالحقوا ينزلون الاحدب الا والشاهد جاء الى البيت وفتحه وطلع ومعه شمعة موقودة فطلع في البيت فوجد ابن آدم واقفا في الزاوية تحت الباد هنج فقال له الشاهد واه والله طيب ان الذي يسرق حوائجنا ما هو الا ابن آدم فالتفت اليه وقال له هذا اللحم والدهن تاخذه انت وانا احسبه من القطط والكلاب وانا قتلت قطط الحارة وكلا بها ودخلت في خطيئتهم وانت تنزل من السطوح ثم اخذ مطرقة عظيمة وهمز بها وصار عنده وضربه على صدره فوجده مات فحزن وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وخاف على نفسه وقال لعن الله الدهن والليّة وكيف فرجت منية هذا الرجل على يدي ثم نظر اليه فاذا هو الاحدب فقال مايكفي انك احدب حتى تصير حراميا وتسرق اللحم والدهن ياستار استرني بسترك الجميل ثم حمله على اكتافه ونزل به من بيته آخر الليل وما زال به الى اول السوق فاوقفه بجانب دكان في رأس عطفة وتركه وراح واذا بنصراني سمسار السلطان وكان سكران فخرج يريد الحمام فقال له سكره ان التسبيح قريب فما زال يمشي ويتمايل حتى قرب من الاحدب وجلس يبول قباله فلاحت منه التفاتة واذا بواحد واقف وكان النصراني خطفوا عمامته في اول تلك الليلة فلما راى الاحدب قائما اعتقد انه يريد يخطف عمامته فطبق كفه ولكم الاحدب على

و

Digitized by Google

كَيْفَ الْجُلُوسُ عَلَى نَارٍ وَلَا خَمِدَتْ إِنَّ الْجُلُوسَ عَلَى النِّيرَانِ خُسْرَانُ

فقال لها زوجها وما افعله قالت له قم و احمله في حضنك و انشر عليه فوطة حرير و اخرج انا قد امك و انت و رائي في هذه الليلة و قل هذا ولدي و هذه امه رايحين به الى الطبيب يراه فلما سمع الخياط هذا الكلام قام و حمل الاحدب في حضنه و زوجته تقول يا ولدي سلامتك ايش يوجعك و هذا الجدري كان لك في اي مكان فكل من رآهم يقول معهم طفل طرحان ولم يزالوا سائرين و هم يسألون عن منزل الطبيب فدلو هم الى بيت طبيب يهودي فقرعوا الباب فنزلت لهم جارية سوداء و فتحت الباب و نظرت و اذا بانسان حامل صغير و امرأة معه فقالت الجارية ماخبرك فقالت امرأة الخياط معنا صغير مرادنا ينظره الطبيب فخذي هذا الربع دينار و اعطيه لسيدك و خليه ينزل يرى ولدي فقد لحقه ضعف فطلعت الجارية و دخلت زوجة الخياط داخل العتبة وقلت لزوجها اترك الاحدب هنا و خلّنا نفوز بانفسنا فاوقفه الخياط و اسنده الى الحائط و خرج هو و زوجته و اما الجارية فد خلت لليهودي و قالت له ان على الباب رجل معه واحد ضعيف و معهم حرمة و قد اعطوني ربع دينار لك تنزل تشوفه و تصف لهم ما يوافقه فلما راى اليهودي الربع دينار فرح و قام عاجلا و نزل فى الظلام فاول ماحط رجله عثر بالاحدب و هو ميت فقال يا لَلْعزير يا لَموسى والعشر كلمات يا لَها رون و يوشع بن نون كاني عثرت في هذا المريض فوقع الى اسفل فمات فكيف اخرج بقتيل من بيتي فحمله وطلع به البيت و اعلم زوجته بذلك فقالت له وما قعودك ان قعدت هنا الى طلوع النهار راحت ارواحنا انا و انت

Digitized by Google

من عنده و صار ممن ينادمه و ما هذا با عجب من حكاية الخياط والاحدب واليهودي و الشاهدوا لنصراني و ما وقع لهم قال الملك و كيف كان ذلك قالت بلغني ايها الملك السعيد انه كان في قديم الزمان و سالف العصر والاوان في مدينة الصين رجل خياط مبسوط الا نامل يحب اللهو و الطرب وكان يخرج هو وزوجته في بعض الاحيان يتفرجون على التفرجات فخرجوا يوما من اول النهار ورجعوا آخره الى منزلهم عند المساء فوجدوا في طريقهم رجلا احدب رؤيته تضحك المغبون و تزيل الهم عن المحزون فعند ذلك تقدم الخياط و زوجته يتفرجون عليه ثم انهم عزموا عليه ان يروح معهم الى بيتهم لينا دمهم تلك الليلة فاجابهم و مشى معهم الى البيت فخرج الخياط الى السوق وكان الليل قد اقبل فاشترى سمكا مقليا وخبزا و ليمونا و عقيدا يحلو به واتى و حط السمك قدام الاحدب واكلوا فاخذت امرأة الخياط جزلة سمك كبيرة و لقمتها للاحدب وسدت فمه بكفها وقالت والله ما تأكلها الا دفعة واحدة في فرد نفس ولا امهلك حتى تمضغها فبلعها وكانت فيها شوكة قوية فانشبكت في حلقه مع انقضاء اجله فمات و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون

قالت بلغني ايها الملك السعيدان امرأة الخياط لما لقمت الاحدب جزلة السمك مع انقضاء اجله مات لساعته فقال الخياط لاحول ولاقوة الا بالله مسكين جاء موته الا هكذا على ايدينا فقالت المرأة و ما هذا التواني اماسمعت قول القـــــــــــــائـــــــــــل

مَالِيْ اُسَلِّي نَفْسِيْ بِالْمُحَالِ اِلَى ۔۔۔ لَمْ اَلْتَقِيْ مِنْ حَبِيْبٍ يَحْمِلُ احْزَانِيْ

ASHMOLEAN OXFORD MUSEUM
Digitized by Google

اقول قصيدة في مدحه لتزداد محبتي في قلبه قالت له اصبت فيما نويت فجود الفكرة و تأنق فيما تقول وما اراه الا مقابلا لك بالقبول ثم انفرد حسن البصري ناحية و نمق ابياتا رشيقة المباني حسنة المعاني وهي هذه شعر

لِي هُمَامٌ قَدْ سَمَا اَوْجَ الْعُلى ۝ وَهُوَ فِي نَهْجِ الْكِرَامِ الْغُرِّ سَالِكْ
اَمَّنَ الْاَقْطَارَ طُرًّا عَدْلُهُ ۝ وَعَلى اَعْدَائِهِ سَدَّ الْمَسَالِكْ
ضَيْغَمٌ شَهْمٌ تَقِيٌّ اِنْ تَقُلْ ۝ مَلِكٌ اَوْ مَلَكٌ فَهْوَ كَذٰلِكْ
يَرْجِعُ الْعَافِي غَنِيًّا اِنْ تَرُمْ ۝ وَصْفَهُ تَعْجِزْ عَنْهُ فِي مَقَالِكْ
هُوَ صُبْحٌ مُسْفِرٌ يَوْمَ الْعَطَا ۝ وَهُوَ فِي يَوْمِ الْوَغى كَاللَّيْلِ حَالِكْ
قَلَّدَ الْاَعْنَاقَ مِنَّا جُودُهُ ۝ وَهُوَ بِالْاِحْسَانِ لِلْاَحْرَارِ مَالِكْ
طَوَّلَ اللّٰهُ لَنَا فِي عُمْرِهِ ۝ وَوَقَاهُ شَرَّ اَحْدَاثِ الْمَهَالِكْ

فلما فرغ من تحريرها ارسل بها الى حضرة السلطان صحبة عبد من عبيد عمه الوزير شمس الدين فاطلع عليها الملك و سر خاطره بها و قرأها للحاضرين بين يديه فاثنوا عليه ثناء عظيما ثم استدعاه الى مجلسه فحضر فقال له الملك انت من هذا اليوم نديمي وقد عينت لك في كل شهر الف درهم مع ما قلدتك به سابقا فقام حسن البصري و قبل الارض بين يديه ثلث مرات و دعا له بدوام العز و طول البقاء ثم ان حسن البصري علا قدره و طار صيته في البلدان و بقي في اجمل حال و ارغد عيش مع عمه و اهله الى ان ادركته الوفاة فلما سمع القصة هرون الرشيد من لسان جعفر تعجب و قال ينبغي ان تكتب هذه الاحاديث بماء الذهب ثم اطلق العبد وامر بان يعين للشاب في كل شهر ما يطيب به عيشه ووهب سرية

Digitized by Google

وَ الظَّرْفُ فِي اللِّسَانِ وَ الرَّشَاقَةُ لِلْقَدِّ وَ الشَّمَائِلُ اللَّبَاقَةُ
ثُمَّ كَمَالُ الْحُسْنِ قَالُوا فِي الشَّعْرِ فَاصْغِ إِلَى نَظْمِي وَكُنْ مِمَّنْ عَذَرْ

فسر السلطان بكلامه و استأنس به ثم قال له ما معنى قولهم في المثل شريح ادهى من الثعلب فقال اعلم ايها الملك ايدك الله تعالى ان شريحا خرج ايام الطاعون الى النجف وكان اذا قام يصلي يجيئ ثعلب فيقف تجاهه ويحاكيه فيشغله عن صلوته فلما طال ذلك عليه نزع يوما قميصه فجعله على قصبة و اخرج كمّيه و جعل عمامته عليها وشد وسطها و نصبها في محل صلوته فاقبل الثعلب على عادته فوقف بازائه و اتاه شريح من خلفه فاخذه فقيل ما قيل فلما سمع السلطان ما كشف عنه حسن البصري قال لعمه شمس الدين ان ابن اخيك هذا كامل في فن الادب ولا اظن ان مثله يوجد في مصر فقام حسن البصري و قبل الارض بين يديه و تعد تعود المملوك بين يدي مولاه ثم ان السلطان لما اطلع على حقيقة ماتحصل لحسن البصري من العلوم الادبية فرح فرحا عظيما و خلع عليه خلعة فاخرة و قلده امرا يستعين به على ما يصلح حاله ثم قام حسن البصري و قبل الارض بين يديه و دعاله بالعز الدائم واستأذنه للذهاب مع عمه الوزير شمس الدين فاذن له فخرج و اتى هو و عمه الى البيت فقدم لهما الطعام فاكلا ما يسر الله لهما ثم دخل حسن البصري بعد الفراغ من الطعام مجلس امرأته ست الحسن واخبرها بما اتفق له في حضرة السلطان فقالت له لابد من ان يجعلك نديما له و يوفر لك الصلات و الهبات و انت بفضل الله كالنير الاعظم تسطع انوارك لك حيثما كنت في برا و بحر فقال لها اريدان

Digitized by Google

حَبِيبٌ كُلَّمَا فَكَّرْتُ فِيهِ تَوَالَتْ عَبْرَتِي وَ عَلَا نَحِيبِي
لَهُ خَالٌ حَكَى حُسْنًا وَلَوْنًا سَوَادَ الْعَيْنِ أَوْ حَبَّ الْقُلُوبِ

فاستحسن الملك البيتين و قال له هات غيرهما لله ابوك ولا فض فوك فانشد شعر

وَ نُقْطَةِ خَالٍ شَبَّهُوهَا بِحَبَّةٍ مِنَ الْمِسْكِ لَا تَعْجَبْ لِقَوْلِ الَّذِي شَبَّهْ
بَلِ اعْجَبْ لِوَجْهٍ قَدْ حَوَى الْحُسْنَ كُلَّهُ وَمَا فَاتَهُ مِنْهُ الْجَمِيعُ وَلَا حَبَّهْ

فاهتز الملك طربا و قال له زدني بارك الله في عمرك فانشد شعر

يَا مَنْ حَكَى الْخَالَ عَلَى خَدِّهِ نُقْطَةَ مِسْكٍ فَوْقَ يَا قُوتَهْ
أَنْعِمْ بِوَصْلِي أَلَّا تَكُنْ قَاسِيًا يَا مُنْيَةَ الْقَلْبِ وَ يَا قُوتَهْ

فقال له الملك احسنت يا حسن واجدت كل الاجادة بيّن لنا كم للفظ الخال من معنى فى اللغة فقال له ايد الله الملك ثمانية و خمسون معنى و قيل خمسون فقال له صدقت ثم قال له الك علم بتفصيل الحسن قال نعم الصباحة فى الوجه الوضاءة فى البشرة الجمال فى الانف الحلاوة فى العينين الملاحة فى الفم الظرف فى اللسان الرشاقة فى القد اللباقة فى الشمائل كمال الحسن فى الشعر و قد جمع هذا كله الشهاب الحجازي في ابيات من بحر الرجز وهي هذه شعر

صَبَاحَةٌ لِلْوَجْهِ قُلْ وَالْبَشَرَهْ لَهَا وَضَاءَةٌ فَكُنْ ذَا تَبْصِرَهْ
وَ بِالْجَمَالِ الْأَنْفُ حَقًّا يُوصَفُ وَ بِالْحَلَاوَةِ الْعُيُونُ تُعْرَفُ
نَعَمْ وَ قَالُوا لِلْفَمِ الْمَلَاحَهْ فَافْهَمْهُ عَنِّي لَا عَدِمْتَ الرَّاحَهْ

Digitized by Google

مَا هُوَ مَلِيْحُ الشِّكْوٰى عَلٰى لِسَانِ رَسُوْل

ثم ان والدته حكت له على ما وقع لها بعده و حكى لها على ما قاساه فشكروا الله تعالى على اجتماع شملهم ببعض ثم ان الوزير شمس الدين ذهب الى السلطان بعد وصوله بيومين فلما دخل عليه قبل الارض بين يديه و حياه بتحية الملوك ففرح به السلطان وبش في وجهه و ادناه اليه ثم استخبره عما راى في سفرته و جرى له في ذهابه فاخبره بالقصة من اولها الى آخرها فقال له السلطان الحمد لله على ظفرك بالمراد و رجوعك سالما الى الاهل و الاولاد ولابد من ان ارى ابن اخيك حسن البصري فات به الى الديوان غدا فقال له شمس الدين يحضر عبدك غدا ان شاء الله تعالى ثم سلم عليه و خرج فلما رجع الى داره اخبر ابن اخيه باشتياق السلطان اليه فقال حسن البصري المملوك منقاد لامر مولاه و الحاصل انه ذهب الى حضرة السلطان مع عمه شمس الدين و لما حضر بين يديه حياه باكمل التحيات و افضلها و انشد يقول شعر

يُقَبِّلُ الْاَرْضَ مَنْ عَزَّتْ مَرَاتِبُهُ ۔ بِكُمْ وَ بِالنُّجْحِ قَدْ فَازَتْ مَطَالِبُهُ
اَنْتُمْ اُولُوا الْمَجْدِ يُحْظٰى مَنْ يُؤَمِّلُكُمْ ۔ بِمَا بِهِ فِي الدُّنَا تَعْلُوْ مَنَاصِبُهُ

فتبسم السلطان و اشار اليه بالجلوس فجلس بقرب عمه شمس الدين ثم سأله الملك عن اسمه فقال له احقر عبيدك المعروف بحسن البصري الداعي لك ليلا و نهارا فاعجب السلطان كلامه واراد ان يمتحنه فيما يظهر به شان علمه و ادبه فقال له هل تحفظ شيئا في وصف الخال قال نعم و انشد شعر

Digitized by Google

تارة يقول انا حلمت وتارة يقول انا في اليقظة و لازال كذلك الى الصباح فدخل عليه عمه شمس الدين الوزير فسلم عليه فنظر له بدر الدين حسن و قال بالله ما انت الذي امرت بتكتيفي و تسميري وتخريب دكاني من شان حب الرمان لكونه عاوز فلفل فعند ذلك قال له الوزير اعلم يا ولدي انه ظهر الحق و بان ماهو مختفي انت ابن اخي و ما فعلت ذلك حتى تحققت انك الذي دخلت على بنتي ذاك الليلة و ما تحققت ذلك الا لكونك عرفت البيت و عرفت شاشك و سروا لك و ذهبك و الورقة التي بخطك والتي كتبها والدك اخي فاني ما رايتك قبل ذلك و ما كنت اعرفك و ان امك جبتها معي من البصرة ثم رمى نفسه عليه و بكى فلما سمع بدر الدين حسن من عمه هذا الكلام تعجب غاية العجب وعانق عمه وبكى من شدة الفرح ثم قال له الوزير يا ولدي ان سبب ذلك كله ماجرى بيني و بين والدك و حكى له على ماجرى بينه و بين اخيه و سبب سفر والده الى البصرة ثم ان الوزير ارسل خلف عجيب فلما رآه والده قال و هذا الذي ضربني بالحجر فقال الوزير هذا ولدك فعند ذلك رمى نفسه عليه و انشد يقول شعـــر

وَلَقَدْ بَكَيْتُ عَلَى تَفَرُّقِ شَمْلِنَا قَدْرًا أَفَاضَ الدَّمْعُ مِنْ أَجْفَانِي
وَنَذَرْتُ إِنْ عَادَ الزَّمَانُ يَلُمُّنَا مَا عُشْتُ أَذْكُرُ فُرْقَةً بِلِسَانِي
هَجَمَ السُّرُورُ عَلَيَّ حَتَّى أَنَّنِي مِنْ عِظْمِ مَا نَلْ سَرَّنِي أَبْكَانِي

فلما فرغ من شعره و اذا بوالدته اقبلت و رمت نفسها عليه و انشدت تـــــــــــــــقـــــــــــــــول

إِذَا ٱلْتَقَيْنَا ٱشْتَكَيْنَا مِنْ عِظَمِ مَا قَدْ نَقُولُ

Digitized by Google

دخل و تنهد و تفكر فيما جرى له و تحير في امره و اشكلت عليه قضيته لما راى شاشه و سروا له و الكيس الذي فيه الالف دينار فقال الله اعلم اني في اضغاث احلام فعند ذلك قالت له ست الحسن مالك تتعجب و تبهت و قلت ما كنت كذا اول الليل فضحك و قال كم لي غائب عنك فقالت له سلامتك اسم الله حو اليك انت خرجت تقضي لك شغلا و ترجع فانت عدم عقلك فلما سمع بدرالدين ذلك ضحك وقال صدقت ولكن لما خرجت من عندك نسيت روحي على بيت الماء و حلمت اني كنت طباخا في دمشق و اقمت بها عشر سنين وكاني جاء لي صغير وهو من اولاد الاكابر ومعه خادم ثم ان بدرالدين حسن مس بيده على جبينه فراى الضرب عليه فقال و الله ياستي كانه حق لانه ضربني على جبيني فشجه فكانه في اليقظة ثم قال كانه من ساعة ماتعانقت انا وانت ونمنا فكاني رايته في المنام و رايت كاني سافرت الى دمشق بلا طربوش و لاسروال وعملت طباخا ثم بهت ساعة و قال و الله كاني رايت اني طبخت حب رمان و فلفله قليل و الله ما كاني الا نمت في بيت الماء و رايت هذا كله في المنام فقالت له ست الحسن بالله عليك و ايش رايت زيادة على ذلك فحكى لها فعند ذلك قال بدرالدين حسن و الله لولا اني تنبهت لكانوا سمروني على لعبة خشب فقالت له على ايش فقال على قلة فلفل حب الرمان و كانهم خربوا دكاني وكسروا مواعيني و حطوني في صندوق و جاؤا بالنجار يصنع لي خشبة لانهم ارادوا شنقي فالحمد لله الذي جرى لي ذلك كله في المنام و لا كان في اليقظة فضحكت ست الحسن و ضمته الى صدرها و ضمها الى صدره ثم تفكر ثم قال و الله ما كانه الا في اليقظة فانا ما عرفت ايش القضية ثم انه نام و هو متحير في امره

Digitized by Google

وقال في غد يكون الا مر وصبر عليه حتى عرف انه نام فقام و حمل الصندوق و ركب وحطه قدامه و دخل المدينة وسار الى ان دخل بيته ثم قال لا بنته ست الحسن الحمد لله الذي جمع شملك بابن عمك قومي افرشي البيت مثل نهبته ليلة الجلاء فقاموا او قدوا الشموع و قد اخرج الوزير الورقة المصورة التي كان صورها بنصبة البيت و وضعوا كل شئ مكانه حتى ان الرائي اذا راي ذلك لايشك في انها ليلة الجلاء بعينها ثم امر الوزير ان يحطوا شاش بدرالدين حسن في مكانه كما كان حطه بيده وكذلك السروال والكيس الذي تحت الطراحة ثم ان الوزير امرا بنته ان تخفف نفسها كما كانت ليلة الجلاء في الخلوة و قال لها اذا دخل عليك ابن عمك فقولي له ابطات علي في عبورك بيت الخلاء و دعيه يبات عندك وتحدثين معه الى النهار نكشف له هذا التاريخ ثم ان الوزير اخرج بدرالدين من الصندوق بعد ان فك القيد من رجليه و قلعه ما عليه و صار بقميص النوم و هو زفيع من غير سروال كل هذا وهو نائم لا يعلم فبالامر المقدر انقلب بدرالدين تنبه فوجد نفسه في دهليز نور فقال في نفسه انا في اضغاث احلام ثم قام بدرالدين تمشى قليلا الى باب ثانٍ و نظر و اذا هو في البيت الذي انجلت فيه عليه العروسة المشخانه و الكرسي و نظر عمامته وحوائجه فلما نظر ذلك بهت وصار يقدم رجلا و يؤخر اخرى و قال انا نائم ام يقظان و صار يمسح جبينه و يقول و هو متعجب والله ان هذا مكان العروسة التي انجلت علي فانا فين فاني كنت في صندوق فبينما هو يخاطب نفسه و اذا بست الحسن رفعت ذيل البشخانة و قالت له يا سيدي ما تدخل فانك ابطات في بيت الخلاء فلما سمع كلامها و نظر الى وجهها ضحك و قال انني في اضغاث احلام ثم

Digitized by Google

ما ذنبي عندكم فقال له انت الذي طبخت حب الرمان قال نعم فانتم وجدتم فيه شيٌ يوجب ضرب الرقبة فقال الوزير احسن و اقل جزائك فقال له يا سيدي ماتعرّفني بذنبي فقال له الوزير نعم في هذه الساعة ثم ان الوزير صرخ على الغلمان و قال هاتوا الجمال و اخذوا بدرالدين حسن معهم و ادخلوه في صندوق و قفل عليه و ساروا و لم يزالوا سائرين الى الليل فحطوا واكلوا شيئا من الطعام و اخرجوا بدرالدين اطعموه وعادوه الى الصندوق ولم يزالوا كذلك الى ان و صلوا الى قمرة فاخرجوا بدرالدين حسن من الصندوق و قال له الوزير انت الذي طبخت حب الرمان قال نعم يا سيدي فقال الوزير قيدوه فقيدوه و عادوا به الى الصندوق و ساروا الى ان وصلوا مصر و قد نزلوا في الزبدانية فامر باخراج بدرالدين حسن من الصندوق و امر باحضار نجار و قال له اصنع لهذا العبة خشب فقال بدرالدين حسن وما تصنع بها فقال اشنقك عليها و اسمرك على اللعبة ثم ادور بك المدينة كلها فقال على اي شيٌ تفعل لي ذلك فقال الوزير على نحس طبيخك حب الرمان كيف طبخته و هو عاوز فلفل فقال له ولكونه عاوز فلفل تصنع معي هذا كله وما كفاك حبسي وكل يوم تطعموني اكلة واحدة فقال الوزير عاوز فلفل وما جزاؤك الا القتل فتعجب بدرالدين و حزن على روحه فقال له الوزير فيما تفكر فقال له في العقول القشرية التي مثل عقلك فانه لوكان عندك عقل ماكنت فعلت معي هذه الفعال فقال له الوزير يجب علينا ان نوذيك حتى لا تعود لمثله فقال بدرالدين حسن ان الذي فعلته معي اقل شيٌ فيه اذيتي فقال له لابد من شنقك كل هذا والنجار يصلح الخشب و هو ينظر ولم يزالوا كذلك الى ان اقبل الليل فاخذه عمه و رماه في الصندوق

Digitized by Google

طبيخك فضحك بدرالدين حسن وقال والله هذا الطعام ما يحسنه احد الا انا ووالدتي وهي الآن في بلاد بعيدة ثم انه غرف الزبدية واخذها وختمها بالمسك والماورد فاخذ الخادم واسرع بها حتى وصل اليهم فاخذتها والدة حسن وذاقتها ونظرت حسن طعمها وجودة طبخها فعرفت طبّاخها فصرخت ثم وقعت مغشيا عليها فبهت الوزير ثم رش عليها الماورد وبعد ساعة افاقت وقالت انكان ولدي في الدنيا فما طبخ هذا حب الرمان الا هو وهو ولدي بدرالدين حسن لاشك فيه ولا محالة لان هذا طعام وما احد يطبخه غيره الا انا لاني علّمته طبيخه فلما سمع الوزير كلامها فرح فرحا شديدا وقال واشوقاه على رؤية ابن اخي اتراني تجمع الايام شملنا به وما نطلب الاجتماع به الا من الله تعالى ثم ان الوزير قام من وقته وساعته وخرج على الرجال المذين معه وقال يمضي منكم عشرون رجلا دكان الطباخ واهدموه وكتفوه بعمامته وجرّوه غصبا الى عندي من غير اذية تحصل له فقالوا نعم ثم ان الوزير ركب من وقته الى دارالسعادة واجتمع بنائب دمشق واطلعه على الكتب التي معه من السلطان فوضعهم على راسه بعد تقليبهم وقال له واين هو غريمك قال رجل طباخ ففي الحال امر جماعة به ان يذهبوا الى دكانه فذهبوا فرأوه مهدم وما وكل شيء فيه مكسور لانه لما توجه الى دار السعادة فعلوا جماعته ما امرهم به فقعدوا منتظرين مجيء الوزير من دارالسعادة وبدرالدين حسن يقول ياتري ايش راوا في حب الرمان حتى صار الى هذا الامر فلما حضر الوزير من عند نائب دمشق وقد اذن له في اخذ غريمه ويسافر به فلما دخل الخيام طلب الطباخ فاحضروه مكتفا بعمامته فلما نظر بدرالدين حسن الى عمه بكى بكاء شديدا وقال يا مولاي

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الرابعة والعشرون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان جدة عجيب لما سمعت كلامه اغتاظت ونظرت للخادم وقالت له ويلك انت افسدت ولدي لانك دخلت به الى دكاكين الطباخين فخاف الطواشي وانكر وقال ما دخلنا الدكان ولكن جزنا جوازا فقال عجيب والله الا دخلنا واكلنا وهوا حسن من طعامك فقامت جدته و اخبرت اخوزوجها واغرته على الخادم فحضر الخادم قدام الوزير فقال له لِمَ دخلت بولدي دكان الطباخ فخاف الخادم و قال ما دخلنا فقال عجيب دخلنا واكلنا من حب الرمان حتى شبعناو اسقانا الطباخ اقسما بثلج و سكر فازداد غضب الوزير على الخادم و ساله فانكر فقال له الوزير ان كان كلامك صحيحا فاقعد وكل قد امنا فعند ذلك قدم الخادم و ارادان ياكل فلم يقدر ورمى اللقمة و قال يا سيدي اني شبعان من البارحة فعرف الوزير انه اكل عند الطباخ فامر العبيدان يطرحوه فطرحوه و نزل عليه بالضرب الوجيع فاستغاث و قال يا سيدي لا تضربني و انا اقول لك الصحيح فتبطّل عنه الضرب و قال له انطق بالحق فقال له اعلم اننا دخلنا دكان الطباخ وهو يطبخ حب الرمان فحط لنا منه و الله ما اكلت عمري مثله ولا ذقت اوحش من هذا الذي قد امنا فغضبت ام بدرالدين حسن وقالت لابدان تروح لهذا الطباخ وتجيب لنا زبدية حب رمان من الذي عنده و تريه لسيدك حتى يقول ايهما احسن و اطيب فقال الخادم نعم ففي الحال اعطته زبدية ونصف دينار فمضى الخادم حتى وصل الى الدكان وقال للطباخ نحن تراهَنّا على طعامك في بيت سيدنا لان عندهم حب رمان فهات لنا بهذا النصف دينار واجعل بالك فقد اكلنا الضرب الموجع على

Digitized by Google

و قد مها بين ايديهم و قال اتموا احسانكم فاخذ عجيب و شرب و ناول الخادم و تناولوا حتى امتلأت بطونهم و شبعوا شبعا بخلاف عادتهم ثم انصرفوا و اسرعوا في مشيهم حتى و صلوا الى خيامهم و دخل عجيب على جدته ام والده بدرالدين حسن فقبلته و افتكرت ولدها بدرالدين حسن فتنهدت و بكت ثم انها قالت شـــــعـــــر

قَدْ كُنْتُ اَرْجُو بِاَنَّ الشَّمْلَ يَجْتَمِعُ مَا كَانَ لِيْ فِيْ حَيٰوتِيْ بَعْدَكُمْ طَمَعُ
اَقْسَمْتُ مَا فِيْ فُؤَادِيْ غَيْرَ حُبِّكُمُ وَاللّٰهُ رَبِّيْ عَلَى الْاَسْرَارِ مُطَّلِعُ

ثم قالت لعجيب يا ولدي اين كنت قال في مدينة دمشق فعند ذلك قامت و قدمت له زبدية طعام حب رمان و كان قليل الحلاوة و قالت للخادم اقعد مع سيدك فقال الخادم في نفسه و الله مالنا نفس ناكل و جلس الخادم و اما عجيب فلما جلس كانت بطنه ملآنة مما اكل و شرب فاخذ لقمة و غمسها في حب الرمان و اكل فوجده قليل الحلاوة لانه كان شبعان فقال افوه ايش هذا الطعام الوحش فقالت جدته يا ولدي تعيب على طبيخي وانا طبختة ولا يحسن احد الطبخ مثلي الاوالدك بدرالدين حسن فقالت عجيب و الله ياستي ان طبيخك هذا و حش نحن في هذه الساعة راينا فى المدينة طباخا طبخ حب رمان رائحته ينفتح لها القلب و اما طعامه فانه يشتهي ان يوكل و اما طعامك عنده فلا يساوي كثيرا ولا قليلا فلما سمعت جدته كلامه اغتاظت غيظا شديدا و نظرت الى الخادم و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المـــــبـــــاح

Digitized by Google

وَ اَطْرَقْتُ اِجْلَالاً لَهُ وَ مَهَابَةً وَحَاوَلْتُ اَنْ اَخْفِي الَّذِي بِيْ فَلَمْ يَخْفَى
وَ قَدْ كَانَ عِنْدِيْ لِلْعِتَابِ دَفَاتِرٌ فَلَمَّا الْتَقَيْنَا مَا نَطَقْتُ وَلَا حَرْفَا

ثم قال لهم اجبروا قلبي و كلوا من طعامي فوالله ما نظرت اليك الا خفق قلبي وما كنت تبعتك الاوانا في غير عقلي فقال عجيب والله انت محب لنا و نحن اكلنا عندك لقمة لزمتنا عقبها واردت تهتكنا و نحن لانا كل لك اكلا الا بشرط ان تحلف انك لا تخرج وراءنا ولا تتبعنا و الا لانعود اليك من وقتنا هذا فنحن مقيمون جمعة حتى ياخذ جدي هذا يا للملك فقال بدرالدين لكم ذلك فدخل عجيب والخادم الدكان فقدم لهم زبدية حب رمان فقال عجيب كل معنا لعل الله يفرج عنا ففرح بدرالدين و اكل معهم و هو باهت في وجهه و قد تعلق قلبه و جوارحه معه فقال له عجيب اعلم اني ما قلت انك عاشق ثقيل فحسبك تطيل النظر الى وجهي فلما سمع بدرالدين كلام ولده انشد يقول

لَكَ فِي الْقُلُوْبِ سَرِيْرَةٌ لَا تَظْهَرُ مَطْوِيَّةٌ مَكْنُوْنَةٌ لَا تَنْشُرُ
يَافَاضِحَ الْقَمَرِ الْمُنِيْرِ بِحُسْنِهِ وَجَمَالِهِ يُحْكِي الصَّبَاحَ الْمُسْفِرُ
فِي نُوْرِ وَجْهِكَ مُعْرِبٌ لَاتَنْقَضِيْ وَ مَعَاهِدًا تَزِيْدُ وَ تَكْثُرُ
اَاَذُوْبُ مِنْ حُرَقٍ وَوَجْهُكَ جَنَّتِي وَاَمُوْتُ مِنْ ظَمَإٍ وَرِيْقُكَ كَوْثَرُ

فصار بدرالدين يلقم عجيبا ساعة ويلقم الطوا شي ساعة فاكلوا حتى اكتفوا قاموا فقام حسن البصري وكب على ايديهما الماء و حل فوطة حرير من وسطه مسح ايديهم فيها ورش عليها الماورد من قمقم كان عنده وخرج من الدكان و عاد بقلة شربات ممزوجة بالماورد الممسك

Digitized by Google

ثم ان الوزير ارسل خلف عجيب يحضره فلما حضر قامت جدته و اعتنقته و بكت فقال لها شمس الدين ما هذا وقت بكاء هذا وقت تجهيزك للسفر معنا الى ديار مصر عسى الله يجمع شملنا و شملك بولدك ابن اخي فقالت سمعا و طاعة ثم قامت من وقتها و جمعت مصالحهـــا و ذخائرها و جوارها و فى الحـال تجهزت و طلع الوزير شمس الدين الى سلطان البصرة و ودعه فبعث معه هدايا و تحف الى سلطان مصر و سافر من وقته الى ان وصل الى مدينة دمشق فنزل فى القانون و ضرب الخيام و قال لمن معه نقيم بها جمعة الى ان نشتري للسلطان هدايا و تحف و قد خرج عجيب فقال للطواشي يا لايق اني اشتقت الى الفرجة فقم بنا ننزل الى السوق و نعبر دمشق و ننظر ما جرى لذ لك الطباخ الذي كنا قد اكلنا طعامه و شجينا رأسه و هو قد كان احسن الينا و نحن اسأناه فقال الطواشي سمعا و طاعة ثم ان عجيبا خرج من الخيام هو والطواشي و حركته القرابة لوالده وفى الحال دخلوا الى المدينة وما زالوا سائرين الى ان و صلوا الى دكان الطباخ فوجده و اقفا فى الدكان و كان الوقت قريب العصر وقد وافق الامر انه طبخ حب رمان فلما قربا منه ونظر عجيب اليه حن له و نظر الى اثر الضربة بالحجر في جبينه فقال له السلام عليك يا هذا اعلم ان خاطري عندك فلما نظر اليه بدر الدين تقلقلت احشاؤه وخفق فؤاده و اطرق برأسه الى الارض و ارادان يدير لسانه في فمه فما قدر ثم انه رفع رأسه الى ولده خاضعا متذللا و انشد يقول هذه الابـــــــــــيـــــــــــات

تَمَنَّيْتُ مَنْ اَهْوٰى فَلَمَّا رَاَيْتُهُ ذَهَلْتُ فَلَمْ اَمْلِكْ لِسَانًا وَلَا طَرْفًا

Digitized by Google

اَحْبَابُنا اِنْ يَكُنْ طَالَ الْمُدَا فَكَذَا فِرَاقُكُمْ قَدْ قَطَعْنَا بَعْدَكُمْ قِطَعَا
فَلَوْ تَمُنُّوْا عَلَى طَرْفِي بِرُؤْيَتِكُمْ لَكَانَ اَحْسَنَ اِذْ مَا بَيْنَنَا جَمَعَا
لَا تَحْسِبُوْا اِنَّنِي بِالْغَيْرِ مُشْتَغِلٌ اِنَّ الْفُؤَادَ لِحُبِّ الْغَيْرِ مَا وَسِعَا

ثم انه صار يمشي الى ان جاء الى قاعة زوجة اخيه ام بدرالدين حسن المصري وكانت في مدة غيبة ولدها لزمت البكاء والنحيب بالليل والنهار فلما طالت عليها السنين عملت لولدها قبرا من الرخام في وسط القاعة وصارت تبكي عليه ليلا ونهارا لاتنام الا عند ذلك القبر فلما وصل الوزير الى مسكنها سمع حسها فوقف خلف الباب فسمعها تنشد على القبر وتقول

بِاللّٰهِ يَا قَبْرُ هَلْ زَالَتْ مَحَاسِنُهُ وَهَلْ تَغَيَّرَ ذَاكَ الْمَنْظَرُ النَّضِرُ
يَاقَبْرُ مَا اَنْتَ لَارَوْضٌ وَلَا فَلَكٌ فَكَيْفَ يَجْمَعُ فِيكَ الْغُصْنُ وَالْقَمَرُ

فبينما هي كذلك واذا بالوزير شمس الدين قد دخل عليها وسلم واعلمها انه اخو زوجها ثم اخبرها بما جري وكشف لها عن القصة وان ابنها بدرالدين حسن بات عند ابنته ليلة كاملة من مدة عشر سنين وفقد عند الصباح وان ابنتي حملت من ولدك وولدت ولدا وهو معي وانه ولدك وولد ولدك من ابنتي فلما سمعت خبر ولدها وانه حي وراث سَلِفَها فعند ذلك قامت له ووقعت على اقدامه وقبلتها وانشدت تقول شعرا

لِلّٰهِ دَرُّ مُبَشِّرِي بِقُدُوْمِهِمْ فَلَقَدْ اَتَى بِاَ طَائِبِ الْمَسْمُوْعِ
لَوْ كَانَ يَقْنَعُ بِالْخَلِيْعِ وَهَبْتُهُ قَلْبًا تَقَطَّعَ سَاعَةَ التَّوْدِيْعِ

Digitized by Google

اقام في دمشق ثلثة ايام ثم رحل طالب حمص فدخل اليها و فتش في طريقه اينما حل و جهه في سيره الى ان وصل الى ديار بكر وما ردين و الموصل ولم يزل سائرا الى مدينة البصرة فدخل بها فلما استقر بها المنزل دخل الى سلطانها و اجتمع به فاحترمه و اكرم منزله و ماله عن سبب مجيئه فاخبره بقصته و ان اخاه الوزير نورالدين علي فترحم عليه السلطان و قال له ايها الصاحب كان و زيري وكنت احبه كثيرا من مدة خمسة عشر سنة و مات وخلف ولدا وما اقام بعد موته الا شهرا واحدا ولقدتاه و لم نطلع له على خبر غير ان امه عندنا لانها بنت و زير الكبير فلما سمع الوزير شمس الدين من الملك ان ام ابن اخيه طيبة فرح وقال يامولك اني اريدان اجتمع بها ففي الحال اذن له و دخل اليها في دار اخيه نورالدين فجال ببصره في نواحيها و قبل اعتابها و افتكر اخاه نورالدين علي وكيف مات غريبا فبكى و انشد يقول

أَمُرُّ عَلَى الدِّيَارِ دِيَارِ لَيْلَى ... أُقَبِّلُ ذَا الْجِدَارِ وَذَا الْجِدَارَا
وَمَا حُبُّ الدِّيَارِ شَغَفْنَ قَلْبِي ... وَلَكِنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيَارَا

ثم دخل من الباب الى فسحة عظيمة و باب مقوصر معقود بالحجر الصوان مجزع بانواع الرخام من سائر الالوان فمشى في نواحي الدار و نظرها و جال بطرفه فيها فوجد اسم اخيه نورالدين مكتوبا عليها بماء الذهب فاتى الى الاسم و قبله و بكى وتذكر فرقته فانشد يقول هذه الابيات

أَسْتَخْبِرُ الشَّمْسَ عَنْكُمْ كُلَّمَا طَلَعَتْ ... وَأَسْأَلُ الْبَرْقَ عَنْكُمْ كُلَّمَا لَمَعَا
أَبِيتُ وَالشَّوْقُ يَطْوِينِي وَيَنْشُرُنِي ... فِي رَاحَتَيْهِ وَلَا أَشْكُوا لَهُ وَجَعَا

Digitized by Google

ان يخرجوا من الباب الكبير فالتفت الطواشي و قال له مالك فقال بدرالدين حسن لما نزلتم من عندي حسيت ان روحي راحت معكم ولي حاجة في المدينة خارج الباب فاردت ان ارافقكم حتى اقضي حاجتي وارجع فغضب الطواشي و قال لعجيب كنت خائفا من هذا اكلنا لقمة كانت ميشومة و صار علينا مكرمة و هاهو تابعنا من موضع الى موضع فالتفت عجيب فلقي الطباخ خلفه فاغتاظ و احمر وجهه ثم قال للخادم دعه يمشي في طريق المسلمين فاذا خرجنا الى خيامنا و عرفنا انه تبعنا نطرده فاطرق راسه و مشى والخادم وراءه فتبعهم بدرالدين حسن الى ميدان الحصى وقربوا من الخيام فالتفتوا وراوه خلفهم فغضب عجيب و خاف من الطواشي ان يخبر جده فامتزج بالغضب لئلا يقول انه دخل دكان الطباخ و ان الطباخ تبعه فالتفت ووجد عينه في عينه و هو بقي جسد بلاروح فنظر عجيب ان عينه عين خائن اويكون و لدزنا فازداد غضبا فاخذ حجرا و ضرب به والده فوقع بدرالدين حسن مغشيا عليه و سال الدم على وجهه وصار عجيب والخادم الى الخيام واما بدرالدين حسن فانه لما افاق مسح دمه وقطع قطعة من عمامته و عصب راسه و لام نفسه و قال انا ظالم الصبي غلقت دكاني وتبعته حتى ظن اني خائن فرجع الى دكانه وباع طعامه وصار يتشوق لوالدته التي في البصرة و يبكي عليها وانشد يقول

لَاتَسْأَلِ الدَّهْرَ انْصَافًا فَتَظْلِمُهُ ۝ وَلَا تَلُمْهُ فَلَمْ يُخْلَقْ لِإِنْصَافِ
خُذْ مَا تَيَسَّرَ وَابْقِ الْهَمَّ نَا حِيَةً ۝ لَا بُدَّ مِنْ كَدَرٍ فِيهِ وَمِنْ صَافِ

ثم ان بدرالدين حسن استمر يبيع في طعامه و اما الوزير عمه فانه

Digitized by Google

عنك بهذه العصا خوفا من ان ينظروا اليك فما آمن ان تدخل الى الدكان ابدا فلما سمع بدرالدين حسن كلام الخادم تعجب و التفت الى الخادم و دموعه سالت علي خدوده فقال عجيب للخادم ان قلبي احبه فقال له الخادم دعنا من هذا الكلام ولا تدخل فعند ذلك التفت ابو عجيب للخادم و قال له يا كبير لايش ماتجبر خاطري و تدخل عندي يا من كانه قسطل اسود و قلبه ابيض يا من قال فيه بعض و اصفيه فضحك الخادم و قال ايش قلت فبالله قل و اوجز ففي الحال انشد بدرالدين حسن واجعل يقول هذه الابـــيـــــات

لَوْلَا تَأَدُّبُهُ وَ حُسْنُ ثِقَاتِهِ مَا كَانَ فِي دَارِ الْمُلُوكِ مُحَكَّمَا
وَعَلَى الْحَرِيمِ فَيَالَهُ مِنْ خَادِمٍ مِنْ حُسْنِهِ خَدَمَتْهُ أَمْلَاكُ السَّمَا

فتعجب الخادم من هذا الكلام واخذ عجيبا ودخل دكان الطباخ فغرف بدرالدين حسن زبدية حب رمان عالية وكانت بلوز و سكر فاكلوا سواء فقال لهم بدرالدين حسن أنستمونا فكلوا هنيأ مريئا ثم ان عجيبا قال لوالده اقعد كل معنا لعل الله يجمعنا بمن نريد فقال بدرالدين حسن يا ولدي علي صغر سنك بليت بفرقة الاحباب فقال عجيب نعم يا عم احترق قلبي بفراق الاحباب و هو والدي و قد خرجت انا و جدي نطوف عليه البلاد فواحسرتاه على جمع شملي و بكى بكاء شديدا فبكى والده لفراقه و بكاءه و تذكر فرقة الاحباب و بعده عن والده ووالدته فحزن له الخادم و اكلوا جميعا الى ان اكتفوا ثم بعد ذلك قاموا خرجوا من دكان بدرالدين حسن فحس ان روحه فارقت جسده وراحت معهم فما قدر يصبر عنهم لحظة واحدة فقفل الدكان و تبعهم و هو لايعلم انه والده واسرع في مشيه حتى لحقهم قبل

Digitized by Google

الراحة هنا يومين فدخلت الغلمان المدينة لقضاء حوائجهم هذا يبيع و هذا يشتري و هذا يدخل الحمام وهذا يدخل جامع بني امية الذي ما في الدنيا مثله و خرج عجيب هو و خادمه و دخلوا المدينة يتفرجون والخادم يمشي خلف عجيب ببنبوت لو ضرب به جمل ما تار فلما نظر اهل دمشق الى عجيب و قده و اعتدا له و بهائه و جماله وهو غلام بديع الجمال رخيم الدلال الطف من نسيم الشمال و احلى من الماء الزلال للظمآن والذ من العافيه لصاحب السقام تبعه جم غفير تجري وراءه و تسبقه و تعدوا في الطريق حتى يجيء عليهم و ينظروه الى ان كان بالامر المقدر وقف العبد على دكان ابيه بدرالدين حسن و كان قد طلع ذقنه و تكامل عقله في مدة الاثني عشر سنة و كان قد مات الطباخ و اخذ بدرالدين حسن ماله و دكانه لانه اعترف عند القضاة والشهود انه ولده فلما كان ذلك اليوم وقف ولده والخادم عليه فنظر الى ولده عجيب فوجده في غاية الحسن فخفق فؤاده و حن الدم الى الدم و تعلق به قلبه وكان قد طبخ حب رمان محلي وهاجت فيه المحبة الالهية فنادى ولده عجيب وقال يا سيدي يا من ملك قلبي و فؤادي و حن اليه كبدي هل لك ان تدخل عندي و تجبر قلبي وتاكل من طعامي ثم دمعت عيناه بالدموع من غير اختياره و افتكر ما كان فيه و ما هو فيه تلك الساعة فلما سمع عجيب كلام ابيه حن قلبه له و نظر الى الخادم و قال له ان هذا الطباخ حن قلبي له وكانه قد فارق ولدا له فادخل بنا عنده لنجبر قلبه و نأكل ضيافته لعل بفعلنا معه يجمع الله شملنا بابينا فلما سمع الخادم كلام عجيب قال والله طيب تبقي اولاد الوزير و تاكل في دكان الطباخ انا احجب الناس

Digitized by Google

أُمَثِّلُ شَخْصَهُمْ فِي وَسْطِ قَلْبِي غَرَامٌ وَ اشْتِيَاقٌ وَ افْتِكَارُ
أَيَا مَنْ ذِكْرُهُمْ أَضْحَى دِثَارِي كَمَا حُبًّا لَهُمْ هُوَ لِي شِعَارُ
أَحِبَّتُنَا إِلَى كَمْ ذَا التَّمَادِي وَكَمْ هٰذَا التَّبَاعُدُ وَ النِّفَارُ

ثم بكت و صرخت و كذلك ولدها واذا بالوزير دخل عليهما فلما نظر الى بكائهما احترق قلبه و قال ما يبكيكما فاخبرته بما اتفق لولدها مع صغار المكتب فبكى الآخر ثم تذكر اخاه و ما اتفق له معه وما اتفق لابنته و لم يعلم ما في باطن الامر ففي الحال قام الوزير و مشى حتى طلع الى الديوان و دخل على الملك و اخبره بالقصة و طلب منه الاذن بالسفر الى الشرق و يعبر مدينة البصرة و يسأل عن ابن اخيه و طلب من السلطان ان يكتب له مراسيم لسائر البلاد اي موضع و جد فيه ابن اخيه يأخذه ثم بكى بين يدي السلطان فرق له قلبه و كتب له مراسيم لسائر الاقاليم والبلاد ففرح بذلك الوزير و دعى للسلطان و ودعه و في الحال نزل وتجهز للسفر و اخذ مايحتاج اليه وبنته وولده عجيب و سافر اول يوم و ثاني يوم و ثالث يوم الى ان وصل الى مدينة دمشق فوجدها ذات اشجار و انهار كما قال فيها الشاعر

مِنْ بَعْدِ يَوْمِي فِي دِمَشْقَ وَ لَيْلَتِي حَلَفَ الزَّمَانُ بِمِثْلِهَا لَا يَغْلِطُ
بِتْنَا وَ جِنْحُ اللَّيْلِ فِي غَفَلَاتِهِ وَ الصُّبْحُ مُبْتَسِمٌ بِفَرْعٍ أَشْمَطُ
وَ الظِّلُّ فِي تِلْكَ الْغُصُونِ كَأَنَّهُ دُرٌّ يُصَافِحُهُ النَّسِيمُ فَيَسْقُطُ
وَ الطَّيْرُ تَقْرَأُ وَ الْغَدِيرُ صَحِيفَةٌ وَ الرِّيحُ تَكْتُبُ وَالْغَمَامُ يُنَقِّطُ

فنزل الوزير في ميدان الحصى و نصب خيامه و قال لغلمانه تأخذ

Digitized by Google

اسم ابيه وفي الحال تفرقت الاولاد من حوله وتضاحكوا عليه فضاق صدره وانخنق بالبكاء فقال له العريف نعرف جدك الوزير ابو امك ست الحسن لا ابوك واما ابوك فلا تعرفه انت ولا نحن لان السلطان كان زوجها للاحدب السائس وجاءت الجن ناموا عندها ولا لك اب يعرف ولا بقيت انت تقيس صغار المكتب دون ان تعرف لك ابا والا بقيت بينهم ولد زنا الاتري ان ابن البياع يعرف بابيه وانت جدك وزير مصر واما ابوك فلا نعرفه ونحن نقول مالك اب فاصبح لعقلك فلما سمع من العريف والاولاد هذا الكلام وتغييرهم له قام من ساعته ودخل على والدته ست الحسن وشكى لها وهو يبكي ومنعه البكاء من الكلام فلما سمعت امه كلامه وبكاءه التهب قلبها بالنار عليه وقالت يا ولدي ما الذي ابكاك فاحك لي قصتك فحكى لها عجيب ما سمعه من الاولاد ومن العريف فمن هو يا والدتي ابي قالت له ابوك وزير مصر فقال لها لا تكذبي عليّ فان الوزير اباك انت لا انا فمن هو ابي فان لم تخبريني بالصحيح والا قتلت روحي بهذا الخنجر فلما سمعت والدته ذكر ابيه بكت لذكر ولد عمها وتذكرت جلاها على بدر الدين حسن البصري وماجري لها معه وانشدت تقول هذه الابيات

أَقَامُوا الْوَجْدَ فِي قَلْبِي وَسَارُوا ... وَقَدْ شَطَّتْ بِمَنْ اَهْوَى الدِّيَارُ
وَبَانَ تَجَلُّدِي مِنْ حَيْثُ بَانُوا ... وَفَارَقَنِي وَعَزَّ الْاِصْطِبَارُ
وَقَدْ سَاءُوا سَرَى عَنِّي سُرُورِي ... وَقَدْ عُدِمَ الْقَرَارُ فَلَا قَرَارُ
وَاَجْرَوْا بِالْفِرَاقِ دُمُوعَ عَيْنِي ... فَقَدْ مُعُهَا بِبُعْدِهُمُ غِزَارُ
إِذَا مَا اشْتَقْتُ يَوْمًا اَنْ اَرَاهُمْ ... وَطَالَ بِهِمْ حَنِينٌ وَانْتِظَارُ

Digitized by Google

البيت جميعه و ان الخشخانة موضع كذا و الستارة الفلانية موضع كذا وجميع ما في البيت ثم طوى الكتاب و امر بشيل الحوائج و اخذ الشاش والطربوش و اخذ الفرجية و الكيس و شالهم عنده و قفلهم بقفل من حديد وختم عليه الى ان يصل ابن اخيه حسن البصري و اما بنت الوزير فتمت اشهرها و ولدت ولدا مثل القمر شبيه والده في الحسن والكمال والبهاء والجمال فقطعوا سرته و كحلوا مقلته و سلموه الى الدايات و سموه عجيبا فصار يومه بشهر . شهره بسنة فلما مر عليه سبع سنين اعطاه لفقيه و وصاه ان يربيه و يقرئه و يحسن تربيته فقام في المكتب اربع سبوات فصار يقاتل اهل المكتب ويسبهم و يقول لهم من فيكم مثلي انا ابن وزير مصر فقامت الاولاد و اجتمعوا يشكون للعريف مما قاسوه من عجيب فقال لهم العريف غدا لما يجي اعلمكم شيئا تقولوه له فيتوب عن المجي للمكتب وذلك انه اذا جاء غدا فاقعدوا حوله و قولوا لبعضكم بعضا والله ما يلعب معنا هذه اللعبة الا من يقول لنا على اسم امه و ابيه و من لم يعرف اسم امه و ابيه فهو ابن حرام فلم يلعب معنا فلما اصبح الصباح اتوا الى المكتب و حضر عجيب فاحاطت به الاولاد فقالوا نحن نلعب لعبة و لكن ما يلعب معنا الا من يقول لنا على اسم امه و ابيه فقالوا والله طيب فقال واحد منهم اسمي ما جد و امي علويه و ابي عزالدين و قال الآخر مثل قوله والآخر كذلك الى ان جاء الدور الى عجيب فقال انا اسمي عجيب و امي ست الحسن و ابي شمس الدين الوزير بمصر فقالوا له والله ان الوزير ما هو ابوك فقال لهم عجيب الوزير ابي حقيق فعند ذلك ضحكت عليه الاولاد و صفقوا عليه و قالوا ما يعرف له اب قم من عندنا فلا يلعب معنا الا من يعرف

Digitized by Google

مخيط في طربوشه فاخذه و فتقه و اخذ اللباس فوجد الكيس الذي فيه الالف دينار ففتحه فوجد فيه ورقة فقرأها فوجد مبايعة اليهودي و اسم بدرالدين حسن بن نورالدين على المصري ووجد الالف دينار فلما قرأ شمس الدين الورقة صرخ صرخة وخر مغشيا عليه فلما افاق و علم مضمون القصة تعجب و قال لا اله الا الله القادر على كل شيء وقال يا بنتي تعرفين من الذي اخذ وجهك قالت لا قال انه ابن اخي وهو ابن عمك وهذه الالف دينار مهرك فسبحان الله فليت شعري كيف اتفقت هذه القصة ثم فتح الحرز المخيط فوجد فيه ورقة مكتوبة و مكتوب فيها تاريخ بخط اخيه نورالدين المصري ابو بدرالدين حسن فلما نظر خط اخيه انشد و قال هذه الا بيات

أَرْعِي آثَارَهُمْ فَأَذُوبُ شَوْقًا وَأَسْكُبُ فِي مَوَاطِنِهِمْ دُمُوعِي
وَأَسْأَلُ مَنْ يُفَرِّقُ بَيْنَهُمْ زَمَانِي يَمُنُّ عَلَيَّ يَوْمًا بِالرُّجُوعِ

فلما فرغ من الشعر قرأ الحرز فوجد فيه تاريخ زواجه بنت وزير البصرة و تاريخ دخوله و تاريخ مولد بدرالدين حسن و تاريخ عمره الى حين وفاته فتعجب و اهتز من الطرب و قابل ما جرى لاخيه على ما جرى له فوجده سواء بسواء وزواجه و زواج الآخر متوافقين تاريخا و الدخول و ولادة بدرالدين و بنته ست الحسن ايضا موافقا فاخذ الورقة وطلع بها الى السلطان واعلمه بما جرى من اول الامر الى آخره فتعجب الملك و امر ان يؤرخ هذا الامر في الحال ثم اقام الوزير ينتظر ابن اخيه ذلك اليوم فما اتى و ثاني يوم و ثالث يوم الى سبعة ايام فما وقع له على خبر فقال و الله لاعملن عملا ما سبقني اليه احد فاخذ دواة و قلما وكتب في ورقة صورة نصب

Digitized by Google

ياتيك الذي فعل معي هذه الفعال فانتم ما جبتم تزوجوني الا بمعشوقة الجواميس و معشوقة العفاريت فلعن الله من زوجني بها و لعن من كان السبب فيها و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان السائس الاحدب صار يحدث الوزير والد العروسة و يقول لعن الله من كان السبب فقال له الوزير قم و اخرج من هذا المكان فقال له انا مجنون اروح معك بغير اذن العفريت فانه قال لي اذا طلعت الشمس اخرج و رح الى حال سبيلك فطلعت الشمس ام لا فاني لا اقدر اطلع من موضعي الا ان طلعت الشمس فعند ذلك قال الوزير من اتى بك الى هذا المكان فقال اني جئت البارحة الى هنا لاقضي حاجتي و ازيل ضرورتي و اذا بغارة طلع من وسط الماء و عيط وصار يكبر حتى بقي قدر الجاموسة و قال لي كلام دخل في اذني فخلاني و راح لعن الله العروسة ومن زوجني بها فتقدم اليه الوزير و اخرجه من المرحاض فخرج و هو يجري وما صدق ان الشمس طلعت و طلع الى السلطان و اعلمه بما اتفق له مع العفريت و اما الوزير ابو العروسة فانه دخل البيت و هو حائر العقل في امر ابنته فقال يا بنتي اكشفي لي خبرك فقالت ان العريس الذي كنت انجلي عليه البارحة بات عندي و اخذ و جهي و علقت منه وان كنت لم تصدقني هذا شاشه بلفتّه على الكرسي و لباسه تحت الفرش و فيه شيء ملفوف و لم اعرف ما هو فلما سمع والدها هذا الكلام دخل البشخانه فوجد شاش بدر الدين حسن بن اخيه ففي الحال اخذه في يده و قلبه و قال هذه عمامة وزراً لانها موصلية ثم نظر الى حرز

Digitized by Google

ابوها و هي بتلك الحالة قال لها يا ملعونة انت فرحانة بهذا السائس فلما سمعت ست الحسن كلام و الدها تبسمت و قالت بالله يكفي ما جرى امس و الناس يضحكون علي و يعايروني بهذا السائس الذي ما يجيء في قلامة ظفر زوجي و الله ما بت طول عمري ليلة احسن من ليلة البارحة فلا تهزأبي و تذكرلي ذلك الاحدب فلما سمع و الدها كلامها امتزج بالغضب و ازرقت عيناه و قال لها ويلك ايش هذا الكلام الذي تقوليه السائس الا حدب بات عندك فقالت بالله عليك لا تذكره لعن الله اباه و لا تعمل مزاح فما كان السائس الا مكري بعشرة دنانير و اخذ اجرته و راح و جئت انا و دخلت البشخانة فنظرت زوجي قاعدا بعد ما جلوني عليه المغاني و نقط بالذهب الاحمر حتى اغنى الفقرأ الحاضرين و قدبت في حضن زوجي الخفيف صاحب العيون السود و الحواجب المقرونة فلما سمع والدها هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلام و قال لها يا فاجرة ما هذا الذي تقوليه اين عقلك فقالت له يا ابت لقد فتتت كبدي فبسك تتثاقل عَلَيَّ فهذا زوجي الذي اخذ وجهي قد دخل الى بيت الراحة واني قدعلقت منه فقام والدها و هو متعجب و دخل الى بيت الخلاء فوجد السائس الاحدب راسه مغروزة في الملاقي ورجليه الى فوق فبهت فيه الوزير وقال ما هذا الا هو الاحدب فقال له يا احدب فقال تغوم تغوم فظن الاحدب انه مايكلمه الا العفريت فعيط عليه الوزير وقال تكلم والا قطعت راسك بهذا السيف فعند ذلك قال الاحدب والله يا شيخ العفاريت من حين جعلتني في هذا المكان ما رفعت راسي فبالله عليك ارفق بي فلما سمع الوزير كلام الاحدب قال له ما تقول فانا ابو العروسة ما انا عفريت فقال بسك فانت رايح تاخذ روحي فرُحْ الى حال سبيلك قبل ان

Digitized by Google

الطباخ رجلا شاطرا يعني حراميا فتاب الله عليه من الحرام وفتح له دكان طباخ وكان اهل دمشق كلهم يخافون منه ومن شدة بأسه فلما نظر الناس الى الشاب وقد دخل دكان الطباخ افترقوا وخافوا منه فلما نظر طباخ الى بدرالدين حسن ونظر الى حسنه وجماله وقعت في قلبه محبة فقال له من اين انت يافتى فاحك لي حكايتك فانك صرت عندي اعز من روحي فحكى له ما جرى من المبتدا الى المنتهى فقال له الطباخ يا سيدي بدرالدين اعلم ان هذا امر عجيب وحديث غريب ولكن يا ولدي اكتم ما معك حتى يفرج الله مابك واقعد عندي في هذا المكان وان مالي ولد واتخذك ولدي فقال له بدر الدين نعم ياعم فعند ذلك نزل الطباخ الى السوق واشترى لبدرالدين اقمشة مفتخرة والبسها له وتوجه واياه الى القاضي واشهر على نفسه انه ولده وقد اشتهر بدر الدين حسن في مدينة دمشق انه ولد الطباخ وقعد عنده في الدكان يقبض الدراهم وقد استقر حاله عند الطباخ على هذه الحالة هذا ما كان من امر بدر الدين حسن وما جري له واما ما كان من امرست الحسن بنت عمه فانه لما طلع الفجر وانتبهت من النوم لم تجد بدرالدين حسن فاعتقدت انه دخل المرحاض فجلست تنتظره ساعة واذا بابيها قد دخل وهو مهموم مما جري عليه من السلطان وكيف غصبه وزوج ابنته غصبا لاحد غلمانه وهو قطعة مائس احدب وقال في نفسه اقتل هذه البنت ان كانت مكّنت هذا الملعون من نفسها فمشى الى ان وصل الى البشخانة ووقف على بابها وقال ياست الحسن فقالت له لبّيك ياسيدي ثم انها خرجت وهي تتمايل من الفرح وقبلت الارض وزاد وجهها نوراو جمالا بعناقها ذلك الغزال فلما نظرها

Digitized by Google

مسكين اولاد الناس هذه الساعة خرج من الخمارة لبعض شغله فقوي عليه السكر فتاه عن المكان الذي كان قاصده حتى وصل الى باب المدينة فوجده مغلوقا فنام هنا وقد خاض الناس فيه بالكلام واذا بالهواء هَبّ على بدر الدين رفع ذيله الى بطنه فبان من تحته بطن وسرة محققة وسيقان وافخاذ مثل البلور فقال الناس والله طيب فانتبه بدر الدين فوجد روحه على باب مدينة وعليها ناس فتعجب وقال انافين يا جماعة الخير وما سبب اجتماعكم وما حكايتي معكم فقالوا نحن رايناك عند اذان الصبح ملقى نائما ولا نعلم من امر غير هذا فاين كنت نائما هذه الليلة فقال بدر الدين حسن والله يا جماعة كنت نائما هذه الليلة في مصر فقال واحد انت تاكل حشيش وقال بعضهم انت مجنون تكون بائتا في مصر وتصبح نائما في مدينة دمشق فقال لهم والله يا جماعة الخير لم اكذب عليكم ابدا وانا كنت البارحة بالليل في ديار مصر وفي النهار امس كنت بالبصرة فقال واحد طيب وقال الآخر هذا الشاب مجنون وصفقوا عليه بالكفوف وتحدثت الناس بعضهم مع بعض وقالوا يا خسارة شبابه والله مافي جنونه شك ابدا ثم انهم قالوا له دبر بالك وارجع لعقلك فقال بدر الدين حسن كنت البارحة عرس في ديار مصر فقالوا لعلك حلمت ورايت هذا الذي تقول في المنام فتوهم حسن في نفسه وقال لهم والله ما هذا منام ولا رايته في الاحلام الا اني رحت وقد جلوا العروسة قدامي وكان الثالث الاحدب قاعدا والله يا اخي ما هذا منام ولو كان مناما اين كان الكيس الذهب معي واين شاشي وثيابي ولباسي ثم قام ودخل المدينة وشق شوارعها واسواقها فازدحمت الناس عليه وزفوه فدخل دكان طباخ وكان ذلك

Digitized by Google

وضع يده تحت راسها وكذلك الاخري ثم انهما تعانقا وناما متعانقين كما قال فيهما الشاعر هذه الابيات

زُرْ مَنْ تُحِبُّ وَدَعْ كَلَامَ الْحَاسِدِ ... لَيْسَ الْحَسُودُ عَلَى الْهَوَى بِمُسَاعِدِ
لَنْ يَخْلُقَ الرَّحْمٰنُ أَحْسَنَ مَنْظَرًا ... مِنْ عَاشِقَيْنِ عَلَى فِرَاشٍ وَاحِدِ
مُتَعَانِقَيْنِ عَلَيْهِمَا حُلَلُ الرِّضَا ... مُتَوَسِّدَيْنِ بِمِعْصَمٍ وَبِسَاعِدِ
وَإِذَا تَآلَفَتِ الْقُلُوبُ مَعَ الْهَوَى ... فَالنَّاسُ تَضْرِبُ فِي حَدِيدٍ بَارِدِ
وَإِذَا صَفَا لَكَ مِنْ زَمَانِكَ وَاحِدٌ ... نِعْمَ الصَّدِيقُ وَعِشْ بِذَاكَ الْوَاحِدِ
يَا مَنْ يَلُومُ عَلَى الْهَوَى أَهْلَ الْهَوَى ... هَلْ يَسْتَطِيعُ صَلَاحَ قَلْبٍ فَاسِدِ

هذا اما كان من امر بدرالدين حسن وست الحسن بنت عمه واما ما كان من امر العفريت فانه قال للعفريتة قومي وادخلي تحت الشاب ودعينا نوديه مكانه لئلا يدركنا الصبح لان الوقت قريب فعند ذلك تقدمت العفريتة ودخلت تحت ذيله وهو نائم واخذته وطارت به وهو على حاله بالقميص وهو بلا لباس وما زالت العفريتة طايرة به والعفريت يحاذيها فادركهم الصباح في اثناء الطريق وصاح المؤذنون بحي على الفلاح فاذن الله ملايكته ان ترمي العفريت بشهب من نار فاحترق وسلمت العفريتة فنزلت ببدرالدين في موضع ما اخذت الشهب العفريت ولم تتعد به خوفا عليه وكان بالامر المقدر قد وصلوا مشق الشام فوضعته العفريتة على باب من ابوابها وطارت فلما طلع النهار وفتحت ابواب المدينة وخرج الناس فنظروا شابا مليحا بقميص وطاقية كشف من غير لباس وهو مما قاسى من السهر غرقان في النوم فلما راوه الناس قالوا يا بخت من كان هذا عنده الليلة ويا ليته صبر حتى لبس حوائجه وقال الآخر

Digitized by Google

يتخاصمان و دخل البيت و جلس في وسط البشخانة و اذا بالعروسة اقبلت و معها عجوز فوقفت في باب البيت و قالت يا ابا القوام قم خذ و داعة الله ثم ولت العجوز و دخلت العروسة في داخل البشخانة و كان اسمها ست الحُسن و قلبها مكسور و قالت و الله ما امكّنه من نفسي ولو قتل روحي فلما دخلتْ الى داخل البشخانة نظرت بدرالدين فقالت حبيبي الى هذا الوقت قاعد لقد قلت في نفسي لك و للسائس الاحدب شركة فيَّ فقال بدر الدين حسن و ايش او صل السائس اليك و اين له ان يكون شريكي فيك فقالت و مَنْ زوجي انت او هو قال بدر الدين ياست الحسن نحن ما عملنا هذا الا مسخرة لضحك عليه فلما نظرت المواشط والمغاني و اهلك يجلوكِ عليّ وان اباك اكتراه بعشرة دنانير حتى يصرف عنا العين و قدراح فلما سمعت ست الحسن من بدرالدين ذلك الكلام تبسمت و فرحت و ضحكت ضحكا لطيفا و قالت و الله لقد اطفأت ناري فبالله خذني الى عندك وضمني الى حضنك و كانت من غير لباس وكشفت ثو بها الى رقبتها فبان كسها و ردفها فلما نظر بدر الدين ذلك تحركت فيه الشهوة فقام و حل لباسه ثم الكيس الذهب الذي كان اخذه من اليهودي الذي كان فيه الالف دينار لفه في سرواله وحطه تحت ذيل الطَّراحة وقلع شاشه وعلقها على الكرسي وبقي بالقميص الرفيع وكان القميص مطرزا بالذهب فعند ذلك قامت اليه ست الحسن وجذبته اليها وجذبها بدرالدين وعانقها واخذ رجليها في وسطه ثم حط الذ خيرة فانطلق المدفع هدم البرج فوجدها درّة ما ثُقبت ومطية لغيرها ما رُكبَتْ فزال بكارتها و تملّى بشبابها ثم سله منها و ردمه فلما فرغ اعاده خمسة عشر مرة فعلقت منه فلما فرغ بدرالدين

الاحدب الى بيت الراحة ادخل انت ولا تتوقف واجلس في البشخانة فاذا اقبلت العروسة فقل لها انا زوجك والملك انما عمل هذه الحيلة خوفا عليك من العين وهذا الذي رايته سائس من سيا سنا ثم اقبل عليها واكشف وجهها فنحن لحقتنا الغيرة من هذا الامر فبينما بدر الدين يتحدث مع العفريت واذا بالسائس خارج ودخل بيت الراحة وقعد على الكرسي وطلع له العفريت من الحوض الذي فيه الماء في صفة فأر وقال زيق فقال الاحدب ما حالك فكبر الفأر حتى صار قطا وقال ميا ميا وكبر حتى صار كلبا وقال عوه عوه فلما نظر السائس ذلك فزع وقال اخساً يا مشوم والكلب كبر وانتفخ حتى صار جحشا ونهق وصرخ في وجهه هاق هاق فانزعج فقال الحقوني يا اهل البيت واذا بالحمار كبر وصار قدر الجاموسة وسد عليه المكان وتكلم بكلام ابن ادم وقال ويلك يا احدب يا انتن والسائس لحقته البطن وقعد على الملاقي باثوابه واشتبكت اسنانه بعضها ببعض فقال له العفريت قد ضاقت عليك الدنيا وما وجدت تتزوج الا بمعشوقتي فسكت فقال له ردالجواب والا اسكنتك التراب فقال والله مالي ذنب الا انهم غصبوني وما عرفت ان لها عشاق جواميس ولكن انا تائب الى الله ثم اليك فقال له العفريت اقسم عليك ان خرجت هذا الوقت من هذا الموضع او تكلمت قبل ان تطلع الشمس قتلتك فاذا طلعت الشمس اخرج الى حال سبيلك ولا تعد الى هذا البيت ابدا ثم ان العفريت مسك السائس الاحدب وقلب رأسه في الملاقي وجعله الى تحت وجعل رجليه الى فوق وقال له اخليك هنا انا حارسك الى طلوع الشمس هذا ما كان من قصة الاحدب واما ما كان من قصة بدرالدين حسن البصري فانه خلى الاحدب والعفريت

Digitized by Google

و نالت من الجمال اما نيها و سبت الغصون بلينها و تثنيها وفتت الكبود بحسن معانيها كما قال فيها بعض واصفيها شعـــــــــــر

وَجَارِيَةٍ قَدْ أَدَّبَتْهَـــا الشَّطَـــارَهْ تَرَى الشَّمْسَ مِنْ خَدِّهَا مُسْتَعَارَهْ
أَتَتْ فِي قَمِيصٍ لَهَـا أَخْضَـــرٍ كَمَا سَتَرَ الْوَرَقُ بِالْجُلَّنَـــارَهْ
فَقُلْنَا لَهَا مَا اسْمُ ذَاكَ اللِّبَـاسِ فَقَالَتْ كَلَا مَا مَلِيحَ الْعِبَـارَهْ
شَقَقْنَـــا مَرَا زُرَ قَوْمٍ بِـــهِ فَنَحْنُ نُسَمِّيهِ شَقَّ الْمِـرَارَهْ

وجلوها في الخلعة السا بغة بين معصفر و مزعفر كما قال فيها بعض و اصـــــــــــفـــــــــــيـــــــــــهـــــــــــا

وَتَمِيسُ بَيْنَ مُزَعْفَرٍ وَمُعَصْفَرٍ وَمُعَنْبَرٍ وَمُمَسَّكٍ وَمُصَنْدَلِ
هَيْفَاءُ إِنْ قَالَ الشَّبَابُ لَهَا انْهَضِي قَالَتْ رَوَا دِفُهَا اقْعُدِي وَتَمَهَّلِي
وَإِذَا سَأَلْتُ الْوَصْلَ قَالَ جَمَالُهَا جُودِي وَقَالَ دَلَالُهَا لَاتَفْعَلِي

و اما العروسة فانها لما فتحت عينها قالت اللهم اجعل هذا بعلي و ارحني من هذا السائس الاحدب و صاروا يجلوا العروسة الى آخر السبع خلع على بدرالدين حسن البصري و السائس الاحدب جالس و حده فلما فرغوا من ذلك اذ نوا للناس بالانصرف فخرج جميع من كان في الفرح من النساء والاولاد و لم يبق الا بدرالدين حسن و السائس الاحدب ثم ان المواشط ادخلوا العروسة ليغير واما عليها من الحلي والحلل و يجعلوها للعريس فعند ذلك تقدم السائس الاحدب الى بدرالدين حسن و قال يا سيدي آنستنا الليلة و عمرتنا باحسانك فما تقوم تروح فقال بسم الله ثم قام وخرج من الباب فلقيه العفريت فقال له قف يا بدرالدين فاذا خرج

Digitized by Google

قال فيها القائل شعر

وَ مُلْتَمٍّ بِالشَّعْرِ مِنْ فَوْقِ وَجْنَتِهِ غَدَتْ فِتْنَةً شَبَّهْتُهَا بِجُمَاتِ
فَقُلْتُ سَتَرْتَ الصُّبْحَ بِاللَّيْلِ قَالَ لَا لَكِنْ سَتَرْتُ الْبَدْرَ بِالظُّلُمَاتِ

و جلوها الخلعه الرابعة فاقبلت كالشمس الطالعة و تمايلت من الدلال و تلفتت كتلفت الغزلان و رشقت القلوب من اجفانها بنبال كما قال فيها الواصف شعر

وَشَمْسُ حُسْنٍ بَدَتْ لِلنَّاسِ تَنْظُرُهَا تَزْهُو بِحُسْنِ دَلَالٍ زَانَهُ خَفَرُ
مُذْ وَاجَهَتْ بِمُحَيَّاهَا وَمَبْسَمِهَا شَمْسَ النَّهَارِ غَدَتْ بِالْغَيْمِ تَسْتَتِرُ

قال و طلعت فى الخلعة الخامسة كالصبية الا نيسة كانها قضيب بان او غزال عطشان و قد دبت عقاربها و ابدت عجائبها و هزت اردافها و اشهرت سوالفها كما قال فيها و اصفيها شعر

تَبَدَّتْ كَبَدْرِ التِّمِّ فِي لَيْلَةِ السَّعْدِ مُنَعَّمَةُ الْأَطْرَافِ مَمْشُوقَةُ الْقَدِّ
لَهَا مُقْلَةٌ تُسْبِي الْأَنَامَ بِحُسْنِهَا وَقَدْ حَكَتِ الْيَاقُوتَ فِي حُمْرَةِ الْخَدِّ
تَحَدَّرَ فَوْقَ الرِّدْفِ أَسْوَدُ شَعْرِهَا فَإِيَّاكَ وَالْحَيَّاتِ مِنْ شَعْرِهَا الْجَعْدِ
وَقَدْ لَانَتِ الْأَعْطَافُ مِنْهَا وَقَلْبُهَا عَلَى لِينِهَا أَقْسَى مِنَ الْحَجَرِ الصَّلْدِ
وَتُرْسِلُ سَهْمَ اللَّحْظِ مِنْ فَوْقِ حَاجِبٍ يُصِيبُ وَلَا يُخْطِي وَإِنْ كَانَ مِنْ بُعْدِ
إِذَا مَا اعْتَنَقْنَا وَالْتَزَمْتُ وِشَاحَهَا يَدًا يَمْنَعُنِي عَنْ ضَمِّهَا ذَلِكَ النَّهْدِ
فَيَا حُسْنَهَا قَدْ فَاقَ كُلَّ مَلَاحَةٍ وَيَا قَدَّهَا أَزْرَيْتَ بِالْغُصْنِ الْمَلْدِ

قال وجلوها الخلعه السادسه في خلعة خضراء فازرت بقوامها الصعدة السمراء وفاقت بجمالها ملاح الآفاق وازهرت باشراق وجهها على بدر الاشراق

Digitized by Google

اصحقوا به وبقي السائس الاحدب وحده كانه قرد وكلما اوقدوا له الشمعة فلا يقدر ولا بقي له صوت وصار قاعدا في الظلام وينظر في نفسه واما بدرالدين حسن فانه صار قدامه شموع في ايدي الناس فلما نظر حسن الى العريس وحده في الظلام ونظر في نفسه وهؤلاء الناس محدقين به وهذه الشموع الموقدة تحير وتعجب فلما راى بدرالدين حسن ابنت عمه فرح واستبشر وقد نظر الى وجهها وقد اشرق بالنور وازهر لاسيما وعليها تلك البدلة الاطلس الاحمر فجلوها المواشط اول خلعة واخذ حسن الطلعة فتعاجبت وتمايلت من الدلال واذهلت عقول النساء والرجال فكانت كما قال فيها الشاعر المفضال شعرا

وَشَمْسٍ فِي قَضِيبٍ فِي كَثِيبٍ تَبَدَّتْ فِي قَمِيصٍ جُلَّنَارِ
سَقَتْنِي رِيقَ خَمْرَتِهَا وَجَادَتْ بِوَجْنَتِهَا فَأَطْفَتْ جُلَّ نَارِ

وغيروا تلك البدلة والبسوها ثوبا ازرق فطلعت كالبدر اذا اشرق ذات شعر فاحم وخدنا عم وثغر باسم ونهد قائم وهي رابية الاطرف والمعاصم وجلوها الخلعة الثانية وكانت كما قال فيها اصحاب الهمم العالية شعر

أَقْبَلَتْ فِي حُلَلٍ زُرْقَةٍ لَازَوَرْدِيَّةٍ كَلَوْنِ السَّمَاءِ
فَتَمَلَّتُ فِي الْحُلَلِ مِنْهَا قَمَرُ الصَّيْفِ فِي لَيَالِي الشِّتَاءِ

قال ثم غيروا تلك البدلة ببدلة غيرها ولثموها بفاضل شعرها وارخوا ذوائبها السود الطوال فاشبه سوادها وطولها ما اعتكر من الليالي ورمت القلوب بسهام الحدق النافذة وجلوها الخلعة الثالثة كما

Digitized by Google

ووجهه يضيء كأنه الهلال فملن جميع النساء اليه فقالت المغاني للنساء الحاضرات اعلمن ان هذا المليح مانقطنا الا بالذهب الاحمر فلا تقصرن في خدمته و اطعنه فيما يقول قال فازد حمت النساء عليه بالشمع و نظرن الى جماله و حسدنه على حسنه و صارت كل واحدة منهن تودان تكون في حضنه ساعةاو سنة فارخين ماكان على و جو ههن لما غاب عنهن الالباب و قلن هنيأ لمن كان له او عليه ذلك الشاب ثم دعون على ذلك السائس الاحدب و من كان له سببا في زواجه هذه المليحة و صرن كلما دعون لبدرالدين حسن دعون على ذلك الاحدب ثم ان المغاني ضربن بالدفوف و زعقن بالمواصل و اقبلت المواشط و بنت الوزير بينهن و قد طيبوها و عطروها و حسنوا شعرها و بخروها والبسوها الحلي و الحلل من لباس الملوك الاكاسرة و من جملة ما عليها ثوب منقوش بالذهب الاحمر و فيه صور الوحوش والطيور و هو مسبول عليها من فوق حوائجها و قلدوها بعقد يمني يساوى الالوف و قد حوى كل فص جوهر ماحاز مثله تُبَّع ولا قيصر و العروسة كانها البدر اذا بدا فى الليلة اربعة عشر و لما اقبلت كانت كانها حو رية فسبحان من خلقها بهية و احدقوا بها النساء فصرن كالنجوم و هو بينهن كالقمر اذا انجلا عندالغيم و كان بدرالدين حسن البصري جالسا و الناس ناظرون اليه فخطرت العروسة و اقبلت و تمايلت فقام اليها السائس الاحدب ليقبلها فاعرضت عنه و انفتلت حتى صارت قدام حسن بن عمها فضحكت الناس فلما رأوها مالت الى نحوحسن بدرالدين ضجت الناس و صرخت المغاني فحط يده في جيبه و كمش و رمى في طيران المغاني ففرحوا و قالوا كنا نشتهي ان تكون هذه العروسة لك فتبسم هذا كلهم

Digitized by Google

الشمعة و امش الى ذلك الحمام واختلط بالناس و لا تزل تمشي معهم الى ان تصل الى قاعة العروسة فاسبق و ادخل القاعة و لم تخش احدا و انت مثل ما دخلت فقف فوق يمين العريس الاحدب و كل ماجاء ك المواشط و المغاني و الدايات حط يدك في جيبك تجده ملآن ذهب فاكمش و ارم لهم و لاتتوهم انك لاتدخل يدك الاتجده ملآن ذهب فنقّط كل من اتى اليك بالحفنة ولا تخش من عيٍّ و توكل على الذي خلقك فما هذا بحولك بل هذا بامر الله فلما سمع بدرالدين حسن من العفريت هذا الكلام قال يا ترى ايش تكون هذه الصبية و ما سبب الاحسان ثم مشى و اوقد الشمعة وجاء الى الحمام فوجد الاحدب راكب الفرس قد خل بدرالدين حسن بين الناس و هو على تلك الحالة و الصورة الحسنة و كان عليه كما ذكرنا الطربوش و الشاش و الفرجية المنسوجة بالذهب ومازال ماشيا فى الزينة و كلما و قفت المغاني و الناس ينقط و يحط يده في جيبه يلقاه ملآن ذهب فيكمش و يرمي فى الطار الذي فى المغنية فيملأ الطار دنانير فاخترعت عقول المغاني و تعجب الناس من حسنه و جماله و لم يزالوا على هذا الحال حتى وصلوا لبيت الوزير فردت الحجاب الناس و منعوهم فقالت المغاني و الله لا ندخل الا ان دخل هذا الشاب معنا لانه عمّرنا باحسانه و لا نجلي العروسة الا وهو حاضر فعند ذلك دخلوا به الى قاعة الفرح و اجلسوه فوق عين العريس الاحدب و اصطفت جميع نساء الامراء والوزراء والحجاب صفين وكل امرأة معها شمعة كبيرة موقودة ضاربة لثام و هُن صفوف يمينا و شما لا من تحت المنصة الى صدر الايوان الذي عند المجلس الذي تخرج منه العروسة فلما نظرت النساء بدرالدين حسن و ما عليه من الحسن و الجمال

Digitized by Google

الوزير بالقهر و امران يدخل عليها في هذه الليلة و يعمل له زفة و قد تركته و هو بين مماليك السلطان و هم و اقدون الشموع حوله و يتمسخرون عليه على باب الحمام و اما بنت الوزير جالسة تبكي بين الدايات و المواشط و هي اشبه الناس بهذا الشاب و قد رسموا على ابيها حتى انه لايحضرها و ما رايت يا اختي او حش من هذا الاحدب و اما الصبية فهي احسن من هذا الشاب و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والعشرون قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجني لما حكي للجنية ان الملك كتب كتابها على السائس الاحدب وهي في غاية الحزن و لم اجد شبيها في الجمال الا هذا الشاب قالت له الجنية تكذب فان هذا الشاب احسن اهل زمانه فردها العفريت و قال و الله يا اختي ان الصبية احسن من هذا و لكن لا يصلح لها الا هو فانهما مثل بعضهما اخوات و اولاد عم ياخسار تها مع هذا الاحدب فقالت له ياأخي دعنا ندخل تحته و نحمله و نروح به الى الصبية التي تقول عنها و ننظر من هو احسن فيهما فقال العفريت سمعا و طاعة هذا كلام صواب ولا هناك احسن من هذا الراي الذي تقوليه انا احمله ثم انه حمله و طاربه الى الجو و صارت العفريته في ركابه تحاذيه الى ان نزل به الى مدينة مصر وحطه على مصطبة و نبهه فاستيقظ من النوم فلم يجد نفسه على قبر ابيه في ارض البصرة فنظر يمينا و شمالا لايجد نفسه الافي مدينة غير مدينة البصرة فاراد ان يعيط فوكزه العفريت و كان العفريت قد اتى له بحلة فاخرة و البسه اياها و اوقد له شمعة و قال له اعلم اني جبتك و انا رائح اعمل معك شيئا لله فخذ هذه

Digitized by Google

الجنة ثم طارت الى الجو تطوف على عادتها فرأت عفريتا طائرا فسلم عليها فقالت له من اين انت قادم فقال من هنا فقالت له هل لك ان تروح معي حتى تنظر الى حُسن هذا الشاب النائم فى التربة فقال لها نعم فساروا حتى نزلوا على القبر فقالت هل رايت في عمرك مثل هذا فنظر العفريت اليه وقال سبحان من لا شبيه له و لكن يا اختي ان اردتِ ان احدثكِ بما رايتُ قلت و ما هو فقال لها اني رايت مثل هذا الشاب في اقليم مصر وهي بنت الوزير شمس الدين و عمرها قريب من عشرين سنة ولها حسن و جمال و بهاء وكمال و قد و اعتدال فلما جاوزت هذا السن سمع بها السلطان بمصر فاحضر الوزير اباها و قال له اعلم ايها الوزير انه بلغني ان لك بنت و انا اريد اخطبها منك فقال له الوزير يا مولانا السلطان اقبل عذري و ارحم عبرتي فانك تعرف ان اخي نورالدين خرج من عندنا ولا نعلم اين هو وكان شريكي فى الوزارة و اصل خروجه غضبان لاني جلست و اياه وحدثته على سبب الزواج و الاولاد فكان سببا لغيظه و انا حالف لازوج بنتي الا لابن اخي من يوم و لدتها امها نحو ثمانية عشر سنة و من مدة قريبة سمعت ان اخي تزوج بنت الوزير بتاع البصرة وجاء منها و لدا ولا ازوج بنتي الا له كرامة لاخي وارخت زواجي و حمل زوجتي و ولادة هذه البنت و هى على اسم ابن عمها و البنات لمولانا السلطان كثير فلما سمع السلطان كلام الوزير غضب غضبا شديدا و قال مثلي من يخطب من مثلك بنتا تمنّها و تحتج بحجة باردة و حيوة رأسي لا ازوجها الا لاقل خدمي رغما عن انفك وكان عند الملك سائس احدب بحدبة من قدام و حدبة من وراءها مر السلطان باحضاره وكتب كتابه على بنت

Digitized by Google

يا سيدي مالي اراك متغيرا فقال له اني كنت نائما في هذه الساعة فرايت ابي يعاتبني على عدم زيارتي له فقمت وانا مرعوب وخفت ان يفوت النهار ولم اَزُرْهُ فيكون صعبا عليَّ فقال له اليهودي يا سيدي اباك كان ارسل مراكب للتجارة و قدم منها البعض ومرادي اشتري منك وسق اول مركب قدم بهذا الالف دينار ذهب و اخرج اليهودي كيسا ملآن من الذهب و عد منه الف دينار واعطاها الى حسن بن الوزير فقال اليهودي اكتب لي ورقة و اختمها فاخذ حسن بن الوزير ورقة وكتب فيها كاتبُها حسن بن الوزير باع لاسحاق اليهودي جميع وسق اول مركب ابيه يدخل بالف دينار وقبض الثمن على سبيل التعجيل فاخذ اليهودي الورقة وصار حسن يبكي و يتذكر ماكان فيه من العز و ينشد و يقول شعرا

مَا بِالدَّارِ مُذْ غِبْتُمْ يَا سَادَتِي دَارُ كَلَّا وَلَا الْجَارُ مُذْ غِبْتُمْ لَنَا جَارُ
وَلَا الْأَنِيسُ الَّذِي قَدْ كُنْتُ اَعْهَدُهُ بِهَا اَنِيسِي وَلَا الْأَقْمَارُ اَقْمَارُ
غِبْتُمْ فَاَوْحَشْتُمُ الدُّنْيَا بِبُعْدِكُمُ وَ اَظْلَمَتْ بَعْدَكُمْ رَحْبًا وَ اَقْطَارُ
لَيْتَ الْغُرَابَ الَّذِي نَادَى بِفُرْقَتِنَا يُعْرَا مِنَ الرِّيشِ لَا تَحْوِيهِ اَوْكَارُ
قَدْ قَلَّ صَبْرِي وَاَضْنَى بُعْدُكُمْ جَسَدِي وَكَمْ تَهَتَّكَ يَوْمَ الْبَيْنِ اَسْتَارُ
تَرَى تَعُودُ لَيَا لِينَا الَّتِي سَلَفَتْ كَمَا عَهِدْنَا وَ تَجْمَعُ بَيْنَنَا الدَّارُ

ثم بكى بكاء شديدا فدخل عليه الليل و اسند رأسه على قبر ابيه فادركه النوم ولم يزل نائما حتى طلع القمر فتل حرجت رأسه عن القبر و نام على ظهره و صار وجهه يلمع فى القمر وكانت المقبرة عامرة من الجانّ المؤمنين فخرجت جنية فنظرت حسنٌ نائما فلما راته تعجبت من حسنه وجماله وقالت سبحان الله ما هذا الشاب الا كأنّه من ولد ان

Digitized by Google

فلما رآه حسن وقال ما الخبر قال السلطان غضب عليك ورسم بالحوطة عليك والبلاء يجيء من خلفي اليك ففز بنفسك فقال له هل في الامر شيء حتى ادخل الى بيتي اصحب شيئًا من الدنيا استعين به على الغربة فقال المملوك يا سيدي قم الآن وخل عنك الدار فنهض وهو يقول شعرا

وَنَفْسَكَ فُزْ بِهَا انْ صِحْتَ ضَيْمًا ... وَخَلِّ الدَّارَ تَنْعَى مَنْ بَنَاهَا
فَإِنَّكَ وَاجِدٌ اَرْضًا بِاَرْضٍ ... وَنَفْسُكَ لَمْ تَجِدْ نَفْسًا سِوَاهَا
وَلَا تَبْعَثْ رُسُولَكَ فِي مُهِمٍّ ... فَمَا لِلْمَنْفُسِ نَاصِحَةٌ سِوَاهَا
وَمَا غَلُظَتْ رِقَابُ الْاُسْدِ حَتَّى ... بِاَنْفُسِهَا تَوَلَّتْ مَا عَنَاهَا

فلما سمع كلام المملوك غطى رأسه بذيله وخرج يمشي الى ان صار خارج المدينة فسمع الناس يقولون ان السلطان ارسل الوزير الجديد الى بيت وزيره المتوفى يختم على ماله واماكنه ويقبض على ولده بدر الدين حسن ويطلع به الى السلطان ليقتله فتاسف الناس على حسنه وجماله فلما سمع كلام الناس خرج على رأسه ولم يعلم اين يذهب ولم يزل سائرا الى ان ساقته المقادير على تربة والده فدخل المقبرة وشق بين القبور الى ان جلس الى قبر ابيه وارخى ذيل فرجيته من فوق راسه وكانت منسوجة بطراز ذهب مكتوبا عليها هذه الابيات

يَا مَنْ لَهُ وَجْهٌ شَرِيقٌ ... يَحْكِي الْكَوَاكِبَ وَالنَّدَا
لَازَالَ عِزُّكَ دَائِمًا ... وَعُلُوُّ مَجْدِكَ سَرْمَدَا

فبينما هو عند تربة ابيه اذ قدم عليه يهودي كانه صيرفي ومعه خرج فيه ذهب كثير فتقدم اليهودي الى حسن البصري وقال له

Digitized by Google

والخمر مذهب العقول الحذر الحذر من شرب الخمر لاني سمعت الشاعر يقول

تَرَكْتُ النَّبِيْذَ وَ شُرَّابَهُ وَ صِرْتُ حَدِيْثًا لِمَنْ عَابَهُ
شَرَابٌ يُضِلُّ سَبِيْلَ الْهُدٰى وَ يَفْتَحُ لِلشَّرِّ اَبْوَابَهُ

والخامسة يا ولدي صن مالك يصونك احفظ مالك يحفظك ولا تفرط في مالك تحتاج الى اقل الناس صن الدراهم فهي المراهم لاني سمعت بعضهم يقول

اِنْ قَلَّ مَالِيْ فَلَا خِلٌّ يُصَاحِبُنِيْ وَاِنْ زَادَ مَالِيْ فَكُلُّ النَّاسِ خُلَّانِيْ
فَكَمْ صَدِيْقٍ لِبَذْلِ الْمَالِ صَاحَبَنِيْ وَصَاحِبِيْ عِنْدَ فَقْدِ الْمَالِ خَلَّانِيْ

وما زال نور الدين يوصي بدر الدين حسن حتى طلعت روحه واقام الحزن في بيته وحزن عليه السلطان وجميع الامراء ودفنوه ولم يزل بدر الدين على والده في حزن مدة شهرين وهو لم يركب ولم يطلع الديوان ولم يقابل السلطان فاحتاط السلطان عليه فاقام مكانه بعض الحجاب واجلسه وزيرا وامره ان يختم على اماكن نور الدين وعلى ماله وعمارته واملاكه فنزل الوزير الجديد يختم عليه ويقبض على ولده بدر الدين حسن ويطلع به الى السلطان يعمل فيه ما يقتضي رأيه وكان بين العسكر مملوك من مماليك الوزير المتوفى فلما سمع بهذه القضية ساق جواده واتى مسرعا الى بدر الدين حسن فوجده جالسا على باب داره وهو منكس الرأس حزين منكسر القلب فترجل له المملوك وقبلت يده وقال له ياسيدي وابن سيدي العجل العجل قبل حلول الاجل

Digitized by Google

الاربعين من يوم النزاع وهذا كتابي اليه والله خليفتي من بعد ذلك عليه ثم طواها وختمها وقال يا ولدي حسن احفظ الوصية فان الرقعة فيها اصلك وحسبك ونسبك فان اصابك شيء من الامور فاعمد الى مصر واسأل على عمك واستدل عليه واعلمه اني مت غريبا مشتاقا فاخذ بدرالدين حسن الرقعة وطواها وخيطها بين البطانة والظهارة ولف عليها شاشه وهو يبكي على ابيه وعلى فراقه وهو صغير وقال نورالدين اني اوصيك بخمسة وصايا اولها ان لاتعا شر احدا تسلم من شره فان السلامة فى العزلة ولا تخالطه ولا تباشره فاني سمعت الشاعر يقول

مَا فِي زَمَانِكَ مَنْ تَرْجُو مَوَدَّتَهُ ... وَلَا صَدِيقٌ اِذَا جَارَ الزَّمَانُ وَفَى
فَعِشْ فَرِيْدًا وَلَا تَرْكَنْ اِلَى اَحَدٍ ... فَقَدْ نَصَحْتُكَ فِيْمَا قُلْتُهُ وَكَفَى

الثانية يا ولدي لاتجور على احد يجور عليك الدهر فالدهر يوم لك ويوم عليك الدنيا قرض بوفاء ولقد سمعت الشاعر يقول

تَأَنَّ وَلَا تَعْجَلْ لِاَمْرٍ تُرِيْدُهُ ... وَكُنْ رَاحِمًا لِلنَّاسِ تُدْعَى بِرَاحِمِ
فَمَا مِنْ يَدٍ اِلَّا يَدُ اللّٰهِ فَوْقَهَا ... وَلَا ظَالِمٍ اِلَّا سَيُبْلَى بِظَالِمِ

الوصية الثالثة الزم الصمت واشتغل بعيبك عن عيوب الناس فقد قيل من لزم الصمت نجا وسمعت الشاعر يقول شعرا

اَلصَّمْتُ زَيْنٌ وَالسُّكُوْتُ سَلَامَةٌ ... فَاِذَا نَطَقْتَ فَلَا تَكُنْ مِهْذَارًا
فَلَئِنْ نَدِمْتَ عَلَى سُكُوْتِكَ مَرَّةً ... فَلَتَنْدَمَنَّ عَلَى الْكَلَامِ مِرَارًا

الرابعة يا ولدي احذرك من شرب الخمر فان الخمر رأس كل فتنة

Digitized by Google

فلما رآه السلطان انعم عليه و حبه و قال لابيه يا وزير لازم ولا بد انك دائما تحضره معك فقال السمع و الطاعة و عاد الوزير بولده الى منزله و مازال كل يوم يطلع به الى السلطان الى ان بلغ الولد من العمر خمسة عشر سنة فضعف و الده نور الدين الوزير فاحضر ولده وقال يا ولدي اعلم ان الدنيا دار فناء و الآخرة داربقاء و اريد ان اوصيك بعض وصايا فافهم ما اقول لك و اصغ ذهنك اليه و صار يوصيه على حسن عشرة الناس و التدبير ثم ان نور الدين تذكر اخاه و اوطانه و بلاده فبكى على فرقة الاحباب و مسح دموعه و انشد يقول شعرا

اِنْ شَكَوْنَا بُعْدًا فَمَا ذَا نَقُوْلُ ... اَوْ بَلَغْنَا شَوْقًا فَكَيْفَ السَّبِيْلُ
اَوْ بَعَثْنَا رَسُوْلًا يُتَرْجِمُ عَنَّا ... مَايُؤَدِّي شَكْوَى الْحِبِّ رَسُوْلُ
اَوْ صَبَرْنَا فَمَا بَقِيْ مُحِبٌّ ... بَعْدَ فَقْدِ الْاَحْبَابِ اِلَّا قَلِيْلُ
لَيْسَ اَلْاَنَ اِلَّا تَأَسُّفًا وَ حَنِيْنًا ... وَ دُمُوْعًا عَلَى الْخَدِّ تَسِيْلُ
اَيَا غَائِبِيْنَ عَنْ شَخْصِ عَيْنِيْ ... وَ طَرْفِيْ وَ هُمْ فِيْ فُؤَادِيْ حُلُوْلُ
اَتَرَاكُمْ اَنْتُمْ اَنَّ عَهْدِيْ ... عَلَى طُوْلِ الصُّدُوْدِ لَا يَحُوْلُ
اَمْ تَنَا سَيْتُمْ عَلَى الْبُعْدِ صَبًّا ... شَفِيْ فِيْكُمُ الْبُكَاءُ وَ النُّحُوْلُ
اِنَّا وَ اِنْ ضَمَّنَا وَ اِيَّاكُمُ الْحَيُّ ... لِيْ مَعَكُمْ هُنَاكَ عِتَابٌ يَطُوْلُ

فلما فرغ من انشاده و بكائه التفت الى ولده وقال له اعلم قبل ما اوصيك ان لك عم و هو وزير بمصر فارقته وخرجت على غير رضاه و القصد انك تأخذ درجا و تكتب فيه ما اقول لك فاخذ بدرالدين حسن درجا من الورق و صار يكتب فيه كما قال ابوه فاملاه ماجرى له من الاول الى الآخر وكتب له تاريخ زواجه و دخوله على بنت الوزير و تاريخ وصوله الى البصرة و اجتماعه بوزيرها وان عمره دون

Digitized by Google

احضر له فقيها يقرئه في بيته و اوصاه بتعليمه وادبه و حسن تربيته فقرأه و حفظه فوائد فى العلم و عاد القرآن في مدة سنوات وما زال حسن يزداد جمالا وقدا و اعـــــــــــــــــــــــــــــدالا

كما قيل شعر

قَمَرٌ تَكَامَلَ فِي سَمَاءِ جَمَالِهِ وَالشَّمْسُ تُشْرِقُ مِنْ شَقَائِقِ خَدِّهِ
مَلَكَ الْجَمَالَ بِأَسْرِهِ فَكَأَنَّمَا حُسْنُ الْبَرِيَّةِ كُلُّهَا مِنْ عِنْدِهِ

وقد ربّاه الفقيه في قصرابيه ومن حين نشأ لم يخرج من قصرالوزارة ففي يوم من بعض الايام اخذه والده الوزير نورالدين و البسه بدلة من افخر ملبوسه و ركبه بغلة من خيار بغاله و طلع به الى السلطان و دخل به عليه فنظر الملك بدرالدين حسن ابن الوزير نورالدين فاعجبه و حبه و اما اهل المملكة لما مر عليهم اول مرة و هو طالع مع ابيه الى الملك فانبهتوا من حسنه و جلسوا في طريقه ينتظرون عوده عليهم ليتفرجوا عليه و على حسنه و جماله و قده و اعتدا له كما قيل فيه هذه الا بيات شـــــــــــــــــــــــــــــعـــــــــــــــــــــــــــــر

رَصَدَ الْمُنَجِّمُ لَيْلَةً فَبَدَا لَهُ قَدُّ الْمَلِيحِ يَتِيهُ فِي بُرْدَيْهِ
وَ تَأَمَّلَ الْجَوْزَاءُ إِذْ نَشَرَتْ لَهُ حُسْنُ الْجَمَالِ يَلُوحُ مِنْ عِطْفَيْهِ
وَ أَتَى لَهُ زُحَلُ السَّوَادَ بِشَعْرِهِ وَحَبَاهُ لَوْنُ الْمِسْكِ فِي صُدْغَيْهِ
أَهْدَى لَهُ الْمِرِّيخُ حُمْرَةَ خَدِّهِ وَ الْقَوْسُ يَرْمِي النَّبْلَ مِنْ جَفْنَيْهِ
وَ عُطَارِدٌ أَعْطَاهُ فَرْطَ ذُكَائِهِ وَ أَبَا السُّهَا نَظَرَ الْوُشَاةِ إِلَيْهِ
فَبَقِي الْمُنَجِّمُ حَائِراً مِمَّا رَأَى وَ سَعَى وَبَاسَ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ

Digitized by Google

بقيت شيخا كبيرا و قلّ سمعي و عجز تدبيري و القصد من مولانا السلطان ان يجعله في مرتبتي فانه ابن اخي و زوج ابنتي و هو اهل للوزارة لانه صاحب رأي و تدبير فنظر السلطان اليه فلاق خاطره فانعم عليه بما اراده الوزير وقدمه في الوزارة و امر له بخلعة عظيمة و امر له السلطان ببغلة من خاص مركوبه و عين له الرواتب و الجوامك فقبّل نور الدين يد السلطان و نزل هو و صهره الى منزلهما و هم في غاية الفرح و قالوا هذا بكعب المولود حسن ثم ان نور الدين توجه ثاني يوم عند الملك و قبل الارض

وانشد يقول

سَعَادَاتٌ تُجَدِّدُ كُلَّ يَوْمٍ وَ اِقْبَالٌ عَلَى كَيْدِ الْحَسُوْدِ
فَمَا زَالَتْ لَكَ الْاَيَّامُ بِيْضٌ وَ اَيَّامُ الَّذِيْ عَادَاكَ سُوْدُ

فامره السلطان بالجلوس في مرتبة الوزارة فجلس و تعاطى امور خدمته و نظر بين الناس في امورهم و احكامهم كما جرت عادة الوزراء و صار السلطان ينظر اليه و يتعجب من امره و عقله و تدبيره و تصريفه فحبه و قربه اليه و لما انصرف الديوان نزل نور الدين الى بيته و حكى لصهره ما وقع ففرح و لم يزل نور الدين في الوزارة حتى انه لا يفارق السلطان لافي ليل ولا في نهار و زاد له الجوامك والجرايات الى ان اتسع له الحال و صار له مراكب تسافر من تحت يده بالمتاجر و صار له عبيد و مماليك و عمّر املاكا كثيرة و دواب و بساتين و صار عمر ولده حسن اربع سنين فتوفي الوزير الكبير والد زوجة نور الدين فاخرجه خرجة عظيمة و واراه في التراب ثم اشتغل نور الدين بتربية ولده فلما اشتد وصار له من العمر سبع سنين

Digitized by Google

زوجة شمس الدين وزير مصر بنتا لا يرى في مصر احسن منها ووضعت زوجة نور الدين ولدا ذكرا لا يرى في زمانه احسن منه كما قال فيه الشاعر

شعر

وَمُهَفْهَفٍ مِنْ شَعْرِهِ وَجَبِينِهِ تَغْدُو الْوَرَى فِي ظُلْمَةٍ وَضِيَاءِ
لَا تُنْكِرُوا الْخَالَ الَّذِي فِي خَدِّهِ كُلُّ الشَّقِيقِ بِنُقْطَةٍ سَوْدَاءِ

وقال آخر شعرا

اِنْ جِيءْ بِالْحُسْنِ كَيْ يُقَاسُ بِهِ يُنَكِّسُ الْحُسْنُ رَأْسَهُ خَجَلَا
اَوْ قِيلَ يَا حُسْنُ هَلْ رَأَيْتَ كَذَا فَقَالَ اَمَّا كَذَا رَأَيْتُ فَلَا

فسماه بدر الدين حسن وفرح به جده وزير البصرة وصنع الولائم وعمل اسمطا تصلح لاولاد الملوك ثم ان وزير البصرة اخذ معه نور الدين وطلع به الى السلطان فلما اقبل قدامه قبل الارض بين يديه وكان فصيح اللسان ثابت الجنان صاحب حسن واحسان وانشد يقول شعرا

دَامَتْ لَكَ الْإِنْعَامُ يَا سَيِّدِي وَدُمْتَ مَا دَامَ الدُّجَا وَالْفَجْرُ
يَا مَنْ اِذَا مَا ذُكِرَتْ هِمَّتُهُ رَقَصَ الزَّمَانُ وَصَفَّقَ الدَّهْرُ

فقام لهما السلطان وشكر نور الدين على ما قال وقال لوزيره من هذا الشاب فقال له الوزير قصته من اولها الى آخرها وقال له هذا ابن اخي فقال له وكيف يكون ابن اخيك ولم نسمع به فقال يا مولانا السلطان انه كان لي اخ وزير بالديار المصرية وقد مات وخلف ولدين فالكبير جلس مكان والده وزيرا وهذا ولده الصغير جاء عندي وحلفت اني لا ازوج بنتي الا له فلما جاء زوَّجته بها وهو شاب وانا

الحمام ركب بغلته و لم يزل سائرا حتى و صل الى قصر الوزير فنزل عن البغلة و دخل على الوزير فقبل يديه و رحب به و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام

فلما كانت الليلة الحادية والعشرون قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير قام له و رحب به و قال له قم ادخل هذه الليلة على زوجتك و في غد اطلع بك الى السلطان و ارجولك من الله كل خير فقام نورالدين و دخل على زوجته بنت الوزير هذا ما كان من امر نورالدين و اما ماكان من امر اخيه فانه غاب مع السلطان مدة في السفر ورجع فلم يجد اخاه فسأل عنه الخدام فقالوا له من يوم سافرت مع السلطان ركب بغلته بعدة الموكب و قال انا رائح ناحية القليوبية اغيب يوما او يومين فان صدري ضاق ولا احد يتبعني و من يوم حزوجه الى هذا اليوم لم نسمع له خبرا فتشوش شمس الدين على فراق اخيه و اغتم غما شديدا لفقده و قال في نفسه ما هو الا مما نهرته في تلك الليلة اخذ على خاطره و خرج مسافرا فلا بد ان ارسل خلفه ثم طلع و اعلم السلطان و كتب بطاقات و ارسل البريد الى نوابه في جميع البلاد و نورا لدين في مدة العشرين يوما التي غابوها قطع بلادا بعيدة ففتشوا و لم يقعوا له على خبر فرجعوا و ايس شمس الدين من اخيه و قال لقد فرطت في اخي بكلامي له على زواج الاولاد قلّ ذلك ان يكون وما كان ذلك الا من قلّة عقلي و عدم تدبيري ثم بعد مدة يسيرة خطب بنت رجل من تجار مصر و كتب كتابه و دخل بها وقد اتفق ان ليلة دخول شمس الدين على زوجته كانت ليلة دخول نورالدين على زوجته بنت وزيرالبصرة و ذلك بارادة الله تعالى حتى ينفذ حكمه في خلقه وكان كما قالاه وحملوا النساء منهما. وقد وضعت

Digitized by Google

خرجه على بغلته و اخذ البساط و السجادة و اخذ نور الدين معه الى بيته و انزله في مكان ظريف و اكرمه و احسن اليه و حبه حبا شديدا و قال له يا ولدي انا بقيت رجلا كبيرا و لم يكن لي ولد ذكر و قد رزقني الله بنتا تعادلك في الحسن ومنعت عنها خُطّاب كثير و قد وقع حبك في قلبي فهل لك أن تقبل ابنتي جارية لخدمتك و تكون لها بعلا فان كنت تقبل ذلك اطلع بك الى سلطان البصرة واقول له انه ولد اخي و او صلك الى ان اجعلك وزيره مكاني والزم انا بيتي فاني بقيت رجلا كبيرا فلما سمع نور الدين كلام وزير البصرة اطرق برأسه وقال سمعا و طاعة ففرح الوزير و امر غلمانه ان يضعوا له طعاما و ان يزينوا قاعة الجلوس الكبيرة التي ترسم فيها اعراس الامراء ثم جمع اصحابه و دعا اكابر الدولة و تجار البصرة فحضروا بين يديه فقال لهم اني كان لي اخ وزير بالديار المصرية ورزقه الله ولدين وانا كما تعلمون رزقني الله بنتا و كان اخي اوصاني اني ازوج بنتي لا حد اولاده فاجبته لذلك فلما استحق الزواج ارسل اليّ احد اولاده وهو هذا الشاب الحاضر فلما جاءني جئت ان اكتب كتابه على بنتي و يدخل بها عندي و هو اولى من الغريب و بعد ذلك ان شاء يقعد عندي و ان شاء للسفر اسّير هو و زوجته الى ابيه فقالوا جميعا نِعْم ما رأيت و نظروا الى الشاب فلما رأوه اعجبهم فاحضر الوزير الشهود و القضاة وكتبوا الكتاب و اطلقوا البخور و شربوا السكر و رشوا الماء ورد و انصرفوا و اما الوزير فامر غلمانه ان يأخذوا نور الدين و يدخلوا به الحمام و اعطاه الوزير بدلة من خاص ملبوسه و ارسل له المناشف و الطاسات و مجامر البخور و ما يحتاج اليه فلما خرج و لبس البدلة صار كالبدر اذا بدر ليلة اربعة عشر فلما خرج من

Digitized by Google

بات في ذلك المكان فلما اصبح الصباح ركب و سار يسوق البغلة الى
ان و صل الى مدينة حلب فنزل في بعض الخانات و اقام ثلثة ايام
حتى استراح وريح البغلة و شم الهواء ثم عزم على السفر و ركب بغلته
و خرج مسافرا لا يدري اين يذهب ولم يزل سائرا الى ان اقبل على
مدينة البصرة و لم يشعر بذلك حتى نزل الى الخان فانزل الخرج
عن البغلة و فرش السجادة و اعطى البغلة بعدتها للبواب يسيرها
فاخذها و سيرها فاتفق ان وزير البصرة جالس في شباك قصره
فنظر الى البغلة و نظر ما عليها من العدة المثمنة فظنها بغلة موكب
و مركوب وزراء او ملوك فتفكر في ذلك و حار عقله و قال لبعض
غلمانه ائتني بهذا البواب فذهب الغلام و اتى بالبواب للوزير فتقدم
البواب و باس الارض وكان الوزير شيخا كبيرا فقال للبواب من يكن
صاحب هذه البغلة و ما صفاته فقال البواب يا سيدي صاحب هذه البغلة
شاب صغير ظريف الشمائل عليه هيبة و وقار من اولاد التجار فلما
سمع الوزير كلام البواب قام على حيله وركب و سار الى الخان
و دخل على الشاب فلما راى نور الدين الوزير قادم عليه قام على
حيله و لاقاه و سلم عليه فرحب به الوزير و نزل من على جواده و
احتضنه و اجلسه عنده و قال له يا ولدي من اين اقبلت وماذا تريد
فقال نور الدين يا مولاي اني قدمت من مدينة مصر و كنت
امين و زير فيها و قد انتقل ابي الى رحمة الله تعالى و اخبره
بما جرى له من المبتدا الى المنتهى قال و قد عزمت على نفسي
اني لا اعود ابدا حتى اشق جميع المدن و البلدان فلما سمع
الوزير كلامه قال له ولدي لاتطاوع النفس فترميك في الهلاك فان
البلاد خراب و انا اخاف عليك من عواقب الزمان ثم انه حمل

Digitized by Google

واخذ منها خرجا صغيرا و ملأه ذهبا و تذكر قول اخيه و حقارته عنده فانشد و جعل يقول هذه الابيات

سَافِرْ تَجِدْ عِوَضًا عَمَّنْ تُفَارِقُهُ ... وَانْصَبْ فَإِنَّ لَذِيذَ الْعَيْشِ فِي النَّصَبِ
مَا فِي الْمَقَرِّ لِذِي عِزٍّ وَلَا أَرَبٍ ... سِوَى الْعَنَا فَدَعِ الْأَوْطَانَ وَاغْتَرِبِ
إِنِّي رَأَيْتُ وُقُوفَ الْمَاءِ يُفْسِدُهُ ... إِنْ سَاحَ طَابَ وَإِنْ لَمْ يَجْرِ لَمْ يَطِبِ
وَالْبَدْرُ لَوْلَا أُفُولٌ مِنْهُ مَا نَظَرَتْ ... إِلَيْهِ فِي كُلِّ حِينٍ عَيْنُ مُرْتَقِبِ
وَالْأُسْدُ لَوْلَا فِرَاقُ الْغَابِ مَا اقْتَنَصَتْ ... وَالسَّهْمُ لَوْلَا فِرَاقُ الْقَوْسِ لَمْ يُصِبِ
وَالتِّبْرُ كَالتُّرْبِ مُلْقًى فِي مَعَادِنِهِ ... وَالْعُودُ فِي أَرْضِهِ نَوْعٌ مِنَ الْحَطَبِ
فَإِنْ تَغَرَّبَ هَذَا عَزَّ مَطْلَبُهُ ... وَإِنْ تَغَرَّبَ هَذَا زَادَ فِي الذَّهَبِ

فلما فرغ من شعره امر بعض غلمانه ان يشد له بغلة النوبة بسرجها المضرب وهي بغلة زرزورية عالية الظهر كأنها قبة مبنية سرجها ذهب و ركاباتها هندية عليها عباءة كسروية و هي كأنها عروسة مجلية و امره ان يجعل عليها بساطا حريرا و سجادة و جعل الخرج من تحت السجادة ثم قال للغلام و العبيد قصدي اتفرج خارج المدينة واروح نواحي القليوبية و ابات ثلث ليال فلا احد منكم يتبعني فان عندي ضيق صدروا سرع وركب البغلة واخذ معه شيئا قليلا من الزاد و خرج من مصر و استقبل البر فما جاء عليه الظهر حتى دخل على مدينة بلبيس فنزل عن بغلته و استراح وريح البغلة واخذ شيئا من الزاد فاكله و اخذ من بلبيس ما يأكله و ما يعلفه على بغلته و استقبل البر فما جاء عليه الليل حتى دخل بلدا يقال لها السعدية فبات بها واخرج شيئا اكله و حط الخرج تحت رأسه وفرش البساط و نام في مكان البرية و الغيظ غالب عليه ثم انه

Digitized by Google

بالشرط على ولدي اما تعلم اننا اخوة و نحن الاثنان بفضل الله وزراء ونحن في مقام واحد وكان الواجب عليك ان تقدم ابنتك لولدي من غير مهر وان كان لابد من مهر فتجعل شيئا معلوما ليظهر للناس فانك تعلم ان الذكر افضل من الانثى و ولدي ذكر و نذكر به بخلاف ابنتك فقال و مالها فقال لا نذكر بها بين الامراء و لكن انت تريد ان تفعل معي كما فعل بعضهم قيل ان بعض الناس تدم على بعض اصحابه فقصده في حاجة فقال بسم الله نقضي حاجتك و لكن غدا فانشد في الجواب شعرا

اِذَا كَانَ فِى الحَاجَاتِ مَهْلاً اِلَى غَدٍ فَذَاكَ يَكُوْنُ طَرْدًا لِمَنْ كَانَ عَارِفًا

فقال له شمس الدين اراك تقصر وتعمل بنتك افضل من ابني لا شك انك ناقص عقل و لالك اخلاق تذكر شركة الوزارة وانا ما ادخلتك معي في الوزارة الا شفقة عليك و تبقى تساعدني و تكون لي معينا ولا اكسر بخاطرك و حيثما هذا القول قولك و الله لا ازوج بنتي لولدك ولو وزنت ثقلها ذهبا فلما سمع نور الدين كلام اخيه اغتاظ و قال و انا ما بقيت ازوج ابني ابنتك فقال شمس الدين انا لا ارضاه لها بعلا و لولا اني في السفر لكنت عملت معك العبر و لكن لما ارجع من سفري فرّج اريك ماتقتضي مروتي فلما سمع نور الدين من اخيه ذلك الكلام امتلاً غيظا و غاب عن الدنيا وكتم ما به وبات كل واحد في ناحية فلما اصبح الصباح برز السلطان للسفر و غدا في الجيزة و قصد الاهرام و صحبه الوزير شمس الدين و اما ما كان من امر اخيه نور الدين فبات تلك الليلة في اشد ما يكون من الغيظ فلما اصبح الصباح قام و صلى الصبح و عمد الى خزانته

Digitized by Google

ان تعتق عبدي من القتل فقال ان كان اعجب مما اتفق لنا وهبت دمه لك وان لم يكن با عجب قتلت عبدك فقال جعفر اعلم يا امير المؤمنين انه كان في سالف الزمان بارض مصر سلطان صاحب عدل وامان يحب الفقراء ويجالس العلماء وله وزير عاقل خبير له علم بالامور والتدبير وكان شيخا كبيرا وله ولدان كانهما قمران لم ير مثلهما في الحسن والجمال وكان اسم الكبير شمس الدين محمد واسم الصغير نور الدين علي وكان الصغير اميز من الكبير في الصباحة والملاحة حتى ان في بعض البلدان تسامعوا به فسافروا الى بلاده لاجل رؤية جماله فاتفق ان والدهم مات فحزن عليه السلطان واقبل على الولدين وقربهما واخلع عليهما وقال لهما انتم في مرتبة ابيكم فلا تكدروا خواطركم ففرحوا وقبلوا الارض بين يديه وعملوا العزا لابيهم الى اتمام شهر ثم دخلوا في الوزارة وصار الحكم بايديهما كما كان بيد ابيهما وكان اذا اراد السلطان السفر يسافر واحد منهما فاتفق في ليلة من الليالي وكانت سفر الكبير مع السلطان فبينما هم يتحدثون اذ قال الكبير للصغير يا اخي قصدي ان اتزوج انا وانت في ليلة واحدة فقال الصغير افعل يا اخي ما تريد فاني موافقك على ماتقول فاتفقوا على ذلك ثم ان الكبير قال لاخيه ان قدر الله وخطبنا بنتين ودخلنا في ليلة واحدة ووضعتا في يوم واحد وا راد الله وجاءت زوجتك بصبي وجاءت زوجتي ببنت نزوجهما لبعضهما ويصيرا اولاد عم فقال نور الدين يا اخي ما تاخذ من ولدي في مهر بنتك فقال آخذ من ولدك لبنتي ثلثة آلاف دينار وثلث بساتين وثلث ضياع وان كتب الشاب بغير هذا لا يصح فلما سمع نور الدين هذا الكلام قال ما هذا المهر

Digitized by Google

ان كان الكذب انجا فالصدق انجا و انجا هذه التفاحة ما سرقتها لا من قصرك و لا من قصر الحضرة و لا من بستان امير المؤمنين و انما هذه من مدة خمسة ايام مشيت فدخلت الى بعض ازقة المدينة فنظرت صغارا يلعبون و مع واحد منهم هذه التفاحة فخطفتها منه و ضربته فبكى و قال يا فتى هذه لامي وهي مريضة وقد اشتهت على ابي التفاحة فسافر الى البصرة وجاء لها ثلث تفاحات بثلثة دنانير فسرقت منهم واحدة العب بها ثم بكى فلم التفت اليه و اخذتها و جئت هنا فاخذ تها ستي الصغيرة بدينارين ذهب و هذه حكايتي فلما سمع جعفر هذه القصة تعجب لكون ان الفتنة و قتل الصبية من عبده و حزن لنسبة العبد له و فرح لخلاص نفسه ثم انشد يقول شعرا

إِذَا جَاءَ الْمُصِيبَةُ فِي غُلَامٍ فَتَجْعَلُهُ لِنَفْسِكَ مِنْ فِدَاهَا
فَإِنَّكَ وَاجِدٌ خَدَمًا كَثِيرًا وَنَفْسُكَ لَمْ تَجِدْ نَفْسًا سِوَاهَا

ثم انه مسك بيد العبد و طلع به للخليفة و حكى له قصته من اولها الى آخرها فتعجب الخليفة كل العجب و ضحك حتى انقلب و امران تورخ هذه الحكاية و تجعل سيرا بين الناس فقال لا تعجب يا امير المؤمنين من هذه القصة فماهي اعجب من حديث الوزير نورالدين علي المصري

حكاية الوزير نور الدين واخيه

و شمس الدين محمد اخيه فقال الخليفة هات و ما التي اعجب من هذه الحكاية فقال جعفر يا امير المؤمنين لا احدثك الا بشرط

Digitized by Google

بعدها و خذ حقها مني فلما سمع الخليفة كلام الشاب تعجب و قال والله لا اشنق الا العبد الملعون و لا عمل عملا يشفى العليل ويرضى الملك الجليل وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة العشرون قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخليفة حلف انه لا يشنق الا العبد فان الشاب معذور ثم ان الخليفة التفت الى جعفر و قال له احضر لي هذا العبد الملعون الذي جرت منه هذه القضية و ان لم تحضره فانت عوضه فنزل جعفر يبكي و يقول حضر لي مرتتين و لا كل مرة تسلم الجرة و ليس في هذا الامر حيلة و الذي سلمني فى الاول يسلمني فى الثاني و الله ما بقيت اخرج من بيتي ثلثة ايام و الحق يفعل ما يشاء ثم اقام في بيته ثلثة ايام و في اليوم الرابع احضر القضاة و الشهود و ودع اولاده و هو يبكي و اذا برسول الخليفة اتى اليه و قال له ان امير المؤمنين في اشد ما يكون من الغضب و ارسل بطلبك و حلف انه لا يمر هذا النهار الا و انت مشنوق فلما سمع جعفر هذا الكلام بكى و بكوا اولاده و عبيده مع كل من فى الدار فلما فرغ من التوديع تقدم الى بنته الصغيرة ليو دعها و كان يحبها أكثر من اولاده جميعا فضمها الى صدره و باسها و بكى على فراقها فوجد في جيبها شيئا مكببا فقال لها ما الذي في جيبك فقالت له يا ابت تفاحة مكتوب عليها اسم مولانا الخليفة جاء بها عبدنا ريحان و لها معي اربعة ايام و ما اعطا هالي حتى اخذ مني دينارين فلما سمع جعفر بذلك العبد و التفاحة فرح و حط يده في جيب ابنته و اخرج التفاحة فعرفها و قال يا قريب الفرج ثم انه امر باحضار العبد فحضر فقال له و يلك ريحان من اين لك هذه التفاحة فقال العبد و الله ياسيدي

Digitized by Google

و لا اعرف فتحققت قول العبد فقمت و اخذت سكينا و جئت من خلفها و ما كلمتها حتى ركبت على صدرها و نحرتها بالسكين و قطعت رأسها و حطيتها في القفة بسرعة و غطيتها بالازار و خيطتها و حطيت عليها شقة من البساط و انزلتها الصندوق و قفلته و حملتها على بغلتي و رميتها في الدجلة بيدي فبالله عليك يا امير المؤمنين عجل بشنقي فاني خائف من مطالبتها لي يوم القيمة فاني لما رميتها في بحر الدجلة و لم يعلم بها احد رجعت الى البيت وجدت ولدي الكبير يبكي و لم يكن له علم بما فعلتُ في امه فقلت له ما يبكيك يا ولدي فقال اني اخذت تفاحة من التفاح الذي عند امي و نزلت بها الى الزقاق العب مع اخوتي و اذا بعبد اسود طويل خطفها مني وقال لي هذه جاءتك من اين فقلت له هذه سافر لها ابي و جاء بها من البصرة من اجل امي و هي ضعيفة و اشترى ثلث تفاحات بثلثة دنانير ثم اخذها و لم يلتفت الي فعدت له القول ثانيا و ثالثا و لم يلتفت الي و ضربني وراح بها فخفت من امي تضربني من شان التفاحة فغبت انا و اخوتي من خوفها الى ظاهر المدينة و قد امسى المسأ علينا و انا خائف منها فبالله يا ابي لا تقل لها شيئا تزداد ضعفا على ضعفها فلما سمعت كلام الولد علمت ان العبد هو الذي افترى الكلام الكذب على بنت عمي و تحققت انها قتلت ظلما ثم اني بكيت بكاء شديدا و اذا بهذا الشيخ و هو عمي والدها قد اقبل فاخبرته بما كان فجلس بجانبي و بكى و لم نزل نبكي الى نصف الليل و اقمنا العزا خمسة ايام لهذا اليوم و نحن نتأسف على قتلها ظلما و كل ذلك كان من تحت رأس البعد و هذا سبب قتلها فبحرمة اجدادك عجل بقتلي فلا حيوة لي

Digitized by Google

المدينة و فتشت على التفاح فلم اجده و لو كانت الواحدة بدينار لاشتريتها فشق علىّ ذلك و طلعت الى البيت و قلت لها يابنت عمي والله مالقيت شيئا فتشوشت و هي ضعيفة و زاد عليها الضعف تلك الليلة كثيرا فبت و انا متفكر فلما اصبح الصباح خرجت من بيتي و درت على البساتين واحدا واحدا فلم اجده فيها فصادفني خولي كبير فسألته عن التفاح فقال يا ولدي هذا شيء قل ان يوجد و هو معدوم ولا يوجد الا في بستان امير المؤمنين الذي فى البصرة و هو عند الخولي يدخره للخليفة فجئت الى البيت و قد حملتني محبتي لها و مودتى على ان سافرت و هيأت لي نفسي و سافرت خمسة عشر يوما ليلا و نهارا فى الذهاب والاياب و جئت لها ثلث تفاحات اشتريتهم من خولي البصرة بثلثة دنانير و دخلت و ناولتهم لها فلم تفرح بهم و تركتهم عن جانبها وكان قد زاد بها الضعف و الحمى ولم تزل في ضعفها الى ان مضى لها عشرة ايام و بعد ذلك عوفيت فخرجت من البيت وذهبت الى دكاني و جلست في بيعي وشرائي فبينما انا جالس وسط النهار واذا بعبد اسود قائت علي و في يده تفاحة من تلك التفاحات الثلث يلعب بها فقلت له يا عبدالخير من اين اخذت هذه التفاحة حتى آخذ مثلها فضحك و قال اخذتها من حبيبتي و انا كنت غائبا و جئت فوجدتها ضعيفة و عند ها ثلث تفاحات قالت لي ان زوجي القرنان سافر من شانهم البصرة اشتراهم بثلثة دنانير فاخذت منهم هذه التفاحة فلما سمعت يا امير المؤمنين كلام العبد اسودت الدنيا في وجهي و قمت قفلت دكاني و جئت الى البيت و انا عادم العقل من شدة الغيظ و نظرت الى التفاح فلم اجد الاثنتين فقلت لها اين الثالثة فقالت لا ادري

Digitized by Google

حقها مني فقال الشيخ يا ولدي انت صغير تشتهي الدنيا و انا كبير شبعت من الدنيا و انا افديک بروحي و افدي الوزير و بني عمه و ما قتل الصبية الا انا فبالله عليک عجل بشنقي فلا حيوة لي بعدها فلما نظر الوزير الى ذلک تعجب و اخذ الشاب و الشيخ و طلع بهما الى الخليفة و قبل الارض و قال يا امير المؤمنين قد احضرنا قاتل الصبية فقال الخليفة اين هو فقال ان هذا الشاب يقول انه هو القاتل و هذا الشيخ يكذبه و يقول هو القاتل و ها هما بين يديک فنظر الخليفة الى الشيخ و الشاب و قال من فيكم قتل هذه الصبية فقال الشاب انا و قال الشيخ ما قتلها الا انا فقال الخليفة لجعفر خذ الاثنين و اشنقهما فقال جعفر اذا كان احدهما قتل فشنق الثاني ظلم فقال الشاب و حق من رفع السماء و بسط الارض انا الذي قتلت الصبية و ادى امارة قتلتها و وصف ما وجده الخليفة فتحقق عند الخليفة ان الشاب هو الذي قتل الصبية فتعجب الخليفة من قصتهما و قال ما سبب قتلک لهذه الصبية بغير حق وايش سبب اقرارک بالقتل من غير ضرب و مجيئک بنفسک في هذا و تقول خذوا حقها مني فقال الشاب اعلم يا امير المؤمنين ان هذه الصبية زوجتي و بنت عمي و هذا الشيخ ابوها و هو عمي و تزوجت بها و هي بكر فرزقني الله منها ثلثة اولاد ذكور و كانت تحبني و تخدمني و لم ار عليها سوءا و كنت انا ايضا احبها حبا عظيما الى ان كان اول هذا الشهر فمرضت مرضا شديدا فاحضرت لها الاطباء فتوجهت لها العافية قليلا قليلا فاردت ان ادخلها الحمام فقالت اني اريد شيئا قبل دخول الحمام فقد اشتهيته فقلت لها سمعا و طاعة و ما هو فقالت اني اشتهي تفاحة اشمها و اعض منها عضة فدخلت من ساعتي

Digitized by Google

للخليفة و ان احضرت له غيره يصير متعلقا في ذمتي و لا ادري ما اصنع ثم ان جعفرا جلس في بيته ثلثة ايام و فى اليوم الرابع ارسل الخليفة و راءه بعض الحجاب يطلبه فطلع اليه فقال الخليفة له اين قاتل الصبية قال جعفر يا امير المؤمنين انا كنت عريف القتلى حتى اعرف قاتلها فاغتاظ الخليفة و امر بشنقه تحت قصره و امر مناديا ينادي في شوارع بغداد من اراد الفرجة على شنق جعفر البرمكي وزير الخليفة و شنق اربعين برمكيا من اولاد عمه على باب قصر الخليفة فليخرج يتفرج فخرجت الناس من جميع الحارات يتفرجون على شنق جعفر و اولاد عمه و لم يعلموا سبب شنقهم و نصبوا الخشب و اوقفوهم تحته لاجل الشنق و صاروا ينتظرون الاذن من الخليفة و كانت الاشارة هكذا و صار الخلق يتباكون على جعفر و اولاد عمه فبينما هم كذلك و اذا بشاب حسن الوجه نقي الاثواب بوجه اقمر و طرف احور و جبين ازهر و خد احمر و عذار اخضر و شامة كأنه قرص عنبر و مازال يفسح الناس الى ان وقف بين يدي جعفر فقال له سلامتك من هذه الوقفة يا سيد الامراء و كهف الفقراء الذي قتل القتيلة التي وجدتموها فى الصندوق انافاشنقني عنها و خذ حقها مني فلما سمع جعفر كلام الشاب و ما ابداه من الخطاب فرح بخلاص نفسه و حزن على الشاب فبينما هم فى الكلام و اذا بشيخ كبير طاعن فى السن يفسح الناس و يشق بين الخلائق الى ان وصل الى جعفر و الشاب فسلم عليهما فقال ايها الوزير و السيد الخطير لا تصدق كلام هذا الشاب فيما يقول فانه ما قتل الصبية الا انا فخذ حقها مني او اطالبك بين يدي الله تعالى ان لم تفعل فقال الشاب ايها الوزير هذا شيخ كبير خرفان لا يدري ما يقول و انا الذي قتلتها فخذ

Digitized by Google

هذا الشعر فانه يدل على احتياجه ثم الخليفة تقدم اليه و قال له ياشيخ ما صنعتك فقال يا سيدي انا صياد و عندى عيلة و خرجت من بيتي من نصف النهار الى هذا الوقت لم يقسم الله شيئا اقوت به عيالي و قد كرهت نفسي و تمنيت الموت فقال الخليفة هل لك ان ترجع معنا البحر و تقف على شاطئ الدجلة و ترمي شبكتك على بختي و مهما طلع اشتريه منك بمائة دينار ففرح لما سمع هذا الكلام و قال على رأسي ارجع معكم ثم ان الصياد رجع معهم الى البحر و رمى شبكته و صبر عليها ثم انه جذب الخيط و جر الشبكة اليه فطلع فى الشبكة صندوق مقفول ثقيل الوزن فلما نظره الخليفة جسه فوجده ثقيلا فاعطى للصياد مائة دينار و انصرف و حمل الصندوق مسرور مع الخليفة و طلعوا به الى القصر و اوقدوا الشموع و الصندوق بين يدي الخليفة فتقدم جعفر و مسرور وكسروا الصندوق فوجدوا فيه قفة خوص مخيطة بخيط صوف احمر فقطعوا القفة فرأوا فيها فردة بساط فشالوا الفردة فوجدوا ازارا و وجدوا فيه صبية كأنها سبيكة فضة مقتولة مقطعة فلما نظرها الخليفة تاسف و جرت دموعه على خده و التفت الى جعفر و قال يا كلب الوزرا تقتل القتلى في زمني و يرموهم فى البحر و يصيرون متعلقين بذمتي يوم القيامة و الله لابد ان آخذ حق هذه الصبية ممن قتلها و لا قتلنه شرقتلة وقال لجعفر و حق اتصال نسبى با لخليفة من بني العباس ان لم تاتني بالذى قتل هذه لا نصفها منه شنقتك على باب قصري و اربعين من بني عمك و اغتاظ الخليفة غيظا شديدا فخرج جعفر من بين يديه و قال له امهلني ثلثة ايام قال امهلتك فنزل جعفر المدينة و هو حزين و قال في نفسه من اين اعرف من قتل هذه الصبية حتى اني احضره

Digitized by Google

نصص هؤلاء جميعهم قالت دنيازاد لاختها شهرزاد يا اختاه و الله هذه قصة جميلة لطيفة لا يسمع مثلها قط و لكن احكي لي قصة اخري لنقضي ما بقي من سهر ليلتنا هذا قالت حبا و كرامة ان اذن لي الملك فقال الملك قصي قصتك و اعجلي فقالت زعموا يا ملك الزمان و صاحب العصر و الاوان ان الخليفة هارون الرشيد احضر ليلة من الليالي وزيره جعفرا و قال له اريد ان انزل المدينة و نسأل العامة عن احوال الحكام المتولين و كل من شكوامنه عزلناه و من شكروا منه اوليناه فقال جعفر سمعا و طاعة فلما نزل الخليفة و جعفر و مسرور و شقوا فى المدينة و مشوا فى الا سواق و الشوارع فاجتازوا على زقاق فرأوا شيخا كبيرا على رأسه شبكة و قفة و في يده عصا و هو ماش على مهله ينشد و يقول

يقولون لي انت بين الورى بعلمك كالليلة المقمره
فقلت دعوني من اقوالكم فلا علم الا مع المقدره
فنور هنوني و علمي معي و كل الدفا ترو المحبره
على قوت يوم فرد الرهان و ارموا الى القصة المحقره
فا ما الفقير و حال الفقير و عيش الفقير فما اكدره
و فى الصيف يعجز عن قوته و فى البرد يدفي على المجمره
تقوم عليه كلاب الطريق و كل لئيم بذا ينهره
اذا ما شكى حاله لامرئ فما في البرية من يعذره
اذا كان هذا حيوة الفقير فاصلح ما كان فى المقبره

فلما سمع الخليفة انشاده قال لجعفر انظر هذا الرجل الفقير و انظر

Digitized by Google

الصبية و ظلمها و اخذ مالها و هو اقرب الناس اليك ثم ان العفريتة اخذت طاسة من الماء و عزمت عليها وتكلمت بكلام لا افهم و رشت وجه الكلبتين و قالت لهم عودوا الى صورتكم الاولى البشرية فعادوا الى صورتهم التي كانوا عليها ثم قالت العفريتة يا امير المؤمنين ان الذي ضرب الصبية ولدك الامين اخ المامون فانه كان يسمع بحسنها و جمالها و نصب عليها حيلة و تزوجها بالحلال و هو ماله ذنب في ضربها فانه اشترط عليها و حلفها ايمانا عظيمة ان لا تفعل شيئا و قد خانت اليمين فاراد قتلها فخاف الله تعالى فضربها هذا الضرب و اعادها الى مكانها و هذه قصة البنت الثانية والله اعلم فلما سمع الخليفة ذلك من كلام العفريتة و علم ضرب الصبية تعجب كل العجب و قال سبحان الله العلي العظيم الذي منّ عليّ بهذا و تخلص البنتين من السحر و العذاب و منّ عليّ بخبر هذه الصبية و الله لاعملن عملا يكتب بعدي ثم احضر ولده الامين بين يديه و سأله عن قصة الصبية الاولى فاخبره على وجه الحق ثم احضر القضاة و الشهود و احضر القرندلية الثلثة و احضر الصبية الاولى و اخواتها اللتين كانتا مسحورتين و زوج الثلث للثلثة القرندلية الذين اخبروا انهم كانوا ملوكا و عملهم حجابا عنده و اعطاهم ما يحتاجون اليه و اجرى لهم جرايات و انزلهم في قصر بغداد و رد الصبية المضروبة لولده الامين و جدد كتابه و اعطاها مالا كثيرا و امر ان تبنى الدار احسن ما كانت و اما الخليفة فقد تزوج بالخشكاشة و رقد في تلك الليلة معها فلما اصبح افرد لها بيتا وجوارى لخدمتها و رتب لها رواتب و جعل لها بيتا بسراريه فتعجب الناس من كرم الخليفة و سماحة نفسه و حكمته ثم امر الخليفة ان يورخوا

Digitized by Google

اجتمعنا بثلثة تجار محتشمين من الموصل و حكونا حكايتهم و تحادثنا معهم و كنا شرطنا عليهم شرطا فخالفونا فيه فاننا قابلناهم على مخالفتهم و استخبرناهم عما جرى لهم فحكوا لنا حكايتهم و ما جرى لهم فعفونا عنهم و انفصلوا عنا و ما نشعر اليوم حتى حضرنا بين يديك و هذه حكايتنا فتعجب الخليفة منها و جعل لها تاريخا في خزانته و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة عشر قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخليفة امر ان تكتب هذه القصة في الدواوين و يجعلوها في خزانة الملك ثم انه قال للصبية الاولى هل عندك خبر من العفريتة التي سحرت اخواتك قالت يا امير المؤمنين انها اعطتني شيأ من شعرها و قالت متى اردتي حضوري فاحرقي من هذا الشعر شعرة فاحضر اليكِ عاجلا و لو كنت خلف جبل قاف فقال الخليفة احضري لي الشعر فاحضرته الصبية فاخذه الخليفة و حرقه فلما ظهرت رائحته اهتز القصر و سمعوا دويا و قرقعة واذا بالجنية حضرت وكانت مسلمة فقالت السلام عليك يا خليفة الله فقال و عليكم السلام و رحمة الله و بركاته فقالت اعلم ان هذه الصبية زرعت معي جميلا و لا اقدر اكافيها عليه و هي انقذتني من الموت و قتلت عدوي و رأيت ما فعلت معها اخواتها فما رأيت الا اني انتقم منهم و اسحرهم كلابا بعد ان اردت قتلهم فخشيت ان يصعب عليها و الآن ان اردت خلاصهم يا امير المؤمنين اخلصهم كرامة لك و لها فاني من المسلمين فقال لها خلصيهم و بعد ذلك نشرع في امر الصبية المضروبة و نفحص عن حالها فاذا ظهرلي صدقها اخذت ثارها ممن ظلمها فقالت العفريتة يا امير المؤمنين ها انا اخلصهم و ادلك على من فعل بهذه

Digitized by Google

سفرجل و نزل به على جسدي بالضرب و لم يزل يضربني على ظهري و اجنابي حتى غبت عن الوجود من شدة الضرب و قد ايست من حيوتي فامر العبيد انه اذا دخل الليل يحملوني و ياخذوا العجوز معهم تدلهم على البيت و يرموني في بيتي الذي كنت فيه سابقا ففعلوا ما امرهم به سيدهم و رموني في بيتي و راحوا و لازلت انا في غشوتي الا و الصباح قد لاح فلاطفت حالي فى المراهم و الادوية و داويت جسمي و بقيت اغلاعي كأنها مضروبة بالمقارع كما تري و رقدت ضعيفة طريحة الفراش اداوي روحي اربعة اشهر حتى استفقت و شفيت و جئت الى الدار التي جرى لي فيها ذلك الامر فوجدتها خرابا و الزقاق مهدودا من اوله الى آخره و صارت الدار كيمانا و لم اعلم خبرها فجئت الى اختي هذه التي من ابي فوجدت عندها هاتين الكلبتين السود فسلمت عليها و اخبرتها بخبري و جميع حديثي فقالت لي يا اختي من ذا الذي من نكبات الزمان سلم الحمد لله الذي جاء الامر بسلامة و جعلت تقول

و ما الدهر الا هكذا فاصطبر به اذا رزيت بمال او فراق حبيب

ثم اخبرتني بخبرها و ما جرى لها مع اخواتها و ما قد صاروا اليه فقعدت انا و هي لا نذكر خبر الزواج على السنتنا ثم صاحبتنا هذه الصبية الخوشكاشة في كل يوم تخرج تشتري لنا ما نحتاج اليه من المصالح في يومنا و ليلتنا و صرنا على هذه الحالة الى هذه الليلة التي مضت فخرجت اختنا تشتري لنا شيئا على جري عادتها فوقع لنا ما وقع بمجيئ الحمال و هؤلاء الثلثة القرندلية فتحادثنا معهم و ادخلناهم عندنا و اكرمناهم و لم يذهب من الليل برهة حتى

Digitized by Google

بالكلام لعله يعتقني من القتل و لو كان يأخذ جميع ما املك ثم شكوت اليه ما اجده و انشدت اقول هذه الابـــــيـــــات

و حقك لو انصفتني ما قتلتني ولكن حكم البين ما فيه منصف
و حملتني ثقل الغرام وانني لاعجز عن حمل القميص و اضعف
و ما عجبي اتلاف روحي وانما عجبت لجسمي بعدكم كيف يعرف

فلما فرغت من شعري بكيت فنظرني و نهرني و شتمني و انشد يقول هذه الابـــــيـــــات

تشاغلتم عنا بصحبة غيرنا و اظهرتم الهجران ما هكذا كنا
هاتركم من حيث ما قد تركتموا و نصبر عنكم حق صبركم عنا
و نشغل عنكم مذ شغلتم بغيرنا و نجعل قطع الوصل منكم ولا منا

فلما فرغ من شعره صرخ على العبد و قال له وسّطها و ريحنا منها فليس لنا فيها فائدة فبينما نحن يا امير المؤمنين نتشاجر بالاشعار و قد تحققت بالموت و ايست من الحيوة و سلمت امري لله تعالى و اذا بالعجوز دخلت و رمت نفسها على اقدام الشاب و باستهم و بكت و قالت يا ولدي بحق تربيتي لك و خدمتي تعفو عن هذه الصبية فانها ما فعلت ذنبا يوجب ذلك و انت شاب صغير اخاف عليك ان تدخل في اثمها و قد قيل كل قاتل مقتول و ايش هذه الوسخة اتركها عنك و عن بالك و قلبك ثم بكت و لم تزل تلح عليه حتى رضي و قال عفوت عنها لكن لابد ان اعمل اثرا يصير عليها بقية عمرها ثم امر العبيد فجذبوني و مدوني بعد ما جردوني من اثوابي و جلست العبيد عليّ و قام الغلام و احضر قضيبا من

Digitized by Google

ثم قال للعبد اضربها يا سعد فلما تحقق العبد جلس علي و قال يا سيدتي اذكري الشهادة و ما كان لك من الحوائج اخبريناه فان هذا آخر حيوتك فقلت له يا عبد الخير تمهل علي قليلا حتى اوصيك فرفعت راسي و نظرت الى حالي وكيف صرت في الذل بعد العز فجرت عبرتي و بكيت بكاءا شديدا فنظر الي بعين الغضب و انشد يقول

قل لمن مل وصلنا و جفانا و ارتضى في الهوى خليلا سوانا
بسنا منك قبل بسك منا الذي كان بيننا قد كفانا

فلما سمعته يا امير المؤمنين بكيت و نظرت اليه و انشدت اقول هذه الابيات شعر

اقمتم فراقي في الهوى و قعدتم و اسهرتم جفني القريح و نمتم
و الفيتم بين السهاد و ناظري فلا القلب يسلاكم و لا الدمع يكتم
و عاهدتموني انكم تحسنوا الوفا فلما تملكتم فوادي غدرتم
عشقتكم طفلا فلم ادر ما الهوى فلا تقتلوني انني متعلم
سالتكموا بالله ان مت فاكتبوا على لوح قبري ان هذا متيم
لعل شجيا عارفا لوعة الهوى يمر على قلب المحب فيرحم

فلما فرغت من شعري بكيت فلما سمع الشعر و نظر الى بكائي ازداد غيظا على غيظه و انشد يقول

تركت حبيب القلب لا عن ملالة و لكن جنى ذنبا يؤدي الى الترك
اراد شريكا فى المحبة بيننا و ايمان قلبي لا يميل الى الشرك

فلما فرغ من شعره بكيت و تضرعت له و قلت في نفسي اخدعه

Digitized by Google

بزوجي دخل و قال ما الذي اصابك يا سيدتي في هذه الخرجة فقلت له ما انا طيبة وجع في راسي فنظر الي فاوقد شمعة و قرب مني و قال ما هذا الجرح الذي في خدك و هو في المكان الناعم فقلت اني لما استاذنتك و خرجت في هذا النهار اشتري القماش زاحمني جمل حطب فشرمط نقابي و جرح خدي كماترى فان المكان ضيق في هذه المدينة فقال غدا اروح للحاكم و اقول له يشنق كل حطاب في المدينة فقلت بالله عليك لا تحتمل خطيئة احد فاني ركبت حمارا فعثر بي فنزلت على الارض فصادفني عود خدش خدي و جرحني فقال غدا اطلع لجعفر البرمكي و احكي له الحكاية فيقتل كل حمار في هذه المدينة فقلت انت تضيع الناس كلهم بسببي و هذا الذي جرى لي بقضاء الله و قدره فقال لابد من ذلك و لج علي بالكلام و نهض قائما فنفرت منه و اغلظت كلامي عليه فعند ذلك يا امير المؤمنين علم بحالي و قال خنتني اليمين و صاح صيحة عظيمة فانفتح الباب و طلع منه سبع عبيد سود و امرهم فسحبوني من فرشي و رموني وسط الدار و امر عبدا منهم ان يمسكني من اكتافي و يجلس على راسي و امر الثاني ان يجلس على ركبتي و يمسك رجلي و جاء الثالث و في يده سيف فقال له يا سيدي اضربها بالسيف اقسمها نصفين و كل واحد ياخذ قطعة يرميها في بحر الدجلة يأكلها السمك و هذا جزاء من يخون الايمان و المودة و اشتد غضبه و انشد يقول هذه الابيات

ان كان لي فيمن احب مشاركا منعت الهوى روحي ولوا تلفه وجدي
و قلت لها يا نفس موتي كريمة فلا خير في حب يكون على ضد

Digitized by Google

تعرفه العجوز و قالت لي هذا و لد صغير مات ابوه و خلف له مالا كثيرا و عنده متجر عظيم و ما طلبتِه تجده و ما عند احد في السوق احسن من قماشه ثم قالت له هات اعز ما عندك من القماش لهذه الصبية فقال سمعا و طاعة فشكرت فيه العجوز فقلت ما لنا حاجة بشكرك فيه و مرادنا ناخذ حاجتنا منه ونعود الى منزلنا فاخرج لنا ماطلبناه و اخرجنا له الدراهم فابى ان ياخذ شيئا و قال هذه ضيافتكم اليوم عندي فقالت العجوز ان لم تاخذ الدراهم و الا اعطيه قماشه فقال و الله لا آخذ منك شيئا و الجميع هدية من عندي في بوسة واحدة فانها عندي احسن من جميع ما في دكاني فقالت العجوز ما الذي يفيدك من البوسة ثم قالت يا بنتي سمعتِ ما قال هذا الشاب و ما يصيبك اذا اخذ منك بوسة و تاخذي ما تطلبيه فقلت لها انت ما تعرفي اني حالفة فقالت خليه يبوسك و انت ساكتة و لا عليكِ شيء و تا خذي هذه الدراهم و لا زالت تحسن لي هذا الامر حتى ادخلت راسي الجراب و رضيت بذلك ثم اني غطيت عيني و داريت بطرف ازاري من الناس و حط فمه تحت ازاري على خدي فلما باسنى عضني عضة قوية تطع من خدي اللحمة فغشي علي ثم اخذتني العجوز في حضنها فلما افقت وجدت الدكان مقفولة و العجوز تظهر لي الحزن و تقول دفع الله ماكان اعظم ثم قالت لي قومي بنا الى البيت و شدي روحك لئلا تنفضحي فاذا وصلتِ الى البيت ارقدي و تضاعفي روحك مريضة و ارمي عليك الغطا و انا اجيء لك بدواء تداوي به هذه العضة فتبرءُ سريعا فبعد ساعة قمت من مكاني و انا في غاية الفكر و اشتد بي الخوف و مشيت قليلا قليلا حتى وصلت البيت و صرت في حالة المرض فلما دخل الليل و اذا

Digitized by Google

قد تجوبت فى الدار قلت للصبية سمعا و طاعة ففرحت و صفقت على يديها و فتحت بابا و خرج منه شاب مليح الشباب نقي الاثواب بقد و اعتدال و حسن و جمال و بهاء وكمال و رخيم الدلال بحاجب كقوس نبال و عيون تختلس القلوب بالسحر الحلال كما قال فيه بعض واصفيه شعر

له وجه كوجه الهلال و آثار السعادة كاللآلي

وايضا لله در قائله شعر

تبارك بحسن تبارك الله جل الذي صاغه و سواه
قد حاز كل الجمال منفردا كل الورى في جماله تاهوا
قد كتب الحسن فوق و جنته اشهدان لا مليح الا هو

فلما نظرت اليه مال قلبي له و حببته فجلس بجانبي و تحدثت معه ساعة ثم صفقت الصبية ثاني مرة و اذا بخرستان قد انفتح و خرج منه قاض و معه اربع شهود فسلموا و جلسوا و كتبت الكتاب على الشاب و انصرفوا فالتفت الشاب الي و قال لي ليلة مباركة ثم قال يا سيدتي اشرط عليك شرطا فقلت يا سيدي و ما الشرط فقام و احضر لي مصحفا و قال احلفي انك لاتنظري احدا غيري و لا تميلي اليه فحلفت على ذلك ففرح فرحا شديدا و عانقني فاخذت محبته مجامع قلبي و قدموا لنا السماط فاكلنا و شربنا حتى اكتفينا و دخل علينا فاخذني و دخل الى الفراش ولم يزل في بوس و عناق الى الصباح و لم يزل على هذه الحالة مدة شهر و نحن في هنأ و سرور و بعد الشهر استاذنته في اني اسير الى السوق و اشتري بعض قماش فاذن لي فى الرواح فتزينت و اخذت العجوز معي و جارية و نزلت الى السوق فجلست على دكان شاب تاجر

Digitized by Google

مفروشا بالبسط و معلق فيه قناديل موقودة و شموع مصفوفة فيها الجواهر و المعادن فمشينا من الدهليز الى ان دخلنا قاعة لا يوجد لها نظير مفروشة بالفراش الحرير معلق فيها القناديل موقودة و الشموع صفين و في صدر القاعة سرير من العرعر مرصع بالدر و الجوهر و عليه بشخانة اطلس مزرر و لم نشعر حتى خرجت صبية من البشخانة فنظرت اليها يا امير المؤمنين فاذا هي اكمل من البدر اذا بدر بجبين ازهر كالصبح اذا اسفر كما قال الشاعر حيث يقول

انت على القصرات القيصريات خود من الخفرات الكسرويات
تبدو دلائل خديها موردة ياحسن تلك الخدود العندميات
هيفاء فاترة الالحاظ ناعسة حازت من الحسن انواع الملاحات
كأن طرتها من فوق غرتها ليل الهموم علي صبح المسرات

فنزلت الصبية من البشخانة و قالت لي مرحبا و اهلا و سهلا بالاخت العزيزة الجليلة و الف مرحبا ثم انشدت تقول هذه الابيات

لو تعلم الدار من قد زارها فرحت واستبشرت ثم باست موضع القدم
وانشدت بلسان الحال قائلة اهلا و سهلا باهل الجود و الكرم

ثم جلست و قالت لي يا اختي ان لي اخا و قد رآك في بعض الافراح و المواسم و هو شاب احسن مني و قد حبك قلبه حبا شديدا لانك حزت من الحسن و الجمال اوفى نصيب و سمع انك سيدة قومك و هو ايضا سيد قومه فاراد ان يصل حبله بحبلك و اعطى هذه الحيلة لاجل اجتماعي بك و يريد يتزوج بك بسنة الله و رسوله و ما في الحلال من عيب قالت فلما سمعت كلامها و رأيت نفسي

Digitized by Google

هذه المدينة ولا نعرف احدا من اهلها و قد انكسرت قلوبنا فاربحى الاجر و الثواب بانك تحضري جلاها حتى تسمعوا استات مدينتنا بانك حضرتي فيحضرن فتكوني جبرة خاطرها فانها مكسورة الخاطر ليس لها الا الله تعالى و بكت و قبلت رجلي و جعلت تقول هذه الابيات

حضوركم لنا شرف ونحن بذلك نعترف
فان غبتم عنا فلا عوض لنا ولا خلف

فاخذتنى الرحمة و الرأفة فقلت سمعا و طاعة و قلت لها انا اعمل معها شيء مع مشيئة الله تعالى و ما اجليها الا بحللي و مصاغي و تراكبي ففرحت العجوز و طأطأت على رجلي تقبلهم و قالت الله يجازيك خيرا و يجبر قلبك مثل ما جبرتِ قلبي و لكن سيدتي لا تكلفي خدمتك من هذا الوقت و لكن تجهزي للعشاء حتى اجيء آخذك و باست يدي و ذهبت فقمت عدلت نفسي و حالي و اذا بالعجوز قد اقبلت و قالت يا سيدتي ان ستات البلد قد حضرن و اخبرتهم بحضورك ففرحوا و هم في انتظارك متطلعين قدومك و تازرت فقمت و اخذت جواري معي و سرت حتى اتينا الى زقاق مكنوس مرشوش هب فيه النسيم و راق فقدمنا الى باب مقنطر بقبة من الرخام شديدة البنيان على باب القصر قد قام من التراب و تعلق بالسحاب مكتوب على الباب هذه الابيات شعر

انا دار بنيت للافراح طول دهري للبسط و الانشراح
وبوسطي فسفية تتدفق بمياه تزيل بالاتراح
وعليها من الشقيق زهور ورد آس و نرجس و اقاح

فلما وصلنا الى الباب طرقته العجوز ففتح لنا و دخلنا فوجدنا دهليزا

Digitized by Google

جميع ما جرى لك معهم و اما الشاب فانه غرق ثم حملتني و الكلبتين و رمتنا فوق سطح داري فرأيت جميع ما كان فى المركب من الاموال في وسط بيتي و لم يضع منه شيءٌ ثم ان الحية قالت لي و حق النقش الذي على خاتم سيدنا سليمان عليه السلام اذا لم تضربي كل واحدة منهن كل يوم ثلثمائة سوط جئت و جعلتك مثلهما فقلت سمعا و طاعة فلم ازل يا امير المؤمنين اضربهما ذلك الضرب و اشفق عليهما و هما يعرفان ان ما لي ذنب في ضربهما و يقبلان عذري و هذه قصتي و حكايتي قال صاحب الحكاية فتعجب الخليفة من ذلك ثم قال للصبية الثانية و انت ما سبب الضرب الذي على جسدك فقالت يا امير المومنين اني كان لي والد فتوفي و خلف مالا كثيرا فاقمت بعده مدة يسيرة و تزوجت برجل اسعد اهل زمانه فاقمت معه سنة و مات فورثت منه ثمانين الف دينار ذهب و هي حصتي بالفريضة الشرعية و فقت في السعادة و شاع خبري فعملت عشر بدلات كل بدلة بالف دينار فبينما انا جالسة في يوم من الايام اذ دخلت علي عجوز بخد مشموط و حاجب ممقوط و عيون مفجرة و اسنان مكسرة و وجه انمش و لحظ اعمش و رأس مجصص و شعر اشهب و جسم اجرب و قد مائل و لون حائل و مخاط سائل كما قال فيها القائل شعر

عجوز النحس لا يرحم صباها و لا يغفر لها يوما تموت
تقود من السياسة الف بغل اذا نفروا بخيط العنكبوت

فلما دخلت العجوز سلمت علي و باست الارض بين يدي و قالت لي عندي بنت يتيمة و الليلة عملت عرسها و جلاها و نحن غرباء في

Digitized by Google

قدر الله اني كنت من السالمين فلما استقريت في البحر رزقني الله بقطعة خشب فركبتها و ضربتني الامواج الى ان رمتني على ساحل جزيرة فلم ازل امشي فى الجزيرة باقي ليلتي و لما اصبح الصباح رأيت طريقا مشى على قدر قدم ابن آدم متصلة من الجزيرة الى البر و قد طلعت الشمس فنشفت اثوابي فى الشمس و اكلت من ثمار الجزيرة و شربت من مائها و سرت فى الطريق و لم ازل سائرة الى ان قربت من البر و قد بقي بيني و بين المدينة ساعتين و اذا انا بحية عامدة علي و هي في غلظ النخلة تسعى سعيا مسرعا و قد اقبلت نحوي فرأيتها تاخذ يمينا و شمالا حتى وصلت عندي فاذا بلسانها قد تدلى على الارض مقدار شبر و تجرف التراب بطولها و خلفها ثعبان طاردها و هو طويل رقيق طول رمح و هي هاربة منه و تلتفت يمينا و شمالا و قد قبض ذنبها و سالت دمعها و قد تدلى لسانها من شدة الهرب فاخذتني الشفقة عليها فعمدت الى حجر و القيته على رأس الثعبان فمات من وقته ففتحت الحية جناحين و طارت فى الجو حتى غابت من عيني و جلست اتعجب من ذلك و قد تعبت و لحقني النعاس فنمت موضعي ساعة فلما افقت وجدت تحت رجلي جارية ومعها كلبتان و هي تكبس رجلي فاستحييت منها و قعدت جالسا و قلت لها يا اختي من تكوني فقالت ما اسرع ما نسيتِني انا التي عملتِ معي الجميل و زرعتِ المعروف و قتلتِ عدوي فانا الحية التي خلصتِني من الثعبان فاني جنية و هذا الثعبان جني و هو عدوي و ما نجاتي منه الا بكِ فلما نجيتِني منه طرت فى الريح و رحت الى المركب التي رموك منها اخواتك فنقلت جميع ما فيها الى بيتك و غرقتها و اما اخواتك فجعلتهما كلبتين سودا فاني عرفت

Digitized by Google

فلما كانت الليلة الثامنة عشر قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الصبية ما زالت تحسن للشاب التوجه معها حتى قال لي نعم فبت تلك الليلة تحت رجليه و انا لا اصدق ما انا فيه من الفرح فلما اصبح الصباح قمنا و دخلنا الى الخزائن و اخذنا ما خف حمله و غلا ثمنه و نزلنا من القلعة الى المدينة فقابلنا العبيد و الرئيس و هم يفتشون علي فلما راوني فرحوا و اخبرتهم بما رأيت و حكيت لهم على قصة الشاب و سبب سخط هذه المدينة و ما جرا لهم فتعجبوا من ذلك ولما راوني اخواتي هاتين الكلبتين و معي ذلك الشاب حسدوني عليه و صاروا في غيظ و اضمروا المكر ثم طلعنا المركب فرحين و نحن طائرين من الفرح بالكسب و اما فرحي اكثر كان بالشاب و اقمنا ننتظر الريح فطاب لنا الريح فا فردنا القلوع و سافرنا فقعدت اخواتي عندنا و صرنا نتحدث فقالتا لي يا اختنا ما تصنعين مع هذا الشاب الحسن فقلت لهم قصدي اتخذه بعلا ثم التفت اليه و اقبلت عليه و قلت يا سيدي قصدي اقول لك شيئا لاتخالفني فيه و هو انه اذا وصلنا الى بغداد مدينتنا فانا اقدم نفسي لك جارية برسم الحرم و تكون لي بعلا و اكون انا لك اهلا فقال سمعا و طاعة و التفت الى اخواتي و قلت لهم يكفيني هذا الشاب و كل من كسب شيئا فهوله فقلن لي نِعْم ما فعلت لكنهم اضمروالي الشر و لم نزل سائرين و طاب لنا الريح حتى خرجنا من بحر الخوف و دخلنا الامان و سافرنا اياما قلائل الى ان قربنا من مدينة البصرة و لاحت لنا اسوارها فادركنا المساء فلما اخذنا النوم قامت اخواتي و حملوني بفراشي و رموني في البحر و كذلك فعلوا بالشاب و كان لا يحسن العوم فغرق و كتبه الله من الشهداء و اما انا ليتني كنت غرقت معه و لكن

Digitized by Google

ايام ثلاثل و قد ماتت العجوز و زاد اهل المدينة في كفرهم و عتوهم و ضلالهم فبينما هم على ما هم فيه اذ سمعوا مناديا ينادي با على صوته مثل الرعد القاصف سمعه القريب و البعيد يقول يا اهل هذه المدينة ارجعوا عن عبادة النيران و اعبد وا الله الملك الرحمن فحصل عند اهل المدينة فزع و اجتمعوا عند ابي و هو ملك المدينة و قالوا له ما هذا الصوت المزعج الذي سمعناه فادهشنا من شدة فزعه فقال لهم لا يهولنكم الصوت و لا يخوفكم ولا يردكم عن دينكم فمالت قلوبهم الى قول ابي و لم يزالوا مكبين على عبادة النار و زادوا في طغيانهم الى مدة سنة لميعاد ما سمعوا الصوت الاول فظهر لهم ثانيا فسمعوه و ثالثا على ثلث سنين في كل سنة مرة فلم يزالوا عاكفين على ما هم عليه حتى نزل عليهم المقت و السخط من السماء بعد طلوع الفجر فسخطوا احجارا سودا و دوابهم و انعامهم و لم يسلم من اهل هذه المدينة غيري و من يوم جرت هذه الحركة و انا على هذه الحالة في صلوة و صيام و تلاوة قرآن و قد عيل صبري من الوحدة و ما عندي من يؤنسني فعند ذلك قلت له و قد سلب لبي يا هذا الشاب هل لك ان تروح معي الى مدينة بغداد و تنظر الى العلماء و الفقهاء و تزداد علما و فهما و فقها و اعلم ان الجارية التي قدامك سيدة قومها و حاكمة على رجال و خدم و غلمان و عندي مركب موثوق بالمتجر و قد رمتنا المقادير على هذه المدينة حتى كان سببا في اطلاعنا على هذه الامور و كان النصيب في اجتماعنا و لم ازل احسن له التوجه و الاطفه و اتحايل عليه حتى قبل و انعم به و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

Digitized by Google

و بجيده و بحسن قامته التي قد اطلعت رمانها في صدره
و بردفه المرتج في حركاته و سكونه و برقة في خصره
و حرير ملمسه و خفة روحه و بما حواه من الجمال باسره
و بجود راحته و صدق لسانه و بطيب مولده و عالي قدره
ماالمسك ان عرفوه الاعرفه والريح عنبر نشرها من نشره
وكذلك الشمس المنيرة دونه مما حكته قلامة من ظفره

فنظرت له نظرة اعقبتني الف حسرة و تعلق قلبي بمحبته فقلت له يا مولاي اخبرني عن ما سألتك فقال سمعا و طاعة اعلمي يا امة الله ان هذه المدينة مدينة والدي و هو الملك الذي نظرتيه علي الكرسي و هو حجر اسود مسخوطا عليه و اما الملكة التي قد نظرتيها فى البشخانة فهي امي و جميع اهلها مجوس يعبدون النار دون الملك الجبار وكان يقسمون بالنار و النور و الظل و الحرور و الفلك الذي يدور وكان ابي ليس له ولد و رزق بي في آخر عمره فرباني حتى نشأت و قد سبقت لي السعادة و كان عندنا عجوز طاعنة فى السن مسلمة تؤمن بالله و رسوله في الباطن و توافق اهلي فى الظاهر و كان ابي يعتقد فيها بما يري عليها من الامانة و العفة و كان يكرمها و يزيد في اكرامها وكان يعتقد انها في دينه فلما كبرت سلمني ابي اليها و قال خذيه ربيه و علميه احوال ديننا و احسني تربيته و قومي بخدمته فاخذتني العجوز و علمتنى دين الاسلام من الوضوء و فرائض الوضوء و الصلوة و حفظتني القرآن و قالت لا تعبد سوى الله تعالى فلما تممت ذلك قالت لي يا ولدي اكتم هذا الامر عن ابيك و لا تعلمه به لئلا يقتلك فكتمته عنه و لم ازل على هذا الحال مدة

Digitized by Google

و عليها شاب جالس حسن المنظر و قدامه ختمة مكرسة و هو يقرأ فتعجبت كيف هو سالم دون اهل المدينة فدخلت و سلمت عليه فرفع بصره و رد علي السلام فقلت له اسألك بحق ما تلوته من كتاب الله الا ما اجبتني عن سؤالي و الشاب ينظر الي و يتبسم وقال ايتها الامة اخبريني انت عن سبب دخولك هذا المكان و انا اخبرك بما جرى علي وعلى اهل هذه المدينة و سبب خلاصي فاخبرته بخبري فتعجب من ذلك ثم اني سألته عن خبر اهل هذه المدينة فقال امهليني يا اختي ثم طبق الختمة و شالها في كيس اطلس و اجلسني الى جانبه فنظرت اليه فاذا هو كالبدر اذا بدر حسن الاوصاف لين الاعطاف حسن المنظر كأنه قالب سكر معتدل القوام كما قيل فيه هذه الابـــيــــات

رصد المنجـم ليلة فبـدا له قد المليـح يـلـوح في برديه
و اقامه زحلُ السوادَ بشعـره وحباه لون المسك في صدغيه
و جرى من المريخ حمرة خده والقوس يرمي النبل من جفنيه
و عـطـارد اعـطـاه فرط ذكائه و ابى الـسها نظر الوشاة الـيـه
فبقي المنجـم حائرا لمـا رأى و البدر باس الارض بين يديه

و قد البسه الله تعالى حلة الكمال و طرزها من عذاره بالبهاء و الجمال كما قال فيه الشاعـــــر

قسما بنشـوة جفنه و بخصـره و باسهم قد راشها من سحره
وبلين عطفيه و مرهف لحظه و بياض غرته و اسود شـعـره
وبحاجب منع الكرى عن ناظري وسطـا علي بـنـهـيـه و بامره
و بورد خديـه و آس عذاره وعقيق مبسمه و لؤلؤ ثـغـره

Digitized by Google

لابسين انواع الحرير و في ايديهم السيوف مجردة فلما نظرت ذلك دهش عقلي ثم مشيت و دخلت قاعة الحريم فوجدت في حيطانها ستائر من الحرير منقوشة بقضبان الذهب و وجدت الملكة نائمة و عليها بدلة من اللؤلؤ الرطب و على رأسها تاج مكلل بانواع الفصوص و في عنقها قلائد و عقود و جميع ما عليها من الملبوس و المصاغ على حاله وهي مسخوطة حجرا اسود و وجدت بابا مفتوحا فصعدت اليه و هو مكان بسبع درج فوجدته موضع مرخم مفروش بالبسط المذهبة و وجدت فيه سريرا من العرعر مرصع بالدر والجوهر و رمانين من الزمرذ و عليه بشخانة مرخية منظومة باللؤلؤ و نظرت نورا خارجا من باب البشخانة فطلعت فوقه فوجدت جوهرة قدر بيضة الاوزة في صدر البشخانة على كرسي صغير و هو يوقد كالشمعة و نورها ساطع و مفروش على ذلك السرير من انواع الحرير ما يحير الناظر فلما نظرت ذلك تعجبت و رأيت في ذلك المكان شموعا موقدة فقلت لابد ان احدا اوقد هذه الشموع ثم اني مشيت و دخلت الى موضع غيره و صرت افتش و ادور في الاماكن و نسيت نفسي مما لحقني من العجب من تلك الاحوال و غرقت في فكري الى ان دخل الليل فاردت الخروج فلم اعرف الباب و تهت فعدت الى البشخانة التي فيها الشمع موقود و جلست على السرير و تغطيت بلحاف بعد ان قرأت شيئا من القرآن و اردت النوم فلم استطع و لحقني القلق فلما انتصف الليل سمعت تلاوة القرآن بصوت حسن لكنه ضعيف الصوت ففرحت و تبعت الصوت الى ان جئت الى مخدع فرأيت بابه مردودا ففتحت الباب و نظرت المكان فاذا هو معبد و محراب و فيه قناديل معلقة موقودة و شمعتان وفيه سجادة مفروشة

Digitized by Google

و لم نعلم ذلك مدة و طابت لنا الريح عشرة ايام و بعد عشرة طلع الناطور ينظر فقال البشارة و نزل و هو فرحان و قال رأيت صفة مدينة و هي مثل الحمامة ففرحنا و ما مرت علينا ساعة من النهار الا و قد لاحت لنا مدينة على بعد فقلنا للرئيس ما اسم هذه المدينة التي اشرفنا عليها فقال و الله لا اعلم و لا رأيتها قط و لا سلكت عمري هذا البحر و لكن جاء الامر بسلامة فما بقي الا ان تدخلوا هذه المدينة و انظروا بضائعكم فان حصل لكم بيع بيعوا و تسوقوا مهما كان فيها و ان لم يحصل لكم بيع نرتاح يومين و نتزود و نسافر فدخلنا المدينة و طلع الرئيس اليها و غاب ساعة و اتى الينا و قال قوموا اطلعوا الى المدينة و تعجبوا في صنع الله في خلقه و استعيذوا من سخطه فطلعنا المدينة فلما اتيت الباب رأيت اناسا بايديهم عصيّ على باب المدينة فدنوت منهم و اذا هم مسخوطين و قد صاروا احجارا فدخلنا المدينة فوجدنا كل من فيها مسخوطا احجارا سودا لا فيها ديار و لا نافخ نار فاندهشنا من ذلك فشقينا الاسواق فوجدنا البضائع باقية و الذهب و الفضة باقية على حالها ففرحنا و قلنا لعل ان يكون لهذا شان فتفرقنا في شوارع المدينة و كل واحد اشتغل عن رفيقه بالكسب و المال و القماش و اما انا فطلعت الى القلعة فوجدتها محكمة فدخلت قصر الملك فوجدت جميع الاواني من الذهب و الفضة فعند ذلك رأيت الملك جالسا و عنده حجابه و نوابه و وزراؤه و عليه من الملابس شيٌ يحير فيه الفكر فلما قدمت الى الملك وجدته جالسا على كرسي مرصع بالدر و الجوهر عليه بدلة من الذهب و فيه كل جوهرة تضيٌ مثل النجمة و واقف حوله خمسون مملوكا

Digitized by Google

الحمام و السبتها بدلة و قلت لها يا اختي انت عوض ابي و امي و الارث الذي نابني معكم قد جعل الله فيه البركة و انا ازكي عليه و احوالي جليلة و انا و انتم سواء و احسنت لها غاية الاحسان فقعدت عندي مدة سنة كاملة و قد اشتغل خاطرنا على اختنا الاخرى فما كان قليلا الا و جاءت بزي انجس ما جاءت به الاخت الكبيرة فعملت معها اكثر ما عملت مع الاولى و بقي لهما مال من مالي ثم انهما بعد مدة قالتالي يا اختاه انا نريد الزواج اذ ليس لنا صبر على القعود بلا زوج فقلت لهم يا عيوني ما بقي في ازدواج خير و الآن الرجل الجيد عزيز الوجود و لم ار فيما ذكرتم صلاحا و انتم جربتم الزواج فلم يقبلوا كلامي و تزوجوا بغير رضائي فجهزتهم من مالي و سترتهم و مضوا مع ازواجهم فقعدوا مدة يسيرة و لعبوا عليهم ازواجهم و اخذوا ما كان معهم و سافروا و تركوهم فجاؤا عندي و هم خزايا و اعتذروا و قالوالا تواخذينا فانت اصغر منا سنا و اكمل عقلا و مابقينا نذكر الا زواج ابدا فاتخذينا جواري عندك ناكل لقمتنا فقلت مرحبا بكم يا اخواتي ما عندي اعز منكم و قبلتهم و زدتهم اكراما و لم نزل على هذه الحالة سنة كاملة فاردت ان اجهز لي مركبا الى البصرة فجهزت مركبا كبيرا و حملت فيها البضائع و المتاجر و ما نحتاج اليه في المركب و قلت يا اخواتي هل لكم ان تقعدوا في المنزل حتى اسافر و ارجع او تأتوا معي فقالوا نسافر معك فانا لا نطيق فراقك فاخذتهما و كنت قسمت مالي نصفين اخذت النصف و النصف الثاني اودعته وقلت ربما يصيب المركب شيئ و يكون في العمر مدة فاذا رجعنا نجد شيئا ينفعنا و سافرنا اياما و ليالي فتاهت بنا المركب و غفل الرئيس عن الطريق و دخل المركب بحرا غير البحر الذي نريده

Digitized by Google

فادخل الصبايا تحت الاستار و التفت لهم جعفر و قال لهم قد عفونا عنكم بما اسلفتم من الاحسان الينا و لم تعرفونا فها انا اعرفكم انتم بين يدي الخامس من بنى العباس الهارون الرشيد اخ موسي الهادي بن المهدي محمد بن ابي جعفر المنصور بن محمد اخ السفاح بن محمد فلا تخبروه الا حقا فلما سمعت الصبايا كلام جعفر عن لسان امير المؤمنين تقدمت الكبيرة و قالت يا امير المؤمنين لي حديث لو كتب بالابر على آماق البصر لصار عبرة لمن اعتبر و نصيحة لمن ينتصح و ادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة عشر قالت بلغني ايها الملك السعيد انها لما تقدمت بين يدي امير المؤمنين قالت لي حديث عجيب و هو ان هاتين الكلبتين السود اخواتي و نحن كنا ثلث اخوات شقائق من ام و اب و ان هاتين البنتين الواحدة التي عليها اثر الضرب و الاخرى الخوشكاشة من ام اخرى فلما مات و الدنا اخذ كل حصته من الميراث و بعد ايام تُوفّيَتْ و الدتي و خلفت لنا ثلثة آلاف دينار فاخذت كل بنت ميراثها الف دينار وكنت انا اصغرهم سنا فتجهزوا اخواتي و تزوجت كل واحدة برجل و قعدوا مدة ثم ان كل واحد عمى متجرا و اخذ كل واحد من زوجته الف دينار و سافروا مع بعض و رموني فغابوا خمس سنين و ضيع ازواجهم المال و انكسروا و تركوهم في بلاد الناس فبعد خمس سنين جاءتني الكبيرة في صفة شحاذة و عليها ثياب مشرمطة و ازار وسخ قديم و هي فى انجس الاحوال فلما رأيتها ذهلت عنها و لم اعرفها ثم اني لما عرفتها قلت لها ما هذا الحال فقالت يا اختنا ما بقي الكلام يفيد و جرى القلم بما حكم فارسلتها الى

Digitized by Google

خلني و ذهب عني فنزلت من على السطح فوجدت العشرة شباب العور فقالوا لي لا مرحبا بك و لا اهلا فقلت لهم ها انا قد صرت واحدا مثلكم و اشتهي تعطوني طبقة السواد اسخم بها وجهي و تقبلوني اجلس عندكم فقالوا و الله لا تجلس عندنا واخرج من هنا فلما طردوني و ضاق لي الامر و افتكرت على ماجرى على ناصيتي خرجت من عندهم حزين القلب باكي العين و قلت خفيفة كنت قاعدا بطولي فما خلاني فضولي فحلقت ذقني و شواربي و طفت في بلاد الله وكتب الله لي السلامة حتى و صلت الى بغداد في مساء هذه الليلة فاجد هؤلاء الاثنين الواقفين حائرين فسلمت عليهم و قلت انا غريب فقالوا و نحن ايضا غرباء و اتفقنا نحن الثلثة القرندلية عور من اليمين و هذا يا سيدتي سبب حلق ذقني و قلع عيني فقالت له ملس على رأسك و رح فقال و الله لا اروح حتى اسمع قصة هؤلاء ثم ان الصبية التفتت الى الخليفة و جعفر و مسرور و قالت لهم احكوا لي على خبركم فتقدم جعفر و حكى لها الحكاية التي قالها للبوابة عند دخولهم فلما سمعت كلامه قالت و هبتكم لبعضكم فخرجوا الى ان صاروا فى الزقاق فقال الخليفة للقرندلية يا جماعة اين انتم قاصدين الآن و الفجر ما لاح فقالوا و الله يا سيدنا لاندري الى اين نذهب فقال لهم الخليفة سيروا و باتوا عندنا و قال لجعفر خذهم و احضرهم لي غدا نورخ ما جرى فامتثل جعفر ما امر له الخليفة ثم ان الخليفة طلع الى قصره و لم يعتره منام في تلك الليلة فلما اصبح الصباح جلس على كرسي المملكة و التفت الى جعفر بعد ان طلع ارباب الدولة و قال ائتني بالثلثة صبايا و الكلبتين و القرندلية فنهض جعفر و احضرهم بين يديه

Digitized by Google

ملك من الملوك و انشرح حينئذ خاطري و زال همي فقلت انا الآن ملك عصري و هذه الاموال من فضل الله عندي و اربعون جارية تحت يدي و ما عندهم احد غيري و لم ازل اتفرج من موضع الى موضع حتى مضت تسعة و ثلثون يوما و قد فتحت في هذه المدة الخزائن كلها الا الخزانة التي منعوني عن فتح بابها فبقي خاطري يا سيدتي مشتغلا بتلك الخزانة التي هي تمام اربعين و حكم علي الشيطان لاجل شقاوتي بان افتحها فلم اجد صبرا عن ذلك و لم يبق من الميعاد الا يوم واحد فقمت الى الخزانة المذكورة و فتحت بابها و دخلت فوجدت فيها رائحة ذكية لم استروح مثلها و خامرت عقلي تلك الرائحة فوقعت مغشيا على مقدار ساعة ثم قويت قلبي و دخلت الخزانة فرأيت ارضها مفروشة بالزعفران و قناديل من ذهب ومشموما يضوع نشر المسك و العنبر منها وهي تتقد نورا و رأيت مبخرتين عظيمتين كل واحدة منهما مملوة من العود و العنبر و المعسل و قد تعطر المكان من عرفهما و نظرت يا سيدتي جوادا ادهم كسواد الليل اذا اظلم و قدامه معلف من البلار الابيض فيه سمسم مقشور و معلف آخر مثله فيه ماء ورد ممسك و الجواد مشدود ملجم و سرجه من الذهب الاحمر فلما رأيته تعجبت منه و قلت في نفسي ان هذا لابد له من شان عظيم و اضلني الشيطان فاخرجته و ركبته فلم يبرح من مكانه فرفسته فلم يتحرك فاخذت المقرعة و ضربته بها فلما احس بالضربة صهل صراخا بصوت كالرعد القاصف و فتح له جناحين فطار بي و غاب عن الابصار في جو السماء ساعة ثم حطني على سطح و انزلني و نشني بذيله على وجهي قلع عيني اليمنى و سيلها على

Digitized by Google

اصفرار كما قال الـــــــــشـــــــــاعـــر

تفاحة جمعت لونين خلقتها   خد الحبيب و لون الهائم الوجل

ثم نظرت الى السفرجل و استروحت عرفه المزري برائحة المسك و العنبر و هو كما قال الشاعر و اخبر شــــــــعـــــــر

حاز السفرجل لذات الورى فغدا   على الفواكه بالتفضيل مشهورا
كالراح طعما و نشر المسک رائحة   و التبر لونا و شكل البدر تدويرا

ثم نظرت الى برقوق يروق العين حسنه كأنه ياقوت مخلوق ثم خرجت من ذلک المكان و اغلقت باب الخزانة كما كان و لما كان الغد فتحت خزانة اخرى و دخلتها فوجدت فيها ميدانا كبيرا و فيه نخل كبير و نهر جار و اشجار الورد و الياسمين و البرد قوش و النسرين و النرجس و المنثور مفروشة بحافته و قد هبت الرياح على تلک الرياحين فانتشر ذلک الطيب يمينا و شمالا و حصل لي من ذلک الحبور التام ثم خرجت من ذلک المكان و اغلقت باب الخزانة كما كان ثم فتحت باب الخزانة الثالثة فرأيت فيه قاعة كبيرة مفروشة بالرخام الملون و المعادن المثمنة و الاحجار الفاخرة و فيها اقفاص من الصندل و العود فيها طيور تغني مثل الهزار و المطوق و الشحرور و القمري و النوبي المغرد فطاب قلبي من ذلک و انفرج همي و نمت في ذلک المكان الى الصباح ثم فتحت باب الخزانة الرابعة فوجدت فيها بيتا كبيرا و في ذلک البيت اربعين خزانة مفتحة الابواب فدخلت فيهم فرأيت من اللؤلؤ و الياقوت و الزبرجد والزمرد و الجواهر النفيسة ما لا يوصف بلسان فاندهش عقلي من ذلک و قلت هذه الاشياء اظن انها لا توجد في خزانة

Digitized by Google

فنمت عندها باجمل ليلة الى الصباح و بالاختصار يا سيدتاه اقمت عندهن في ارغد عيش مدة سنة كاملة و في رأس السنة قلن لي ليتنا ماعرفناك فان سمعت منا كان فيه صلاح حالك و صاروا يبكون فتعجبت و قلت لهم ما الخبر فقالوا اننا نحن بنات ملوك و نحن مجتمعين هنا مدة سنين نغيب اربعين يوما و نقعد سنة نأكل و نشرب و نلذ و نطرب ثم نغيب و هذا دابنا و نخشى انك تخالفنا بعد ان نغيب عنك فيما نامرك به فها نحن نسلم اليك مفاتيح القصر و فيه اربعون خزانة فانت تفتح هذه التسعة و ثلثين بابا و الحذر ان تفتح الباب الاربعين فتفارقنا فقلت لهم لا افتحه ان كان فيه مفارقتكم ثم تقدمت منهن واحدة و عانقتني و بكت و قالت شعر

لئن ضمنا بعد التنائي تقرب تبسم وجه الدهر بعد قطوبه
و ان كحلت عيناي منكم بنظرة غفرت لدهري سالفات ذنوبه

ايضا و انشدت

و لما تدانت للفراق و قلبها حليفان يوما للصبابة و الوجدا
بكت لؤلؤا رطبا وفاضت مدامعي عقيقا فصار الكل في نحرها عقدا

فلما رأيت بكاها قلت و الله لا افتحه ابدا و ودعتها و خرجوا ثم طاروا فقعدت فى القصر وحدي و لما قرب المساء فتحت الخزانة الاولى و دخلتها فوجدت فيها بيتا كأنه الجنة و فيه بستان اشجاره مخضرة و ثماره يا نعة و اطياره صادحة و مياهه متدفقة فارتاح بها خاطري و تمشيت بين الاشجار و شممت روائح الازهار و سمعت غناء الاطيار و هي تسبح الواحد القهار و رأيت لون التفاح بين احمرار و

Digitized by Google

و الطاسات بيننا فدخل علي من الفرح ما انساني هموم الدنيا جميعها. و قلت هذا هو العيش ولازلت معهم حتى اتى وقت المنام فقالوا خذ معك ما تختار منا تنام عندك فاخذت واحدة منهن مليحة الوجه كحيلة الطرف دعجة الشعر فليجة الثغر كاملة الفنون بحاجب مقرون كأنها خوطان او قضيب ريحان تدهش و تحير الخاطر كما قال فيها الشاعر

نشبه بالغصن الرطيب جهالة و حاشا معاينها نشبه بالظبي
من اين للظبي العزيز قوامها و مشربها المعسول طابت مشربا
واعينها النجل القواتل فى الهوى سبين القتيل المستهام المعذبا
صبوت اليها صبوة جاهلية ولا عجب للمدنف الصب ان صبا

و انشدتها قول القائل

عيني لغير جمالكم لا تنظر و سواكم في خاطري لا يخطر
و جميع فكري في هواكم سادتي و على محبتكم اموت و احشر

فقمت و نمت ليلة معها ما رأيت احسن منها فلما اصبحت دخلن بي الحمام فغسلوني و البسوني من افخر الثياب و قدموا لنا الاكل فاكلنا و الشراب فشربنا و دارت الكوس بيننا الى الليل ثم اخترت منهن واحدة مليحة الاوصاف لينة الاعطاف كما قال فيها الشاعر حيث يقول

رأيت في صدرها حقان قد ختما بمسكة تمنع العشاق ضمهما
تحرسهما بسهام من لواحظها من يعتديها اصابته بسهمهما

Digitized by Google

تسخيم وجوهكم فقالوا كتمان سرنا اصلح فبقيت متحيرا في امورهم وانا امتنع من الاكل و الشرب فقلت لهم لا بدان تخبروني ما سبب ذلك فقالوا هذا فيه مشقة عليك لانك تبقى مثلنا فقال لابد من ذلك و الا دعوني اسافر من عندكم الى اهلي و استريح من نظري من هذه الاحوال و المثل يقول بعادي عنكم اجمل و احسن عين لا تنظر قلب لا يحزن فعمدوا الى كبش ذبحوه و سلخوه و قالوا لي خذ هذا الجلد معك و ادخل في هذا الجلد و خيطه عليك فانه يأتيك طير اسمه الرخ و يشيلك و يحطك على جبل فشق الجلد و تخرج منه فيخاف منك الطير فيروح و يخليك فامش نصف نهار تلقي قدامك قصرا غريب الصفة فادخل فيه و قد بلغت مُناك فدخولنا الى القصر هو سبب سخامة وجوهنا و قلع عيوننا و اما نحن اذا حكينا لك يطول شرحنا فان كل واحد منا جرت له حكاية في قلع عينه اليمنى ففرحت بذلك ثم فعلوا بي ما قالوا و حملني الطير و حط بي على الجبل فخرجت من الجلد و مشيت حتى دخلت القصر و اذا فيه اربعون جارية كالاقمار لا يشبع من ينظر اليهم فلما رأوني قالوا كلهم اهلا و سهلا بك و مرحبا يا مولانا و نحن لنا شهر في انتظارك فالحمد لله الذي اتانا لما يستحقنا و نستحقه ثم انهم اجلسوني على مرتبة عالية و قالوا انت اليوم سيدنا و الحاكم علينا و نحن جوارك و تحت طاعتك فأمر فينا بحكمك فعجبت من احوالهن و اتوني بطعام فاكلت انا و اياهم و قدموا لي الشراب و اجتمعن حولي وقاموا خمسة فرشوا حصيرة و رحبوا حولها من المشموم و الفواكه و النقل اشياء كثيرة و احضروا اليه المدام فجلسنا للشراب و اخذوا عودا و غنوا عليه و دارت الكؤس

Digitized by Google

و غاب و عاد و على راسه عشرة اطباق كل واحد مغطى بغطاء ازرق فقدم لكل شاب طبقا ثم اوقد عشرة شموع و اغرز على كل طبق شمعة ثم كشف الاغطية فبان من تحتها فى الاطباق رماد و دق فحم وسواد القدر فشمر الجميع عن سواعدهم و بكوا و انتحبوا وسخموا وجوههم و خبطوا اثوابهم و لطموا على وجوههم و دقوا على صدورهم و صاروا يقولون كنا قاعدين بطولنا ما خلانا فضولنا و لم يزالوا على هذا الى قرب الصبح فقام الشيخ و سخن لهم ماء فغسلوا وجوههم و لبسوا اثوابا غير الاول فلما رأيت ذلك يا ستاه ذهب عقلي و حار فكري و اشتغل سرى و نسيت ما جرى علي و لم استطع السكوت دون اني كلمتهم و سألتهم و قلت لهم ايش اوجب هذا بعد انشراحنا و تعبنا و انتم بحمد الله تعالى فيكم عقل تام و هذه الافعال لا يفعلها غير المجانين فاسألكم باعز الاشياء عليكم الا ما قلتم بي خبركم و سبب قلع اعينكم و سخامة و جوهكم بالرماد و السواد فالتفتوا و قالوا لي يا فتى لا يغرك شبابك و اعدل عن سؤالك ثم قاموا و قمت معهم فقدم الشيخ شيئا من الماكول فبعد ما اكلنا و انشالت الاواني قعدوا يتحدثون الى ان اقبل الليل فقام الشيخ و اوقد الشموع و القناديل و قدم لنا الاكل و الشرب فلما فرغنا قعدنا للمحادثة و المنادمة الى نصف الليل فقال الشباب للشيخ هات لنا راتبنا فقد جاء وقت النوم فقام الشيخ و اتى بالاطباق و فيهم الرمل الاسود ففعلوا مثل ما فعلوا اول ليلة و انا قاعد عندهم على هذا الحال مدة شهر و هم كل ليلة يسخمون وجوههم بالرماد و يغسلون وجوههم و يغيرون اثوابهم و انا اتعجب من ذلك و ازداد وسواسي بحيث اني امتنعت من الاكل و الشرب فقلت لهم ايها الفتيان ان لم تزيلوا همي و تخبروني عن سبب

Digitized by Google

بالسلامة و قمت خضت ما بقي من البحر و طلعت الى البر الاصيل فلقيت كيمان رمل تغوص رجل الجمل فيها الى الركب فقويت روحي و قطعت الرمل و اذا انا بنار تلوح من بعيد وهي تشتعل اشتعالا قويا فقصدتها لعلي اجد فرجا و انشدت اقول شـــــعـــــرا

عسى و لعل الدهر يلوي عنانه و يأتي بخير و الزمان غيور
ويسعف آمالي و يقضي حوائجي و تحدث من بعد الامور امور

ثم اني قصدت النار فلما قربت اليها و اذا بقصر بابه من النحاس الاصفر فلما اشرقت عليه الشمس اضاء من بعيد يرى كأنه نار ففرحت برؤيته و جلست مقابلا بابه فلم يستقر لي الجلوس حتى اقبل عشرة شباب لابسين الاثواب المفتخرة و معهم شيخ كبير الا ان الشباب عور بالعين اليمنى فتعجبت بصفتهم و اتفاقهم في عورهم فلما رأوني سلموا علي و سألوني عن حالي و قصتي فحكيت لهم على ما جرى لي و ما تم لي من المصائب فتعجبوا لحديثي و اخذوني و اطلعوني القصر فرأيت في دائر القصر عشرة تخوت وكل تخت فراشه و لحافه ازرق و في وسط تلك التخوت تخت صغير و هو مثلهم كلما عليه ازرق فلما دخلنا طلع كل شاب على تخته و طلع الشيخ على ذلك التخت الصغير الذي في وسط التخوت و قال يا فتى اجلس في هذا القصر و لا تسأل عن احوالنا و لا عن عور اعيننا ثم قام الشيخ و قدم لكل واحد طعاما في اناء و شرابا في اناء و قدم لي كذلك و بعد ذلك جلسوا يسألوني عن احوالي و ماجرى لي و انا اخبرهم الى ان ذهب اكثر الليل فقال الشباب ايها الشيخ ما تقدم لنا راتبنا فقد جاء وقته فقال حبا وكرامة ثم قام و دخل الى مخدع في القصر

Digitized by Google

ما كان احسننا و الدار تجمعنا و نحن في غبطة و العيش متصل
حتى رمينا بسهم البين فرقنا من ذا الذي لسهام البين يحتمل
اذ صابنا في عزيز القوم صايبة فريد عصر غدا بالحسن مكتمل
انشدته و لسان الحال يسبقني يا ليت يا ولدي ما قد اتى الاجل
كيف السبيل الى لقياك من عجل نفديك يا ولدي بالروح لو قبل
ان قلت شمس فان الشمس غاربة او قلت بدر فان البدر قد افل
لهفي عليك من الايام يا أسفي ما عنك بد فمن ذا عنك يشتغل
ابوك اضحى به شوقا اليك و ما حل الممات بكم ضاقت بي الحيل
عين الحواسد فينا اليوم قد وقعت يلقون ما صنعوا يا بئس ما فعلوا

ثم شهق شهقة فارقت روحه جسده فصرخوا العبيد وا سيداه و اخذوا التراب على رؤسهم و زادوا فى البكاء و طلعوا لسيدهم فى المركب الى جانب ولده و ارخوا قلع المركب فغابوا عن عيني فنزلت من فوق الشجرة و نزلت الطابق و تفكرت الشاب فرأيت بعض حوائجه فانشدت اقول شعرا

ارى آثارهم فاذوب شوقا وا سكب في مواطنهم دموعي
و اسأل من قضى بالبعد عنهم يمن علي يوما بالرجوع

ثم اني يا سيدتي خرجت من الطابق و كنت بالنهار اطوف فى الجزيرة و بالليل انزل القاعة فاقمت على ذلك شهرا و انا انظر الى طرف الجزيرة التي من ناحية الغرب و هو كل ما مر يوم من الايام ينشف البحر الى ان قل الماء من جهة الغرب و انقطع تيارة فلما كمل الشهر نشف البحر من تلك الناحية ففرحت و ايقنت

Digitized by Google

نصرخوا و بكوا و لطموا على وجوههم و دعوا بالويل و الثبور و غشي على الشيخ ساعة طويلة ثم ان العبيد ظنوا ان الشيخ بعد ولده لا يعيش و لفوا الصبي في اثوابه و ارخوا عليه ملاءة من الحرير و طلعوا الى المركب و طلع الشيخ خلفهم فنظر ولده ممدودا فوقع على الارض واخذ التراب على رأسه و لطم وجهه و نتف لحيته و تفكر في قتل ولده فزاد بكاؤه و غشي فطلع عبد منهم فجاء بمقطع حرير و مدوا الشيخ على المقعد و جلسوا عند رأسه هذا كله و انا فى الشجرة فرق رؤسهم انظر ما يجرى وقد شاب قلبي قبل ان يشيب رأسي بما قاسيت من الهموم و الاحزان و انشدت اقـــــــــــــــــــــول

وكم لله من لطف خفي يدق خفاه عن فهم الذكى
وكم امر تساء به صباحا فتأتيك المسرة بالعشى
وكم يسر اتى من بعد عسر ففرج كربة القلب الشجى

يا سيدتي و لم يزل الشيخ في غشوته الى ان قرب المغرب ثم استفاق و نظر الى ولده و ما جرى له و الذي خاف منه وقع فيه و لطم وجهه و رأسه و انشد هذه الابـــــــــــــيـــــــات

القلب من فرقة الاحبـاب منصدع ا ما دموعي مـن الآماق تنهمـل
شط المرام بهـم بعدا فوا اسفي ما حيلتي فيهم ما القول ما العمل
فليتني ما كنت نظـر تهـم ابدا ما حيلتي سادتي ضاقت بى السبل
كيف السلو بسلوان و قد لعبت نار الهوي بفؤادي و هي تشتعل
يا ليت لو يممت ذات المنون بهم بينـى و بينهـم ما ليـس ينفصل
سألتك الله يا واشـي فكن مهلا فجمـع شملي بهم مازال مشتمل

Digitized by Google

فرشت تحته فرشا عاليا فجاء الصبي و استلقى عليه و نام من الاستحمام و قال يا اخي اقطع لنا بطيخة و ذوب بها سكرنبات فدخلت الخزانة فلقيت بطيخة مليحة و وجدتها في طبق فكلمته و قلت يا سيدي ما عندك سكين فقال ها هي فوق رأسي على هذه الصفة العالية فقمت و انا مستعجل فاخذت السكين و مسكتها من نصالها و رجعت الى خلفي فعثرت رجلي و انبطشت على الصبي و السكين في يدي فاسرعت السكين بماكتب في الازل وانغرزت في قلب الصبي فمات من ساعته فلما قضى نحبه و علمت اني قتلته صرخت صرخة عظيمة و لطمت على وجهي و شقيت اثوابي و قلت انا لله و انا اليه راجعون يا مسلمون هذا الصبي بقي له من القطع الذي خبروا به المنجمون و الحكماء الى الاربعين يوما ليلة واحدة وكان اجل هذا المليح على يدي فيا ليتني من قبل لم اقطع هذه البطيخة ما هذا الا مصائب و غصص و لكن ليقضي الله امرا كان مفعولا و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة عشر قال بلغني ايها الملك السعيد ان عجيب قال للصبية فلما تيقنت اني قتلته قمت و طلعت من السلم و رديت التراب و نظرت بعيني الى البحر فرأيت المركب تشق البحر طالبة البر فخفت و قلت الساعة يجيئون يصيبون ولدهم مقتولا فيعرفون اني قتلته فيقتلوني لامحالة فعمدت الى شجرة عالية وطلعتها و استترت باوراقها فما استقريت فوق الشجرة الا و قد طلع العبيد و طلع معهم الشيخ الكبير ابو الصبي فجاوءا الى الموضع و ازالوا التراب فوجدوا الطابق فنزلوا فوجدوا الصبي نائما و وجهه يضيء من اثر الحمام و هو لابس ثيابا نظافا و السكين مغروزة في صدره

Digitized by Google

تعالى لا ترى هما و لا غما و لا تشويشا و انا اقعد عندك و اخدمك و ارجع الى حال سبيلي بعد ان اؤنسك في هذه الايام توصلني الى بعض المماليك اسافر معهم الى بلادي و جلست احدثه الى الليل فقمت و او قدت شمعة كبيرة و عمرت القناديل و جلسنا بعد ان مدينا شيئا من الاكل فاكلنا و قمت مديت شيئا من الحلاوة فتحلينا و جلسنا نحدث بعضنا حتى ذهب من الليل اكثره فنام فغطيته و قمت انا نمت فلما اصبحت قمت و سخنت قليلا من الماء و نبهته برفق فاستيقظ فاتيته بالماء المسخن فغسل وجهه و قال جزيت خيرا يا فتى و الله متى سلمت من الذي انا فيه و من الذي اسمه عجيب بن خصيب خليت ابي يكافئك و اما اذا مت فالسلام مني عليك فقلت له لا كان يوما يصيبك فيه شر و جعل الله يومي قبل يومك ثم قدمت شيئا من الاكل فاكلنا و عملت له بخورا فطاب و صنعت له منقلة و لعبت انا و اياه ثم اكلنا شيئا من الحلاوة و لعبنا الى الليل فقمت اوقدت المصابيح و قدمت شيئا من الاكل و قعدت احدثه الى ان بقي شيء قليل من الليل فنام و غطيته و نمت و لم ازل يا سيدتي اياما و ليالي و بقي له في قلبي محبة و سلوت همي و قلت في نفسي كذب المنجمون و الله لا اقتله و لم ازل اخدمه و انادمه و احادثه الى تسعة و ثلثين يوما و ليلة الاربعين فرح الصبي و قال يا اخي الحمد لله الذي نجاني من الموت و هذا ببركتك و بركة قدومك و اسأل الله ان يردك الى بلدك و لكن يا اخي اريد ان تسخن لي ماء اغتسل و اغسل جسدي فقلت حبا و كرامة و سخنت له ماء بكثرة و دخلت به عليه و غسلت جسده غسلا جيدا بدقاق و دلكته و خدمته و غيرت له اثوابه و

Digitized by Google

لونه فسلمت عليه و قلت له طمن روحك و هد روعك لا باس عليك انا انسي مثلك ابن ملك ساقتني المقادير اليك أونسك على وحدتك فما قصتك و ما حكايتك حتى سكنت تحت الارض وحدك فلما تحقق اني من جنسه فرح و رد لونه و قربني اليه و قال يا اخي قصتي عجيبة و ذلك ان والدي تاجر جوهري له تجارة و عبيد و مماليك تجار يسافرون له فى المراكب بالتجارات الى اقصى البلاد و لهم جمالات و اموال متسعة و لم يرزق ولدا قط فرأى في منامه انه يرزق ولدا في عمره قصر فاصبح والدي في صريخ و بكاء فلما كانت الليلة القابلة علقت والدتي بي فارخ تاريخ حبلها و انقضت ايامها فولدتني ففرح والدي و اولم الولائم و اطعم الفقراء و المساكين لكونه رزق بي في آخر عمره فجمع المنجمين و اهل التقاويم و حكماء الزمان و اصحاب التواريخ و المواليد فكشفوا الى ميلادي و قالوا له ولدك يعيش خمسة عشر سنة و عليه قطع فيها ان سلم منها عاش زمانا طويلا و سبب موته ان في بحر الهلكات جبل المغناطيس عليه فارس و فرس من نحاس و الفارس في صدره لوح من رصاص متى وقع الفارس من على فرسه بعد خمسين يوما يموت ولدك و قاتله هو الذي يرمى الفارس ملك اسمه عجيب بن خضيب فاغتم ابي غما شديدا ثم انه رباني و احسن تربيتى الى ان بلغت خمسة عشر سنة و من مدة عشرة ايام جاء لابي الخبر ان الفارس وقع فى البحر و الذي رماه اسمه عجيب بن الملك خصيب فخاف علي ابي من القتل فنقلني الى هذا المكان و هذه قصتي و سبب وحدتي فلما سمعت قصته تعجبت و قلت في نفسي انا الذي عملت هذا كله و انا و الله لا اقتله ابدا ثم قلت يا مولاي كفيت الداء و الردى و ان شاء الله

Digitized by Google

معهم ثياب احسن ما يكون و في وسطهم شيخ كبير قد ابقى ما بقي وعركه الدهر و استبقى كانه مفني ملقى في خرقة زرقة تمر فيها الارياح غربا وشرقا كما قال فيه الشاعـــــــــــــــــــــــــر

قد ارعش الدهر ايّ رعش و الدهر ذو قوة و بطش
قد كنت امشي و لست اعيى و اليوم اعيى و لست امشي

و يد الشيخ في يد صبي و هو قد افرغ في قالب الجمال و البهاء و الكمال حتى انه يضرب بحسنه الامثال و هو كالقضيب الرطيب يسحر كل قلب بجماله و يسلب كل لب بدلاله كما قال فيه الشاعر حيث يـــــــــــــــــقـــــــــــــــــول

جئ بالحسن كي يقايسه فنكس الحسن راسه خجلا
فقيل ياحسن هل رأيت كذا فقال اما كذا رأيت فلا

فيا سيدتي لم يزالوا ماشين حتى اتوا الى الطابق و نزلوا الجميع فى الطابق و غابوا ساعة او اكثر ثم طلعوا العبيد و الشيخ و لم يطلع الصبي معهم ثم ردوا باب الطابق كما كان و نزلوا فى المركب و غابوا عن عيني فلما توجهوا قمت و نزلت من على الشجرة و مشيت الى موضع الردم و نبشت التراب و نقلته و طولت روحي حتى شلت جميع التراب فانكشف الطابق فاذا هو خشب وسع فلقة حجر الطاحون فشلتها فبان من تحتها سلم حجر عقد فتعجبت لذلك و نزلت فى السلم حتى انتهيت الى آخره فوجدت بنيانا نظيفا مفروشا بانواع البسط و الحرير و الصبي جالس على مرتبة عالية متكئ على مدورة في يده مروحة و بين يديه مشموم و رياحين و هو وحده فلما رآني اصفر

غير ساعة حتى رأيت زورقا في وسط البحر قاصدا الي فحمدت الله تعالى فلما وصل الي الزورق فوجدت فيه شخصا من النحاس في صدره لوحا من الرصاص منقوش باسماء و طلسمات فطلعت فى الزورق و انا ساكت و لا اتكلم فقذف الشخص اول يوم و الثاني و الثالث الى تمام العشرة ايام فنظرت و رأيت جزائر السلامة ففرحت فرحا عظيما و من شدة فرحي ذكرت الله و سميت و هللت وكبرت فلما فعلت ذلك قذفني الزورق فى البحر ثم رجع و انقلب فى البحر فكنت اعرف العوم فعمت ذلك اليوم الى الليل فحذلت سواعدي و كلت اكتافي و تعبت بقيت فى الهلكات ثم تشهدت و ايقنت بالموت فهاج البحر من كثرة الرياح فجاءت موجة كالقلعة العظيمة فحملتني و قذفتني قذفة صرت فوق البر بما يريد الله فطلعت البر و عصرت ثيابي و نشفتها و نشرتها على الارض و بت فلما اصبحت لبست اثوابي و قمت انظر اين امشي فوجدت غوطة فجئتها و درت حولها فوجدت الموضع الذي انا فيه جزيرة صغيرة و البحر محيط بها فقلت كلما اخلص من بلية اقع في اعظم منها فبينما انا متفكر في امري وانا اتمنى الموت و اذا نظرت من بعيد مركبا فيه ناس قاصدا الى الجزيرة التي انا فيها فقمت و قعدت على شجرة و اذا بالمركب قد التصق و طلع الى البر منه عشرة عبيد و معهم مساحي و مشوا الى ان وصلوا الى وسط الجزيرة فحفروا في الارض وكشفوا عن طابق فشالوا الطابق و فتحوا بابه ثم عادوا الى المركب و نقلوا منها خبزا و دقيقا و سمنا و عسلا و اغناما و آلات ما يحتاج الساكن و العبيد طالعين نازلين الى المركب و هم يحولون من المركب و ينزلون الى ان نقلوا جميع ما فى المركب الى الحفرة ثم بعد ذلك طلع العبيد و

Digitized by Google

ناصبت طريقا متطرقا الى اعلاه كهيئة السلالم منقورة فى الجبل فسميت الله تعالى و ادرک شهرزاد الصباح فسکتت عن الکلام المباح

فلما کانت الليلة الخامسة عشر قالت بلغني ايها الملک السعيد ان القرندلي الثالث قال للصبية و الجماعة مکتفون و العبيد واقفون بالسيوف على رؤسهم ثم اني سميت الله و دعوته و ابتهلت اليه و تعلقت في النقر الذي في الجبل و قد تسلقت فى الجبل قليلا فاذن الله ان تسکت الريح في تلک الساعة و اعانني على الطلوع فسلمت و طلعت على الجبل فلم يکن لي درب الا القبة و فرحت بسلامتي غاية الفرح فدخلت القبة و توضأت و صليت رکعتين شکرا لله على سلامتي ثم اني نمت تحت القبة فسمعت في منامي قائلا يقول يا ابن خضيب اذا انتبهت من منامک احفر تحت رجليک تجد قوسا من نحاس و ثلثة نشابات من رصاص منقوشات عليها طلسمات فخذ القوس و النشاب و ارم الفارس الذي على القبة و ارح الناس من هذا البلاء العظيم فاذا رميت الفارس يقع فى البحر و القوس يقع عندک فخذ القوس و ادفنه في موضع القوس فاذا فعلت ذلک يطفو البحر و يعلو حتى يساوى الجبل و يطلع عليه زورق فيه شخص نحاس غير الذي رميته يجيء اليک و في يده مقذاف فارکب معه و لا تسم الله تعالى فانه يقذف و يسافر بک مدة عشرة ايام الى ان يوصلک الى بحر السلامة فاذا وصلت هناک تجد من يوصلک الى بلدک فهذا يتم لک اذا لم تسم الله ثم استيقظت من نومي و قمت بنشاط و فعلت مثلما قال الهاتف و ضربت الفارس ارميته فوقع فى البحر و وقع القوس عندي فاخذت القوس و دفنته فهاج البحر و علا حتى ساوى الجبل و ساواني فلم البث

Digitized by Google

اخبرنا بما راى الناظور فقال يا سيدي اعلم اننا تهنا في يوم هاجت علينا الارياح و لا هدي الريح الا بكرة النهار و اقمنا يومين و تهنا في البحر و لنا تائهين احدى عشر يوما من تلك الليلة و لا لنا ريح يرجعنا الى ما نحن قاصدين و آخر النهار غدا نصل الى جبل حجر اسود و هو يسمى حجر المغناطيس و تجرنا المياه غصبا الى تحته فتنفخ المركب و يروح كل مسمار في المركب الى الجبل و يلتصق اليه لان الله تعالى ركب في حجر المغناطيس سرا و هو ان جميع الحديد يذهب اليه و في ذلك الجبل حديد كثير لا يعلمه الا الله تعالى حتى انه تكسر من قديم الزمان مراكب كثيرة على ذلك الجبل و مما يلي البحر قبة من النحاس الاصفر معقودة على عشرة اعمدة و فرق القبة فارس و فرس من النحاس و في يد ذلك الفارس رمح من النحاس معلق في صدره لوح من رصاص منقوش عليه اسماء و طلاسم فقال لي ايها الملك ما يهلك الناس الا الراكب على هذه الفرس و ما الخلاص الا اذا وقع هذا الفارس من على تلك الفرس ثم انه يا سيدتي بكى الرئس بكاء شديدا فتحققنا اننا هالكين لا محالة و كل منا ودع صاحبه و وصى احتمالا ان يسلم فلم ننم تلك الليلة فلما جاء الصباح قربنا الى ذلك الجبل و ساقتنا المياه غصبا اليه فلما صارت المراكب تحته انفحت و طلعت المسامير و كل حديد فيها طلب حجر المغناطيس و اشتبك فيه و عند آخر النهار درنا حوله فمنا من غرق و منا من نجا و اكثرنا غرق و الذين سلموا لم يعلموا بعضهم بعضا و انما توهتهم الامواج و اختلاف الرياح و اما انا يا سيدتي فنجاني الله تعالى لما يريد من شقاوتي و عذابي و بلوتي فطلعت على لوح من الالواح فضربته الريح فالتصق الى الجبل

Digitized by Google

بالسلامة و قمت خضت ما بقي من البحر و طلعت الى البر الاصيل فلقيت كيمان رمل تغوص رجل الجمل فيها الى الركب فقويت روحي و قطعت الرمل و اذا انا بنار تلوح من بعيد وهي تشتعل اشتعالا قويا فقصدتها لعلي اجد فرجا و انشدت اقول شعرا

عسى و لعل الدهر يلوي عنانه و يأتي بخير و الزمان غيور
ويسعف آمالي و يقضي حوائجي و تحدث من بعد الامور امور

ثم اني قصدت النار فلما قربت اليها و اذا بقصر بابه من النحاس الاصفر فلما اشرقت عليه الشمس اضاء من بعيد يرى كأنه نار ففرحت برؤيته و جلست مقابلا بابه فلم يستقر لي الجلوس حتى اقبل عشرة شباب لابسين الاثواب المفتخرة و معهم شيخ كبير الا ان الشباب عور بالعين اليمنى فتعجبت بصفتهم و اتفاقهم في عورهم فلما رأوني سلموا علي و سألوني عن حالي و قصتي فحكيت لهم على ما جرى لي و ما تم لي من المصائب فتعجبوا لحديثي و اخذوني و اطلعوني القصر فرأيت في دائر القصر عشرة تخوت و كل تخت فراشه و لحافه ازرق و في وسط تلك التخوت تخت صغير و هو مثلهم كلما عليه ازرق فلما دخلنا طلع كل شاب على تخته و طلع الشيخ على ذلك التخت الصغير الذي في وسط التخوت و قال يا فتى اجلس في هذا القصر و لا تسأل عن احوالنا و لا عن عور اعيننا ثم قام الشيخ و قدم لكل واحد طعاما في اناء و شرابا في اناء و قدم لي كذلك و بعد ذلك جلسوا يسألوني عن احوالي و ماجرى لي و انا اخبرهم الى ان ذهب اكثر الليل فقال الشباب ايها الشيخ ما تقدم لنا راتبنا فقد جاء وقته فقال حبا وكرامة ثم قام و دخل الى مخدع في القصر

Digitized by Google

ما كان احسننا و الدار تجمعنا و نحن في غبطة و العيش متصل
حتى رمينا بسهم البين فرقنا من ذا الذي لسهام البين يحتمل
اذ صابنا في عزيز القوم صايبة فريد عصر غدا بالحسن مكتمل
انشدته و لسان الحال يسبقني يا ليت يا ولدي ما قد اتى الاجل
كيف السبيل الى لقياك من عجل نفديك يا ولدي بالروح لو قبل
ان قلت شمس فان الشمس غاربة او قلت بدر فان البدر قد افل
لهفي عليك من الايام يا أسفي ما عنك بد فمن ذا عنك يشتغل
ابوك اضحى به شوقا اليك و ما حل الممات بكم ضاقت بي الحيل
عين الحواسد فينا اليوم قد وقعت يلقون ما صنعوا يا بئس ما فعلوا

ثم شهق شهقة فارقت روحه جسده فصرخوا العبيد وا سيداه و اخذوا التراب على رؤسهم و زادوا في البكاء و طلعوا لسيدهم في المركب الى جانب ولده و ارخوا قلع المركب فغابوا عن عيني فنزلت من فوق الشجرة و نزلت الطابق و تفكرت الشاب فرأيت بعض حوائجه فانشدت اقول شعرا

ارى آثارهم فاذوب شوقا وا سكب في مواطنهم دموعي
و اسأل من قضى بالبعد عنهم يمن علي يوما بالرجوع

ثم اني يا سيدتي خرجت من الطابق و كنت بالنهار اطوف في الجزيرة و بالليل انزل القاعة فاقمت على ذلك شهرا و انا انظر الى طرف الجزيرة التي من ناحية الغرب و هو كل ما مر يوم من الايام ينشف البحر الى ان قل الماء من جهة الغرب و انقطع تياره فلما كمل الشهر نشف البحر من تلك الناحية ففرحت و ايقنت

Digitized by Google

نصرخوا و بكوا و لطموا على وجوههم و دعوا بالويل و الثبور و غشي على الشيخ ساعة طويلة ثم ان العبيد ظنوا ان الشيخ بعد ولده لا يعيش و لفوا الصبي في اثوابه و ارخوا عليه ملاءة من الحرير و طلعوا الى المركب و طلع الشيخ خلفهم فنظر ولده ممدودا فوقع على الارض و اخذ التراب على رأسه و لطم وجهه و نتف لحيته و تفكر في قتل ولده فزاد بكاؤه و غشي فطلع عبد منهم فجاء بمقطع حرير و مدوا الشيخ على المقعد و جلسوا عند رأسه هذا كله و انا فى الشجرة فوق رؤسهم انظر ما يجرى وقد شاب قلبي قبل ان يشيب رأسي بما قاسيت من الهموم و الاحزان و انشدت اقـــــــــــــــــــــول

وكم لله من لطف خفي يدق خفاه عن فهم الذكى
وكم امر تساء به صباحا فتأتيك المسرة بالعشى
وكم يسر اتى من بعد عسر ففرج كربة القلب الشجى

يا سيدتي و لم يزل الشيخ في غشوته الى ان قرب المغرب ثم استفاق و نظر الى ولده و ما جرى له و الذي خاف منه وقع فيه و لطم وجهه و رأسه و انشد هذه الابـــــــــيـــــات

القلب من فرقة الاحبـاب منصدع ا ما دموعي مـن الآماق تنهمـل
شط المرام بهـم بعدا فوا اسفي ما حيلتي فيهم ما القول ما العمل
فليتني ما كنت نظـر تهـم ابدا ما حيلتي سادتي ضاقت بى السبل
كيف السلو بسلوان و قد لعبت نار الهوي بفؤادي و هي تشتعل
يا ليت لو يممت ذات المنون بهم بينـى و بينهـم ما ليـس ينفصل
سألتك الله يا واشـي فكن مهلا فجمـع شملي بهم مازال مشتمل

Digitized by Google

فرشت تحته فرشا عاليا فجاء الصبى و استلقى عليه و نام من الاستحمام و قال يا اخي اقطع لنا بطيخة و ذوب بها سكرنبات فدخلت الخزانة فلقيت بطيخة مليحة و وجدتها في طبق فكلمته و قلت يا سيدي ما عندك سكين فقال ها هي فوق رأسي على هذه الصفة العالية فقمت و انا مستعجل فاخذت السكين و مسكتها من نصالها و رجعت الى خلفي فعثرت رجلي و انبطشت على الصبي و السكين في يدي فاسرعت السكين بماكتب فى الازل وانغرزت في قلب الصبي فمات من ساعته فلما قضى نحبه و علمت اني قتلته صرخت صرخة عظيمة و لطمت على وجهي و شقيت اثوابي و قلت انا لله و انا اليه راجعون يا مسلمون هذا الصبي بقي له من القطع الذي خبروا به المنجمون و الحكماء الى الاربعين يوما ليلة واحدة وكان اجل هذا المليح على يدي فيا ليتني من قبل لم اقطع هذه البطيخة ما هذا الا مصائب و غصص و لكن ليقضي الله امرا كان مفعولا و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة عشر قال بلغني ايها الملك السعيد ان عجيب قال للصبية فلما تيقنت اني قتلته قمت و طلعت من السلم و رديت التراب و نظرت بعيني الى البحر فرأيت المركب تشق البحر طالبة البر فخفت و قلت الساعة يجيئون يصيبون ولدهم مقتولا فيعرفون اني قتلته فيقتلوني لامحالة فعمدت الى شجرة عالية وطلعتها و استترت باوراقها فما استقريت فوق الشجرة الا و قد طلع العبيد و طلع معهم الشيخ الكبير ابو الصبي فجاوا الى الموضع و ازالوا التراب فوجدوا الطابق فنزلوا فوجدوا الصبي نائما و وجهه يضيء من اثر الحمام و هو لابس ثيابا نظافا و السكين مغروزة في صدره

Digitized by Google

تعالى لا ترى هما و لا غما و لا تشويشا و انا اقعد عندك و اخدمك و ارجع الى حال سبيلي بعد ان اؤنسك في هذه الايام توصلني الى بعض المماليك اسافر معهم الى بلادي و جلست احدثه الى الليل فقمت و او قدت شمعة كبيرة و عمرت القناديل و جلسنا بعد ان مدينا شيئا من الاكل فاكلنا و قمت مديت شيئا من الحلاوة فتحلينا و جلسنا نحدث بعضنا حتى ذهب من الليل اكثره فنام فغطيته و قمت انا نمت فلما اصبحت قمت و سخنت قليلا من الماء و نبهته برفق فاستيقظ فانيته بالماء المسخن فغسل وجهه و قال جزيت خيرا يا فتى و الله متى سلمت من الذي انا فيه و من الذي اسمه عجيب بن خصيب خليت ابي يكافئك و اما اذا مت فالسلام مني عليك فقلت له لا كان يوما يصيبك فيه شر و جعل الله يومي قبل يومك ثم قدمت شيئا من الاكل فاكلنا و عملت له بخورا فطاب و صنعت له منقلة و لعبت انا و اياه ثم اكلنا شيئا من الحلاوة و لعبنا الى الليل فقمت اوقدت المصابيح و قدمت شيئا من الاكل و قعدت احدثه الى ان بقي شيء قليل من الليل فنام و غطيته و نمت و لم ازل يا سيدتي اياما و ليالي و بقي له في قلبي محبة و سلوت همي و قلت في نفسي كذب المنجمون و الله لا اقتله و لم ازل اخدمه و انادمه و احادثه الى تسعة و ثلثين يوما و ليلة الاربعين فرح الصبي و قال يا اخي الحمد لله الذي نجاني من الموت و هذا ببركتك و بركة قدومك و اسأل الله ان يردك الى بلدك و لكن يا اخي اريد ان تسخن لي ماء اغتسل و اغسل جسدي فقلت حبا و كرامة و سخنت له ماء بكثرة و دخلت به عليه و غسلت جسده غسلا جيدا بدقاق و دلكته و خدمته و غيرت له اثوابه و

Digitized by Google

لونه فسلمت عليه و قلت له طمن روحك و هد روعك لا باس عليك انا انسي مثلك ابن ملك ساقتني المقادير اليك اونسك على وحدتك فما قصتك و ما حكايتك حتى سكنت تحت الارض وحدك فلما تحقق اني من جنسه فرح و رد لونه و قربني اليه و قال يا اخي قصتي عجيبة و ذلك ان والدي تاجر جوهري له تجارة و عبيد و مماليك تجار يسافرون له فى المراكب بالتجارات الى اقصى البلاد و لهم جمالات و اموال متسعة و لم يرزق ولدا قط فرأى في منامه انه يرزق ولدا في عمره قصر فاصبح والدي في صريخ و بكاء فلما كانت الليلة القابلة علقت والدتي بي فارخ تاريخ حبلها و انقضت ايامها فولدتني ففرح والدي و اولم الولائم و اطعم الفقراء و المساكين لكونه رزق بي في آخر عمره فجمع المنجمين و اهل التقاويم و حكماء الزمان و اصحاب التواريخ و المواليد فكشفوا الى ميلادي و قالوا له ولدك يعيش خمسة عشر سنة و عليه قطع فيها ان سلم منها عاش زمانا طويلا و سبب موته ان في بحر الهلكات جبل المغناطيس عليه فارس و فرس من نحاس و الفارس في صدره لوح من رصاص متى وقع الفارس من على فرسه بعد خمسين يوما يموت ولدك و قاتله هو الذي يرمى الفارس ملك اسمه عجيب بن خضيب فاغتم ابي غما شديدا ثم انه رباني و احسن تربيتى الى ان بلغت خمسة عشر سنة و من مدة عشرة ايام جاء لابي الخبر ان الفارس وقع فى البحر و الذي رماه اسمه عجيب بن الملك خصيب فخاف علي ابي من القتل فنقلني الى هذا المكان و هذه قصتي و سبب وحدتي فلما سمعت قصته تعجبت و قلت في نفسي انا الذي عملت هذا كله و انا و الله لا اقتله ابدا ثم قلت يا مولاي كفيت الداء و الردى و ان شاء الله

Digitized by Google

معهم ثياب احسن ما يكون و في وسطهم شيخ كبير قد ابقى ما بقي و عركه الدهر و استبقى كانه مفني ملقى في خرقة زرقة تمر فيها الارياح غربا وشرقا كما قال فيه الشاعـــــــــــــــــــــــــــــــــر

قد ارعش الدهر اىّ رعش و الدهر ذو قوة و بطش
قد كنت امشي و لست اعيى و اليوم اعيى و لست امشي

و يد الشيخ في يد صبي و هو قد افرغ في قالب الجمال و البهاء و الكمال حتى انه يضرب بحسنه الامثال و هو كالقضيب الرطيب يسحر كل قلب بجماله و يسلب كل لب بدلاله كما قال فيه الشاعر حيث يـــــــــــــــــــقـــــــــــــــــــول

جئ بالحسن كي يقايسه فنكس الحسن راسه خجلا
فقيل ياحسن هل رأيت كذا فقال اما كذا رأيت فلا

فيا سيدتي لم يزالوا ماشين حتى اتوا الى الطابق و نزلوا الجميع فى الطابق و غابوا ساعة او اكثر ثم طلعوا العبيد و الشيخ و لم يطلع الصبي معهم ثم ردوا باب الطابق كما كان و نزلوا فى المركب و غابوا عن عيني فلما توجهوا قمت و نزلت من على الشجرة و مشيت الى موضع الردم و نبشت التراب و نقلته و طولت روحي حتى شلت جميع التراب فانكشف الطابق فاذا هو خشب وسع فلقة حجر الطاحون فشلتها فبان من تحتها سلم حجر عقد فتعجبت لذلك و نزلت فى السلم حتى انتهيت الى آخره فوجدت بنيانا نظيفا مفروشا بانواع البسط و الحرير و الصبي جالس على مرتبة عالية متكئ على مدورة في يده مروحة و بين يديه مشموم و رياحين و هو وحده فلما رآني اصفر

Digitized by Google

غير ساعة حتى رأيت زورقا في وسط البحر قاصدا الي فحمدت الله تعالى فلما وصل الي الزورق فوجدت فيه شخصا من النحاس في صدره لوحا من الرصاص منقوش باسماء و طلسمات فطلعت فى الزورق و انا ساكت و لا اتكلم فقذف الشخص اول يوم و الثاني و الثالث الى تمام العشرة ايام فنظرت و رأيت جزائر السلامة ففرحت فرحا عظيما و من شدة فرحي ذكرت الله و سميت و هللت وكبرت فلما فعلت ذلك قذفني الزورق فى البحر ثم رجع و انقلب فى البحر فكنت اعرف العوم فعمت ذلك اليوم الى الليل فخذلت سواعدي وكلت اكتافي و تعبت بقيت فى الهلكات ثم تشهدت و ايقنت بالموت فهاج البحر من كثرة الرياح فجاءت موجة كالقلعة العظيمة فحملتني و قذفتني قذفة صرت فوق البر بما يريد الله فطلعت البر و عصرت ثيابي و نشفتها و نشرتها على الارض و بت فلما اصبحت لبست اثوابي و قمت انظر اين امشي فوجدت غوطة فجئتها و درت حولها فوجدت الموضع الذي انا فيه جزيرة صغيرة و البحر محيط بها فقلت كلما اخلص من بلية اقع في اعظم منها فبينما انا متفكر في امري وانا اتمنى الموت و اذا نظرت من بعيد مركبا فيه ناس قاصدا الى الجزيرة التي انا فيها فقمت و قعدت على شجرة و اذا بالمركب قد التصق و طلع الى البر منه عشرة عبيد و معهم مساحي و مشوا الى ان وصلوا الى وسط الجزيرة فحفروا في الارض وكشفوا عن طابق فشالوا الطابق و فتحوا بابه ثم عادوا الى المركب و نقلوا منها خبزا و دقيقا و سمنا و عسلا و اغناما و آلات ما يحتاج الساكن و العبيد طالعين نازلين الى المركب و هم يحولون من المركب و ينزلون الى ان نقلوا جميع ما فى المركب الى الحفرة ثم بعد ذلك طلع العبيد و

Digitized by Google

فاصبت طريقا متطرقا الى اعلاه كهيئة السلالم منقورة فى الجبل فسميت الله تعالى و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة عشر قالت بلغني ايها الملك السعيد ان القرندلي الثالث قال للصبية و الجماعة مكتفون و العبيد واقفون بالسيوف على رؤسهم ثم اني سميت الله و دعوته و ابتهلت اليه و تعلقت فى النقر الذي في الجبل و قد تسلقت فى الجبل قليلا فاذن الله ان تسكت الريح في تلك الساعة و اعانني على الطلوع فسلمت و طلعت على الجبل فلم يكن لي درب الا القبة و فرحت بسلامتي غاية الفرح فدخلت القبة و توضأت و صليت ركعتين شكرا لله على سلامتي ثم اني نمت تحت القبة فسمعت في منامي قائلا يقول يا ابن خضيب اذا انتبهت من منامك احفر تحت رجليك تجد قوسا من نحاس و ثلثة نشابات من رصاص منقوشات عليها طلسمات فخذ القوس و النشاب و ارم الفارس الذي على القبة و ارح الناس من هذا البلاء العظيم فاذا رميت الفارس يقع فى البحر و القوس يقع عندك فخذ القوس و ادفنه في موضع القوس فاذا فعلت ذلك يطفو البحر و يعلو حتى يساوى الجبل و يطلع عليه زورق فيه شخص نحاس غير الذي رميته يجيء اليك و في يده مقذاف فاركب معه و لا تسم الله تعالى فانه يقذف و يسافر بك مدة عشرة ايام الى ان يوصلك الى بحر السلامة فاذا وصلت هناك تجد من يوصلك الى بلدك فهذا يتم لك اذا لم تسم الله ثم استيقظت من نومي و قمت بنشاط و فعلت مثلما قال الهاتف و ضربت الفارس ارميته فوقع فى البحر و وقع القوس عندي فاخذت القوس و دفنته فهاج البحر و علا حتى ساوى الجبل و ساواني فلم البث

Digitized by Google

اخبرنا بما راى الناظور فقال يا سيدي اعلم اننا تهنا في يوم هاجت علينا الارياح و لا هدي الريح الا بكرة النهار و اقمنا يومين و تهنا في البحر و لنا تائهين احدى عشر يوما من تلك الليلة و لا لنا ريح يرجعنا الى ما نحن قاصدين و آخر النهار غدا نصل الى جبل حجر اسود و هو يسمى حجر المغناطيس و تجرنا المياه غصبا الى تحته فتنفخ المركب و يروح كل مسمار في المركب الى الجبل و يلتصق اليه لان الله تعالى ركب في حجر المغناطيس سرا و هو ان جميع الحديد يذهب اليه و في ذلك الجبل حديد كثير لا يعلمه الا الله تعالى حتى انه تكسر من قديم الزمان مراكب كثيرة على ذلك الجبل و مما يلي البحر قبة من النحاس الاصفر معقودة على عشرة اعمدة و فوق القبة فارس و فرس من النحاس و في يد ذلك الفارس رمح من النحاس معلق في صدره لوح من رصاص منقوش عليه اسماء و طلاسم فقال لي ايها الملك ما يهلك الناس الا الراكب على هذه الفرس و ما الخلاص الا اذا وقع هذا الفارس من على تلك الفرس ثم انه يا سيدتي بكى الرئس بكاء شديدا فتحققنا اننا هالكين لا محالة و كل منا ودع صاحبه و وصى احتمالا ان يسلم فلم ننم تلك الليلة فلما جاء الصباح قربنا الى ذلك الجبل و ساقتنا المياه غصبا اليه فلما صارت المراكب تحته انفحت و طلعت المسامير و كل حديد فيها طلب حجر المغناطيس و اشتبك فيه و عند آخر النهار درنا حوله فمنا من غرق و منا من نجا و اكثرنا غرق و الذين سلموا لم يعلموا بعضهم بعضا و انما توهتهم الامواج و اختلاف الرياح و اما انا يا سيدتي فنجاني الله تعالى لما يريد من شقاوتي و عذابي و بلوتي فطلعت على لوح من الالواح فضربته الريح فالتصق الى الجبل

Digitized by Google

اعجب و اغرب و هي سبب لحلق ذقني و قلع عيني ان هولاء جاءهم القضا و القدر و انا جلبت القضاء بيدي و الهم لروحي و ذلك اني كنت ملكا ابن ملك و مات والدي و اخذت الملك من بعده و حكمت و عدلت و احسنت للرعية و كان لي محبة في السفر في المركب في البحر و كانت مدينتي على البحر و البحر متسع و حولنا جزائر كثيرة عظيمة في وسط البحر و كان لي في البحر خمسون مركبا للمتجر و خمسون مركبا اصغر للفرجة و مائة و خمسون قطعة معدة للحرب و الجهاد فاردت ان اتفرج على الجزائر فنزلت في عشرة مراكب و اخذت معي زاد شهر كامل و سافرت عشرين يوما فلما كانت ليلة من الليالي هبت علينا رياح مختلفة و هاج البحر علينا هيجات عظيمة و تلاطمت الامواج فايسنا من الحيوة و نزلت علينا ظلمة شديدة و قلت ليس المخاطر بمحمود و لو سلم فدعونا الله تعالى وابتهلنا اليه و لا زالت الارياح تختلف و الامواج تلتطم الى ان انفجر الفجر فهدت الريح و صفا البحر و بعده اشرقت الشمس ثم اننا اشرفنا على جزيرة و طلعنا على البر و طبخنا شيًا نأكله فاكلنا ثم اخذنا راحة يومين و سافرنا عشرين يوما فاختلفت علينا المياه و على الرئس و استغرب الرئس البحر فقلنا للناظور اكشف البحر و اطلع البطية فطلع للساري ثم نظر الناظور و قال للرئس يا رئس رأيت عن يميني سمك على وجه الماء و نظرت الى وسط البحر فرأيت سوادا من بعيد يلوح ساعة اسود و ساعة ابيض فلما سمع الرئس كلام الناظور ضرب عمامته في الارض و نتف لحيته و قال للناس ابشروا بهلاكنا نحن الجميع و لم يسلم منا احد و شرع يبكي و نحن الجميع نبكي على انفسنا فقلت ايها الرئس

Digitized by Google

بروحي و دخلت الحمام قبل ان اخرج من المدينة و حلقت ذقني و لبست مسحا اسود و حجيت على راسي يا سيدتي و في كل يوم ابكي و اتفكر المصائب التي جرت علي وقلع عيني وكل ما افتكر ما جرى لي ابكي و انشد و اقول هذه الابـــــــــيـــــــات

تَحَيَّرْتُ وَالرَّحْمٰنِ لَا شَكَّ فِي اَمْرِي ... وَحَاطَتْ بِيَ الْاَحْزَانُ مِنْ حَيْثُ لَا اَدْرِي
سَاَصْبِرُ حَتّٰى يَعْجَزَ الصَّبْرُ مِنْ صَبْرِي ... وَ اَصْبِرُ حَتّٰى يَقْضِيَ اللّٰهُ مِنْ اَمْرِي
سَاَصْبِرُ مَغْلُوْبًا وَ لَمْ اَتَوَجَّعْ ... كَمَا يَصْبِرُ الظَّمْاٰنُ فِي الْوَادِي الْحَرِّ
سَاَصْبِرُ حَتّٰى يَعْلَمَ الصَّبْرُ اَنَّنِي ... صَبَرْتُ عَلٰى شَيْءٍ اَمَرُّ مِنَ الصَّبْرِ
وَ لَا شَيْءَ مِثْلَ الصَّبْرِ مُرٌّ وَ اِنَّمَا ... اَمَرُّ مِنَ الْاَمْرَيْنِ اِنْ خَانَنِي صَبْرِي
سَرَائِرُ سِرِّي تَتْرُجْمَانُ سَرِيْرَتِي ... اِذَا كَانَ سِرُّ السِّرِّ سِرَّكَ فِي سِرِّي
وَ لَوْ اَنَّ مَا بِي لِلْجِبَالِ لَهَدَّمَتْ ... وَ بِالنَّارِ اَطْفَاهَا وَ بِالرِّيحِ لَمْ تَسْرِي
وَ مَنْ قَالَ اِنَّ الدَّهْرَ فِيهِ حَلَاوَةٌ ... فَلَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ اَمَرَّ مِنَ الصَّبْرِ

ثم سافرت الاقطار و وردت الامصار و قصدت دار السلام بغداد لعلي اتوصل الى امير المؤمنين و اخبره بما جرى لي فوصلت بغداد هذه الليلة فوجدت اخي هذا الاول واقفا حائرا فقلت السلام عليك و تحدثت معه و اذا باخينا الثالث قد اقبل علينا و قال السلام عليكم انا رجل غريب فقلنا له و نحن غرباء و قد وصلنا هذه الليلة المباركة فتمشينا نحن الثلاثة و ما فينا احد يعرف حكاية احد فساقتنا المقادير الى هذا الباب و دخلنا اليكم و هذا سبب حلق ذقني و شواربي و قلع عيني فقالت ان حكايتك غريبة ملس على راسك و اخرج الى حال سبيلك فقال لا اخرج حتى اسمع حديث رفقتي فتقدم القرندلي الثالث و قال ايها الست الجليلة ما قصتي مثل قصتهم بل قصتي

Digitized by Google

راى الملك ابنته صارت كوم رماد نتف بقية لحيته و لطم على وجهه و شق اثوابه و فعلتُ كما فعل و بكينا عليها فجاوا الحجاب و ارباب الدولة فوجدوا السلطان في حالة العدم و كومين رمادا فتعجبوا و داروا حول الملك ساعة فلما افاق اخبرهم بما جرى لابنته مع العفريت فعظمت مصيبتهم و صرخ النساء و الجواري و اقاموا العزاء سبعة ايام و قام الملك و امر ان يبني على رماد ابنته قبة عظيمة و اوقدوا فيها الشموع و القناديل و اما رماد العفريت فانهم ذروه في الهواء الى لعنة الله ثم مرض السلطان مرضا اشرف منه على الموت ومدة مرضه شهر و اتت اليه العافية و نبتت لحيته فطلبني و قال لي يا فتى قد قضينا زماننا في اهنى عيش آمنين من نوائب الزمان حتى اقبلت علينا يا ليتنا ما كنا رأيناك و لا رأينا يوم طلعتك القبيحة فاحنّا صرنا في حالة العدم بسببك الاول عدمت ابنتي التي كانت تساوي مائة رجل و الثاني جرى لي من الحريق ما جرى و عدمت اضراعي و مات خادمي و قبل ذلك و بعده ما رأينا منك شيًا بل الكل من الله عليك و علينا و الحمد لله و انت الذي خلصتك ابنتي و اهلكت نفسها فاخرج يا ولدي من بلدي وكفى ما جرى بسببك وكل ذلك مقدر علينا و عليك فاخرج بسلام و ان عدت رأيتك قتلتك و صرخ عليّ فخرجت يا سيدي من عنده و ما اصدق بالنجاة و لا ادري اين اتوجه و خطر على قلبي ما جرى لي وكيف يخلوني في الطريق و سلامتي منهم و مشيت شهرا و دخلت في المدينة غريبا و اجتماعي بالخياط و اجتماعي بالصبية تحت الارض و خلاصي من العفريت بعد ان كان عازما على قتلي و ما عبر قلبي من المبتدأ و المنتهى فحمدت الله و قلت بعيني و لا

Digitized by Google

احرقت نصف وجهه و ذقنه و حنكه التحتاني و اوقعت صف اسنانه التحتانية و وقعت شرارة في صدر الطواشي فاحترق و مات من وقته و ساعته فايقنا بالهلاك و ايسنا من الحيوة فبينما نحن كذلك و اذا بقائل يقول الله اكبر الله اكبر فتح و نصر و خذل من كفر بدين محمد القمر و اذا بها ببنت الملك قد احرقت العفريت و اذا به قد صار كوم رماد و جاءت الصبية الينا و قالت الحقوني بطاسة ماء فجاؤا بها اليها فتكلمت عليها بكلام لا نفهمه ثم طرشتني بالماء و قالت اخلص بحق الحق و بحق اسم الله الاعظم الى صورتك الاولى قال فانتفضتُ فاذا انا بشر كما كنت و لكن راحت عيني فقالت الصبية النار النار يا والدي ما بقيت اعيش و ما انا معودة بقتال الجن و لو كان من الانس تقتله من زمان و ما تعبت الا وقت فرط الرمانة و لقط حبها و نسيت الحبة التي فيها روح الجني فلو لقطتها لمات من ساعته و لكن ما علمت بالقضا و القدر فاذا هو قد اتى و جرى لي معه حرب شديد تحت الارض و في الهواء و الماء و كلما افتح عليه بابا يفتح علي بابا الى ان فتح علي باب النار و قليل من يفتح عليه باب النار و هو ينجو منه و انما ساعدني عليه القدر حتى حرقته قبلي وكنت اعهد منه بدين الاسلام و اما انا ميتة فخليفتي الله عليكم ثم انها استغاثت و لم تزل تستغيث من النار فاذا شرار اسود قد طلع الى صدرها و طلع الى وجهها فلما وصل الى وجهها بكت و قالت اشهد ان لا اله الا الله و ان محمدا رسول الله ثم نظرنا اليها و اذا بها كوم رماد الى جانب كوم العفريت فحزنا عليها و تمنيت لو كنت مكانها و لا ارى ذلك الوجه المليح الذي يعمل في هذا الخير يصير رمادا لكن حكم الله لا يرد فلما

Digitized by Google

ذلك الحب حتى لم يترك و لا حبة فبالامر المقدر تدارت حبة في جانب الفسقية فصار الديك يصيح و يرفرف باجنحته و يشير الينا بمنقاره و نحن لا نفهم ما يقول و صرخ علينا صرخة تخيل لنا ان القصر قد انقلب علينا و دار في ارض القصر كله فراى الحبة التي تدارت في جانب الفسقية فانقض عليها ليلتقطها و اذا بالحبة زرقت في وسط الماء الذي في الفسقية صارت سمكة و غارت في قعر الماء فانقلب الديك حوتا كبيرا و نزل خلفها و غاب ساعة و اذا قد سمعنا صراخا علا و عياطا فارتجفنا فبعد ذلك طلع العفريت و هو شعلة نار يفتح فمه يخرج منه نار و من عينيه و انفه نار و دخان و خرجت الصبية و هي جمرة نار عظيمة فتقاتلا هي و اياه ساعة حتي انعقدت عليهما النيران و انحبس الدخان في القصر فخفينا و اردنا ان نغطس في الماء و خفنا على انفسنا من الحريق و الهلاك فقال الملك لا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم انا لله و انا اليه راجعون يا ليتنا ما كلفناها بذلك في خلاص هذا القرد حتى اننا اتعبناها هذا التعب العظيم مع هذا العفريت الملعون الذي ما تقدر عليه كل هذه العفاريت الموجودين في الدنيا و يا ليتنا ما عرفنا هذا القرد لا بارك الله فيه و لا في ساعته قصدنا ان نعمل معه جميلا لوجه الله تعالى و نخلصه من السحر فابتلينا بتعب القلب و انا يا ستي مربوط اللسان لم اقدر اتكلم معه بشيء ثم ما شعرنا الا و العفريت قد صرخ من تحت النيران و صار عندنا في الايوان و نفخ في وجوهنا بالنار فلحقته الصبية و نفخت في وجهه فاصابنا الشرار منها و منه فاما شرارها فلم يوذنا و اما شرارة فلحقني في عيني شرارة فاطمستها و انا في صورة القرد و لحق الملك شرارة منه في وجهه

ASHMOLEAN OXFORD MUSEUM
Digitized by Google

ثم اخذت بيدها سكينا و عملت دائرة و ادرک شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة عشر قالت بلغني ايها الملک السعيد ان القرندلي قال للصبية يا ستي ثم ان بنت الملک اخذت بيدها سكينا مكتوب عليها بالاسماء العبرانية و خطت بها دائرة وسط القصر وكتبت عليها اسماء و طلسمات و عزمت و قرأت بكلام يفهم وكلام لا يفهم فبعد ساعة اظلمت علينا الدنيا و اذا بالعفريت قد تدلى علينا في صفته و هيئته له ايد كالمداري و ارجل كالسواري و عينين مثل شعل النار ففزعنا منه فقالت بنت الملک لا اهلا بک و لا سهلا فانقلب العفريت في صورة اسد و قال لها يا خائنة نقضت العهد و اليمين ا ما تحالفنا بان لا احد منا يتعرض للآخر فقالت له يا لعين و مثلک له عندي يمين فقال العفريت خذي ما جاک ثم فتح الاسد فمه و هجم على الصبية فاسرعت و اخذت شعرة من شعرها و هزتها بيدها و همهمت بشفتيها فصارت الشعرة سيفا ماضيا و ضربت به ذلک الاسد فصار نصفين و انقلبت راسه عقربا فانقلبت الصبية صارت حية عظيمة و هجمت على هذا اللعين و هو في صفة عقرب فتقاتلا قتالا شديدا ثم انقلبت العقرب عقابا فانقلبت الحية نسرا و صارت وراء العقاب و طلبته ساعة زمانية فانقلبت العقاب قطا اسود فانقلبت الصبية ذيبا ابلق فتقاتلا في القصر ساعة زمانية فراى القط نفسه مغلوبا فانقلب و صار رمانة حمرة كبيرة و قعدت الرمانة في وسط فسقية القصر فجاء اليها الذيب فارتفعت في الهواء و وقعت على بلاط القصر فانكسرت و انتشر الحب كل حبة وحدها و امتلأت ارض القصر حب رمان فانتفض الذيب و صار ديكا و التقط

Digitized by Google

ان تلعب معي فاشرت براسي نعم و تقدمت و وضعت الشطرنج و لعبت معه مرتين و انا اغلبه فحار عقل الملك ثمّ و اخذت الدواة و القلم وكتبت على الرقعة هذين البيتين

جَيْشَانِ يَقْتَتِلَانِ طُوْلَ نَهَارِهِمْ وَ قِتَالُهُمْ فِيْ كُلِّ وَقْتٍ زَائِدٌ
حَتّٰى اِذَا جَنَّ الظَّلَامُ عَلَيْهِمُ نَا مَا جَمِيْعًا فِيْ فِرَاشٍ وَاحِدٌ

قال فلما قرأ الملك هذين البيتين عجب و طرب و لحقه الا نبهار و قال لخادمه امض الى ستك ست الحسن و قل لها كلمي الملك حتى تجيء تتفرج على هذا القرد العجيب فغاب الطواشي و عاد و معه الست فلما نظرت الي غطت وجهها و قالت يا ابي كيف طاب على قلبك ان ترسل خلفي تفرجني على الرجال فقال يا ست الحسن ما عندي سوى المملوك الصغير و المُقدِم الذي رباكي و انا ابوكي فمن من تغطي وجهك فقالت ان هذا القرد شاب ابن ملك و ابوه اسمه اثيماروس صاحب جزائر ابنوس و هو مسحور سحره العفريت جرجيس الذي هو من ذرية ابليس و قتل زوجته بنت ملك افتاموس و هذا الذي تزعم انه قرد هو رجل عالم عاقل فتعجب الملك من ابنته و نظر الي و قال ا حق ما تقول عنك فقلت براسي نعم و بكيت فقال لها الملك من اين عرفتي انه مسحور فقالت يا ابت كان عندي و انا صغيرة عجوز ماكرة ساحرة فعلمتني السحر و صناعته و قد حفظته و اتقنته و حفظت منه مائة و سبعين بابا من ابوابه اقل باب فيه اخلي حجارة مدينتك خلف جبل قاف و اجعلها لجة بحر و اجعل اهلها سمكا في وسطها فقال ابوها يا بنتي بحياتي خلصي لنا هذا الشاب حتى اجعله وزيري لانه شاب ظريف لبيب فقالت له حبا و كرامة

Digitized by Google

و قبلت الارض بين يديه و جلست اكلت معه و قد انشالت السفرة فغسلت يدي سبع مرات و اخذت الدواة و القلم و كتبت اقول هذه الابيات شعر

عُجْ بِالْفَرارِيجِ فِي رَبْعِ السَّكَارِيجِ وَابْكِ لِفَقْدِ الْقَلَايَا وَ الطَّبَاهِيجِ
وَانْدُبْ بَنَاتَ الْقَطَا مَا زِلْتُ انْدُبُهَا مَعَ الْفِرَاخِ الْمُطَجَّنِ وَ الطَّبَاهِيجِ
يَا لَهْفَ قَلْبِي عَلَى لَوْنَيْنِ مِنْ سَمَكٍ عَلَى رَغِيفٍ مِنَ الْخُبْزِ الْمَعَارِيجِ
لِلّٰهِ دَرُّ الشِّوا مَا كَانَ اَطْيَبَهُ وَالدُّهْنُ يَغْمِسُ فِي خَلِّ الْمَكَارِيجِ
مَا هَزَّنِي الْجُوعُ اِلَّا بِتُّ مُعْتَكِفًا عَلَى الْهَرِيسَةِ فِي ضَوْءِ الدَّمَالِيجِ
نَبَّهْتُهُ عِنْدَ اَكْلٍ فِي فُكَاهَتِهِ عَلَى الْمَوَائِدِ اَصْنَافُ الدَّيَابِيجِ
يَا نَفْسِ صَبْرًا فَاِنَّ الدَّهْرَ ذُو عَجَبٍ اِنْ ضَاقَ يَوْمًا اَتَانَا بِالتَّفَارِيجِ

ثم قمت و جلست بعيدا فنظر الملك الى ما كتبته و قرأه فتعجب و قال يا للعجب قرد و يكون عنده هذه الفصاحة و الخط و الله ان هذا من اعجب العجب ثم قدم للملك مشروب خاص في زجاج فشرب الملك ثم ناولني فقبلت الارض و شربت و كتبت عليه

اَحْرَقُونِي بِالنَّارِ يَسْتَنْطِقُونِي وَجَدُونِي عَلَى الْبَلَاءِ صَبُورَا
لِاَجْلِ هٰذَا حَمَلْتُ فَوْقَ الْاَيَادِي وَ لَثِمْتُ مِنَ الْمِلَاحِ الثُّغُورَا

و ايضا

هَتَفَ الصُّبْحُ بِالدُّجَى فَاسْقِنِيهَا خَمْرَةً تَتْرُكُ الْحَلِيمَ سَفِيهَا
لَسْتُ اَدْرِي لِرِقَّةٍ وَ صَفَاءٍ هِيَ فِي كَاسِهَا اَمِ الْكَاسُ فِيهَا

قال فقرأ الملك الشعر فتحسر و قال لو كان هذا الادب في انسان لفاق اهل عصره و زمانه ثم قدم الملك رقعة شطرنج و قال هل لك

Digitized by Google

اِذَا فَتَحْتَ دَوَاةَ الْعِزِّ وَ النَّعَمِ فَاجْعَلْ مِدَادَكَ مِنْ جُوْدٍ وَ مِنْ كَرَمِ
وَ اكْتُبْ بِخَيْرٍ اِذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا فَقَدْ نُسِبْتَ بِهٰذَا النَّسْبِ وَ الْقَلَمِ

ثم ناولتهم الدرج وكتبوا كل واحد سطرا ثم اخذوه و طلعوا به الى الملك فلما نظر الملك الى الدرج فلم يعجبه خط احد الا خطي فقال للجماعة توجهوا الى صاحب هذا الخط و اركبوه بغلة و هاتوه بالنوبة و البسوه بدلة سنية و احضروه الى عندي فلما سمعوا كلام الملك تبسموا فغضب الملك منهم و قال يا ملاعين اقول لكم على امر تضحكون علي فقالوا ايها الملك ان لضحكنا سببا فقال و ما هو فقالوا ايها الملك انت تامرنا اننا نحضر لك الذي كتب هذا الخط و الحال ان الذي كتبه قرد و ليس هو آدمي و هو مع رئس المركب فقال ا حقا ما تقولون قالوا ايوا و حق نعمتك فتعجب الملك من كلامهم و اهتز من الطرب و قال اريد ان اشتري هذا القرد من الرئس ثم بعث رسولا الى المركب و معه البغلة و البدلة و النوبة و قال لابد ان تلبسوه هذه البدلة و تركبوه البغلة و تجيئو به في المركب و تاتوا به فساروا الى المركب و اخذوني من الرئس و البسوني البدلة و اركبوني البغلة فاندهش الخلائق و انقلبت المدينة لاجلي و صاروا يتفرجون علي فلما طلعوا بي الى الملك و لاقاني قبلت الارض بين يديه ثلث مرات ثم امرني بالجلوس فجلست على ركبتي فتعجبت الخلائق الحاضرين من ادبي و كان اكثرهم تعجبا الملك ثم امر الملك الخلق بالانصراف فانصرفوا و لم يبق الا انا و حضرة الملك و الطواشي و مملوك صغير ثم امر الملك فقدموا سفرة الطعام و فيها ما هش و طار و تناكح في الاوكار من القطا و السماني و سائر اصناف الطيور فاشار الملك الى ان اكل معه فقمت

Digitized by Google

فاشرت اليهم اني اكتب فاشار لهم الرئس خلوه يكتب و ان تخبط طردناه عنا و ان احسن الكتابة اتخذته ولدا فاني ما رأيت قردا افهم منه ثم اني مسكت القلم و استمديت من الدواة حبرا وكتبت بقلم الرقاعي هذين البيتين شعر

لَقَدْ كَتَبَ الدَّهْرُ فَضْلَ الْكِرَامِ وَ فَضْلُكَ لِلآنِ لَا يُكْتَتَبْ
فَلَا آيْتَمَ اللّٰهُ مِنْكَ الْوَرى لِأَنَّكَ لِلْفَضْلِ أُمٌّ وَ أَبْ

وكتبت بقلم الريحان شعر

لَهُ قَلَمٌ عَمَّ الْأَقَالِيمَ نَفْعُهُ وَ عَمَّ جَمِيعَ الْعَالَمِينَ مَنَافِعُ
فَمَانِيلَ مِصْرٍ مِثْلَ نَائِلِكَ الَّذِي يَمُدُّ إِلَى الْأَمْصَارِ خَمْسٌ أَصَابِعُ

وكتبت بقلم الثلث شعر

وَ مَا مِنْ كَاتِبٍ إِلَّا سَيَفْنَى وَ يَبْقَى الدَّهْرَ مَا كَتَبَتْ يَدَاهُ
فَلَا تَكْتُبْ بِكَفِّكَ غَيْرَ شَيْءٍ يَسُرُّكَ فِي الْقِيَامَةِ إِنْ تَرَاهُ

وكتبت بقلم النسخ

وَ لَمَّا نَبِينَا بِالْفِرَاقِ وَ حَكَّمَتْ فِينَا بِذَاكَ حَوَادِثُ الْأَيَّامِ
غُدْوَنَا لِأَفْوَاهِ الْمَحَابِرِ تَشْتَكِي أَلَمَ الْفِرَاقِ بِأَلْسُنِ الْأَقْلَامِ

وكتبت بقلم الطومار

إِنَّ الْخِلَافَةَ لَا تَدُومُ لِوَاحِدٍ إِنْ كُنْتَ تُنْكِرُ ذَا فَأَيْنَ الْأَوَّلُ
اِغْرِسْ مِنَ الْفِعْلِ الْجَمِيلِ غَرَائِسًا فَإِذَا عُزِلْتَ فَإِنَّهَا لَا تُعْزَلُ

وكتبت بقلم المحقق شعر

Digitized by Google

قليلا من التراب و همهم عليه و عزم و طرشني به و قال اخرج من هذه الصورة الى صورة قرد فمن ذلك الوقت صرت قردا ابنماية سنة فلما رايت نفسي في هذه الصورة القبيحة بكيت على نفسي و صبرت على جور الزمان و علمت ان الزمان ليس لاحد و قد انحدرت من على الجبل الى اسفل فوجدت برا متسعا فسافرت مدة الشهر فانتهى بي السير الى شاطي البحر المالح فوقفت ساعة و اذا انا بمركب في وسط البحر و قد طاب ريحه وهو طالب البر فاختفيت خلف صخرة على جانب البر و صبرت الى ان اتى المركب فنزلت فيه فقال واحد من الركاب اخرجوا هذا المشوم عنا فقال الرئس نقتله و قال الآخر اقتله بهذا السيف فمسكت ذيل الرئس و بكيت و سالت دموعي فحن على الرئس و قال يا تجار هذا القرد قد استجار بي و قد اجرته و هو في ذمامي فلا احد يعكر عليه و لا يشوش عليه ثم ان الرئس صار يحسن الي و مهما تكلم به افهمه و اقضي حوائجه كلها و اخدمه في المركب فحبني ثم ان المركب طاب له الريح مدة خمسين يوما فرسينا على مدينة عظيمة و فيها عالم عظيم لا يحصى عددهم الا الله فساعة وصولنا وقف مركبنا و اذا قد جاءت لنا مماليك من جهة ملك المدينة فطلعوا الى مركبنا و هنوا التجار بالسلامة و قالوا ملكنا يهنيكم بالسلامة و قد ارسل اليكم هذا الدرج الورق و كل واحد منكم يكتب فيه سطراً واحدا فان الملك كان له وزير خطاط و قد مات و اقسم السلطان و حلف الايمان العظام بان لا يوزر الا من يكتب مثل خطه ثم ناول التجار درج ورق طوله عشرة اذرع في عرض ذراع فكتب كل من كان يعرف الكتابة الى آخرهم فقمت و انا في صورة القرد و خطفت الدرج من ايديهم فخافوا اني اقطعه فنهروني

Digitized by Google

انه التفت الى اكابر دولته و قال ما ذا تقولون ما يستأهل من شفا ابنتي قالوا يتزوج بها قال صدقتم ثم زوجه بها و صار المحسود صهر الملك و بعد قليل مات الوزير فقال من نعمل وزيرا فقالوا صهرك فعملوا المحسود وزيراً و بعد قليل مات السلطان قالوا من نعمل ملكا قالوا الوزير فعملوا الوزير سلطانا و صار ملكا حاكما ففي يوم من الايام ركب مركبه و كان الحاسد مارا في طريقه و اذا بالمحسود بدست مملكته بين امرائه و وزرائه و ارباب دولته فوقعت عينه على حاسده فالتفت الى بعض وزرائه فقال ايتني بذلك الرجل و لا ترجفه فغاب و اتاه بالحاسد جاره فقال اعطوه الف مثقال من خزانتي و عبوا له عشرين حملا من المتجر و ارسلوا معه حارسا يوصله الى بلده ثم انه ودعه و انصرف عنه و لا عاقبه على ما فعل به انظر ايها العفريت الى عفو المحسود الى الحاسد و كيف حسده في البداية ثم اذاه و سافر له ثم بلغ به الى ان رماه في البئر و اراد قتله و لم يقابله على اذاه بل صفح عنه و عفا له ثم بكيت ايتها السيدة بين يديه البكاء الشديد الذي ما عليه من مزيد و انشدت

وَهَبِ الجُنَاةَ فَلَمْ تَزَلْ اَهْلُ النُّهى يَهَبُونَ لِلْجَانِيْنَ مَا يَجْنُونَهُ
فَلَقَدْ حَوَيْتَ عَلَى الذُّنُوبِ بِأَسْرِهَا فَاحْوِ مِنَ الصَّفْحِ الْجَمِيلِ فُنُونَهُ
فَمَنِ ابْتَغَى عَفْوَ الَّذِي هُوَ فَوْقَهُ فَلْيَعْفُ عَنْ ذَنْبِ الَّذِي هُوَ دُونَهُ

فقال العفريت اما ان اقتلك و اما العفو عنك فلا و لا بد ان اسحرك ثم اقتلع بي من الارض و طار بي الى الجو حتى نظرت الى الدنيا تحتي كانها قصعة في وسط الماء ثم حطني على جبل و اخذ

Digitized by Google

و آنسنا بذكره و قراءته و قد سافر له الحاسد حتى اجتمع به و تحيل عليه حتى رماه عندكم و قد اتصل خبره في هذه الليلة الى سلطان هذه المدينة و عزم على زيارته في غداة لاجل بنته فقال بعضهم و ما الذي بابنته قال بها جنون و قد تولع بها جنون ميمون بن دمدم و لو عرف دواءها لكان ابرأها و دواءها اهون ما يكون قال بعضهم و ما دواءها قال القط الاسود الذي عنده في الزاوية في آخر ذنبه نقطة بيضاء بقدر الدرهم يأخذ منها سبع شعرات من الشعر الابيض فيبخرها بها فيروح المارد من على راسها و لا يعود اليها ابدا و تبري لوقتها ايها العفريت هذا كله جرى و المحسود يسمع فلما اصبح الصباح و طلع الفجر و لاح جاء الفقراء الى الشيخ فوجدوه طالعا من البئر فعظم في اعينهم و لم يكن للمحسود دواء الا القط الاسود فاخذ من النقطة البيضاء التي في ذنبه سبع شعرات و شالهم معه و ما طلعت الشمس الا و الملك قد جاء في عسكره فتدخل هو و اكابر دولته و امر بقية عسكره بالوقوف فلما دخل الملك على المحسود رحب به و قربه و قال له اكاشفك على ماء جئته به قال نعم قال انك جئت تزورني و في نفسك تسئلني عن ابنتك فقال الملك نعم ايها الشيخ الصالح فقال المحسود ارسل من يأتي بها و ارجو انشأ الله تعالى تبرأ في هذه الساعة ففرح الملك و ارسل خلف ابنته و جاؤا بها و هي مكتفة مغللة فاجلسها المحسود و ستر عليها سترا و اخرج الشعر و بخرها به فصاح الذي كان على راسها و مضى عنها و عقلت البنت على نفسها و سترت وجهها فقالت ما هذه الاحوال و من جاءبي الى هذا المكان و فرح السلطان فرحا ما عليه من مزيد و قبل عينيها و قبل يدي الشيخ المحسود ثم

Digitized by Google

فقال العفريت و كيف كان ذلك فقلت **زعموا ايها العفريت** انه كان رجلان في المدينة ساكنين فى بيتين بحائط واحد ملصقين و كان واحدهما يحسد الآخر و يصيبه بعينه و يبالغ في اذيته و كل وقت يحسده و زاد به حسده حتى انه قلل فى طعامه و لذيذ منامه والمحسود لا يزداد الا خيرا و كلما تغلب فيه زاد و نما و ذكا فبلغ المحسود حسدة جاره له و اذيته له فرحل من جواره و ابعد عن ارضه و قال و الله لاهجرنّ الدنيا لاجله و سكن في مدينة اخرى و اشترى له فيها ارضا و كان في تلك الارض بئر ساقية قديمة و عمر له بها زاوية و اشترى له كل ما يحتاج اليها و عبد الله تعالى فيها و اخلص عبادته و جاءته الفقراء و المساكين من كل جانب و شاع خبره في تلك المدينة ثم اتصل خبره بجاره الحاسد له بما وصل اليه من الخير و صاروا ايقصدون اليه اكابر المدينة فدخل الزاوية فتلقاه الجار المحسود بالرحب و السعة و اكرمه غاية الاكرام فقال له الحاسد لي معك كلام و هو سبب سفري اليك و اريد ابشر لك فقم و امش معي في زاويتك فقام المحسود و اخذ بيد الحاسد و تمشوا الى آخر الزاوية فقال الحاسد قل لفقرائك يدخلون الى خلواتهم فانا ما اقول لك الا سرا بحيث لا احد يسمعنا فقال المحسود لفقرائه ادخلوا الى خلواتكم ففعلوا كما امرهم به و مشى به قليلا الى ان وصل به الى البئر القديم فدفع الحاسد المحسودَ فالقاه في البئر و لم يعلم به احد و خرج و راح في سبيله و ظن انه قتله و كان البئر مسكونا من الجن فالتقوه قليلا قليلا و اقعدوه على الصخرة و قال بعضهم لبعض تعرفون من هذا قالوا لا قال قائل منهم هذا الرجل المحسود الذي هرب من حاسده و سكن مدينتنا و انشأ هذه الزاوية

Digitized by Google

فَمَا اَحْسَنَ اللَّحْظَ فِيْ وَجْهِهِ وَ مَا اَرْشَقَ الطَّرْفُ اِذْ عَبَرا
فَهٰذَا بِاَجْفَانِهِ كَاتِبٌ وَ ذَاكَ بِمُقْلَتِهِ قَدْ قَرَا

قال فهملت عيناي بالدموع و رميت السيف من يدي و قلت ايها العفريت الشديد و البطل الصنديد اذا كانت امرأة ناقصة عقل و دين ما استحلت ضرب عنقي فكيف يحل لي ان اضرب عنقها و لم ارها عمري فلا افعل ذلك ابدا و لو سقيت كاس الموت والردى فقال العفريت انتما تعرفا صنيعة بينكما انا اريكما عاقبة فعالكما فاخذ العفريت السيف و ضرب يد الصبية قطعها ثم ضرب الثانية قطعها فقطع اربعتها باربع ضربات و انا انظر و ايقنت بالموت و قد اشارت الي بعينها كالمودع ثم ان العفريت قال لها زنيتي بعينك و ضربها طير راسها ثم التفت الي و قال يا انسي نحن في شرعنا اذا زنت الزوجة يحل لنا قتلها و هذه الصبية خطفتها ليلة عرسها و هي بنت اثنى عشر سنة و لم تعرف احدا غيري و كنت اجيئ عندها في كل عشرة ايام ليلة واحدة و كنت اجيئها فى زي رجل عجمي فلما تحققت انها خانتني قتلتها و اما انت فلم اتحقق انك خنتني فيها و لٰكن لابد اني ما اخليك في عافية فتمن على ففرحت يا سيدتي غاية الفرح و قلت و ما اتمناه عليك قال تمن على اي صورة اسحرك فيها اما صورة كلب او حمار او قرد فقلت و قد طمعت انه يعفو عني و الله ان عفوت عني يعف الله عنك بعفوك عن رجل مسلم لم يوذك و تضرعت غاية التضرع و بقيت بين يديه و قلت له انا مظلوم فقال لا تطل علي الكلام ما يبعد علي قتلك و لٰكن اخيرك فقلت ايها العفريت ان العفو عني هو اليق بك فاعف عني كما عفا المحسود عن الحاسد

Digitized by Google

و ما يحل من الله ان اكذب عليه فقال لها العفريت ان كنتي لم تعرفيه خذي هذا السيف و اضربي عنقه فاخذت السيف و جاءتني و وقفت على راسي فاشرت لها بحاجبي و دمعي يجري على وجنتي ففهمت اشارتي و غمزتني و قالت فعلتَ بنا كل هذا فاشرت لها ان هذا وقت العفو و لسان حالي يقول

يُتَرْجِمُ طَرْفِيْ عَنْ لِسَانِيْ فَتَعْلَمُوْا وَيُبْدِي الْهَوى مَا فِيْ ضَمِيْرِيَ اَكْتُمُ
وَلَمَّا الْتَقَيْنَا وَالدُّمُوْعُ سَوَاجِمُ خَرِسْتُ وَطَرْفِيْ عَنْكُمُ يَتَكَلَّمُ
تُشِيْرُ فَاَدْرِيْ مَا تَقُوْلُ بِطَرْفِهَا وَاُوْمِيْ اِلَيْهَا بِالْبَنَانِ فَتَفْهَمُ
حَوَاجِبُنَا تَقْضِي الْحَوَائِجَ بَيْنَنَا وَنَحْنُ سُكُوْتٌ وَالْهَوى يَتَكَلَّمُ

قال فلما فرغت من الشعر يا سيدتي رمت الصبية السيف من يدها و قالت كيف اضرب عنق من لا اعرفه و لا اساء علي ما يحل هذا في ديني و تاخرت فقال العفريت ما يهون عليكي قتل محبوبك كونه نام معك ليلة تقاسي هذه العقوبة و لا تقري عليه و بعد هذا لا يحن على الجنس الا الجنس ثم التفت الي العفريت و قال يا انسي و انت ما تعرف هذه فقلت و من تكون هذه و ما رأيتها قط الا في هذه الساعة قال فخذ هذا السيف و اضرب عنقها و انا اطلقك تروح و لا اتكد عليك و اني اتحقق انك لا تعرفها ابدا فقلت نعم و اخذت السيف و تقدمت بنشاط و رفعت يدي فقالت لي بحاجبها اي ما قصرت معك ا هكذا تقابلني ففهمت ما قالت و اشرت اليها بعيني اني سانديك بروحي فكتب لسان حالنا حيث يقول

كَمْ عَاشِقٍ حَدَّثَ بِاَجْفَانِهِ مَعْشُوْقَهُ بِالَّذِيْ اَضْمَرَا
اَوْحى اِلَيْهِ لَحْظُهُ بِالْعَيْنِ اَنِّيْ عَالِمْتُ الَّذِيْ قَدْجَرى

Digitized by Google

اِذَا مَا اَتَاكَ الدَّهْرُ يَوْمًا بِنَكْبَةٍ فَيَوْمًا تَرَى يُسْرًا وَ يَوْمًا تَرَى عُسْرًا

ثم مشيت الى ان اتيت رفيقي الخياط فلقيته من اجلي على مقالي النار و هو لي في الانتظار فقال اني بت البارحة قلبي عندك و خفت عليك من وحش و غيره فالحمد لله على سلامتك فشكرته على شفقته علي و دخلت خلوتي و جعلت اتفكر فيما جرى لي و لمت نفسي على كثرة فضولي و رفصي هذه القبة و انا في هذا الحساب و اذا بصديقي الخياط دخل علي و قال لي يا فتى برا شيخ عجمي يطلبك و معه فاسك و مركوب رجلك قد جاء بهما الى الخياطين و قال لهم انا خرجت وقت اذان الموذن الى صلوة الفجر فعثرت بهما و لم اعلم لمن هما دلوني على صاحبهما فدلوه الخياطين عليك و قد عرفوا فاسك وهو قاعد في دكاني فاخرج اليه و اشكره و خذ فاسك و ترجيلك فلما سمعت هذا الكلام اصفر لوني و تغير كوني فبينما انا كذلك و اذا بارض خلوتي انشقت و طلع منها العجمي و اذا هو العفريت و قد كان عاقب الصبية غاية العقاب فلم تقر له بشيٍ فاخذ الفاس و الترجيل و قال لها ان كنتُ جرجيس من ذرية ابليس فانا اجيٍ بصاحب هذا الفاس و الترجيل ثم جاء في هذه الحيلة الى الخطابين و دخل علي و لم يمهلني بل اختطفني و طار و علا بي و نزل و غاص في الارض و انا لا اعلم بنفسي ثم طلع بي القصر الذي كنت فيه فرأيت الصبية عريانة مشبوحة و الدم يسيل من اجنابها فذرفت عيناي بالدمع فاخذها العفريت و قال لها يا كورة ا ما هذا هو عشيقك فنظرت الي و قالت له لا اعرف هذا و لا رأيته الا في هذه الساعة فقال لها العفريت و هذه العقوبة و لم تقري فقالت ما رأيته عمري

Digitized by Google

قويا و ادرک شهرزاد الصباح فسکتت عن الکلام المباح

فلما کانت الليلة الثالثة عشر قالت بلغني ايها الملک السعيد ان القرندلي الثاني قال للصبية يا سيدتي لما رفصت القبة رفصا قويا الا و الاقطار قد اظلمت و ارعدت و ابرقت و هزهزت الارض و اطبقت الدنيا فطار الکسر من راسي و قلت لها ما الخبر قالت العفريت قد وصل الينا ما حذرتک من هذا و الله لقد آذيتني انج بنفسک و اطلع من المکان الذي جئت منه فمن شدة خوفي نسيت مرکوبي و فاسي فلما طلعت درجيتن و التفت لانظر و اذا بالارض قد انشقت و طلع منها عفريت ذو منظر بشع و قال ما هذه الزعجة التي ازعجتني بها ما مصيبتک فقالت ما اصابني شيٌ غير ان صدري ضاق فاردت ان اشرب شرابا يشرح صدري فاستعلمت قليلا و اردت ان اقضي شغلا فثقلت عليّ راسي فوقعت على القبة فقال لها العفريت تکذبي يا قحبة و نظر في القصر يمينا و شمالا فرأى المرکوب و الفاس فقال لها ما هذا الا لبس الانس من جاء الى عندک فقالت ما نظرت هذا الا الساعة کانهما تعلقا معک فقال العفريت هذا کلام محال ما ينطل علي يا کورة ثم انه عراها وشبحها بين اربع سکک و جعل يعاقبها و يقررها فما کان و لا هان عليّ ان اسمع بکاها فطلعت من السلم و انا من الخوف ارجف فلما وصلت الى اعلا الموضع و رديت الطابق کما کان و سترته بالتراب و ندمت على ما فعلت غاية الندم و تذکرت الصبية و حسنها وکيف يعاقبها هذا الملعون وکيف لها خمسة و عشرون سنة و ما جرى لها بسببي و افتکرت ابي و مملکة و کيف صرت حطابا و بعد ان صفا الوقت رجع تکدر عيشي فبکيت وقلت هذا البيت شعر

Digitized by Google

الارض وحدي و لم اجد من يحدثني خمسة و عشرين سنة فالحمد لله الذي ارسلك لي ثم قالت يا فتى هل لك في الشراب فقلت افعلي فعمدت الى خرستان و اخرجت شرابا عتيقا مختوما و نصبت خضرة فاخذت و انشدت تقول شـــــــــــــــعـــــــــــــــر

لَوْ عَلِمْنَا قُدُوْمَكُمْ لَنَشَرْنَا مُهْجَةَ الْقَلْبِ اَوْ سَوَادَ الْعُيُوْنِ
وَ فَرَشْنَا خُدُوْدَنَا لِلِقَاكُمْ لِيَكُوْنَ الْمَسِيْرُ فَوْقَ الْجُفُوْنِ

فلما فرغت من شعرها شكرتها و قد تمكنت محبتها و قد ذهب همي و غمي و جلسنا في منادمة الى الليل فبت معها ليلة ما رأيت مثلها في عمري و اصبحنا نصل السرور بالسرور الى وسط النهار فسكرت سكراً حتى غبت عن الوجود فقمت اتمائل يمينا و شمالا و قلت لها يا مليحة قومي اطلعك من تحت الارض و اريحك من هذا الجني فضحكت و قالت اقنع و اسكت ففي كل عشرة ايام يوم للعفريت و تسعة ايام لك فقلت و قد غلب علي السكر انا الساعة اكسر هذه القبة التي عليها النقش المكتوب و دعي العفريت يجيء حتى اقتله فاني معوّد بقتل العفاريت فلما سمعت كلامي اصفرت لونها و قالت لي بالله لا تفعل و انـــــــــــــــشـــــــــــــــدت

اِنَّ شَيْأً هَلاَكُ نَفْسِكَ فِيْهِ يَنبَغِيْ اَنْ تَصُوْنَ نَفْسَكَ عَنْهُ

ثم انشدت تقول شـــــــــــــــعـــــــــــــــر

يَا طَالِبًا لِلْفِرَاقِ مَهْلاً بِخَيْلِهِ سَابِقًا عِتَاقُ
اِصْبِرْ فَطَبْعُ الزَّمَانِ غَدْرٌ وَ آخِرُ الصُّحْبَةِ الْفِرَاقُ

فلما فرغت من شعرها و لم التفت لكلامها و قد رفصت القبة رفصا

Digitized by Google

الجمال فنظرت اليّ و قالت لي انت من تكون انسي ام جني فقلت لها انسي فقالت و من اوصلك الى هذا المكان الذي لي فيه خمسة و عشرين سنة ما رأيت فيه انسيا ابدا فقلت و قد وجدت لكلامها عذوبة و قد اخذ بمجامع قلبي يا سيدتي اتا بي منازلي لذهاب همي و غمي و حكيت لها ما جرى لي من الاول الى الآخر فصعب عليها حالي و بكت و قالت انا الاخرى اعلمك بقصتي اعلم اني بنت ملك افيتاموس صاحب جزيرة الابنوس و كان قد زوجني بابن عمي فليلة زفافي ختطفني عفريت اسمه جرجيس بن رجموس ابن خالة ابليس فطار بي ونزل في هذا المكان و نقل فيه كل ما احتاج اليه من الحلل و الحلي و القماش و المتاع و الطعام و الشراب و غير ذلك و في كل عشرة ايام ياتيني مرة ينام هنا ليلة ثم يروح لحال سبيله لانه قد اخذني بغير رضىً من اهله و عاهد بي اذا عرض لي حاجة ليلا او نهارا ان المس بيدي هذين السطرين المكتوبين على القبة فما اشيل يدي الا و اراه عندي و له اليوم اربعة ايام و بقي له ستة ايام حتى ياتي فهل لك ان تقيم عندي خمسة ايام و تنصرف قبل مجيئه بيوم فقلت نعم يا حبذا ان صحت الاحلام ففرحت و نهضت على اقدامها فمسكتني من يدي و ادخلتني من باب مقنطر و انتهت بي الى حمام لطيف ظريف فلما رأيته قلعت ثيابي و قلعت ثيابها فغسلت و خرجت فجلست على مرتبة و اجلستني الى جانبها و اتت بسكر ممسك و سقتني ثم قدمت لي ماكولا فاكلنا و تحادثنا ثم قالت لي نم و استرح فانك تعبان فنمت يا سيدتي و قد نسيت ما جرى لي و شكرتها فلما استيقظت وجدتها تكبس رجلي فدعوت لها و جلسنا نتحادث ساعة فقالت و الله كنت ضيقة الصدر و انا تحت

Digitized by Google

و الله لا ادري شيأً غير الذي ذكرته لك فقال شُد وسطك و خذ فاسا و حبلا و احطتب من البرية حطبا تتقوت به الى ان يفرج الله عنك و لا تعرفهم بنفسك يقتلوك ثم اشترى لي فاسا و حبلا و سلمني الى بعض الحطابين و اوصاهم علي فخرجت معهم و احتطبت نهاري كله فاتيت بحمل على راسي فبعته بنصف دينار فاكلت ببعضه و ابقيت بعضه و دمت على هذا الحال مدة سنة فبعد السنة اتيت يوما على عادتي الى البرية و استفرقت فيها فوجدت غُوطْة اشجار فيها حطب كثير فدخلت الغوطة فوجدت اصل شجرة غليظة فحفرت حولها و ازلت التراب عنها فعثرت الفاس في حلقة نحاس فنظفت التراب و اذا هي في طابق خشب فكشفته فبان تحته سلم فنزلت الى اسفل السلم فرأيت بابا فدخلته فرأيت قصرا من احسن البنيان مشيدة الاركان فوجدت فيه صبية كالدرة السنية تنفي عن القلب كل هم و غم و بليه كلامها يشفي الكروب و يترك العاقل اللبيب مسلوب خماسية القد قاعدة النهد ناعمة الخد مشرقة اللون مليحة الكون و قد اشرق وجهها في ليل الذوائب و لمع ثغرها على صفحات الترائب كما قال فيها الشاعر

دُجُوجِيَّةُ الْفَرْعَيْنِ مَهْضُومَةُ الْحَشَا كَثِيبِيَّةُ الْاَرْدَافِ بَانِيَّةُ الْقَدِّ

و ايضا

أَرْبَعَةٌ مَا اجْتَمَعَتْ قَطُّ اِذَا اِلاَّ عَلَى مُهْجَتِي وَ سَفْكِ دَمِي
ضَوْءُ جَبِينٍ وَ لَيْلُ طُرَّتِهِ وَوَرْدُ خَدٍّ وَضَوْءُ جِسْمِ

فلما نظرت اليها سجدت لخالقها لما ابدع فيها من الحسن و

Digitized by Google

السنان بين ايدينا فاشرنا اليهم بالاصابع و قلنا لهم نحن رسل ملك الهند المعظم فلا تؤذونا فقالوا نحن لسنا في ارضه و لا تحت حكمه ثم انهم قتلوا بعض الغلمان و هرب الباقون و هربت انا بعد ان انجرحت جرحا بليغة و اشتغلت عني العرب بالمال و الهدايا التي كانت معنا فصرت لا ادري اين اذهب و كنت عزيزا فصرت ذليلا و سرت الى ان اتيت راس الجبل فاويت الى مغارة الى ان طلع النهار و لم ازل كذلك حتى وصلت الى مدينة امينة حصينة وَلّى عنها الشتاء ببرده و اقبل عليها الربيع بورده و اطلعت ازهارها و تدفقت انهارها وتغردت اطيارها كما قال فيها الشاعر حيث و صفها

مَدِيْنَةٌ مَا بِهَا لِسَاكِنِهَا مُرَوِّعٌ وَ الْاَمَانُ صَاحِبُهَا
كَاَنَّهَا جُنَّةٌ مُزَخْرَفَةٌ لِاَهْلِهَا قَدْ بَدَتْ عَجَائِبُهَا

قال ففرحت بوصولي اليها و قد تعبت من المشي و علاني الهم و الاصفرار فتغيرت حالتي و لا ادري اين اسلك فاجتزت خياطا في دكان فسلمت عليه فرد عليّ السلام و رحب بي و ابنسط معي و آنسني و سألني عن سبب غربتي فاخبرته بما جرى لي من اوله الى آخره فاغتم لاجلي و قال يا فتى لا تظهر ما عندك فاني اخاف عليك من ملك هذه المدينة و انه اكبر اعداء ابيك و له عنده ثار ثم احضر لي ماكولا و مشروبا فاكلت و اكل معي و تحادثت معه في الليل و افرد لي محلا الى جانب حانوته و اتاني بما احتاج اليه من فراش و لحاف فاقمت عنده ثلثة ايام فقال لي ما تعرف صنعة تكتسب منها فقلت له اني فقيه عالم كاتب حاسب خطاط فقال صنعتك كاسدة في بلادنا و ما في مدينتنا من يعرف علما و لا كتابة غير الكسب فقلت

Digitized by Google

و خليفة رب العالمين حتى احكي له و ابث قصتي و ما جرى لي فوصلت هذه المدينة الليلة فوقفت حائرا اين امضي و اذا بهذا القرندلي واقف فسلمت عليه و قلت له غريب فقال و انا غريب فبينما نحن كذلك و اذا برفيقنا هذا الثالث جاء الينا و سلم علينا و قال لنا غريب فقلنا له و نحن غرباء فمشينا و قد هجم علينا الظلام فسألنا القدر الى عندكم و هذا سبب حلق ذقني و شواربي و قلع عيني فقالت الصبية ملس على راسك و رح فقال لها لا اروح حتى اسمع خبر غيري فتعجبوا من حديثه فقال الخليفة لجعفر و الله ما رأيت و لا سمعت مثل الذي جرى لهذا القرندلي ثم تقدم القرندلي الثاني و قبل الارض وقال يا ستي انا ما ولدت اعور و لي حكاية عجيبة لو كتبت بالابر على آماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر و هي اني كنت ملك ابن ملك و قرأت القرآن على سبع روايات و قرأت الكتب و عرضتها على مشايخ العلم و قرأت علم النجوم و كلام الشعراء و اجتهدت في سائر العلوم حتى فقت اهل زماني و فاق خطي على سائر الكتبة و شاع ذكري في سائر الاقاليم و البلدان و عند سائر الملوك فسمع بي ملك الهند فارسل الى ابي يطلبني و ارسل لابي هدايا و تحفا تصلح للملوك فجهزني ابي في ستة مراكب و سرنا في البحر مدة شهر كامل فوصلنا الى البر و اخرجنا خيلا كانت معنا في المركب و شدينا عشرة جمال هدايا و مشينا قليلا و اذا انا بغبار قد علا و ثار حتى سد الاقطار و بعد ساعة من النهار انكشف الغبار و بان من تحته خمسون فارسا ليوث عوابس بحديد لوابس فتاملناهم و اذا هم عرب قطاع طريق فلما رأونا و نحن نفر قليل و معنا عشرة اجمال هدايا لملك الهند دمجوا علينا و قدموا

Digitized by Google

و اياك ان تصدر منك هذه الفعال فاني اسخط عليك و اقتلك و حجبته عنها و حجبتها عنه و كانت الملعونة تحبه محبة عظيمة و قد تحكم الشيطان و زين لهما اعمالهما فلما راني حجبته فعل هذه المكان الذي تحت الارض و سواه و نقل فيه المأكول كما تراه و استغفلني لما خرجت الى الصيد اتى هذا المكان فغار عليه الحق و عليها و احرقهما و عذاب الآخرة اشد و اقوى ثم بكى و بكيت معه و نظر الي و قال انت ولدي عوض عنه و تفكرت ساعة في الدنيا و حوادثها و كيف قتل الوزير والدي و جلس مكانه و قلع عيني و ما تم على ولد عمي من الحوادث الغريبة ثم بكيت و بكى عمي معي ثم اننا صعدنا و رددنا الطابق و التراب و عملنا القبر كما كان ثم رجعنا الى منزلنا فلم يستقر بنا الجلوس حتى سمعنا حس طبول و بوقات و كوسات و رمح ابطال و زمجر رجال و قعقعة اللجم وصهيل خيل انطبقت الدنيا بالعُجاج و الغبار من حوافر الخيل فحارت عقولنا و لم تعرف الخبر فسألنا عن الخبر فقيل ان الوزير الذي اخذ مملكة ابيك جهز العساكر و جمع الجيوش و استخدم العربان و جاءنا بعساكر كعدد الرمال لا يحصى لهم عدد و لا يقوى لهم احد و قد هجموا المدينة على غفلة و اهل المدينة لم يكن لهم طاقة بهم فسلموا اليه المدينة فضل عمي و هربت انا بجانب المدينه و قلت انا متى وقعت في يده قتلك و تجددت علي الاحزان و تذكرت الحوادث التي حدثت لابي و عمي وكيف العمل فان ظهرت عرفوني اهل المدينة و عسكر ابي فيكون قتلي و هلاكي فما وجدت شيأ انجو به الا حلق ذقني و شواربى فحلقتها و غيرت اثوابي و خرجت من المدينة و قصدت هذه المدينة لعل احدا يوصلني الى امير المومنين و

Digitized by Google

ثم اتيت انا و عمي الى الجبانة و نظرت يمينا و شمالا فعرفتها ففرحت انا و عمي فرحا شديدا و دخلت انا و اياه التربة و شلنا التراب و رفعنا الطابق و نزلت انا و عمي قدر خمسين درجة فلما وصلنا الى اخر سلم و اذا بدخان طلع علينا حتى غشى ابصارنا فقال عمي كلمة لا يخجل قائلها لا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم ثم مشينا و اذا نحن بقاعة ملأنة دقيقا و من الحبوب و الماكول و غير ذلك و رأينا في وسط القاعة بشخانة مرخاة على سرير فنظر عمي الى السرير فوجد ابنه و المرأة التي قد نزلت معه صارا فحما اسود و هما متعانقين كانهما القيا في جب من نار فلما نظر عمي ذلك بزق في وجهه و قال تستاهل يا خنزير هذا عذاب الدنيا و بقي عذاب الآخرة اشد و اقوى و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية عشر قالت بلغني ايها الملك السعيد ان القرندلي قال للصبية و الجماعة يسمعون و جعفر و الخليفة ثم ان القرندلي قال ان عمي ضرب ولده بالزربون و هو راقد فحم سود فتعجبت من فعله و حزنت على ابن عمي وكيف صار هو و الصبية فحما اسود فقلت بالله يا عمي زوّل عن قلبك غصة لقد اشتغل سري و خاطري و اغتميت بما قد جرى على ولدك وكيف بقي فحما اسود هو و الصبية و ما كفاهم ما هم فيه ضربته بالزربون فقال يا ابن اخي هذا ولدي من صغره مولع بحب اخته وكنت انهاه عنها و اقول دول صغار فلما كبرا و وقع بينهما القبيح و سمعت بذلك و لم اصدق فمسكته و زجرته زجرا بليغا و قالوا له الخدام الحذر من هذه الفعال القبيحة التي ما فعلها احد قبلك و لا بعدك و تبقي بين الملوك بالمعيرة و النقصان الى اخر الزمان و تشيع اخبارنا مع الركبان

Digitized by Google

و قال ايضا شعر

و اخوان حسبتهم دروعا فكانوها و لكن للاعادي
و خلتهم سهاما صائبات فكانوها و لكن في فوادي

فلما سمع السياف شعري و كان سياف ابي و لي عليه الاحسان قال يا سيدي كيف افعل و انا عبد مامور ثم قال لي فز بعمرك و لا تعد الى هذه الارض فتهلك و تهلكني معك كما قال بعضهم شعر

و نفسك فز بها ان صبت ضيما و خلي الدار تنعى من بناها
فانك واجد ارضا بارض و نفسك لم تجد نفسا سواها
عجبت لمن يعيش بدار ذل و ارض الله واسعة فلاها
و لا تبعث رسولك في مهم فما للنفس ناصحة خلاها
و ما غلظت رقاب الاسد حتى بانفسها تولت من عناها

فقبلت يديه و ما صدقت بالنجاة و هان علي قلع عيني بنجاتي من القتل و سافرت حتى وصلت الى مدينة عمي فدخلت عليه و اعلمته بما جرى على والدي و بما جرى لي من قلع عيني فبكي بكاءا شديدا و قال لقد زدتني هما على همي و غما على غمي فان ابن عمك قد عدم و لا اعلم ما جرى عليه منذ ايام و لم يخبرني احد بخبره و بكي حتى اغمي عليه فحزنت عليه حزنا شديدا فاراد ان يحط على عيني دواء فراها صارت جوزة فارغة فقال يا ولدي بعينك و لا بروحك قال و لم يمكنني السكوت على ابن عمي الذي هو ولده فاعلمته بالذي جرى كله ففرح عمي بالذي قلته له فرحا شديدا عند سماع خبر ابنه و قال قم ارني التربة فقلت و الله يا عمي لم اعرف مكانها لاني رحت بعد ذلك مرارا و فتشت عليها فلم اعرف مكانها

Digitized by Google

الطير و اذا بالبندقة اخطأت و حطت في عين الوزير قلعتها بالقضاء والقدر كما قيل في بعض الامثال الماضية شـــــعـــــر

مَشَيْنَاهَا خُطاً كُتِبَتْ عَلَيْنَا وَ مَنْ كُتِبَتْ عَلَيْهِ خُطاً مَشَاهَا
وَ مَنْ كَانَتْ مَنِيَّتُهُ بِأَرْضٍ فَلَيْسَ يَمُوتُ فِي أَرْضٍ سِوَاهَا

قال القرندلي فلما انقلعت عين الوزير لم يقدر يتكلم لان والدي كان ملك المدينة فهذا سبب العداوة بيني و بينه فلما وقفت قدامه و انا مكتف امر بضرب عنقي فقلت له باي ذنب تقتلني فقال اي ذنب اعظم من هذا و اشار الى عينه المقلوعة فقلت له هذا فعلته خطأً فقال ان كنت فعلته خطأً فانا افعله عمدا ثم قال قدموه فقدموني بين يديه فمد اصبعه في عيني اليمنى قلعها فصرت من ذلك الوقت اعور كما تروني ثم كتفني و حطني في صندوق و قال للسياف تسلم هذا و اشهر حُسامك و خذه و اذهب به الى بر المدينه و اقتله و دع الوحوش و الطيور تاكله فخرج بي السياف و سار حتى خرج من المدينة الى وسط البرية و اخرجني من الصندوق و انا مكتف اليدين مغلول الرجلين و اراد ان يعصب عيني و يقتلني بعد ذلك فبكيت بكاءا شديدا حتى ابكيته و نظرت اليه و انشدت اقول هذا الابيات شـــــعـــــر

حَسِبْتُكُمُ دِرْعاً حَصِيناً لِتَمْنَعُوا سِهَامَ الْعِدَا عَنِّي فَكُنْتُمْ نِصَالَهَا
وَكُنْتُ ارْتَجِيكُمْ عِنْدَ كُلِّ مُلِمَّةٍ إِذَا اعْوَزَتْ إِيدِي الْيَمِينُ شِمَالَهَا
دَعُوا قِصَّةَ الْعُذَّالِ عَنِّي بِمَعْزِلٍ وَ خَلُّوا الْعِدَا يَرْمُوا عَلَيَّ نِبَالَهَا
إِذَا أَنْتُمُ لَمْ تَحْرِسُونِي مِنَ الْعِدَا فَكُنْتُمْ سَكَتُّمْ لَا عَلَيَّ وَ لَا لَهَا

Digitized by Google

اصبح الصباح تفكرت الليلة الماضية و ما جرى فيها على ابن عمي و ندمت حيث لا ينفع الندم على ما فعلت معه و طاوعته فظننت انه كان مناما فاخذت اسأل عن ابن عمي فما كان احد يجيبني عنه فخرجت الى المقابر و الجبانة و فتشت على التربة فلم اعرفها و لم ازل ادور تربة تربة و قبرا قبرا حتى اقبل الليل و لم اهتد عليها فرجعت الى القصر و لم اكل و لم اشرب و قد اشتغل خاطري بابن عمي بحيث لا اعلم له حالا فاغتميت غما شديدا فنمت ليلتي و بت مهموما الى الصباح فجئت ثانيا الى الجبانة و انا افكر فيما فعله ابن عمي و ندمت على سماعي منه و قد درت في الترب جمعيا فلم اعرف تلك التربة و ذلك القبر فندمت على ذلك و دمت على هذا الحال سبعة ايام فلم اعرف لها طريقا فزاد بي الوسواس حتى كدت ان اجن فلم اجد فرجا دون ان سافرت و رجعت الى ابي فساعة وصولي الى مدينة ابي نهض جماعة على باب المدينة و كتفوني فتعجبت كل العجب و انا ابن سلطان المدينة و هم خدم ابي و غلماني فلحقني منهم خوف زائد فقلت في نفسي يا ترى ما جرى على والدي و اسأل الذين مسكوني عن سبب ذلك فلم يردوا على جوابا فبعد حين قال لي بعضهم و كان خادما عندي ان اباك قد غدر به الزمان و خامر عليه العساكر و قتله الوزير و قعد مكانه و نحن نترقب لك بامره فاخذوني و انا غائب عن الدنيا من هذه الاخبار التي سمعتها عن ابي فلما تمثلت بين يديه و كان بيني و بين الوزير عداوة قديمة و سبب تلك العداوة كنت مولعا بضرب قوس البندق و اذا انا يوما من الايام واقف على سطح قصري و اذا بطائر نزل على سطح قصر الوزير و كان واقفا فاردت ان اضرب

Digitized by Google

اليك حاجة مهمة و اريد ان لا تخالفني فيما اريد ان افعله فقلت له حبا و كرامة فاستوثق مني بالايمان العظام و نهض من وقته و ساعته و غاب قليلا و عاد و خلفه امراة متزرة مطيبة و عليها من الحلل ما يساوي مبلغا عظيما فالتفت الي و المرأة خلفه و قال خذ هذه المرأة و اسبقني على الجبانة الفلانية و وصفها لي فعرفتها و قال لي ادخل بها الى التربة و انتظر لي هناك فلم يمكنني المخالفة و لم اقدر ارد سواله لاجل اليمين الذي حلفته فاخذت المراة و سرت الى ان دخلت التربة انا و اياها فلما استقر بنا الجلوس جاء ابن عمي و معه طاسة فيها ماء و كيس فيه جبس و قدوم ثم انه اخذ القدوم و جاء الى قبر في وسط التربة ففكه و نقل احجاره الى ناحية التربة ثم بحث بالقدوم في ارض القبر ثم انكشف عن طابق حديد قدر الباب الصغير في الارض فشاله فبان من تحته سلم معقود ثم التفت الى المراة و قال لها دونك و ما تختاري فنزلت المرأة من ذلك السلم فالتفت الي و قال يا ابن عمي تمام المعروف اذا نزلت انا في ذلك الموضع رد الطابق و رد عليه التراب كما كان على الطابق و هذا تمام المعروف و هذا الجبس الذي في الكيس و هذا الماء الذي في الطاسة اعجن به الجبس و لبس القبر كما كان اولا في دائر الاحجار حتى لا يراها احد و يقول هذا فتح جديد و بطنه عتيق لان لي سنة كاملة و انا اعمل فيه و ما يعلم بي الا الله و هذه حاجتي اليك ثم قال لي لا اوحش الله منك يا ابن عمي ثم نزل في السلم فلما غاب عن عيني قمت و رديت الطابق و فعلت ما امرني به و بقي القبر كما كان و انا في خمار سكران و رجعت الى قصر عمي و كان عمي في الصيد و القنص فنمت تلك الليلة فلما

Digitized by Google

يا جعفر اخبرها بنا و الا قتلنا غلطا و حسن لها القول قبل ان يحل بنا المكروه فقال جعفر من بعض ما تستاهل فزعق عليه الخليفة و قال الهذل له وقت و الجد له وقت هذا و الصبية اقبلت على القرندلية و قالت لهم انتم اخوة قالوا لا و الله ما نحن الا فقراء و اعجام فقالت لواحد منهم انت ولدت اعور قال لا و الله انا قد جرى لي حديث عجيب و امر غريب لما قلعت عيني و لي حكاية لو كتبت بالابر على آماق البصر لصارت عبرة لمن اعتبر قال و سألت الثاني و الثالث فقالوا مثل الاول و قالوا و الله يا مولاتنا كل واحد منا من بلد و ابن ملك و حاكم على بلاد و عباد فالتفتت الصبية لهم و قالت كل واحد منكم يحكي علي حكايته و ما سبب مجيه الى عندنا يملّس على راسه و يروح الى حال سبيله فاول ما تقدم الحمال **فقال** يا ستي انا رجل حمال حملتني هذه الخوشكاشة و جاءت بي من بيت النباذ الى دكان الجزار و من دكان الجزار الى الفاكهاني و من عنده الى النقلي و من النقلي الى الحلواني و العطار و منه الى هنا و جرى لي معكم ما جرى و هذا حديثي و السلام فضحك الصبية و قالت له ملس على راسك و رح فقال و الله ما اروح حتى اسمع حديث رفقائي فتقدم القرندلي الاول **و قال لها** يا ستي اعلمي ان سبب حلق ذقني و قلع عيني ان والدي كان ملك و له اخ و كان اخوه ملك في مدينة اخرى و اتفق ان امي ولدتني و ولد ابن عمي في يوم واحد و مضت سنين و اعوام و ايام حتى كبرنا وكنت ازور عمي في كل قليل و اقعد عنده اشهرا عديدة فاكرمني ابن عمي غاية الاكرام و ذبح لي الاغنام و روق لي المدام و جلسنا للشراب فلما تحكم الشراب منا قال لي ابن عمي يا ابن عمي لي

Digitized by Google

و ضربها بالمقارع مثل الرجال و هذا سوالهم لك و السلام فقالت الصبية صاحبة المكان للضيوف صحيح ما يقول عنكم فقالوا الجميع نعم الا جعفر فانه سكت فلما سمعت الصبية كلامهم قالت والله لقد اذيتموني يا ضيوفنا الاذية البالغة و تقدم لنا اننا شرطنا عليكم ان من تكلم فيما لا يعنيه سمع ما لا يرضيه و ما كفاكم اننا ادخلناكم منزلنا و اطعمناكم زادنا و ما لكم ذنب الذنب لمن اوصلكم الينا ثم شمرت عن معصمها و ضربت الارض ثلث ضربات و قالت عجلوا و اذا بباب خرستانة قد فتح و خرج منه سبع عبيد و بايديهم سيوف مسلولة فقالت كتفوا هولاء الكثيرين الكلام و اربطوا بعضهم ببعض ففعلوا و قالوا ايها المخدرة ارسمي لنا بضرب رقابهم فقالت امهلوهم ساعة حتى اسألهم عن حالهم قبل ضرب رقابهم فقال الحمال يا ستر الله يا ستي لا تقتليني بذنب غيري و الجميع اخطؤا و دخلوا في الذنب الا انا و الله لقد كانت ليلتنا طيبة لو سلمنا من هولاء القرندلية الذين لو دخلوا مدينة عامرة اخربوها ثم يقول شعر

مَا اَحْسَنَ الْعَفْوَ مِنَ الْقَادِرِ لَا سِيَّمَا مِنْ غَيْرِ ذِي نَاصِرِ
بِحُرْمَةِ الْوُدِّ الَّذِي بَيْنَنَا لَا تُفْسِدِ الْاَوَّلَ بِالْآخِرِ

فلما فرغ الحمال من شعره ضحكت الصبية و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية عشر قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الصبية لما ضحكت من غيظها اقبلت على الجماعة و قالت اخبروني بخبركم فما بقي من اعماركم الا ساعة و لو لا انتم عزيزين او اكابر قومكم او حكاما لما كنتم تجاريتم فقال الخليفة ويلك

Digitized by Google

قال فلما سمعت الصبية الثالثة قصيدتها صرخت وحطت يدها في اثوابها و شقتها الى الذيل و وقعت على الارض مغشيا عليها ثالث مرة فبان ضرب القارع فقالت القرندلية ليتنا لما دخلنا هذه الدار و كنا نمنا على الكيمان فقد تعكر مقامنا بشيء يقطع القلب فالتفت الخليفة اليهم و قال لهم لِمَ ذلك قالوا قد اشتغل سرنا بهذا الامر فقال الخليفة ما انتم من هذا البيت قالوا لا و لا رأينا هذا الموضع الا في هذه الساعة فتعجب و قال فيكون الرجل الذي عندكم يعرف خبرهم ثم غمز الحمال و سألوه عن الاحوال فقال الحمال و الله العظيم كلنا بالهوى سوي و انا نشوا بغداد و عمري ما دخلت هذه الدار الا في هذا النهار و كان قعادي عندهم عجب فقالوا و الله حسبنا انك منهم و الآن نراك نظيرنا ثم ان الخليفة قال نحن سبعة رجال و هم ثلثة نساء ليس لهم رابع فاسألوهم عن حالهم فان لم يجيبونا طوعا اجابونا كرها و اتفق الجميع على ذلك فقال جعفر ما هذا راي دعوهم فنحن ضيوف عندهم و شرطوا علينا شرطا و قد قبلنا شرطهم كما علمتم فالاولى سكاتنا عن هذا الامر و قد بقي من الليل القليل وكل منا يمضي الى حال سبيله ثم غمز الخليفة و قال له ما بقي الا ساعة و في غد نحضرهم بين يديك و تسألهم عن قصتهم فرفع الخليفة راسه و صرخ مغضبا و قال ما بقي لي صبر عن خبرهم فدع القرندلية يسألوهم فقال جعفر ما هذا براي فتفاوضوا في الكلام وكثر بينهم القال و القيل فيمن يسألهم قبل قالوا الحمال فقالت لهم الصبية يا جماعة لاي شيء تفوشوا فقام الحمال لصاحبة البيت و قال لها يا ستي ان هولاء الجماعة يحبون ان تحدثيهم بخبر الكلبتين و ما قصتهم و كيف انت تعاقبيهم و تعودي تبكي و تبوسهم و اخبرهم عن اختك

Digitized by Google

اَوْ بَعَثْنَا رُسْلًا تُتَرْجِمُ عَنَّا مَا يُوَدِّي شَكْوَى الْمُحِبِّ رَسُوْلُ
اَوْ صَبَرْنَا فَمَا بَقِيَ الْمُحِبُّ بَعْدَ فَقْدِ الْاَحْبَابِ اِلَّا قَلِيْلُ
لَيْسَ اِلَّا تَاَسُّفًا ثُمَّ حُزْنًا وَ دُمُوْعًا عَلَى الْخُدُوْدِ تَسِيْلُ
اَيُّهَا الْغَائِبِيْنَ عَنْ شَخْصِ عَيْنِيْ وَ هُمْ فِي الْفُؤَادِ مِنِّيْ حُلُوْلُ
اَ تَرَاكُمْ فَهَلْ عَلِمْتُمْ بِعَهْدِيْ فَهُوَ طُوْلُ الْمَاءِ لَيْسَ يَطُوْلُ
اَمْ تَنَاسَيْتُمْ عَلَى الْعَبْدِ صَبًّا يَشْتَفِيْ فِيْكُمُ الْبُكَا وَ النُّحُوْلُ
آهِ اِنْ ضَمَّنَا وَ اِيَّاكُمُ الْحُبُّ فَلِيْ مَعْكُمْ عِتَابٌ يَطُوْلُ

قال فلما سمعت القصيدة الثانية صرخت و قالت و الله طيب و حطت يدها و شقت اثوابها كما فعلت الاولى ثم وقعت على الارض مغشيا عليها فقامت الخشكاشة و البستها بدلة ثانية بعد ان رشت عليها الماء فقامت و جلست ثم قالت لاختها الخشكاشة زيديني و اوفي ديني فما بقي غير هذا الصوت فاحضرت الخشكاشة العود و انشدت تقول هذه الابيات شعر

حَتَّى مَتَى هٰذَا الصُّدُوْدُ وَ ذَا الْجَفَا اَ فَمَا جَرَى مِنْ اَدْمُعِيْ مَا قَدْ كَفَا
وَ لَكَمْ تُطِيْلُ الْهَجْرَ لِيْ مُتَعَمِّدًا اِنْ كَانَ قَصْدُكَ حَاسِدِيْ فَقَدِ اشْتَفَى
لَوْ اَنْصَفَ الدَّهْرُ الْخَؤُوْنُ لِعَاشِقٍ مَا بَاتَ سَهْرًا فِيْ هَوَاهَا مُدْنِفَا
رِفْقًا عَلَيَّ فَقَدْ اَضَرَّ بِيَ الْجَفَا يَا مَالِكِيْ مَا آنَ اَنْ تَتَعَطَّفَا
فَلِمَنْ اُبِيْحُ صَبَابَتِيْ يَا قَاتِلِيْ يَا خَيْبَةَ الشَّاكِيْ اِذَا قَلَّ الْوَفَا
وَ يَزِيْدُ وَجْدِيْ فِيْكُمُ وَ عَبْرَتِيْ وَ يَطُوْلُ اَيَّامُ الصُّدُوْدِ فَيَخْلُفَا
يَا مُسْلِمِيْنَ خُذُوْا بِثَارِ مُتَيَّمٍ اَلِفَ السُّهَادَ وَ رَبْعُ صَبْرِهِ قَدْ عَفَا
اَ يَحِلُّ فِيْ شَرْعِ الْهَوَى يَا مُنْيَتِيْ بُعْدِيْ وَ غَيْرِيْ بِالْوِصَالِ مُشَرَّفَا
وَ لِاَيِّ دَعَةٍ بِالْجِوَارِ تَلَذُّذًا كَمْ جَهْدَ مَنْ اَهْوَاهُ اَنْ يَتَكَلَّفَا

Digitized by Google

لَمَّا فَشَتْ اَسْرَارِيْ بِدَمْعِيَ الْمِهْدَارْ
دَاوُوْا شَدَائِدَ اَمْرَاضِيْ وَ اَنْتُمُ الدَّاءَ وَ الدَّوَا
وَ مَنْ دَوَاهُ مَعْكُمْ دَامَتْ بِهِ الْاِضْرَارْ
ضِيَا جُفُونِكْ ضَنِّي لِيْ قَتْلِيْ بِسَيْفِ صَبَابَتِيْ
وَكَمْ بِسَيْفِ الْمَحَبَّةِ قَدْ مَاتَتِ الْاَخْيَارْ
لَا اَنْتَهِيْ عَنْ غَرَامِيْ وَ لَا اَمِيْلُ لِسَلْوَتِيْ
فَالْحُبُّ طِبِّيْ شَرْعِيْ زَيْنِيْ فِي السِّرِّ وَ الْاِجْهَارْ
يَا سَعْدَ عَيْنٍ تَمَلَّتْ مِنْكُمْ وَ فَازَتْ بِالنَّظَرْ
نَعَمْ وَ قَدْ صَارَ قَلْبِيْ مُوْلِهًا مُخْتَارْ

قال فلما سمعت الصبية ذلك القصيد الرباعي قالت اه اه اه ثم شقت اثوابها و وقعت على الارض مغشيا عليها فرأي الخليفة ضرب المقارع و الكسارات فتعجب غاية العجب فقامت البوابة و رشت الماء عليها و اتت لها ببدلة سنية و البستها فلما عاينوا الجماعة ذلك تكدر خاطرهم و لم يعلموا القصة و لا الخبر فعند ذلك قال الخليفة لجعفر ما تنظر الى هذه الصبية وكيف عليها و هذا الضرب فانا لا اقدر اسكت الا ان وقفت على حقيقة الحال و خبر هذه الصبية و خبر الكلبتين السود فقال جعفر يا مولانا قد شرطوا علينا اننا لم نتكلم فيما لا يعنينا فنسمع ما لا يرضينا ثم قالت بالله يا اختي اوفيني و اتيني فقالت الخوشكاشة حبا و كرامة و اخذت العود و اسندته الى نهديها وجسته باناملها و انشدت تقول

اِنْ شَكَوْنَا بُعْدًا فَمَا ذَا نَقُوْلُ اَوْ بَلَغْنَا شَوْقًا فَاَيْنَ السَّبِيْلُ

Digitized by Google

حتى كلت سواعدها فرمت السوط من يدها و ضمت الكلبة لصدرها و مسحت دموع الكلبة بيدها و باست راسها ثم قالت للحمال خذيها و هات الثمانية فجابها و فعلت بها مثل ما فعلت بالاولى فعند ذلك اشتغل قلب الخليفة و ضاق صدره و عيي صبره ليعرف خبر هذين الكلبين فغمز جعفر فالتفت له و قال بالاشارة اسكت ثم التفتت الصبية للبوابة فقالت لها قومي اقضي ما عليكي فقالت نعم ثم انها قامت و صعدت على السرير و هو من العرعر مصفح بصفايح الذهب و الفضة ثم قالت للبوابة و الخشكاشة هاتوا ما عندكم فقامت و جلست على كرسي بجانبها و اما الخشكاشة فانها دخلت مخدعا و خرجت و معها كيس اطلس بشراريط خضر و بشمستين ذهب و وقفت قدام الصبية صاحبة المنزل و نقضت الكيس فاخرجت منه عود غناء فاصلحت اوتاره و شدت ملاويه و اصلحته اصلاحا جيدا وانشدت تقول هذه الابيات

أَنْتُمْ مُرَادِي وَ قَصْدِي وَ وَصْلُكُمُ يَا أَحِبَّتِي
فِيهِ النَّعِيمُ الدَّائِمْ وَ الْبُعْدُ عَنْكُمْ نَارْ
بِكُمْ جُنُونِي وَ فِيكُمْ تَوَلُّهِي طُولَ الزَّمَانْ
وَ مَا عَلَيَّ إِذَا مَا أَحْبَبْتُكُمْ مِنْ عَارْ
تَهَتَّكَتْ أَسْتَارِي لَمَّا انْشَغَفْتُ بِحُبِّكُمْ
وَ الْحُبُّ مَازَالَ يَهْتِكُ وَ يَفْضَحُ الْأَسْتَارْ
ثَوْبُ الضَّنَا قَدْ لَبِسْتُهْ فَبَانَ عُذْرِي وَ اتَّضَحْ
مِنْ أَجْلِ ذَا فِي غَرَامِي قَلْبِي بِكُمْ يَخْتَارْ
جَرَتْ دُمُوعِي تَجْرِي فَبَانَ سِرِّي وَ اشْتَهَرْ

Digitized by Google

مرحبا و اهلا بالضيوف و لنا عليكم شرط فقالوا و ما هو قالوا لا تتكلموا فيما لا يعنيكم تسمعوا ما لا يرضيكم فقالوا نعم ثم انهم جلسوا للشراب و المنادمة فنظر الخليفة الى الثلثة القرندلية فوجدهم عورا بالعين الشمال فتعجب من ذلك و نظر الى البنات و ما هم فيه من الحسن و الجمال فتحير و تعجب و اخذوا في المنادمة و الحديث فقالوا للخليفة اشرب فقال انا عازم على الحج فقامت البوابة و قدمت شفرة مزركشة و اقعدت عليها باطية صينية و قلبت فيها ماء خلاف و ادخلت فيها جمحة ثلج و ابلوج سكر فشكرها الخليفة و قال في نفسه و الله لاجزيها في غداة غد على فعلها من الخير ثم اشتغلوا بمنادمتهم فلما تحكم الشراب قامت الست و خدمتهم و اخذت بيد الخشكاشة و قالت يا اختي قومي نقضي دَيننا فقالت الاختان نعم فعند ذلك قامت البوابة قدامهم و ذلك بعد ان عزلت المقام و رمت القشور و غيرت البخور و عزلت وسط القاعة و اطلعت القرندلية الى جانب الايوان على صفة و اخذت الخليفة و جعفرا و مسرورا الى جانب القصر على صفة و صرخت على الحمال و قالت ما قل مودتك انت ما انت غريب انت من اهل الدار فقام الحمال و شد وسطه و قال ما تريدي فقالت قف مكانك ثم قامت الخشكاشة و نصبت في وسط القاعه كرسيا و فتحت خوشكانة و قالت للحمال ساعدني فراعُ كلبتين سودا في رقابهم جنازير فقالت للحمال خذهم فاخذهم الحمال و خرج بهم الى وسط القاعة فقامت الصبية صاحبة المنزل و شمرت عن معصمها و اخذت سوطا و قالت للحمال قدم كلبة منهم فقدمها و جرها في الجنزير و الكلبة تبكي و تحركت راسها الى الصبية فنزلت الصبية عليها بالضرب على راسها و الكلبة تصرخ و لا زالت تضربها

Digitized by Google

و عودا و جنكا اعجميا فقاموا القرندلية فاصلحوا الآلات و اخذ واحد منهم الدف و الآخر العود و الآخر الجنك و ضربوا بها و غنوا و البنات صرخت حتى صار لهم حس عال فهم كذلك و اذا بالباب يطرق فقامت البوابة تبصر خبر الباب قالت شهرزاد ايها الملك و كان السبب لدق الباب ان تلك الليلة نزل الخليفة هارون الرشيد يتفرج و يسمع ما يتجدد من الاخبار هو و جعفر وزيره و مسرور سياف نِقْمته و كان من عادته يتنكر في صفة التجار فلما نزل تلك الليلة و شق المدينة جاءت طريقهم على تلك الدار فسمعوا الآلات و الغنا فقال الخليفة لجعفر اشتهي ان ندخل الى هذه الدار و نسمع هذه الاصوات و نرى اصحابها فقال جعفر يا امير المؤمنين هولاء قوم قد دخل السكر فيهم و نخشى ان يصيبنا منهم شر فقال لابد من دخولي واريدك ان تحتال حتى ندخل عليهم فقال جعفر سمعا و طاعة ثم تقدم جعفر و طرق الباب فخرجت البوابة و فتحت الباب فتقدم جعفر و قبل الارض و قال يا ستي نحن ناس تجار من طبريه و لنا في بغداد عشرة ايام و بعنا تجارتنا و نحن نازلين في خان التجار و عزم علينا تاجر في هذه الليلة فدخلنا عنده و قدم لنا طعاما فاكلنا ثم تنادمنا عنده ساعة فاذن لنا بالانصراف فخرجنا بالليل و نحن غرباء فتهنا عن الخان الذي نحن فيه فلعل من صدقاتكم ان تدخلونا هذه الليلة عندكم نبات و لكم الثواب فنظرت البوابة اليهم و هم متقمشين كالتجار و عليهم الحشمة فدخلت لاخوتها و قالت بحديث جعفر و تأسفوا عليهم و قالوا لها دعيهم يدخلون فردت و فتحت لهم الباب فقالوا لها ندخل باذنك قالت ادخلوا فدخل الخليفة و جعفر و مسرور فلما راؤهم البنات قاموا لهم و اجلسوهم و خدموهم و قالوا

Digitized by Google

ثلثة اعجام قرندلية محلوقين الذقون و الروس والحواجب و هم الثلثة عور بالعين الشمال و هذا من اعجب الاتفاق و هم كما قد حضروا من السفر الآن و حالة السفر ظاهرة عليهم و قد وصلوا الى بغداد و هذا اول دخولهم بلدنا و اما سبب دق الباب فانهم لم يجدوا موضعا يباتوا فيه فقالوا عسى صاحب هذه الدار يعطينا مفتاح الاسطبل او خرابة نبات فيها الليلة فقد ادركهم المسا و هم غرباء ما يعرفون احدا يلتجئون اليه و يا اخوتي لكل واحد منهم شكل و صورة مضحكة فلم تزل تتلطف بهم حتى قالوا لها دعيهم يدخلوا و اشرطي عليهم لا يتكلموا فيما لا يعنيهم فيسمعوا ما لا يرضيهم ففرحت و راحت ثم عادت و معها الثلثة عور محلّقين الذقون و الشوارب فسلموا و خدموا و تاخروا فقاموا لهم البنات و رحبوا و هناوا بالسلامة و قعدوهم فنظروا القرندلية الى محل ظريف و مقام نظيف منظوم بخضرة و شموع توقد و بخور تصاعد و نقل و فواكه و مدام و ثلث بنات ابكار فقالوا جميعهم و الله طيب ثم التفتوا الى الحمال فوجدوه جذلان تعبان سكران فلما عاينوه ظنوا انه منهم و قالوا هو قرندلي مثلنا و هو غريب او عرب فلما سمع الحمال هذه الكلام قام و حملق عينيه لهم و قال لهم اقعدوا بلا فضول ا ما قرأتم ما على الباب و ما بالفقراء انتم كما وردتم علينا تطلقوا لسانكم فينا قالوا نحن نقول نستغفر الله يا فقير راسنا بين يديك فضحكوا البنات و قاموا اصلحوا بين القرندلية و الحمال و قدموا للقرندلية الاكل فاكلوا ثم جلسوا يتنادمون و البوابة تسقيهم و دار الكاس بينهم فقال الحمال للقرندلية و انتم يا اخواتنا ما معكم حكاية او نادرة تحكوها لنا فدبت عندهم الحرارة و طلبوا آلات اللهو فاحضرت لهم البوابة دفا

Digitized by Google

حديثك قالت حبا و كرامة بلغني ايها الملك السعيد ان البنات مازالوا يقولون للحمال زبك ايرك خازوقك و هو يبوس و يعض و يعنق الى ان اشتفى قلبه منهن و هم يتضاحكون الى ان قالوا له يا اخينا ما اسمه قال ما تعرفون ما اسمه قلن لا قال هذا البغل الكسور يرعي حبق الجسور و يسف السمسم المقشور و يبات في خان ابومنصور فضحكوا حتى انقلبوا على قفاهم و عادوا الى منادمتهم و لم يزالوا كذلك الى ان اقبل الليل عليهم فقالوا للحمال بسم الله يا سيدي قم و البس زرموجتك و توجه و اوربنا عرض اكتافك فقال الحمال و الله خروج الروح اهون من خروجي من عندكم دعونا نصل الليل بالنهار و غداة كل منا يروح الى حال سبيله فقالت الخشكاشة بحياتي عليكم دعوه ينام عندنا نضحك عليه فمن بقي يعيش حتى نجتمع على مثل هذا فانه خليع ظريف فقالوا ما تبات عندنا الا بشرط ان تدخل تحت الحكم و مهما رأيت لاتسأل عنه و لا عن سببه فقال نعم فقالوا قم و اقرأ الكتابة الذي على الباب فقام الى الباب فوجد مكتوبا عليه بماء الذهب من يتكلم فيما لا يعنيه يسمع ما لا يرضيه فقال الحمال اشهدوا على اني لا اتكلم فيما لا يعنيني ثم قامت الخوشكاشة و جهزت لهم ماكولا فاكلوا ثم اوقدوا الشموع و القناديل و غرسوا في الشموع العنبر و العود و قعدوا على الشراب بمذاكرة الاحباب و قد غيروا ذلك المقام بغيره و صفوا فاكهة طرية وكذلك المشروب و لا زالوا في اكل و شرب و منادمة و نقل و ضحك و خداع ساعة من الزمان و اذا هم بالباب يدق فلم ينخرم نظامهم و اذا بواحدة منهم انفردت على الباب ثم عادت و قالت قد كمل صفانا في تلك الليلة قالوا و ما ذلك قالت على الباب

Digitized by Google

مرجها و قال في سبيل الله رقبتي و اكتافي ثم تعرت الصبية و القت نفسها في البركة ثم غطست و لعبت و اغتسلت فنظر الحمال اليها عريانة كانها فلقه قمر بوجه كالبدر اذا بدر و الصبح اذا اسفر و نظر الى قدها و نهدها و الى تلك الارداف الثقال التي تترجرج و هي عريانة كما خلقها ربها فقال اه اه و انشد يخاطبها

اِنْ قُسْتُ قَدَّكَ بِالْغُصْنِ الرَّطِيْبِ فَقَدْ حَمَّلْتُ قَلْبِيَ اَوْزَاراً وَ عُدْوَانَا
فَالْغُصْنُ اَحْسَنُ مَا نَلْقَاهُ مُكْتَسِيًا وَ اَنْتِ اَحْسَنُ مَا نَلْقَاكِ عُرْيَانَا

فلما سمعت الصبية الابيات طلعت من البركة و جاءت و قعدت في حجره و اشارت الى هنها و قالت يا سويدي ايش اسم هذا قال حبق الجسور قالت ذه ذه قال سمسم المقشور قالت اوه قال رحمك قالت يو يو ما تستحي و سكته في قفاه و صار كلما قال لها اسمه كذا تسكه و تقول لا لا الى ان قال يا اخوتي و ما اسمه فقالت خان ابومنصور فقال الحمد لله على السلامة ها ها يا خان ابومنصور و قامت الصبية و لبست ثيابها و عادوا الى ما كانوا عليه فدارت الكاس بينهم ساعة ثم قام الحمال و خلع ثيابه و نزل في البحرة و راوه عائما في الماء و غسل تحت لحيته و ابطه مثل ما غسلن ثم طلع و رمى نفسه في حجر الست و رمى ذراعيه في حجر البوابة و رمى رجليه و سيقانه في حجر الخشكاشة ثم اومى الى ذكره و قال يا ستاتي ما اسم هذا فضحكوا الكل على كلامه حتى انقلبوا على قفاهم و قالت الواحدة زبك قال لا و اخذ من كل واحدة عضة قالوا ايرك قال لا و اخذ من كل واحدة حضنا و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة العاشرة قالت لها اختها دنيازاد اتمي لنا

Digitized by Google

عقولهم فلما تحكم الشراب معهم قامت البوابة و تجردت من اثوابها
و صارت عريانة و ارخت شعرها عليها سترا و ارمت نفسها في البحرة
و لعبت في الماء و بطبطت و تفلت و اخذت الماء في فمها و مجت
على الحمال ثم غسلت اعضاها و بين افخاذها ثم طلعت من الماء و
رمت روحها في حجر الحمال و قالت له يا سيدي يا حبيبي ايش اسم
هذا و اشارت الى فرجها فقال الحمال رحمك فقالت ايه اَ ما تستحي
و مسكته من رقبته و صارت تصكه فقال فرجك فصكته ثانيا على قفاه
وقالت وا اى وا قبيح ما تستحي فقال كسك فقالت ايه انت ما تستحي
على عرضك ثم لكمته بيدها و ضربته فقال الحمال زنبورك فنزلت عليه
الكبرى بالضرب و قالت له لا تقل كذا فصار الحمال كلما قال باسم
زادوه ضربا و لم يكن الا ان ذاب قفاه من الصك و جعلوه اضحوكة
بينهم الى ان قال و ما اسمه عندكن فقالت حبق الجسور فقال
الحمال الحمد لله على السلامة طيب يا حبق الجسور ثم انهم دوروا
الكاس و الطاس و قامت الثانية و خلعت ثيابها و رمت نفسها في
حجر الحمال و اومت الى حرها و قالت يا نور عيني ما اسم هذا قال
فرجك قالت اَ ما يقبح عليك و صكته ضربة رنت بها القاعة فقالت له
يوه يوه اَ ما تستحي فقال حبق الجسور فقالت لا و الضرب و الصك
على قفاه و هو يقول رحمك كسك فرجك ندولك و هن يقلن لا
لا فقال حبق الجسور فالثلثة ضحكوا حتى قلبوا على قفاهم و نزلوا
سكا في رقبته و قلن لا ما هو اسمه كذا قال يا اخوتي ما اسمه قلن
السمسم المقشور ثم لبست الجارية قماشها و جلسوا يتنادمون و
الحمال يتاوه من رقبته و اكتافه فدارت الكاس بينهم ساعة ثم قامت
الكبيرة مليحتهم و تجردت من ثيابها فمسك الحمال رقبته بيده و

Digitized by Google

هَاتِهَا بِاللّٰهِ هَاتِ مِنْ كُؤُسٍ مُتْرَعَاتِ
وَاسْقِنِي مِنْهَا بِكَاسٍ اِنَّهَا مَاءُ الْحَيٰوةِ

ثم تقدم الى صاحبة المحل و قال يا ستي انا عبدك و مملوكك و خدامك و انشد يقول

عَلَى الْبَابِ عَبْدٌ مِنْ عَبِيْدِكَ وَاقِفٌ بِجُوْدِكَ وَالْاِحْسَانِ مَا زَالَ مُعْتَرِفْ
اَ يَدْخُلُ يَا ذَاتَ الْمَحَاسِنِ كَيْ يَرٰى جَمَالَكَ اِنِّيْ وَ الْهَوٰى غَيْرُ مُنْصَرِفْ

فقالت له طب نفسا و اشرب هنيا و عافية تجري مجاري الصحة فاخذ الكاس و قبل يدها و ترنم و انشد يقول

نَاوَلْتُهَا شِبْهَ خَدَّيْهَا مُعَتَّقَةً صِرْفاً كَاَنَّ سَنَاهَا ضَوْءُ مِقْبَاسِ
فَقَبَّلَتْهَا وَ قَالَتْ وَ هْيَ ضَاحِكَةً فَكَيْفَ تَسْقِي خُلُوْدَ النَّاسِ لِلنَّاسِ
قُلْتُ اشْرَبِيْ فَهْيَ مِنْ دَمْعِيْ وَ حُمْرَتُهَا دَمِيْ وَ طَابَخَهَا فِي الْكَاسِ اَنْفَاسِيْ

فقالت مجيبة عليه شعر

اِنْ كُنْتَ يَا صَاحِ مِنْ اَجْلِيْ بَكَيْتَ دَمًا هَاتِ اسْقِنِيْهَا عَلَى الْعَيْنَيْنِ وَالرَّاسِ

قال فاخذت الصبية القدح و شربته و نزلت عند اختها و ما زالوا يشربون و الحمال في وسطهم و هم في رقص و ضحك و غناء و اشعار و موشحات و صار الحمال معهم في هراش و بوس و عض و فرك و جس و لمس و خراع و هذه تلقمه و هذه تلكمه و هذه تلطمه و هذه بالمشموم يخدمه و هو معهم في اَلَذِّ عيش كانه قاعد في الجنة بين حور العين و لم يزالوا كذلك حتى لعبت الخمرة في رؤسهم و

Digitized by Google

الجرة و احضرت ما يحتاجون اليه ثم قدّمت المدام و جلست هي واختاها و جلس الحمال بينهن و هو يظن انه في المنام ثم قدمت باطية المدام و ملأت اول قدح و شربته و الثاني و الثالث ثم ملأت وناولت اختها الاخرى ثم ملأت و ناولت الحمال و قالت

اِشْرَبْ هَنِيًّا مُمَتَّعًا بِالْعَوَافِي اِنَّ هَذَا الشُّرْبَ لِلدَّاءِ شَافِي

فاخذ الكاس بيده و خدم و شكر و انشد يقول شعر

مَا تُشْرَبُ الْكَاسُ اِلَّا مَعْ اَخِي ثِقَةٍ وَ طَاهِرِ الْاَصْلِ مَنْسُوبًا اِلَى السَّلَفِ
فَالرَّاحُ كَالرِّيحِ اِنْ هَبَّتْ عَلَى عَطِرٍ طَابَتْ وَ تَنْتِنُ اِنْ مَرَّتْ عَلَى الْجِيَفِ

ثم قال

لَا تَشْرَبِ الرَّاحَ اِلَّا مِنْ يَدَيْ رَشَإٍ يَحْكِيكَ فِي رِقَّةِ الْمَعْنَى وَ يَحْكِيهَا

ثم انه بعد انشاده قبل ايديهم و شرب و سكر و تمايل و انشد يقول شعر

كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدِّمَاءِ حَرَامٌ شُرْبُهُ مَا خَلَا دَمَ الْعُنْقُودِ
فَاسْقِنِيهَا فِدًى لِعَيْنَيْكِ نَفْسِي مِنْ غَزَالٍ وَ طَارِفِي وَ تَلِيدِي

ثم ملأت القدح و ناولتها لاختها الوسطى فاخذتها من يدها و شكرتها و شربت ثم ملأت و ناولت لصاحبة السرير و ملأت كاسا اخرى و ناولتها الحمال فقبل الارض بين يديها و شكر و شرب و انشد يقول شعر

فَصَدْرُكَ بِسِرِّكَ اِنْ لَمْ يَسَعْ فَكَيْفَ يَسَعْ صَدْرُ مُسْتَوْدَعِهْ

و فيه قال ابونواس و اجـــاد

مَنْ اَطْلَعَ النَّاسَ عَلى سِرِّهِ اِسْتَوْجَبَ الْكَيَّةَ فِي جَبْهَتِهْ

فقال الحمال فلما سمع كلامهم و حياتكم اني رجل عاقل امين قرأت الكتب و طالعت التواريخ اظهر الجميل و اخفي القبيح و الشاعر يقول في كلامه وانـــد

مَا يَكْتُمُ السِّرَّ اِلَّا كُلُّ ذِي ثِقَةٍ وَ السِّرُّ عِنْدَ خِيَارِ النَّاسِ مَكْتُومُ
اَلسِّرُّ عِنْدِي فِي بَيْتٍ لَهُ غَلَقٌ ضَاعَتْ مَفَاتِيحُهُ وَ الْبَابُ مَخْتُومُ

فلما سمعوا البنات الشعر و النظام و ما ابداه قلن له انت تعلم اننا غرمنا على هذا المقام جملة من المال فهل معك شيُ تحارفنا به فنحن ما ندعك تجلس عندنا و تصير نديمنا و تشرف على وجوهنا الصباح الملاح حتى توزن جملة من المال ا ما سمعت صاحب المثل و قد قال محبة بلا حبه ما تشاوي حبه فقالت البوابة معك شيُ يا حبيبي انت شيُ ما معك شيُ روح بلا شيُ فقالت الخوشكاشة يا اخوتي كفوا عنه فو الله ما قصر اليوم معنا و لو كان غيرة ما طول روحه معنا و مهما جاء عليه انا اوزنه عنه ففرح الحمال و قبل الارض و شكر فقالت صاحبة السرير و الله ما ندعك تجلس عندنا الا بشرط و هو ان لا يسأل عما لا يعنيه و ان تفاضل يضرب فقال الحمال رضيت يا ستي على الراس و العين و ها انا بلا لسان فقامت الخوشكاشة و شدت وسطها و صفت القناني و روقت المدام و عملت الخضرة على جانب

Digitized by Google

هذا المسكين الحمال فجاءت الخوشكاشة من قدام و البوابة من خلف و ساعدتهم الثالثة و حطوا القفص عن الحمال و افرغوا ما في القفص و وضعوا كل شيء في محله و اعطوا الحمال دينارين و قالوا له توجه يا حمال فنظر الى الصبايا و ما هم فيه من الحسن و الطبايع الحسان فما نظر احسن منهم و ما عندهم رجال و نظر ما عندهم من الشراب و الفواكه و المشمومات و غير ذلك فتعجب غاية العجب و توقف عن الخروج فقالت له الصبية ما لك لِمَ لا تروح انت كانك استقليت الاجرة ثم التفتت الى اختها و قالت لها اعطيه دينارا آخر فقال الحمال و الله يا ستي ما استقليت الاجرة و اجرتي ما تساوي درهمين و انما اشتغل قلبي و سري بكم و كيف انتم وحدكم ما عندكم رجال و لا احد يونسكم و انتم تعرفون ان المادبة لا تقف الا على اربعة و ما لكم رابع و ما يطيب لعب النساء الا بالرجال كما قيل شعر

اَ مَا تَرى اَرْبَعًا لِلَّهْوِ قد جُمِعَتْ ... جُنْكٌ وَ عُودٌ وَ قَانُونٌ وَ مِزْمَارُ
وَ وَافَقَتْهَا مِنَ الْمَشْمُومِ اَرْبَعَةٌ ... وَرْدٌ وَ آسٌ وَ مَنْثُورٌ وَ نُوَّارُ
وَ لَيْسَ يَحْسُنُ ذَا اِلَّا بِاَرْبَعَةٍ ... خَمْرٌ وَ رَوْضٌ وَ مَعْشُوقٌ وَ دِينَارُ

و انتم ثلثة و تحتاجون الى رابع و يكون رجلا عاقلا لبيبا حاذقا و للاسرار كاتما فلما سمعوا كلامه اعجبهم و ضحكوا عليه و قالوا و من لنا بذلك و نحن بنات نخاف نودع السر لمن لا يحفظه و قد قرأنا في بعض الاخبار ما قاله ابن الثمام شعر

صُنِ السِّرَّ جَهْدَكْ وَ لَا تُودِعِهْ ... فَمَنْ اَوْدَعَ السِّرَّ قَدْ ضَيَّعَهْ

Digitized by Google

اُنْظُرْ الى شَمْسِ الْقُصُورِ وَبَدْرِهَا وَ الى خِزَامَتِهَا وَبَهْجَةِ زَهْرِهَا
لَمْ تَلْقِ عَيْنُكَ اَبْيَضًا فِي اَسْوَدٍ جَمَعَ الْجَمَالَ كَوَجْهِهَا مَعْ شَعْرِهَا
مُحْمَرَّةَ الْوَجَنَاتِ يُخْبِرُ حُسْنُهَا عَنْ اِسْمِهَا اِنْ لَمْ يَحُظُّ بِخَبِيرِهَا
وَ تَمَايَلَتْ فَضَحِكْتُ مِنْ اَرْدَافِهَا عَجَبًا وَ لَكِنِّي بَكَيْتُ لِخَصْرِهَا

قال فلما نظر الحمال اليها سلب عقله و لبه و كاد القفص ان يقع من على راسه ثم قال ما رأيت عمري ابرك من هذا النهار فقالت الصبية البوابة الخوشكاشة ادخلي من الباب وحطي عن هذا الحمال المسكين فدخلت الخوشكاشة و وراءها البوابة و الحمال و مشوا حتى انتهوا الى قاعة فسيحة مهندسية مليحة ذات تراكيب و عقودات وكُشك و سدلات و خرسانات و خزايِن عليها ستور مرخيات و في وسط القاعه بركة كبيرة ملآنةٌ ماءا و فيها شختور و في صدر القاعة سرير من العرعر مرصع بالجوهر مرخىً عليه ناموسية اطلس احمر ازرارها لؤلؤ قدر البندق و اكبر و برزت من داخلها صبية بطلعة مضيئة و بهجة رضيه و اخلاق فيلسوفيه بخلقة قمرية و عيون بابلية و قسي حواجب محنية و قامة الفية و نكهت عنبريه و شفيفات عقيقية سكرية و وجه يخجل نوره الشمس المضيئة و هي كانها بعض الكواكب العلوية او قبة من الذهب مبنية او عروسة مجلية او لَيَّة عربية كما قال فيها الشاعر حيث قال

كَاَنَّمَا تَبْسِمُ عَنْ لُؤْلُؤٍ مُنَضَّدٍ اَوْ بَرَدٍ اَوْ اَقَاحِ
وَ طُرَّةٍ كَاللَّيْلِ مُسْبُولَةٍ وَ بَهْجَةٍ تُخْجِلُ ضَوْءَ الصَّبَاحِ

قال فنهضت الصبية الثالثة من فوق السرير و خطرت مهلا الى ان صارت في وسط القاعة عند اخواتها و قالت ما وقوفكم حطوا عن راس

Digitized by Google

بالمسك محشية و صابونية و اقراص ليمونيه وميمونيه و امشاط زينب و اصابع و لقيمات القاضي و اخذت من جميع اصناف الحلاوة في طبق و حطته في القفص فقال لها الحمال كنتي اعلميني لاتيت معي الكريش تحمل عليه هذه الخوشكات فتبسمت و ضربت بيدها على نفاه و قالت له اسرع في مشيك و خل عنك الكلام الكثير و اجرك حاصل ان شاء الله تعالى ثم وقفت على العطار و اخذت منه عشرة امواه ماء ورد و ماء زهر و ماء نوفر و ماء خلاف و اخذت ابلوجيين سكر و اخذت قزيز ماء ورد ممسك و حصا لبان ذكر و عودا و عنبرا و مسكا و اخذت شمعا اسكندرانيا و حطت الجميع في القفص و قالت شل قفصك و اتبعني فشال القفص و تبعها به الى ان اتت الى دار مليحة و قدامها رحبة فسيحة عالية البنيان مشيدة الاركان بابها بدرقتين من الآبنوس مصفح بصفائح الذهب الاحمر فوقفت الصبية على الباب و ادارت النقاب عن وجهها و دقت دقا لطيفا و الحمال واقف وراءها و هو لم يزل يتفكر في حسنها و جمالها و اذا بالباب قد انفتح و تشرعت الدرقتين فنظر الحمال الى من فتح لها الباب و اذا بها خماسية القد بارزة النهد ذات حسن و جمال و بهاء وكمال و قد و اعتدال بجبين ازهر و خد احمر و عيون تحاكي المها و الغزلان و حواجب مثل قوس هلال شعبان و خدود مثل شقايق النعمان و فم كخاتم سليمان و شفيهات حمر كالمرجان و سنينات كاللؤلو المنضد و الاقحوان و عنق كانه للغزلان و صدر كانه شاذروان و نهدين كانهما فحلي رمان و بطن مدبج و سرة تسع اوقية من دهن البان كما قال فيها الشاعر

حكاية الحمال و الثلث بنات

فانه كان رجل من الحمالين في مدينة بغداد و كان عزبا فبينما هو في بعض الايام واقف فى السوق متكيا على قفصه اذ وقفت عليه امراة ملتفة بازار مَوْصِلي بحرير بخف مزركش بحاشية قصب و بشريط لاعب فوقفت و شالت شعريتها فبان من تحتها عيون سود بهدب اجفان ناعمة الاطراف كاملة الاوصاف فالتفتت الى الحمال و قالت بكلام عذب فصيح هات قفصك و اتبعني فما صدق الحمال في الكلام حتى اخذ القفص و اسرع و قال يا نهار السعادة يا نهار التوفيق و تبعها الى ان وقفت على باب دار فطرقت الباب فنزل لها رجل نصراني فاعطته دينارا و اخذت منه مروقة زيتونية فحطتها فى القفص و قالت شل و اتبعني فقال الحمال هذا و الله نهار مبارك و نهار سعيد بالقبول فشال القفص و تبعها فوقفت على دكان فكهاني و اشترت منه تفاحا شاميا و سفرجلا عثمانيا و خوخا علمانيا و ياسمينا و نوفرا شاميا و خيارا اقلاميا و ليمونا مرابيا و نارنجا سلطانيا و مرسينا ريحانيا و تمرحنا و اقحوانا و شقايق النعمان و بنفسجا و جلنارا و نسرينا و حطت الجميع في قفص الحمال و قالت شل فشال و تبعها فوقفت على الجزار و قالت له اقطع عشرة ارطال لحم فقطع لها و اعطته الثمن و لفته في قرطاس موز و جعلته في القفص و قالت شل يا حمال فشال و تبعها فاتت الصبية و وقفت على النقلي و اخذت منه قلب فستق ما يصلح للنقل و زبيب تهامي و قلب لوز و قالت للحمال شل و اتبعني فشال القفص و تبعها الى ان وقفت على دكان الحلواني و اشترت طبقا و عبت فيه من جميع ما عنده من مشبك و قطايف

Digitized by Google

مسحورة و انا ايها الملك لا افارقك لحظة عين ففرح الملك ثم قال الحمد لله الذي من علي بك و انت ولدي لاني طول عمري لم ارزق ولدا ثم تعانقا و فرحا فرحا شديدا ثم مشيا حتى وصلا الى القصر و امر الملك الذي كان مسحورا ارباب دولته ان يتجهزوا للسفر و يهيوا اسبابه و جميع ما يحتاج اليه الحال فشرعوا بالتجهيز مدة عشرة ايام و خرج هو و السلطان و قلبه ملتهب على مدينته كيف يغيب عنها ثم انهم سافروا و معه خمسين مملوكا و هدايا عظيمة و ما زالوا مسافرين ليلا و نهارا سنة كاملة و كتب الله لهم بالسلامة حتى و صلوا الى المدينه و ارسلوا اعلموا الوزير بوصول السلطان و سلامته فخرج الوزير و العساكر بعد ما قَطَعوا الإياس من الملك فاقبل العسكر و قبلوا الارض بين يديه و هنوه بالسلامة فدخل و جلس على الكرسي فاقبل الوزير عليه فاعلمه بكل ما جرى على الشاب فلما سمع الوزير ما جرى على الشاب هناه بالسلامة و استقر الحال فانعم السلطان على ناس كثير و قال الملك للوزير عليَّ بالصياد الذي كان اتانا بالسمك فارسل الى الصياد الذي كان سببا لخلاص اهل المدينة فاحضر و اخلع عليه و سأله عن حاله و هل له اولاد فاخبره ان له بنتين وولد فارسل الملك احضرهم و تزوج ببنت و اعطى الشاب البنت الاخرى و جعل الولد خازندار ثم قلد الوزير و ارسله سلطانا الى مدينة الشاب التي هي الجزائر السود و ارسل معه خمسين مملوكا الذين جاؤا معه و اعطاه من الخلع لسائر الامراء فقبل الوزير يديه و خرج و سافر في وقته و ساعته و استقر السلطان و الشاب و الصياد قد صار اغنى اهل زمانه و اولاده صارت زوجات الملوك الى ان اتاهم الممات و ما هذا باعجب مما جرى للحمال

يا سويدي ما هو الاصل قال ويلا لك يا ملعونة اهل هذه المدينة و الاربع جزائر كل ليلة اذا انتصف الليل تشيل السمك رؤسها و تسغيث و تدعوا عليَّ و عليكي فهو سبب منع عافيتي فروحي خلصيهم عاجلا و تعالي خذي بيدي و اقيميني فقد توجهتْ لي العافية فلما سمعت كلام الملك و هي تظنه العبد و هي فرحانة فقالت يا سيدي على راسي و عيني بسم الله ثم نهضت و قامت و هي مسرورة تجري و خرجت الى البركة و اخذت من مائها قليلا فادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الصبية الساحرة لما اخذت من ماء البركة و تكلمت عليه بكلام لا يفهم تراقصت السمك و شالت رؤسها و قامت فى الحال و انفك عن اهل المدينة السحر و صارت المدينة عامرة و البياعون تبيع و تشتري و صار كل واحد في صناعته و رجعت الجزائر كما كانت ثم ان الصبية الساحرة جاءت الى الملك فى الحال و قالت له يا حبيبي ناولني يدك الكريمة و قم فقال الملك بكلام خفي تقربي مني فدنت حتى التصقت و الملك سل سيفه في يده و ضربها في صدرها فخرج السيف يلمع من ظهرها ثم ضربها شقها نصفين و رميُها على الارض شطرين و خرج فوجد الشاب المسحور واقفا في انتظاره فهناه بالسلامة و قبل يده و شكره فقال له الملك انت تقعد في مدينتك او تجيءُ معي الى مدينتي فقال الشاب يا ملك الزمان ا تدري ما بينك و بين مدينتك فقال الملك يومان و نصف فعند ذلك قال له الشاب ايها الملك ان كنت نائما استيقظ ان بينك و بين مدينتك سنة كاملة للمجدّ المسافر و ما اتيت في يومين و نصف الا لان المدينة كانت

حتّى متى هٰذَا الصُّدُودُ وَذَا الْجَفَا اَ وَ مَا جَرى مِنْ اَدْمُعِي مَافَدْ كَفَا
لَلَكُمْ تُطِيلُ الْهَجْرَ لِي مُتَعَمِّدًا اِنْ كَانَ قَصْدُكَ حَاسِدِي فَقَدِ اِشْتَفى

ثم انها بكت و قالت يا سيدي كلمني و حدثني و الملك خفض صوته وعقد لسانه و تكلم بكلام السودان و قال اواه اواه لا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم فلما سمعت كلامه صرخت من الفرح و غُشي عليها ثم انها استفاقت و قالت يا سيدي هو صحيح و الملك اضعف صوته و قال يا ملعونة انتي تستاهلي من يكلمك و يحدثك قالت ما سببه قال سببه انك بطول النهار تعاقبي زوجك و هو يستغيث و احرمني النوم من العشا الى الصباح و يتضرع و يدعو علي و عليكي وقد اتلفني و اضرني و لو لا هذا لكنت تعافيت فهذا الذي منعني عن جوابك فقالت عن اذنك اخلصه مما هو فيه فقال لها الملك خلصيه و ريحينا فقالت سمعا و طاعة و قامت و خرجت من القبة الى القصر و اخذت طاسة و ملأتها ماءا و تكلمت عليها بكلام فغَلَت الطاسة و بقبقت و صارت تغلي كما يغلي القدر على النار و طرشته بها و قالت بحق ما تلوته و قلته ان كنت صرت هكذا بسحري و مكري فاخرج من هذه الصورة الى صورتك الاولى و اذا بالشاب انتفض و قام على قدميه و فرح بخلاصه و قال اشهد ان لا اله الّا الله و اشهد ان محمدا رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم قالت له اخرج و لا ترجع الى هنا و الا قتلتك و صرخت في وجهه فخرج من بين يديها و عادت الى القبة و نزلت و قالت يا سيدي اخرج لي حتى انظر الى صورتك الجميلة فقال لها الملك بكلام ضعيف ايش عملتي ارحتيني من الفرع و لم تريحيني من الاصل فقالت يا حبيبي

Digitized by Google

قال فعند ذلك التفت الملك الى الشاب و قال ايها الشاب زدتني هما على همي بعد ان فرجت عني غمي و لكن يا فتى اين هي و اين المدفن الذي فيه العبد المجروح فقال الشاب ان العبد في القبة في مدفنه راقد و هي في ذلك المجلس الذي يحاذي الباب تجيء مرة في كل يوم عند ما تطلع الشمس فاول ما تجيء تاتي اليّ و تجردني من اثوابي و تضربني بالسوط ماية جلدة و انا ابكي و اصيح و لا لي حركة ادفعها عن نفسي ثم بعد ان تعاقبني تنزل للعبد بالشراب و المسلوقة تسقيه و غدا من باكر تجيء قال الملك و الله يا فتى لافعلن معك معروفا اذكر به و يورخونه الى آخر الزمان ثم جلس الملك يتحدث معه الى ان اقبل الليل و ناما فقام الملك في وقت السحر و تجرد من اثوابه و سل سيفه و نهض الى المحل الذي فيه العبد فنظر الى الشمع و القناديل و بخورات و ادهان و سار يقصد العبد حتى اتاه و ضربه ضربة فقتله و حمله على ظهره و رماه في بير كانت في القصر ثم نزل و التف باثواب العبد و رقد داخل الضريح و السيف معه مسلول في طوله فبعد ساعة اتت الملعونة الساحرة فاول ما دخلت جردت ابن عمها من ثيابه و اخذت سوطا و ضربته فقال اواه يكفيني ما انا فيه يا بنت عمي ارحميني يا بنت عمي فقالت كنت انت رحمتني و ابقيت لي معشوقي و ضربت حتى تعبت و سال الدم من جنوبه ثم البسته اللباس الشعراني و القماش من فوقه ثم نزلت الى العبد و معها قدح الشراب و طاسة مسلوقة و نزلت في القبة و بكت و ولولت و قالت يا سيدي كلمني يا سيدي حدثني و انشدت تقول هذه الابيات

فلما سمعت كلامي وثبت قايمة و قالت ويلك يا كلب انت الذي فعلت معي هذا الفعل و جرحت معشوق قلبي و اوجعتني و شبابه وله ثلث سنين لا هو ميت و لا هو حي فقلت لها يا افذر القحبات واوسخ المنيوكات العشاقات العبيد المبرطلات نعم انا فعلت ذلك ثم اني اخذت سيفي و جردته في كفي و صوبت عليها لاقتلها فلما سمعت كلامي و رأتني مصمّما على قتلها ضحكت و قالت تخساً يا كلب هيهات ان يرجع ما فات او تجيء الاموات لقد امكنني الله بهن فعل بي هذا و كانت في قلبي منه نار لا تطفى و لهيب لا يخفى ثم وقفت على قدميها و تكلمت بكلام لا افهمه و قالت اخرج بسحري نصفك حجر و نصفك بشر ثم اني صرت كما ترى و بقيت لا اقوم و لا اقعد و لا انا ميت و لا انا حي فلما صرت هكذا سحرت المدينة و ما فيها من الاسواق و الغيطان و كانت مدينتنا اربعة صنوف مسلمين و نصارى و يهود و مجوس فسحرتهم سمكا فالابيض المسلمون و الاحمر المجوس و الارزق النصارى و الاصفر اليهود و سحرت الجزائر الاربع اربعة جبال محيطة بالبركة ثم انها كل يوم تضربني و تعذبني بالسوط ماية ضربة حتى يسيل دمي و تنهري الكتافي ثم تلبسني ثوب شعر صفة اللباس على نصفي الفوقاني و تلبسني هذه الثياب الفاخرة من فوق ثم ان الشاب بكى و انشد يقول

صَبْرًا لِحُكْمِكَ يَا إِلٰهِيْ وَ الْقَضَا أَنَا صَابِرٌ إِنْ كَانَ فِيْهِ لَكَ الرِّضَا
جَارُوْا عَلَيْنَا وَ اعْتَدَوْا وَ تَجَبَّرُوْا فَلَعَلَّنِي الْفِرْدَوْسُ أَنْ نَتَعَوَّضَا
قَدْ ضِقْتُ بِالْأَمْرِ الَّذِيْ قَدْ نَالَنِيْ فَوَسِيْلَتِيْ بِالْمُصْطَفَى وَ الْمُرْتَضَى

Digitized by Google

فَيَوْمُ الْاَمَانِي يَوْمُ فَوْزِي بِقُرْبِكُمْ وَ يَوْمُ الْمَنَايَا يَوْمُ اِعْرَاضِكُمْ عَنِّي
اِذَا بِتُّ مَرْعُوْبًا اُهَدِّدُ بِالرَّدَى فَوَصْلُكُمُ عِنْدِي اَلَذُّ مِنَ الْاَمْنِ

ثم قلت و انشدت

لَوْ اَنَّنِي اَصْبَحْتُ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ وَكَانَتْ لِيَ الدُّنْيَا وَ مُلْكُ الاَكَاسِرَهْ
لَمَا سَوِيَتْ عِنْدِي جَنَاحَ بَعُوْضَةٍ اِذَا لَمْ تَكُنْ عَيْنِي لِشَخْصِكَ نَاظِرَهْ

قال صاحب الحديث فلما فرغت من كلامها و بكائها قلت لها يا بنت عمي يكفيكي من الحزن فما يغنيكي من البكاء ما بقي ينفع قالت لا تتعرض لي فيما اعمله و ان اعترضت لي قتلت نفسي فسكتت عنها و سلمت اليها حالها فلم تزل في حزن و بكاء و تعديد سنة اخرى و بعد السنة الثالثة دخلت يوما من الايام و انا مغتاظ لحادث عرض لي و قد طال بي هذا العناء الشديد فوجدتها نحو الضريح داخل القبة و هي تقول يا سيدي لا اسمع منك و لا كلمة و احدة يا سيدي لما لا ترد عليّ جوابا ثم انشدت تقول

يَا قَبْرُ يَا قَبْرُ هَلْ زَالَتْ مَحَاسِنُهُ اَمْ زَالَ مِنْكَ ضِيَاكَ الْمَنْظَرُ النَّضِرُ
يَا قَبْرُ مَا اَنْتَ لِي اَرْضٌ وَلَا فَلَكٌ فَكَيْفَ يَجْمَعُ فِيكَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ

فلما سمعت كلامها و شعرها ازددت غيظا على غيظي و قلت اواه الى كم ذا الحزن و انشدت اقول

يَا قَبْرُ يَا قَبْرُ هَلْ زَالَتْ مَسَاخِمُهُ اَمْ زَالَ مِنْكَ ضِيَاكَ الْمَنْظَرُ الْقَذَرُ
يَا قَبْرُ مَا اَنْتَ لَا حَوْضٌ وَ لَا قِدْرٌ فَكَيْفَ يَجْمَعُ فِيكَ الْفَحْمُ وَ الْكَدَرُ

Digitized by Google

رديت السيف الى موضعه و اتيت الى المدينة و دخلت القصر و رقدت في فراشي الى الصباح و اذا بنت عمي جاءت و نبهتني و اذا بها قطعت شعرها و لبست ثياب الحزن و قالت يا ابن عمي لا تعارضني فيما افعل فانه بلغني ان والدتي توفيت و ان والدي قتل في الجهاد و اخوتي احدهم مات ملسوعا و الآخر مات مُرتدا فيحق لي ان ابكي و احزنَ فلما سمعت كلامها سكتت عنها و قلت اِفعلي ما بدأ لک فاني لم اخالفک فقعدت في حزن و بكىً و عديد سنة كاملة من الحول الى الحول و بعد السنة قالت لي اريد ان تبني لي في قصرک مدفنا مثل القبة و افرده للحزن و اسميه بيت الاحزان فقلت لها اِفعلي ما بدأ لک فبنت لها بيتا للحزن و بنت في وسطه قبة و مدفنا مثل الضريح ثم نقلت العبد و انزلته فيه و هو بقي لا ينفعها ابدا بنافعة لكن يشرب الشراب و من يوم جرحته ما تكلم لان اجله ما فرغ و صارت كل يوم تاتيه بكرة و عشيا تنزل الى القبة و تبكي و تعدد عليه و تسقيه الشراب و المساليق بكرة و عشية و لم تَزَل على هذا الحال الى ثاني سنة و انا اطول روحي عليها و لا التفت اليها الى يوم من الايام دخلت عليها على غفلة منها فوجدتها تبكي و تقول لما تغيبت عن ناظري يا نزهة خاطري حدثني يا روحي كلمني يا حبيبي و انشدت تقول شعر

عَدِمْتُ اصْطِبَارِي فِي الْهَوىٰ اِنْ سَلَوْتُمُ ... فُؤَادِي وَ قَلْبِي لَا يُحِبُّ سِوَاكُمُ
خُذُوا عَظْمِي وَ الرُّوحَ اَيْنَ سَرَيْتُمُ ... وَاَيْنَ حَلَلْتُمْ فَادْفِنُونِي حِذَاكُمُ
وَ نَادَوْا بِاسْمِي عِنْدَ قَبْرِي يُجِيبُكُمْ ... اَنِينُ عِظَامِي عِنْدَ اِصْغَا صَدَاكُمُ

ثم انشدت و هي تبكي

Digitized by Google

ملعونة و انا احلف و حق فتوة السودان و لا تظني مروُتنا مروُة البيضان من هذا اليوم ان بقيتي تقعدي الى هذا الوقت لا اصاحبك و لا الزق جسدي على جسدك يا ملعونة تلعبي نبا شقف لكف نحن على شهوتك يا منتنة يا كلبة يا اخس البضيان قال فلما سمعت كلامه و انا انظر و ارى و اسمع ما جرى بينهما صارت الدنيا في وجهي ظلاما و ما عرفت روحي في اي موضع انا و بنت عمي واقفة تبكي عليه و تتذلل له و تقول للعبد يا حبيبي و ثمرة فوادي اذا غضبت علي من يبقيني و اذا طردتني من يُوويني يا حبيبي يا نور عيني و مازالت تبكي و تتضرع له حتى رضي عليها ففرحت و قامت و قلعت ثيابها و لباسها و قالت يا سيدي ما عندك ما تأكل جاريتك فقال لها اِكشَفي اللقن تحته عظام فيرانٍ مطبوخة فكليها و قومي لهذه القوارة فيها بقية مِزار فاشربيها فقامت و اكلت و شربت و غسلت يديها و فمها و جاءت رقدت مع العبد على قش القصب و تعرت و دخلت معه تحت الهُدمة و الشراميط فلما نظرتُ الى هذه الفعال التي فعلتها بنت عمي غبت عن الوجود فنزلت من على القبة و دخلت و اخذت السيف الذي جاءت به بنت عمي و سحبت و هممت ان اقتل الاثنين فضربت العبد اولا على رقبته فظننت انه قد قضي عليه و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب المسحور قال للملك لما ضربت العبد لاجل ان اقطع راسه لم اقطع الوريدين بل قطعت الحلقوم و الجلد و اللحم فظننت اني قتلته فشخر شَخِيْراً عاليا فتحركت بنت عمي فرجعت الى خلفي و

Digitized by Google

ظلاما و ما صدقت ان الليل اقبل فجاءت بنت عمي من الحمام فمدينا السماط وَ اكلنا و جلسنا ساعة زمانية نتنادم كالعادة ثم دعت بالشراب الذي اشربه عند المنام فناولتني الكاس فاهرقتها و جعلت اني اشربه مثل عادتي و دلقته في جيبي و رقدت في الوقت و الساعة و صرت اُخطر كاني نائم و اذا هي قالت نم ليلتك لا تقم ابدا و الله كرهتك وكرهت صورتك و ملّت نفسي من عشرتك و لا ادري متى يقبض الله روحك ثم قامت و لبست افخر ثيابها و تبخرت و اخذت سيفي و تقلدت به و فتحت ابواب القصر و خرجت فقمت و تبعتها حتى خرجت من القصر و شقت في اسواق المدينة الى ان انتهت الى باب المدينه فتكلمت بكلام لا افهمه فتساقطت الاقفال و انفتح الباب و خرجت و انا خلفها و هي لا تشعر حتى انتهت الى بين الكيمان و اتت الى خص فيه قبة مبنية بطوب و لها باب فدخلت و تسلقت انا على سطح القبة و اشرفت عليهم و اذا ببنت عمي قد دخلت على عبد اسود له شفة كالقَطا و شفة كاِلوطا و شفة تلقط الرمل على الحصا و هو مبتلىً و راقد على قش قَصَب لابسٌ هدمة و شراميط خلقة فقبلت الارض بين يديه فشال ذلك العبد راسه اليها و قال لها ويلكي ايش كان قعادك الى هذه الساعة كانوا عندنا بنوا اعمامنا السودان و شربوا الشراب و صار كل واحد بصبيته و انا ما رضيت اشرب من شانك فقالت يا سيدي و حبيبي و قرة عيني ما تعلم اني متزوجة بابن عمي و انا اكره صورته و ابغض صحبته و لولا اني اخشى على خاطرك ما كنت تركت الشمس تطلع الا و مدينته خراب يزعق فيها البوم و الغراب و ياويها الثعالب و الدياب و انقل حجارتها الى خلف جبل قاف فقال العبد تكذبي يا

Digitized by Google

بصرك فقال الملك ان سمعي و بصري حاضر **فقال الشاب** ان لهذا السمك و لي امر عجيب لو كتب بالابر على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر فقال الملك وكيف ذلك فقال يا سيدي اعلم ان والدي كان ملك هذه المدينة و كان اسمه محمود صاحب الجزائر السود و هو في هذه الجبال الاربعة فاقام في الملك سبعين عاما ثم تُوُفِّيَ والدي و تسلطنت بعده و تزوجت بابنة عمي و كانت تحبني محبة عظيمة بحيث اني اذا غبت عنها لا تاكل و لا تشرب حتى تراني عندها فقعدتْ في صحبتي خمس سنين الى يوم من بعض الايام راحت الى الحمام فامرت الطباخ ان يسرع لنا في شيٍّ و يجهز لنا عشاءا و طعاما ثم دخلت هذا القصر و نمت موضع ما ننام و امرت جاريتين ان تجلس عندي واحدة على راسي و الثانية عند رجلاي و قد تشوشت لغيابها و لم ياخذني نوم غير ان عيني مغمضة و نفسي يقظانة فسمعت الجارية التي عند راسي تقول للتي عند رجلاي يا مسعودة مسكين سيدنا و مسكين شبابه و يا خَسارتَه مع ستنا الملعونة القحبة فقالت لها نعم لعن الله النساء الخائنات الزانيات و لكن مثل سيدنا و شبابه لا يصلح لهذه القحبة كل ليلة تنام برا فقالت التى عند راسي سيدنا ابكم مطعوم لم يسأل عنها فقالت الاخرى ويلك هو سيدنا عنده علم او هي تخليه في اختياره اَلاَ تعمل له في قدح الشراب الذي تشربه كل ليلة قبل المنام و تضع فيه البنج فينام و لم يشعر بما يجري و لم يعلم اين تذهب و لا اين تروح فبعد ما تسقيه الشراب تلبس اثوابها و تعطرت و تخرج من عنده تغيب الى الفجر و تاتي اليه و تُبَخِّر عند انفه بشيٍّ فيستيقظ من منامه فلما سمعت كلام الجواري صار الضياء في وجهي

Digitized by Google

ففرح الملك حين رآه و سلم عليه و الصبي جالس و عليه قباء حرير بطرائز من الذهب المصري و فوق راسه تاج مكلل بالجواهر و لكنه عليه اثر الحزن فسلم عليه الملك فرد عليه با حسن سلام و قال يا سيدي انت اعز من القيام و لي المعذرة فقال الملك قد عذرتك ايها الفتى و انا ضيف عندك و اتيتك في حاجة مهمة اريد تخبرني عن هذه البركة و عن هذا السمك و عن هذا القصر و عن سبب وحدتك فيه و سبب بكاك فلما سمع الشاب هذا الكلام نزلت دموعه على خدوده و بكى بكاء شديدا حتى غرق صدره ثم انشد يقول

قُولُوا لِمَنْ نَاوَمَ الْاَيَّامُ لَهْ رَامَتْ كَمْ اَقْعَدَتْ نَائِبَاتُ الدَّهْرِ كَمْ قَامَتْ
اِنْ كُنْتَ نِمْتَ فَعَيْنُ اللّٰهِ مَا نَامَتْ لِمَنْ صَفَا الْوَقْتُ وَ الدُّنْيَا لِمَنْ دَامَتْ

ثم تنفس تنفس الصعداء و انشد

سَلِّمِ الْاَمْرَ اِلَى رَبِّ الْبَشَرْ وَ اتْرُكِ الْهَمَّ وَ دَعْ عَنْكَ الْفِكَرْ
لَا تَقُلْ فِيمَا جَرَى كَيْفَ جَرَى كُلُّ شَيْءٍ بِقَضَاءٍ وَ قَدَرْ

فتعجب الملك و قال له ما يبكيك ايها الشاب فقال كيف لا ابكي و هذه حالتي و مد يده الى اذياله فرفعها و اذا هو نصفه التحتاني حجر الى قدميه و من سرته الى شعر راسه بشر فلما رأى الملك الشاب بهذه الحالة حزن حزنا عظيما و تأسف و تاوه و قال يا فتى لقد زدتني هما على همي كنت اطلب السمك و خبره و صرت الآن اسأل عن خبره و خبرك فلا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم عجل علي يا فتى ببث الحديث فقال اعطني سمعك و

Digitized by Google

يجد فيه احدا غير انه مفروش بالحرير و الاقطاع المكوكبة و الستائر المرخاة و في وسط القصر رحبة و اربعة اواوين و مصطبة و ايوان قبال ايوان و شاذروان و فسقية عليها اربع سباع من الذهب الاحمر تلقي الماء من افواهها كالدر و الجوهر و دائر القصر طيور و على القصر شبكة من الذهب تمنعهم من الطلوع و لم ير احدا فتعجب الملك و تاسف لكونه لم ير احدا يستخبر منه عن تلك البرية و البركة و السمك و الجبال و القصر ثم جلس بين الابواب يتفكر و اذا هو بانين من كبد حزين و هو يترنم و يقول شعر

أَخْفَيْتُ مَا أَلْقَاهُ مِنْكَ وَ قَدْ ظَهَرْ وَ النَّوْمُ مِنْ عَيْنِي تَبَدَّلَ بِالسَّهَرْ
يَا دَهْرُ لَا تُبْقِي عَلَيَّ وَ لَا تَذَرْ هَا مُهْجَتِي بَيْنَ الْمَشَقَّةِ وَ الْخَطَرْ
مَا تَرْحَمُونَ عَزِيزَ قَوْمٍ ذَلَّ فِي شَرْعِ الْهَوَى وَ غَنِيَّ قَوْمٍ افْتَقَرْ
كُنَّا نَغَارُ مِنَ النَّسِيمِ عَلَيْكُمُ لٰكِنْ اِذَا نَزَلَ الْقَضَا عَمِيَ الْبَصَرْ
مَا حِيلَةُ الرَّامِي اِذَا الْتَقَتِ الْعِدَا فَأَرَادَ يَرْمِي السَّهْمَ فَانْقَطَعَ الْوَتَرْ
وَ اِذَا تَكَاثَرَتِ الْهُمُومُ عَلَى الْفَتَى أَيْنَ الْمَفَرُّ مِنَ الْقَضَا وَ مِنَ الْقَدَرْ

فلما سمع السلطان الانين نهض قائما و تبع الحس فوجد سترا مرخى على باب مجلس فشال الستر فرأي خلفه شابا جالسا على سرير مرتفع عن الارض مقدار ذراع و هو شاب مليح بقد رجيح و لسان فصيح و جبين ازهر و خد احمر و شامة على كرسي خده كقرص عنبر كما قال الشاعر

وَ مُهَفْهَفٍ مِنْ شَعْرِهِ وَ جَبِينِهِ تُمْسِي الْوَرَى فِي ظُلْمَةٍ وَ ضِيَاءِ
لَا تُنْكِرُوا الْخَالَ الَّذِي فِي خَدِّهِ كُلُّ الشَّقِيقِ بِنُقْطَةٍ سَوْدَاءِ

Digitized by Google

و تعجب و قال للعسكر و لمن حضر هل احد منكم رأى هذه البركة فقالوا ابدا يا ملك الزمان مدة عمرنا فسألوا من الطاعنين في السن فقالوا عمرنا ما رأينا هذه البركة في هذا المكان فقال الملك و الله لا ادخل مدينتي و لا اجلس على تخت ملكي حتى اعرف امر هذه البركة و هذا السمك ثم امر الناس بالنزول حول هذه الجبال ثم دعى بالوزير و كان وزيرا خبيرا عاقلا لبيبا عالما بالامور فحضر بين يديه فقال له اني احببت ان اعمل شيأ و اخبرك به و خطر ببالي ان اتفرد بنفسي في هذه الليلة و ابحث عن خبر هذه البركة و هذا السمك فاجلس انت على باب خيمتي و قل للامراء و الوزراء و الحجاب و النواب وكل من سأل عني ان السلطان متوعّك و امرني ان لا أُعطي احدا دُستورا بالدخول عليه و لا تعلم احدا بقصدي فما قدر الوزير ان يخالفه ثم ان الملك غير حِليته و تقلد بسيفه و تسلق من على واحد من الجبال و مشى بقية ليلة الى الصباح ثم مشى يومه كله و قد اشتد عليه الحر بمشيه يومه و ليلته ثم مشى الليلة الثانية الى الصباح فلاح له سواد من بعيد ففرح و قال لعلّي اجد من يخبرني بقضية البركة و السمك فتقرب فوجد قصرا مبنيا بالحجارة السود مصفحا بالحديد و بابه فردة مفتوحة و فردة مغلوقة ففرح الملك و وقف على الباب و دق دقا لطيفا فلم يسمع جوابا فدق ثانيا و ثالثا فلم يسمع جوابا فدق دقا مزعجا فلم يجبه احد فقال لا شك انه خال فشجع نفسه و دخل من باب القصر الى دهليز و صرخ و قال يا اهل القصر رجل غريب و عابر سبيل هل عندكم شيٌ من الزاد و اعاد القول ثانيا و ثالثا فلم يسمع جوابا فقوى نفسه و ثَبَّتَ جَنانه و دخل من الدهليز الى وسط القصر فلم

Digitized by Google

خلف الصياد و امره ان ياتي باربع سمكات مثل الاول ثم انه رسم عليه ثلثة ثم ان الصياد نزل و اتى له بالسمك في الحال فامر الملك ان يعطوه اربعمائة دينار ثم التفت الملك الى الوزير و قال له قم انت و اقل السمك هنا قدامي فقال الوزير سمعا و طاعة فاحضر الطاجن و هيّأ السمك و ركب الطاجن على النار و رمى فيه السمك و اذا بالحائط قد انشق و خرج منه عبد اسود كانه طود من الاطواد او من بقية قوم عاد و في يده فرع من شجرة خضراء و قال بكلام مزعج يا سمك يا سمك انتم على العهد القديم مقيمين و السمك شالوا رؤسهم من الطاجن و قالوا نعم نعم نحن على العهد

اِنْ عُدتَّ عُدْنَا وَاِنْ وَافَيْتَ وَافَيْنَا وَاِنْ هَجَرْتُمْ فَاِنَّا قَدْ تَكَافَيْنَا

و اقبل العبد على الطاجن و قلبه بالغصن الذي في يده و خرج من موضع ما اتى فنظر الوزير و الملك الى السمك فراؤه صار مثل الفحم فاندهل الملك و قال هذا امر لا يمكن السكوت عنه و ان هذا السمك له شان فامر الملك باحضار الصياد فلما حضر قال له الملك ويلك من اين هذا السمك فقال له من بركة بين اربع جبال تحت هذا الجبل الذي بظاهر مدينتك فالتفت الملك الى الصياد و قال مسيرة كم يوم قال له يا مولانا السلطان مسيرة نصف ساعة فتعجب السلطان و امر بخروج العسكر و ركوب الجيش من وقته و الصياد معه قدامه يلعن العفريت الى ان طلعوا الجبل و نزلوا الى برية متسعة لم يروها مدة عمرهم و السلطان و جميع العسكر يتعجبون فنظروا تلك البرية و البركة في وسطها بين اربع جبال و السمك فيها اربعة الوان احمر و ابيض و اصفر و ازرق فوقف الملك

Digitized by Google

التحم الحائط كما كان ثم افاقت الجارية من غشوتها فرأت الاربع سمكات محروقين مثل الفحم الاسود فقالت من اول غزواته انكسرت عصاته و وقعت على الارض مَغْشِيّاً عليها و فيما هي على هذا الحال اذ جاء الوزير فراها الدّردبيس لا تعرف السبت من الخميس فحركها برجله فافاقت و بكت و اعلمت الوزير بالقصه و بالذي جرى فتعجب الوزير و قال ما هذا الا امر عجيب ثم انه ارسل خلف الصياد فاتوا به فصرخ عليه الوزير و قال له ايها الصياد جيْ لنا باربع سمكات مثل الذي جئت بها فخرج الصياد الى البركة و طرح الشبكة جذبها و اذا باربع سمكات مثلهم فاخذهم و جابهم الى الوزير فدخل بهم الوزير الى الجارية و قال لها قومي اقليهم قدامي حتى أرى هذه القضية فقامت الجارية و اصلحتهم و علقت الطاجن و طرحتهم فيه فما استقر السمك في الطاجن الا و الحائط قد انشق و الصبية ظهرت و هي في هيئتها الاولى و في يدها القضيب فغرزته في الطاجن و قالت يا سمك يا سمك انتم على العهد القديم مقيم و اذا بالسمك الجميع قد شالوا رؤسهم و قالوا هذا البيت السابق وهو

إِنْ عُدْتِ عُدْنَا وَإِنْ وَافَيْتِ وَافَيْنَا وَإِنْ هَجَرْتُمْ فَإِنَّا قَدْ تَكَافَيْنَا

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة قالت بلغني ايها الملك السعيد انه لما تكلم السمك و قلبت الصبية الطاجن بالقضيب و خرجت من موضع ما جاءت و التحم الحائط فعند ذلك قام الوزير و قال هذا امر لا يجب اخفاؤه على الملك ثم انه تقدم الى الملك و اخبره بالقصة و بما شاهده قدامه فقال الملك لا بد اني انظر بعيني فارسل

Digitized by Google

العجب من ذلك السمك الذي قدمه الصياد و لا راي في عمره صفته و لا شكله فقال الملك اعطوا هذه السمك للجارية الطباخة قال و كانت هذه الجارية اهداها له ملك الروم منذ ثلثة ايام و هو لم يجربها في طبيخ فامر الوزير ان تقليهم فقال لها يا جارية الملك يقول لك ما نبتليكِ يا دمعتي الا لشدتي فرّجينا اليومَ على صنعتك و حسن طبيخك و ان السلطان اتى له واحد بهدية و رجع الوزير بعد ما اوصاها و امره ان يعطي الصياد اربعماية دينار فاعطاه الوزيرُ اياها فاخذها في حَجْره و راح يجري الى بيته و هو يقع و يقوم و يعثر و يظن ان ذلك مناما ثم اشترى لعياله ما يحتاجون اليه و دخل على زوجته و هو فرحان مسرور هذا ما كان من امر الصياد و امّا ما كان من امر الجارية فانها اخذت السمك و نظفتها و نصبت الطاجنَ ثم انها ارخت السمك فما هو الا استوي وجهه و قلبته على الوجه الثاني و اذا بحايْط المطبخ قد انشق و خرجت منه صبية مليحة القد اسيلة الخد كاملة الوصف كحيلة الطرف و هي لابسة كوفية حرير بهداب ازرق و في اذنيها حَلَق و في معاصمها زوج اساور و في اصابعها خواتم بالفصوص الجواهر الثمينة و في يدها قضيب من الخَيْزُران فغرزت القضيبَ في الطاجن و قالت يا سمك انت على العهد مقيم فلما رأت الجارية ذلك غُشِيَ عليها و الصبية اعادت القول ثانيا و ثالثا و السمك شالوا رؤسَهم من الطاجن و قالوا بلسان فصيح نعم نعم ثم انشد يقول

اِنْ عُدتِّ عُدْنَا وَاِنْ وَافَيْتِ وَافَيْنَا وَاِنْ هَجَرْتِيْ فَاِنَّا قَدْ تَكَافَيْنَا

فعند ذلك اَقْلَبت الصبية الطاجن و خرجت من موضع ما اتت و

Digitized by Google

البحر ايقن بالهلاك و شرشر في ثيابه و قال هذه ليست علامة خير ثم انه قوّي قلبه و قال ايها العفريت قال الله تعالى و اُوْفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا و انت قد عاهدتني و حلفت انك لم تغدرني يغدرك الله فانه غيور يمهل و لا يهمل و انا قلت لك مثل ما قال الحكيم دوبان للملك يونان ابقني يبقك الله فضحك العفريت و مشى قدامه و قال ايها الصياد اتبعني فمشى الصياد وراءه و هو لم يصدق بالنجاة و مشى الى ان خرجوا الى ظاهر المدينة و طلع الى جبل و نزل الى بريّة متّسعة و اذا هما ببركة ماء فنزل في وسطها و قال للصياد اتبعني فتبعه الى وسط البركة فوقف العفريت و امر الصياد ان يطرح الشبكة و يصطاد فنظر الصياد الى البركة فرأى فيها السمك الملونَ الابيضَ و الاحمرَ و الازرقَ و الاصفر فتعجب الصياد من ذلك ثم انه اخرج شبكته و طرحها و جذبها فوجد فيها اربع سمكاتٍ كلٌّ بِلونٍ فلما رأهم الصياد فرح فقال له العفريت ادخُلْ بهم الى السلطان و قدّمهم اليه فانه يعطيك ما يغنيك و بالله اقبل علىّ فاني في هذا الوقت لم اعرف طريقا و انا في هذا البحر مدة الف و ثمانماية عام ما رأيت ظاهر الدنيا الا في هذه الساعة و لا تصطاد من هذه البركة الا مرة واحدة كل يوم و ودعه و قال له لا توحّشني الله ثم دق الارض برجله فانشقت الارض و بلعته و مضى الصياد الى المدينة و هو متعجب مما جرى له مع العفريت و كيف كان ثم اخذ السمك و دخل الى منزله و اخذ ماجورا ثم ملأه ماءا و حط فيه السمك فاختبط السمك من داخل الماجور في الماء و حمل الماجور فوق راسه و قصد به قصر الملك كما امره العفريت فلما طلع الصياد الى الملك و قدم له السمك فتعجب الملك غاية

Digitized by Google

لابقاك الله فادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح
فلما كانت الليلة السادسة قالت لها اختها دنيازاد اتمي لنا
حديثك فقالت ان اذن لي الملك فقال لها قولي قالت بلغني ايها
الملك السعيد ان الصياد قال للعفريت لو ابقيتني كنت ابقيتك لكن
ما اردت الا قتلي فها انا اقتلك بحبسك في هذا القمقم و القيك في
هذا البحر فصرخ المارد و قال بالله عليك ايها الصياد لا تفعل و
ابقني انت و لا تواخذني بعملي فاذا كنت انا مُسِيئًا كن انتَ محسنا
و في الامثال السايرة يا مُحسنُ لمن اسَاء كفى المسئ فعلُه و لا
تعمل كما عَلمتْ اُمامةُ مع عَاتِكة فقال الصياد و ما عملت امامة مع
عاتكة فقال العفريت ما هذا وقت حديث و انا في هذا السجن
حتى تطلقني و انا احدثك به فقال الصياد خل عنك هذا الكلام لا
بد من القائك في البحر و لا سبيل الى اخراجك ابدا فاني كنت
اتدخل عليك و اتضرع اليك و انت لا تريد الا قتلي بغير ذنب
استوجبه منك و لا فعلت معك سوأ ابدا و اني ما فعلت معك الا
خيرا لكوني اخرجتك من السجن فلما فعلت معي ذلك علمت انك
ردي الفعل و اعلم اني اذا رميتك في هذا البحر لاجل كل من
طلعك يرميك ثاني مرة اُخبره بما جرى لي معك و احذره و تقيم
في هذا البحر الى اخر الزمان حتى تهلك قال له العفريت اطلقني
فهذا وقت المروءة و انا اعاهدك لم اعص عليك ابدا و انفعك بشيُ
يغنيك قال فاخذ عليه الصياد العهدَ انه اذا اطلقه لا يُوذيه الا انه
يعمل معه الجميل فلما استوثق منه و حلفه باسم الله الاعظم فتح
له الصياد القمقم فتصاعد الدخان حتى خرج و تكامل فصار عفريتا
سويا فرفص القمقم رماه في البحر فلما راه الصياد رمى القمقم فى

Digitized by Google

كزهر البستان و اذا بالحكيم طلع للديوان و وقف قدام الملك في الترسيم و معه كتاب عتيق و مُكَحْلة فيها ذرور و جلس و قال ايتوني بطبق فاتوه بطبق و كبّ فيه الذرور و فرشه و قال ايّها الملك خذ هذا الكتاب و لا تفتحه حتى تقطع راسي فاذا قطعته فاجعله في ذلك الطبق و امر بكبسه على ذلك الذرور فاذا فعلت ذلك فانّ دمه ينقطع ثم افتح الكتاب ثم انّ الملك امر بضرب رقبته فاخذ الكتاب منه و قام السيّاف و ضرب رقبته فطاح الراس في وسط الطبق و كبسه على الذرور فانقطع دمه ففتح الحكيم دوبان عينيه و قال افتح الكتاب ايّها الملك ففتحه الملك فوجده ملصوقا فحطّ اصبعَه في فمه و عمل ريقه و فتح اول ورقة و الثانية و الثالثة و الورق ما ينفتح الاّ بجهد ففتح الملك ستّة اوراق و نظر فيها فلم يجد فيها كتابة فقال الملك ايّها الحكيم ما فيه شيٌ مكتوب فقال الحكيم افتح زيادة على ذلك ففتح ثلثة اخر فما كان الا قليل من الزمان الاّ و الدواء حاق فيه لوقته و ساعته فان الكتاب كان مسموما فعند ذلك تزعزع الملك و صاح و قال حاق فيّ الدواء و انشد الحكيم دوبان يقول

تَحَكَّمُوا وَ اسْتَطَالُوا فِي تَحَكُّمِهِمْ وَعَنْ قَلِيلٍ كَأَنَّ الْحُكْمَ لَمْ يَكُنِ
لَوْ انْصَفُوا انْصَفُوا لَكِنْ بَغَوْا فَبَغَى عَلَيْهِمُ الدَّهْرُ بِالْاَحْزَانِ وَالْمِحَنِ
وَاَصْبَحُوا وَ لِسَانُ الْحَالِ يُنْشِدُهُمْ هٰذَا بِذَاكَ وَلَا عَتَبٌ عَلَى الزَّمَنِ

قال فلما فرغ راس الحكيم كلامه سقط الملك من وقته ميّتا فاعلم ايّها العفريت انه لو ابقى الملكُ يونان الحكيم دوبان لابقاه اللّٰه و لٰكن ابى و طلب قتله فقتله اللّٰه و انت ايّها العفريت لو ابقيتني

Digitized by Google

التمساح فقال الملك و ما حكاية التمساح فقال الحكيم لا يمكنني ان اقولها و انا في هذا الحال فبالله عليك ابقني يبقك الله ثم ان الحكيم بكى بكاءا شديدا فقام بعض خواص الملك و قال ايّها الملك هَبْ لي دمَ هذا الحكيم لانّنا ما رأيناه فعل معك ذنبا و ما رأيناه الّا ابرأك من مرضك الذي اعيى الاطبّاء و الحكماءُ فقال لهم الملك لم تعرفوا سببَ قتلي هذا الحكيمَ و ذلك لانّي ان ابقيته فانا هالك لا محالة و من ابرأني من المرض الذي كان بي بشيٍ مسكتُه بيدي فيمكن ان يقتلني بشيٍ اشمّه فانا اخاف ان يقتلني و ياخذ علىّ البِرطيلَ لانه جاسوس و ما جاء الا ليقتلني فلابدّ من قتله و بعد ذلك آمن على نفسي فقال الحكيم ابقني يُبقِك الله و لا تقتلني يقتلك الله فلما تحقق الحكيم ايّها العفريت ان الملك قاتله لا محالة قال له ايّها الملك ان كان و لابدّ من قتلي فامهلني ان انزل الى داري و اوصي اهلي و جيراني يدفنوني و ابريٌ نفسي و اَهَبُ كتب الطب و عندي كتاب خاص الخاص اهديه لك هدية تدّخره في خزانتك فقال الملك للحكيم و ما في ذلك الكتاب قال فيه شيٌ لا يحصى و اقلّ ما فيه من الاسرار انك اذا قطعت راسي و فتحت ثلث ورقات و تقرأ ثلثة اسطر من الصفحة التي على يسارك فان الراس يكلمك و يجاوبك بجميع ما سألته عنه فتعجب الملك غاية العجب و اهتزّ من الطرب و قال له ايّها الحكيم اذا قطعت راسك تُكلّمني قال نعم ايّها الملك فقال الملك هذا امر عجيب ثم ان الملك ارسله في الترسيم فنزل الحكيم الى داره و قضى اشغاله في ذلك اليوم و في اليوم الثاني طلع الحكيم الى الديوان و طلعت الامراء و الوزراء و الحجّاب و النوّاب و ارباب الدولة جميعا و صار الديوان

Digitized by Google

روحك فتعجب الحكيم دوبان من تلك المقالة غاية العجب و قال ايّها الملك لما ذا تقتلني و ايّ ذنب بدأ منيّ فقال له الملك قد قيل لي انّك جاسوس و قد اتيت تقتلني و ها انا اقتلك قبل ان تقتلني ثم ان الملك صاح على السياف و قال له اضرب رقبة هذا الغدّار و ارحنا من شرّه فقال الحكيم للملك ابقني يبقك الله و لا تقتلني يقتلك الله ثم انه كرّر عليه القول مثل ما قلت لك ايّها العفريت و انت لا تدعني الّا تريد قتلي فقال الملك يونان للحكيم دوبان انيّ لا آمن الّا ان اقتلك فانك ابرأتني بشيٍّ مسكته بيدي فلا آمن ان تقتلني بشيٍّ اشمّه او غير ذلك فقال الحكيم ايّها الملك هذا جزائي منك تقابل المليح بالقبيح فقال الملك لابدّ من قتلك من غير مهلة فلما تحقق الحكيم ان الملك قاتله لا محالة بكى و تأسف على ما صنع من الجميل مع غير اهله كما قال في المعنى

إِنَّ مَيْمُونَةَ لَا عَقْلَ لَهَا ثَقَهْ وَ اَبُوْهَا مِنْ ذَوِي الْعَقْلِ خُلِقْ
مَا مَشَى فِيْ يَابِسٍ اَوْ زَلَقْ مِنْ غَيْرِ تَدْبِيْرٍ اَلَّا زَلِقْ

و بعد ذلك تقدّم السيّاف و عصب عينيه و اشهر سيفه و قال اذن و الحكيم يبكي و يقول للملك ابقني يبقك الله و لا تقتلني يقتلك الله و انشد يقول

نَصَحْتُ فَلَمْ اُفْلَحْ وَ خَانُوْا فَاُفْلِحُوْا وَ اَوْرَثَنِيْ نُصْحِيْ لِدَارِ هَوَانِ
فَاِنْ عِشْتُ لَمْ اَنْصَحْ وَ اِنْ مِتُّ فَالْعَنُوْا ذَوِي النُّصْحِ مِنْ بَعْدِيْ بِكُلِّ لِسَانِ

ثم ان الحكيم قال للملك هذا جزائي منك تجازيني مجازاة

Digitized by Google

اِنَّ الْمُقَدَّرَ كَائِنٌ يَا سَيِّدِيْ فَلَكَ الاَمَانُ مِنَ الَّذِيْ مَا قُدِّرَا

فلما دخل الحكيم على الملك انشد يقول

اِذَا لَمْ اَقُمْ فِيْ بَعْضِ حَقِّكَ بِالشُّكْرِ فَقُلْ لِيْ لِمَنْ اَعْدَدتُّ نَظْمِيَ اَوْ نَثْرِيْ
لَقَدْ جُدتَّ لِيْ قَبْلَ السُّوَالِ بِاَنْعُمٍ اَتَتْنِيْ بِلَا مَطْلٍ لَدَيْكَ وَلَا عُذْرِ
فَمَا لِيَ لَا اُعْطِيْ ثَنَاءَكَ حَقَّهُ وَاُثْنِيْ عَلَى جَدْوَاكَ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ
سَاَذْكُرُ مَا اَوْلَيْتَنِيْ مِنْ صَنَائِعٍ يَخِفُّ بِهَا هَمِّيْ وَ اِنْ اَثْقَلَتْ ظَهْرِيْ

و ايضا في المعنى

كُنْ عَنْ هُمُوْمِكَ مُعْرِضًا وَ كِلِ الْاُمُوْرَ عَلَى الْقَضَا
وَابْشِرْ بِخَيْرٍ عَاجِلٍ تَنْسَى بِهِ مَا قَدْ مَضَى
فَلَرُبَّ اَمْرٍ مُتْعِبٍ لَكَ فِيْ عَوَاقِبِهِ رِضَا
اَللّٰهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ فَلَا تَكُنْ مُتَعَرِّضَا

و قال ايضا في المعنى

سَلِّمْ اُمُوْرَكَ لِلَّطِيْفِ الْعَالِمِ وَ اَرِحْ فُؤَادَكَ مِنْ جَمِيْعِ الْعَالَمِ
وَاعْلَمْ بِاَنَّ الْاَمْرَ لَيْسَ كَمَا تَشَا بَلْ مَا يَشَاءُ اللّٰهُ اَحْكَمُ حَاكِمِ

و قال ايضا فى المعنى

طِبْ وَانْشَرِحْ وَانْسَ الْهُمُوْمَ جَمِيْعَهَا اِنَّ الْهُمُوْمَ تُزِيْلُ لُبَّ الْحَازِمِ
لَا يَنْفَعُ التَّدْبِيْرُ عَبْدًا عَاجِزًا فَاتْرُكْهُ تَسْلَمْ فِيْ نَعِيْمٍ دَائِمِ

فقال الملك للحكيم دوبان ا تعلم لما ذا احضرتك فقال الحكيم لا يعلم الغيب الّا اللّٰه تعالى فقال له الملك احضرتك لاقتلك و اعدم

Digitized by Google

فرأته كالخائف الوجل و هو يرتعد فقالت له ما بالك خائف فقال ان لي عدوّا و انا خائف منه فقالت الغولة انك تقول انا ابن ملك قال لها نعم قالت له ما لك لا تدفع لعدوّك شيًا من المال ترضيه به فقال لها انه لا يرضى بمال الّا بالروح و انا خائف منه و انا رجل مظلوم فقالت له ان كنت مظلوما كما تزعم استعن بالله فانه يكفيك شرّه و شرّ ما تخاف منه فرفع ابن الملك راسه الى السماء و قال يا من يجيب المضطر اذا دعاه و يكشف السوء اللهمّ انصرني على عدوّي و اصرفه عنّي انك على ما تشاء قدير فلما سمعت الغولة دعاءه انصرفت عنه و انصرف ابن الملك الى ابيه و حدّثه بحديث الوزير فادعى الملك بالوزير و قتله و أنت ايّها الملك متى امنت لهذا الحكيم قتلك شرّ القتلات الذي قد احسنت اليه و قرّبته منك يعمل على هلاكك ا ما ترى انه ابرأك من المرض من ظاهر الجسد بشيٍ مسكته بيدك فلا تأمن ان يهلكك بشيٍ تمسكه ايضا فقال الملك يونان صدقت يا وزير و قد يكون كما ذكرت ايّها الوزير الناصح و ان هذا الحكيم اتى جاسوسا في طلب هلاكي و ان يكن ابرأني بشيٍ مسكته بيدي يقدر ان يهلكني بشيٍ اشمّه ثم ان الملك يونان قال لوزيره ايّها الوزير كيف العمل فيه فقال له الوزير ارسل خلفه في هذا الوقت وَ اطلُبه فان حضر فاضرب عنقه فتكفي شرّه و تستريح منه و اغدر به قبل ان يغدر بك فقال الملك يونان صدقتَ ايّها الوزير ثم ان الملك ارسل الى الحكيم فحضر و هو فرحان و لا يعلم ما قدّره الرحمٰن كما قال بعضهم في المعنى

يَا خَائِفًا مِنْ دَهْرِهِ كُنْ آمِناً سَلِّمْ اُمُوْرَكَ لِلَّذِيْ مَدَّ الثَّرَا

Digitized by Google

وآسفا على قتل الباز وكونه خلّصه من الهلاك وهذا ما كان من حديث الملك السندباد فلما سمع الوزير كلامَ الملك يونان قال له ايّها الملك العظيم الشان وما الذي فعله من الضرورة ولا رأيت منه سوءا وانما افعل هذا شفقة عليك ولاجل ان تعلم صحة ذلك والّا هلكت كما هلك وزير كان احتال على ابن ملك من الملوك قال الملك يونان وكيف كان ذلك

حكاية الوزير المحتال

فقال الوزير اعلم ايها الملك ان وزيرا كان لبعض الملوك وكان له ولد مولع بالصيد والقنص وكان معه وزير لابيه قد امَرَه ابوه الملكُ ان يكون معه اينما توجه وقد كان يوما من بعض الايام خرج الولد الى الصيد والقنص وخرج معه وزير ابيه فساروا جميعا فنظروا الى وحشي كبير فقال الوزير لابن الملك دونك هذا الوحشي فاطلبه فقصده ابن الملك حتى غاب عن العين وغاب عنه الوحشي في البرّية لا يعرف اين يروح ولا اين يسير واذا بجارية على راس الطريق وهي تبكي فقال لها ابن الملك من انت قالت انا بنت ملك من ملوك الهند وكنت في البرّية فادركني النعاس فوقعت من على الدابّة ولم اعلم بنفسي فصرت منقطعة حائرةً فلما سمع ابن الملك كلامها رثى لحالها وحملها على ظهر دابّته واردفها وسار حتى مرّ بخرابة فقالت له الجارية يا سيدي اريد ان ازيل ضرورة فانزلها الى الخرابة فعوّقت فاستبطأها فدخل خلفها وهو لا يعلم بها فاذا هي غولة وهي تقول لاولادها يا اولادي قد اتيتكم اليوم بغلام سمين فقالوا لها ايتينا به يا امّنا حتى نرعاه في بطوننا فلما سمع ابن الملك كلامهم ايقن بالهلاك وارتعدت فرائصه وخشي على نفسه ورجع فخرجت الغولة

Digitized by Google

نطّت الغزالة فوق دماغه قتلته فضيقوا عليها حلقة الصيد و اذا بالغزالة دخلت لبيت الملك و ثبتت على رجليها و حطّت يديها على صدرها كانها تبوس الارض للملك فطاطاء الملك للغزالة ففرّت من فوق دماغه راحت للبرّ فظل الملك رأى العسكر يتغامزون عليه فقال يا وزير ما ذا يقول العسكر فقال يقولون انك قلت كل من نطّت الغزالة فوق راسه يقتل فقال الملك و حيات رامي لاتّبعها حتى اجي بها فطلع الملك تابع الغزالة و لم يزل وراءها الى جبل من الجبال فارادت ان تعبر الغار فسيّب الباز وراءها فصار يلطشها في عينيها الى ان اعماها و دوّخها فسحب الملك دبّوساً و ضربها قلبها و نزل ذبحها و سلخها و علّقها في قربوس السرج و كانت ساعة قيالة و كانت الغابة مُقفِرة لم يوجد فيها ماء فعطش الملك و عطش الحصان فدوّر الملك فرأى شجرة نازلا منها ماء مثل السَمْن و كان الملك لابسَ كفوف من جلد السرادق فاخذ الطاسة من رقبة الباز و ملأها من ذلك الماء ووضع الماء قدامه و اذا بالباز لطس الطاسة قلبها فاخذ الطاسة ثانيا و اخذ النفط النازلة حتى ملأها و ظن انّ الباز عطشان فوضعها قدامه فلطسها قلبها فانقبض الملك من الباز و قام ثالث مرة و ملاء الطاسة و قدّمها للحصان فقلبها الباز بجناحه فقال الملك الله يخيبك يا ايشم الطيور احرمتني من الشرب واحرمت نفسك و احرمت الحصان و ضرب الباز بالسيف رمى اجنحته فصار الطير يقيم راسه و يقول بالاشارة انظر الذي فوق الشجرة فقام الملك عينه فرأى فوق الشجرة فرخ آفة وهذا سمّها فندم الملك على قصّ اجنحة الباز و قام و ركب حصانه و سار و معه الغزالة الى ان وصل الى الوطّاق بمتاعه فاعطى الغزالة الى الطبّاخ و قال له خذ شوّها و جلس الملك على الكرسي و الباز على يده ففهق الباز مات فصرخ الملك حزنا

Digitized by Google

احسن اليه واكرمه غاية الاكرام وقرّبه غاية القرب وانا اخشى على الملك فقال له الملك وقد انزعج وتغيّر لونه عمن تزعم والى من تشير قال له الوزير ان كنت نائما استيقظ فانا اشير الى الحكيم دوبان فقال الملك ويلك هذا صديقي وهو اعز الناس عندي لانه داواني بشيء قبضته بيدي وابرأني من مرضي الذي عجزت فيه الاطباء وهو لا يوجد مثله في هذا الزمان ولا في الدنيا غربا ولا شرقا وانت تقول عنه هذا المقال وانا من اليوم ارتب له الرواتب والجرايات واعمل له في كل شهر الف دينار ولو قاسمته في ملكي لكان قليلا وما اظنّ انك تقول ذلك الّا حسدا كما بلغني عن الملك السندباد فادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة قالت لها اختها اتمي لنا حديثك ان كنت غير نائمة فقالت بلغني ايّها الملك السعيد ان الملك يونان قال لوزيره ايّها الوزير انت داخلك الحسد من اجل هذا الحكيم وتريد قتله وبعد ذلك اندم كما ندم الملك السندباد على قتل الباز فقال الوزير العفو يا ملك الزمان وكيف كان ذلك فقال الملك

حكاية الملك السندباد

حكي والله اعلم انه كان ملك من ملوك الفرس وكان يحبّ الفرح والتنزّه والصيد والقنص وكان مربّي باز لا يفارقه ليلا ولا نهارا وكان طول الليل شائله على يده واذا طلع الى الصيد يأخذه معه وعامل له طاسة من الذهب معلقّة في رقبته يسقيه منها فبينما الملك جالس واذا بامير الرُخّه يقول يا ملك الزمان هذا اوان الخروج للصيد فامر الملك بالخروج واخذ الباز على يده وساروا الى ان وصلوا الى وادٍ وضربوا حلقة الصيد واذا بغزالة وقعت في حلقة الصيد فقال الملك كل من

Digitized by Google

و اذا بموائد الطعام الفاخرة وضعت فاكل صحبه و ما زال عنده ينادمه طول نهاره فلما اقبل الليل اعطى الحكيم دوبان الفين دينارا غير الخلع و الانعام و اركبه جواده فانصرف الى داره و الملك يونان يتعجب من صنعه و يقول هذا داواني من ظاهر جسدي ولا دهنني بدهان فو الله ما هذه الّا حكمة بالغة فيجب لهذا الرجل الانعام و الاكرام و اتخذه جليسا و انيساً مدّى الزمان و بات الملك يونان مسرورا فرحان بصحة جسمه و خلاصه من مرضه فلما اصبح خرج الملك يونان و جلس على كرسيّه و وقفت ارباب دولته و جلست الامراء و الوزراء عن يمينه و يساره فعند ذلك طلب الملك يونان الحكيم دوبان فدخل عليه و قبّل الارض بين يديه فقام له الملك و اجلسه بجانبه و اكل معه و حيّاه و اخلع عليه و اعطاه و لم يزل يحدّثه الى ان اقبل الليل فرسم له بخمس خلع و الف دينار ثم انصرف الحكيم الى داره و هو شاكر من الملك فلما اصبح الصباح خرج الملك الى الديوان و قد احدقت به الامراء و الوزراء و الحجّاب قال الراوي و كان للملك وزير بشع المنظر نحس لئيم بخيل حسود و هو يحبّ الحسد فلما رأي الوزير الملك قرّب الحكيم دوبان و اعطاه هذا الانعام حسده الوزير و اضمر له الشرّ كما قيل في المعنى ما خلا جسد من حسد و قالوا الظلم كمين في النفس القوة تظهره و الضعف يخفيه ثم ان الوزير تقدم الى الملك يونان و قبّل الارض بين يديه و قال له يا ملك العصر و الاوان انت الذي نشأتُ في احسانك و لك عندي نصيحة عظيمة فان اخفيتها منك اكون ابن زنا فان امرتني ان ابديها ابديتُها لك فقال الملك و قد ازعجه كلام الوزير و ما نصيحتك فقال ايها الملك الجليل قالت القدماء من لم ينظر في العواقب ما الدهر له بصاحب و قد رأيت الملك على غير صواب و قد انعم على عدوّه و على من يطلب زوال ملكه و قد

Digitized by Google

خلفها حتى لحقها وضربها بقوة وقد قبض كفّه على قبضة الجوكان ومازال يضرب الاكرة و يسوق خلفها و يضربها حتى عرق كفه و سائر بدنه و سرت الدواء من القبضة و عرف الحكيم دوبان ان الدواء سرى في جسده فامره بالرجوع الى قصره و دخول الحمام من ساعته فرجع الملك يونان من وقته و امر ان يخلوا له الحمام فاخلوه له و تسارعت اليه الفرّاشين و تسابقت المماليك و عبّوا للملك قماشه و دخل الحمام واغتسل غسلا جيّدا ولبس ثيابه من داخل الحمام وخرج منه و ركب الى قصره و نام فيه هذا ما كان من امر الملك يونان و اما ما كان من امر الحكيم دوبان فانه رجع الى داره وبات فلما اصبح الصباح طلع الى الملك و استأذن عليه فامره بالدخول فدخل و قبّل الارض بين يديه و اشار الى الملك بهذه الابيات و انشد مترنّما يقول

سَمَتِ الْفَضَائِلُ اِذْ دُعِيْتَ لَهَا اَبَا ... وَ اِذَا دُعِيْ يَوْمًا سِوَاكَ لَهَا اَبَى
يَا صَاحِبَ الْوَجْهِ الَّذِيْ اَنْوَارُهُ ... تَمْحُوْ مِنَ الْخَطْبِ الْجَسِيْمِ غَيَاهِبَا
مَازَالَ وَجْهُكَ مُشْرِقًا مُتَهَلِّلًا ... اِذْ لَمْ يَزَلْ وَجْهُ الزَّمَانِ مُغَضَّبَا
اَوْلَيْتَنِيْ مِنْ فَضْلِكَ الْمِنَنَ الَّتِيْ ... فَعَلَتْ بِنَا فَعْلَ السَّحَابِ مَعَ الرُّبَا
وَ رَمَيْتَ مَالَكَ بِالْنَدَا فِيْ مَهْلُكٍ ... حَتّى بَلَغْتَ مِنَ الْمَعَالِيْ مَأْرَبَا

فلما فرغ من شعره نهض الملك قائما على قدميه و اعتنقه و اجلسه بجنبه و اخلع عليه الخلع السنيّة وكان الملك لما خرج من الحمام نظر الى جسده فلم يجد فيه شيًا من البرص وصار جسده نقيّا مثل الفضّة البيضاء ففرح الملك غاية الفرح واتسع صدره وانشرح فلما اصبح الصباح ودخل الي الديوان و جلس على سرير ملكه قامت اليه الحجّاب و اكابر الدّولة و دخل عليه الحكيم دوبان فلما رأه قام اليه مسرعا و اجلسه بجانبه

Digitized by Google

واهل العلوم فلما بلغ ذلك الحكيم بات مشغولا فلما اصبح الصباح و اضاء بنوره ولاح لبس الحكيم افخر ثيابه ودخل على الملك يونان و قبّل الارض بين يديه و دعا له بدوام العزّ والنعم واحسن ما به تكلم واعلمه بنفسه فقال ايّها الملك بلغني ما اعتراك من هذا الذي في جسدك و انّ كثيرا من الاطباء ما عرفوا الحيلة في ذهابه وها انا اداويك ايّها الملك و لا اسقيك دواءا و لا ادهنك بدهن فلما سمع الملك يونان كلامه تعجب و قال له كيف تفعل فوالله ان ابرأتني اغنيك لولد الولد و انعم عليك و كلما تمنّيته فهو لك وتكون نديمي و حبيبي ثم انه اخلع عليه واحسن اليه وقال له تبرّئني من هذا المرض بلا دواء و لا دهان قال نعم ابرئك فتعجب الملك غاية العجب ثم قال له ايّها الحكيم الذي ذكرته لي يكون في ايّ الاوقات واي الايّام فاسرع يا ولدي قال له سمعا وطاعة يكون غدا ثم نزل الى المدينة و اكرى له بيتا و حطّ فيه كتبه و ادويته وعقاقيره ثم استخرج الادوية و العقاقير وجعله جوكانا وجوّفه و عمل له قبضة وصنع له اكرة بمعرفته فلما صنع الجميع وفرغ منها طلع الى الملك في اليوم الثاني و دخل عليه وقبّل الارض بين يديه و امره ان يركب الى الميدان و ان يلعب بالاكرة و الصولجان وكان معه الامراء والحجّاب والوزراء و ارباب الدولة فما استقر به الجلوس في الميدان حتى دخل عليه الحكيم دوبان وناوله الجوكان و قال له خذ هذا الجوكان واقبض عليه مثل هذه القبضة و سوّق في الميدان وتمطأ جيّدا و اضرب الاكرة حتى يعرق كفك و جسدك فينفذ الدواء من كفك فيسري في جسدك فاذا فرغت وحاق الدواء فيك فارجع الى قصرك و ادخل بعد ذلك الحمام و اغتسل ونم فقد برئت و السلام فعند ذلك اخذ الملك يونان الجوكان من الحكيم ومسكه بيده و ركب الجواد و رمى الاكرة بين يديه و ساق

Digitized by Google

معك فقال له الصياد تكذب يا احقر العفاريت و اقذرها و اصغرها ثم ان الصياد اخرج القمقم الى جانب البحر فقال له العفريت لا لا فقال الصياد اي اي و رقّق المارد كلامه و تخضّع وقال ما تريد تصنع بي يا صياد قال القيك في البحر ان كنت اقمت فيه الفا و ثمانمأية سنة فانا اخلّيك تمكث فيه الى ان تقوم الساعة انا ما قلت لك ابقني يبقك اللّه و لا تقتلني يقتلك اللّه فابيت قولي و ما اردت الّا ان تغدر بي فارماك اللّه في يدي فغدرت بك فقال العفريت افتح لي حتى احسن اليك فقال له الصياد تكذب يا ملعون انا مثلي و مثلك مثل وزير الملك يونان و الحكيم دوبان فقال العفريت و ما وزير الملك يونان و الحكيم دوبان و ما قصّتهما فقال الصياد اعلم ايّها العفريت

حكاية وزير الملك يونان

انه كان في قديم الزمان و سالف العصر و الاوان في مدينة الفرس و ارض رومان ملك يقال له يونان وكان ذو مال و جنود و هيبة و اعوان من سائر الاجناس وكان في جسده برص وقد اعيى الاطباء والحكماء فيه و شرب ادوية و سفوفا ودهانا فلم ينفعه من ذلك شيء و ما احد من الاطباء قدر ان يبرئه وكان قد دخل الى مدينة الملك يونان حكيم كبير طاعن في السن يقال له الحكيم دوبان وكان قد قرأ الكتب اليونانية و الفارسية و الرومية و العربية و السريانية و علم الطب و النجوم و علم تاسيس حكمتها و قواعد امورها و منفعتها و مضرّتها و علم جميع النباتات و الحشائش و الاعشاب المضرّة و النافعة و علم الفلاسفة و حاز جميع العلوم الطبيّة و غيرها ثم ان الحكيم لما دخل المدينة و اقام بها ايّاما قلائل سمع خبر الملك و ما جرى له في بدنه من البرص الذي ابتلاه اللّه به و قد عجزت عن مداواته الاطباء

Digitized by Google

فَعَلْنَا جَمِيلًا قَابَلُونَا بِضِدِّهِ وَهٰذَا لَعَمْرِي مِنْ فِعَالِ الْفَوَاجِرِ
وَمَنْ يَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ مَعْ غَيْرِ أَهْلِهِ يُجَازَى كَمَا جُوزِي مُجِيرُ أُمِّ عَامِرِ

فلما سمع العفريت كلامه قال له لا تطل فلابدّ من موتك فقال الصياد هذا جنيّ و انا انسيّ وقد اعطاني اللّه عقلا كاملا و ها انا ادبّر في هلاكه بحيلتي وبعقلي و هو يدبّر بمكره وخبثه ثم قال للعفريت لابدّ من قتلي قال نعم فقال له بالاسم الاعظم المنقوش على خاتم سليمان بن داوُد عليهما السلام اسألك عن شيٍ و تصدقني فيه قال نعم ثم ان العفريت لما سمع ذكر الاسم الاعظم اضطرب و اهتزّ وقال له سل و اوجز فقال له انت كنت في هذا القمقم و القمقم لا يسع يدك ولا رجلك فكيف يسعك كلّك فقال له العفريت و انت لا تصدق انني كنت فيه فقال الصياد لا اصدقك ابدا حتى انظرك بعيني فادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة قالت لها اختها اتمّي لنا حديثك ان كنت غير نائمة فقالت بلغني ايّها الملك السعيد ان الصياد قال للعفريت لا اصدّقك ابدا حتى انظرك بعيني فح قد انتفض العفريت و صار دخانا على البحر واجتمع ودخل القمقم قليلا قليلا حتى استكمل الدخان داخل القمقم واذا بالصياد اسرع و اخذ سدادة الرصاص المختومة و طبعها على فم القمقم و نادى على العفريت و قال له تمنّ عليّ ايّ موتة تموتها و اللّه لارمينّك في هذا البحر وابني لي هنا بيتا وكل من اتى هنا امنعه ان يصطاد واقول له هنا عفريت كل من طلع به يمنيّه كيف يموت وكيف يقتله فلما سمع العفريت كلام الصياد و رأي نفسه محبوسا واراد الخروج فلم يقدر ومنعه خاتم سليمان و علم ان الصياد تحايل عليه فقال انا كنت امزح

Digitized by Google

ايّ موتة تموت بها و ايّ قتلة تقتل بها فقال الصياد ما ذنبي و ما جزائي منك قال العفريت اسمع حكايتي يا صياد قال الصياد قل و اوجز في الكلام فان روحي وصلت الى انفي فقال اعلم يا صياد اني من الجن المارقين و قد عصيت سليمان بن داوُد عليهما السلام انا و صخر الجني فارسل لي وزيره اصف بن برخيا فاتى بي كرها و قادني و انا ذليل على رغم انفي واوقفني بين يديه فلما رأني سليمان استعاذ منّي واعرض عليّ الايمان والدخول تحت طاعته فابيت فدعا بهذا القمقم وحبسني فيه و ختم عليّ بالرصاص وطبعه بالاسم الاعظم وامر الجنّ فاحتملوني والقوني في وسط البحر فاقمت مأية عام وقلت في قلبي كل من خلصني اغنيته الى الابد فمرّت مأية عام ولم يخلصني احد ودخلت علىّ مأية اخرى فقلت كل من خلصني فتحت له كنوز الارض فما خلصني احد فمرّ عليّ اربعمأية عام اُخر فقلت كل من خلصني اقضي له ثلاث حاجات فلم يخلصني احد فغضبت غضبا شديدا وقلت في نفسي كل من خلصني في هذه الساعة قتلته و منّيته كيف يموت و ها انت قد خلصتني و منّيتك كيف تموت فلما سمع الصياد كلام العفريت قال يا للّه العجب انا ما جيئت اخلصك الا في هذه الايام ثم قال الصياد للعفريت اعف عن قتلي يعف اللّه عن قتلك و لا تهلكني يسلّط اللّه عليك من يهلكك فقال المارد لابد من قتلك فتمنّ عليّ ايّ موتة تموتها فلما تحقق ذلك منه الصياد راجع العفريت وقال اعف عني اكراماً لما اعتقتك فقال العفريت وانا ما اقتلك الا لاجل ما خلصتني فقال له الصياد يا شيخ العفاريت اصنع معك مليحاً تقابلني بالقبيح و لكن لم يكذب المثل حيث قال هذا الشعر

وتعرى وغطس عليها وصار يجاهد فيها الى ان طلعت علي البرّ و فتح الشبكة فوجد فيها قمقم نحاس اصفر ملآن و فمه مختوم برصاص عليه طبع خاتم سيّدنا سليمان بن داوُد عليهما السلام فلما رأه الصياد فرح وقال هذا ابيعه في سوق النحاس فانه يساوي عشرة دنانير ذهب ثم انه حرّكه فوجده ثقيلا و وجده مسدودا فقال في نفسه يا ترى ايش في هذا القمقم افتحه و انظر ما فيه و بعده ابيعه ثم انه اخرج سكّينا و عالج في الرصاص الى ان فكّه من القمقم و حطّه الى جانب الارض وهزّه لينكب ما فيه فلم ينزل منه شيُ فتعجب غاية العجب ثم انه خرج من القمقم دخان صعد الى عنان السماء و مشى على وجه الارض و بعد ذلك تكامل الدخان و اجتمع و التمّ و انتفض فصار عفريتا راسه في السحاب ورجلاه في التراب براس كالقبّة بايدٍ كالمداري برجلين كالسواري بفمٍ كالمغار واسنان كالحجارة و مناخير كالابريق و عينين كانهما سراجين اعبس اغلس فلما رأى الصياد ذلك العفريت ارتعدت فرائصه و تشبّكت اسنانه و نشف ريقه و عمي عن طريقه فلما رأه العفريت قال لا اله الا اللّه سليمان نبيّ اللّه ثم قال العفريت يا نبيّ اللّه لا تقتلني فاني لا عدت اخالف لك قولا و لا اعصي لك امرا فقال له الصياد ايّها المارد تقول سليمان نبيّ اللّه و سليمان مات من مدة الف و ثمانمأية سنة و نحن في آخر الزمان فما قصّتك و ما حديثك و ما سبب دخولك في هذا القمقم قال فلما سمع المارد كلام الصياد قال لا اله الا اللّه ابشر يا صياد فقال الصياد بما ذا تبشرني فقال بقتلك في هذه الساعة شر قتلة قال الصياد تستاهل على هذه البشارة يا قيّم العفاريت بزوال الستر عنك يا بعيد لايّ شيُ تقتلني و ايّ شيُ يوجب قتلي و قد خلصتك من القمقم ونجّيتك من قرار البحر و طلعت بك الى البرّ فقال العفريت تمنّ عليّ

Digitized by Google

يَا حُرْقَةَ الدَّهْرِ كُفِّي ... إِنْ لَمْ تَكُفِّي فَعُفِّي
خَرَجْتُ أَطْلُبُ رِزْقِي ... وَجَدْتُ رِزْقِي تُوُفِّي
كَمْ جَاهِلٍ فِي الثَّرَيَّا ... وَعَالِمٍ فِي الثَّرَا مَخْفِي

ثم انه رمى الزير وعصر شبكته ونظفها واستغفر الله تعالى وعاد الى البحر ثالث مرة و رمى الشبكة و صبر عليها حتى استقرت وجذبها فوجد فيها شقافا و قوارير وعظاما فاغتاظ جدا و بكى و انشد يقول

هُوَ الرِّزْقُ لَا حَلَّ لَدَيْكَ وَلَا رَبْطُ ... وَلَا أَدَبٌ يُعْطِيكَ رِزْقًا وَلَا خَطُّ
وَلَا الْحَظُّ وَ الْأَرْزَاقُ إِلَّا مُقَسَّمٌ ... فَأَرْضٌ بِهَا خِصْبٌ وَأَرْضٌ بِهَا قَحْطُ
تَحُطُّ صُرُوفُ الدَّهْرِ كُلَّ مُهَذَّبٍ ... وَتَرْفَعُ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ لَهُ الْحَطُّ
فَيَا مَوْتُ زُرْ إِنَّ الْحَيَاةَ ذَمِيمَةٌ ... إِذَا انْحَطَّتِ الْبَازَاتُ وَارْتَفَعَ الْبَطُّ
فَلَا عَجَبًا إِنْ كُنْتَ عَايَنْتَ فَاضِلًا ... فَقِيرًا وَذَا نَقْصٍ بِدَوْلَتِهِ يَسْطُو
فَطَيْرٌ يَطُوفُ الْأَرْضَ شَرْقًا وَمَغْرِبًا ... وَآخَرُ يُعْطَى الطَّيِّبَاتِ وَلَا يَخْطُو

ثم انه رفع راسه الى السماء و قال اللهمّ انك تعلم اني لم ارم شبكتي كل يوم الا اربع مرّات و قد رميت ثلاثا و لم يأتني شيء فارزقني اللهمّ في هذه المرة برزقي ثم انه سمّى الله و رمى الشبكة فى البحر وصبر الى ان استقرت و جذبها فلم يطق جذبها و اذا بها اشتبكت في الارض فقال لا حول و لا قوة الّا بالله ثم انشد

أُفٌّ لِلدُّنْيَا إِذَا كَانَتْ كَذَا ... أَنَا فِيهَا فِي بَلَاءٍ وَأَذًى
إِنْ صَفَا عَيْشُ امْرِئٍ فِي صُبْحِهَا ... جَرَّعَتْهُ مُمْسِيًا كَأْسَ الرَّدَى
وَلَقَدْ كُنْتُ إِذَا مَا قِيلَ مَنْ ... أَنْعَمُ الْعَالَمِ عَيْشًا قِيلَ ذَا

Digitized by Google

و خاض في البحر و طرح شبكته و صبر الى ان استقرت في الماء و جمع خيطانها فوجدها ثقلت فجذبها فلم يقدر على ذلك فجاء بالطرف للبر و دقّ وتدا و ربطها و تعرّى و غطس في الماء حول الشبكة ومازال يعاقر حتى اطلعها ففرح وطلع ولبس ثيابه واتى الى الشبكة فوجد فيها حماراً ميّتا و قد خرق الشبكة فلما رأى ذلك حزن و قال لا حول و لا قوة الاّ بالله العليّ العظيم ثم ان الصياد قال ان هذا الرزق عجيب وانشد يقول

يَا خَائِضًا فِي ظَلَامِ اللَّيْلِ وَ الْهَلَكَهْ ... اِقْصِرْ عَنَاكَ فَلَيْسَ الرِّزْقُ بِالْحَرَكَهْ
اَ مَا تَرَى الْبَحْرَ وَ الصَّيَّادَ مُنْتَصِبًا ... لِرِزْقِهِ وَ نُجُومُ اللَّيْلِ مُحْتَبِكَهْ
قَدْ خَاضَ فِي وَسْطِهِ وَالْمَوْجُ يَلْطِمُهُ ... وَعَيْنُهُ لَمْ تَزَلْ فِي كُلِّ الشَّبَكَهْ
حَتَّى اِذَا بَاتَ مَسْرُورًا بِلَيْلَتِهِ ... بِالْحُوتِ قَدْ شَقَّ سَفُّودُ الرَّدَى حَنَكَهْ
اِبْتَاعَهُ مِنْهُ مَنْ قَدْ بَاتَ لَيْلَتَهُ ... سَالِمٌ مِنَ الْبَرْدِ فِي خَيْرٍ مِنَ الْبَرَكَهْ
سُبْحَانَ رَبِّي يُعْطِي ذَا وَ يَحْرِمُ ذَا ... هٰذَا يَصِيدُ وَ هٰذَا يَاكُلُ السَّمَكَهْ

ثم قال هَيَّا لا بد من كرامة ان شاء الله تعالى وانشد يقول

وَ اِذَا بُلِيْتَ بِعُسْرَةٍ فَالْبَسْ لَهَا ... صَبْرَ الْكَرِيْمِ فَاِنَّ ذٰلِكَ اَحْزَمُ
لَا تَشْكُوَنَّ اِلَى الْعِبَادِ فَاِنَّمَا ... تَشْكُوا الرَّحِيْمَ اِلَى الَّذِي لَا يَرْحَمُ

ثم خلصه من الشبكة وعصرها فلما فرغ من عصرها نشرها وخاض البحر وقال بسم الله وطرحها وصبر عليها حتى استقرت فثقلت و رسخت اكثر من الاول فظن انه سمك فربط الشبكة وتعرى ونزل و غطس الى ان خلصها و عاقر الى ان طلعها على البرّ فوجد فيها زيرا كبيرا وهو ملآن رمل وطين فلما رأى ذلك تاسّف وانشد يقول

Digitized by Google

ملوك الجان وقال لها صحيح فهزّت راسها وقالت بالاشارة يعني اي
و الله هذا حديثي وما جرى لي فلما فرغ من حديثه اهتزّ الجني
من الطرب و وهب له ثلث دمه فادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن
الكلام المباح فقالت لها اختها يا اختي ما احلى حديثك واطيبه والذّه
و اعذبه فقالت و اين هذا مما احدّثكم به الليلة القابلة ان عشتُ
و ابقاني الملك فقال الملك و الله لا اقتلها حتى اسمع بقيّة حديثها لانه
عجيب ثم باتوا تلك الليلة متعانقين الى الصباح فخرج الملك محل
حكمه وطلع العسكر و الوزير و احتبك الديوان فحكم الملك وولّى وعزل
و نهى و امر الى آخر النهار فانفضّ الديوان فدخل الملك شهريار الى
قصره فلما اقبل الليل قضى حاجته من بنت الوزير

فلما كانت الليلة الثالثة قالت لها اختها دنيازاد يا اختي اتمّي
لنا حديثك فقالت حبّا وكرامة بلغني ايّها الملك السعيد ان الشيخ الثالث
قال للجني حكاية اعجب من الحكايتين فتعجب الجني غاية العجب و اهتزّ
من الطرب وقال قد وهبت لك باقي جنايته و اطلقته لكم فاقبل التاجر
على الشيوخ و شكرهم وهنّوه بالسلامة ورجع كل واحد الى بلده وما
هذا باعجب من حكاية الصيّاد

حكاية الصيّاد

قال وكيف ذلك قالت بلغني ايّها الملك السعيد انه كان رجلا صيّادا وكان
طاعنا في السن وله زوجة وثلثة اولاد وهو فقير الحال وكان من عادته
انه يرمي شَبكته كل يوم اربع مرّات لا غير ثم انه خرج يوما من بعض
الايام في وقت الظهر واتى الى شاطي البحر وحطّ مِقْطفه وشمّر قميصه

Digitized by Google

و ما يتخلّصوا الّا بعد عشر سنوات فجيت و انا سأسر اليها تخلصهم بعد اقامتهم عشر سنوات في هذه الحال فرأيت هذا الفتى فاخبرني بما جرى له فاردت ان لا ابرح حتى انظر ما يجري بينك و بينه و هذه قصّتي فقال الجني انها حكاية عجيبة و قد وهبت لك ثُلث دمه و جنايته قال الشيخ الثالث صاحب البغلة انا احكي لك حكاية اعجب من الاثنين و تهب لي باقي دمه و جنايته ايّها الجني قال نعم فقال الشيخ ايّها السلطان و رئيس الجان ان هذه البغلة كانت زوجتي فسافرتُ و غبتُ عنها سنة كاملة ثم قضيت سفري و جيت اليها في الليل فرأيت عبدا اسود راقدا معها في الفراش وهم في كلام و غنج وضحك و بوس و هراش فلما رأتني عجلت و قامت اليّ بكوز فيه ماء فتكلّمت عليه و رشّتني و قالت اخرج من هذه الصورة الى صورة كلب فصرتُ في الحال كلباً فطردتني من البيت فخرجت من الباب و لم ازل اسير حتى وصلتُ الى دكان جزّار فتقدمت و صرت آكلُ من العظام فلما رأني صاحب الدكان اخذني و دخل بي بيته فلما رأتني بنت الجزّار غطّت وجهها منّي و قالت تجيُ لنا برجل و تدخل به علينا فقال ابوها اين الرجل قالت هذا الكلب رجل سحرته امرأته و انا اقدر اخلّصه فلما سمع ابوها كلامها قال بالله عليك يا بنتي خلّصيه فاخذت كوزا فيه ماء و تكلّمت عليه و رشّت عليّ منه قليلا و قالت اخرج من هذه الصورة الى صورتك الاولى فعدتُ الى صورتي الاولى فقبّلت يدها و قلت لها اريد ان تسحري زوجتي كما سحرتني فاعطتني قليلا من الماء و قالت اذا رأيتها نائمة رُشّ هذا الماء عليها و تكلم معها بكلام اردته فانها تصير بها انت طالب فاخذت الماء و دخلت الى زوجتي فوجدتها نائمة فرشّيت عليها الماء و قلت اخرجي من هذه الصورة الى صورة بغلة فصارت في الحال بغلة و هي هذه التي تنظرها بعينك ايّها السلطان و رئيس

Digitized by Google

كلامها حنّ لها قلبي لامرٍ يريده الله عزّ و جلّ فاخذتُها و كسوتها و فرشتُ لها في المركب فرشا حسنا و اقبلت عليها و اكرمتها و سافرنا و قد احبّها قلبي محبّة عظيمة و صرت لا افارقها ليلا و لا نهارا و اشتغلتُ بها عن اخوتي فغاروا منّي و حسدوني على مالي و كثرة بضاعتي فَسِهرت عيونهم في المال جميعه فتحدّثوا في قتلي و اخذ مالي و قالوا نقتل اخانا و يصير المال جميعه لنا و زيّن لهم الشيطان اعمالهم و خلّوني و انا نائم بجانب زوجتي و حملوني و زوجتي و رموا في البحر فلما استيقظت زوجتي و قد انتفضت فصارت عفريتة و حملتني و طلعتني على جزيرة و غابت عنّي قليلا و عادت عند الصباح و قالت ها انا جاريتك انا التي حملتك و نجّيتك من القتل باذن الله تعالى و اعلم اني جنيّة رأيتك فحبّك قلبي لله و انا مومنة بالله و رسوله (صلى الله عليه و سلّم) فجئتك بالذي رأيتني فيه فتزوّجتَ بي و ها انا قد نجّيتك من الغرق و قد غضبتُ على اخوتك ولابدّ ان اقتلهم فلما سمعت حكايتها تعجبت و شكرتها على فعلها و قلت لها اما هلاك اخوتي فلا ثم حكيت لها على ما جرى لي معهم من اوّل الزمان الى آخره فلما عرَفَتْ قالت انا في هذه الليلة اطير اليهم و اُغرِق مركبهم و اهلكهم فقلت لها بالله عليك لا تفعلي فان المثل يقال يا محسن لمن اساءَ كفى المسيءُ فعلُه و هما اخوتي على كل حال قالت و الله لابدّ لي من قتلهم فتدخّلتُ عليها ثم انها حملتني و طارت فوضعتني على سطح داري ففتحت الابواب و اخرجت الذي خبّيته تحت الارض و فتحت دكاني بعد ما سلمت على الناس و اشتريت بضائع فلما كان العشاء رجعت الى بيتي فوجدتُ هذين الكلبين مربوطين في داري فلما رأوني قاموا اليّ و بكوا و تعلقوا بي فلم اشعر الّا و زوجتي قالت هولاء اخوتك فقلت و من فعل بهم هذا الفعل قالت انا ارسلت الى اختي ففعلت بهم ذلك

Digitized by Google

دكاني في كل راس سنة مرة والذي اراه زائدا هو بيني وبينك فقمتُ ايّها العفريت وعملت حساب دكاني فرأيت الفي دينار فحمدت الباري سبحانه وتعالى فاعطيت اخي الفا وبقي معي الف فقام اخي وفتح دكانًا وقعدنا جملة ايام ثم بعد مدة قاموا عليّ اخوتي وارادوا ان اسافر وايّاهم فلم افعل وقلت لهم ايش كسبتم انتم في سفركم حتى اكسب انا فما سمعت منهم واقمنا في دكاكيننا نبيع ونشتري وهم يعرضون عليّ السفر كل سنة وانا لا ارضى حتى مضت لنا ستّة سنين فانعمتُ لهم بالسفر وقلت لهم يا اخوتي ها انا مسافر معكم ولكن هاتوا لكَيْ ننظر ايش معكم من المال فلم اجد معهم شيًا بل ودروا كل شيٍ لانهم كانوا متعكفين على الاكل والشرب والملذات فما كلمتهم ولا قلت لهم شيًا بل قمت عملت حساب دكاني وخلّيت ما عندي من المال وكل ماكان عندي من البضائع فوجدت معي ستّة آلاف دينار ففرحت وقمت قسمتها نصفين وقلت لهم هذه ثلثة آلاف دينار لي ولكم لكي نتاجر بها وقمت دفنت الثلثة آلاف دينار الاخرى احتمالاً ان يجري عليّ ما جرى عليهم فاجيُ ابقى ثلثة آلاف دينار نفتح بها دكاكيننا وارتضوا كلهم فاعطيتُ كلواحد الف دينار وبقي لي مثلهم الف دينار فتحوّجنا البضائع الواجبة وجهّزنا المسفر واكرينا مركبا ونقلنا فيه حوايجنا وسافرنا اول يوم وثاني يوم مدة شهر كامل فدخلنا مدينة ومعنا بضائعنا فربحنا في الدينار عشرة دنانير واردنا نسافر فوجدنا على شاطي البحر جارية عليها خَلِقة مقطّعة فقبّلت يدي وقالت يا سيدي هل فيك حسنة ومعروف اجازيك عليهما قلت نعم اني احبّ الحسنة والمعروف وان لم تجازيني فقالت يا سيدي تزوّجني وخذني بلادك فاني قد وهبت نفسي لك فافعل معي معروفا واما انا ممن يُفعل معه المعروف والحسنة واجازيك عليهما ولا يغُرّنّك حالي فلما سمعت

Digitized by Google

وسرتُ بها من بلد الى بلد أُبصِر خبر ولدي حتى ساقتني المقادير الى هذا المكان ورأيت التاجر جالسا يبكي وهذا حديثي فقال الجني هذا حديث عجيب وقد وهبتُ لك ثلث دمه فعند ذلك تقدّم الشيخ الثاني صاحب الكلبين السلوقيين وقال للجني ان حكيتُ لك ما جرى لي مع اخويَّ هذين الكلبين ورايتها اغرب حكاية واعجب تهب لي ثلث ذنبه فقال له ان كانت حكايتك اعجب واغرب فلك ذلك فقال له الشيخ اعلم يا سيد ملوك الجان ان هذين الكلبين اخوتي و انا ثالثهم ومات والدي وخلّف لنا ثلثة آلاف دينار ففتحت انا دكانا ابيع فيه و اشتري و كذلك الاخوان كلواحد فتح دكاناً فما تعدت كثيرا الا واخي الكبير احد هولاء الكلبين باع متاع دكانه بالف دينار واشترى بضائع ومَتْجرا وسافر فغاب عنّا سنة كاملة و انا يوما في دكاني اذ وقف عليّ سائل فقلت يفتح الله فقال لي وقد بكى ما بقيتَ تعرفني فحققته واذا به اخي فقمتُ ورحّبت به و طلعتُ به الى الدكان فسألته عن حاله فاجابني لا تسأل لان المال مال والحال حال فقمت ادخلته الحمام و البسته بِذلة من ملابسي و اطلعته عندي ثم كشفت حسابي وبيع دكاني فوجدت قد كسبت الف دينار و راس مالي الفي دينار فقسمته بين اخي وبيني وقلت له احسب انك ما سافرت و لا تغرّبت فا خذها وهو فرحان و فتح له دكانًا وقمتُ اياماً و ليالي ثم بعد ذلك قام اخي الثاني وهو الكلب الآخر باع ما كان عنده و جميع ماله واراد السفر فمنعناه فلم يمتنع فاشترى تجارة وسافر مع الاسفار وغاب عنّا سنة كاملة ثم انه اتاني كما اتى اخوه الكبير فقلت له يا اخي اَماَ نصحتك بان لا تسافر فبكى وقال يا اخي هذا مقدّر وها انا فقير لم املك الدرهم الفرد عريان ما عليّ القميص فاخذته ايّها الجنى و ادخلته الحمام و البسته بذلة جديدة من ملابسي و جئت به الى دكاني فاكلنا و شربنا وبعده قلت له يا اخي اعمل حساب

Digitized by Google

سحرته زوجة ابيه هو وامّه فهذا سبب ضحكي واما سبب بكائي فمن اجل امّه كيف ذبحها ابوه فتعجبتُ من ذلك غاية العجب وما صدقت بطلوع الصباح حتى جئتُ اليك اعلمك فلما سمعت ايّها الجني هذا الكلام من الراعي خرجت معه وانا سكران من غير مدام من كثرة الفرح والسرور الذي حصل لي الى ان اتيت الى داره فترحّبت بي ابنة الراعي وقبّلت يدي ثم ان العجل جاء اليَّ وتمرّغ عليَّ فقلت لابنة الراعي اَحق ما تقوليه عن ذلك العجل قالت نعم يا سيدي انه ابنك وحُشاشة كبدِك فقلت لها ايّتها الصبية ان انت خلصتيه فلك عندي ما تحت يد ابيك من المواشي والاموال فتبسمت وقالت يا سيدي ليس لي رغبة في المال الا بشرطين الاول ان تزوّجَني به والثاني ان اسحر من سحرته واحبسها والّا فلستُ آمناً من مكرها فلما سمعت ايّها الجني كلام بنت الراعي فقلت ولك فرق ما طلبت جميع ما تحت يد ابيك من الأَنْعام والاموال واما بنت عمّي فدمها لك مباح فلما سمعت كلامي اخذت طاسة وملأتها ماءا ثم انها عزمت عليها ورشّت به العجل وقالت له ان كنتَ عجلا وانت على خلقة الله تعالى دُم على هذه الصفة ولا تتغير وان كنت مسحورا فعُد الى خلقتك الاولى باذن الله تعالى واذا به انتفض وصار انسانا فوقعت عليه وقلت له بالله عليك احكِ عليّ ما صنعت بك بنت عمّي وبامّك فحكى عليَّ ما جرى لهما فقلت يا ولدي قد بعث الله لك من خلّصك وخلص حفك ثم اني ايّها الجني زوّجت ابنة الراعي به ثم انها سحرت ابنة عمّي هذه الغزالة وقالت لي هذه صورة جميلة ليست بصورة وحشية يكره النظر اليها ثم ان بنت الراعي اقامت عندنا اياما وليالي وليالي وايام حتى اختارها الله اليه وبعد ان توفيت سافر ابني الى بلاد الهند وهي بلاد هذا الرجل الذي جرى لك معه ما جرى فعند ذلك اخذت الغزالة بنت عمّي

Digitized by Google

العجل و اخذتُ بيدي السكّين فادرک شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها اختها ما احسن حديثک و اطيبه و الذّه و اعذبه فقالت لها و اين هذا مما احدّثكم به الليلة القابلة ان عشتُ و ابقاني الملک فقال الملک في نفسه و الله ما اقتلها حتى اسمع بقيّة حديثها ثم انهم باتوا تلک الليلة الى الصباح متعانقين فخرج الملک الى محل حكمه وطلع الوزير بالكفن تحت ابطه ثم حكم الملک و ولّى و عزل الى آخر النهار و لم يأمر الوزير بشيء من ذلک فتعجب الوزير غاية العجب و انفضّ الديوان و دخل الملک شهريار الى قـــــــــصـــــــــره

فلما كانت الليلة الثانية قالت دنيازاد لاختها شهرزاد يا اختي اتمّي لنا حديثک الذي هو حديث التاجر و الجنّي قالت حبّا و كرامة ان اذن لي الملک فقال الملک احكي فقالت بلغني ايها الملک السعيد و الولي الرشيد انه لما اراد ان يذبح العجل حنّ قلبه و قال للراعي ابق هذا العجل بين البهائم كل ذلک و الشيخ يحكي الى الجني و الجني يتعجب من ذلک الكلام العجيب قال صاحب الغزالة يا سيد ملوک الجان كل ذلک جرى و ابنة عمّي هذه الغزالة تنظر و ترى و تقول اذبح العجل فانه سمين فلم يهوّن عليّ ان اذبحه و امرت الراعي ان يأخذه فاخذه و توجّه به ففي ثاني اليوم انا جالس و اذا بالراعي مقبل الى عندي و قال يا سيدي اقول لک شيًا تسرّ به و لي البشارة فقلت نعم فقال ايها التاجر ان لي بنتا و كانت تعلّمت السحر في صغرها من امرأة عجوز كانت عندنا فلما كان بالامس و اعطيتني العجل دخلتُ عليها فنظرتْ اليه بنتي و غطّت وجهها و بكت ثم انها ضحكت و قالت يا ابت بخس قدري عندک حتى انک تُدخل عليّ الرجال الاجانب فقلتُ لها و اين الرجال الاجانب و لما ذا بكيتِ و ضحكتِ فقالت لي ان هذا العجل الذي معک ابن استاذنا و هو مسحور و قد

Digitized by Google

فسافرت بمتجرٍ عظيم و كانت بنت عمي هذه الغزالة تعلّمت السحر و الكهانة من صغرها فسحرت ذلك الولد عجلا و تلك الجارية امّه بقرة وسلّمتهم الى الراعي و جئت انا بعد مدة طويلة من السفر فسألت عن ولدي و امّه فقالت لي امرأتك ماتت و ابنك هرب و لم اعلم اين راح فجلست مدة سنة و انا حزين القلب باكي العين الى ان جاء عيد اللّه الاكبر فارسلتُ للراعي و امرتهُ ان يحضر لي بقرة سمينة فحضر ببقرة سمينة و هي جاريتي التي سحرتها تلك الغزالة فشمّرت اذيالي و اخذت السّكين بيدي واردت ان اذبحها فصاحت وولولت وبكت فتعجبتُ انا منه واخذتني الرافة فوقفت عنها وقلت للراعي ايتني بغيرها فصاحت ابنة عمي هذه اذبحها فما عندي احسن و لا اسمن منها فتقدمت اليها لاذبحها فصاحت فقمت وامرت ذلك الراعي بذبحها و سلخها فذبحها و سلخها فلم يجد فيها شحما و لا لحما غير جلد و عظم فندمتُ على ذبحها حيث لا ينفعني الندم و اعطيتها للراعي و قلت له ايتِني بعجل سمين فاتاني بولدي فلما رأني ذلك العجل قطع حبله و جاءني و تمرّغ عليّ وولول وبكى فاخذتني الرافة عليه فقلت للراعي ايتِني ببقرة و دع هذا فصاحت عليّ بنت عمّي هذه الغزالة وقالت لابدّ لك من ذبح هذا العجل في هذا اليوم فانّه يوم شريف مبارك لا يذبح فيه الاّ الشيُ المليح و ليس عندنا بين العجول اسمن منه و لا احسن منه فقلت لها انظري كيف كان حال البقرة التى ذبحت بامرك فها نحن طلعنا منها خائبين و ما انتفعنا منها بشيٍ اصلا و ندمتُ غاية الندم على ذبحها و الآن لا اقبل منك كلاماً في ذبح هذا العجل هذه المرة فقالت لي و اللّه العظيم الرحمن الرحيم لابدّ لك من ذبحه في هذا اليوم الشريف و ان لم تذبحه فما انت زوجي و لا انا زوجتك فلما سمعت منها هذا الكلام الصعب و لم اعلم بمقصدها تقدمتُ الى

Digitized by Google

بالإبَر على آماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر ثم انه جلس الى جانبه وقال والله يا اخي لا ابرَح من عندك حتى انظرَ ما يجري لك مع ذلك العفريت ثم انه جلس عنده فَهُمْ في الحديث واذا قد ادرَك ذلك التاجرَ الخوفُ والفزعُ والغمّ الشديد والفكر المزيد وصاحب الغزالة بجانبه واذا قد اقبل عليهما شيخ ثان معه كلبان فسلّم عليهما والكلبان اسودان من الكلاب السَّلوقيّة فسألهم بعد السلام عليهم واستخبرهم وقال لهم ما سبب جلوسكم في هذا المكان وهو ماوى الجانّ فاخبروه بالقصّة من اولها الى آخرها افما استقرّ بهم الجلوس حتى اقبل عليهم شيخ ثالث ومعه بغلة زُرزُورِيّة فسلّم عليهم وسألهم عن جلوسهم في ذلك المكان فاخبروه بالقصّة من اولها الى آخرها وليس في الاعادة افادة يا سادة فجلس عندهم واذا بغبرة قد اقبلت وزوبعةٍ عظيمة من وسط تلك البرّيّة فانكشفت الغبرة واذا به ذلك الجنّي وبيده سيف مسلول وعيونه ترمي بالشرر فاتى اليهم وجذب ذلك التاجر بيده من بينهم وقال له قم حتى اقتلك مثل ماقتلتَ ولدي وحُشاشة كبدي ثم انتحب ذلك التاجرُ وبكى وقامت الشيوخ الثلثة بالبكاء والعويل والنحيب فانتبذ منهم الشيخ الاول وهو صاحب الغزالة وقبّل يد ذلك العفريت وقال له ايّها الجنّي وتاج ملوك الجان اذا حكيت لك حكايتي مع هذه الغزالة ورأيتها عجيبة تهب لي ثلث دم هذا التاجر فقال نعم ايها الشيخ اذا حكيت لي الحكاية ورأيتها عجيبة وهبت لك ثلث دمه فقال الشيخ اعلم ايّها العفريت ان هذه الغزالة هي بنت عمّي ولحمي ودمي وكنت تزوّجت بها وهي صغيرة السنّ واقمت معها نحو ثلثين سنة فلم ارزق منها بولد فاخذتُ لي سرّيّة فرُزِقت منها بولد ذكر كانّه البدر اذا بدا بعيون وحواجب كاملة فكبر وانتشأ وصار ابن خمسة عشر سنة فعرضت لي سفرة الى بعض المدائن

Digitized by Google

اَلدَّهْرُ يَوْمَانِ ذَا اَلْمَنُّ وَذَا اَجِـذَرُ وَالْعَيْشُ شَطْرَانِ ذَا صَفْوٌ وَذَا كَدَرُ
قُلْ لِلَّذِيْ بِصُرُوْفِ الدَّهْرِ عَيَّرَنَا هَلْ عَانَدَ الدَّهْرُ اِلَّا مَنْ لَهُ خَطَرُ
اَ مَا تَرَى الرِّيْحَ اِنْ هَبَّتْ عَوَاصِفُهَا فَلَيْسَ تَعصِفُ اِلَّا مَاهُوَ الشَّجَرُ
وَمَا تَرَي الْبَحْرَ تَعْلُوْ فَوْقَهُ جِيَفٌ وَتَسْتَقِرُّ بِاَ قْصَى قَعْرِهِ الدُّرَرُ
فَاِنْ يَكُنْ عَبَثَتْ اَيدِي الزَّمَانِ بِنَا وَنَا لَنَا مِنْ تَمَادِي بُؤْسِهِ الضَّرَرُ
فَفِي السَّمَاءِ نُجُوْمٌ لَا عِدَادَ لَـهَـا وَلَيْسَ يُكْسَفُ اِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
وَكَمْ عَلَى الْاَرْضِ مِنْ خَضْرَا وَيَابِسَةٍ وَلَيْسَ يُرْجَمُ اِلَّا مَا لَهُ ثَمَرُ
اَحْسَنْتَ ظَنَّكَ بِالْاَيَّامِ اِذْ حَسُنَتْ وَلَمْ تَخَفْ سُوْءَ مَا يَاتِيْ بِهِ الْقَدَرُ

فلما فرغ التاجر من شعره قال له الجني اقصر كلامك والله لابد لي من قتلك فقال التاجر اعلم ايّها العفريت انّي عليَّ دَيْن ولي مال كثير واولاد وزوجة ورُهون فدعني اروح الى بيتي واوصل كل ذي حق حقه واعود اليك على راس سنة ولك عليّ عهد اللّه وميثاقه انّي اعود اليك تفعل بي ما تريد واللّهُ على ما اقول وكيل فاستوثق منه الجنّي واطلقه فرجع الى بلده وقضى جميعَ تعلقاته واوصل الحقوق الى اهلها واعلم زوجته واولاده واوصى وقعد عندهم الى تمام السنة ثم انه قام وتوضّأ واخذ كفنه تحت ابطه وودّع اهله وجيرانه وجميع اقاربه وخرج رغماً عن انفه فاقاموا عليه العياطَ والصراخَ فتمشّى الى ان وصل الى ذلك البستان وكان ذلك اليوم راس السنة الجديدة فبينما هو جالس يبكي على ما جرى له واذا قد اقبل عليه شيخ كبير ومعه غزالة مسلسلة فسلّم على ذلك التاجر وحيّاه وقال له ما سبب جلوسك في هذا المكان وانت منفرد وهو ماوى الجان فاخبره التاجر بما جرى له مع ذلك العفريت فتعجب الشيخ صاحب الغزالة وقال واللّه يا اخي ما دِينك الّا دِين عظيم وحكايتك حكاية عجيبة لو كتبت

Digitized by Google

يكون فيه ان شاء الله تعالى الخلاصُ ثم ان اباها الوزيرَ طلع بها الى الملك فلما رأه فرح وقال اتيت بحاجتي فقال نعم واراد ان يدخل عليها فبكت فقال لها مالكِ فقالت ايّها الملك انّ لي اختا صغيرة واريد ان اودّعها فارسل الملك اليها فجاءت الى اختها وعانقتها وجلست تحت السرير فقام الملك واخذ بكارتها وجلسوا يتحدّثون فقالت لها اختها الصغيرة بالله عليكِ يا اختي حدّثينا حديثا نقطع به سهَر ليلتنا فقالت حبّاً وكرامة ان اذن لي الملك المهذّب فلما سمع الملك منهما ذلك وكان قَلِقاً فرح لسماع الحديث فاذن لـــــــــــــــــــــــــــا

حكاية التاجر والجنّي

الليلة الاولى قالت شهرزاد حكي ايّها الملك السعيد انه كان تاجر من بعض التجّار وكان كثيرَ المال والمعاملات في البلاد فركب يوما وخرج يطالب في بعض البلاد فطلع عليه الحرّ فجلس تحت شجرة وحطّ يده في خُرجه فاخرج كِسْرة وتمرة فاكل الكسرة والتمرة فلما فرغ من اكل التمرة رمى النواة واذا هو بعفريت طويل القامة وبيده سيف مسلول فدنى من التاجر وقال له قم حتى اقتلك مثل ماقتلتَ ولدي فقال له التاجر كيف قتلتُ ولدك قال له لمّا اكلت التمرةَ ورميت نواتها جاءت النواة في صدر ولدي وكان كما مشى فمات من ساعته فقال التاجر انا للّه وانا اليه راجعون لا حولَ ولا قوة الا بالله العلى العظيم ان كنتُ قتلتُه فما قتلته الّا خطأً مني اُريد ان تعفو عني فقال الجنى لابد لي من قتلك ثم انه جذبه وبطحه على الارض ورفع السيف ليضربه فبكى التاجر وقال فوضت امري الى الله وانشد يـــــــــــــقـــــــــــــول

Digitized by Google

جميع اهلها واهل جارته وقال لهم علي حكاية وانه متى قال لاحد على سرّه مات فقال لها جميع من حضرهما بالله عليكِ اتركي هذا الامر لئلا يموت زوجكِ ابو اولادكِ فقالت لهم ما ارجع عنه حتى يقول لي وادعه يموت فسكتوا عنها ثم ان التاجر قام من عندهم وتوجّه الى دار الدواب يتوضى و يرجع يقول لهم و يموت وكان عنده ديك و تحته خمسون دجاجة وكان عنده كلب فسمع التاجر الكلب وهو ينادي ويسبّ الديك ويقول له انت فرحان واستاذنا رائح يموت فقال الديك للكلب وكيف ذلك الامر فاعاد الكلب على الديك القصة فقال الديك والله ان استاذنا قليل العقل ان لي خمسين زوجة اراضي هذه واصالح هذه واستاذنا ما له الا فرد زوجة ولا يعرف يسوس امره معها ما له ما يأخذ لها من عيدان التوت ويدخل الى خزانة ويضربها حتى تموت او تتوب ولا تعود تسأله عن شيء قال فلما سمع التاجر كلام الديك وهو يخاطب الكلب قال الوزير لابنته شهرزاد افعل معكِ مثل ما فعل التاجر بزوجته فقالت له وما فعل قال دخل بها الى الخزانة ثم بعد ما قطع عليها من عيدان التوت وخبّأهم داخل الخزانة دخل الخزانة وقال لها تعالى حتى اقول لكِ داخل الخزانة واموت ولا ينظرني احد فدخلت معه ثم انه قفل باب الخزانة عليها ونزل عليها بالضرب الى ان اغمي عليها فقالت له تبتُ ثم انها باست يديه ورجليه وتابت وخرجت هي واياه وفرحوا الجماعة واهلها وتعدوا في اسرّ الاحوال الى الممات قال فلما سمعت ابنة الوزير مقالة ابيها قالت له لابد من ذلك فجهّزها وطلع الى الملك شهريار وكانت قد اوصت اختها الصغيرة وقالت لها اذا توجهتُ عند الملك أُرسل أطلبكِ فاذا جئتِ الى عندي ورأيتِ الملك قضى حاجته منّي تقولي يا اختي حدّثيني حديثا وكلاما نقطع به الليل والسَهَر وانا احدّثكِ حديثا

Digitized by Google

فاصبح السوّاق يأخذ الثور الى الحرث فوجده ضعيفا فحزن عليه و قال هذا سبب أنه ما قد رامس يشتغل ثم جاء الى التاجر و قال له يا مولاي ان الثور مقصّر لم ياكل هذه الليلة العلف و لا ذاق منه شيأ و قد عرف التاجر الامر فقال اِمض وخذ الحمار و حرّثه مكانه اليوم كله قال فلما رجع آخر النهار بعد ما حرثه اليوم كله شكره الثور على تفضلاته الذي اراحه من التعب في ذلك اليوم فلم يردّ عليه الحمار جوابا و ندم شدة الندم فلما كان ثاني يوم جاء الزرّاع و اخذ الحمار و حرثه الى آخر النهار فما رجع الحمار الا مسلوخ الرقبة ميتا من التعب فتامله الثور فشكره و مدحه فقال له الحمار كنت قاعداً بطولي فما خلّاني فضولي ثم قال اعلم اني لك ناصح و قد سمعت استاذنا يقول ان لم يقم الثور من موضعه اعطوه للجزّار يذبحه و يعمل جلده قطعاً و انا خائف عليك و قد نصحتك و السلام قال فلما سمع الثور كلام الحمار شكره و قال بكرة اسرحُ معهم ثم ان الثور اكل علفه بتمامه حتى لحس المِذْوَد بلسانه وكل ذلك وصاحبهم يسمع كلامهم فلما طلع النهار خرج التاجر و زوجته الى دار البقر و جلسا فجاء السواق و اخذ الثور و خرج فلما رأى الثور استاذه طرطر ذيله و ضرع و برطع فضحك التاجر حتى استلقى على قفاه فقالت له زوجته من اي شيٍ تضحك فقال لها سرّ رأيته و سمعته ولا اقدر ابوح به فاموت فقالت له لابد ان تخبرني به و بسبب ضحكك ولو كنت تموت فقال لها ما اقدر ان اُبيح به خوفا من الموت فقالت له انت ما تضحك الا عَلَيَّ ثم انها لم تزل تُلحّ عليه و تَلجّ عليه الى ان غلب منها وضجر فاحضر اولاده و ارسل احضر القاضي والشهود و اراد ان يوصي و يبيح لها بالسرّ و يموت لانه كان يحبّها محبّة عظيمة وهي بنت عمه و ام اولاده وقد كان عمّر من العمر مأية و عشرين سنة ثم انه ارسل احضر

Digitized by Google

قُلْ لِمَنْ يَحْمِلُ هَمًّا ... اِنَّ هَمًّا لَا يَدُوْمُ
مِثْلُ مَا تَفْنَى الْمَسَرَّهْ ... هٰكَذَا تَفْنَى الْهُمُوْمُ

قال فلما سمع الوزير من ابنته هذا الكلام حكى لها ما جرى له من الاول الى الآخر مع الملك فقالت له باللّٰه يا ابتِ زوّجني هذا الملكَ فاما ان اعيش واما ان اكون فديً لاولاد المسلمين وخلاصهم من بين يديه فقال لها باللّٰه عليك لا تخاطري بنفسك ابدا فقالت له لابد من ذلك فقال اخشى عليك ان يتم لك ما تم على الحمار والثور مع صاحب الزرع فقالت له وما الذي جرى لهما

حكاية الثور مع الحمار

قال اعلمي يا ابنتي انه كان لبعض التجّار اموال ومواش وكان له زوجة واولاد وكان اللّٰه تعالى اعطاه معرفة لغات السن الحيوانات والطيور وكان مسكن ذلك التاجر الارياف وكان عنده في داره حمار وثور فاتى يوما الثور الى مكان الحمار فوجده مكنوسا مرشوشا وفي معلفه شعير مغربل وتبن مغربل وهو راقد مستريح وفي بعض الاوقات يركبه صاحبه لحاجة تعرض له ويرجع على حاله فلما كان في بعض الايام سمع التاجر الثور وهو يقول للحمار هنيّا لك ذلك انا تعبان وانت مستريح تأكل الشعير مغربلا ويخدُمك وفي بعض الاوقات يركبك ويرجع وانا دائماً للحرث والطحين فقال له الحمار لمَّا تخرج الى الغيط ويجعلون على رقبتك النِير فارقد ولو ضربوك لا تقم وقم وارقد ولمَّا يرجعون بك ويوضعون لك الفُول فلا تأكله كانك ضعيف وامتنع من الاكل والشرب يوماً اويومين او ثلثة فتستريح من التعب والجهد قال وكان التاجر يسمع كلامهما فلما جاء السوّاق الى الثور بعشاه اكل منه شيًا يسيرا

Digitized by Google

لَا تَأْمَنَنَّ عَلَى النِّسَاءِ* وَلَا تَثِقْ بِعُهُودِهِنْ
فَرِضَاؤُهُنَّ وَسُخْطُهُنَّ* مُعَلَّقٌ بِفُرُوجِهِنْ
يُورِينَ وُدًّا كَاذِبًا وَالْغَدْرُ حَشْوُ ثِيَابِهِنْ
بِحَدِيثِ يُوسُفَ فَاعْتَبِرْ سَتَجِدْهُ بَعْضَ خُدُوعِهِنْ
أَوَمَا تَرَى لِأَبِيكَ آدَمَ خُرُوجُهُ مِنْ أَجْلِهِنْ

وقال بعضهم

وَيْكَ إِنَّ الْمَلَامَ يَقْوِي الْمَلُومَا لَيْسَ جُرْمِي كَمَا نَشَأْتُ عَظِيمَا
إِنْ أَكُنْ عَاشِقًا فَلَمْ آتِ إِلَّا مَا أَتَتْهُ الرِّجَالُ قَبْلِي قَدِيمَا
إِنَّمَا يَكْثُرُ التَّعَجُّبُ مِمَّنْ كَانَ مِنْ فِتْنَةِ النِّسَاءِ سَلِيمَا

فلما سمعا الملكان منها هذا الكلام تعجبا غاية العجب وقال بعضهما بعضاً اذا كان هذا عفريتاً وجرى له اعظم مما جرى علينا وهذا شيٌ لم يجرِ لاحد ثم انهما انصرفا من ساعتهما عنها ورجعا الى مدينة الملك شهريار فدخل قصره ورمى عنق زوجته و الجواري و العبيد وكان الملك شهريار كل ليلة يأخذ بنتا بكرا يأخذ وجهها ثم يقتلها مدة ثلث سنوات فضجّ الناس و هربوا ببناتهم و لم يُبقِ في تلك المدينة بنتا تتحمل الوطي ثم ان الملك امر الوزير ان يأتيه ببنتٍ على جري عادته فخرج الوزير وفتّش فلم يجد بنتا فتوجه الى منزله وهو مغبون مقهور خائف على نفسه من الملك قال وكان وزير الملك له بنتان الكبيرة اسمها شهرزاد و الصغيرة اسمها دنيازاد وكانت الكبيرة قد قرأت الكتب و التواريخ وسير الملوك المتقدمين و اخبار الامم الماضين قيل انها جمعت الف كتاب من كتب التواريخ المتعلقة بالامم السالفة و الملوك الخالية و الشعراء فقالت لابيها ما لي اراك مغبونا حامل الهمّ و الاحزان وقد قال بعضهم فى المعنى

Digitized by Google

تَسْجُدُ الْكَائِنَاتُ بَيْنَ يَدَيْهَا حَيْثُ تَبْدُو وَتَهْتِكُ الْاَسْتَارْ
وَاِذَا اَوْمَضَتْ بُرُوْقُ حِمَاهَا اَهْطَلَتْ بِالْمَدَامِعِ الْاَمْطَارْ

قال فلما نظر اليها الجنّي قال يا ستّ الحرائر يا من قد اختطفتك ليلة عُرْسكِ اريد انام قليلا ثم ان الجنّي جعل راسه على رُكبة الصبية و نام فرفعت الصبية راسها الى اعلى الشجرة فرأت الملكين وهما فوق تلك الشجرة فشالت راس الجنّي من على ركبتها ووضعتها على الارض ووقفت تحت الشجرة وقالت لهما بالاشارة انزلا ولا تخافا من العفريت فقالا لها باللّه عليكِ اُعفي عنا من هذا الامر فقالت لهما ان لم تَنزلا نبّهت عليكما العفريت يقتلكما شرّ قتلة فخافا و نزلا اليها فقامت لهما وقالت ارصَعا رصَعا عنيفا والا انبّه لكما العفريت فمن خوفه قال الملك شهريار لاخيه الملك شاه‌زمان يا اخي افعل ما امرتك به فقال لم افعل افعل انت قبلي واخذا يتغامزان على نيكها فقالت لهما ما لي اراكما تتغامزان فان لم تتقدما و تفعلا نبّهت لكما العفريت فمن خوفهما من الجنّي استقفاها الاثنان فلما فرغا قالت لهما افيقا واخرجت لهما من جيبها كيسا واخرجت لهما منه عِقْدا فيه خمسمائة و سبعين خاتما فقالت لهما اَ تدرون ما هؤلاء فقالا لا ندري فقالت لهما اصحاب الخواتم كلهم ناكوني على قَرْن هذا العفريت فاعطياني خاتميكما الاثنين الاخوين فاعطاها من ايديهما خاتمين فقالت لهما ان هذا العفريت قد اختطفني ليلة عرسي ثم انه وضعني في علبة و جعل العلبة داخل الصندوق و رمى على الصندوق سبعة اقفال جليّ و جعلني في قاع البحر العجّاج المتلاطم بالامواج ولم يعلم ان المرأة منا اذا ارادت شيًا لم يغلبها شيٌ كما قال بعضهم

Digitized by Google

اخوه كلامه قال له اقسمت عليك بالله الّا ما اخبرتني عن ردّ لونك فاخبرهُ جميع مارآه فقال شهريار لاخيه شاه‌زمان مرادي انظر بعيني فقال له اخوه شاه‌زمان اِجْعَل اَنك مسافر للصيد و القنص و اختفِ عندي و انت تشاهد ذلك و تتحققه عياناً فنادى الملك من ساعته بالسفر فخرجت العساكر و الخيام الى ظاهر المدينة و خرج الملك ثم انه جلس في الخيام و قال لغلمانه لا يدخل عليّ احد ثم انه تنكّر و خرج مختفيا الى القصر الذي فيه اخوه و جلس في الشُبّاك المطل على البستان ساعة من الزمان الا و الجواري و ستّهم دخلوا مع العبيد و فعلوا كما قال اخوه الى اذان العصر قال فلما رأى الملك شهريار ذلك الامر طار عقله من راسه و قال لاخيه شاه‌زمان قم بنا نسافِر على حالنا ولا لنا حاجة بالملك حتى ننظر احداً جرى له مثلنا و الا موتنا خير من حياتنا قال ثم انهما خرجا من باب سِرّ القصر مسافرين اياماً و ليالي الى ان وصلا الى شجرة في وسط مَرْجة و عينِ ماء بجانب البحر المالح فشربا من تلك العين و جلسا يستريحان فلما كان بعد ساعة مضت من النهار واذا هم بالبحر قد هاج و صعد منه عمود اسود صاعدا الى السماء وهو قاصد تلك المرجة قال فلما رأيا ذلك خافا و طلعا الى اعلى الشجرة وكانت عالية ينظران ما ذا يكون الخبر واذا بجنّي طويل القامة عريض الهامة واسع الصدر و على راسه صندوق فطلع الى البرّ و اتى الى الشجرة التي هما فوقها و جلس تحتها و فتح الصندوق و اخرج منه عُلْبة ثم فتحها فخرجت منها صبية بقامة هيفاء بهيّة كانها شمس مضيئة كما قال و احسن الشاعر عُطَيّة

اَشْرَقَتْ فِي الدُّجى فَلاَحَ النَّهَارْ وَ اَنَارَتْ مِنْ فَوْقِهَا الاَشْجَارْ
مِنْ سَنَاهَا الشُّمُوسُ تُشْرِقُ لَمَّا تَتَجَلّى وَ تَبْدُو تَخْجَلُ الْاَقْمَارْ

Digitized by Google

بلادهُ وملكه فترك سبيله ولم يسأل عن ذلك ثم انه في بعض الايام قال له يا اخي اني أراك قد ضعف جسمك واصفرّ لونك فقال له يا اخي انا في باطني جُرح ولم يخبره بما رأى من زوجته فقال له اني اريد ان تسافر معي الى الصيد والقنص لعلّ ان ينشرح خاطرك فابى ذلك فسافر اخوه وحده الى الصيد وكان في قصر الملك شبابيك تطلّ على بستان اخيه فنظر واذا بباب القصر انفتح وخرج منه عشرون جارية وعشرون عبدا وامرأة اخيه تمشي بينهم وهي بديعة الحسن والجمال حتى وصلوا الى فَسقيّة وخلعوا ثيابهم وجلسوا مع العبيد واذا بامرأة الملك صاحت يا مسعود فجاءها عبد اسود فعانقها وعانقته وواقعها وكذلك الجواري فعلوا بهم العبيد ولم يزالوا في بَوس وعناق ونَيك ورِحاق حتى ولّى النهار فلما رأى ذلك اخو الملك قال في نفسه والله ان بلّيتي اخفّ من هذه البليّة وقد انفكّ ما عنده من الغَيْر والغم وقال هذا اعظم مما جرى لي ولم يزل في اكل وشرب وبعد هذا جاء اخوه من السفر فسلّما على بعضهما ونظر الملك شهريار الى اخيه الملك شاه زمان رآه رُدّ له لونه واحمرّ وجهه وصار يأكل بنهمه بعد ما كان قليل الاكل فقال له اخوه الملك الكبير يا اخي كنت أراك مصفرّ اللون والوجه والآن قد ردّ اليك لونك فاخبرني بحالك فقال له اما تغير لوني فاذكره لك واعفُ عني من اخباري لك بردّ لوني فقال له اخبرني اولا بتغير لونك وضعفك حتى اسمعه فقال له يا اخي اعلم اني لما ارسلتَ وزيرك اليّ يطلبني للحضور بين يديك جهّزتُ حالي وقد برزت برّ مدينتي ثم اني تذكرت الخَرَزة التي اعطيتها لك في قصري فرجعت الى قصري فوجدت زوجتي معها عبد اسود وهو نائم في فراشي فقتلتهما وجئت اليك وانا متفكر في هذا الامر فهذا سبب تغير لوني وضعفي واما ردّ لوني فاعف عني ان اذكرّه لك فلما سمع

Digitized by Google

في قديم الزمان وسالف العصر والاوان ملك من ملوك بني ساسان بجزائر الهند والصين صاحب جند واعوان وخدم وحشم وكان له ولدان احدهما كبير والآخر صغير وكانا فارسين بَطَلين وكان الاكبر افرس من الاصغر وقد ملك البلاد وحكم بالعدل في الرعيّة واحبّوه اهل بلاده ومملكته وكان اسمه الملك شهريار وكان اخوه الصغير اسمه الملك شاه‌زمان وكان ملك سمرقند العجم ولم يزالا مستمرّين في بلادهما وكل واحد في مملكته حاكم عادل في رعيته مدة عشرين سنة في غاية البسط والانشراح ولم يزالا على هذه الحالة فعند ذلك اشتاق الملك الكبير الى اخيه الصغير فامر وزيره ان يسافر الى عند اخيه ويحضر به فاجابه بالسمع والطاعة وسافر الى ان وصل بالسلامة ودخل الى عند اخيه وبلّغه السلام واعلمه ان اخاه مشتاق اليه وقصدَه يزورُه فاجابه بالسمع والطاعة وتجهّز للسفر واخرج خيامه وجماله وبغاله وخدمه واعوانه واقام وزيره حاكما في بلاده وخرج طالبا بلاد اخيه فلما كان في نصف الليل تذكّر حاجة نسيها في قصره فرجع ودخل قصره فوجد زوجته راقدة في فراشه معانقة عبدا اسود من بعض العبيد فلما رأى هذا الامر اسودّت الدنيا في وجهه وقال في نفسه اذا كان هذا الامر قد وقع وانا ما فارقت المدينة فكيف حال هذه الملعونة لما اغيب عند اخي مدةً ثم انه سحب سيفه وضرب الاثنين وقتلهما في الفراش ورجع من وقته وساعته وامر بالرحيل وسار الى ان وصل الى مدينة اخيه فلما قَرُب مدينتهُ ارسل المبشرين الى اخيه بقدومه فخرج اليه ولاقاه وسلّم عليه وفرح به غاية الفرح وزيّن له المدينة وجلس معه يتحدث وينشرح فتذكّر الملك شاه‌زمان ما كان من امر زوجته فحصل عنده غم زائد واصفرّ لونه وضعف جسمه فلما رآه اخوه على هذه الحالة ظن في نفسه ان ذلك بسبب مفارقته

Digitized by Google

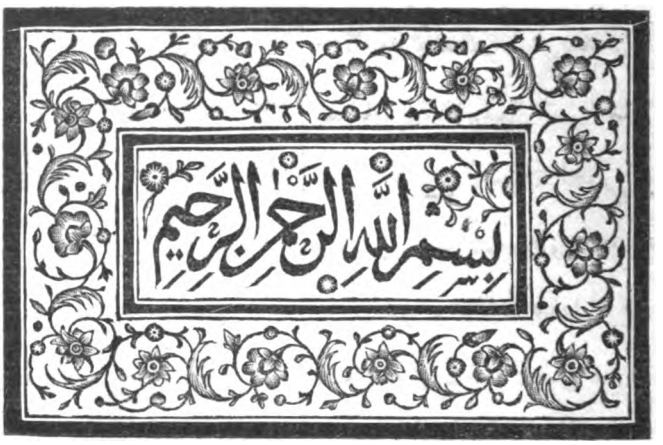

كتاب الف ليلة وليلة

حكاية ملك شهريار واخيه

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين سيدنا ومولانا محمد صلّى الله عليه وسلّم صلوة وسلاما دائمين متلازمين الى يوم الدين وبعدُ فان سِيَر الاولين صارت عبرة للآخرين لكي يرى الانسان العِبَرَ التي حصلت لغيره فيعتَبِر ويطالعَ حديث الامم السالفة وما جرى لهم فينزَجِر فسبحان من جعل حديث الاولين عبرة للقوم الآخرين فمن ذلك العبر الحكايات التي تسمى الفَ ليلة وليلة وما فيها من السيَر الجليلة والامثال فقد حكي (والله اعلم بغيبه واحكم واعز واكرم والطف وارحم) فيما مضى وتقدم وسلف من احاديث الامم انه كان

Digitized by Google

حكاية سفر مرزوان الى جزائر خالدان ووصوله عند قمرالزمان وسفر قمرالزمان معه الى مدينة الملكة بدور و ملاقاة قمر الزمان مع الملكة بدور و تزويجه منها .. ٨٥٦

حكاية سفر قمرالزمان مع السيدة بدور الى جزائر خالدان وافتراقهما في الطريق من بعضهما ووصول قمرالزمان عند الخولي في مدينة المجوس ٨٧٣

حكاية وصول السيدة بدور الى جزائر الابنوس في زيّ الرجال وتزويجها مع السيدة حيرة النفوس بنت الملـــــك ارمانوس ٨٧٩

حكاية والد قمرالزمان بعده .. ٨٨٥

بقية حكاية وصول قمر الزمان عند الخولي و موت الخولي وسفره في المركب ووصوله عند السيدة بدور و حكايته معها .. ٨٨٨

حكاية تزوج قمر الزمان مع السيدة حيرة النفوس ٩٠٢

حكاية ولدي قمرالزمان الامجد والاسعد مع امّيهما .. ٩٠٣

Digitized by Google

حكاية رجوع الكل الى بغداد وجلوس الملك رومزان وكان ماكان على تخت بغداد وحكاية التاجر المستغيث عندهما وحكاية البدوي اسمه حماد الذي خطف نزهة الزمان في القدس وقصته مع عباد بن ثعلبة قدامهما وقتل نزهة الزمان للبدوي حماد وقتل رومزان للعبد غضبان وقتل كان ماكان للجمّال .. ٧٠١

حكاية طلب الملك رومزان للعجوز ذات الدوهي وصلبها على باب بغداد ٧١٥

حكاية الطيور والوحوش مع ابن آدم وحكاية البطة والشبل مع النجّار وحكاية البطة مع الطاؤسة والظبي ٧١٦

حكاية العابد الراعي والعابدين ٧٢٦

حكاية طير الماء والسلحف .. ٧٣٠

حكاية الذئب والثعلب .. ٧٣٢

حكاية الفأرة وبنت عرس .. ٧٤٧

حكاية الغراب والسنور ٧٤٨

حكاية الثعلب والغراب ٧٤٩

حكاية البرغوث والفأرة .. ٧٥٠

بقية حكاية الثعلب والغراب .. ٧٥٣

حكاية القنفذ والورشان ٧٥٥

حكاية السارق الذي كان عنده قرد ٧٥٧

حكاية العصفور والطاؤس .. ٧٥٩

حكاية ابى الحسن وعلي بن بكار مع جارية الخليفة اسمها شمس النهار وموت علي بن بكار وشمس النهار ٧٦١

حكاية الملك شهرمان مع ابنه قمر الزمان ٨١١

حكاية قمر الزمان مع العفريتة اسمها ميمونة ٨٢٠

حكاية العفريتة ميمونة مع العفريت اسمه دهنش ٨٢٢

حكاية قمر الزمان مع السيدة بدور ٨٣٣

حكاية قمر الزمان مع خادمه .. ٨٣٨

حكاية قمر الزمان مع الوزير .. ٨٤٠

حكاية الملكة بدور مع خوادمها .. ٨٥٠

حكاية السيدة بدور مع ابيه الملك الغيور ٨٥٢

حكاية السيدة بدور مع اخيه من الرضاعة اسمه مرزوان .. ٨٥٣

Digitized by Google

شهرمان و وقوع الصلح بينهما
و تزويج ابنته لابنه و رجوعه الى
مملكته مع ابنه تاج الملوك
وزوجته ٦٤١
حكاية رجوع ضوء المكان من محاصرة
القسطنطينية الى بغداد واعطائه
سلطنة دمشق للوقاد و وصول
قضى فكان بنت شركان من
دمشق عنده و مرضه و جعله
الحاجب الكبير وصيا علي ابنه
كان ما كان و مملكته ٦٥٠
حكاية شكاية ام كان ما كان عند
نزهة الزمان من جور الزمان
و منع نزهة الزمان لكان ما كان
من الدخول على قضى فكان
و سفر كان ماكان من بغداد الى
البرو ملاقاته مع البدوى صباح
و مصارعته معه و غلبة كان
ما كان عليه ٦٥٧
حكاية ملاقاة كان ماكان مع السلان
غسان وحصول الحصان المسمّى
بالقاتول و رجوعه الى بغداد
وملاقاته مع الحاجب الكبير
الملقب بالملك ساسان وملاقاته
مع قضى فكان و وصول خبر
ملاقاتهما الي الملك ساسان
وغضبه عليهما و خروج كان
ماكان من بغداد مرة ثانية ٦٧٣
حكاية قتال كان ماكان مع الروم
و نهب اموالهم و قتله لكهرداش
و رجوعه مع الاموال الى بغداد ٦٨١
حكاية مشاورة الملك ساسان
مع خواصه في قتل كان ماكان
وارساله الرجال لاجل قتله و غلبته
عليهم و سجن الملك ساسان
و خلاصه من جهة كان ما كان ٦٨٦
حكاية امر ساسان للجارية باكون
بقتل كان ما كان ومجيء امّ كان
ماكان عنده وصارت هي سببا
لحيوته و خروج كان ماكان
واجتماعه بالوزير دندان واسرهم
عند الملك رومزان ملك
القسطنطينية ابن ابريزة وتعارف
الملك رومزان لنزهة الزمان
وكان ماكان والوزير دندان بسبب
دايته مرجانة ٦٩١

Digitized by Google

عليه وقتلها لشركان مع غلمانه
وفرارها ٥٤٠
حكاية وصول ذات الدواهي عند
الملك افريدون ووصول كتابها في
سهم البطريق في عسكر المسلمين ٥٤٦
حكاية تولد كان ما كان ووصول الخبر
الى ابيه ضوء المكان ومرثية
ضوء المكان ومن معه على شركان ٥٤٩
حكاية الوزير دندان قصة العاشق
والمعشوق والمتكلم بينهما قدام
ضوء المكان ٥٥٢
حكاية مشاورة سليمان شاه مع
وزيره في امر الزواج وارساله
عند الملك زهر شاه لخطبة بنته
له وتزويج ابيها لها مع سليمان
شاه وارسالها مع الوزير وتولد تاج
الملوك منها وتعريف حسن تاج
الملوك وتعلمه العلوم والفروسية ٥٥٣
حكاية ملاقاة تاج الملوك مع
التاجر اسمه عزيز وبيان قصته
مع بنت عمه عزيزة ومصائبه
وتعريف السيدة دنيا بنت الملك
شهرمان قدام تاج الملوك .. ٥٦٣
حكاية عشق تاج الملوك على
السيدة دنيا بالسماع وارسال
ابيه لوزيره وعزيز عند الملك
شهرمان لاجل خطبة بنته لتاج
الملوك و رجوعهما بلا فائدة ٦١١
حكاية سفر تاج الملوك و عزيز
و الوزير الى جزائر الكافور بلاد
السيدة دنيا و جلوسهم على
هيئة التجار في الدكان و مجيء
العجوز عندهم لشراء القماش
لاجل السيدة دنيا ٦١٥
حكاية مراسلة تاج الملوك مع
العجوز عند السيدة دنيا و
مراجعتها له بالتهديد والتخويف
وضربها للعجوز و اخراجها من
عندها ورواح تاج الملوك وعزيز
والوزير في بستان السيدة دنيا
و ملاقاة تاج الملوك معها في
بستانها و رواحه مع العجوز في
بيت السيدة دنيا في لباس
النساء ٦٢٥
حكاية مجيء سليمان شاه مع
العساكر لاجل محاربة الملك

Digitized by Google

حكاية سلطنة ضوء المكان في بغداد بعد موت ابيه ٤٦٥

حكاية سبب قتل الملك عمر بن النعمان الذي قتلة الست ذات الدواهي باعطائه السم بمكرها .. ٤٦٦

حكاية طلب ضوء المكان لاخيه شركان من دمشق بمعرفة الوزير دندان و مجيئه و ملاقاتهما ٤٨٥

حكاية تجهيز شركان و ضوء المكان العساكر وسفرهما الى القسطنطينية للغزو و الجهاد ٤٨٧

حكاية قتال عساكر المسلمين مع عساكر النصارى و قتال لرقا بن شملوط مع الملك شركان و قتل شركان له ٤٨٩

حكاية هزيمة عساكر النصارى من عساكر المسلمين ٤٩٩

حكاية مكر ذات الد و اهي ام الملك حردوب و وصولها عند المسلمين و اعتقاد هم لها .. ٥٠١

حكاية اسر الملك ضوء المكان والوزير دندان في عسكر النصارى ٥٢٠

حكاية قتال شركان مع عسكر النصارى وتكتيف النصارى لشركان ومن معه ٥٢٢

حكاية فكاك شركان وضوء المكان من قيد النصارى و قتال المسلمين مع النصارى في الجبل .. ٥٢٣

حكاية وصول رستم وبهرام مع عشرين الف فارس من المسلمين عند شركان وضوء المكان ٥٢٦

حكاية رجوع تركاش من القسطنطينية بخداع ذات الدواهي و وصوله عند ضوء المكان و وصول ذات الدواهي عند شركان وضوء المكان ٥٣٠

حكاية هزيمة عسكر المسلمين من الروم بقيادة ذات الدواهي ووصولهم عند ضوء المكان وشركان ٥٣٢

حكاية قتال المسلمين مع النصارى مرة ثانيه وقتال شركان مع الملك افريدون وغلبته على شركان واصابة الجرح لشركان منه .. ٥٣٥

حكاية قتال ضوء المكان مع الملك افريدون وقتل ضوء المكان للملك حردوب وحزن امه ذات الدواهي

Digitized by Google

حكاية غانم ابن ايوب وقصة كافور وسبب تطويشه ٣٢٥

بقية حكاية غانم بن ايوب مع قوت القلوب ٣٣١

حكاية أم غانم بن ايوب و اخته مع قوت القلوب ٣٤٧

حكاية الملك عمر ابن النعمان و ابنيه شركان وضوء المكان ٣٥١

حكاية سفر شركان و الوزير دندان بامر الملك عمر بن النعمان للمحاربة مع ملك الارمن لاجل خاطر الملك افريدون ملك القسطنطينية ٣٥٧

حكاية شركان مع الملكة ابريزة بنت الملك حردوب ٣٦١

حكاية الملكة ابريزة مع الملك عمر بن النعمان ٣٩٣

حكاية الملكة ابريزة مع العبد اسمه غضبان و قتله لها .. ٣٩٧

حكاية مشاورة الملك حردوب مع امة الست ذات الداهي .. ٤٠١

حكاية خروج شركان من عند ابيه و اقامته في دمشق .. ٤٠٣

حكاية خروج ضوء المكان واخته نزهة الزمان للحج خفية من عند ابيه ٤٠٤

حكاية رجوع ضوء المكان و نزهة الزمان من الحج و افتراقهما في القدس من البعض .. ٤٠٦

حكاية ضوء المكان مع وقاد الحمام ٤٠٧

حكاية نزهة الزمان مع البدوي اسمه حمّاد ٤١٣

حكاية بيع البدوي لنزهة الزمان عند التاجر ٤٢٢

حكاية بيع التاجر لنزهة الزمان عند اخيها شركان وتزويجه لها وصارت له بنتا منها سماها قضى نكان ٤٢٧

حكاية تعارف شركان لاخته نزهة الزمان و توبتهما و تزويجها للحاجب الكبير و سفرها الى بغداد مع الحاجب الكبير ... ٤٤٥

حكاية ضوء المكان و سفره مع الوقاد الى بغداد مع قافلة نزهة الزمان ٤٤٧

حكاية تعارف نزهة الزمان لاخيه ضوء المكان ٤٥٦

حكاية الحاجب مع الوزير دندان وخبر موت الملك عمر بن النعمان ٤٦١

Digitized by Google

حكاية شمس الدين محمد وزير
مصر ونور الدين علي وزير البصرة ١٤٨
قصة بدرالدين حسن ابن نورالدين ١٦٠
قصة عجيب ابن بدرالدين حسن ١٧٨
حكاية وصول شمس الدين
في البصرة واستماع خبر موت
اخيه من زوجته ويتولد ابنه .. ١٨٣
حكاية ملاقات بدرالدين حسن
مع امه وابنه عجيب وعمه
شمس الدين ١٩٠
حكاية ملاقات حسن مع السلطان
وبيان حسن قصة المثل شريح
ادهى من الثعلب ١٩٥
قصة الخياط مع الاحدب .. ١٩٩
قصة اليهودي مع الاحدب .. ٢٠٠
قصة الشاهد مع الاحدب .. ٢٠١
قصة النصراني مع الاحدب .. ٢٠١
قصة الطبيب النصراني وهي حكاية
التاجر النصراني المقطوعة اليد ٢٠٣
قصة الشاهد وهي حكاية الشاب
الذي اكل الزبرباجه ٢١٧
قصة اليهودي وهي حكاية الشاب
الموصلي ٢٢٦
قصة الخياط وهي حكاية الشاب
مع المزين ٢٣٥
قصة المزين ٢٣٩
حكاية الخياط البغدادي وهو الاخ
الاول للمزين ٢٥١
حكاية الاخ الثاني للمزين .. ٢٥٥
حكاية الاخ الثالث للمزين .. ٢٥٩
حكاية الاخ الرابع للمزين .. ٢٦١
حكاية الاخ الخامس للمزين .. ٢٦٤
حكاية الاخ السادس للمزين ... ٢٧١
حكاية حيرة الاحدب من جهة
المزين ٢٧٧
حكاية الوزيرين لمحمد بن سليمان
الزيني ملك البصرة والجارية
انيس الجليس ٢٧٨
حكاية نور الدين علي ابن الوزير
مع الجارية انيس الجليس .. ٢٨٥
حكاية نور الدين علي والجارية
انيس الجليس مع الشيخ ابراهيم
الخولي والخليفة هارون الرشيد ٢٩٨
حكاية غانم ابن ايوب المتيم المسلوب ٣٢٠
حكاية غانم ابن ايوب وقصة بخيت
وسبب تطويشه ٣٢٤

Digitized by Google

فهرس كتاب الف ليلة وليلة

حكاية الملك شهريار واخيه .. ١
حكاية الثور مع الحمار ٧
حكاية التاجر مع الجن وفيها قصة
الشيوخ الثلثة مع الجن ٣
قصة الشيخ الاول صاحب الغزاله .. ١٢
قصة الشيخ الثاني صاحب
الكلبين ١٦
قصة الشيخ الثالث صاحب البغلة ١٩
حكاية الصياد مع الجن ٢٠
حكاية وزير الملك يونان ٢٦
قصة الملك السندباد ٣٠
حكاية الوزير المحتال ٣٢
بقية حكاية وزير الملك يونان .. ٣٣
بقية حكاية الصياد مع الجن .. ٣٨
قصة البركة والسمكات الملونة .. ٣٩
حكاية الشاب المسحور ٣٩
حكاية الحمّال والبنات الثلث وفيها
حكاية القرندلي الثاني الثلثة .. ٥٦
حكاية القرندلي الاول ٧٣
حكاية القرندلي الثاني ٨١
قصة الحاسد والمحسود ٩٠
بقية حكاية القرندلي الثاني .. ٩٢
حكاية القرندلي الثالث ١٠٢
حكاية الصبية الكبيرة صاحبة
الكلبتين ١٢١
حكاية الصبية الثانية ١٣٠
بقية حكاية الصبية الكبيرة .. ١٣٩
حكاية الصبية المضروبة ١٤٠
حكاية الصبية المقتولة ١٤٢
قصة التفاحات الثلث ١٤٥

Digitized by Google

ASHMOLEAN MUSEUM
MARGOLIOUTH
BEQUEST
OXFORD

Digitized by Google

الف ليلة وليلة

اعني

كتاب الف ليلة وليلة

يُدعى عموما

اَسمار الليالي للعرب ممّا يتضمّن الفُكاهة ويورث الطرب

قد طبعه كاملاً مكمّلا

وليم حي مكناطن سكرتر الدولة الانجريزية

في الممالك الهندية

في اربع مجلدات

في لسانه الاصلي العربي منقولا من نسخة كُتبت بالديار المصرية

واوردها في الهند المرحوم ميجر طرنر مكان الذي طبع شاهنامه

قبل هذا الزمان في التاسعة بعد الثلثين من المائة

التاسعة عشر من السنين المسيحية

سنه ١٨٣٩

Digitized by Google

Digitized by Google

237
735
dec 55
123-140

Digitized by Google

158.67 ALF
Mac

Digitized by Google